الجـامـعة الإسـلاميـة العـالـمية

إسـلام آبـاد- بـاكستـان

كلية أصول الدين

قسم التفسير و علوم القرآن

International Islamic University

Islamabad-Pakistan

Faculty Of Usuluddin

Department Of Tafseer & Quranic Sciences



تحقيق مخطوط التفسير إلهام الرحمان للشيخ عبيد الله السندي (م 1944ء)

من سورة النحل إلى سورة التوبة

دراسة و تحقيقا

مشروع: رسالة علمية مقدم للحصول على درجة الدكتوراه

تحت إشراف

أ.د. تاج أفسر

إعدادالطالب

محمد وقاص

رقم التسجيل: 198-FU/PhDTQS/F14

العام الجامعي: 1442هـ /2021م

الإهداء

إلى والدي الكريمين الذين ربياني و لم تزل شـــجرة أدعيتهما وارفة الظلال علي في مضمار حياتي!

إلى جميع أساتذتي من العلماء الأجلاء، و أصحاب الفضل علي من الكرماء النبلاء الذين أضـــاءوا لي الطريق و كانوا لي على درب العلم خير معين و صديق!

الشكر و التقدير

الحمد لله رب العالمين الذي وفقني لاتمام هذه الرسـالة و أعانني على إخراجها، والصـلوة على رسـوله الكريم و على آله و أصـحابه رضـي الله عنهم أجمعين، أما بعد: فعن أبي سـعيد الخدري رضـي الله عنه قال: قال رسـول الله صـلى الله عليه و سـلم: من لا يشـكر الناس لا يشكر الله عزوجل".

فلهذا أرى من واجبي أن أشكر كل من ساعدني في إكمال هذه الرسالة في صـورتها الحالية و أسـأل الله عزوجل أن يجزيهم الله أحسـن الجزاء، و أقدم خالص شـكري و تقديري لفضـلية الدكتور تاج أفسـر لتوجيهاته القيمة و عنايته الخاصـة التي تمكنت بها إكمال هذه الرسالة. و لا يفوتني أن أقدم شكري لصديقي متين أحمد المحاضر بمجمع البحوث الإسلامية الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد والمدير لمجلة فكر ونظر بمجمع البحوث والذي ساعدني من البداية إلى النهاية.

و كذلك أقدم جزيل الشـكر إلى الجامعة الإسـلامية العالمية باسـلام آباد عامة و إلى كلية أصـول الدين و قسـمها التفسـير وعلوم القرآن خاصـة، التي أتاحت لي فرصـة الدراسـة فيها.

و أخيرا أقدم جزيل الشكر إلى كل من ساعدني في كتابة هذه الرسالة؛ مدرسا كان أو تلميذا، قريبا كان أو بعيدا. و أسـأل الله لهم الأجر الجزيل و الثواب العظيم من خزائنه التي لا تنفد أبدا، والصـلوة والسـلام على نبينا محمد و على آله و أصـحابه و من تبعهم بإحسـان إلى يوم الدين.

القسم الأول

مقدمة التحقيق للتفسير إلهام الرحمان (مخطوط)

اللهم نحمدك بأسمائك الحسنى، و نسألك أن تصلي على محمد ذي المقام الأسنى، صاحب قاب قوسين أو أدنى، ونسألك اللهم أن تخلصنا عن هواجس المنى، و تمنحنا من ذكرك ذخرا لا يفنى. وبعد:

التعريف الموضوع

فإن أفضل ما اشتغل به المشتغلون من العلوم، و أفنيت فيه الأعمار، و وجهت إليه الهمم، هو كتاب الله تعالى، حبل الله المتين، من تمسك به هدي، و من اهتدى بنوره رشد. و لقد كان محل العناية من هذه الأمة منذ نزوله على محمد صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا، و قد تركوا العلماء لنا تراثا ضخما، مليئا بالنوادر، ومكتظا بالجواهر الذي ذخرت به المكتبة الإسلامية. وهذا كان نتيجة جهود العلماء و المحققين من سلف الأمة الذين أفنوا أعمارهم، وصرفوا أوقاتهم، وتركوا الديار، وشدوا الرحال، وقابلوا الرجال، وسهروا الليالي، وعمروا الأيام واستغلوها، و تركوا الشهوات، وانصرفوا عن الملذات. و قد انتشر هذا التراث في علومه المتنوعة في بلاد شتى، وقامت الجامعات والأكاديميات بفتح المجال لتحقيق هذا التراث. و بعد اكتشاف آلات الطبع ازدادت الحاجة أن تنشر هذه الكنوز إلى أطراف العالم، و ما زال العلماء يتحدثون عن المخطوطات و طبعها. وبتوفيق منه سبحانه و تعالى أدرك أبناء الأمة الإسلامية أهمية الحفاظ على جهود أسلافهم، و أنفقوا أوقاتهم و أموالهم لإخراج الدرر من مكنونها. ويكون الأمر أكثر دقة وأبلغ انتظاماً عندما تهرع المؤسسات التعليمية المتعددة لتنفيذ تلك المهمة النبيلة والشريفة، فتنشئ المراكز المتخصصة، وتقيم المعاهد المتنوعة التي تخدم هذا الأمر، وتهيء للباحثين كل ما يحتاجونه في هذا الشأن، وتسهل لهم طرق الحصول على تلك المخطوطات بكل الوسائل المتاحة وفي أي مكان وجدت. وكل أولئك عوامل رئيسة كان لها أثر في إماطة اللثام عن هذا العباب الزاخر من مصنفات السلف التي تزخر بها مكتبات العالم. والمراد من تحقيق المخطوطات إخراج غير المنشور إلى منصة المنشور بثقة أن ما جاء في حلة النشر الشهباء هو حصيلة فكرة مَنْ نسب إليه بألفاظه بقدر الإمكان، و غايته هو تقديم المخطوط صحيحا كما وضعه مؤلفه بدون شرحه.

ولو ننظر إلى التراث الهائل المبعثر في مكتبات شبه القارة الهندية، نرى أن هذا التراث له قيمة علمية كبيرة وإنه بحاجة ماسة إلى إخراجه في ثوب الطباعة بعد البحث والتحقيق كي يزدهر تراثنا، وهذه المصنفات تتعلق بجميع الآداب والفنون على رأسها علم التفسير، فلأهل الهند مصنفات كثيرة في هذا.

في مجال تفسير القرآن الكريم وعلومه نجد شخصية علمية فذة لها باع طويل في هذا الباب، ألا وهي شخصية الشيخ عبيد الله السندي (1872ء- 1944ء) الذي كان حقا شارحًا كبيرًا لفكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي الذي كان أول مفكر إسلامي في شبه القارة، فقد كتب في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للإسلام، ومشيرا إلى هذا الجانب يقول شاعر الشرق محمد إقبال: "إن كتابة الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي حول السياسة والاقتصاد محيرة للعقول جدا في زمن كانت قوى المسلمين العلمية والعملية في معرض الزوال كتدهورهم في مجال السياسية والحكومة، وكان الناس يتوغلون في أمور لاطائل تحتها، وإن الشاه ولي الله هو الرائد الحق لنشأتنا الثانية." [1] ويقول أيضا: "نحن المسلمون في مواجهة مهمة كبيرة جدا، وإني أرى لزاما علينا أن نفكر على الإسلام من جديد كنظام حيّ دون أي انقطاع عن ماضينا، ولعل الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي كان أول من شعر بالنهضة الجديدة." [2] ويكتب إقبال في رسالة إلى المولوي أحمد رضا البجنوري[3]: "هل يمكن لك أن تجوّز لي اسما لعالم له نظرة ثاقبة على الفقه الإسلامي والأصول والفقه والتفسير مع الخبرة التامة بفلسفة الشاه ولي الله وكتاباته، فلو أجد هذا العالم، فأهيي له فرصة القيام عندي لقسط من الوقت وأدفع له عوضا عن ذلك مكافئة مالية." [4] لعل محمد إقبال لم يعرف الشيخ عبيد الله السندي في هذا الصدد، فإنه كان شخصية لائقة لهذه المهمة العلمية.

يقول الشيخ السندي عن تدبره القرآن وتذوقه: "ما زلت أطالع القرآن العظيم و**حجة الله البالغة** منذ 12، 13 سنة، وفي ذلك الزمان قمت بحل المواضع المشكلة القرآنية لديّ على أصول الإمام ولي الله الدهلوي بالطمأنينة، وأما الذين لايشهدون بمكانة الإمام ولي الله، لا أستطيع دعوى جعلهم مطمئنين،

---

[1] سيد نذير نيازى، ***اقبال کے حضور*** (لاهور: إكاديمية إقبال، 2012ء)، 303.

[2] محمد إقبال، **التكوين الجديد للفكر الديني في الإسلام**، 97.

[3] هو كان من تلاميذ الشيخ أنور شاه الكشميري، الذي جمع أماليه المسماة بـ **أنوار الباري في شرح الصحيح البخاري** باللغة الأردية.

[4] محمد عطاء الله، ***اقبال نامه***، 241- 242.

ولكنني رأيت آنذاك برنامجا عمليا للتعليم العملي حسب أصولي، ولابد من الشهادة بتأثير ذلك المقام المقدس المتجلي..."[5]

والشيخ السندي قد ترك خلفه تراثا علميا، و خاصة أماليه على تفسير القرآن باللغة العربية، المسمى بـ **إلهام الرحمان في تفسير القرآن**، و هذا تفسير منفرد من حيث مادته وفكرته، فإنه يتناول التفسير السياسي الاجتماعي للقرآن ومن خلال ذلك يتمسك بفكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي، ورغبة مني بالمشاركة بهذه المسيرة المباركة لنيل درجة الدكتورة اخترت مخطوطه للتحقيق.

أسباب اختيار الموضوع

كما يقدر العلماء مجموع المخطوطات الإسلامية في العالم بعشرة ملايين مخطوط، بما في ذلك من مكررات للنسخة الواحدة، ولم يطبع منها حتى الآن معشار عشرها، وهي تشكل بمجموعها ثروة علمية هائلة في شتى فروع المعرفة بحاجة لمن يظهرها إلى عالم الطباعة لينتفع بها المسلمون، ولذلك أدخل تحقيق المخطوطات إلى الدراسات العليا في الجامعات مؤخرًا، ومن التراث الإسلامي في شبه القارة — عدا التحقيقات العلمية العديدة– الذي ترك لنا الشيخ السندي، تفسيره باللغة العربية المسمى بـ **إلهام الرحمان في تفسير القرآن**، ومخطوطه الأصيل موجود في المكتبات من دولتنا، ونسخة من هذا المخطوط توجد في مكتبة مجمع البحوث الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية، وهذا المخطوط كان في حاجة إلى تحقيق وتعليق وإخراجه في الثوب الجديد، فاخترت هذا المخطوط في مرحلة الدكتوراه، وكثيرا ما نرى في بلاد العرب أن الطلاب من مراحل الماجستير والدكتوراه يختارون المخطوطات العلمية للبحث والتحقيق في مراحلهم الدراسية، وهذا الأمر يثري ويجدي كثيرا للمكتبة الإسلامية. وهذا التفسير له ميزات عديدة، كما نذكر من بعد، من أكبرها أنه لاينظر إلى تفسير القرآن تعبيرا حرفيا، بل يربط التعاليم القرآنية بنظم الاسلام الاجتماعي، وهذا من أكبر التحديات التي يواجهه العالم الإسلامي اليوم حيث نسمع هتافات التفريق بين الدين والدولة وأن الدين أمر شخصي لاعلاقة له بأمور الدولة والمجتمع، ولكن على العكس من ذلك أن فلسفة الشيخ الشاه ولي الله — الذي تجلت فكرته في التفسير إلهام الرحمان وكتابات الشيخ السندي الأخرى– تنظر إلى الاسلام نظرة متكاملة وتقدمه دينا جديدا بهداية الإنسانية في كل عصر ومصر. وفي

[5] عبد الله اللغاري، **مولانا عبید اللہ سندھی کی سرگذشتِ کابل**، رتبه، الدكتور غلام مصطفى خان، خود نوشت حالات بقلم الشيخ عبيد الله السندي(إسلام آباد: **قومی ادارہ برائے تحقیق تاریخ وثقافت**، 2017ء)، 14.

هذا الصدد يمكن الاختلاف مع الشيخ السندي، ولكن باعه الطويل في تدبر القرآن وفهمه لفلسفة الشاه ولي الله لايمكن إنكاره.

الدراسات السابقة

كما ذكرت من قبل أن التفسير **إلهام الرحمان** قد طبع الشيخ غلام مصطفى القاسمي جزءا منه بتغيير النص وفقا لما فهم من النص بتعبيراته بدون التخريج، و نجد اختلافا بينه و بين المخطوط، وترجم بعض السور إلى اللغة الأردية، ولكن لم نطلع على من قام بتحقيق مخطوطه الكامل، وأما فكرة الشيخ السندي فقد كتب حوله كتب عديدة، ولكنها لاتتعلق مباشرة بموضوعنا. ولهذا المخطوط الأساسي لا يزال في حاجة إلى إخراجه في ثوب يليق بمكانته العلمية.

إشكالية البحث

أما إشكالية البحث فهي تكمن في النقاط التالية:

1- من هو الشيخ عبيد الله السندي؟

2- ما هي خدماته العلمية؟

3- ما هو تفسير إلهام الرحمن وما هي أبرز ميزاته؟

4- هل يصح نسبة تفسير إلهام الرحمن إلى الشيخ السندي؟

5- ما هي الميزات المنهجية لتفسير إلهام الرحمن؟

6- ما هو تحقيق المخطوط وما هي مخطوطات تفسير إلهام الرحمن؟

7- ما هي الفروق الموجودة في نسخ تفسير إلهام الرحمن؟ وغير ذلك.

منهج التحقيق

أما منهجي في هذا التحقيق، فيتلخص في الأمور الآتية:

الاهتمام بمعرفة المخطوط و مؤلفه، وتاريخ تاليفه ومكانه، والنقد الداخلي الذي يتضمن بحثاً في مضمون نص الوثيقة، ومنهجية كاتبه واتجاهه الاجتماعي أو الأدبي ، ثم دراسة منهجيته من خلال الأساليب والأدوات التي استخدمها في كتابة المخطوط أو الوثيقة أو المصدر بشكل عام، فراعيت الأمور التالية:

تعيين النسخ المعتمدة في التحقيق، والمنهج الذي سلكته في نسخه للمخطوط من المناهج المعتبرة عند أهل الاختصاص.

تحديد أصول التحقيق العلمي التي انتهجتها.

تبيين الطريقة العلمية في التعامل مع النصوص، والتراجم، ونحوها.

الالتزام في العزو، والتوثيق، والتعليق، والشرح، والإيضاح، ونحو ذلك بما يحتاجه المشروع ووضع الفهارس لعناوين شتى.

تحقيق المخطوط و منهج الباحث

إن المرحلة الأولى لتحقيق أي مخطوط هو الحصول على النسخ المختلفة من الكتاب لتقديم صورة صحيحة لما كتبه مؤلف الكتاب.

إن من حسن حظي أن نسخة من تفسير **إلهام الرحمن** كانت موجودة في مكتبة مجمع البحوث الإسلامية، الجناح البحثي للجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، فلم أتحمل كلفة في حصولها، ولكن قد أخبرني الأستاذ الكريم – المشرف على تحقيق هذا المخطوط – الدكتور تاج أفسر حفظه الله، رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية بأنه يوجد أكثر من مخطوط لهذا التفسير غير نسخة مجمع البحوث، فهو قد حصل بنفسه على مخطوطتين أخريين من التفسير، إحداهما من السند وثانيتهما من ماليزيا، ولو لم يساعدني مشرفي لما تمكنت من الحصول على هاتين المخطوطتين، فجزاه الله خيرًا كثيرا. والجدير هنا عرض أوصاف هؤلاء المخطوطات الثلاث:

نسخة إسلام أباد

أما نسخة إسلام آباد، فإنها محفوظة اليوم في مكتبة مجمع البحوث الإسلامية – مكتبة حميد الله – برقم: 84، 85، 86 ومصورة (بميكروفيلم) برقم: 84، 85، 86، وهي نسخة حزائنية نفيسة بغلاف جلدي، وعدد أوراقها 668 ورقة للمجلد الأول،396 ورقة للمجلد الثاني، و446 ورقة للمجلد الثالث،

وعدد أسطر كل صفحة 20 سطرًا على الاختلاف، فإن بعض صفحاته لها 32 سطرًا، و في كل سطر حوالى ثلاثة عشر كلمات، و هي في ثلاثة مجلدات، و سميت هذه النسخة ن أ (نسخة إسلام آباد).

ومن الجدير بالذكر أن هذا المخطوط ليس في خط واحد وبيد ناسخ واحد، بل يظهر بعد مقابلة الألواح من المواضيع المختلفة أن المخطوط قد نسخ تارة بخط النستعليق ومرة بخط النسخ بمداد الأسود و الأزرق. و من أحد النساخين الشيخ عبد الله لغاري الذي كان من تلاميذ الشيخ السندي، و بقي معه في المكة المكرمة، و أيضا جمع أمالي الشيخ باللغة السندية، أنه كتب بعضها، و الثاني هو حاجي نيك صالح من علماء ماليزيا، وانتهى كتابتها سنة 1937م.

و أما ما حققت و هي يستغرق قرابة مئتين و خمس و ستين صفحة بمساحة صفحتين من أصل المخطوط في صفحة واحدة في التصوير الألكتروني، ثم إنها ستكون ضعفا فتصير العدد خمس مائة و ثلاثين صفحة من أصل المخطوط. وجعلت هذه النسخة بمثابة النسخة الأصيلة لكونها أقرب إلى الصواب، لإن كلاهما من تلاميذ الشيخ السندي و شركاء الدرس لما أملأ هذا التفسير للشيخ موسى جار الله.

نسخة ماليزيا

وسميت النسخة الثانية ن م (نسخة ماليزيا) وعدد أسطرها على كل صفحة أيضا 22 سطرا، و هي في سبعة مجلدات. و حاجي نيك عبد العزيز[6] الذي كان تلميذ الشيخ حاجي صالح، هو نسخ هذه النسخة من نسخة أستاذه[7] و أكمل كتابته سنة 1965م.

نسخة حيدرآباد

و سميت النسخة الثالثة ن ح (نسخة حيدر آباد) و عدد أسطرها في كل صفحة حوالي 30 سطرا. و نسخ الشيخ عبد المجيد السندي هذا المخطوط، وكان أحسن خطا، و هو أيضا نسخ **عبقات** للشيخ الشاه إسماعيل.

حاولت الاستفادة من هذه المخطوطات الثلاث ليخرج النص أكثر صحة وأقرب إلى ما هو مراد المؤلف، ورجعت خلال هذا إلى كتب الشيخ السندي المختلفة و كتب الإمام الشاه ولي الله الدهلوي الذي

[6] أبوه نيك مت كان من تلاميذ الشيخ حاجي وان موسى، و جاء عبد العزيز إلى ديوبند، و أكمل تعليمه، و كان بقي على منصب رئيس الوزراء لمنطقة كلنتن من 1990 إلى 2013م. لينظر: مصطفي القاسمي، **سماجي انصاف اور اجتماعيت**، 157.

[7] نفس المرجع

يعد الشيخ السندي شارحًا له، وأيضا رجعت إلى الكتب التفسير و السنة الشريفة، والكتب العامة، وذكرت في الحواشي ما هو بحاجة إلى التفسير.

إني ركزت جهدي على تحقيق هذا المخطوط من المجلد الثاني بدءا من تفسير سورة النحل إلى نهاية سورة التوبة من المجلد الثالث. وفي هذا القدر كانت هذه السور القرآنية داخلة في إطار التحقيق: 1- سورة النحل و 2- سورة الإسراء و3- سورة الكهف و 4- سورة إبراهيم و 5- سورة الحجر و 6- سورة البقرة و 7- سورة آل عمران و8- سورة النساء و9- سورة المائدة و10 سورة الأنعام و 11- سورة الأعراف و 12- سورة الأنفال و 13- سورة التوبة.

وأخيرًا لابد من الإشارة إلى أنني في قراءة النص وتحقيقه أقدمت على الخطوات التالية:

1- أثبتتّ النص الأصيل من نسخة إسلام آباد وقابلت عليه النسخة الأخرى لتكميل النقص وإثبات ما ترجح صوابه وإبراز الفروق في الحواشي.
2- ضبطت النص وحاولت توثيقه وتحقيقه خارجا من التحريف وتقديمه في ثوب لائق حسب المستطاع كما أملأ المؤلف.
3- خرجت الأحاديث مستندا إلى مصادرها ونبهت إلى تفصيلها في الحواشي.
4- قمت بالترجمة للأعلام من الكتب المعتبرة المؤلفة حول تراجم الرجال.
5- توجد في النسخ الأغلاط حسب القواعد العربية فتركت هذا المجال للباحثين و الناقدين عليها، وتارة نبهت عليها في الحواشي.
6- قمت بتنظيم مادة النص بوضع النقط و الفواصل، و جميع العلامات المتعارف عليها، وما يوضح المعنى، خدمة للنص و تيسرا لتناوله.
7- كتبت بعض التعليقات الأخرى التي رأيتها مناسبة لخدمة النص.
8- ما بين الشرطتين (- -) فهو كلام الباحث.
9- توجد في التفسير إحالات إلى الكتب لاسيما كتب الشاه ولي الله، فحاولت أن أخرج تلك الأقاويل وأعزوها إلى مظانها.
10- اخترت النصوص القرآنية من المكتبة الشاملة حتى يكون النص القرآني خاليًا من الأخطاء.
11- نقلت الآيات كاملة، بينما الشيخ السندي يذكر جزاء من الآية أو يشير إلى الآيات بذكر الأرقام.

12- ذيلت النص بفهارس مفيدة ترشد إلى السور والأحاديث والأعلام معتمدا في ذلك على المناهج الحديثة المتبعة في فهرسة التراث الإسلامي.

التمهيد

التعريف بالمؤلف ومكانته العلمية

إن الشيخ عبيد الله السندي ولد في بيت من بيوت الوثنيين في تاسع محرم سنة 1289هـ في بلدة سيالكوت وتوفي والده قبل ولادته فتربى في حجر خاله الوثني، وتعلم الخط والحساب والتاريخ وغيرها في مدرسة إنكليزية. ورأى ذات يوم في اليقظة أن نقطة من النور حاذت بين عينيه ثم دخلت في قلبه، فوجد برداً وسكينة في قلبه، وألقى في روعه أنه سيدخل في دين الإسلام، فرغب إليه وحصل بعض الكتب الاسلامية كـ **تحفة الهند** للشيخ عبيد الله البائلي[8] و **تقوية الايمان** للشيخ الشهيد إسماعيل،[9] واشتغل بها مدة حتى رسخ في قلبه الايمان، فهاجر من بلدته إلى أرض السند سنة 1304هـ وأسلم على يد الشيخ الحاج محمد صديق السندي[10] وبايعه في الطريقة القادرية، واشتغل بالعلم فقرأ رسائل النحو والصرف إلى **كافية ابن الحاجب،** ثم سافر إلى ملتان ومنها إلى ديوبند وقرأ على أساتذة المدرسة بعض رسائل المنطق، ثم سافر إلى كانبور وقرأ على يدي الشيخ أحمد حسن الكانبوري،[11] ثم رجع إلى ديوبند وأخذ الحديث عن

---

[8] الشيخ عبيد الله السلفي البائلي صاحب تحفة الهند، كان اسمه في الجاهلية اننت رام واسم أبيه كوني مل، معناه بالعربية منّ الله سبحانه و تعالى، وأظهر إسلامه سنة 1264 هـ وحسن إسلامه، وصنف رسالة لطيفة في تحقيق ديانة الهنود تسمى بتحفة الهند، فهدي الله سبحانه بها كثيراً من الناس. كان الشيخ عبيد الله من السعداء الذين شرح الله صدرهم للاسلام، وتوفي سنة 1310هـ. لينظر: الحسني، عبدالحي، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**، (بيروت، لبنان، دار ابن حزم، 1420هـ) 8: 1299-1300.

[9] الشيخ الشهيد إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي أحد أفراد الدنيا في الذكاء وقوة النفس والصلابة في الدين، ولد بدهلي سنة 1193هـ كان بحراً زاخراً في المعقول والمنقول، ثم لازم السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد البريلوي، وأخذ عنه الطريقة، فجاهد معه في سبيل الله ضد السيخ (المتعاونين مع الحكومة البريطانية)، واستشهد في بالاكوث من أرض ياغستان (باكستان حاليا) سنة 1246 هـ. من كتبه **رسالة أصول الفقه،** وله في التوحيد **تقوية الإيمان** وهو بالأردية، و في التصوف **عبقات.** ولينظر: الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر**، ج7، ص914.

[10] هو الشيخ الحافظ محمد صديق البرجوندوي السندي من أئمة الطريقة الراشدية ، وكان يمنع عن الشرك والبدعة ، وكان صحب الصدر الشهيد الشاه اسماعيل ، والأمير الشهيد السيد احمد البريلوي لما وردوا في السند لاجتيازهم إلى أفغانستان وتنور بصحبتهم.توفي سنة 1308هـ. لينظر : **سرگزشت حيات** (ترجمة تحديث العبد الضعيف بنعمة ربه اللطيف للإمام عبيد الله السندي) باللغة الأردية للشيخ عبد الخالق آزاد ص 34 مط: إداره رحيمية لاهور باكستان. ط: 2014م

[11] الشيخ أحمد حسن البطالوي ثم الكانبوري أحد العلماء المشهورين في كثرة الدرس والإفادة، تخرج عليه خلق لا يحصون كثرة. له حاشية مبسوطة على **شرح السلم** لحمد الله، وتعليقات على **المثنوي المعنوي**، ورسالة في **مبحث إمكان**

العلامة محمود حسن الديوبندي[12] وتفقه عليه، ثم ولي التدريس بمدرسة دار الرشاد في أرض سند فدرس بها زماناً، ثم رجع إلى ديوبند وأقام بها مدة من الزمان وأسس جمعية مؤتمر الأنصار، وخالفه أعضاء المدرسة العربية في بعض الأمور واتهموه بسوء الاعتقاد، فسار إلى دهلي وأسس نظارة المعارف بفناء المسجد الفتحبوري، وأعلن أنه يدرس القرآن الكريم و**حجة الله البالغة** وبعض كتب الحديث في سنتين لمن يريد الأخذ ممن نالوا درجة الفاضلية في الإنجليزية، فدرس بها أعواماً.

ثم لما نشبت الحرب الكبرى الأولى سافر إلى حدود أفغانستان مختفياً متستراً بحمل رسالة الجهاد والثورة ضد الاستعمار، ليحمل أمير أفغانستان على محاربة الإنجليز والهجوم على الحكومة الإنجليزية في الهند، فورد في كابل في خامس ذي الحجة سنة 1333هـ ، ولقي الأمير حبيب الله خان [13]والي أفغانستان ونائبه، واقترح عليهما زحف الجنود الأفغانية إلى الهند، ووعد الأمير، واتفقوا على أنه إذا نجحت هذه المهمة وتحقق الجلاء فإنه سيجلس على عرش دهلي ابن من أبناء الأمير كملك دستوري للبلاد، وقامت في كابل حكومة هندية موقتة كان رئيسها راجه مهندر برتاب أحد الثوار من الولاية الشمالية الهندية، وكان الشيخ عبيد الله وزير الداخلية في هذه الحكومة، وبدأ عبيد الله يشكل فرقة من المتطوعة لهذا الغرض سماها جنود الله، وأرسل في هذه المدة رسائل سرية إلى شيخه، اشتهرت فيما بعد بالرسائل الحريرية، لأنها كانت كتبت على منادل من الحرير، وأصبحت الشغل الشاغل للإنجليز، وجرت حولها مباحثات وتحقيقات. ومثل هذه المهمات قد جرت المكابد إلى الشيخ السندي في أفغانستان، وأثناء ذلك كان الشيخ يركز على تعليم المثقفين المجددين المهاجرين من الهند إلى أفغانستان، ولكن بعد مدة قد اغتيل الأمير حبيب الله خان وخلفه ابنه الأمير أمان الله خان، ونشط الشيخ السندي في مهمة الجهاد، وخلال ذلك نشبت الحرب بين الإنكليز

الكذب وامتناعه لله سبحانه، وأثبت بالدلائل الكلامية الامتناع. مات في سنة 1322هـ ببلدة كانبور. لينظر: الحسني، **نزهة الخواطر**، 8: 1180.

[12] الشيخ محمود حسن بن ذو الفقار علي الديوبندي، أعلم العلماء في العلوم النافعة، وأحسن المتأخرين ملكة في الفقه وأصوله، وأعرفهم بنصوصه وقواعده. ولد سنة 1268 هـ في بريلي ونشأ بديوبند، و كان زعيم الحركة الرسائل الحريرية، و سجنه الانكليز في مالطة لمدة ثلاث سنوات و شهرين، و توفي سنة 1339 هـ. ولينظر: الحسني، ، **نزهة الخواطر**، 7: 1377-1379.

[13] الأمير حبيب الله خان ولد سنة 1872م في تاشقند، ظلت مملكة أفغانستان تحت ولايته من 1901م إلى 1919م. و قدم اصلاحات ضرورية في أفغانستان، و قاد بلاده على طريق سياسي معتدل، و اغتيل في سنة 1919م. لينظر: https://www.britannica.com/biography/Habibullah-Khan

وأفغانستان وكان من قصد الشيخ السندي أن يثير الحكومة الأفغانية على تأييد القضية الهندية، ولقي لهذا المرام القائد التركي جمال باشا حين زيارته كابل سنة 1339هـ ، وفي هذا الجو قد ضاق مجال العمل للشيخ السندي فغادر كابل سنة 1341هـ مع زملائه وتحمل المكابد في هذه الرحلة ووصل في ماسكو بعد مروره ببخارا وتاشقند وأقام في ماسكو نحو تسعة أشهر، و تعلم قدر مستطاعه الفلسفة الشيوعية ونظمها بمساعدة زميله ظفر حسن أيبك، ولقي بعض زعماء الحركة، وبعد يأسه من الروس غادر إلى تركيا وهناك رتب خطة للحكومة الحرة الهندية تقوم على الوفاق، وطبعها وأرسلها إلى الهند، ومكث في أنقرة ثم في استنبول وقابل عصمت باشا،[14] ثم من هناك سافر إلى مكة المكرمة عن طريق إيطاليا، ومكث نحو خمس عشرة سنة في هذه البلدة الطيبة ودرس تفسير القرآن للراغبين والطالبين، وهناك أملى على بعض تلامذته تفسيره **إلهام الرحمن** والذي أنا بصدد تحقيقه والتعليق عليه، وسيجيء الكلام حوله بعد قليل، ثم عاد إلى وطنه، ووصل إلى كراتشي وكانت الأحوال قد تغيرت، على لسان شاعر أردي :*چھٹے اسیر تو بدلا ہوا زمانہ تھا،* وفي هذه المرحلة قد أبدى الشيخ بعض أفكاره التي نالت النقد من قبل العلماء، وهي التي مازالت موضع الغرض لسهام الناقدين، وقضى الشيخ هذه المرحلة تارة في دهلي وتارة في السند، وكان يدرس **حجة الله البالغة** للشاه ولي الله الدهلوي على نمطه الخاص حتى وافته المنية في 3 رمضان سنة 1343هـ/1944م. ودفن بجوار شيخه غلام محمد بقرية دين فور من توابع بهاولفور.

كان الشيخ عبيد الله السندي مربوع القامة أسمر اللون، زاهداً في اللباس والطعام، هو كان نابغة من نوابغ عصره في قوة الإرادة وتحمل المشقات، وكان مفرط الذكاء وجيد الاستعداد في فنون شتى، ولم يكن له كبير اشتغال بالتأليف، ومن أحسن ما كتب **التمهيد لتعريف آئمة التجديد** بالعربية ألفه بمكة، ومقالة عن الشيخ ولي الله الدهلوي في العدد الخاص بذلك لمجلة الفرقان الشهرية، تدل على سعة نظره وعمق فكرته. وكان عظيم الشغف بأفكار الشاه ولي الله الدهلوي دراسة وتدبرًا وتطبيقها على الأحوال الراهنة، وكان يدرس القرآن الكريم أيضًا في ضوء فكرة الشاه ولي الله الدهلوي، وله مذهب خاص في تفسير القرآن، كان يستنبط منه دقائق السياسة العصرية، والمذاهب الاقتصادية، وكان يتوسع في الاعتبار والتأويل،

[14] هو مصطفى عصمت اينونو، ثاني رؤساء الجمهورية التركية، ولد سنة 1884م، تولى الرئاسة من 1938م إلى 1950، و توفي سنة 1973م.

ومن تلامذته النجباء الشيخ أحمد علي اللاهوري، الشيخ عبد الله لغاري،[15] مولانا غلام مصطفى القاسمي، والبروفسور محمد سرور[16] ومحمد موسى جار الله من علماء الروس، حاجي نيك عبد الله،[17] حاجي نيك محمد صالح،[18] وغيرهم.[19]

إلهام الرحمان في تفسير القرآن و أهم ميزاته العلمية و منهج المؤلف فيه

إن من تراث الشيخ السندي التفسيري، تفسيره باللغة العربية المسمى بـ **إلهام الرحمان في تفسير القرآن**، وقد أملأه الشيخ السندي على تلميذه موسى جار الله، العالم الروسي [20] الذي تم لقاءه مع

---

[15] كان من السند، ولد سنة 1871م، و قبل أفكار الشيخ سنة 1901، وانضم بحركته الانقلابية، هو نسخ **المقام المحمود** و بعض الأجزاء من **إلهام الرحمان**، و توفي سنة 1958م. لينظر: عبيد الله سندهي، **المقام المحمود**، جز عم (باكستان، حيدرآباد، سند يونيورستي بريس، 1959) ط، ي.

[16] ولد الشيخ سنة 1206م في منطقة بنجاب، بعد حصولها على درجة البكالوريوس مع مرتبة الشرف من جاميا ملية دهلي ، درس 4 سنوات في الجامعة القاهرة مصر. في وقت لاحق ، هو جمع الخطب والمقالات للشيخ السندي حول شاه ولي الله وحركته السياسية، و توفي سنة 1983م.

[17] حاجي نيك عبد الله كان من "كلتن" إحدى مقاطعات الولايات للماليزيا، ولد سنة 1900م، و أبوه المفتي الحاج وان موسى بن الحاج عبد الصمد (1874- 1939م) كان من كبار علماء ماليزيا، هو أرسل ابنه عبد الله إلى مكة لأخذ التعليم من الشيخ عبيد الله السندي، هو بقي مع الشيخ السندي من 1930م إلى وفاته ستة 1933م. لينظر: غلام مصطفي القاسمي، **سماجي انصاف اور اجتماعيت**، ت: مفتي عبد الخالق آزاد (لاهور، رحيمية مطبوعات، 2019) 156.

[18] كان ابنه الأصغر للشيخ وان موسى، و بعد وفاة ابنه الأكبر، حاجي نيك عبد الله، هو أرسله إلى مكة في حلقة الشيخ السندي لحصول التعليم، و بقي مع الشيخ خلال مدة قيامه في مكة، و أنه كتب إلهام الرحمان أيضا. المرجع السابق

[19] - لينظر: عبد الحي، **نزهة الخواطر**، 8: 1300- 1302.

[20] - موسى جار الله (1295هـ - 1369 هـ / 1878ء - 1949 ء) هو موسى جار الله، ابن فاطمة، التركستاني القازاني التاتاري، الروستوفدوني الروسي: شيخ إسلام روسيا، قبل الثورة البلشفية وفى إبانها. ولد في (روستوف دون) بروسيا. وتفقه بالعربية وتبحر في علوم الإسلام. ثم كان إمام الجامع الكبير في بتروغراد (لنينغراد) بعد سيادة الحكم الشيوعي، نشر جار الله كتابًا عن **علاقة المسلمين بالثورة الروسية** ، أغضب الحكومة، فصادر رفاق لينين مطبعته، وضيقوا عليه الخناق حتى أصبح على شفا أبواب المعتقل ففر هاربًا. وحج وجاور بمكة ثلاث سنين. وقد لقي الشيخ السندي خلال سفره إلى روسيا، ثم لقيه مرة ثانية في مكة المكرمة حيث تعلم على يديه فلسفة الإمام الشاه ولي الله. ومن كتبه: **تاريخ القرآن والمصاحف، شرح ناظمة الزهر، نظام التقويم في الإسلام، نظام النسيء عند العرب، الوشيعة في نقض عقائد الشيعة** وغير ذلك، توفي بمصر عام 1949م ودفن بحوش الباشا، مقابر الأسرة المالكة الخديوية، في القاهرة. لينظر: محمد عدلي الحديدي، موقع على انترنت:

الشيخ السندي خلال سفره إلى روسيا، وخلال إقامته بمكة المكرمة قد لقيه مرة ثانية فاستقى من منبع علمه، فتلقى عنه فكرة الإمام الشاه ولي الله، فنسخ هذا التفسير بالسماع من الشيخ السندي، وذلك فقط في مئة وخمسين يومًا، وخلال هذه المدة كان معه الشيخ حاجي نيك صالح، مولانا عبد الله لغاري، عزيز أحمد أخ الشيخ أحمد على اللاهوري، وقد نسخوا نسخة الشيخ موسى جار الله، وجاؤا بها إلى الهند. وقد نشر جزءا منه (من سورة الفاتحة إلى سورة الأنفال) الشيخ غلام مصطفى القاسمي السندي من أكاديمية الشاه ولي الله حيدر آباد بتغيير النص وفقا لما فهم من النص بتعبيراته بدون التخريج، ولهذا نجد اختلافا بينه و بين المخطوط. وقد ترجم هذا التفسير إلى اللغة الأردية من البقرة إلى المائدة، محمد عبد الرزاق خريج دار العلوم ديوبند وتلميذ الشيخ السندي، ثم قام بعمل الترجمة من بداية مقدمة التفسير وسورة الفاتحة وسورة الأنعام إلى سورة التوبة، مولانا محمد قاسم، ونشر هذه الترجمة مولانا محمد معاوية من كبير والا. وهذه الترجمة مطبوعة من مكتبة أوراق لاهور ومتداول في الأسواق والمكتبات.[21]وهذا المخطوط الأساسي لا يزال في حاجة إلى إخراجها في ثوب يليق بمكانته العلمية.

نسبة التفسير إلى المؤلف

من الأسئلة التي مازالت موضع النقاش عند معتني فكرة الشيخ السندي، ما نجده في الكتب المكتوبة باسم الشيخ السندي، أَكُلّه من فكرته أم بعضه دخيل من قبل تلامذته؟ وهذا السؤال حقًا حتى الآن يدور بين الإجابتين: بعض العلماء يقول إن تلامذة الشيخ السندي أدخلوا في كتبه ما ليس من فكرته الأصيلة، وبعضهم يقول إن تلامذة الشيخ قد عبروا عن فكرة الشيخ السندي بألفاظهم، ولكن جوهرها ومغزاها من فكرة الشيخ السندي. وهذا السؤال أيضًا موجه إلى تفسير الشيخ السندي إلهام الرحمن، فيقول الشيخ عبد الحميد السواتي: "هذا [التفسير] لم يكتبه الشيخ السندي بنفسه، بل إنه خطاب إملائي، نعم! إن كثيرًا مما فيه هو من كلام الشيخ السندي، ولكن من الظلم نسبة الكتاب بأجمعه من البداية إلى النهاية إلى الشيخ السندي، ويصح أن نعبر هذه النسبة بالخيانة العلمية، فإن بعض ما فيه مشتبه وخطأ لم يقل به الشيخ السندي و لا هو يلائم فلسفة الشاه ولي الله، وقد جاء موسى جار الله في السنوات الأخيرة من عمره إلى الهند ومكث في بهوفال، وإنه قد كتب كتبًا أخرى، بعضها مفيد مثل **الوسيعة في رد الشيعة**، وبعضها خطأ وقابل للرد، فمثلا له كتاب **السنة** والذي جعل فيه السنة أصلا وكتاب الله فرعًا،

---

http://gate.ahram.org.eg/News/1904835.aspx

[21] – لينظر: الترجمة الأردية لإلهام الرحمان (لاهور: مكتبة أوراق، 2005ء)، 26.

وهذا خلاف ما عليه أسلاف الأمة، فإنهم يجعلون كتاب الله أصلًا والسنة فرعًا وتفسيرًا وشرحًا لكتاب الله،، فبناء على ذلك إن نسبة **إلهام الرحمن** مئة بالمئة إلى الشيخ السندي لايطابق الأمانة العلمية، ومن شأن الكتب المملأة أنه تجتمع فيها ألفاظ الجامع والسامع وتعبيراته وتخيلاته مع ألفاظ الأستاذ، ولايجوز حمل مسئوليتها جميعا على الأستاذ، إلا إذا نظر فيها الأستاذ وصدقها، فأكثر الكتب التي تنسب إلى الشيخ السندي إنها في الأصل كتب إملائية، ويوجد قدر يسير من الكتب والمقالات التي سجلها الشيخ بيده هو، وموسى جار الله وإن كان عالما وسيع الخبرة واستفاد من علوم الشيخ السندي، ولكنه لم يحتل مكانة العالم المحقق وإنه حاطب ليل، ومع ذلك إنه عالم صحيح العقيدة، جدير بكل إجلال وتوقير، إنه مسلم مازال فريسة اضطهاد الاستعمار الروسي، وقد أجلاه ستالين[22] من وطنه، فقضى أكثر حياته مهاجرًا يكابد المشقات."[23]

هذا رأي الشيخ السواتي ولكن هناك رأي آخر للدكتور أبي سلمان الشاهجهافوري، فيقول:

إن [تفسير **إلهام الرحمن**] قد صرح عنه العلامة [موسى جار الله] أنه رتب بألفاظ مولانا السندي، لم يصدر من لسانه لفظ إلا وقد حُفظ أمامه بكل دقة، وأجال الشيخ السندي بالنظر في تلك الأمالي وأبدى مسرته و اطمئنانه على جهد العلامة جار الله واهتمامه بالصحة، ثم إن الشيخ السندي أفصح عن إصلاحه ومسرته في كتابة له. [24]

يقول الدكتور أيضًا بعد ذكر ميزات التفسير **إلهام الرحمن**: "إن مولانا السندي قد نظر في الأمالي المؤلفة ولم يأل السامع جهدًا في الضبط والكتابة، وقد اطمأن الشيخ بعد ملاحظة هذه المسؤولية وأبدى مسرته. ولا نجد مثل هذه الصراحة عن الأمالي الأردية والسندية، فلايمكن الثقة بهذه الدرجة على أية مجموعة من مجموعات الأمالي سوى أمالي موسى جار الله." [25]

---

[22] جوزيف فيساريونوفيتش ستالين ولد سنة 1878م كان السكرتير العام للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي من 1922م إلى 1953، ورئيس وزراء الدولة السوفيتية من 1941م إلى 1953م، و توفي سنه 1953. لينظر: رونلد فرانسس، برتانيكا، موقعه انترنيت، https://www.britannica.com/biography/Joseph-Stalin

[23] عبد الحميد السواتي، ***مولاناعبیداللہ سندھی کے علوم وافکار*** ، 67- 69.

[24] أبو سلمان الشاهجهانفوري، ***امام انقلاب مولانا عبیداللہ سندھی –حیات وخدمات*** (لاهور: سندھ ساگر اکادمی، 2016ء)، 266

[25] المرجع نفسه، 250.

هذان رأيان لعالمين جليلين لهما مكانة مسلمة في الأوساط العلمية، فالتناقض الظاهر في الرأيين يشوش ذهن القارئ جدًا، ولكن حينما يرجع القارئ إلى كتب أخرى عن أفكار الشيخ السندي ألفها تلامذته أخرون مثل البروفسور سرور، إنه يجد نفس الفكرة فيها، فيتلجلج في خلده هل أجمع جميع التلامذة على الدس كما يدعي العلماء مثل الشيخ السواتي وأمثاله؟ الأمر أن من سجية الإنسان جرّ الشخصيات الفذة إلى شاكلات ذهنية خاصة له، وإذا ما لم يلائم شيء من أفكار تلك الشخصيات بما عنده من الشاكلة المخصوصة، يقوم بالتأويلات أو إدعاء أنهم لايمكن منهم صدور مثل هذه الأفكار، والأمر أن الشخصيات العبقرية لايتقلدون بمنهج خاص مثل العامة، وإنهم يكوّنون فكرًا خاصًا لهم يمكن الاختلاف عنه، ولكن لاينبغي أن نجرّهم إلى الشاكلات الخاصة لنا، فإن هذا يضر فكرتهم ويخفي معالم شخصياتهم، وهذه الكارثة قد حلت – للأسف – على فكر كثير من الأعلام مثل ابن تيمية والشاه ولي الله ومحمد إقبال وغيرهم.

وقد نقل الشيخ غلام مصطفى القاسمي مقدمة الشيخ موسى جار الله في بداية تفسير سورة البقرة و هو خير دليل على حل هذا النزاع، و يقول الشيخ موسى جار الله: "وبعد أن حصل عندي شئ من فلسفة الإمام ولي الله رغبت في الزيادة. و عرضت رغبتي لمولانا الأستاذ الإمام السندي ففرح و أبدى رغبة أكثر من رغبتي. فبسملنا و أخذنا في تفسير الكتاب الكريم على أصول فلسفة الإمام ولي الله كل يوم بعد طلوع الشمس إلى صلاة الظهر أو إلى صلاة العصر. كان يملي بلغته العربية و كنت أكتب و أجتهد أن لا يفوتني حرف و لا كلمة. فكتبت في مدة مئة و خمسين يوما ألفين و أربع مئة صفحة على مقدار صفحة هذه الكراسة، من 18 جمادي الأولى يوم الاثنين سنة 1356 إلى 13 من ذي قعدة 1356= 26 من يوليو سنة 1937 إلى 13 من يناير 1938م. كان الاستاذ السندي لايسأم، و كنت أزداد نشاطا في الاستماع و الكتابة، و إن كنت لمريضا شديد المرض. في ختام الدرس شكرت الإمام السندي شكرا بقلبي و لساني. و شكرني الإمام شكرا أزيد من شكري ألف مرة و زيادة لكرمه، و لما كان يراه من ثباتي و نشاطي و عظيم اجتهادي، و لما يراه من أماليه كلها كتبت و ضبطت بتمام الإهتمام."[26]

[26] لينظر: السندي، **إلهام الرحمان في تفسير القرآن**، تفسير سورة البقرة، المقدمة، بتحقيق الشيخ غلام مصطفى القاسمي (السند، حيدرآباد) 4-5.

الميزات المهمة للتفسير إلهام الرحمن

إن تفسير **إلهام الرحمن** ما زال مخطوطًا ولم ينشر بأكمله حتى الآن، وتوجد له ثلاثة نسخ حسب علمي: منها نسخة في مكتبة حميد الله التابعة لمجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، و نسخة في مكتبة الجامعة حيدرآباد، ونسخة أخرى بماليزيا، وهذا المقال مبني على أساس المخطوط الأول، فبعد المراجعة إلى هذا المخطوط، أقوم بدراسته، وهناك بعض الخصائص المنهجية للتفسير:

1- تفسير القرآن حسب ترتيب النزول

من الميزات المهمة للتفسير **إلهام الرحمان** أنه اتبع فيه مؤلفه الترتيب النزولي دون التفسير المتبع عند عامة المفسرين، وهذا الاتجاه التفسيري من مميزات القرن العشرين حيث قام بعض المفسرين بتفسير سور القرآن الكريم حسب ترتيب النزول،[27]

[27] ومن هذه التفاسير:

1- **تفسير بيان المعاني** للشيخ ملا حويش آل غازي الفراقي الديرزوري(1880ء- 1978ء)، وهذا التفسير في ستة مجلدات.

2- **التفسير الحديث** لمحمد عزت دروزة(1887ء- 1984ء)، والتفسير في عشر مجلدات.

3- **فهم القرآن الحكيم – التفسير الواضح حسب ترتيب النزول** لمحمد عابد الجابري(1935ء- 2010ء) والتفسير في ثلاث مجلدات.

4- **معارج التفكر ودقائق التدبر** للشيخ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني(1927ء- 2004ء)، والتفسير في خمسة عشر مجلدا، ويحتوي على تفسير السور المكية، ولكن المؤلف لم يوفق لاكتماله.

وهذا النوع من التفسير من الاتجاهات الجديدة في تفسير القرآن، و لتبرير هذا المنهج التفسيري يقول الشيخ عزت دروزة في مقدمة **التفسير الحديث**: "فقد رأينا أن نستوثق من صحة ما ذهبنا إليه فاستفتينا سماحة الشيخ أبي اليسر عابدين مفتي سورية والشيخ عبد الفتاح أبا غدة، الذي كان من المرشحين لإفتاء مدينة حلب، فتلقينا منهما جوابا مؤيدا حيث قال الأول في جوابه: «إن التأليف والتصنيف تابع لأغراض المؤلفين حسبما يعرض لهم من أشكال، لإظهار الفوائد التي يطلعون عليها، وليس التفسير بقرآن يتلى حتى يراعى فيه ترتيب الآيات والسور، فقد يعنّ للمفسر أن يفسر آية ثم يترك ما بجانبها لظهور معناها وقد يفسر سورة ثم يترك ما بعدها اعتمادا على فهم التالي. ولا مانع من تأليف تفسير على الشكل المذكور، والله أعلم» وحيث قال الثاني: «إن شبهة المنع لهذه الطريقة آتية من جهة أنها طريقة تخالف ما عليه المصحف الشريف اليوم من الترتيب المجمع عليه والمتواتر إلى الأمة نقله جيلا بعد جيل. ودفع هذه الشبهة أن المنع يثبت فيما لو كان هذا الصنيع مسلوكا من أجل أن يكون هذا الترتيب مصحفا للتلاوة، أي ليتلو الناس القرآن على النحو الذي سلكتموه. أما وإن الغرض للمفسر والقارئ معا غير هذا فلا مانع من سلوكه إطلاقا. ويستأنس لسواغية هذه الطريقة بما سلكه أجلّة من علماء الأمة المشهود لهم بالإمامة والقدوة من المتقدمين في تأليفهم ولم يعلم أن أحدا أنكر عليهم ما

هناك أمر ينبغي أن نأخذ به وهو أن ترتيب القرآن حسب ترتيب النزول أمر لايتوقف على التوقيف، وليست عندنا روايات معتبرة ترشدنا على هذا الترتيب بالجزم، وجميع المفسرين عبر التاريخ قد اختاروا الترتيب المصحفي في تفسير القرآن. وقد ذكر في كتب علوم القرآن أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان عنده مصحف حسب ترتيب النزول، ويقول العلامة جلال الدين السيوطي في هذا الصدد: "ومما استدل به لذلک اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور فمنهم من رتبها على النزول وهو مصحف علي كان أوله اقرأ ثم المدثر ثم ن ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير."[28] ولكن الترتيب الذي تمّ عليه الاتفاق في عهد عثمان هو الترتيب الموجود اليوم، ولم يحصل لمصحف عليٍ، رواجٌ في الأمة ولا هو موجود بين أيدينا، ولذلك نرى في التفاسير المذكورة- منها **إلهام الرحمن**- أنه لايوجد فيها الترتيب الواحد، بل هناك تقدم وتأخر في وضع السور.

والباحث في هذه المخطوط الثلاث يطلع على أن النسخ على نمط واحد من حيث الترتيب باختلاف يسير و لكن لم يجد سببا دالا على مسيرة المؤلف بهذا الترتيب، وأما الكاتب و ناقليه أيضا لم يشر إليه. بعض السور في المخطوطة مكية باستثناء بضع آيات مدنية، لكن الشيخ السندي وضعها في

صنعوا. ويحضرني منهم الآن الإمام ابن قتيبة المتوفى سنة 276 للهجرة، فقد مشى في تفسير ما فسّره في كتابه المطبوع «تأويل مشكل القرآن» على غير ترتيب النزول وعلى غير الترتيب المتلوّ الآن. ويبدو هذا جليا في الصحف (240- 339) .على أن القول بالمنع تبعا لهذه النظرة الضيقة ينبغي أن يشمل ما سلكه الشيخ جلال الدين المحلّي، ثم جلال الدين السيوطي في تفسير هما المعروف بتفسير الجلالين إذ قد بدأ الأول بالتفسير من آخر القرآن الكريم وهو صاعد إلى سورة الكهف، ثم مات فأتمّ الجلال السيوطي من حيث وقف سلفه إلى أول القرآن الكريم. فهما لم يراعيا في مسلكهما هذا البدء على ترتيب القرآن من أوله إلى آخره. وكذلك ينبغي أن يشمل ما صنعه الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه «قصص الأنبياء» ، والشيخ محمد أحمد العدوي في كتابه «دعوة الرسل إلى الله» .فهما أيضا لم يراعيا في موضوعات كتابيهما ترتيب المصحف المتلو اليوم بل راعيا اعتبارا آخر، وكذلك ينبغي أن يتناول المنع كتابكم «الدستور القرآني في شؤون الحياة» ، فقد سلكتم فيه نحو طريقتكم في التفسير من جمع طائفة من الآيات الكريمة في صعيد واحد، ثم تفسيرها وبيان ما تلهمه من المعاني الكريمة. فإن قيل إن هناك فارقا بين صنيعكم في الدستور وصنيعكم في التفسير لأن الأول يمكن أن يجعل من باب التأليف على اعتبار وحدة الموضوع التي ينظر فيها إلى مدلول الآيات فحسب، في حين أن النظر في الثاني متجه إلى مراعاة النزول فحسب." (محمد عزت دروزة، **التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]**، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية ، 1383 هـ)، 1: 10.)

[28] عبدالرحمٰن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي(م ٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، ت، محمد أبوالفضل إبراهيم (الهئية المصرية العامة للكتاب، 1974هـ)، 1: 216.

سياق السور المدنية؛ مثل سورة الأنعام. والغرض به لأنها تناسب ببرنامجه الثوري، كما يقول في بداية سورة الأنعام: "هذه الستة من السور تجمع مسائل أديان العالم كلها. ثم في الأنفال والتوبة جهاد وانقلاب بالقوة بعد إثبات الحجة للعالم". و أما **المقام المحمود** (أمالي الشيخ السندي باللغة الأردية) مازال مخطوطا في ستة مجلدات، من ممتلكات مكتبة حميد الله اسلام آباد، و ينتظر الباحثين أن يطبع ما يليق به، ولكن هذا المخوط على الترتيب التوقيفي، و لا ندري لعل هذا الترتيب من قبل الكاتب أو الشيخ السندي اهتم بنفسه.

مراعاة فكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في تفسير إلهام الرحمن

يعدّ الشيخ عبيد الله السندي أكبر شارح في شبه القارة لفكرة الإمام الشاه ولي الله الدهلوي، كما أشار إليه الشيخ موسى جار الله: "وكان الإمام السندي وقف جل عمره في القرآن الكريم و في فلسفته. و كان يعرف الفلسفة حق المعرفة. وكان يفسر القرآن الكريم على أصول فلسفة صاحب **حجة الله البالغة** الإمام شاه ولي الله الدهلوي. و قد اجتهد في تحصيل فلسفته و في شرحها سنين عديدة، حتى أتقنها حق الاتقان، و أثرها على كل فلسفات سائر الفلاسفة. ثم بنى على فلسفة الإمام ولي الله تفسير كل القرآن الكريم. و كان يعتقد في الإمام اعتقادا لم أر أحد يعتقده في إمام من آئمة الأمة."[29] فهو يستخدم كثيرًا مصطلحات الشاه ولي الله في تفسيره مثل حظيرة القدس والملأ الأعلى والملأ السافل والتجلي الأعظم والنفس الرحمانية وغير ذلك، ونجد الإحالة إلى أفكار الشاه ولي الله خلال قراءة التفسير، وقد مر هذا القبس من كتابة الشيخ السندي: "ما زلت أطالع القرآن العظيم و**حجة الله البالغة** منذ 12، 13 سنة، وفي ذلك الزمان قمت بحل المواضع المشكلة القرآنية لديّ على أصول الإمام ولي الله الدهلوي بالطمأنينة، وأما الذين لايشهدون بمكانة الإمام ولي الله، لا أستطيع دعوى جعلهم مطمئنين، ولكنني رأيت آنذاك برنامجا عمليا للتعليم العملي حسب أصولي، ولابد من الشهادة بتأثير ذلك المقام المقدس المتجلي..." و في نفس التفسير يقول تحت الآية 230 من البقرة: "فإذا أراد المسلمون أن لا يموتوا في ذلك الانقلاب فليتمسكوا بالقرآن على تفسير الإمام ولي الله، وعلى طريقة تقاربه...". و يقول تحت الآية 1 من الإسراء: "نحن نتبع حكمة ولي الله، و تركنا اتباع الحكماء في الإسلام الذين اتخذوا أرسطو إماما لهم، و تركنا اتباع

---

[29] لينظر: غلام مصطفى القاسمي، **إلهام الرحمان في تفسير القرآن**، مقدمة التفسير للشيخ موسى جار الله، (حيدرآباد) 4

طائفة من حكماء الإسلام يسميهم الناس بالصوفية، لأن نظرهم في الاجتماعيات الإنسانية و الديانات الخارجة عن الإسلام قاصر ضعيف، غاية جهدهم تنظم طائفة من المتصوفين الذين يحبون الناحية من نواحي دار الإسلام، موافقا لفطرة تلك الناحية، هؤلاء عندنا نجوم الإسلام، و كان لهم في إشاعة الإسلام منة عظمى على المسلمين، فلا نتركهم، لأننا نخالفهم، بل لأنهم لا يبحثون عما نبحث عنه، فما وجدنا من حكماء الإسلام من يكفي حاجاتنا سوى ولي الله."

و في هذه الرسالة يذكر الشيخ السندي رأي الإمام ولي الله أكثر من مئة مرة، و يستحسن رأيه و هذا خير دليل عليه. والحريص على المزيد لابد أن يرجع إلى كتاب الشيخ السندي في هذا الموضوع باسم **الشاه ولي الله و فلسفته** باللغة الأردية (*شاہ ولی اللہ اور ان کا فلسفہ*).

في ضمن ذلك يستند الشيخ السندي إلى الأصول التي مهدها الإمام الشاه ولي الله في كتبه، منها **حجة الله البالغة** حيث ذكر فيه عنوانًا باسم "باب كيفية فهم المراد من الكلام" ثم "باب كيفية فهم المعاني الشرعية من الكتاب والسنة" فذكر تحته عشرة أصول لفهم الكلام.[30]

2- التفسير الاجتماعي

هو المنهج العلمي الذي يحاول فيه المفسر أن يفسر القرآن في ضوء المناهج العلمية التي تدرس أصول نشأة المجتمعات البشرية و المؤسسات و العلاقات بينهم الاجتماعية و كذا المبادئ المؤسسة للحياة الاجتماعية. و يعتمد هذا المنهج على تطبيق النظرية القرآنية في المجال الاجتماعي، و إقامة حياة الجماعة البشرية على أساسها في نواحي شتى؛ اجتماعية و اقتصادية و سياسية، مع التوفيق بين الدين الإسلامي و قضايا الإنسان المعاصرة. ومن خصائصها تطبيق فكرة النص على ملابسات العصر الحديث، وربطها بظروف المجتمع وملاحظة الواقع الحضاري الذي يعيش فيه المفسر، واثبات التوافق والتلاؤم بين متطلبات الزمن والفهم القرآني.[31]

و قد ظهرت في مجال تفسير القرآن الكريم في القرون الأخيرة حركات اجتماعية لاسيما حركات التجديد لنهضة الأمة الإسلامية في سائر أقطار عالم الإسلام، وهي مازالت في استمرار حتى عصرنا الراهن،

---

[30] لينظر هذا البحث مفصلا في **حجة الله البالغة**، 1: 234

[31] لينظر: عبد الجبار الرفاعي، **الفكر الاجتماعي في تفسير الميزان** (مجلة قضايا الإسلامية، العدد الثاني 1995) 9

ففي هذا الجو قد قام العلماء بالاهتمام بالجانب الاجتماعي للقرآن حسب متطلبات عصره بدل مجرد التركيز على الجانب الفردي والأخروي، وبناء على ذلك نراهم يحاولون طرح الحلول للمشكلات المادية والمعنوية في المجتمع في ضوء تعليم القرآن الكريم، وذلك على أساس أن القرآن الكريم هو النور الخالد لجميع العصور والدهور، وإنه يشمل كافة أبعاد الحياة الإنسانية فردية كانت أو اجتماعية، وهذا الأمر من أهم ما يبتني عليه التيار الاجتماعي التفسيري، وقد برز هذا الاتجاه في تفسير عديد من المفسرين في العرب والعجم، منهم الشيخ عبيد الله السندي الذي طبق هذا المنهج في تفسير القرآن إلى أقصى ما يمكن حتى أنه لايمكن في بعض الأحيان الاتفاق معه فيما يستنبط من القرآن من النكت التفسيرية المتعلقة بالأمور الاجتماعية.

و في هذا الصدد هو أيضًا يقوم بالنقد على الفكر الراهن و على رأسها الرأسماليون. يقول في تفسير سورة البقرة: "الذكر و الأنثى بالطبعية يصلحان لأمور مخصوصة. بعض الأعمال جبلة الذكور تناسبها مثل تحمل المشاق في اكتساب المعاش، وبعض الأعمال جبلة الإناث توافقها مثل حضانة الأولاد، وتقسيم الأعمال: أعمال البيت على مناسبة الفطرة؛ هو العدل والتقوى... ومنذ مئة سنة بعد اكتشاف نواميس الطبيعة، و اصطناع المكنيات حدث في جميع الممالك تغير عظيم في نظام البيوت والعائلة. فأفسد اعتبار فطرة الرجال والنساء ما يناسبها. و الرأسماليون المالكون للماليات، لاينظرون إلا إلى اكتساب الأموال ولا رعاية عندهم لفطرة الضعفاء والأقوياء، ولا رحم عندهم للمظلوم، فعزموا على تغير الاجتماعية إلى آخرها. هذا الانقلاب الذي نراه في الغرب اليوم هو مرض وبائي، يمر على جميع الممالك مرة، ثم بعد ذلك يرجعون إلى الفطرة. فالاشتراكية (سوشلزم) قامت لرد نظام الرأسمالية، هي تمر خلف الرأسمالية وتتبعها، وفي الآخر تفوز الاشتراكية. وبعد فوزها على الرأسمالية يرجع الناس إلى قانون الفطرة هذا هو الذي نظن."

ثم يذكر أهمية نظام القرآن لإقامة الاجتماعية أرفع و أقوم و يرجحه، و يقول: "نحن لا نيأس من اعتبار القرآن حكم الفطرة. فطرة الرجال والنساء بسبب مرض عارض وفساد عارض، وليس معنى ذلك عندنا مسخ اجتماعية القرآن، بل معناه إبطال ما أحدثه الرأسماليون من المظالم، وليس إبطال ما أحدثه الرأسماليون بسهل، بل يحدث أشراط من قيام الساعة وأهوالها. وقد عرفنا أن الإمبراطور كسرى و قيصر زمن القديم كانوا غلبوا على الدنيا، وكانوا رأسماليين، والقرآن قام بالانقلاب عليهما، فقامت قيامة على الإيران والروم والعراق والشام... انتظمت الاجتماعية على حكم القرآن ودامت نحو الف سنة والرأسماليون

في تلك المدة تعدد حدود الله، وأفسدوا الأمور وستأتي ساعة كبيرة لرد تلك المظالم وتطهير الاجتماعية من الأنجاس. و نرجو بعد ذلك أن تنتظم الاجتماعية مرة أخرى إلى ماشاء الله، ونعتقد قطعا أن حكم القرآن يكون غالبا في الاجتماعية الآخرة أيضا لكن على تفسير الإمام ولي الله فقط."

لعل القاري يشوش أنه ينادي للشتراكية كما مر آنفا، ولكن الأمر ليس كذلك، بل هو يرجحه من الجهة الاقتصادية مقارنا بالرأسمالية لا من حيث النظام الكامل من جميع الجهات. و ينتقد عليها في تفسير سورة البقرة تحت قوله تعالى "**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (**5**)" هو يقول: "الانقلاب الروسي انقلاب اقتصادي، لا يبحث عن دين أو حياة أخروية. و نحن جالسنا و بالتلطف قدمنا إليهم برنامج الإمام ولي الله في **حجة الله البالغة**، فاستحسنوه، ثم سألونا؛ هل عندكم قوم عاملون به؟ قلت: لا! هيهات لو كان مثل هذا القوم اليوم موجودا لدخلنا مذهبهم، و سهلت علينا مشكلة عظيمة عاقت برنامجنا في تنفيذه في الفلاحين... و نحن لا نعرف في تاريخ العالم الإنسانية حركة عالمية مثل هذه (الاشتراكية) مضادة تماما لتعليم القرآن. و إذا كانت هي أيضا في تمامها تحتاج إلى قبول هذا القرآن الذي فصله رجل من أتباعه إمام الحكماء المسلمين، فأيقنا أن الهداية و الفلاح العالمية مختصة باتباع القرآن بعد نزوله. هذا هو معنى تلك الآية عندنا."

وأذكر هنا قطعة من سورة النحل في تفسير الآية 90 لينظر القاري ملازمة الشيخ السندي بالأمور الاجتماعية و حرصه على اصلاح المجتمع: "**وَالْبَغْيِ** الاجتماعية بطبيعتها تستوجب الرياسة للاجتماع، والفطرة تقتضي أن تكون ذلك باقتضاء الاجتماع، لا بقوة في الرئيس. فإذا قامت رياسته في الإنسانية، للفطرة موافقة، فالبغاوة عليها ظلم. واجب الإنسانية في تلك الحالة أن يغير رأي الاجتماع الذين جعلوه رئيسا عن رياسته، فهم يعزلونه. فلا يقع بين الاجتماع تقاتل و تحزب، و إذا لم يراع ذلك النوع من الإصلاح بل قام رجل إذا رأى من رئيس منكرا باغيا عليه، فهذا ليس من أصول الفطرة. أن النتائج التي تحدث بعد الاختلاف و التحزب هي أضر من عدم إنكار هذا المنكر. لكن الفرق بين القسمين دقيق. و الميزان هو اجتماع آراء أكثر أهل الحل و العقد على شئ. فإن كان رجل حكيم، رأى أمرا منكرا في رياسة الاجتماع و يدرك وخامته، فواجب عليه أن يوضح ذلك لأهل الحل و العقد و العقل، لأنه إذا لم يوافقه الأكثرية من ذلك لا يصير الأمر منكرا في الشرع و القانون، و إن كان غلطا بديهيا عند ذلك الحكيم. مراعاة الاجتماعية مع أصول اتباع العقل، إذا اجتمعنا أفلحت الجماعة، و إلا ليس الفلاح بمتعين."

3- مراعاة فن الاعتبار في تنزيل الآيات على الواقع

إن من الأمور التي راعاها الشيخ السندي في تفسيره هو فن الاعتبار، وبذلك ينزل الشيخ السندي الآيات على الواقع ويستخرج منها المعاني الجديدة، وهذا حرصًا منه لهداية الجيل الجديد إلى القرآن الكريم، فحاول تنزيل آيات القرآن على الواقع مستعينًا بفن الاعتبار، وفي بيان فن الاعتبار يقول الإمام الشاه ولي الله الدهلوي في **الفوز الكبير في أصول التفسير**: "المراد من الاعتبار أو العبرة لغة هو العبور من جانب الطريق أو النهر إلى جانب آخر منه، وفي الاصطلاح : هو انتقال الذهن وعبوره من الدليل إلى المدلول (الدعوى) أو من المنصوص إلى غير المنصوص (المقيس)، ومنه قوله تعالى: "فاعتبروا يا أولي الأبصار" وقوله: "إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار"، وليس هذا خارجًا من طرق الاستدلال الأربعة (عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص، واقتضاء النص)، بل الاعتبار نوع من إشارة النص، فإذا كان بناءه على علة فقياس، وإلا فإشارة النص)."[32]

والتفسير الإشاري عند الصوفية هو النظير لمثل هذا الاستنباط، ولكن الفرق بين ما يقدمه الصوفية وما قدمه الشيخ السندي، هو أن الصوفية ذكروا الأمور الأخلاقية والروحية استنباطًا من النصوص، وأما الشيخ السندي فهو يستنبط الأمور الاجتماعية والسياسية من إشارات نصوص التنزيل.

والنظير الثاني لهذا النوع من الاعتبار هو التفسير العلمي السائد في العصر الحديث، فقد قال به في العصر الراهن حتى العلماء الذين انتهجوا منهج العلامة ابن تيمية الذي يشدد على القيام بالتفسير الحرفي أو النصي للنصوص. فلو لم يترك التفسير المأثور السائد على مر العصور، ولكن بجنب ذلك أشير إلى الأمور الاعتبارية، فلعله مسموح به إلى حد ما لم يقضي على المعاني المتبادرة.

يقول الدكتور سعيد الرحمن مشيرًا إلى الجانب الاعتباري لتفسير الشيخ السندي:

> إن الإفادات القرآنية لمولانا عبيد الله السندي ليست نتيجة الإنكار للتفاسير السابقة، بل إنها عبارة عن البحث عن المعارف مع الاستفادة من التفاسير...وهو في هذا الصدد يعمل بقول الله تعالى: "فاعتبروا يا أولي الأبصار" والاعتبار البحث عن الحل للمسائل المستجدة، ومثال

---

[32] الشاه ولي الله أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي، **الفوز الكبير في أصول التفسير**(كراتشي: بيت العلم، 2006ء)، 103.

ذلك تلك الآيات التي نزلت في غزوة بني نضير وهي بمعناها المتبادر مبنية على الدعوة إلى أخذ النتائج بزوال بني النضير، ولكن الفقهاء توسعوا في ذلك واستدلوا على حجية القياس وهذا مفهوم بعيد، ولم يقم أحد بالتحدي لصالح الفقهاء للدين، فما ظنك بالذي يأخذ مفهوما أقرب منه ؟ وذلك عبارة عن التفكر في أسباب زوال الأمم وربطه بالقرآن.[33]

لما يرى الشيخ السندي أن الأمور الإجتماعية مثل الأمور المنزلية فيفسر الآيات ما يتعلق بأمور البيت مستنبطا منها الأمور الاجتماعية اعتبارا. و مثاله في سورة البقرة حيث يقول: "في الآيات 221 – 242 أحكام النكاح و الطلاق و إرضاع الأولاد و عدة الوفاة. نستنبط من تلك الآيات أحكام تلك المصالح. وقد رأينا النبي عليه السلام كان يدير الجماعة المركزية من المهاجرين و الأنصار مثل ما يدير الوالد بيوت أولاده. النساء إذا كانت لهن شكوى من أزواجهن كن ياتين إلى باب النبي في أمور الطلاق، وفي كل اختلاف إلى حكم النبي. فكان يعرف بتلك الطريقة القوة الإدارية في المهاجرين و الأنصار و كان يقول: "خيركم خيركم لأهله..."[34] كما يقول الصوفية: "العالم شخص أكبر و الإنسان شخص أصغر" جميع ما في العالم موجود في الإنسان، ومن هذا الطريق يكملون على حكمتهم بعد إتمام الدراسة في فهم القوى الإنسانية و نظامها. كذلك نقول أن البيت و المنزل التام الذي يكون فيه الزوجات والأولاد؛ الذكور والإناث، والخدم لمرافق الحياة، هذا شخص أصغر، والدولة والمملكة شخص أكبر. ومن كان قادرا على إدارة المنزل على أحسن وجوه إذا فوض إليه أمر المملكة يديرها على أحسن الطرق. النبي عليه السلام كان يبعث أمراء و قواد و قضاة و دعاة،كان يعرف قيمة كل رجل ثم يفوض إليه الإدارة. وكان للنبي صلى الله عليه وسلم نجاح في الأكثرية."

إن الشيخ السندي يريد في كثير من المواضيع المعنى البعيد اعتبارًا من المعنى الظاهر، ومثال ذلك في تفسير سورة البقرة حيث يقول: "الإنسان يحتاج في الاجتماعية الصالحة إلى تقويم الشهور و السنين، و إليه الإشارة في قوله تعالى: **"يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189)"**

---

[33] لينظر: سعيد الرحمن، "حرف فكر" ، عبيد الله السندي، **تفسير المقام المحمود (جزء عم)** (لاهور: مكى دار الكتب، 2004ء)، 3.

[34] لينظر: الترمذي، **السنن**، أبواب المناقب، باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (بيروت، دار الغرب الإسلامي 1998م) 5: 709.

... ففسر الإمام ولي الله: الأهلية بالأشهر، لأن السؤال كان عن الأشهر، و هل يعتبرون الأشهر الهلالية في حسابهم أم الأشهر الشمية؟ لأن التقويم من ضروريات الاجتماع. فهذه الآية مثل التتمة للآية السابقة، فالجواب حينئذ يطابق السؤال. الأشهر الهلالية يعرفها عامة الناس بدون كتاب و لا حساب. و إليه الإشارة في قوله: **"هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ"** وإمام الملة جعل تلك الأشهر مواقيت للحج ليتدور أوقات الناس في الحج على جميع المواسم من الصيف و الشتاء. **"وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا"** معنى ذلك ترك التقويم الشمسي، فإنها تناسب الصابئة. والحنيفية إن جعلت تقويم الملة و المعاملة مبنيا على الشمسية فكأنها تاتوا البيوت من ظهورها."

ثم يقول: "الإنسان بفطرته يقدر أن يمشي على قانون واحد، أما تكليفه باتباع القوانين فهو خلاف الفطرة. نحن جربنا بعد تغلب الإنكليز علينا، نحن نحتاج، مضطرون إلى مهارة في القوانين المسلط علينا القانون الإسلامي معا. فأصبحنا أننا لا نتقن ذاك و لا هذا، كذلك الحساب. المعاملات إما يكون على حساب قمري و إما على الشمسية، و ذاك سهل. و نحن في بلادنا نعرف الصعوبة في حفظ التقويمين. هذا هو المراد من إتيان البيوت من ظهورها، هو تكليف الإنسان بما لا يحتاج إليه. **"وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى"** معناه أن أصل المقصود هو إتباع القانون. أما التقاويم فمن الحواشي. لا تجعلوا الحواشي مقام المقاصد، بل يكون نظركم إلى تحصيل المقاصد دائما. و اجعلوا الحواشي غير مقصودة إذا سلكتم في اتباع الأشهر القمرية، يكفي للإنسان، هذا هو المراد من قوله **"وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا"** اعملوا بالأسهل و إن كان القراءة و الكتابة عامة في الملة فلا بأس في التقويم الشمسي. وإذا كانت الأمة أمية فالقمري أولى. تعيين أحد التقويمين و تكليف الناس به ليس بشئ الفلاح، لايتعلق بتلك الحواشي و إليه الإشارة في قوله: **"وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"** إقامة العدل و الإحسان شئ مستقل.

تنبه: مسألة اللغة عندنا تابعة للتقويم. هي مثل التقويم من الحواشي، و ليس من المقاصد في شي. فلا يتكلف بأمر غير طبعي، فإنه يشبه إتيان البيوت من ظهورها."

و العصر الراهن ينادي إلى هذا الأسلوب لأن الرجال المثقفين الجدد لايتأثرون برسالة قدمت في الثوب التقليدي وهذا الأمر يواجهه الدعاة مرة وأخرى. يقول الشيخ وحيد الدين خان:

"لقيت في الأيام الماضية الدكتور إكرام الحق ، وكان له شغف بالداسات الإسلامية، فقال إني قمت بقراءة كثير من التفاسير الأردية ولكن قلبي لم يطمئن بذلك، ومثل هذا الانطباع نجده عند كثير من المثقفين الجدد، سبب ذلك أن التفاسير كتبت في الأسلوب التقليدي دون الأسلوب الاجتهادي، وقدمت لذلك مثالًا من القرآن. قال تعالى: كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله (64: 5) ومضمون هذه الآية يجذب إليه الجيل الجديد الذي يحب الأمن والسلامة،ولكن التفاسير لم تقم بفتح معنوية هذه الآية، وحملها المفسرون على اليهود السابقين،كأنها حكاية الأمر الماضي وليست لها علاقة بالوضع الراهن، والنكتة المهمة لفهم القرآن أن ما قيل في السياق الماضي، ينبغي أن يراه المفسر في السياق الراهن ويكتشف انطباقه الجديد،فبناء على ذلك نستطيع أن نقول إن الآية فيها أصول أبدي، وهو أن أهل الإسلام عليهم أن يتجنبوا عن الحرب أوقدها غيرهم."[35]

4- نقده لآراء المفسرين

إن المتدبّر في تفسير **إلهام الرحمن** يجد الشيخ السندي أحيانا ينتقد في تفسيره أقوال المفسرين و يرجح رأيه مع الدليل. مثال ذلك تفسير قوله تعالى في سورة الإسراء: "**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا** (**101**)" حيث يقول: "هي الأحكام العشرة بدون حكم السبت. و تخبط من المفسرين من فسرها بالمعجزات، لأن النبي سئل عن تفسير تلك الآيات، فسرها بأحكام. قال الترمذي: حديث حسن صحيح[36] فلا يجوز بعد ذلك الالتفات إلى أقوال التفسير." وهذا النقد يلمح فيه منهج الفقهاء الذي ما زال موضع النقد من قبل المحدثين

---

[35] وحيد الدين خان، "*مجتهدانه اسلوبِ دعوت*" في **الرسالة**، دهلي،43: 6 (2019ء)، 7.

[36] عن صفوان بن عسال، أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله، فقال: لا تقل له نبي فإنه إن سمعها تقول نبي كانت له أربعة أعين، فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قول الله عز وجل {ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات} [الإسراء: 101] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تشركوا بالله شيئا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسرقوا، ولا تسحروا، ولا تمشوا ببريء إلى سلطان فيقتله، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفروا من الزحف، - شك شعبة -، وعليكم اليهود خاصة ألا تعتدوا في السبت» فقبلا يديه ورجليه وقالا: نشهد أنك نبي، قال: «فما يمنعكما أن تسلما»؟ قالا: إن داود دعا الله، أن لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود: «هذا حديث حسن صحيح». لينظر: الترمذي، **السنن**، أبواب تفسير القرآن، باب: و من سورة بني إسرائيل، ج5، ص305. و أما ابن كثير يقول: "هو حديث مشكل"، لينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (دار طيبة للنشر و التوزيع 1420) 5: 125.

والذي يبتني على دراية المرويات، والتفصيل في هذا الأمر يرجع إلى المباحث الساخنة بين أهل الحديث وأهل الرأي.

5- التفسير الجديد عما عليه المفسرون

في كثير من الأحيان يريد الشيخ المعنى الجديد للآيات القرآنية عمّا عليه المفسّرون، فمثلا قال في تفسير قوله تعالى: "**فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ**" أن المغضوب عليهم في لسان القرآن من يكون عارفا بالدين، و لا يكون مقيما للسياسة على حسب الدين أولا، ثم بتخيل نظريات لا يمكن تحقيقها على وجه الأرض فيبعد عن إقامة الحكومة بعدين مرتين، فيستحق غضبا على غضب."

6- موقف الشيخ السندي من أقسام القرآن

القسم يمين يقسم بها لتأكيد شيء، وقد ورد القسم مع مشتقاته في القرآن قراب ثلاثة وعشرين مرة، وجاء في كثير من الآيات أن اللفظ المختار للقسم حلف أو يمين، وهناك يرد سؤال كيف يقسم الله بخلقه وقد جاء النهي عن اليمين بغير الله تعالى، وقد أجاب عن هذه السؤال الإمام جلال الدين السيوطي بأوجه:أحدها: أنه على حذف مضاف أي ورب التين ورب الشمس وكذا الباقي. الثاني: أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون. الثالث: أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لأنها تدل على بارئ وصانع.[37] ولكن الشيخ عبيد الله السندي يقول بأن القسم في القرآن يكون للشهادة مهما كان بأمر عظيم أو لا؛ يقول في تفسير سورة العصر: "إن المراد من القسم في العرفيات العامة والذهنيات المشتركة هو إبداء شهادة على المقصد، والأدلة الدالة على المطلوب تكون على قسمين."ويقول أيضًا في تفسير سورة الذاريات:" أكثر المفسرين يزعمون أن القسم إنما يأتي بالأشياء المتبركة المعظمة، فاختلف آراءهم في تفسير السورة. قال بعضهم إنها قسم بخيل الغزاة، والسورة مكية فاستشكلت عليهم، فأوّلَها البعض بأن الأية إشارة إلى أن الغزاة يكونون فيما بعد. وقال البعض إنها أهل العرفات وخيلهم وهذا لاينطبق فإن

---

[37] عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)،**الإتقان في علوم القرآن**، ت، محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1974ء)،4: 55.

المغبرّات صبحًا لاتكون في أهل العرفات وعندنا ليس المراد الأشياء المبتركة المقدسة، بل خيول المنتهبين المغبرين الذين يعرفها العرب بطبيعتهم ويعرف خاصيتها."

7- بعض مصطلحات الشيخ السندي

يستخدم الشيخ السندي بعض المصطلحات في التفسير باللغة الأردية، مثل انقلاب، نعره، پروگرام، ولعل هذا مراعاةً لمخاطبي شبه القارة.

هذه أكير ميزات التفسير **إلهام الرحمن** التي تتجلى من خلالها منهج التفسير ومضمونه.

و الآن نبدأ بالموضوع:

القسم الثاني

لوحة رقم (9) من نسخة إسلام آباد

لوحة رقم (151) من نسخة إسلام آباد

مع الاجتماعية للحنفاء وهم المقصود اولا في الانقلاب وهو غلو النصارى
في دينهم فاعتقدوا بالتثليث ومبناه على اثبات الولد لله وهم افسدوا
معنى الاجتماعية ~~الاسلامية~~ الانسانية فان التناسل والتوالد لا يكون
الا في نوع البشر والحيوان فقط فاذا اثبتوا ذلك للمقدسين ولله
افسدوا تصور حظيرة القدس مجلس الملأ الاعلى وحظيرة القدس
ايضا ملوثا بالخطيئات الطبيعية للبشرية فتكدر بذلك منبع الانسانية
واصلاح ذلك لازم لان حظيرة القدس نسبتها الى النوع الانساني مثل
الدماغ اليه الاشارة يا اهل الكتاب لا تغلوا الى الحق معناه انما المسيح
ابن مريم رسول الله وكلمته وروح لا تجعلوه ممتازا عن الرسل اليه الاشارة
فآمنوا بالله ورسله فيه ذلك اشارة الى قبح التثليث فان ذلك يفسد
تصور ملكوتية السموات والارض لله اليه الاشارة في قوله ولا تقولوا ثلاثة
ظن بعض ان اثبات عبودية المسيح واخراجه من الولدية سبب احتقاره ورد هذا
الزعم بقوله لن يستنكف اه بل ان ذلك كونه عبد الله لازم له والا فيكون
معذبا اليه الاشارة ومن يستنكف ثم رفع هذا الغلو من عقيدة البشر
لتاثير التعليم الاصلاحي فرض فان اصلحوا حسب هذا التعليم يكونون في رحمة
من الله وفضل هذا كان آخر الاية ١٧٥ يا ايها الناس قد جاءكم برهان
وفي آخر السورة آية الكلالة فيه تنبيه ان الاجتماعية المنظور اليها في سورة
النساء وان كانت على صورة القومية والعالمية لكن وجهتها الى تدبير
المنزل لا الى الامبراطورية هذا هو الذي فهمنا من حجة الله من الحكمة
في انقلاب الاسلام هو رد الامبراطوريات وانشاء الاجتماعيات الصالحة
المتوسطة للقوميات اما المستدخل في المواريث وقد اختلف في

الكلالة

الكلالة كثيرا ونحن نرجح للتصديق ثم لنا في الاعراض عن الاختلافات في مثل
تلك المسائل مطالعة خاصة نحن نستوجب للانسان ان يكون عضوا في حكومة
قومية صالحة مبنية على الشورى واذا ابتلى قوم مثل ابتلائنا فلا بد يصرف
الا الى ايجاد حكومة ولا يبطل قوته الدماغية في فصل الاختلافات بغير نيل
المطلب فان كان رجل في حكومة قومية شورائية فيما الاختلاف فيكون لها
فليعرض على ~~[illegible]~~ القوة المشاورة للحكومة في قدرته
فليتبعه الا يكون في الاختلافات الفرعية سبب تفرق القوم وقد غلط بعض
اهل العلم في تقديم الفصل في الاختلافات الفرعية على تنظيم الحكومة القومية
وعلى انتشارها في بلادنا وذلك مرجعه الاشتغال بكتب الفقه والاحاديث
اكثر بالنسبة الى الاشتغال بالقرآن فالقرآن يمثل في ذهن الانسان الحاجة
الى حكومة تخضع لحكم القرآن واذا اشتغل الانسان بالفقه والحديث
يضطر دماغه الى ايجاد التخيل بان الفصل في تلك الفرعيات ضروري قبل انشاء
الحكومة وهذا خيال غير صحيح فان الفصل بعد قيام الحكومة هذا قبله
فمن هذا الوجه تقدم الحكماء على الفقهاء فالآن نقرأ ترجمة قوله
يستفتونك اه بسم الله الرحمن الرحيم سورة المائدة
البحث عن الاجتماعية فيه مثل الاول لكن مبنى الاجتماعية على الاكل والشرب
اكثر فان الحاجة الانسانية الى الاكل والشرب توجب الاجتماعية مثل
الاحتياج الى النكاح اما الاكل والشرب ضروري والاستغناء عنهما
غير ممكن فكان مباحث سورة المائدة كالاساس لسورة النساء وكلما
عممت الاجتماعية زاد شرفها لذلك فان البحث في المائدة يكون
اكمل من البحث في سورة النساء يا ايها الذين آمنوا ~~[illegible]~~ اوفوا

لوحة رقم (170) من نسخة إسلام أباد

وفي الهند في بعض كتبه تأويل العشاء الرباني أن المراد من قول عيسى
ثم ا ... تأويلاً وكان اعترف لصحة الواقعة
وبعد ذلك لا نحتاج إلى البحث وزيادة

بسم الله الرحمن الرحيم سورة الأنعام

هذه السور الأربعة المتقدمة البقرة آل عمران نبحث عن الشرائع
السابقة لتوضيح الحنيفية إذا أخذنا الأغلاط من اليهودية والنصرانية
تنطبقان وتكون شرحاً للملة الحنيفية وإجمالها كانت من إبراهيم
إلى يوسف فإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ثم شرع في التفصيل
(1) من يوسف إلى موسى درجة (2) من موسى إلى عيسى درجة أخرى
فيهما تمام الإسرائيلية (3) ثم من عيسى تعميم الإسرائيلية
وبالاجتماع فيها يكون شرحاً للحنيفية شرحاً باعتبار
الصورة والشريعة ثم هذه الصورة تقوم على اجتماعية طبيعية
واللااجتماعية الطبيعية دعامتان النساء المائدة فالنساء والمائدة
تكملان البحث في الاجتماعية فإجمال الحنيفية في الفاتحة وتفصيلها
في البقرة وآل عمران وتفصيلها بعض في النساء والمائدة
فتلك السور الخمس كأنه شرح للحنيفية التي تجمع المؤمنين بالقرآن
وتجمع اليهود والنصارى وما بقي بعد هذه الأديان إلا الصابئة
فيهم خمس أقوام الكلدة والصين في الشرق الإيران بالمعنى
العمومي الشامل للتوران في المتوسط اليونان والرومان
في الغرب وأطراف الممالك الباقية ملحقة بهؤلاء وأما
وحوش ملحقة بالأنعام ... مجوس الإيران هم أقدم من
الصابئة

الصابئة واليوم نعرف اليونان متقدمة في الحكمة وإذا راجعنا
في التاريخ فاليونان تفرعت من الإيران . الهند القديم والصين
أمتان كانتا في الأصل على درجة عالية من الاجتماعية لكنهم
انحطوا فجاء آرية الهنود وتقدم عليهما وآرية الهنود والمجوس
شيء واحد متقاربان وهذه مسألة الإيران والتوران ليس بينهما
فرق كثير بل هما متقاربان من هذا الطريق وقد ثبت عندنا تقدم
المجوس على الصابئة . ونحن نجعل سورة الأنعام في الصابئة
بتوسط المجوس . الأعراف نجعلها لسائر الصابئة على انفرادها
هذه الستة من السور تجمع مسائل أديان العالم كلها ثم في الأنفال
والتوبة جهاد وانقلاب بالقوة بعد إثبات الحجة للعالم هذا
هو الباب الأول من القرآن السبع الطوال فالآن نشرع في
سورة الأنعام ونتكلم مع أصحاب النور والظلمة من المجوس
وفي ضمن هذا التفصيل الدعوة إلى الصابئة عامة عندنا في مطالعة
تاريخ الأديان الصابئية مطالعة مخصوصة ممتازة عن
عامة أهل العلم أساسها من الإمام ... ثم توسعنا
فيها بما عرفناه من أديان الهنود الحنيفية غلبوا على العالم
الإسلامي بواسطة غلبتهم على خلافة بغداد ونقول بتعبير آخر
بانتصار خلفاء بغداد فكانت للحنيفية مركزية في الحكومة
ووضع القوانين وللحنيفية تعلق من وجوه بالعجم فمذهب
الحنفية من العرب مثل المالكية والشافعية والحنابلة
مع كل سائر الأقليات بينا ذوق من تلويحهم على الحق أولاً

لوحة رقم (39) من نسخة حيدرآباد

(٣٩) سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

البحث من الاجتماعية مثل الاول. لكن مبنى الاجتماعية فيها الاكل والشرب اكثر. فان الحاجة الانسانية الى الاكل والشرب توجب الاجتماعية مثل الاجتماع الا ان الحكم. اما الاكل والشرب ... والاستغناء عنها ... فكان مباحث سورة المائدة كالاساس لسورة النساء ولكان الاجتماعية ... لذلك فان البحث في المائدة يكون اكمل من البحث في سورة النساء.

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود. العقود يحتاج اليه الانسان لتحصيل معاشه فان ذلك لا يكون الا بالاشتراك مع جنسه والاشتراك لا يتم الا بالعقد والايفاء. فان الانسان اذا اراد ان يعيش لزم على ايفاء العقد. يجعل ذلك تقتضي لها ... العقل والقلب بامن مظاهرها واكلها. فكما انه يحتاج الى ايفاء العقود ... والاجتماعية كذلك يحتاج في حاله بلوغ الاجتماعية الى اعلى درجاتها. ذلك الامر ظاهر على الحنفاء: ان التكميل الاجتماعية لا يمكن الا بمركز على مساجد. ... التي لا يمكن الا بالمركز على المسجد الحرام. فالاجتماع حول المسجد الحرام في عصر القرآن هو اعلى اجتماع للحنفاء وهامة في احترام المسجد الحرام ... يحتاج الى الايفاء بالعقود التي مقصودها ... امام الملة ... اتباعه.

كان الحاصل ان الايفاء بالعقود هو روح الاجتماعية في ... اليه الاشارة في احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد. فان تحريم الصيد حال الاحرام من العقود اللازمة في اتباع امام الملة. قوله يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد. اشارة الى ان الايفاء بالعقود ليتكمل جميع الفضائل.

فاول الامور لا يحتمل حرمة شعائر الله. يعني المسجد الحرام وما ... من الصفا والمروة وكل ما يتعلق بالاجتماع تعظيم شعائر الله مثل الشهر الحرام والهدي والقلائد ومن احرم بالحج. كل هذا اول مرحلة في ايفاء العقود اليه الاشارة في لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ... قوم يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا اشارة الى حكمة تحريم ... من شعائر الله وغيرها. يعني ليس الامر مقتصرا على تحصيل البركات الاخروية فقط بل المقصود من ذلك الاجتماع هو ابتغاء فضل الله ورضوانه. الانسان يكتسب الرزق في اجتماع ناقص لبعض ... ومحنة ما ... شهرية ذلك الانسان ... السعي في اجتماع تام منه يكتسب ... الغاني ... كلما ارتقى الاجتماع زاد قيمة السعي اضعافا مضاعفة. فالذين يجتمعون في مركز اجتماعي لا مركز فوقه فكانهم يبتغون ان يحصلوا قيمة مساعيهم اكبر ما يمكن في العالم. معناه يبتغون فضلا من ربهم. ومن ... العالم. ثم في هذا الاجتماع يبتغون اتباع امام الملة ليحصل لهم رضى الرحمان. فانه اتخذه خليلا. هذا حكمة الاحترام لتلك الشعائر ولا يقدر ان يكمل الاحترام الا اذا كان عازما على ايفاء العقود. ظهر بذلك المنفعة الاولى لايفاء العقود.

قوله واذا حللتم فاصطادوا هذا التقييد الخصوص لا يصلح ان يعم عامة. ... وقطعة للازم. فاذا وصلوا الى المسجد الحرام وصلوا ... في الاجتماعية الى درجة عالية ... هذا الفصل بين الحلال والاحرام لازم اليه الاشارة في واذا حللتم فاصطادوا. ... الاصطياد على سبيل ... والحل باصطياد او غير لازم لان تلك الشعائر كانت مختصة بمحل مخصوص. انما كان ... الغرض ... احترام المركز في ...

لوحة رقم (78) من نسخة حيدرآباد

لوحة رقم (83) من نسخة حيدرآباد

(٨٣)

سورة الاعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

الف. لام. ميم. صاد = ١٦١ من المبدئ = ٨٠٣ من الهجرة. ثم بالهجرة [illegible]

خوارق العرب تنقسم في الاسلام الى ثلاثة ادوار بالمباهلة

دور الشيخين / دور بني امية } دور القرآن. ثم السنة وسبب ثورة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ثم السنة فكان ذلك دور الاسلام

دور بني عباس. لم تبق ذهنية العرب وكذا اللسان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

الا بعد ان [illegible] الى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ذهنيتهم. او يكون بغلبة السلطان. هؤلاء اصحاب الاعراف. حقيقة.

فالناس في الاسلام. اما [illegible] حقيقة هؤلاء [illegible] [illegible] القرآن من السابقين. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] القرآن يعني لم يدركوا الحقيقة على التمام. لان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

من اصحاب اليمين. هؤلاء هم المؤمنين حقا.

القسم الثاني ادركها حقيقة القرآن [illegible] [illegible] القسم الاول. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وما بين هذين القسمين هم اصحاب الاعراف.

فمن زمن بغداد بدء دور اصحاب الاعراف. هم لا يكونوا من اصحاب جهنم. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

لم [illegible]. [illegible] [illegible] بالقسمين. [illegible] [illegible] الطبيعي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

شيء من العلوم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حقا. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

بالعلوم التي [illegible] بغداد [illegible] اصحاب الاعراف: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] او تقليدا. [illegible] هنالك [illegible] بغداد.

والذين [illegible] [illegible] الجنة الا [illegible] التي [illegible] من القرآن [illegible] [illegible] [illegible] اصحاب الاعراف.

[illegible] [illegible] اهل العلم من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مستقلا.

[illegible] اصحاب الاعراف تطبيق [illegible] القرآن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

بالاجمال [illegible] ان القرآن [illegible] [illegible]. لكن اذا شرعوا في التفصيل والتفسير [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

لوحة رقم (275) من الجزء الرابع من نسخة ماليزيا

منهم شيء والله محيط بكل غيب السموات
... يعلم ولذلك امحيت عليهم تحصيل تلك
الدرجة. الحمد لله تمت الجزء شكرا سنة ١٩٣٢
ويوم الاثنين سنة ١٣٥٢ شعبان يوم الثلاثاء

(سورة النحل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

من سورة النحل يشرح باب الاجتماعية
العالمية الانقلابية. الانقلاب يحتاج الى
تنظيمات تحضيرات. اذا تمت المقدمات
على وجه الكمال يحصل النتيجة في ادنى فرصة
باحسن صورة. واذا بقي في التمهيدات نقص
اثر نقص في عدم اتمام الانقلاب وفي تلك الصورة
يمكن ان ينعكس الامر. فمثل النحل جعل الله
لهم الاعلى نصرة الحق ولازم عليهم ان يجعلوا
لمقصدهم مثل النحل. ذرة ذرة مجموعة تشكيلات
ولا يتم به فرد وتحصيل اجتماعات تحت
اجتماعات والتنظيم يكون بحيث لا يتخلف
احد عن اداء فرضه. اذا كان رجل نصيرا
فقلنا عليه لازم عليك ان تعمل مثل النحل يكفي
هذا الامر الاجمالي عن جميع الاوامر الخ

لوحة رقم (65) من الجزء الخامس من نسخة مليشيا

(سورة الإسراء)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا
حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع
البصير. نحن نتبع حكمة ولي الله ونتركنا
اتباع الحكماء في الإسلام الذين أخذوا أرسطوا
إمامهم. ونتركنا اتباع طائفة من حكماء الإسلام
يسمونهم الناس بالصوفية لأن نظرهم في
الاجتماعات الإنسانية والديانات الخارجة
عن الإسلام قاصر ضعيف غاية جهدهم ينتظم
طائفة من المتصوفين الذين يحسبون الناجية
من نواحي دار السلام موافقا لفطرة تلك
الناحية مثلا عندنا قوم الإسلام. وكان
لهم في إشاعة الإسلام لهم منة عظمى على
المسلمين. فلا نتركهم لأننا نخالفهم بل لأنهم
لا يصنعون شيئا يبحث عن ما وجدنا من حكماء
الإسلام من يكفي حاجاتنا بفضل الله سعي الإمام
ولي الله الآن نشرح هذه الآية الكريمة
على طريقة حكمة فقط معرضا عن جميع الاختلافات
التي يذكرها المفسرون والشارحون للأحاديث.

لوحة رقم (130) من الجزء الخامس من نسخة مليشيا.

(سورة الكهف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذه السورة عندنا هي لدعوة الصابئة
للاشتراك في سلك الحنيفية الذي انقسم
عليها الاسماعيليون والاسرائيليون طريقة
الامام ابراهيم الخليل كانت على لون ثم
انشعب منها اديان بني اسرائيل فانصبغت
بلون ثم انشعبت منه طريقة بني اسماعيل
وانصبغت بلون آخر ثم اجتمعا في تعليم القرآن
في الدرجة الثانية فكان لهما ثالث للاجتماع
كان اقرب الى الحنيفية الاصلية ولم يكن عينها
ثم اجتمعا في هذا السلك الصابئون اذ بينها
وبين الحنفاء نوع من القرب في الاصل فالحنيفية
انما نبعت من الصابئة بارتقائها فليس
بينهما تباين بل ان افراد الصابئين بالارتقاء
الطبيعي في سلكهم صاروا حنفاء فدعوة
هم في الاجتماع في السلك لا تغير لهم السلك
عن الحنيفية بحيث يتباعد عن الحنيفية وربما
بقي من الصابئة بعد تغلب الحنيفية فليس
فيهم تحريك الانبياء ليس في نحو سلكهم
الاستناد الى مناسب للانبياء بل الى طبقة

سورة النحل

بسم الله الرحمان الرحيم

من سورة النحل يشرع[38] باب الاجتماعية العالمية الانقلابية. الانقلاب يحتاج إلى تنظيمات و تهيئات. إذا تمت المقدمات على وجه الكمال يحصل النتيجة في أدنى فرصة بأحسن صورة. و إذا بقي في التمهيدات، يظهر أثره في عدم إتمام الانقلاب. و في تلك الصورة يمكن إذا ينعكس الأمر. فمثل النحل جبل الله رجالا على نصرة الحق، و لازم عليهم أن يعلموا لمقصدهم مثل النحل، ذرة ذرة يجمعن ذرات، ولا يقوم به فرد واحد بل اجتماعا تحت اجتماعات. والتنظيم يكون بحيث لا يتخلف أحد عن أداء فرضه. إذا كان رجل بصيرا فقلنا:[39] لازم عليك أن تعمل مثل النحل، يكفي هذا الأمر الإجمالي عن جميع الأوامر التي تحتاج إليها الجمعية الانقلابية. و هذا نوع من التفكر في أمور الوحي.

النحل جبلت على جبلة، فطبيعتها تلهمها طريق العمل، هذا نوع من الوحي. و الإنسان إذا لم يكن فيه هذه الدرجة من الوحي لا يتكامل سائر درجات الوحي المختصة بالإنسانية. نذكر مثالا: دماغ الإنسان حاكم على جميع البدن، أي فكر ارتكز في الدماغ، البدن بطبعه، فهذا نوع من الوحي. كأن الدماغ يلهم الأعضاء أن تعمل كذا من الأمور و كذا. هذا وحي الطبيعة و الجبلة. ثم لنفرض أن هذا الرجل كسى أفكاره لباس الشعر، ثم جعله نغمة خاصة من الموسيقي، مناسبة للهواء، و للوقت، فجعل يترنم بتلك الأشعار. ففي تلك الحالة إطاعة أعضاء البدن لتلك الأفكار تكون أزيد، و تشتد فيها قوة العمل بالسرعة. هذا بواسطة الأنبياء. هذا الوحي لا يستفيد منه إلا من كان مجبورا على قبول الإلهام الطبيعي. فمن لم يتأثر بالإلهام الطبيعي علمنا أن هذا العضو خارج من نظام البدن، إما مفلوج أو صار أشل.

فالآن نرجع إلى أصل البحث. من لم يعمل مثل النحل في قبوله الإلهام الجبلي؛ هل يمكن أن يعمل في الانقلاب الذي يأتي إلهامه بواسطة الأنبياء؟ الجواب ظاهر؛ إنه لا يأتي بعمل، فإظهار الاستعداد

---

[38] في ن م "يشرح"

[39] في ن م بزيادة "عليه"

لقبول إلهام الطبيعة صار من مقدمات الانقلاب الذي أتي به القرآن. ففي سورة النحل يبحث عن مقدمات الانقلاب، و يعين[40] معنى الانقلاب الذي أراد القرآن إقامته.

قوله تعالى: "**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** (1)" الانقلاب و معناه يأتي في وسط هذه السورة ما أمر الله (به)، الذي يريد القرآن أن يقيمه. من الآية 90 "**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**" إلى تمام 100 -عشر آيات- جاء وقته.

يريد الله أن يقيمه بمعرفته هذا النبي و بواسطة أصحابه. و الصحابة ترجمتها "**وَالَّذِينَ مَعَهُ**" في سورة الفتح لكن ليس التعجيل فيه جائزا. جمع المقدمات مثل تكلف النحل للعسل واجب قبله. فأشار إليه "**فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ**" الانقلاب بدون شروط الانقلاب ينعكس، و يضر بالناس من أهل الظلم الذي أراد القرآن قلعه و استيصاله. قوله: "**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**" الانقلابي يكون ذهنيته و سيرته لا على طرز العامة، و إلا فلا حاجة إلى الانقلاب. و مع ذلك يجب عليه أن يدخل في تلك الاجتماعية و يتبصر بعلل علل المفاسد. و هذا لا يمكن إلا إذا فهم الناس كلامه و هو يفهم كلامهم. فلازم على الانقلابي أن يقيم عالما آخر بالدعاية حتى من كل جانب، لا يسمع الناس إلا فكره. و الناس بطبيعتهم يقتدون عقائده، و عندهم عزم على أمور تقتضيها تلك العقائد،ثم عندهم أعما ل تؤيد هذا الفكر و العزم أو تتولد منهما. فالإحاطة بجميع ذلك و عرضه على عقائد الانقلابي و عزمه و أفعاله و معرفة مواقع الفرق بينهما، ثم السعي لأن يميل الاجتماع إلى نحو الانقلابي بالتدريج واجبة على الانقلابيين قبل الانقلاب.

فالعقيدة الأولى للانقلابي التي يجب عرض عقائدهم عليها هي "**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ** (2) **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** (3)" و هذه العقيدة الأولى منبع جميع العقائد للانقلابي الذي يقوم بانقلاب القرآن. و هذه العقيدة مشتملة على أجزاء: 1- الأمر الأول ناقص الفهم و قليل العلم من الإنسانية لا يقدر أن يتصور؛ أن جميع هذه السماوات و الأرض خالقهما رب واحد، إما لنقص

---

[40] في ن ح بزيادة "يتشخص"

فهمه أو لقصور في عقله.[41] و تلك الطبقة حائزة[42] على الأكثرية في الإنسانية، يدرك الإنسان بالسهولة، و يميزها عن مستقيمي المزاج و سليمي الفهم بدون مشقة. فالتبرى عن هذا مما يعتقده هؤلاء بأي لسان و بأي صورة كان من أهم الأمور عند الانقلابي. فهذا الذي أخذناه من "**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**".

2- الأمر الثاني: الله رب العزة إذا كان متعاليا عند جميع المخلوقات، فعامة الأفكار يائسة عن الاتصال به، و لذلك يتخذون شركاء و وسائط، ثم يقلدهم الطبقة النازلة، فلا يفهم معنى اتخاذ الشريك أنه كالواسطة إلى الارتقاء إلى الله، بل يجعلها على مقدار علمها أن هذا الأمر الكبير كيف يقدر عليه واحد. فأساس المرض هو حب الاتصال و الغلط في الفهم. و إزالة هذا المرض في لسان حكمة الإمام ولي الله أن الله يتدلى بتجليات، فيكون أقرب إلى كل امرئ من نفسه. هذا الاصطلاح نبدله بكلمات قرآنية "**يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (2)**" الشيخ قد صرح أن روح القدس معناه التجلي، و قرر أن التجليات لا تقوم إلا مع نزول الملائكة إذا كان التجلي عظيما، و إلا على قوة ملكوتية إذا كان التجلي جزئيا شخصيا. و ثبوت التجلي يظهر بنزول الكلام. يتكلم[43] على لسان عبده الكلام. و كل ذلك واضح في **العبقات**.[44] فترجمة هذه الآية "**يُنَزِّلُ**" على اصطلاح الإمام ترجع إلى إنزال التجليات. و هو المراد من كمال الحق.

---

[41] في ن م بزيادة "هذا" قبل إما لنقص فهمه و إما لقصور في عقله.

[42] ضمه و ملكه، و حاز الأمر: أي أحكمه، ما يحتازه إنسان لنفسه، و يبين حدوده، و يقيم عليه الحواجز، فلا يكون لأحد حق فيها. سبق غيرَه ، تفوَّق على غيره. لينظر: أبراهم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبدالقادر، محمد على النجار، **المعجم الوسيط**، مادة ح و ز (تركية، استنبول، مؤسسة ثقافية للتأليف و الطباعة و النشر و التوزيع) 206.

[43] في ن م "يتكلم الله" بزيادة "الله"

[44] لينظر: الشاه اسماعيل، **العبقات**، باب الإشارة إلى التجليات، 65-67

التدلي: التدلي هو إنزال التجليات.[45] هذا كمال رابع للحق سبحانه. الإبداع[46] و الخلق[47] و التدبير[48] و التدلي على هذا الترتيب. و علم الكمالات الأربعة- المذكورة- كأنه خاص بالإمام ولي الله.
3- **"أَنْ أَنْذِرُوا"** هذا هو الأمر الثالث؛ الحاكم على الخلق واحد، إن الحكم إلا لله، و هو يقيم العدل و الإنصاف. فلا يخاف من الظلم في مملكته إن كان بسبب تدبير يتأخر الجزاء و يتأخر مكافات[49] المظلوم. هذا جائز في الحكمة.

لو جعلنا رجلا حكيما رؤوفا رحيما حاكما على بلدة لايظن أحد أنه يجوز الظلم. لكن هو بتدبيره في إزالة الظلم يفهم أن تأخير الجزاء للظالم و تأخير استيفاء حقوق المظلوم من مقتضى نظام الفطرة الإنسانية، لا يمكن إقامة العدل فيهم إلا بهذا الطريق. و إلا لصار كلهم ملائكة، لم يكن بينهم إنسان. فاعتقاد توحيد الإله الحق يجعل المظلوم منصورا. **"فَاتَّقُونِ"** التقوى قد عرفنا الإمام عبد القادر الجيلاني[50]

---

[45] قال الشيخ ولي الله في **فيوض الحرمين**: " رأيت ببصر روحي تدليا هو شئ واحد متصل في ذاته، سارى في العالم كله، كان العالم ستارة فوق و هو الداخل فيه، و فطنتت حينئذ أن هذا التدلي إذا توجه إليه العارف و أبصره ببصر روحه و فنى فيه قوي تأثره و ارشاده و صح له التصرف في الخلق بالحق". لينظر: ولي الله، **فيوض الحرمين**، (حيدر آباد، شاه ولي الله اكيدمي، 2007) 8-9.

[46] الإبداع وهو إيجاد شيء لا من شيء فيخرج الشيء من كتم العدم بغير مادة. لينظر: الشاه، ولي الله، **حجة الله البالغة**، باب الإبداع و الخلق و التدبير (بيروت، لبنان، دارالجيل) 1: 41.

[47] الخلق وهو إيجاد الشيء من شيء كما خلق آدم من التراب: {وخلق الجان من مارج من نار}. **نفس المرجع**

[48] تدبير عالم المواليد ومرجعه إلى تصيير حوادثها موافقة للنظام الذي ترتضيه حكمته مفضية إلى المصلحة التي اقتضاها وجوده كما أنزل من السحاب مطرا، وأخرج به نبات الأرض ليأكل منه الناس والأنعام، فيكون سببا لحياتهم إلى أجل معلوم. **نفس المرجع**. و قد كتب عبيد الله السندهي في شرحها: " ***جب ایک مخلوق کے ساتھ بہت سی اور مخلوقات جمع ہوں توان کے باہمی ربط کو قائم رکھنے کے لئے ان میں سے ہر ایک کا صحیح مقام مقرر کرنا پڑتاہے۔اس طرح ہر چیز کا صحیح درجہ مقرر کرکے ان سے کام لینے کا نام تدبیر ہے***"۔لینظر: السندهي، عبيد الله، **أردو شرح حجة الله البالغة**، (كراتشي، حكمت قرآن انستيتيوت) 70.

[49] في ن م "مكافاة" بالتاء المربوطة.

[50] عبد القادر بن موسى، محيي الدين الجيلاني، مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان سنة 471 هـ (وراء طبرستان) وانتقل إلى بغداد شابا، سنة 488 هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه، وسمع الحديث، وقرأ الأدب، وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة 528 هـ و من كتبه: **الغنية لطالب طريق الحق**، **الفتح الرباني**، **فتوح الغيب**، **الفيوضات الربانية**، وتوفي بها سنة 561. لينظر: الزركلي، خير الدين، **الإعلام** (دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر) 4: 47.

بأنها العمل بقوله "**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90)**".[51] فمعنى "**فَاتَّقُونِ**" أقيموا العدل، وتعلمون أني أرى ذلك. هذا الجزء الثاني من التقوى هو الإحسان. فإن كان إنسان يقيم العدل لأمر الحاكم له بذلك، و يعتقد أن الحاكم ينظر إلى أعماله كله و يراه، أ فلا يخشى ذلك الرجل من مؤاخذة ربه له، إذا عمل عملا غير مرضى عنده؟ فمن هذا الوجه عبر عامة المفسرين قوله "**فَاتَّقُونِ**" فاخشوني، خافوني باعتبار اللازم للتقوى. هذا هو الأمر الثالث من اعتقاد الانقلابي: توحيد الإله الحق، الأمر بالتقوى يعنى العدل و الإحسان و غير ذلك مما يأتي بيانه.

توضيح ذلك: يعرف جميع من يتعارف بالإسلام بالبشر[52] أن الإسلام يدعو إلى التوحيد، و هو مشدد في ذلك مثل تشديد موسى في التوحيد (ألست)[53] و هذه شعبة من الحنيفية دين الفطرة التي أقامها إبراهيم خليل الله، لكن للناس احتلاف في فهم فائدة تلك الدعوة. فأكثر الناس جعلوه سبب حصول المعرفة و الوصول إلى الله، و لا يخفى أن هذا الأمر مختص بجماعة مخصوصة من الطبقة العالية من الإنسانية، و عموم البشر لا يفهمون تلك الحكمة، و لا يدركونها حق الإدراك. و في حكمة الله لازم إذا كان هذه العقيدة فرضا واجبا ألزم من جميع الفروض على جميع البشر أن يفهموا فائدته، لأن تلك المعرفة معرفة الفائدة، هي القدرة الميسرة للناس التي وجودها لازم في حكمة الفقهاء الحنفية في إيجاب أمر على عبد. و نحن نرى أن قوله "**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**"[54] يشير إلى تلك الحكمة، لأن قوله "**قَائِمًا بِالْقِسْطِ**" معناه على ما فسره النسفي في **المدارك**:

---

[51] فالمنقول عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "جماع التقوى في قوله عز وجل: {إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون} [النحل: 90]. لينظر: الجيلاني، عبد القادر، **الغنية لطالب طريق الحق**، القسم الثاني في العقائد (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الأولى 1997) 1: 270. هذا قول محمد بن أبي الفتح الحنبلي، و ليست حديثا. و لينظر: موقعه شبكة انترنت: http://almoslim.net/node/137959

[52] في ن م "من البشر"

[53] كأن المفسر يقصد بذلك الميثاق في عالم المثال، إشارة إلى قوله تعالى: "ألست بربكم"

[54] العمران: 18

"مقيما بالقسط".[55] فالتوحيد يشهد به الرب و الملائكة، و يشهد به أولو العلم ليكون سببا لإقامة القسط و العدل. فهذا معنى التقوى.

فائدة: أنا[56] ما قدرت على تحديد معنى التقوى منذ شرعت في التدبر في كتاب الله. و رأيت أن الكتاب كله نازل ليكون الناس متقين. و الذي اشتهر من تفسير التقوى؛ أن الرجل مع أدائه فروضه يشتغل بالنوافل، و يتطهر، و يصلى مراعيا آدابه، ولا يكون عليه لأحد من الناس حق، وهو لا يتعرض لأحد من الناس بالشدة والغلظة، بل يصاحب الناس بالرفق واللين؛ هذا مثل أعلى للتقوى. إذا رجعنا إلى كتب الفقه والصوفية ورأينا عرف عامة أهل الصلاح يكون قريبا من ذلك. وأنا دائما كنت مترددا في هذا: هل يمكن أن يجعل ذلك مقصود القرآن؟ فإن الظاهر من هؤلاء المتقين أن نفعهم قاصر على نفوسهم، لا ينفعون الناس، لا في دينهم ولا في دنياهم، و هم التزموا عبادات كثيرة على أنفسهم. عامة المسلمين لا يمكن لهم أن يتبعوهم في ذلك، فلذلك انعدام نفعهم في الدين، وعدم نفعهم في الدنيا هو أظهر من الشمس. فمقصد كتاب مثل القرآن العظيم الناسخ لجميع الأديان هل يتصور أن يكون هذا؟

رجعنا إلى كتب الروايات فما وجدنا فيها إلا أثرا عن عمر رضي الله عنه سأله رجل، فقال: أما سلكت طريقا ذات شوك؟ قال الرجل: نعم! فقال كيف تفعل؟ فقال الرجل: أحفظ ثيابي و أنظر موضع وضع القدم. قال عمر: هذا هو التقوى.[57] هذا تفسير لوجه من وجوه التقوى، و ليس بتحديد لها. كان السائل ما سأله إلا عن مثل ذلك، و إلا فما بين عمر: منتهى هذا الطريق ما هو؟ الحاصل قد كنت متحيرا في ذلك.

---

[55] "مقيما للعدل" ولينظر: النسفي، **مدارك التنزيل و حقائق التأويل** (بيروت، دار الكلم الطيب)1: 242.

[56] في ن م "أنا منذ شرعت في التدبر في كتاب الله حسب طاقتي ما قدرت..."

[57] لم أره عن عمر، و إنما جاء عن أبي هريرة من طريق عن هشام بن زياد، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه قال: قال رجل لأبي هريرة: ما التقوى؟ قال: " أخذت طريقا ذا شوك؟ قال: نعم قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه قال: ذاك التقوى " لينظر: البيهقي، **الزهد الكبير** (بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط: الثالثة 1996م) 1: 350. وفي إسناده هشام بن زياد، وهو ضعيف، وفيه سهيل بن أبي صالح، وقد اختلط بآخره. لينظر: علوي بن عبد القادر، **تخريج أحاديث و آثار كتاب في ظلال القرآن** (دار الهجرة للنشر و التوزيع، ط: الثانية 1995م)1: 11.

أعين بعض المعاني ثم أرده آخر ما وصل إليه فهمي، هو المحافظة على اتباع القانون. فقلت: أعتمد عليه من وجه حتى رأيت بالصدفة كتاب **الغنية**[58] لإمام آئمتنا الشيخ عبد القادر الجيلاني، ذكر في مواعظه موعظة في معنى التقوى. و قال: التقوى هو العمل بقوله "**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**" فوجدت ضالتي. رجعت إلى القرآن "**اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**"[59] هذا جزء واحد من التقوى. و ذكر الله "**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**"[60] شعائر الله هي التجليات في اصطلاح الإمام ولي الله. ففيه إشارة إلى الإحسان الجزء الثاني للتقوى. و هكذا وجدنا الشواهد لتفسير عبد القادر في كثير من الآيات و الأحاديث و أقوال العلماء، فاطمئن به الخاطر. إن الله أنزل كتابه ليكون هدى للمتقين، ليقيموا العدل في الناس. هذا هو المقصود من التوحيد. فإن قلنا أن المقصود من التوحيد التقوى، فعلى تفسيرنا معناه ظاهر.

4- الأمر الرابع: "**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (3)**" السماوات والأرض كلها متطابقة بعضها على بعض بتدبير محكم، لا يقدر أحد على نقض ذلك التدبير. وهذا أمر واضح لمن يبحث في الحقائق؛ الصوفية والفلاسفة. فعقل الإنسان إذا خلى وطبعه يهتدي إلى التدبير الذي راعاه الحق في ربط السموات والأرض فيما بينهما.[61] هذا الأمر المعقول ينكشف على أرباب الطبائع اللطيفة. اجتمع أبو على بن سينا[62] و أبو سعيد بن أبي الخير[63]، فقرر ابن سينا ما أدركه بعقله من الحقائق. فقال أبو سعيد: أنا أرى ما يقوله هذا. فهاتان الطائفتان مرجع الإنسانية في معرفة الحقائق. و كلتاهما تدركان تدبيرا واحدا، محيطا بجميع الكائنات، يسمونه شخصا أكبر، تشبيها له بالإنسان الذي يعرف كل أحد. إحاطته التدبير الواحد بجسمه، هذا الشخص الأكبر أبدعه الحق، "**تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**".

---

[58] المراد به **الغنية لطالبي طريق الحق** (**المعروف غنية الطالبين**)

[59] المائدة: 8

[60] الحج: 32

[61] في ن م "في ما بينها"

[62] الحسين بن عبد الله بن سينا، مولده إحدى قرى بخارى في سنة 370هـ، صاحب التصانيف في الطب و المنطق و الطبيعات و الإلهيات. و من أشهر كتبه: **المعاد، الشفاء، أسرار الحكمة المشرقة، حي بن يقظان** و غيرها. و توفي سنة 428هـ. ولينظر: الزركلي، **الأعلام**،2: 241.

[63] القدوة الزاهد، شيخ خراسان، أبو سعيد؛ فضل بن أبي الخير محمد ابن أحمد، الميهني الصوفي، و توفي سنة 440 هـ، الذهبي، **سير أعلام النبلاء** (مؤسسة الرسالة، ط: 1985)17: 622.

فالإنقلاب لا يخالف الحقائق أبدا. فالعقيدة التي واجب على الانقلابي؛ تلك الأربعة الأجزاء: الآن واجب عليه لتمهيد مقدمات الانقلاب أن يعرف عقائد المجتمع، و يعرف قدر انحرافها عن تلك العقيدة، ثم يصلح تلك الأفكار الباطلة حتى تكون قريبة من عقيدة الانقلابي، فيمكن التفاهم بينهما. هذا كله مقدمة الانقلاب. إذا لم يفرغ الانقلابيون عن ذلك العمل فلا يستعجلون.

الفصل الثاني: في معرفة عقائد المجتمع في ذلك الزمان

قوله تعالى: "**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ** (4)" الإنسان إذا كان جاهدا في أمر يريد طلب علمه، فذلك حق له. و إذا كان عارفا بالحق ثم انحرف عنه، فجاء رجل ينبهه على انحرافه هو لا يريد أن يعترف بانحرافه، بل يتشكك في الحق الذي يعرفه، لئلا يثبت عليه الإلزام بالانحراف إليه، الإشارة في قوله "**خَلَقَ الْإِنْسَانَ...مُبِينٌ**" يعرف الحق ثم يشكك فيه.

من الآية 5 إلى الآية 21 بيان الأمور التي يعترفون بها عامة، و ترتب بعضها إلى بعض واضح. فيفيد ما ذكر الله في قوله تعالى: "**إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ** (22)". فيستلزم هذا أنهم يجازون في الآخرة إذا تعمقوا في الفكر؛ مثل عبد المطلب يهتدي إلى ذلك، لكن هذا لا يريدون قبوله، فيختصمون في التوحيد. فوضح معنى قوله "**خَصِيمٌ مُبِينٌ**". و خصومتهم ظاهرة في قبول الدار الآخرة. "**فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**..." أصل المرض هو تكبرهم، لا يريدون الخضوع للقانون الجامع للإنسانية، لأنهم تعودوا حكومة قبيلتهم كالسلطان المستبد. فالآن إطاعتهم للقانون تكون ثقيلة عليهم. فقلوبهم منكرة المعرفة التي حصلت لهم في الدنيا. اجتمع معها النكرة: انكار لحق، انكار اتباع القانون. فالمرض الحقيقي هو عدم إيقانهم بالدار الآخرة. لذلك يأتي في قلوبهم الإنكار و الاعتراف. الإنكار يغلب عليهم، لأنهم مستكبرون.

هؤلاء جماعة من العقلاء، يعرفون نظام الجمعية في الدنيا، و لهم فوائد في أمور خاصة، و يعرفون بطلانها إذا حصل الاجتماع الكبير، الناس بعد ذلك لا يطيعونهم في تلك الأمور الباطلة. فالانسلاك مع الجماعة في اتباع القانون (المتبعين للقانون) يثقل عليهم. و كفى لتنبيههم قوله: "**لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ** (23)" و مثل هذا الإنذار لا يكفي إلا لكبار الرجال.

فإيضاح تلك الآية في الخلاء و الملاء[64] هؤلاء الناس فرض على الانقلابي. هذا البحث جار إلى الآية 63.

إذا فرغ الانقلابي من نشر عقائده في المجتمع، فليس هذا الأمر كافيا للانقلاب. فتنظيم في جماعتهم و جمع الأسباب لتنفيذ الانقلاب فرض بعد ذلك الفرض. و هذا الباب شرع من قوله: "**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (64)**" فيه إشارة؛ أن انقلابي لا يكون إلا جماعة لا كل القوم. "**هُدًى وَرَحْمَةً**" و الأول عام، فالانقلاب لا يقوم إلا بفريق مخصوص. يريد الرجل أن يجتمع عمر بن الخطاب و عمرو بن هشام[65]. هذا غير ممكن.

قوله تعالى: "**وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (65)**" الضعفاء يقومون بالحكومة، والأقوياء يذهبون، فكما يكون إنزال الماء سببا لإحياء الأرض بعد موتها كذلك نزول هذا يكون سببا لحيوة المظلومين. قوله: "**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (66)**" الانقلاب يحتاج إلى قوة جسمانية في أصل الانقلاب، حتى إذا وقع القتال بين الناس يقدرون على مقابلتهم. فتقوية البدن من مقدمات الانقلاب، فيكون الرجل متهيأ للقتال دائما. و المواد الغذائية التي هي ميسرة لأهل الحجاز ليرجعوا إليها في تحصيل القوة. هي هذه اللبن الخالص، ثمرات النخيل و الأعناب يتخذون منها شرابا، العسل كلها متيسرة لأهل الحجاز.

جملة معترضة: إني رأيت كتاب **المعارف** لابن قتيبة،[66] فرأيت كبار الصحابة من المهاجرين و الأنصار، و تعجبت من كثرة أولادهم، أكثرهم لا يقل أولادهم من عشرة إلى عشرين. سلمنا أن كثرة

---

[64] في ن م "في التخلية في الخلاء و الملاء"

[65] هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، كان من سادات قريش وأشد عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم، أدرك الإسلام ولم يؤمن كان يقال له " أبو الحكم " فدعاه المسلمون " أبا جهل " لماكانت وقعة بدر الكبرى، فشهدها مع المشركين، فكان من قتلاها.لينظر: الزركلي، **الأعلام**، 5: 86-87.

[66] عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَريّ، من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين. ولد ببغداد سنة 213 هـ، وسكن الكوفة. ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. وتوفي ببغداد سنة 276. و من أهم كتبه: **تأويل مختلف الحديث**، **المعارف**، **المعاني**، **عيون الأخبار**، **الشعر و الشعراء**، **مشكل القرآن**، و غيرها. لينظر: الزركلي، **الأعلام**، 4: 137.

الزواج كانت رائجة فيهم، فبذلك تكاثر أولادهم. لكن جمع النساء في البيت و المعاشرة معهن تحتاج إلا قوة قوية في الجسم. نرى أرباب الارتقاء الطبيعي و التمدن أنهم في تقوية القوة الرجولية يحتاجون إلى الأطباء، و إلى المعادن، و إلى التطعيم، و لم تكن الأدوية التي هي كالأكبر في هذا الأمر. معيشتهم بسيطة. هذا موضع للتفكر.

ثم أقرأ حكاية في ندماء عبد الملك بن مروان[67] سأله عبد الملك كيف أنت مع زوجك؟ قال: أني بعد صلوة الصبح أشرب عسلا بلبن الناقة، ممزوجا بعسل، فأحركها كذا و كذا، ثم بعد أيام ما رأى هذا الرجل، عبد الملك توجه إليه. و هو اشتكى ذلك إلى زوجته. فسألته المرأة هل أنت حدثته بشئ؟ فقال: نعم. فقالت المرأة هذا هو السبب، هو عار عليك. الآن أنا أصلح الأمر. بعد أيام ذهبت[68] إلى عبد الملك متبذلة، فسأل عبد الملك. قالت أن أخاك صار ضعيفا، لا يشبعن صحبته، فما أصنع باللباس؟ فتوجه إلى ذلك النديم بعد ذلك اليوم.[69]

حكاية أخرى: ابن هبيرة عامل بني أمية على العراق فرأيت ترجمته لعلني في إبن خلكان. هو أيضا يعمل عملا مثل هذه، يأخذ في الصباح لبن الناقة ممزوجا بعسل يشربه. و له أربع زوجات و جورا. [70] و رأيت أن العرب استنبطوا من تعليم القرآن أن هذه الأشياء فيها منافع عظيمة، فتعلقوا بها و انتفعوا منها بكثرة الأولاد. و تكثير الأولاد في فتح البلاد لازم ضروري. تمت المعترضة.

العرب لا يتجاسرون على الانقلاب، لأن كسرى و قيصر إيمبراطوريتهما عظيمة. فتشجيع العرب على مقاومة هؤلاء من ضروريات الانقلاب. قال الله: "**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى**

---

[67] الخليفة، الفقيه، أبو الوليد الأموي. ولد: سنة 26هـ، سمع: عثمان، وأبا هريرة، وأبا سعيد، وأم سلمة، ومعاوية، وابن عمر، وبريرة، وغيرهم. تملك بعد أبيه الشام ومصر، ثم حارب ابن الزبير الخليفة، واستولى على العراق، وجهز الحجاج لحرب ابن الزبير، كان من رجال الدهر، ودهاة الرجال، وكان الحجاج من ذنوبه. توفي: في شوال، سنة 86هـ. لينظر، الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 4: 246-249.

[68] في ن م بزيادة "المرأة".

[69] ما وجدت مصدر هذه القصة.

[70] ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، (بيروت، دار صادر) 6: 319.

أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (70)" أخذنا منه أن تلك الحكومات صارت هرمة، يغلب عليهم القوة الشابة، هذه كانت في –الآية– 70.

بعد ما غلب العرب، هل يقدرون على تعمير البلاد و تنظيم الحكومات؟ جوابه: نعم. هذا أخذناه من –الآيتين– 71-72. أرباب الحل و العقد موجودون فيهم. أخذنا ذلك من إشارة في "**وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (71)**" هؤلاء يحكمون على ما ملكت أيمانهم. فإذا فتحوا البلاد هل يكونون مثل العبيد؟ لا! يخرج منهم نوادر و نوابغ! "**أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**".

والآية 72 أخذنا منها الأعوان العاملون تحت حكم هؤلاء النوابغ "**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (72)**" يعنى من قبيلتهم. و قومكم أكفاءكم، لا يدخل فيه دم أجنبي. "**وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ...**" هؤلاء يعاونونكم. "**وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ**" كل يكون ذوقوة، ذو عقل، أبو الرجال. "**أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ**" تلك الدول المندثرة تهابون منهم. "**وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ**" هؤلاء جبابرة "**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (73)**" هذا ضعفهم المعنوى. فليعلم القاري أن النبي أخبر عنه من أول يوم إنذاره؛ أنهم إذا قالوا لا اله إلا الله يدين لهم العرب و تؤدي إليهم العجم الجزية.[71] و عقلاء قومه من أول الأمر ما كانوا يصدقونه، بل يكذبونه في ذلك الأمر فقط. هذا الذي شجع العرب على رفعة مستقبلهم، ما كانت عقولهم تذعن لذلك. هذا الضعف كان موجودا في طبيعة العرب. إذا جاء ذكر كسرى و قيصر لا يقدرون على حفظ أنفسهم، و تمكنهم في علمهم بل يضطربون في الباطن، و إن كانوا في الظاهر ساكنين. و هكذا يكون إلى زمان إذا تعطلت

---

[71] "عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا طالب وعنده ناس من قريش , وعند رأسه مقعد رجل , فلما رآه أبو جهل قام فجلس فقال: ابن أخيك يذكر آلهتنا , فقال أبو طالب: ما شأن قومك يشكونك؟ قال: " يا عم أريدهم على كلمة يدين لهم العرب وتؤدي إليهم العجم الجزية ". قال: ما هي؟ قال: " شهادة أن لا إله إلا الله ". و لينظر: ابو بكر البيهقي، **السنن الكبرى**، كتاب الجزية، باب من زعم أنما تؤخذ الجزية من العجم (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية) 9: 316. هذا الحديث حسن صحيح عند الترمذي في سننه. ولينظر: الترمذي، **سنن الترمذي**، أبواب تفسير القرآن، باب و من سورة ص، (بيروت، دار الغرب الإسلامي) 5: 219.

الفتوى. هؤلاء الانقلابيون أيضا يقولون نؤمن بأمر الله، لكن كيف يغلب عليهم العرب؟ و من أين يجعل الله آلات الحرب مثل آلاتهم؟ و من أين يأتي لهم بالكسوة؟ و مثل ذلك لا على سبيل الأنكار بل بسبب ضعف مكنون في فطرتهم. ففي قوله تعالى: "**فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** (**74**)" نبههم الله على هذا الغلط. كان رجل جندي جائع، عار، حاف؛ قيل من أين تأكل؟ قال: أيكون بيد العدو طعام؟ قال: نعم! قال آخذ منه و أكل، و "**اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**" النعمة التي هي حاصلة للمؤمنين. تلك الكلمة (المؤمنين) استعملناها بدل الانقلابيين .

الدولة إذا عظمت و ارتسخت و نضجت قوانينها، فكل رجل منهم يكون كمسلوب الحرية. فهم ينظرون في كل شيء إلى صاحب الدولة؛ بما يأمرهم، و ما يأتي لهم من المعاش. فبذلك تذهب الروح الإنساني الفطري عنهم. فإن الإنسان إذا كان على فطرته لا يجد على نفسه حاكما إلا ربه. و لا يرجو رزقا إلا منه. والاعتماد في ذلك يكون على معرفته بقلبه. هذا الأمر يذهب عن هذا المتقيد تحت الضوابط و القوانين. و رجل آخر على فطرته، أمره بيده، هو يغلب على الأول واحد على عشرة، على مئة، على ألف، فالله أشار إلى هذا على ما فهمنا في قوله تعالى: "**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** (**75**)" قال الإمام في **حجة الله البالغة** في موضع ذكر فيه ظلم كسرى و قيصر في الاقتصاديات، و أخذهم الناس عبيدا لهم في باب إقامة الارتفاقات و اصلاح الرسوم: "وإن شئت أن تعرف حقيقة هذا المرض، فانظر إلى قوم ليست فيهم الخلافة، ولا هم متعمقون في لذائذ الأطعمة والألبسة – تجد كل واحد منهم بيده أمره، وليس عليه من الضرائب الثقيلة ما يثقل ظهره، فهم يستطيعون التفرغ لأمر الدين والملة، ثم تصور حالهم لو كان فيهم الخلافة، وملأوها، وسخروا الرعية، وتسلطوا عليهم"[72]

ثم بعد ذلك حرية الفكر "**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**

---

[72] و لينظر: ولي الله، **حجة الله البالغة**، باب إقامة الارتفاقات و إصلاح الرسوم (لبنان، بيروت، دار الجيل، ط: الأولى 2005، 1: 188.

(76)" هذا الذي يأمر بالعدل، و هو على صراط مستقيم. هذا حر، والآخر لاطاعته لمولاه، صار كأنه لايعلم شيئا. و هذا الفرق واضح بين المؤمنين و بين هؤلاء الجبابرة الحكام.

ثم بعد ذلك في قوله تعالى: "**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (77)" يسألون وقت الانقلاب، فقيل: يلزم عليكم أن تتهيأوا لذلك في كل وقت. معنى ذلك أن السعي لجمع الأسباب ليس مشروطا بمقدار معين من الحاصلات بل إذا جاء الانقلاب، أي مقدار منها حصل هو كاف.

بعد الانقلاب أسباب التقدم تلزم للفاتحين، فهي ميسرة للمؤمنين في "**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (78)" هذه الصحة البدنية، وخلق الحواس و العقول السليمة من أعظم أسباب التقدم. كل ما عرض شئ، يتفكر و يتقدم. بهذه الحواس يتقدم الإنسان، و باستعمال العقل و الفكر يتقدم الإنسان.

ثم بعد ذلك في "**أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** (79)" إشارة إلى أن يتقدموا في فتح البلاد مثل الطيران؛ يطيرون على الممالك، لذلك أحب النبي الخيل. قال: "**أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ**...." فهذا السفر في البلاد، و سهل عليكم، لا تحتاجون إلى كثير من الأمتعة. إليه الإشارة في 80-81. "**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ** (80)" لا تحتاجون إلى شئ كبير، لا تحتاجون إلى القصور. " **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ** (81)".

فائدة: قرأت في **تاريخ التمدن الإسلامي** لجرجي زيدان[73] أن سبب فتح سلطنة روما ما هو؟ فذكر أشياء من المحققين الأورباويين، ذكر منها عدم احتياج العرب إلى كثرة الأمتعة و الأسباب. و هؤلاء

---

[73] هو أديب و مفكر لبناني، ولد في لبنان في عام 1861م في عائلة فقيرة، اهتم زيدان خلال حياته العملية بالتاريخ العربي والإسلامي، فكانت مؤلفاته في معظمها تمثل دراسات تاريخية للأحداث التي مرت بها المنطقة العربية منذ ظهور الإسلام وحتى عصر المماليك، و من أهم انجازاته: **فلسفة اللغة العربية، تاريخ اللغة العربية، تاريخ مصر الحديثة**، و

كانوا متمدنين، إن لم يحصل لهم طعام على العادة في الوقت المعلوم، و لم تحصل لهم خمورهم و أدويتهم التي اعتادوا بها، لا يقدرون على شئ، فتقدم مأة من الجنود يحتاج إلى أسباب كثيرة من الخيم و الألبسة و غير ذلك. و أما العرب تركب ناقتها، و معه مد من الذرة، يحمله في حقيبته، يأكله نيأ و يمشي على ما أمر به. فما كان روما؛ أن توازن العرب في خفة أسفارهم. هذا كان من أعظم وجوه الانهزام لأهل روما. أو كلمات مثل هذه.[74]

بعد ذلك البيان هذا الباب الذين ذكرنا، هل يجوز لمؤمن أن يتأخر عن إقامة الانقلاب؟ الجواب ظاهر. و الله ذكره بالإنكار الشديد " **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (82) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (83)**"

بعد ذلك في قوله تعالى: " **وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (84) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (85) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (86) وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (87) الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (88)**" ذكر الله طائفتين: الكفار كانوا من المشركين، المنافقون صدوا عن سبيل الله. هؤلاء يعذبون في الآخرة.

قوله تعالى: "**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (89)**" هؤلاء الكفار، المنافقين "**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا**..." الذين يطيعون في الأحكام. وصلوا في الفهم إلى الدرجة العالية أو الثانية، و عملوا بما أمروا. هؤلاء المبشرون. تم على ذلك –الآية- 89، و تم الباب الثاني.

تاريخ التمدن الإسلامي في خمسة أجزاء، و غيرها. توفي زيدان في عام 1914. و لينظر: الموقع على انترنت: https://www.arageek.com/bio/jurji-zaydan

[74] قد ذكر عدة أسباب الفتح، و منها: 1- الاتحاد بالإسلام، 2- اعتقادهم صدق الدعوة، 3- خصب البلاد المفتوحة، 4- نشاطهم و خفة أحمالهم، 5- اعتقادهم بالقضاء و القدر، 6- مهاراتهم في ركوب الخيل و رمي النبال، 7- رجال صدر الإسلام توفرت فيهم خصال النصر، 8- الصبر و المطاولة. ولينظر: زيدان، جرجي، **تاريخ التمدن الإسلامي**، الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام (مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة) 1: 63-68

الباب الثالث: في تعيين معنى الانقلاب و تمديده على الدرجة الثانية

الدرجة الأولى: الانقلاب في العرب بواسطة الحجاز. و الثانية: الانقلاب في العالم بواسطة الحجاز. فتعيين حدود الانقلاب الثاني هو المقصود في هذا الباب. "**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90)**" هذه الآية هي عنوان هذا الانقلاب. هي المراد من التقوى الذي في كتاب الله هداية إليه. و رأينا أن عمر بن عبد العزيز[75] أمير المؤمنين أدخل هذه الآية في آخر خطبة يوم الجمعة.[76] فكان الناس اتبعوه، أو هو أمرهم بذلك، صار هذه الآية شعار خطبة الجمعة من أيامه إلى أيامنا. و قد ذكرنا أن عمر بن عبد العزيز كان في آواخر أيام الدور القرآني؛ فهذه إشارة للإسلام إشاعة للإسلام في أطراف العالم على المعنى الصحيح الذي أراده القرآن. و قد تقرر في الحكمة أن الأوامر القرآنية هي ترجمة الفطرة الإنسانية السليمة. فالإنسان إذا كان في اجتماع، و كان فطرته سليمة، يقتضى أن يمشي بالعدل، ويعامل الناس معه أيضا بالعدل. فلا يأخذ حق أحد، و لا أحد حقه. و قد جعل حكم الفطرة ميزانا للعدل. فقيل أن تحب لأخيك ما تحب لأجلك. هي حكمة متواترة في الحكمة. قد ذكرها من حكمة المسيح في الأناجيل أيضا. و هذا هو الذي يسميه أهل عصرنا بالمساواة و الإحسان. ترجمته يعمل الإنسان بأحكام الفطرة بحيث يرى أن فاطر الفطرة ينظر إليه، لأن يجعل في ضميره عزما. أن معنى الفطرة هو الذي يلهمه فاطر الفطرة، لا أغيرها. هذا كأنه فعل الشئ على الوجه الأحسن مثل ما قرأنا الكتاب على مراد المصنف.

"**وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى**..." معيار فهم العدل و تعيين الحقوق ليس عند الإنسان سوى ما يجد في قلبه من الرحمة و المودة، و إيتاء حق كل ذي حق من ذوي القربى. صاحب الفطرة السليمة لا يجعل أخاه مثل أبيه، و لا يجعل زوجته مثل أمه، ثم لا يجعل رفيقه مثل أخيه إلا لمانع. هذا الأمر إذا كان على منهاج

---

[75] عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم. وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام. ولد سنة 61 هـ، ونشأ بالمدينة، وولي الخلافة بعهد من سليمان سنة 99 هـ فبويع في مسجد دمشق. وسكن الناس في أيامه، فمنع سب علي بن أبي طالب (وكان من تقدمه من الأمويين يسبونه على المنابر) ولم تطل مدته، قيل: دس له السم، فتوفي به سنة 101 هـ. ومدة خلافته سنتان ونصف. ولينظر: الزركلي، **الأعلام**، 5: 50.

[76] لينظر: ابن الأثير، عزالدين، **الكامل في التاريخ** (لبنان، بيروت، دارالكتاب العربي، ط: 1997) ت: عمر عبد السلام تدمري، 4: 99.

الفطرة فتعيين الحقوق لذوي القربى هو فطرة ثابتة يعلمها كل فرد من أفراد البشر. يعرف الإنسان حق أبيه بطبيعته، ثم يجعل أستاذه و مرشده و حاكمه بالإنصاف مثل أبيه في الرتبة. فبذلك يقدر على تعيين حق كل ذي حق.

جملة معترضة: قد رأينا السوفسطائيين من الحكماء غلبوا على طوائف الناس، منخدجي الفطرة، هم يجربون الأمور في الاجتماع على خلاف الفطرة؛ مثلا يجعلون الولد منقطعا عن عشيرته، و يجربون فطرته. هذا أمر لا يتم في الإنسانية. نحن عقلنا أصولا حكمية: إن الله لا يوجب على الإنسان شيئا إلا و ييسر له آدائه. منعوا الناس عن الغلافات الطبيعية. هذا يجعله من التيسر الذي يسره الله بسبب أداء الحقوق. و هم سمعوا كلمات من الطبقة الثالثة من الحكماء الذين لم يتقنوا أمور الحكمة على وجهها. مثلا القضية الضرورية المطلقة و الدائمة المطلقة يفرق بينهما الحكماء؛ أن انفكاك المحمول عن الموضوع في الأولى محال، و في الثانية جائزة، لكن لا يقع. هذا قول الحكماء من الطبقة الثانية، و إلا فالحكماء الحقيقيون يعرفون أن دوام ثبوت المحمول للموضوع لا يكون بالصدفة. فإذا كانت العلة الموجبة للدوام موجود فلا فرق بينهما. أما الحكما من الطبقة الثالثة فلا يهتدون إلى هذا التحقيق، و يأتون بالاحتمالات للفرق بين الدوام و الضرورة. و هم غير مصيبون في ذلك. إثبات الفرق بينهما حقيقته جهل. فهولاء السوفسطائيون تعلقوا بكلام الحكماء من الطبقة الثالثة؛ أن الاقتران في الدوام من الأمور الاتفاقية، فيمكن تفريقه لا بد، لكن الناس في الزمن السابق ما اجترؤا التجربة ذلك، فصار الأمر مسلما بين الناس. نحن نقدر أن نغير هذا المنهج الاتفاقي، و نبين عالما جديدا. فلما غلبوا على المجتمع في المحاربات و المقاتلات أرادوا تجربة ذلك. و هم مبطلون جاهلون، يخسرون في الإنسانية. أن الأمور التي تقتضي الطبيعة الإنسانية دائما إذا خلت عن الموانع فهي ليست أمورا اتفاقية بل أمورا ضرورية توجبها عللها. و هم عمى عن إدراك عالم العلل للإنسانية. فكل قوم جرت على عكس إيتاء ذي القربى. أفسدوا الفطرة الإنسانية، و تجرى بالعرض إلى زمن محدود، ثم يهلكون. هذا اقتضاء الفطرة، يعني اقتضاء العلل الموجبة للدوام.

تتمة للإعراض: في بعض الأوقات يمتد المشي على خلاف الفطرة، فيظن الناس أن أمور الفطرة اتفاقية. و الذي عقلناه[77] قد يكون يغلب على الإنسانية الظلمة المتمردون، و هم يرتبون الظلم على منهاج قريب من الفطرة. و هؤلاء أيضا يستمرون إلى زمن، لأن طريق ظلمهم ليس متباعدا عن الفطرة

[77] في ن م بزيادة "نحن بحمد الله"

بالكلية. ثم يقوم على ضد هؤلاء المتردين، و لا يقدرون على إبطال أساس ظلمهم إلا بالتثبت بأصول السوفسطائية التي ذكرنا إبطالها أولا. فإذا كان غرضهم هو إبطال الظلم المنظم فيستمرون في أداء هذا الفرض، و لا يظهر بطلان أصول السوفسطائية في أقرب مدة، فلا ينبغي للحكم أن يتوشوش في ذلك. تمت.

"**وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**" كل أمر ينكر رؤيته الفطرة السليمة هو من الفحشاء. و المنكر كل أمر العقل يمنع عنه إذا كانت الفطرة سليمة والناس عامة يقبحونه. فإذا كان حكيم عالي الرتبة يمنع عقله من شئ، لكن عقول عامة الناس لا تدرك قبحه، فلا يكون من المنكر. أما كل أمر خالفه العقل و كثرة الإنسانية المتوسطة تدرك وجه غلطه، فهو من المنكر.

"**وَالْبَغْيِ**" الاجتماعية بطبيعتها تستوجب الرياسة للاجتماع، والفطرة تقتضي أن تكون ذلك باقتضاء الاجتماع، لا بقوة في الرئيس. فإذا قامت رياسته في الإنسانية، للفطرة موافقة،[78] فالبغاوة عليها ظلم. واجب الإنسانية في تلك الحالة أن يغير رأي الاجتماع الذين جعلوه رئيسا عن رياسته، فهم يعزلونه. فلا يقع بين الاجتماع تقاتل و تحزب، و إذا لم يراع ذلك النوع من الإصلاح بل قام رجل إذا رأى من رئيس منكرا باغيا عليه، فهذا ليس من أصول الفطرة. أن النتائج التي تحدث بعد الاختلاف و التحزب هي أضر من عدم إنكار هذا المنكر. لكن الفرق بين القسمين دقيق. و الميزان هو اجتماع آراء أكثر أهل الحل و العقد على شئ. فإن كان رجل حكيم، رأى أمرا منكرا في رياسة الاجتماع و يدرك وخامته، فواجب عليه أن يوضح ذلك لأهل الحل و العقد و العقل، لأنه إذا لم يوافقه الأكثرية من ذلك لا يصير الأمر منكرا في الشرع و القانون، و إن كان غلطا بديهيا عند ذلك الحكيم. مراعاة الاجتماعية مع أصول اتباع العقل، إذا اجتمعنا أفلحت الجماعة، و إلا ليس الفلاح بمتعين.

"**يَعِظُكُمْ**" يشير هذه الآية إلى أن أوامر التي أمر الله بها هي مقتضى الفطرة، لكن يمكن أن ينساها الإنسان، فلذلك قال: "**لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**" هذه الآية كانت أساسا لاجتماع القوم. فالمسلمون جعلوا جماعة مركزية التي قرأناها في سورة القتال و الفتح " **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ**

[78] في ن م "موافقة للفطرة"

مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (29)"
فالآن بعد الفراغ من ذلك يدعون الأمم إلى أن يجتمعوا مع تلك الجماعة على أصول آية التقوى و يتعاهدون في ما بينهم.

جملة معترضة: القوم الواحد الذين لسانهم واحد، و يكون النسل واحدا، و ليس وحدة النسل بلازمة، و إن كانت فأولى. الأحرار الأقويا من ذلك القوم يمكن أن يجتمعوا في جميع المعاملات، صغارها و كبارها على قانون واحد، مسلم مقبول بينهم. هذا الحكم جاء في كل قوم، و له لغة مخصوصة، عادات المعاشرة متعينة، يعرفون المعروف و المنكر في ما بينهم. هم قابضون على قطعة من الأرض. حاصلات تلك القطعة بقوة أفراد ذلك القوم تكفي لمعيشتهم. هذا تعريف عندنا للقوم المستقل. فكل قوم مستقل يمكن أن يتفقوا على قانون جامع لصغار الأمور و كبارها. و يكون ذلك القانون محررا في مجلدات و أسفار. أما اجتماع قومين مستقلين فلا يمكن تحت قانون جامع لصغار الأمور و كبارها، إنما يمكن اجتماعهم في كبار الأمور خاصة. يحتاج الناس كلهم إلى تلك الأمور سواء. و لا يقدر أحد منهم أن يقوم بها مستقلا. مثال ذلك في زماننا هذا خطوط التلغراف في العالم تحت البحار، و في البراري يحتاج إليها جميع الأمم على السواء أم لا؟ و هل يقدر قوم وحدة أن يقوم بمصاريف جميع تلك الإدارات؟ فاجتماع الأقوام لإدارة مثل هذه الأمور طبيعي، لا يحكم قوم على قوم. ففي مثل أدارة التلغراف يجوز لكل قوم أن يرسلوا المراسلات بألسنتهم. فلا يكون ذلك الاجتماع إلا تحت المعاهدات. هذا هو اقتضاء الفطرة الإنسانية. و قد يغلب قوم على الأقوام، فلا يراعي المعاهدات، بل بقوتها تحكم على الأقوام. هذا مرض خلاف الفطرة الإنسانية. و بعض الأمراض تستمر إلى زمن لا بأس. أما أن تحكم الفطرة بأنها هي الصحة؟ كلا! تمت المعترضة.

القرآن العظيم جعل القانون لاجتماع الأمم على قانون القرآن، على كلمة التقوى، مع الأمة المحمدية. هي المعاهدة في ما بينهم، وتكون تلك المعاهدة على وجه الإحسان؛ يعنى أن فاطر الفطرة كما أراد من الفطرة الإنسانية نمشي على ذلك. و إذا خالفناه فإليه المشتكى، و هو يجازي العاصي. هذا معنى كلمة عهد الله. فأمر الله بتأسيس اجتماع الأمم على كلمة التقوى.

"**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (91)**" تم أساس المعاهدة في آية واحدة (91) كما كانت كلمة التقوى في آية واحدة (90).

و بعد ذلك من الآية 92 إلى الآية 100 تشريح و تفصيل و تنبيه على ما يتعلق بقضية الأمم. ففي قوله تعالى: "**وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (92)**" نهى ربنا أن[79] القوة الحاكمة بتقديم أمة على أمة، لأن الصورة قائمة على حالها: الأمم المتعاهدة كلها تنتفع من المحاسن المحاصل، لكن من يقوم بتقسيمها، و هي في أول الأمر تكون الأمة المحمدية. ترجح أمة على أمة في ميزان التقاسيم، فلا يتفطن الناس كثيرا. و أما القوة العاملة تعرف أنها رجحت أمة على أمة. فالله نبههم على أن الفعل يفضي إلى هدم ذلك البنيان من أصلها. نقرأ " **وَلَا تَكُونُوا**..." معنى المثل مشهور، لا كلام فيه. "**دَخَلًا** " خيانة. "**أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ**" معنى الخيانية أن تنتفع أمة أكثر من الأخرى. هذا الفعل يكون مثل فعل التي تقضت غزلها. "**إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ**" هذا امتحان، إن أحسنتم يزيد الله في قلوب الأمم رغبة إلى الانضمام معكم. و إذا أسأتم يتفرقون منكم. "**وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**" الفصل في الأمور الاختلافية بين الأمم المتعاهدة تحت كلمة التقوى لا يمكن تاما إلا يوم القيامة، و أما بقدر ما يحتاج إليه الأمم في الدنيا فيظهر حكم الله في الدنيا أيضا. مثلا: إذا أفسدوا القيادة للأمم فتوخذ منهم و تفرض إلى قوم آخرين.

منشأ الغلط: القوة الحاكمة في الأمم المتعاهدة تيأس من الاختلافات المزيدة كل يوم، هي تقرر في نفسها. لو جمعنا الأمم كلها على قانون واحد، و جعلنا هم مثل قوم واحد لكان الأمر[80] أسهل، فيسعون في تنفيذ برنامجهم القومي في الأقوام المتعاهدة نظرا لإيجاد قوم واحد. يجعلون لغتهم هي الحاكمة في جميع الأقوام. وحكام البلاد لا يجعلونهم إلا من قومهم، و إن لم يعرفوا لسان المحكومين. ويسعون لتقريب

---

[79] في ن م "أن تعمل القوة" بزيادة "تعمل"، و هذا هو الصواب، لأن "أن" مصدرية فتحتاج إلى فعل "تعمل" الموجود في "ن م" لتأول معه بمصدر ليكون مفعولا لـ "نهى".

[80] في ن م "يكون الأمر"

كل أمة أن يجمعوهم في أمة واحدة. فيتراءى لهم في ظاهر النظر رجحان كل قوم و كل جماعة، أو كل فرد تلبس بلباسهم القومي، فيرجحونهم على أقرانهم لميلهم إلى عواطفهم القومية، ويكون ذلك ظلما.

المنافقون المراؤن يتلبسون بلسان قومهم، فيرجحونهم على صالحي الأمم. فيخالفون الأمر الذي أمروا به، فيرتكبون خيانة أن تكون أمة أربى من أمة. كل أمة تلبس بلباسهم القومي؛ هي أربى من أمة لم تتلبس بها. و ما كان هذا داخلا في أصل المعاهدة، لأن أصل المعاهدة إنما كان على كلمة التقوى، و تقليد الناس للحكام في المعاشرة و اللباس و غير ذلك هو طبعي لهم. لا يستحقون به رجحان حقوقهم في المعاهدة. والناس الحاكمون يريدون في فكرهم خيرا، إن كانوا صالحين. إنهم ينشرون قوما واحدا من مجموعة الأقوام، ويكون سببا لقلة اختلافهم في ما بينهم.

جملة معترضة: دور الراشدين من الخلفاء؛ كان يؤاخذ الناس على أساس المعاهدة فقط: كلمة التقوى. و إن كان بين أمراء ذلك الدور اختلاف في الأكملية و الكمال، لكنهم لم يزيدوا شيئا آخر لترجيح قوم على قوم. والعرب و العجم كان عندهم سواء بالنظر إلى كلمة التقوى. ليس هذا مخصوصا على الأفراد الكاملين مثلا بلال الحبشي و سلمان الفارسي بل كان المعاملات مع الأقوام على السواء. يجد الإنسان في فتوحات سوريا كلمات من أهل الذمة بترجيح المسلمين على ملوكهم من قومهم الرومانيين. كل ذلك لحسن معاملاتهم مع الناس تحت قانون الإسلام: كلمة التقوى. بعض المسلمين في القرون المتأخرة أيضا جعلوا شعارهم عدم الفرق بين مسلم و غيره في نظر القانون. فالأمم يتناشدون بمدائحهم مثل

السلطان صلاح الدين[81] و محمد خان الفاتح[82] و مثل جلال الدين الأكبر في الهند[83]. فدور الراشدين لم يكن فيه ميل أن تكون أمة أربى من أمة.

ثم جاء دور بني أمية؛ هم أرادوا تقريب الأقوام و ترجيح العرب على غيره. و كان في نظر الصالحين ذلك الأمر خيرا للاجتماع، ليقل الاختلاف. ورأينا مثل ذلك عمل الإنكليز في الهند. والعرب اتهموا العثمانيين المتأخرين بعد عبد الحميد، أنهم أرادوا تتريك[84] العرب. هذه الأعمال عندنا كلها على السواء. فعل بني أمية أضر بهم، فعل الإنكليز في الهند أضر بهم. الهنديون يراجعون على إحياء ثقافتهم التي مرت عليها ألوف من السنين. و في قضية العرب و الترك ليس لنا رأي، لأننا لم نحط بأخبارهم. و الدعاية الكاذبة في عصرنا هذه غالبة، فلم نقدر على تحقيق الحق، هذه الأفعال و إن كانت بنية صالحة، نتيجتها تكون أضر بالنسبة إلى النفع. و عندنا في قوله تعالى: "**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (93)**" أشار إلى هذا.

هذه الأمور التي أرادها ناس كلها خلاف الفطرة "**وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**". من يقدر على إمضاء المعاهدات في الأقوام، و لا يتداخل في نفسياتهم الباطنة، هو ممن هداهم الله. فيتخرج من جميع الأقوام رجال من أهل الحل و العقد، يجتمعون بين أيديهم تحت المعاهدة، يجعلون الأمم

---

[81] صلاح بن نجم الدين أيوب، زعيم، مسلم، شجاع، ولد في عام 1137 في عائلة كردية، هذه العائلة ملكت مصر و الشام و عرفت بالدولة الآيوبية، و استعاد القدس من الصليبيين، و توفي في عام 1193 م. لينظر: عبد الله ناصح علوان، **صلاح الدين الأيوبي بطل حطين و محرر القدس من الصليبيين،** (دار السلام) 11-13.

[82] ولد محمد الفاتح عام 1429. هو سابع سلاطين الدولة العثمانية وسلالة ال عثمان. تولى حكم الدولة العثمانية بعد وفاة والده في عام 1451، و عمره آنذاك 22 سنة، يُعرف السلطان محمد الفاتح بأنه هو من قضى نهائيًا على الإمبراطورية البيزنطية.و توفي في عام 1481 م . ولينظر: د. علي محمد الصلابي، **سيرة السلطان محمد الفاتح و عوامل النهوض في عصره،** 114.

[83] أكبر ملوك الهند وأشهرهم في الذكر وأسعدهم في الحظ والإقبال، ولد سنة 949 هـ. وسّع رقعة بلاده فسيطر على شمال الهند وباكستان ووصل البنغال، اتهم من قبل بعض المؤرخين أنه كون مذهبًا جديدًا سماه الدين الإلهي وكان يمثل له وحدة كل المعتقدات الدينية. أن فريقا آخر نفى عنه هذا الاتهام، بل أنه دعى إلى مذهب فلسفي جديد يتقبل كل الأديان مع بقاء كل فرد على دينه. و توفي سنة 1014. و لينظر: الحسني، عبدالعلي، **نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر** (لبنان، بيروت، دار ابن حزم، ط: الأولى 1999) 5: 496-499.

[84] جعله يتخلق بأخلاق الأتراك ويأخذ عاداتهم ويتكلم بلغتهم.

كالأمة الواحدة. هذا هو الممكن في الإنسانية. أما إذا أراد الناس أن يترك القوم لسانهم، و يتبعون القوم الغالب، فالناس ضعفاء الإرادة يسبقون إلى ذلك من جميع الأمم، و يظاهر للناس كأنهم صار أمة واحدة، لكن أهل الحل و العقد يتأخرون، فتنسخ ذلك الاتحاد الظاهري الحادث من أهل الطمع في الثروة لالتحاقهم بلأمة الحاكمة. فإذا قصرت الأمة الحاكمة في اعطياتهم في يوم ما يتراجعون إلى الأعداء. هذا ممن هو داخل في يضل من يشاء. "**وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**" إن كانت نيتهم صالحة يجازون حسب تلك النية، و إن لم يتم لهم العمل.

و بعد ذلك في "**وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (94)**" يجعل الله فعلهم هذه الخيانة في أمر المعاهدة سببا لارتداد أقوام، و سببا للصد عن سبيل الله. فلا يأتي قوم آخر يدخل في جماعتنا، فيقف ارتقاء الإسلام إلى حد "**فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ...**"

"**وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (95)**" يذكر و خاصة هذا الفعل لا بالنظر إلى الفوائد الدنياوية بل بإفضائه إلى إفساد النفسيات الإيمانية. "**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (96)**" تتمة لذلك.

ففي "**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)**" يصرح ربنا على فوائد العمل بتلك المعاهدة في الدنيا و الآخرة. هذا العمل يتم إذا كان المقصد هو تعميل ما أمر الله به. فإن قام ناس في زمان ما لتعميل ما أراد الله في القرآن يكونون فائزين. فالقرآن حاكم مؤثر في جميع الزمان على السواء. والشيطان يوسوس، أن انقطاع تلك السلسلة لا يكون بعده تجديد له، فإن ذلك إنما قام النبي و أصحابه، و تسلسل كبار أهل الصلاح، فإذا انقطع مرة فالقيام به مرة أخرى ليس ممكنا، و ليس بسهل؛ هذا يوسوس به الشيطان. و الإنسان إذا فهم أن حكم القرآن مبني على الحكمة المعقولة المعروضة، فإذا اجتمع أهل الحل و العقد من المؤمنين الحاكمين أن هذا هو الحق، و سعوا لذلك يكون قيامه سهلا. هذا هو بركة القرآن و بقائه على مر الدهور، إليه إشارة في "**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99)**" أخذنا منه أن من أراد العمل بالقرآن من المؤمنين، و توكلوا على الله

أنهم يفوزون في أي وقت كان. "**إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ** (**100**)" إن ذلك يشكل على قوم يجعلون القانون الأساسي لارتقائهم غير القرآن، إليه الأشارة في "**الَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ**" يجعلون قوانين الشياطين مثل قوانين الرحمن.

والذين هم يحكمون على الفطرة الإنسانية بأنها لا تدرك الحق، و لا تقدر أن تقوم به، لأن الفساد و قد غلب عليها الناس في الزمان الأول كان كذا، و في هذا صاروا كذا، يجعلون كمال ارتقاء الإسلام نتيجة أعمال رجال معدودة، و ليس كذلك الفطرة الإنسانية فطرها الرب على السلامة، كلما عرض عليهم الحق بلسان نفهمه، نوقن بها، ونقوم بها. فساد الفطرة في زمان لا يكون مستقرا. الفتنة وقعت في أصحاب النبي بعد مقتل عثمان، ثم جاءت فتن مرارا، لكن الفطرة الصالحة تعمل بالقرآن، و تفوز به. هذا المعنى أخذناه من قوله "**إِنَّمَا سُلْطَانُهُ**..." الذين جعلوا الشيطان قادرا على إفساد الفطرة الإنسانية، و ليس كذلك، فالقرآن يحكم، إذا حكم به رجال سليم الفطرة في أي زمان، أي مكان، أي قوم.

الباب الرابع: رد الشبهات و معارضات لاجتماعية الأمم

"**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** (**101**)" القرآن نزل أولا لإقامة الحق في الحجاز، و توسيعه إلى العرب. هذا المعنى و إن خالف فيه أقوام، لكن كثيرا من صالحي العرب عظموه من أول الأمر. لما حدث المناقشات بين قريش و بين المسلمين منهم جلست عامة قبائل العرب يترصدونهم، ما مالوا إلى جانب، لأنهم كانوا يريدون قيام العرب، فأي حزب غلب يكونون معه. و قريش أيضا بالتدريج اجتمعوا على فهم المسألة أن هذا فيه شرف للعرب، و عزة لهم، فتركوا المخاصمة، و دخلوا في الإسلام. لما تم هذه الدرجة من البعثة النبوية، و أراد أن ينبههم إلى درجة ثانية؛ درجة اجتماع الأمم، و بالشروع في تلك الدرجة يتبدل بعض فصول البرنامج: مثلا في البرنامج الأول كان الشرف للعرب، و كان معناه القائم بالحق، لا كل العرب إلا لما جاء ذكر أبي لهب و أبي جهل بالمذمة في تعاليم الإسلام. فإنهم من صناديد العرب. يعنى أن كلمة العرب تستعمل بمعنى مخصوص لكن لا يتفطن كل الناس للمعنى بسهولة، بل كثير منهم يحملونها على العرب عموما للغفلة الآن.

في البرنامج الثاني يكون العرب و العجم سواء إذا قاموا بالحق. و هذا يثقل على طوائف كثير من أكابر القومية، فإن كانوا في البرنامج الأول موافقين. فالثاني أثار عواطفهم على خلاف الإسلام كيف

يكون العرب و العجم سواء؟ هذا افتراء، الله لا يجعل العجم مساويا للعرب. إلى هذا إشارة عندنا في قوله: **"وَإِذَا بَدَّلْنَا...."**. في **حجة الله البالغة** أثبت الشيخ أن كل ملة يكون لها دولة، تزيد أحكامها على أحكام ملة لا تكون لها خلافة و دولة. فهذا التبديل لا يكون معناه النسخ المتوهم عند عامة الناس: يعنى رفع آية بآية أخرى، بل معناه عندنا تكميل ملة بإضافة خلافة لها (مكان آية يفيد رفع الأولى لا إضافة أخرى) **" إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ"** تفطنا أن ذلك راجع إلى تسوية العرب و العجم، فإن ذلك لا يقبله طبيعة العرب بعد مضى ألف و ثلاث مأة من الإسلام إلا رجال أهل صلاح، هم مستثنون من ذلك، لأن بعد ذلك نرى أنهم يتهمونه بأن القرآن يعلمه رجل أعجمي. و لا يريدون ذلك أهل التفسير لأنهم لا يلتفتون إلى اتساق نظم القرآن **"بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"**.

"قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (102)"

فالمسلمون يعرفون أن الاجتماع عمومي للبشرية يقوم به نبي من أولاد إبراهيم، مبشر به في التوراة و الأناجيل. فإذا جاء القرآن بأمور تدل على[85] ذلك هم استبشروا و تثبتوا على صون مركزهم عن أعمال لا ترضى بها الأمم.

"وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (103)" غلط في فهم هذه الآية أكثر العرب، لأنهم فهموا من قوله **" لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ"** الألفاظ و اشتقاقها و تراكيبها النحوية و لطائفها البيانية، و فهموا أن هذا معنى **"عَرَبِيٌّ مُبِينٌ"**. و تغالى قوم منهم أن مثل هذه الألفاظ و التراكيب و البيان لا يوجد في لسان، فلذا اختارها الله لنزول القرآن، و صار هذا مفخر كل عربي، متولد في بلاد العرب، لأن لسانهم و إن كان قد انحرف عن لسان القرآن لكن بصرف قليل من المدة يقدرون على تحصيل اللغة العربية القرآنية، و لهذا جعلوا تجويد القرآن أهم من كل شئ، و أصروا على تعليم متن القرآن بدون الفهم لصبيانهم، و حفظ القرآن لأن ذلك يصان[86] تكلمهم بلسان القرآن، ثم إذا صرفوا نحو سنة في تعلم النحو واللغة صاروا قادرين على اللسان. فتمت مفخرتهم على ذلك فقط.

---

[85] في ن م "على ذكر" بزيادة "ذكر"

[86] في ن م "يصلح"

و نحن رأينا كثيرا من علماء العجم أيضا يؤيدونهم في ذلك؛ و هم عبد القاهر[87] و الزمخشري[88] و التفتازاني[89]، بالغوا إلى النهاية، فلا نرى في المسلمين عامة لمفخرة إلا التكلم باللسان العربي، وقراءة كتب في النحو و الصرف و المعاني. و لعل ذلك هم تأثروا في ذلك باليهود، فإنهم عملوا في التوراة مثل عمل هؤلاء بالقرآن. أما أنا فقرأت ما يقرؤن، و ما كان عندي شئ من الاستنكار، لأن يتقدم لسان على الألسنة لكونه لسان القرآن. لكن لما رأيت معه تدريج في الفهم، نسبة ذلك اللسان إلى القرآن مجازية فقط. هل يريدون بذلك لسان فهم معاني القرآن. فإذا لم يكن كذلك فما معنى كونه لسان القرآن، فالذي يشتغل باللسان لتفهم معاني القرآن ليس له اعتراض عليهم بوجه من الوجوه إلا إذا قاموا إلى إضلال عامة المسلمين لعصبية، تؤيد لسان القرآن خاليا عن فهم المعاني. هذا ما جرى علينا في مطالعة اعتماد الناس في تقديم اللسان العربي المبين.

الآن نرجع إلى ترجمة الآية حسب ما نفهم. نقدم قبل ذلك اعتراضا يعتري في خاطري؛ قال الناس: إنما يعلم النبي بشر، فنزل جواب في القرآن. لسان الذي يلحدون إليه أعجمي و هذا لسان عربي مبين، فكيف يمكن نسبة ذلك إلى أعجمي. فالأعتراض أليس يمكن أن يعلم هذا الرجل النبي بلسان الأعجمي. فلما استقر تلك المعاني في قلب النبي يترجمه بلسانه، وهو من أبلغ فصحاء العرب، لسانه عربي مبين. عامة أهل العلم لا يذكرون هذا الاعتراض، لأن عندهم ليس له جواب. هذا الذي نظن، و إلا فالاعتراض هذا واضح، فلما لا يذكرونه، و لما لا يجيبون عنه. و نحن تأملنا في هذا زمانا، فالآن نذكر ما

---

[87] شيخ العربية أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني. أخذ النحو بجرجان، وله "**إعجاز القرآن**" ضخم، و"**مختصر شرح الإيضاح**" وغير ذلك. وكان شافعيا، عالما، أشعريا، ذا نسك ودين. توفي سنة إحدى وسبعين وأربع مائة وقيل: سنة أربع وسبعين، رحمه الله. و لينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء** (القاهرة، دارالحديث) 13: 506.

[88] هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، العلامة ، كبير المعتزلة، ولد في زَمَخْشَر يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة 467 هـ ، كان مفسرا، شاعرا و أديبا، و خاصة إسهامه في مجال اللغة أكثر من غيرها، صاحب التواليف كثيرة، منها تفسيره **الكشاف، أساس البلاغة، المستقصى في الأمثال** ووتوفي ليلة عرفة سنة 538 هـ في جرجانية خوارزم، بعد رجوعه من مكة . لينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 15: 17

[89] مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) في سنة 712هـ، وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفى فيها سنة 1390، ودفن في سرخس. من كتبه: **تهذيب المنطق**، و **المطول** في البلاغة، و **شرح العقائد النسفية**، و **شرح الأربعين النووية**. و لينظر: الزركلي، **الأعلام**، 7: 219.

نفهم فلنرجع إلى –الآية- 64 مبدأ الباب الثاني،[90] نص تلك الآية "**وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (64)**" نتكلم على تفسيرها بكلمات، ثم نرجع إلى المطلب.

قد تحقق عندنا أن الناس قبل مبعث النبي توجهوا إلى تعيين سياسة يتقدم بها العرب. و كان مركزهم في مكة، لأن محاربة كسرى و قيصر و التجاء كل من الدولتين لانضمام العرب إليهم بواسطة خلفائهم من العرب في العراق و سوريا وجه أنظار العرب إلي معرفة قيمتهم. ثم اختلفوا فيما بينهم، فقوم يميل إلى الفرس، و هم الأكثرون لتوافق عبادة أصنامهم مع هؤلاء في التدين، و قوم مالوا إلى قيصر، و هم تنصروا، و كان منهم ورقة[91]، و منهم شاعر العرب هو الذي آمن لسانه، و كفر قلبه أمية ابن أبي الصلت[92]، و منهم الحنفاء يريدون تجديد طريقة إبراهيم فقط، و يتمنون بذلك تغلب العرب على الدولتين، و منهم عندي بيت عبد المطلب. ألا ترون أنه حضر زمزم،[93] فلو لم يكن له ذوق خصوصي إلى الحنيفية و إلى إبراهيم و إسماعيل ما تكلف هذا التكلف.

فليعرف الإنسان أن الأحزاب في مبدأ ظهورهم لا يتباعدون بعضهم عن بعض في جميع الأمور مثل ما يتصوره عامة أهل العصر بالقياس على غلبة حزب على حزب. فالحزب الغالب بالتدريج يترك الاتصال مع المغلوب. فوجود عبادة الأصنام على وجه الرسم القومي في بيت عبد المطلب لا يجعله خارجا

---

[90] في ن م بزيادة "الذي قرأناه أفسد" بعد مبدأ الباب الثاني.

[91] هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى (12 ق - 611 م) من قريش وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين_رضي الله عنها_ وقرأ كتب الأديان وتنصر، وكان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني ،أدرك أوائل عصر النبوة كما في حديث ابتداء الوحي بغار حراء، "أن النبي (صلّى الله عليه وسلم) رجع إلى خديجة، وفؤاده يرتجف، فأخبرها، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل _كان شيخا كبيرا قد عمي _ فقالت له خديجة: يا ابن عمّ اسمع من ابن أخيك....." لينظر: الزركلي، **الأعلام**، 8: 114-115

[92] أمية بن أبي الصلت الكافر: سمع النبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شعره الذى فيه حكمة. واسم أبي الصلت: عبد الله بن ربيعة بن عوف بن عقدة بن غيرة، بكسر الغين المعجمة، ابن عوف بن قسى، وهو ثقيف الثقفى، كان أمية يتعبد فى الجاهلية، ويؤمن بالبعث، وينشد فى أبياته الشعر المليح، وأدرك الإسلام ولم يسلم. لينظر: النووي، يحي بن شرف، **تهذيب الأسماء و اللغات**، (بيروت، دار الكتب العلمية) 1: 126.

[93] لينظر: الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله، ، **أخبار مكة للأزرقي**، ما جاء في حفر عبد المطلب بن هاشم زمزم (بيروت، دار الأندلس للنشر) ت: رشدي الصالح، 2: 42.

عن الحنيفية. فالمطلب الذي اختلف فيه الأحزاب السياسية في قريش وقت نزول القرآن هو اختلافهم في السياسة الخارجية؛ هل يتولون كسرى أو قيصر أو يثبتون على الحنيفية و يجمعون قوتها و يترقبون الفرص، أيها أحق؟ و كان الأفكار تتردد في هذه المسائل الثلثة. فالرجل يوما يتفكر فيميل إلى قيصر، وبعد يوم يظهر عنده ضعف هذا الفكر ثم يميل إلى كسرى، و بعد زمن يترك ذلك المسلك أيضا. بعد ذلك يريد التثبت على الحنيفية، ثم لا يجد طريقا فيتحير. فعقلاء أهل مكة أما كانوا أحزابا ثلثة[94] و أما كانوا متحيرين. و الله ذكر أولا "**وَمَا أَنْزَلْنَا... يُؤْمِنُونَ**" التبيين فيه: المبالغة من البيان يجعل الأمر واضحا حتى إن كل عربي يفهمه و يخرجون من الاختلاف و التحير، و يطمئن خاطرهم على البرنامج الارتقائي. هذا معنى "**إِلَّا لِتُبَيِّنَ**"، فانظروا بعد ذلك بيان الله في الآية 65 خاتمة الآية "**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**"و في 67 خاتمة الآية "**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**" و في خاتمة –الآية- 69 "**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**" ثم مثل ذلك إلى آخر الباب الثاني.

تنبيه: للقريحة العربية بما يناسبها ذكر مثال، و أخذ قاعدة كلية منه على طريق يفهم عامة العرب و خاصته، و تعيين برنامج الحنيفي، و طريق تغلبه على الأقوام. إذا قرأنا هذا الباب إلى آخره أليس هذا بلسان عربي مبين. هل بدل العجم يدل العرب على مثل ذلك البرنامج؟ فليس المراد من اللسان العربي المبين ألفاظها و تراكيبها و حسن بيانها. و دعوى تفرد اللغة العربية بآخر درجة البلاغية حتى لا يساهمها لغة، إنما صورت بسبب عدم علم بألسنة أخرى. إذا قدر الرجل أن يعرف سانسكريت –لسان الهند القديم- ثم يقاسيها و يوازيها مع العربية فهو يتردد؛ في أي اللغتين يكون الرجحان؟ لا نعرف اللاطيني و العبراني لكن رجلا منا كان يعرف سانسكريت و العربية. السيد على البلغرامي[95] هو كان ماهر فيهما و هو لا يقدر أن يفضل إحداهما على الأخرى. و نحن نعرف بعض فضائل اللسان الفارسي، لأنها كانت لسان المسلمين في الهند، و كانت لسان الحكومة ستة مئة من السنين أو أزيد. نعرفها مثل معرفة لساننا، فترجيح اللغات باعتبار مباديها أو باعتبار صورها. هذا الفن هل يليق بسيد الأنبياء أن يقوم به. فالمفاخر

---

[94] في ن م "نظموا أحزابا ثلاثا"

[95] الشيخ الإمام العالم الكبير العلامة غلام علي بن نوح الحسيني الواسطي البلكرامي أحد العلماء المشهورين، لم يكن له نظير في زمانه في النحو واللغة والشعر والبديع والتاريخ والسير والأنساب، ولد سنة 1010 هـ، رحل إلى الحجاز فحج وزار سنة إحدى وخمسين ومائة وألف، وقرأ بالمدينة المنورة صحيح البخاري على الشيخ محمد حياة السندي، و توفي سنة 1122 هـ. و لينظر: حسني، عبد العلي، **نزهة الخواطر**، 4: 769، 770.

التي حدثت في زمان التأخر في العرب لا تعلق لها بالإسلام، بل مثل ذلك يكون في كل أمة كانت قومية ثم صارت ضعيفة. والعجم الذين أيدوا العرب على ذلك الفكر أني ما أرى كلهم مخلصين للعرب، بل منهم رجال يحبون أن يشتغل العرب بتلك الخرافات، و هم يحكمون على الممالك الإسلامية سالما غانما. فالفخر عندنا للعرب أن هذا الباب الثاني من كتاب الله الذي هو برنامج لا يوجد أقوى منه لاجتماع الأمم إذا ضممنا الثالث أيضا إلى الثاني. هذا إنما يوجد في لسان عربي مبين. فالمفخرة لهذا اللسان باعتبار اشتماله على برنامج لا يستغني عنه الإنسانية إلى آخر الدهور بلسان واضح لا بالمغلقات يفهمه كل من اشتغل مأة أشهر في تحصيل اللغة العربية، و تلك المفخرة للسان العربي لا تساويها و لاتوازيها لسان ما. هذا الذي وصلنا إليه بفضل الله و اطمئن به الخاطر.

"**إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104)**" هم يعرفون اللسان، و لا يؤمنون بآيات الله، و لا يريدون إقامة الدين الجامع للأقوام. وإنما يفتخرون بقوميتهم، لا يهديهم الله بطريق غير هذا الطريق. فيلتحقوا بقيصر و كسرى. هم يذهبون بهم إلى جهنم، "**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**". هذه تتعلق بالآية 64 "**لِتُبَيِّنَ لَهُمُ**". بعد ذلك "**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (105)**" تتمة إنما يفتري من ليس عنده برنامج و نظام.

بعد ذلك من –الآية- 106 رد على من ارتد عن قبول برنامج جامع الأقوام الذي أتى به القرآن، و أصر على التفاخر بالقومية إلى –الآية- 111. "**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (106) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (107) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (108) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (109)** "

"**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ**..." بالبرنامج القومي، و كفر ببرنامج جامعة الأمم "**هُمُ الْخَاسِرُونَ**". و في ذلك استثناء تركناه "**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**" المسكين إذا كان مكرها، لا عذاب عليه. و كذلك قوله تعالى: "**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (110)**" لعل هذه إشارة إلى مهاجرة الحبش. و فيه تنبيه لطيف، بل يمكن للعرب أن ينحصروا في

عربيتهم، و يعملون بالحق، و يتقدمون. أليس أن من شرفاء القريش و ضعفاء المساكين ما قدروا أن يثبتوا في مكة، و إلا أجبروهم على ترك الإسلام فصاروا محتاجين إلى الهجرة. و إنما خرجوا للضعف ثم رجعوا و جاهدوا و تقدموا. فلو لم يكن لهؤلاء الناس مهجرهم في غير العرب أكانوا يتقدمون؟ منهم ابن مسعود و منهم ابن عفان و منهم جعفر؛ هؤلاء آئمة مقدمون في الإسلام، فلو لم يكن اتصالهم بالحبش غير العرب بل أمكن لهم هذا التقدم، فالذين ينحصرون في العربية ينظرون في أعمال هؤلاء.

القوم إذا أراد أن يتقدم تقدما صحيحا لا بد أن يكون له تعلق بالأقوام. فهل يمكن الفلاح في تعلق بين الأقوام و بدون تقرر البرنامج؟ فالذين كفروا بهذا البرنامج كأنهم أسقطوا اسمهم عن الشرف القومي أيضا. لكن في هذه المناقضات ما كان رجل يعمل بالحق، فمقدار عمله بالحق لا ينقص أجره، هذه دعوة إلى الحق من قدر أن يسلم جميع البرنامج فيها، و من تعلق بجزء منها أيضا يقبل. فبهذا يزيد دخول الناس في البرنامج، ثم بالتدريج يرتقون إلى قبول كلها. إلى هذا أشارة في "**يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (111)**"

هذا البرنامج يحتاج إلى مركز أشار إليه، و إن كان في تلك الحالة لاتصلح لذلك، معنى هذا يصلحونها حتى يتم مركزيتها " **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (113)**" إشارة إلى مركز في الأصل كان صالحا، إنما طرء عليه الظلم، ثم يحتاج الناس إلى قانون. و هذا القانون يلزم أن يكون أخصر ما يمكن، فمثل ما ذكرنا أولا الاجتماع الأقوامي لا يبحث عن كل صغير و كبير بل يكتفي بأصول الأمر فقط. القانون يقرر في المأكولات، هذا اختيار القرآن نبحث عن تكميل هذا المبحث في سورة البقرة، و يتعين القانون في المأكولات يقرر في أفهام العامة روح القانون.

فالقانون المشترك بين الأقوام "**فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (114) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (115)**" هذا القدر يكفي في جامعية الأمم[96] و لا تزيدوا عليها

[96] في ن م "جامعة الأمم"

في التفصيلات، هذا مبين في "**وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (116) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (117)**" معنى هذا هو المنع عن التفصيلات الزائدة في قانون الجامعة، و بعد ذلك يكون لكل قوم قانون يختص بهم. إليه إشارة في "**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (118) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (119)**"

فالأغلاط في القوم تقع بجهالة، ثم يصلحونها. هذا الأمر إليهم ليس للجامعة أن تتداخل فيها، فالقانون يكون له نصب العين و مطمح النظر، هذا بيانه في "**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (121) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (122) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (123)**" فإمام هذه الملة هو إبراهيم لا موسى، و إن كان في الأنبياء نبينا يتبع موسى كثيرا لكن هو ليس مطمح النظر اتباع موسى، سعوا لإنشاء جامعة روما، و فشلوا. الآن جعله إماما مرة ثانية، لا يفيد، و إبراهيم إمام للحنفاء. و خروج من الصابئة إنما أصلح من الصابئية بعض أمور فاسدة. فالملتان تجتمعان تحت إمامته، و إبراهيم يفتخر به الصابئون. هذا الذي ذكرنا ليس نصب العين اتباع إليه اشارة في "**إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (124)**" ليس عليكم و اليهود لا يقبل قوما إذا لم يجعلوا السبت فرضا، فتم القانون.

"**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125)**" تعين سبيل الرب للأقوام "**بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ**"؛ الثلاثة يعمل بها حسب مواقعها. فالحكمة للصابئة و الموعظة الحسنة للعرب، و جادلهم... خاص لأهل الكتاب، هو استحسان بالمهتدين. فمن اهتدى بالدعوة يكون أعلى ثم بعد ذلك لا يبقي إلا القتال، و إليه الاشارة "**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (126)**" يعنى الابتداء في القتال إنما يكون بالدفاع. "**وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (126) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (127)**" هذا العرب "

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (128)" الذين يعملون بقوله "**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**".

[97]كلمتان في تكميل سورة النحل: كلمة الأولى هذه البلدة التي ذكرها الله في المثل كانت مطمئنة، هي مكة المكرمة. فلما صار الظلم فيها غالبا؛ الهجرة منها صارت فرضا للمسلم. ففيه إشارة: لا عزة في هذه الحركة الاجتماعية الانقلابية القرآنية، لا عزة لمحل و لا لرجل و لا لقوم إذا كانوا مبتلين بالظلم. أنا بنفسي تأثرت من بعض الأشياء العلمية هي غاية في الإنصاف. قول حسان بن ثابت في الرد على من هجى النبي عليه السلام: أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنِدٍّ؟ ... فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ،[98] هذه الكلمة غاية في الإنصاف نأخذ بقلبي. هذا عنوان حب الصحابة لنبينا، ما كانوا يحبونه لكونه من قريش أو من العرب بل يحبونه لأنه خير لا يريد إلا الخير لقومه لمملكته، و لجميع من في الأرض على السواء.

ثم كلمة أخرى في كتاب الله . سورة الفاتحة هي عنوان الإسلام، لأن الإسلام صار من شرائعه في مقدمتها الصلوة. من صلى دخل في الإسلام. و الصلوة مبناها على الفاتحة، لا وجود لها و لا حقيقة بدون الفاتحة. هذا لمن يقتدر على قراءة الفاتحة متفق عليه بين آئمة الدين. الناس غير الفقهاء لم يرسخ الفقه في دماغهم؛ ما قدروا على تعيين معنى الواجب و الفرض. رأوا أن أباحنيفة حكم لمن يقدر على قراءة الفاتحة أي يصلى الصلوة بقرآن غير هذا، فأحدث التشوش في لزوم الفاتحة للصلوة. و الحق أنه لا اختلاف لأحد من المسلمين؛ أن من قدر على الفاتحة لا تجوز صلوته بدون الفاتحة سواء في ذلك الحنفية و الشافعية، و سائر آئمة أهل السنة و غير أهل السنة من الشيعة و الخوارج و غيرهم. في الحقيقة فاتحة الكتاب صارت عنوان الإسلام، فيه دعاء من الله بعد الثناء و الحمد عليه، فما صرح القرآن في هذا الدعاء باسم رجل إمام عنده، ما قال: اللهم اهدنا طريق إبراهيم، و ما قال: اللهم اهدنا طريق محمد. و هذا أن النبيان مكرمان عند المسلمين إلى غاية لا يرجى فوقها. فما سألوا طريقتهما المعينة من الله، حتى لا يكون ثقلا على من ينتسب إلى جماعتهما انتساب نسب أو انتساب قوم، و حتى يتظاهر من ينتسب إليهما بأن هذا الدين ديننا، بل علم الله اللهم "**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**"، عندك هذا غاية الإنصاف. لا يمكن دعاء أعلى منه. ثم قيل "**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**" و لم يذكر اسم إبراهيم و محمد، و الذين أنعم

---

[97] في ن م بزيادة "بسم الله" قبل كلمتان

[98] لينظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1420هـ) 1: 368.

الله عليهم كلهم داخلون في هذا الدعاء. نسأل طريقتهم، و هم موجودون في كل أمة و كل جماعة. هذا غاية الإنصاف في اجتماع الأمم، لا يوجد مثله في دين موسى و لا عيسى و لا في أديان الصابئة.

هذا البحث صار كالتتمة لعدم احترام مكة حين كانت بأيدي الظالمين. فنحترم هذا المسجد لأنه منبع الإنصاف. أما إذا طرأ عليه الظلم فنفر منها. فالشخصيات التي قررتها جماعات المسلمين هذا عرب، هذا قريش، هذا هاشمي، إذا كانوا ظالمين فلا قيمة لهم. فالدعوة القرآنية هي حقيقة الإسلام لا ما جعلناه من تشخصات.

الكلية الثانية: أنا بحمد الله مطمئن منذ عقلت بتلك الكلمة أن القرآن فتح لنا باب ارتقاء إلى أعلى مقام في الإنسانية لاجتماعية، و لا يصدنا عنه شئ. و هذا ما وجدته في قلبي، ما رأيت في قلوب إخواني هم تعلفوا بالعلوم التي أخذوها من مشائخهم، فإذا رأوا طريقا للارتقاء مع ملاحظة ما أخذوه عن المشائخ، و رعاية يكون في قلوبهم النشاط إلى الارتقاء. و أما إذا رأوا أن ما أخذوه عن المشائخ لا نقدر مع رعايتهما على التقدم يجلسون، و ينظرون، يتفكرون، يراجعون ما عندهم من علم العلماء السابقين. هل يجدون كلمة تفتح بهم الباب، فإذا وجدوها قاموا، و رأيتهم ناكصين في موضعين:

الأول اعتمادهم في ما أخذوا من مشائخهم على الفقهاء؛ منهم خالصة و أنا أجعل الفقهاء في الطبيقة الثانية. و أصل اعتمادي على الحكماء منهم، فأجد الطريق مفتوحا في كثير من الصور سدها الفقهاء، و هذا كله بركة من الله جاءتنى من ارجاع شيخنا شيخ الهند[99] فكري إلى **حجة الله البالغة**.

و الأمر الثاني الذي بحمد الله أني أجرأ من أصحابي الذين أخذوا عن شيخنا شيخ الهند و عن الشيخ رشيد احمد[100]، هو مجتهد في الفقه الحنفي، أرى نفسي كل ما تثبت بغيره أبي حنفي، ما خرجت

---

[99] الشيخ محمود حسن بن ذو الفقار علي الديوبندي، أعلم العلماء في العلوم النافعة، وأحسن المتأخرين ملكة في الفقه وأصوله، وأعرفهم بنصوصه وقواعده. ولد سنة 1268 ه في بريلي ونشأ بديوبند، و كان زعيم الحركة الرسائل الحريرية، و احتسب الانكليز في مالطة لمدة ثلاث سنوات و شهرين، و توفي سنة 1339 ه. ولينظر: الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر**، 7: 1377-1379.

[100] هو الشيخ رشيد أحمد بن الشيخ هدايت أحمد الكنكوهي ولد سنة 1242ه ببلدة "كنكوه"من مديرية سهارنفور . تلقى العلوم الابتدائية في قريته ثم هاجر إلى دهلي وكان من شيوخه الشيخ محمد بخش رامبوري.والشيخ مملوك علي ، والشيخ المفتي صدر الدين كان من قادة حركة تحرير الوطن ضد الاستعمار البريطاني ، وكان من أجل خلفاء الشيخ إمداد

عنهم، و إن اتبعت طريقة الحكماء أو اجتهدت بنفسي هؤلاء أصحابي. و أنا من بينهم نشيط في العمل بكل صورة تؤدينا إلى النتيجة، إلى الاستمساك بالانقلاب الذي دعانا إليه القرآن العظيم. هذا أخذت من قول الله، و هو مكرر في السور "**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (**115**)" رأيت إخواني و أصحابي تمسكوا النصف الأول من هذه الآية، هم حرموا الأمور الأربعة، بعد تحقيقات علمية في ما أهل لغير الله به، و تثبتوا على ذلك حتى صاروا بحمد الله في الهند كنار على علم.[101] و أما نصفها الآخر ففي نفسي هو مختص بالانقلابي.

الرجل الارتقائي لا يضطر إلى ترك هذه المحرمات بل يترك الأمر الذي يؤدي إلى الترك. أما الانقلابي فلا يقدر على ترك ذلك الأمر إلا و يقتل أو يذهب جميع محنه هواء و هباء. هو يضطر إلى ترك هذه المحرمات. أنا منذ دخلت في الانقلاب بعد فهمه تاما انشرح صدري في تفسير نصف هذه الأية المكررة في سور الداخلة في أساس النظام الملى القومي، و كذلك في نظام جامعة الملل. ففهمت معنى تاسيس تلك القاعدة. أنا بحمد الله مطمئن أننا نقدر على تنفيذ الانقلاب القرآني في العالم كله، و كلما جاءتنا مانعة عن تنفيذه من أي نوع كان نجعل الجسر فوقه و نمر عليه.

فأنا إذا رأيت أن قاعدة قررها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، و رأيته مانعا عن تنفيذ الانقلاب القرآني، فأنا أتركها، و أراعي في ذلك، و لا أريد البغاوة عليه، و لا أتركها إلا بقدر الضرورة في الانقلاب. لا يمنعني في ذلك مانع، فلا أجد عائقا من تنفيذ نظام القرآن على الدنيا. إذا كنت أنا في ذلك الأمر منفردا، أجتهد برأي، و إذا اجتمع رفقاء الانقلابيون استشيرهم، و نتبع ما تقرر عليه قرارنا. و أما غير الانقلابي فلا نسمع منه شيئا. أمير المؤمنين أبوبكر كان يساوي في الأعطية، لا يفرق بين كبير و صغير بل يعطي على قدر حاجة، فإن[102] رجل كبير منفردا مثلا بلال فيعطيه حظ رجل واحد. و إذا كان رجل

الله المهاجر ،ومن تلامذته الشيخ محمود حسن "شيخ الهند" ، والشيخ خليل أحمد السهارنفوري والشيخ حسين أحمد المدني.وتوفي سنة 1323هـ من مؤلفاته: **فتاوي رشيدية،** لينظر: أكبر شاه البخاري، **أكابر علماء ديوبند،** 41-44. ولينظر: الشيخ محبوب الرضوي، **تاريخ دار العلوم ديوبند،** 1: 126-130.

[101] معناه: صاروا مشهورين معروفين للجميع. وقد أخذ الشيخ هذا من إحدى قصائد الخنساء التي رثت فيها أخاها صخر، حيث قالت: "وإن صخرا لتأتم الهداة به.. كأنه علم في رأسه نار" والمراد بـ "العلم" الجبل.

[102] في ن م "إن كان" بزيادة "كان".

دون بلال بمدارج ذو عيال، له عشرة من النفوس يعطيه عشرة أمثال بلال. هذه المساواة كانت مرعية عنده في خلافة. و هذا كان عمل النبي عليه السلام.

فالآن الاجتماع الإسلامي كله ارتسخ على تفريق المدارج في المعيشة حسب فضائلهم الذي أسسه عمر بن الخطاب، و مضى عليه المسلمون فوق ألف سنة فهذه الاجتماعية المستمرة. الاجتماعية إذا وجدتها عقبة في طريق تنفيذ نظام القرآن أردها و آخذ بسيرة الصديق. و لا يمنعني من ذلك مانع، فإني في حكم المضطر. هكذا أمير المؤمنين الفاروق جعل الأراضي المفتوحة موقوفة على المؤمنين، ثم جاء الخلفاء و ملوك و قسموها و امتلكوها. و دون الفقهاء على ذلك قواعد الفقه، و اتفقوا عليها منذ ألف سنة. مثلا: إذا رأيت عمل أمير المؤمنين يفتح باب تنفيذ الانقلاب و عمل المتأخرين يصدني عنه، و يسد الأبواب فأنا أرد اجتماع جميع الفقهاء و الملوك و السلاطين و العامة الذين اجتمعوا على خلاف الفاورق. فإني مضطر، نحن نجتهد على هذا الطريق في تنفيذ انقلاب القرآن. فإن العصر الحاضر روحه يوافقنا فإن لم يمتنع الناس عن مخالفتنا نقتلهم، لأنهم يمنعون الانقلاب، و نثبت الحجة عليهم، إنهم يمنعون الانقلاب. هذا القتل حرام في الاختلافات الاجتهادية. أما نحن نتركه لأننا مضطرون. هذه الآية نصفها لا يفهمه كل من لم يكن انقلابيا، و هذا الباب لم يفتح لنا إلا باتصالنا بحكمة الامام ولي الله، و تفقهنا على طريقة مشائخنا، و نحن جازمون إذا قدرنا على إيضاح هذا الطريق لإخواننا و أصحابنا، فالكل يتفق معنا إلا من ترك طريق مشائخنا في الجهاد.

سورة الإسراء

بسم الله الرحمان الرحيم

قد فرغنا من فهم أساس الانقلاب في الإسلام من سورة النحل. القرآن في العمليات لا في النظريات، فإنها تابعة لإبراهيم الخليل. أما في العمليات فما قام من أولاد إبراهيم نبي بالانقلاب مثل موسى، فسنة انقلاب البيئة من أتباع موسى. القرآن تتمة للتوراة بتكميل ما فاته، والجري على طريفها في ما أقامه. و القرآن تكملة للأناجيل في توسيع النظام الإسرائيلي إلى غير الإسرائيليين الذي هو أساس تعاليم المسيح. و عانده على ذلك يهود وقته، و قام تكميل مقصده الحواريون من أصحابه بالدعوة بالحكمة و الموعظة الحسنة إلى ان دخل القياصرة في النصرانية، مثل قيصر روما الشرقية بعد ثلاث مأة سنين. فتقوى الدعوة التي أقامها الحواريون و الرهبان، و هذه الدعوة ما عمت كما ينبغي، فأكملها القرآن تعميمها. والنصارى في أصل ملتهم ليسوا إلا شيعة من أتباع التوراة. فالتوراة هي الكتاب؛ فيها أصول مقررة، عمل بها الأنبياء في مختلف الأعصار، و نتائج أعمالهم منضمة إلى توراة موسى. هذا كتاب مقدس إلهي ليس لملة أخرى مجموعة أحكام إلهية مثلها.

أنا في تحقيقاتي الشخصية قائل بأن ديانة البراهمة في الهند تساوي دعوة موسى، و ديانة السمنية تساوي دعوة عيسى. و أنا مقتنع، مطمئن بهذا التحقيق. ثم رأيت رجلا من سياسي الهند الذي يفضل الهند و ديانتها بمثل ما يفضل الرجل قومه. جاء يوم ولادة المسيح الذي يستبشر بها النصارى بعيد الميلاد، فأرسل إليّ رقعته للتبشير و رآني في ما استبشرت به، فتكلم معي، و قال المسيح الكبير في الإنسانية غير منهج الإنسانية إلى نحو المحبة و الوداد، فالاستبشار بولادته حق على كل إنسان. ثم ذكر أن جميع تعاليم المسيح أو أكثرها أنا وجدتها في تعاليم كرشنا، و أنا بالطبع أفضل من كرشنا، لكن الإنصاف أن بني إسرائيل عندهم تاريخ ديانتهم محفوظة، و سيرة أنبيائهم واضحة، لكن الهند مع كونها معدن رجال و ديانات عظيمة، ليس لها تاريخ، وكذلك سيرة أكابرها محفوفة بالخرافات. من هذه الحيثية يقول هذا الرجل أنا أكرم المسيح، و موسى أكثر من تكريمي أكابر الهند.

فلما فرغنا منه حصل في دماغنا ثبوت على ما كنت أريد إثباته، إني كنت قائلا هكذا: أن القرآن تكلم على اليهودية بالتفصيل، فكان كلامه على ديانات البراهمة حاصلا في ضمنه، و كذلك القرآن تعرض

لديانة المسيح كثيرا، فكان ذلك عندي كالحكم بودوية السمنية، فالقرآن حاكم على الديانات الأربع: اليهودية و البرهمية و البوذية و السمنية و النصرانية، و إذا ضممنا إليهم المجوس (ومعروا حقهم) من حكماء الإيران فيكون أن القرآن قد تعرض لجميع ديانات العالم، و نظم لهم برنامجا جامعة الأمم و أكمله، فلا شئ أعلى منه للإنسانية. لكني كنت أنا في جميع تخيلاتي محتاجا إلى إبداء وجه تقديم اليهودية و النصرانية على سائر الأديان. و كنت مكتفيا بأن النبي إبراهيمي نسبا، فمعرفته بديانة الحنفاء أقوى، لذلك انتخب الله للكلام في الديانة التوراة و الأناجيل و المجوس. هذا كان عندي كافيا في نظر المنصف لكن رفيقنا لما تكلم بذلك الكلام الذي حكيناه لكم وجدنا وجها آخر قويا في ترجيح التوراة و الإنجيل في الكلام عليهما في القرآن؛ و هي أنه أثبت تصانيف و أقومها في الديانات و تاريخها، فسهل لنا بالانشراح أن نقول أن القرآن تكملة للتوراة. فنحن نعترف بحسن سياق المصحف.

لما فرغنا من فهم نظريات الانقلاب، و كنا محتاجين إلى تنظيم عملياته، رأينا بعد سورة النحل سورة الإسراء سورة التوراة، و في اعتبارنا و فهمنا سورة الكهف حكاية عن ديانة الصابئة، فانتظم الأمر عندنا و لله الحمد.

"سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)" نحن نتبع حكمة ولي الله، و تركنا اتباع الحكماء في الإسلام الذين اتخذوا أرسطو إماما لهم، و تركنا اتباع طائفة من حكماء الإسلام يسميهم[103] الناس بالصوفية، لأن نظرهم في الاجتماعيات الإنسانية و الديانات الخارجة عن الإسلام قاصر ضعيف، غاية جهدهم تنظم طائفة من المتصوفين الذين يحبون الناحية من نواحي دار الإسلام، موافقا لفطرة تلك الناحية، هؤلاء عندنا نجوم الإسلام، و كان لهم في إشاعة الإسلام منة عظمى على المسلمين، فلا نتركهم، لأننا نخالفهم، بل لأنهم لا يبحثون عما نبحث عنه، فما وجدنا من حكماء الإسلام من يكفي حاجاتنا سوى ولي الله. الآن نشرح هذه الآية على طريق حكمة فقط، معرضا عن جميع الاختلاف التي يذكرها المفسرون و الشارحون للأحاديث.

[103] في ن م "يسموهم"

الإنسان عندنا مركب من جزئين: 1- بدن حيواني، 2- نفس ناطقة، أو نسميها البهيمية و الملكية. مراتبهما و طرق اجتماعهما[104] و ما يكون من أعلاها مخصوصا بالأنبياء، و من قاربهم الحكماء، مفصل في تصانيف الإمام، و كتاب **العبقات** يرشد إلى ما يحتاج إليه المبتدي.[105] فعندنا في الحكمة: الوجود الجسماني و الوجود الملكوتي متشابهان، يمكن أن يتجرد الوجود الملكوتي عن الوجود الجسماني، و يراه الناس، فلا يفرقون بين الوجودين بل يحكمون بأنهم رأوا الوجود الجسماني. طائفة من الكمل يسمون بلأفراد في جهة حيوانيتهم و ماديتهم، تكون الغلبة لا لأصل العناصر، أعني الماء المخلوق مع العرش أولا بل للأصل ذلك الأصل. فهذا أصل أصل المادة اللطيف كالروح. و هذا يكون غالبا في مادة حيوانية ذلك الإنسان، فحيوانيتهم فإذا صارت متجردة عن الأكدار بترك الكلام، الطعام و الشراب و الكلام مدة تصير قريبا من الروحانية، فلنفرض أن روحانية نبينا تجسدت بصورته، فكانت مثل صورة النبي في الأجسام، و الحيوانية التي معه في الملكوتية هي تجسدت بصورة البراق، فكما أن الملكية قائمة على الحيوانية راكب عليها، كذلك ظهرت في صورة تجسد روحانية نبينا عليه السلام. الملكوتية الملكية أخذت صورة جسده و الحيوانية أخذت صورة مركبة، فكان ملكا من الملائكة فسار كبر الملائكة و جسده العنصري يكون قائما في بيته؛ لم يصاحبه في طول هذا الإسراء، فيعبر عن تلك الواقعة الروحانية بالرؤيا.

من أراد تحصيل هذه المسألة فليشتغل بحكمتنا، و هي لا تأخذ من عمر الرجل إلا نحو سنة أو سنتين، فإذا أراد رجل أن لا يحصل الحكمة و يبحث في هذه المسألة بتقليد رجل فقيه أو متكلم أو حكيم فلا نجوز الكلام معه. و هذه المسألة في **حجة الله البالغة** مذكورة،[106] و لم يفهمها من لم يشتغل بحكمة الإمام. خصوصا السيد أحمد خان[107] تكلم في تفسيره، فأجاب عن أقوال الفقهاء و المتكلمين الذين

---

[104] في ن م "مراتب الملكية و البهيمية و طرق اجتماعها"

[105] لينظر: الشاه اسماعيل، **العبقات**، باب الإشارة الإجمالية إلى كمال مراتب النفس، 161-167.

[106] لينظر: ولي الله، **حجة الله البالغة**، باب الإبداع و الخلق و التدبير، و باب حقيقة الروح، 1: 41-43، 51-53.

[107] الرجل الكبير الشهير أحمد بن المتقي بن الهادي بن عماد بن برهان الحسيني التقوي الدهلوي. كان من مشاهير الشرق، وكان مولده في خامس ذي الحجة سنة 1232هـ بدهلي، مؤسس جامعة عليكرة، صاحب مصنفات كثيرة، و من أهم كتبه: **تفسير القرآن**، **الخطبات الأحمدية**، و من أشهر تلاميذه: مولوي جراغ علي، ألطاف حسين حالى، عبد الحليم شرر، وقار الملك، مولوي نذير أحمد الدهلوي، و توفي سنه 1315 هـ. و لينظر: الحسني ، عبد الحي، **نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر**، 8: 1175-1177.

يخالفون مسلكه، ثم ذكر قول الإمام و قال: إني لست أفهم، وكذلك صاحبنا الشيخ الشبلي[108] تكلم في هذه المسألة، و أظهر العجز عن فهم كلام الإمام، لكن مع نوع من الطعن خلاف السيد أحمد، و ذلك راجع إلى أصل ذهنيتهم. في الهند انتظمت للعلوم الشرعية المركزان: المركز الأول دهلي، و الثاني لكهنو. الإمام ولي الله أمام الدهلويين و السيد أحمد منهم، فيتأدب مع الإمام غاية التأدب، هو يطعن الغزالي[109] و أمثاله من الأكابر لكن مع الإمام ولي الله إذا فهم كلامه يرجحه على كل الناس، و إذا لم يفهم اعترف بعجزه مع الأدب. و أما الشبلي فأهله من اللكهنوية و متبع السيد أحمد في مدرسة عليكرة، فهو يقدم الإمام، و يعترف بفضله على ابن رشد[110]، على ابن تيمية،[111] لكن مع ذلك لا يتأدب معه مثل الدهلويين.

"**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىَ**..." رأينا طائفة من أغبياء المتكلمين يستدلون بكلمة عبده على تجسده العنصري، كأنه إذا رأى الناس ماتوا و تركوا أجسادهم على الأرض لا يطلق عليهم عباد الله، فالشهداء و

[108] الشيخ شبلي بن حبيب الله البندولي فريد هذا الزمان المتفق على جلالته في العلم. ولد سنة 1274هـ بقرية بندول من أعمال أعظمكده، وحصلت له شهرة عظيمة في بلاد الهند، وكان واسع الاطلاع في تاريخ الاسلام والتمدن الاسلامي، وكان معتزلياً في الأصول، شديد النكير على الأشاعرة، من أهم مصنفاته: **علم الكلام و الكلام، المجلد الأول من السيرة النبوية، سيرة الغزالي، سيرة المامون، سيرة سيدنا عمر الفاروق**، مات سنة 1332هـ. و لينظر: الحسني، عبد العلي، **نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر** (لبنان، بيروت، دار ابن حزم) 8: 1241-42.

[109] محمد بن محمد بن محمد الغَزَالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتى مصنف. مولده سنة 450 هـ، ووفاته سنة 505هـ في الطابران (قصبة طوس، بخراسان). نسبته إلى صناعة الغزل أو إلى غَزَالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. من كتبه: إحياء علوم الدين في أربع مجلدات، و تهافت الفلاسفة، و الاقتصاد في الاعتقاد، الفرق بين الصالح وغير الصالح، و المنقذ من الضلال. لينظر: الزركلي، **الأعلام**، 7: 22-23.

[110] محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي، أبو الوليد: الفيلسوف، من أهل القرطبة، يسميه الإفرنج [Averroes] عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية، وزاد عليه زيادات كثيرة. وصنف نحو خمسين كتابا، منها: **فلسفة ابن رشد، بداية المجتهد في نهاية المقتصد، تهافة التهافت**، و غير ذلك، واتهمه خصومه بالزندقة والإلحاد، و توفي في عام 595 هـ. و لينظر: الزركلي، **الأعلام**،5: 318-19.

[111] أحمد بن عبد الحليم، تقي الدين ابن تيمية، شيخ الإسلام، ولد في حران سنة 661هـ، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. صاحب التواليف الكثيرة، من أهمها: **الجوامع، الفتاوى، الجمع بين النقل و العقل، الصارم المسلول على شاتم الرسول، مجموعة الرسائل و المسائل** و غيرها. و توفي سنة 728هـ. و لينظر: الزركلي، **الأعلام**، 1: 144-145.

الأنبياء يدخلون الجنة و حظيرة القدس[112] بعد موتهم، و في جميع ذلك الجسد العنصري لا بصاحبهم، فهل يجزئ ذلك الغبي أن يخرجهم من عباد الله. الرجل الواحد يكون مالكا لصفات مختلفة؛ طبيب و قاضي، فإذا قضى يقضي بفقهه، لا دخل فيه لطبه. و إذا داوى مريضا، فيه دخل لطبه لا لفقه. فالرجل إذا كان مشتملا على الملكية و الجسمية فحكمنا عليه أنه عامل معاملة روحانية، فذلك يكون من حيث روحه لا جسمانيته. و إذا عامل معاملة جسمانية مثل الأكل و الشرب فذلك على حسب جسمانية، لا دخل فيه لروحانية. فإذا كان معاملة الإسراء معاملة روحانية في قدر قليل من الليل، يذهب الرجل إلى المسجد الأقصى ثم يأتي راجعا فتلك معاملة روحانية، لا نجعل فيه قاضيا رجلا لا يفرق بين الجسم و الروح، هم أغبياء في فهم الأمور الروحانية.

الملائكة يأتون إلى النبي و يتجسدون بأجساد بشرية، هؤلاء الأغبياء يحكمون عليهم بأنهم صاروا أجساما. أفلا يرون الروايات أن النبي سرى هذا الإسراء و كان معه ملائكة.[113]

قوله: "**لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا**" أرواح الأنبياء و التجليات التي نزلت على أحجارهم البحوت- على اصطلاح حكمة الإمام ولي الله- فليس المراد من الآيات إلا الأنبياء و التجليات فقط. المسجد الأقصى عندنا هو مسجد إبراهيم مثل مسجد مكة، و بين بنائهما أربعون سنة. هذا المسجد الحرام مسجد إسماعيل، و المسجد الأقصى مسجد إسحق. والنبي يتبع طريقة موسى عليه السلام في تنظيم الانقلاب، فنقل إلى المسجد الأقصى ليرى أرواح جميع أنبياء بني إسرائيل، و يفهم ما يريد موسى من إقامة دينه، و الأنبياء من غير بني إسرائيل إن كان حضروا فكانوا أتباعا لأنبياء بني إسرائيل. كان هذا اجتماعهم على

---

[112] إن مسألة حظيرة القدس لها موضع خاص في فكرة الشاه ولي الله الدهلوي. إن نزول جميع الفيوض الإلهية لصالح الإنسان يكون بواسطة حظيرة القدس، وهي منبع جميع الأمور المهمة (مثل بعثة الأنبياء وقيام الملل وغير ذلك.) والمقام الروحاني الذي تجتمع فيه الملائكة المقربون وأرواح الكاملين، فنتيجة لذلك تنشأ نورانية عظيمة تكون بمثابة حلقة للروح مثل حلقة القمر، ومجموع كلها يسمى بحظيرة القدس، ولها أسماء أخرى مثل الملأ الأعلى والرفيق الأعلى والندي الأعلى، وهذا الروح هو ما نسميه الإنسان الأكبر أو إمام النوع الإنساني. ومنبع جميع الأرواح الإنسانية روح واحد، وهذا الروح الأعظم في صورة الإنسان، وكذلك هناك إمام على حدة لجميع أنواع الحيوان. (لينظر: جلباني، **شاه ولى الله كى تعليم،** 325 وما بعد.)

[113] في ن م بزيادة "نحن في أصولنا لا نتبع في ذلك إلا كلام الحكيم الإمام ولي الله الدهلوي و نحن بحمد الله قادرون على رد جميع من خالفه، فإن لم يقبل الناس من معنا عليهم، فنحن لسنا مجبورين على تقليدهم و اتباعهم."

وجه الأرض. ففي هذا معرفة لنسبتهم في حالة النزول، ثم رفع النبي عليه السلام إلى السموات و جاء ذكره في سورة النجم، فرأى الأنبياء، نسبتهم في حالة العلو، و رأى مع ذلك من آيات ربه الكبرى. هذا على طريقة حكمة الإمام ولي الله.[114]

"**الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**" المراد من البركات هي البركات المادية، و هي مبنى الارتقاء في التمدن. المسجد الأقصى؛ في غربه مصر، و في شماله سوريا، في شرقه العراق، و هو واقع في قطعة صالحة للزراعة، قريبة من البحر، هي جامعة للبركات البحرية و البرية، و قريب من مقام الاتصال بين القطعات الأرض الكبير: الشرق آسيا، والغرب أفريقا، والشمال الغرب أوروبا، وشمال الشرق سيبري، االتفريق بينهما مصنوعة. هذا الخط من الجبال الذي يبتدي من الصين و يجري[115] على شمال الهند، والإيران و القافقاسيا ثم بألمان، ثم إيتاليا، هذا الخط كالفاصل بين الشمال و الجنوب. فالأمم الشمالية من سلسلة تلك الجبال سواء كانت في أوروبا أو في آسيا متقاربة، والأمم الجنوبية من تلك السلسلة من الصين إلى الأندلس و مراكش متقاربة. هذا المسجد واقع على قرب الاتصال، و واقع بين الشرق و الغرب في الوسط، فالبركات الطبيعة حولها مجتمعة. فقام أبو الملل الحنيفية، يعنى الصورة المتجددة على الإنسانية، هو قام منها، ثم هذا المسجد الحرام نسبة المصلح للفاسد. التمدن في طبيعتها في آخر ارتقائها تفسخ[116] إصلاحه، إنما يكون من أقوام مقيمة في البراري و الجبال و الصحاري، واصلة إلى التمدن المتوسط فقط، الوصول إلى نهاية التمدن لايمكن في تلك البلاد أبدا. فالأقوام المنتشرة في الصحاري الذين هم ما قطعوا الدرجة الابتدائية للتمدن غلبتهم على المتمدنين، تفضي إلى الحرب و الإفساد، و هذا يكون ذريعة لتهذيب الأقوام. تهذيب الأقوام المتمدنة هو تخريب تمدنهم إما بانقلابات الفطرة مثل الزلازل، الطوفان المائي أو الهوائي، أو مثل خروج النار من الجبال، أو بطريق تغليب الأقوام الوحشية عليهم، فالتهذيب بالقوى الفطرية أو الإنسانية في صورة التخريب سواء في النتيجة، فإن كان التهذيب بيد الإنسان أخف في الجملة.

[114] في ن م بزيادة " معناه تجليا أعظم، و الله أعلم بأسرار كنا به، أو لم نتخذ طريقة الإمام ولي الله إماما لنا، هل لنا نقتدر على حل هذه الآيات مثل هذا الحل؟ لا! فنحن نتبعه في المعرفة و في الانقلاب. و الله لموفق."

[115] في ن م "يمر" دون "يجري"

[116] في ن م "تنسخ"

أما الإصلاح للتمدن الفاسد فلا يتأتى إلا من قوم متمدن، انتهاء تمدنهم لايزيد على الدرجة الوسطى لعدم أسباب التمدن في بلادهم بالفطرة. فإبراهيم عليه السلام قدر في نفسه بإلهام من الله أن يجعل إسماعيل ساكنا في برية، و يكون في أولاده التمدن المتوسط فقط، هم يصيرون سبب إصلاح فساد في التمدن المرتكز على المسجد الأقصى. صرح الإمام ولي الله بأن التمدن في الحجاز كان على الدرجة المتوسطة مثل التمدن في القصبات الكبيرة في أيامه بالهند، و مرجع هذا التمدن في الحجاز كان هو قريش بمكة، واليهود في المدينة، و هم فروع من أصل متمدن، ففطرتهم ليست وحشية، يقدرون على هدم التمدن الفاسد و بناء التمدن الصالح. و قد غلط و تخبط من جعل المادة الأولية للإسلام أعراب الصحاري، و هو يريد أن يثبت أن الإسلام من خوارق الفطرة. والحكمة لا تثبت الخوارق إلا بالنظر الظاهر. هذا الرجل كأنه يريد أن يخلع الإسلام عن الحكمة. وهؤلاء المتخبطون هم غلبوا على المعلمين الدينية لأسباب: السبب القريب غلبة الأشاعرة، و السبب البعيد إرضاء الأعراب المقاتلين للخلفاء بأنهم هم الإسلام.

وكذلك تخبط ابن خلدون إذا ثبت أن طبيعة العرب صالحة للإفساد و الهدم لا للتعمير، و جعلهم مادة للإسلام. فالإسلام الذي كان في دور العرب كأنه غير متمدن، فلما دخل الفرس و الروم و قبضوا على أزمة الإسلام صار متمدنا. و هو أساس الدعوة. دعوة جرجي زيدان و غوستاف لوبون[117] و هؤلاء يجعلون العرب في الأصل غير صالح للتمدن، إنما جاء التمدن فيهم بواسطة الروم و الفرس. فالعرب دائما مانعون عن تقدم التمدن، فإن أرادت الإنسانية تقديم التمدن فلتجتمع على تخليص الإنسانية من أسر دين العرب. و كل هذا مبني على إعراب الصحراء، إن مادته أعراب الصحارى الذين لا يعرفون إلا التخريب، و هم عذاب للتمدن. و ليس كذلك مادة الإسلام، ليس إلا أولاد إبراهيم الذين سكنوا في البادية، و لهم اتصال بالأقوام المتمدنة، و ممالك المدينة، و هم صالحون لإصلاح التمدن الفاسد الغالي الواصل لاستعباد العوام في أيدي الأشراف و الرأسماليين. فلما أراد الله أن يصلح العالم الفاسد الغالب عليه الإمبراطوريا؛ بعث نبيا من أولاد إبراهيم، الساكنين في المسجد الحرام، فأراد أن يجعل لهذا النبي الإطلاع

---

[117] المستشرق الفرنسي، يعد الطبيب و المؤرخ، ولد بفرنسا بعام 1841، عُرف بأنه أحد أشهر فلاسفة الغرب الذين أنصفوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية، فلم يَسِر على نهج مؤرخي أوروبا الذين صار من تقاليدهم إنكار فضل الإسلام على العالم الغربي. و من آثاره: **حضارة العرب، الحضارةالمصرية، حضارة العرب في الأندلس، سر تقدم الأمم**. توفي في ولاية مارنيه لاكوكيه، بفرنسا ١٩٣١م. ولينظر: موقعه على الانترنت: https://www.hindawi.org/contributors/41830681/

التام على منابع التمدن الصالح، و اتفاقها فيما بينها. الفساد هو الذي جعل المتمدن معارضا للتمدن، و التمدن الصالح، و إن اختلفت صوره يكون مقصده و معناه واحدا. فبسط في روحانية نبيه، و أمده بقوة الملائكة، فانبسط هو، فكان ليلة مقررة اجتمعت فيها أنبياء الأرواح في المسجد الأقصى مسجد إبراهيم، الأنبياء قبل إبراهيم و بعده، لأنه إمام الفطرة فأسرى الله بعيدة في وقت قليل من الليل، وصله إلى ذلك الاجتماع، فرآهم و اشترك معهم في الصلوة و تقدم إماما لهم.

جملة معترضة: الجماعة و الإمامة في الصلوة يكون في الروحانية نسبتها نسبة الدائرة، الجماعة كالمحيط، و الإمام في المركز، و في المسجد الحرام لا يقوم الجماعة إلا بهذه الصورة، و إن كانوا يخطئون في تسوية صورة الدائرة.[118] و الدائرة لها طبيعة مقررة، من مركزها تخرج خطوط، تقع على كل نقطة من نقاط المحيط، و تخرج من جميع النقاط إلى المحيط خطوط تجتمع إلى المركز، فلما توسط الإمام في الجماعة يخرج من قلبه نور إلى قلب كل رجل في الجماعة، و يخرج من قلب كل رجل في الجماعة نور يعود إلى المركز، و لهذا المعنى و بناء على هذه المعرفة حكم بعض فقهاء الإسلام أن صلوة الإمام و صلوة المقتدي صلوة واحدة، فإذا أفسدت صلوة الإمام فسدت صلوة كل الجماعة عند هذا الفقيه. و بناء على تلك المعرفة صحح هؤلاء الفقهاء رواية كفاية فاتحة الإمام للجماعة المقتدية. و لمولانا محمد قاسم[119] رسالة في حل هذه المسألة، أن قراءة الإمام تكفي للمقتدي متبنيا على تلك المعرفة. تمت الجملة.

فلما تقدم لنبي إماما للأنبياء تراجع أنوار كل نبي إلى قلب نبينا، و عكس ذلك رجع نور نبينا على قلوبهم، فعرف كل منهم مقام الآخر بسهولة، و استقر في قلب النبي الروح الجامعة لجميع التمدنات الصالحة في العالم، ليكون أساسا لجامعة الأمم التي يكملها النبي. هذا كان شرحا لنسبة الأنبياء يعنى تعلق قلوبهم و لطيفة الإنسانية منهم بالتجلي القائم في أحجارهم البحتة، فعرف النبي تلك النسبة نسبة الأنبياء في حال نزولهم، يعنى في حال تعليمهم لأممهم، ثم حصل للنبي عروج. و لما كان نوعية المشاهدات في السموات غير نوعية المشاهدة في الأرض فصلها الله في سورة أخرى. و في حالة العروج رأي النبي كل نبي

---

[118] في ن م "لايقدم الجماعة بهذه الصورة، و إلا كانوا يخطؤن في سوية صورة الدائرة".

[119] محمد قاسم بن أسد علي النانوتوي، كان أحد العلماء الربانيين، ولد بنانوته سنة 1248 هوله مشاهد عظيمة في المباحثة بالنصارى والآرية، أشهرها المباحث التي وقعت ببلدة شاهجهانبورسنة 1293 و 94 هـ فناظر أحبار النصارى وعلماء الهنادك غير مرة، فغلبهم وأقامالحجة وظهر فضله في المناظرة. له تصانيف في مجال شتى. توفي سنة 1297 هـ بديوبند. لينظر: الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**، 7: 1068.

في مقامه من حظيرة القدس، و تعلق قلب كل نبي بالتجلي القائم في وسط حظيرة القدس، هذا علو نسبة الأنبياء؛ يعني كيف يأخذون الفيض من التجلي الأعظم، و ارتكز تلك المعارف من جميع الأنبياء في قلب النبي مثل ارتكازها في وقت إمامته لهم، فصارت النسبة الجامعة للأنبياء في حال النزول و حال العلو المملكة مرتكزة في قلب النبي. و من تأثر هذا الارتكاز "**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**"[120]، و استقر توجهه إلى الآيات الكبرى في حظيرة القدس؛ و هو التجلي الأعظم المستقر، فيها رؤية التجلي تكون على وجهين: 1- يكون التوجه فيها إلى نفس هذا التجلي، 2- و يكون التوجه إلى المتجلي لا التجلي. و هذا التجلي يكون مثل الزجاجة على عين الرائ الذي لا يلتفت إلى زجاجة أصلا. حصل هذا المقام للنبي و أشار إليه في "**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**". هذا أعظم معرفة للرب يمكن للإنسان، و هو مستجمع لكل أحكام النوع الإنساني و كل خواصه، فالنبي يدعو إلى جامعة الأمم يبينها و يكملها. كله على البصيرة التي حصلت له في حظيرة القدس. و هذا الاجتماع في المسجد الأقصى كان ذريعة لعروجه إلى حظيرة القدس، و إن لم يمكن لذلك الاجتماع حكمة أخرى إلا هذه الحكمة. أن الأنبياء كلهم يجتمعون ليكونوا واسطة في تكميل استعداد خاتم الأنبياء لكل ما هم بداؤه كفت. هذا الاجتماع لم يكن يصلح إلا في المسجد الأقصى، و ليس المراد من المسجد الأقصى في تلك الحالة إلا السطح المستوى من الأرض في طبقة مثالية محاذية متصلة مع تلك الطبقة الأرضية التي كانت عليها مساجد الأنبياء و مقابرهم، و محل اعتكافهم. و أما هذا أسطح الأرض فليس بمراد عندنا. لذلك لما سألوا النبي صلى الله عليه و سلم عن علامات و أبنية في ذلك المقام ضاق صدره، فأراه الله تلك العمارة، فأجاب عنها، و تلك العمارة لم تكن إلا صومعة للنصارى.

ثم رأى النبي على السموات السدرة المنتهى، و هي تمثل لجميع الارتقاءات الإنسانية. فكان كل تمدن و كل نبوة و كل معرفة للعارفين كغصن من السدرة الإنسانية. و رأي على السدرة فراشا من ذهب؛ هم الملائكة مظاهر التجليات الخاصة، فالنبي في تلك الليلة أحاط بجميع ما يحتاج إليه في تكميل هذه الدرجة للعالم، و كل ذلك كان في وقت قليل من الليل، والله لا يمنعه مانع إذا أراد شيئا.

قوله: "**وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا** (2)"

مثل ذلك المعراج حصل لموسى على الطور لما آتاه الله الكتاب. فإذا لم يعرف الأنبياء حقيقة الأمر الذي يدعون إليه كيف يقدمون بمخالفة كثير من الجاهلين. فلو اجتمع كل الناس على أن يزلوا و يضلوا النبي

[120] النجم: 17

عن دعوته لا يضل و لا يزل، لأنه قد رأى حقيقة الأمر. فالأمور الاجتماعية باجتماع همم أهل العقول المتوسطة تكون نوعيتها غير النوعية التي تحصل للأمور الاجتماعية إذا كان إمامهم نبي من الأنبياء. فالطائفة الأولى لا ترى إلا ظاهرا من الحياة الدنيا، والأنبياء جامعون بين الظواهر و البواطن، و في وقت الاختلاف يقدمون الباطن لأنه أبقى. بذلك انتظم المقابلة بين المتمدنين، بين الاجتماعيات، و انتظمت الملل و النحل.

"**هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**" كان ذلك مشروطا "**أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا**" لا يتكفل لارتقائهم إلا هذا الكتاب، و لا يقدمون عليه شيئا، و لا يجعلون شيئا مساوية شريكا له. أما الحكمة و الهمة من العقول المتوسطة يجعلونه تابعا لكتابهم، فبهذا لا ينقص اعتمادهم على الكتاب. و أما الكاملون من الأنبياء و الصديقين و الحكماء و العارفين فكلهم لايرون خارج الكتاب نورا، كل ما يحتاج إليه يهديهم إليه ربهم من كتابهم. المقصد هو الدعوة إلى الكتب الإلهية بمنع الشرك، ظاهره أنهم لا يعتمدون إلا على ذلك الكتاب فقط، لا يعرفون ربهم إلا بواسطة ذلك الكتاب، و لا يجتمعون فيما بينهم إلا بواسطة ذلك الكتاب.

القوة القدسية تأخذ من الكتاب بالاعتبار، و القوة العقلية تأخذ منها بالاستنباط، هذا كله اعتماد على الكتاب، و ليس بخارج عنه. قوله: "**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا** (**3**)" الشكر: الاكتفاء بالنعمة الإلهية، و الإعراض عن غيرها، و جمع الهمة على الاستفادة من تلك النعمة كاملا. هذه الأوصاف الثلثة يجعل العبد شكورا. سلسلة آبائكم تنتهي إلى ما حملنا مع نوح، و هم كلهم على طريقة من أولاده و رفقائه، كلهم كانوا عبادا شكورا، فأنتم تكونون مثل آبائكم في هذه المركزية، تكتفون بالكتاب، و تعرضون عما عداه، و تصرفون جميع هممكم على الاستفادة منه بالكمال.

جملة معترضة: رأينا الانقلابين الاشتراكين في أوروبا، عندهم برنامج من جميعتهم، فرأينا هم لا يعتمدون إلا على هذا. عندهم علوم و أفكار تضاد هذا البرنامج، لكنهم لا يلتفتون إليها بل يعرضون عنها إعراضا بالشدة، و يجتهدون بتمام قوتهم على تكميل برنامجهم. و رأينا هم مع ضعفهم في العلم و عدم جمع الأسباب المقتضية لفتوحاتهم العظيمة كانت السلطنة تندهش منهم و تتفكر في رد طغيانهم و لا يجدون حيلة. هذا المنظر تأثرت به كثيرا. إذا كان قوم من الضعفاء يجتمع على برنامج سخيف لكن بكل قوتهم، و الإعراض عما سواه كائنا، من كان يوجب الاضطراب في الأمم المتمدنة فكيف إذا كان

جماعة كاملة في العلم و العمل يتفقون على برنامج، لا يكون للإنسانية أصح منه، و يجتهدون في تنفيذه معرضين عن جميع ما عداه، كيف لا يغلبون على الأرض؟ و أي حاجة للمسلمين اليوم إلى بعثة نبي؟ النبي إنما يأتي بالبرنامج الصحيح، و هو عندنا موجود. أما إذا لم نعمل، و لم نعرض عما عداه، فإن قام فينا نبي لقتل من جهة أعدائه،[121] و لغلبوا عليه فما هذه الخرافات التي يشيعونها في المساجد و المدارس؟

ما رأينا القوة العملية في قوم من المسلمين مثل أتراك الأنقرة، كانوا أضعف شئ في العالم، سقطوا من أوج المملكة إلى الحضيض. ذهب رجل واحد منهم إلى الماسكو، و رآهم كيف يعملون، لأنهم أيضا قاموا بعد سقوطهم. ففهم طريق الاشتراكيين، و رجع إلى أخوانه من قواد العساكر المنهزمة، فاجتمعوا على وضع برنامج، و قاموا بالشدة على ذلك، ففازوا. اليوم لهم مملكة صغيرة، و حكومتهم مستقلة، قام على ضدهم جميع أقوام المسلمين الذين كانوا أولا معاونين لهم. فما اندهشوا و استمروا على عملهم، ففازوا. ليس فوزهم هذا كما يقول الأغبياء فوز الإسلام بل هو فوز للإشتراكية، و إن كانت ناقصة أخذوها من الدهريين. فالمقصد أن الشكر على النعمة و معرفة حكمتها و الإعراض عما سواه و صرف الجهد في تكميل الاستفادة منها هو السبب الوحيد في الفوز و النجاح.

"وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4)"

فالله يذكرنا تاريخ بني إسرائيل في ارتقائهم و في انحطاطهم تنبيها على أن اصطفاء الله لقوم بالنبوة و الكتاب ليس معناه أنهم إذا تركوا العمل بما أمروا يكونون أيضا حائزين للمزايا التي جعلتهم أهلا لنزول الكتاب إليهم. هذا من **"فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (5)"** هذا ذكر الفساد الأول. و نحن تعرفنا في السنين باقتراح رجل من الهند، هو جعلنا مبدأ التاريخ من ولادة إبراهيم، فكانت بالتخمين قبل المسيح 1996 بنقصان أربع من 2000، فتسهيل الحساب جعلناه الفين قبل المسيح، فالسنون المسيحة إذا اضفنا إليه الفين صارت إبراهيمة. نحن في معرفة السنين المقدمة نحتاج إلى التاريخ بعد إبراهيم أكثر، فذلك الحساب يسهل لنا. ففساد بني إسرائيل مرة أولى و غلبة بخت نصر كانت ألف و أربع مأة و اثنين و عشرين إبراهيمة 1422. هذا الأمر مبسوط في التاريخ، و مفصل في صحف الانبياء الداخلة في **الكتاب المقدس**. ثم ذكر الفساد مرة ثانية من **"ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ**

[121] في ن م "فإن قام فينا نبي لقتل أعدائه"

لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (7)" هذه وقعت غزوة روما طيطوس بعد المسيح بأربعين سنة. و تاريخ روما و تاريخ بني إسرائيل كاف في شرح تلك الواقعة.

"**عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (8)**" يعني إن اتبعتم القرآن " **وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا**" يكون الإسلام غالبا عليكم. "**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9)**" أقوم من الأحكام العشرة للتوراة.

و من بعد ذلك إلى –الآية- 22 نشرحها بعد إتمام الكلام على أحكام التوراة. فالأحكام العشرة في التوراة؛ عوض ذلك الأحكام العشرة في القرآن أقوم منها لجمع الأقوام. فأحكام التوراة تجمع بني إسرائيل تاما، و أما الأقوام الأخر فلا يجتمعون معهم على ذلك الأساس. و أحكام القرآن تشتمل على الأحكام الضرورية في التوراة، و تزيد عليها و تنقص منها ما يجعلها أصلح لجميع الأقوام. فلما كان مقصد موسى هو أيضا ذلك، لأن اليهود لا يجعلون نبيا آخر مثل موسى. و هذا النبي الذي يكون خاتم الأنبياء هو الذي يجمع الأقوام على طريق إبراهيم و باعثا لتحقيق إمامة إبراهيم على الناس في الدنيا فإذا كان نبينا يجعل نفسه من اتباع موسى و يأتي بطريق أقوم لتكميل مقصد موسى أفليس من الأنصاف على اليهود أن يؤمنوا بهذا النبي، لكنهم لا يؤمنون و كيفية كفرهم هذا مبسوط من–الآية- 9 إلى –الآية- 22 التي نفصلها بعد إن شاء الله.

قوله تعالى: " **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا (25)**

وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (26) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (27) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (28) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (29) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (30) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ

خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (31) وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (33) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (34) وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (35) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36) وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (37) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (38) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (39)"

الحكم الأول: "**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**". الثاني: "**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**" ، تفسيره في 24. الثالث: "**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى ...**"، "**وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا**". الرابع: "**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ**". الخامس: "**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا**". السادس: "**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ**". السابع: " **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ**" الثامن: "**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ**". التاسع: "**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ**". العاشر: "**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**". الحادي عشر: "**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا**". فالأمر الزائد في هذه الآيات "**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**...". هذا أساس في شريعة القرآن و ذلك طريق إلى نفي الخرافات و التحريفات في الإنسانية، و دعوة إلى تحقيق الحق، و تقدم المسلمون بعملهم بهذا على أقوام. و لما تأخروا حصل فيهم انحطاط.

وقوله "**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا**..." زائد على أحكام التوراة و المشي مرحا عنوان الكبر، و هو ينفي مساواة الطبيعة الإنسانية. و إذا الإنسان جمع الإنسانية على نقطة فالواجب المساواة و عدم امتياز فرد و قبيلة و قوم على آخرين. فالمشي في الأرض مرحا امتياز عن الإنسانية، أما عن قوم أو قبيلة، فالنهي عن ذلك يوصل إلى المساواة مع جميع أهل الأرض. و من يجعل نفسه مساويا للناس، و لا يتفوق عليهم إلا بالتقوى أى باقامة العدل، و نفي الظلم مع الاحسان فيمكن أن يجتمع جميع الإنسانية على هذا المستوى. أما بدون ذلك فلا يمكن هذا. هو المراد من قوله "**يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**".

النظريات الدينية راعاها النبي تحت رؤية آيات الله ثم ذكر الله "**وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**..." تلك النظريات و نظريات موسى متقاربة موسى أيضا. شاهد مثل مشاهدة النبي. مشاهدة موسى كانت على

الطور، و مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم على الأقصى. المتأخرون من المتكلمين و أتباعهم يثبتون مسألة المعراج و الإسراء خاصة للنبي، و هذا الخصوص غير صحيح. الحكمة تحكم بأن النبي في صنفه لا يكون مختصا بشئ خاص بل يكون الحكم عاما في جميع الصنف. و بعد ذلك إنما يكون تشخصات خاصة لكل نبي، هي لازمة. أما نوع المشاهدة أن يكون مخصوصا، فهذا في علم الحكمة غير ثابت. تقرب الله إلى عبده بصورة التجليات هو فطري للإنسانية. رجل يتدلى عليه الحق وهو على الأرض، و رجل يرفعه الله على السماء و يتدلى عليه الحق نوعية المسألة واحدة:

ثم ذكر "**وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ** ..." معناه أن تلك النظريات ثبت حقا، نيتها بالتجارب كل ما تمسكوا بها، و أعرضوا عما سواها، و اجتهدوا في اتباعها، حصل لهم التفضيل على العلمين في زمانهم، و كلما تغافلوا و أعرضوا عنها وقعوا في أسفل السافلين، هكذا وقع في بني إسرائيل مرتين، و تمت التجربة. و بعد ذلك ذكر الله أن هذا الأمر ثابت لتلك الأحكام مرارا، هذا معنى قوله "**عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ**".

الآن نبتدي من "**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9)**" مما نزل على موسى أو في الدعوة إلى الصراط المستقيم لجميع الأمم. "**وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ**" الناس في العمل بتلك الآيات على قسمين: 1- قسم يعمل بها لتحصيل الفوائد في الدنيا فقط. 2- قسم يعمل بها ليكون حاويا على الفوائد في الدنيا و الآخرة. والقسم الثاني هو المراد بقوله "**وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ**". والقسم الأول هو المراد بقوله "**وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (10)**". و إن كانوا حصلوا في الدنيا فوائد.

"**وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (11)**" عمل واحد صورة منه تكون خيرا إذا أراد نفعه في الدنيا و الآخرة، و صورة منه شرا إذا أراد نفعه في الدنيا فقط. فالإنسان صنف منه يدعو للنفع الدنياوي فقط و هو شر، مثل دعاء المؤمنين للنفع في الدارين و هو خير؛ يعنى أن الإنسان يعمل بالشر و أعماله تماثل عمل من يريد بالخير. المحنة و المشقة في كلتا الصورتين متوافقة لكنه لا ينظر بالتأمل، ويتعجل في الفكر. و كان الإنسان عجولا؛ يطلب الدنيا فقط، و لا يصير أن يتفكر في عمل الآخر أيضا.

بعد ذلك "**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (12)**" فيها بيان: نحن جعلنا نظام العالم في الدنيا يستفيد منه كل رجل؛ أراد الآخرة أم لم يرد، إليه الاشارة في هذه الآية. النهار و الليل يجري على طريق إلى السنين، ينتفع بهما الناس في أعمالهم الدنياوية، هذا النظام لا يمنع عن تحصيل النفع من لم يرد الآخرة. ثم قوله في —الآيات– 13–15 بيان لأعمال الآخرة. هذه أعمال الدنيا يكون نوع من حالاتها يظهر في الآخرة و إليه الإشارة في "**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14) مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15)**" هذا هو صورة من أعمال الدنيا تظهر في الآخرة. و للتنبيه على تلك النتيجة نبعث الرسل، يبينون أن الأعمال التي تعملونها في الدنيا إن عملتم على طريقة كذا و كذا تعذبون بها في الآخرة، فيصير دينا، أعمالا دينية. و إلى هذا المعنى إشارة "**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**".

و بعدها –الآيتين– 16–17 فيها بيان أن من يعمل للآخرة هو يكون فائزا، و من يعمل للدنيا فقط يكون بمقابلة هالكا. هذا أيضا نظام طبيعي للعالم، إليه اشارة "**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (16) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (17)**" يعني أمرناهم برعاية الآخرة، فيلزم عليهم ترك بعض الراحات التي اعتادوها، و المترفون لا يقدرون على ترك شئ اعتادوه لاستفادة الراحة، فخالفوا أمر الحق، و فسقوا فيها، فحق عليها القول. كان جائزا إهلاكهم "**فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**" بعض الناس تصرفوا في قوله "**أَمَرْنَا**" و قالوا معناه كثرنا، و لا حاجة إليه، لأن أمر المأمور محذوف يعرف بالقرينة. الفسق لايكون إلا ترك الحق و ترك التقوى و العدل و الإحسان. فالظاهر أنهم أمروا باتباع التقوى، ففسقوا، تركوا التقوى فلا حاجة إلى التأويل. و اختاره الشيخ هذا المعنى في ترجمة القرآن.[122] منذ دخلنا في السياسيات الانقلابية

---

[122] "و چون خواهيم كه هلاك كنيم ديهى را مي فرماييم به سركشانِ آنجا (يعنى آنچه خواهيم از) پس نافرمانى كردند آنجا پس ثابت شد بر آن ديه وعدة عذاب، پس برهم زديم ايشان را برهم زدنى." لينظر: ولي الله، **فتح الرحمان بترجمة القرآن**، 286.و ترجم الشيخ عبد القادر في **موضح القرآن** "اور جب ہم نے چاہا کہ کھپادیں کوئی بستی، حکم بھیجا اس کے عیش کرنے والوں کو، پھر انہوں نے بے حکمی کی اس میں، تب ثابت ہوئی اس پر بات، تب اکھاڑ مارا ان کو اٹھا کر۔" 400.

صارت أمثال تلك الآيات من البينات عندنا. المترفون إنما يقدرون على الأتراف، لأنهم جمعوا من أموال المكتسبين أشياء لا يستحقون، جمعوها بالحيل، فكان الأتراف مبنيا على الظلم على الناس. فلما أمرهم الأنبياء و أهل الصلاح من اتباعهم أن لا يأخذوا شيئا من المساكين بالظلم ثقل عليهم، لأنه يؤدي إلى تقليل أموالهم، فلا يقدرون بعد ذلك على استيفاء الشهوات التي اعتادوها، فيخالفون التقوى و العدل، و لا يرضون أن يردوا على الناس أموالهم. هذا هو وجه فسقهم، و هو يكون سببا لتدميرهم.

و علمنا بعد ذلك؛ غلط من دعا المسلمين إلى أن الكفار إنما يعذبون، لأنهم لايؤدون العبادات على الطريقة التي نحن نؤديها. تلك النظرية و إن كانت مقبولة عند الزهاد لكن بناؤه على التخيل الذي غلب على طائفة مخصوصة، و ليس بناؤه على دعوة الأنبياء إلى إقامة التقوى و العدل. "**وَكَمْ أَهْلَكْنَا**..." إشارة إلى أن غلبة المتقين على الفاسقين أمر مجرب من بعد نوح مرارا فوق الإحصاء، لا يعلمها إلا الله. فكان فيه ترجيح طريقة التقوى على طريق المتعجلين الفاسقين. بعد ذلك صراحة ما استنبطناه من السياق "**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (19) كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20)**" نظام الشمس و الكائنات يستفيد به الفاسق و المتقي على سواء. الفاسق يزرع و يكون له النبات، الفاسق يتزوج و يكون له النسل مثل المتقي، لكن الفرق إنما هو في المدارج المتقي في درجة عالية، والفاسق دون هذا، الفرق في الدنيا يكون متبينا في الإنسانية. الناس يعرفون الظالمين و جمع الأسباب الدنياوية لهم، و لا يرجون لهم الخير. و يرون العادلين أهل الإنصاف، و هم في نوع من الضيق لكن يرونهم أشرف الناس، و يرجون لهم الخير. هذا الفرق في الدنيا طبيعي، ثم يزيد هذا الفرق في الآخرة. فالمتقى إلى حظيرة القدس و الجنة، و الفاسق يهبط إلى جهنم. و ليس هذا إلا ظهور الفرق بمقتضى قوانين تلك الدار. و إلى هذا المعنى إشارة فيما نرى في "**انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (21)**" النقطة المركزية في جميع تلك النظرية هي أن الله وحده لا شريك له، قيوم السموات والأرض، و قيوم إنسانية، إذا كان رجل لم يغفل عن تلك المعرفة و أراد الاستزادة فيها ينجو في الآخرة و إلا فلا ينفعه شئ. و إلى هذا المعنى إشارة . **لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (22)**.

فرغنا من الآيات التي كنا أخرنا الكلام عليها من –الآية– 22 إلى –الآية– 39 قرآنا الأحكام "**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**..." فاليوم نقابلها مع الأحكام العشرة في التوراة و نذكر نص التوراة. 1- لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. 2- لا تصنع لك تمثالا منحوتا، و لا صورة ما مما في السماء من فوق، و ما في الأرض من تحت، و ما من الماء من تحت الأرض. لاتسجد لهن و لا تعبدهن. 3- لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا. 4- أذكر يوم السبت لتقدسه. 5- أكرم اباك و أمك لكي تطول أيامك على الأرض. 6- لا تقتل. 7- لاتزن. 8- لا تسرق. 9- لا تشهد على قريبك شهادة زور. 10- لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك، و لا عبده، و لا أمته، و لا ثوره، و لا حماره، و لا شيئا مما لقريبك.[123] من سفر الخروج ذكرت هذه الأحكام في سورة بني إسرائيل و الأنعام و شئ منها في سورة النساء، فنذكر المقابلة.

الأمر الأول في التوراة هو المذكور أولا في الأنعام و النساء والإسراء أولا. والأمر الرابع في التوراة هو مذكور ثانيا في هذه السورة. و الخامس في التورة مذكور في القرآن، سادسا في الإسراء، خامسا في الأنعام. و السادس في التوراة مذكور خامسا في الإسراء و رابعا في الأنعام. والسادس في التوراة مذكور خامسا في الإسراء، و رابعا في الأنعام. و الثامن و التاسع و العاشر في التوراة مذكورة رابعا في النساء فقط. و زاد القرآن أشياء منها: "**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**..." و هو داخل في العاشر و الثامن في أحكام التوراة، فإن الترجمة الهندية بلفظ الجار و العربية بلفظ القريب، فكان في آيات التوراة عموم للجار الذي القربى، فيكون مثله مثل ما جاء في سورة النساء "**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ... (**36**)" فالإحسان كما يجب للوالدين واجب لأفراد المجتمع، و في أمر واحد جمع القرآن جميعه. لعل نص التوراة بالعبرانية عام شامل للجار، و القريب صرح الله في القرآن.

و لا تقتلوا أولادكم من خشية إملاق، و لا تقربوا مال اليتيم، و أوفوا بالعهد، و أوفوا الكيل و الميزان، و إذا قلتم فاعدلوا. فمثل هذه الوصايا كانها كانت مستترة في تحريم يوم السبت، كانت تذكار عبودية بني إسرائيل بيد الفرعون. فكانوا ينظرون بذلك إلى حالتهم العمومية. و التراحم و التواد للناس حتى العبيد و الحيوانات لكن تلك شريعة مختصة ببني إسرائيل، فلما نسخ الله ذلك لأنهم أضافوا إليها

---

[123] و لينظر: **كتاب المقدس**، العهد القديم، سفر الخروج: 20: 1-17.

أوهاما، فالمعاني التي كانت ملحوظة في تلك الشريعة نساها بأحكام تلائم جاهلية العرب. مثلا نفي قتل الأولاد، حفظ مال اليتيم، الإيفاء بالعهد، إيفاء الكيل والميزان، رعاية العدل في الأقوال، و أمثال ذلك و أضاف الله حكمين مستقلين: "**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**" هذا دعوة للإنسانية إلى تحقيق العلوم و المعارف. و بعد نزول تلك الآية إلى الإنسانية رأينا المعارف و الحقائق متسعة في الإنسانية بالنسبة إلى ما تقدم. المسلمون كانوا واسطة لتبليغ هذا الحكم إلى الإنسانية كما أن العرب كانوا واسطة في تبليغه إلى المسلمين. فكل ما استفاد به الإنسانية بعد مبعث نبينا نحن نجعله من بركات هذا العلم النازل، فإن لم يعمل به قوم، يعمل به آخرون، ليس فيه وراثة و لا تخصيص لقوم دون قوم.

ثم الحكم الزائد "**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا**..." فهمنا من هذه الآية أن التفوق على الإنسانية مبغوض عند الله. و أنا أعتقد أن في ذلك الأمر فصلا، بينا بين العهدين: 1- العهد قبل مبعث النبي، تفوق ذوي الفضائل على عامة الناس من السلاطين و الملوك و من الأحبار و الرهبان، صار كأنه فطرة إنسانية. 2- العهد هو مبعث النبي، خاتم النبيين يمشي مع الناس مثل أحد منهم. و الخلفاء الراشدون الذين غلبوا على الدول و الدولتين، كل واحد منهم يساوي فتوحات الأسكندر المقدوني[124] و فتوحات ذو القرنين الفارسي.[125] و خليفة المسلمين يحكم على الحكومتين من الأرض، و هو يمشي في قومه على

[124] هو الاسكندر الملك ذوالقرنين بن فلفيوس، و قيل المقدوني: [نسبة] إلى مقدونيا، مدينة الحكماء قريب سيروز دار الملك الإسكندر اليوناني، وقال بعضهم أنه رومي، تأدب بأرسطو طاليس، وكان معلمه. وإنما سمي ذو القرنين لأنه بلغ المشرق والمغرب. و لينظر: ابن العديم، كمال الدين، **بغية الطالب في تاريخ حلب** (بيروت، دار الفكر) 4: 1593.

[125] و العلماء قد أختلفوا في تعيين المسمى بذي القرنين، و قيل أنه الإسكندر بن فيلبوس المقدوني، والقول الثاني: أنه ملك من ملوك حمير هو تبع أبو كرب. والقول الثالث: أنه ملك من ملوك الفرس، و بعد ذكر هذه الأقوال الشيخ ابن العاشور يقول: " فالذي يظهر لي أن ذا القرنين كان ملكا من ملوك الصين لوجوه:..." و أما صاحب روح المعاني بعد نقل عدة أقوال يقول: " والأقرب عندي لإلزام أهل الملل والنحل الضالين الذين يشق عليهم نبذ كتب التواريخ وعدم الالتفات إلى ما فيها بالكلية مع كثرتها وانتشارها في مشارق الأرض ومغاربها وتباين أديان مؤلفيها واختلاف أعصارهم اختيار أنه الإسكندر بن فليفوس غالب دارا:" أما الشيخ أبو الكلام آزاد لم يرتض بهذه الأقوال، و يقول: " بل ردها، و قال عنها: إنها قامت على افتراض مخطيء لا يدعمه دليل، و عنى بالرد على من يقول بأنه الإسكندر المقدوني.. بأنه لا يمكن أن يكون هو المقصود بالذكر في القرآن، إذ لا تعرف له فتوحات بالمغرب، كما لم يعرف عنه أنه بنى سدا، ثم إنه ما كان مؤمنا بالله، و لا شفيقا عادلا مع الشعوب المغلوبة، و تاريخه مدون معروف." و رجح أن المراد به هو: "الملك "كورش" أو "خورس "كما ذكرت التوراة و تكتب أيضا "غورش" أو "قورش." ..." ثم بعد سنوات لما تمكنت من مشاهدة آثار إيران القديمة ومن مطالعة مؤلفات علماء الآثار فيها زال الحجاب، إذ ظهر كشف أثري قضي علي سائر

أدنى طبقة من الناس، ثم سرت تلك الروحانية بالتدريج في اجتماعات للأقوم في العهد الأول منحصرة في بلدة واحدة، و الآن انتشرت على جميع أقطار الأرض. كثير من أخواننا من المفسرين و قادة المسلمين ظلموا القرآن؛ قصروا تأثيراته على أنفسهم فقط. و هذا كتاب إلهي ينسخ الكتب المقدمة، فيؤثر تأثير كلها في الإنسانية، فإذا حذفنا يوم السبت من أحكام التوراة صارت تسعة و تلك التسعة الأحكام ضبطت في السور الثلث بألفاظ متقاربة، نسميها الأحكام أحد عشر، أو نجعل بضم البعض تسع آيات. الأمر في العدد هين إذا كان موضوع الكتابين أمرا واحدا. و مقصد القرآن هنا أن هذه الآيات كانت سبب ارتقاء بني إسرائيل إلى أن فضلهم على العلمين. فإن استقام أهل القرآن، يأخذ هذه الأحكام على وجه الإيمان بالله و الدار الآخرة جعلهم الله مثل بني إسرائيل مفضلا على العلمين. الآن نقرأ بعض الآيات.

قوله تعالى: "**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (40)**" إلى "... **وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (52)**" قد ذكرنا قليل أن الاستفادة التامة من تلك الأحكام تتوقف على الإيمان بالله و اليوم الآخر. و العرب في ذلك الزمان لما نزلت تلك السورة ما خضعوا لقبول ذلك الشرط، فدعاهم الله في تلك الآيات إلى أمور ثلاث: التوحيد، الإيمان بالآخرة، الايمان برسالة النبي. فذلك شرحا في الاستفادة. و الآن نقرأ تلك الآيات فقط.

"**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (41)**" جئنا بهذه العلوم ببيانات مختلفة، ليذكروا. فإن الأمي لا يقدر على إحاطة بتلك المقاصد العالية بطريق البرهان، إنما يتفطن بها إذا

الشكوك، فتقرر لدي بلا ريب أن المقصود بذي القرنين ليس إلا كورش نفسه فلا حاجة بعد ذلك أن نبحث عن شخص آخر غيره ". " إنه تمثال علي القامة الإنسانية، ظهر فيه كورش، و علي جانبيه جناحان، كجناحي العقاب، و علي رأسه قرنان كقربي الكبش، فهذا التمثال يثبت بلا شك أن تصور "ذي القرنين" كان قد تولد عند كورش، و لذلك نجد الملك في التمثال و علي رأسه قرنان" أي أن التصور الذي خلقه أو أوجده اليهود للملك المنقذ لهم "كورش" كان قد شاع و عرف حتى لدي كورش نفسه علي أنه الملك ذو القرنين.. أي ذو التاج المثبت علي ما يشبه القرنين..." و لينظر: الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الأولى 1415هـ، 8: 351. ولينظر: ابن العاشور، **التحرير و التنوير**، (تونس، الدار التونسية للنشر) 16: 17-22. و لينظر: د. النمر، عبد المنعم، **مجلة العربي**، ذو القرنين شخصية حيرت المفكرين أربعة عشر قرنا و كشف عنها – أبو الكلام أزاد– ، العدد 184.

وافق البيان لذهنيه، فيتصرف في البيان أنواع التصرف؛ مرة يراعي ذهنية الفلاح، مرة ذهنية التاجر، مرة ذهنية السياح، و أمثال ذلك و المقصد واحد لا يتبدل، لكن إزالة الشبهات لا تمكن بدون التصرف في البيانات. "**وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا**" كلما زدنا في البيان تنفروا عنه، لأنهم قاربوا. إن ذلك يقلب حياتهم، فيتنفرون. فالتنفر هو دليل وصول الحق بنوع مخصوص إلى ذهنيتهم لو لم يتفطنوا، أن ذلك يؤدي إلى الانقلاب لما تنفروا عنها، لأن التخيل بفكر مخصوص بسيط لا تنتج نتيجة في حياة الرجل، لا يثقل على الإنسان. و تلك الكلمة المروجة في الناس، إنهم إنما كانوا يخالفون، لأنه خلاف طريقة آبائهم، تشير أيضا إلى ما فهمنا أنهم تفطنوا القول، بهذا يفضي إلى تبديل تلك الطريقة.

"**قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (42) سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (43) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (44)**" هذا بحث التوحيد، ثم جاء ذكر الآخرة. "**وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (45)**" كأنهم لا يفهمون لغة القرآن. و هذاجربناه على أنفسنا إذا قرأنا كتب النجوم أو الهيئة، و هي في لسان واضح نفهم، لكن المضامين لا تأتي إلى دماغنا، لأننا لا نحبها، و لانعتقد بها، فمثل ذلك كان حال الكفار عند سماع القرآن: إذا جاء ذكر دار الآخرة يتوشوش ذهنهم، و إلى هذا أشار " **وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (46)**" نحن جربنا هذا في اجتماعنا. اعتقاد بالأولياء و الأنبياء بالألفاظ أنهم يشفعون، و بالمعنى يتكفلون النجاة، فذلك علة اجتماعنا لا نلتفت إلى الايتمار بالأوامر القرآنية، و مع ذلك أنهم يجزمون بنجاتهم بمقابلة الآخرين الذين يسمونهم كلهم كفارا. فمرجع عقيدة نجاتهم هو ادعاء المولاة مع الأنبياء و الأولياء. إذا قرأنا كتابا مثل كتاب **تقوية الإيمان** لمولانا محمد اسماعيل الشيهد الذي يجعل النجاة مختصرة في رضاء الرب فقط، و رضاء الرب في اتباع أوامره فقط، و يجعل الشفاعة مؤثرة في الدرجة الثانية بعد إذن الله و رضى الرب عن ذلك الشخص يتنفرون.

و أنا استعملت الحكمة في تعليمهم. أولا علمتهم كتاب **فتوح الغيب** للشيخ عبد القادر الجيلاني في التوحيد، و ذلك الكتاب فرد في بيان معنى التوكل على الله. و لا يقدر أحد من الجهال أن ينكر كتاب الشيخ، إنما ينكرون أن يكون نسختنا غير مستند إلى الشيخ، فمن هذا الأمر أيضا حصل لنا الأمن أن

الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي[126] من رجال القرن العاشر، هو شرح هذا الكتاب باللغة الفارسية؛ لسان أهل الهند في ذلك الزمان، و الشيخ عبد الحق لا ينكر عليه من أهل الهند بأنه يوافق الوهابية لمثل ذلك، تمكنوا من فهم معنى التوحيد الذي علمه الجيلاني قرأنا عليهم تقوية الإيمان للشيهد، زالت نفرتهم، هذه مصلحة تعليم جربناها، لكن لو جئنا لهم بالمفاجأة بكلام الشهيد تنفروا.

"**نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (47)**" فيه بيان الإيمان بالرسول، لأنه هو مفتاح المعارف الكشفية، ومعرفة الكتب الإلهية، فإذا لم يكن اعتماد على الرسول كما ينبغي لا تمكن تلك المعرفة في قلوب الناس، فلا يتحقق شرط الانتفاع بالبيانات. "**إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا**" إنما كانوا يسمعون النبي مسحورا، لأن غلبة الكشف و الإلهام غيرت فطرته السابقة. الآن في كل حين[127] لايذكر إلا الرب، الإله الحق، و الدار الآخرة. أو يتأثر تلك الآيات البينات بأن الناس باتباعها يغلبون على الأرض، لايتكلم بمثل ما كان يعيش معهم. أولا ما ظنوا أن ذلك حدث من باطن فطرة النبي بل ظنوا أن ذلك جاء من خارج، فاعتقدوا ذلك من تأثير الجن أو خرافات، فسموه مسحورا. معنى هذا أنهم أعقل منه، هل يجدون للاختلاف الذي وقع بينهم في السياسة القومية طريقا حقا واضحا للفصل، إليه الإشارة "**انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (48)**" عن فهم المسألة. "**فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا**" هم متحيرون، لا يقدرون على ترجيح السياستين على الأخرى. و كل ما جلسوا مع النبي يستمعون طريقا أرجح، يأخذ بقلوبهم، فيسمونه سحرا. و العرب تسمى كل شئ يؤخذ بالقلب سحرا.

"**وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (49) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (50) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (51) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ**

---

[126] الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي المحدث المشهور، أول من نشر علم الحديث بأرض الهند تصنيفاً وتدريساً. ولد في سنة 958 هـ بمدينة دهلي،وتصانيفه من الصغار والكبار كثيرة، و منها: **التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، أشعة اللمعات في شرح المشكاة شرح فارسي في أربع مجلدات، مرج البحرين في الجمع بين الطريقين**، و غير ذلك. توفي سنة 1052هـ بدار الملك دهلي فدفن بها. و لينظر: الحسني، **نزهة الخواطر**، 5: 553-557.

[127] في ن م "في كل وقف و حين" بزيادة "وقف"

وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (52)" هذا بحث في مسألة الإيمان بالدار الآخرة، لأن الرسالة تقدر على إيضاح ذلك إلى أقصى الغايات لكن إلى حد، فإن أرادوا أن يعين النبي وقت الانقلاب أو وقت الساعة الكبرى فهذا غير جائز في المسألة الشرعية.

فصل: فرضنا أن طائفة من الناس أكملوا الشروط الثلث: الإيمان بالله و اليوم الآخر و الملائكة. و النبيون هم يستحقون الانتفاع من البينات، فما طريقهم في التقدم؟ فالله يعلمهم بالترتيب. الأمر الأول: "**وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (53)**" هذا اقتضاء ابتداء التفطن و التفكر، فكل ما أرادوا أن يقولوا قولا فيتفكرون، فلا يقولون إلا ما يرونه أحسن من جميع الأقوال. هذا يكون طريق الاجتماع، يجتمع الجماعة[128] فإن الناس إذا تركوا أحسن الكلام فالشيطان يجعلهم منفردين. إليه إشارة "**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ**".

بعد ذلك إشارة إلى الاجتماع الأحسن الذي يكون سببا لنزول الرحمة الإلهية. ففي "**رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (54)**" معنى هذا إذاحدث فيهم الاجتماع الصالح بإحسان في الكلام يكون باعثا للتقدم. ليس النبي متكفلا للتقدم بصورة لا يأتمرون بأمر الله. و بعد في "**وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (55)**" إشارة إلى أن هذه الرحمة تكون بصلاحية الخلافة، قد ذكرنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، فإشارة هذا قال الله في ما نرى: "**وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**..." فإذا ارتقى الناس إلى تلك الدرجة، بعد ذلك درجة أخرى: التسابق في حظيرة القدس لنيل القرب من الله، يجعلون هذه الخلافة ذريعة لخدمة الإنسانية وإصلاحها. و كل من سعى في الإنسانية بصلاح يتوجه إليه حظيرة القدس بالدعاء، فبالتدريج يتمكن فيهم حتى يعد منهم، فصارت الخلافة ذريعة للتسابق إلى التقرب إلى الله. إليه اشارة على ما نرى في –الآيتين- 56-57.

"**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (57)**" هذه الآيات في حق الذين زعموا أن الله اتخذ من الملائكة بنات له، و القرآن رد

[128] الذي يجتمع به الجماعة.

العقيدة الفظيعة منكرا من القول، لكن ما رد على أن الملائكة هم مقربوا الحظيرة الإلهية. هؤلاء يدعون لهم كشف الضر، و القرآن نص على أنهم لا يملكون أيضا، بل حالاتهم أنهم يتبعون التقرب إلى الله. إليه إشارة "**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ**...". معنى الوسيلة أيهم أقرب؟ فكل جماعة يكون رجل منهم أقرب الجماعات هو الوسيلة، هذا يكون في الاجتماعات العمومية. الوسيلة الإضافية و الوسيلة الحقيقية لا ينبغي إلا لفرد واحد، هو يكون أقرب من جميع من حضر في حظيرة القدس. فتلك الدرجة كان يبتغيها موسى، و كان كذلك بعده عيسى، و إنما تأخروا لتأخر أممهم: ما قدروا بواسطة أممهم لخدمة الإنسانية، لا يمكن أن يوجد أعلى منها، هذا هو الذي يرجوه النبي عليه السلام، و إن كان حصل في بعض الإلهامات؛ أنه قدره لذلك، و أعطاه ذلك المنصب، لكن هذا الإلهام منشأه دون حظيرة القدس. أما في حظيرة القدس فلا يتحقق إلا يوم المحشر. كل الأنبياء يأتون إلى النبي في أمور؛ منها فتح باب الحساب، فيتحقق بذلك أنه بعث في مقام محمود، و ليس ذلك منحصرا في ذلك الأمر فقط. فمعنى الآية هؤلاء يدعون الملائكة لكشف الضر، و هم لا يتوجهون إليه إلا بعد أمر الرب، فإنهم لو كانوا ملتفتين إليه بالذات لتأخروا عن تحصيل الوسيلة الذي هو تقرب الرب. أفيجوز الإنسان أنهم يختارون كشف الضر عن هؤلاء على التقرب من الله؟ هم لا يلتفتون إليهم أبدا. فليس طريق الانتفاع منهم إلا التوجه إلى الله، لا شريك له، حتى يكون الرب هو الذي يأمرهم بقضاء حوائج هؤلاء، فيتقربون إلى الله أولى من الأول.

في تلك الآيات ليس إلا بيان حالة من حظيرة القدس، لكن وضع ذلك البيان، ذلك الموقع استفدنا منه معنى: أن صلاحية الخلافة لهذه الأمة تكون ذريعة حصول الوسيلة لهم. الوسيلة الإضافية فلأفراد الأمة. و الوسيلة الحقيقة لنبينا إمام جميع الناس، إمام الآئمة، هذا يكون منزلة في ارتقاء للصالحين.

قوله تعالى: "**وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (58)**" قد بينا المرد بالقرية المجتمع، لا القرية التي تكون دون البلدة، و هذا وارد في اللغة، و ليس ببعيد عن اللغة. ذكر الشيرازي[129] صاحب القاموس في تفسيره: فالمقرر عند الله أن كل قرية

---

[129] محمد بن يعقوب، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي: من أئمة اللغة والأدب. ولد بكارزين في سنة 729 هـ. وانتشر اسمه في الآفاق، حتى كان مرجع عصره في اللغة والحديث والتفسير، وتوفي في زبيد سنة 817 هـ. و من أشهر كتبه: **القاموس المحيط**، و **تنوير المقباس في تفسير ابن عباس**، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**. و لينظر: الزركلي، **الأعلام**، 7: 146.

لا تأتمر بالرب يعذب قبل يوم القيمة،[130] فذلك لا يمكن إلا بإقامة خلافة قاهرة على الأرض، تحاسب الأمم على أمر الله. فتلك الدرجة متوقفة للارتقاء في الإنسانية. فإذا كانت الأمة المرحومة عاملة بالقرآن تقدمت في حظيرة القدس حتى حازت على الوسيلة، هي التي تكون مستخلفة في الأرض لتأخذ حساب الأمم. هذا هو غاية اجتماع الملل الذي يدعو إليه القرآن. فهذا الطريق يكون أحسن للإنسانية من طريق نزول الآيات الحسنة مع الأنبياء، إذا خالفوا أمر الله و عذبوا بأسباب القدرة. فالحساب من الناس بواسطة اجتماع من الناس أولى في حقهم من تعذيبهم بأسباب لا من أيدي الناس، و إلى هذا إشارة في "**وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (59)**" و مثال ذلك "**وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً**" يعني يتفكرون بسبب ذلك في رفع الظلم عن الاجتماع، لكنهم ما تفكروا، فظلموا بها. تلك الآيات لا نرسل إلا للتخويف. و هذا يناسب زمانا يكون الإنسان أقرب إلى الجهالة، لا يتوجه إلى التفكر إلا بالتخويف. والزمان الذي جاء فيه خاتم الأنبياء، فدار نسخته فيه. الإنسانية للتفكر بشرع ملة النصارى في أهل الكتاب، و بودا في الصابئة، فلا يحتاج في مثل هذا الزمان إلى التخويف.

"**وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (60)**" يعني لم يكن ذلك إلا للتفكر، تعرف إحاطة الرب بالناس على وجه ينطبق على العقل الإنساني حتى يقدر على أخذه. الإنسانية هو غايته التفكر للإنسان. هذا هو الذي يسمونه بمسألة وحدة الوجود.[131] و الأحسن أن يقال إحاطة الله بالوجود.

---

[130] "{وَإِن مِّن قَرْيَةٍ} ما من قرية {إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا} نميت أهلها {قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَة أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً} بالسيف والأمراض {كَانَ ذَلِك} الهلاك والعذاب {فِي الْكتاب مَسْطُوراً} في اللوح المحفوظ مكتوبا أن يكون" و لينظر: الفيروزأبادي، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، لبنان، دار الكتب العلمية، 1: 238.

[131] إن مسئلة الوجود من أعظم مسائل الفلسفة والتي ما زالت موضوع الكلام عند الفلاسفة منذ التاريخ اليوناني القديم، وأما الشيخ الشاه ولي الله فقال في هذه الصدد: لما ننظر إلى الموجودات نرى فيها حيثيتين: الاشتراك والامتياز، يعني أن الموجودات يشترك بعضها بعضا في الأوصاف المختلفة، مثلا إن أفراد الإنسان يشتركون في الإنسانية، وبعد ذلك يتميزون فيما بينهم في الميزات، وكذلك إن الأمر المشترك في الأجسام الحية أنها حية، ونفس الأمر في الموجودات كافة فإنها تشترك في الوجود، والوجود هي الصفة المشتركة في الممكن والواجب، والمراد من الوجود كون الشيء موجودًا وهذا الوجود يحوي الأشياء كلها، وما كان خارجًا من إحاطة الوجود يكون معدومًا، فالأشياء بدون الوجود أمور اعتبارية محضة، ومن ثم قال بعض الصوفية إن الله عبارة عن الموجودات، يعني أنه أظهر نفسه في الموجودات وهؤلاء الصوفية يسمون بالوجودية العينية.

و نرى معرفة الحكيم ولي الله مفتاحا لتلك المعرفة، لا نجد في المسلمين حكيما شرح مثل شرحه. "**وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا**..." أي امتحانا لأهل التفكر، لأن جمع جميع المخلوقات على مركز من مقتضى الفطرة الإنسانية. هل يقدر انسان أن يصف ذلك المركز أو يتجلى ذلك المركز بنور قلبه؟ فالرجل قبل نبينا لم يكن قادرا على ذلك إلا أقل قليل، و بعده صار أمرا مفتوحا للناس لأرباب الحكمة، و إن أدخل فيه الخرافيون خرافاتهم أيضا. هذا بحسب الفطرة لازم. "**وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ**..." أى ما جعلناها إلا فتنة للناس، ليتفكروا في تمثل الخلق الصحيح بطعام مر. فليس هذه الشجرة في جهنم إلا صورة للخلق الفاسد و تخوفهم لا بالحسيات بل بتلك المعنويات. هذا لارتقاء الطبقة الإنسانية إلى فوق، لذلك ترون كتاب الله القرآن العظيم مملوا من أحوال الجنة للترغيب، و أحوال النار للترهيب. و كل ذلك يرجع إلى التفكر، "**فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا**" لايلتفتون إلى التفكر بل يزيدون في الظلم و انكار الحق.

هذا قسم من النوع الإنساني، يدعوهم الشيطان و يستجيبونه، إلى ذلك إشارة "**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا** (**61**) **قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ**

والنسبة بهذا الواحد كنسبة الوحدة مع باقي الأعداد، مثلا الواحد يكون قبل الاثنين ويكون داخلا في جميع الأعداد حتى يبقى في النهاية هو وحده. وهناك طائفة أخرى من الصوفية يقال لها الورائية والذين يعتقدون أن الوجود الذي يشترك في جميع الموجودات، هو الذي يضمن بقاءها وقيامها، وهو في ذاته عكس الوجود الأعلى، فالمراد من الورائية أنهم يعدون ذات الإله ما وراء الكون. إن فلسفة ابن عربي امتزاج لهاتين الفلسفتين، فإنه تارة يقول عن الموجودات بأنها عين الذات وتارة يعدون ذات الإله وراء الكون. يقول الشيخ الشاه ولي الله إن الحقيقة في حد ذاتها أمر واحد ولكن ظهورها يكون في صورتين: لما تتجلى في الزي الأصيل لوجودها نقول لها الجوهر، ولما تتجلى في صورة لباس الوجود الآخر فإننا نقول إنه عرض. فالحاصل أن الإنسان وصل بعد تفكر طويل إلى نتيجة أن النفس الكلية هي منبع جميع الموجودات وجميع الأشياء تنبثق منها وتنتشر، وعند الشاه ولي الله قد صدرت هذه النفس الكلية من ذات الإله بطريق الإبداع، يعني أن النسبة بين النفس الكلية وبين الذات الإلهي هي نسبة الإبداع وليست نسبة الخلق، ومعنى الإبداع إيجاد شيء من العدم، وبألفاظ أخرى تخليق شيء بدون المادة. والظاهر أن ذات الحق بعيد عن هذا العالم. فما هو طريق الإبداع؟ يقول الشاه ولي الله إن النسبة التي تتحقق بين المبدِع والمبدَع بمنأى عن الفهم بتمثيل شيء من العالم المادي، والتحقيق أن المراد من الإبداع نسبة معلوم حقيقتها مجهول كيفيتها والعقل يعجز عن إدراكها. وخلاصة الكلام السابق أنه توجد وحدة بين ذات البارئ والنفس الكلية (أي المبدِع والمبدَع) ولكن ليست هذه الوحدة وحدة حقيقية، وإن العقل الإنساني يمكن وصوله إلى النفس الكلية (الوجود المنبسط) ولكنه عاجز عن ما وراء ذلك، وإنه عاجز عن إدراك النسبة التي توجد بين النفس الكلية وذات الحق، والتي تعبر عن الإبداع، ولاهو قادر على إقامة التمييز بينهما، فنتيجة ذلك أن المبدِع والمبدَع يعدان تارةً بمثابة شيء واحد. (لينظر: غلام حسين جلباني، **شاه ولی الله کی تعلیم**، *لاہور: سندھ ساگر اکیڈمی*، 2017ء)

عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (63) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64)" فمن أولاد آدم طائفة، دائما تكون موجودة على وجه الأرض، تستجيب الشيطان، فلا نجعل القرآن نازلالهم "**إِلَّا غُرُورًا**" فالذي لا يزيدهم القرآن إلا طغيانا كبيرا، هم تلك الطائفة.

"**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (65)**". القرآن نزل لهؤلاء، هم يتفكرون، و هم في جميع أصناف بني آدم موجودون. الطائفة الأولى طائفة شيطانية؛ حالتهم في المعيشة، و فهم مختلف حالاتها مثل رجل ركب الفلك، فلما رأى أنه صار محاطا دعى ربه. و إذا نزل إلى الأرض رجع إلى شركه، و ما تذكر من تلك الحالات التي حصلت له في البحر شيئا. هؤلاء أكثر الناس، و لكن ليسوا في الإنسانية في المنزلة العالية.

فمن "**رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (66) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (67) أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا (68) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (69)**" ذكر تلك الطائفة و عدم فهمهم لتغير حالات نفوسهم بتغير حالات معيشتهم. هؤلاء لا يرجى منهم أن يتفكروا في الدعوة القرآنية، لكن بجنب هؤلاء طائفة من بني آدم يتفكرون في كل شئ صغير و كبير، هم الحاملون لأمانات القرآن، و تكون النتيجة المكرمة في الدنيا بمثل ما أشار الله "**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (70)**" و المكرمة في الآخرة "**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (71)**" أي في الدنيا و في الآخرة كليهما، يكون نتيجة أعمالهم الدنياوية "**فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ...فَتِيلًا**" هذه مكرمتهم في الآخرة. الذين يأتون بمثل ما أنزل عليه القرآن، لأنهم يتفكرون ويتبصرون في الدنيا.

"**وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا** (**72**)" هذه حكاية طائفة أعرضت عن القرآن، و لم تتفكر و لم تتبصر. تم الفصل الذي شرعنا فيه من –الآيات– 40-53. ثم ذلك إلى –الآية– 72 و من –الآية– 73 إلى هنا. ثم ما ينتج هذا التعليم من النتائج في الدنيا و الآخرة. و كيف يكون التجرد في الارتقاء، فمن هنا يشرع باب دعوة الأمم إلى هذا البرنامج. والمقصود الأول هو جمع العرب الذين لهم موالاة بالإسماعيليين و الإسرائيليين على هذا المنهج، و بعد ذلك تكون سراية دعوته إلى الأمم المتقاربة، الأقرب فالأقرب. و يتم هذا البرنامج بعد دعوة الصابئة الفرس و الهند إلى ذلك. الفرس مرادنا الإيران و التوران. اليوم صار التوران والإيران مستقلين، و لم يكن ذلك قبل. و دعوة الصابئة تتم في سورة الكهف، و يكون هو كالمثنى لدعوة العرب الأميين. فالعقبة الأولى في دعوة العرب أنهم لا يقبلون هذا البرنامج إلا بعد تغيير يسير، فلا يقبل منهم هذا الاقتراح، فإنه لو جوزنا ذلك انفتح باب الترميم للبرنامج. فلا ينتهي إلا و قد تغير عن أصله، لذلك منع النبي عن الميل إليهم قطعا. و إليه إشارة في الآيات الثلاث "**وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا** (**73**) **وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا** (**74**) **إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا** (**75**)" حكى أقوالهم في السور المختلفة؛ منها أنهم كانوا يقولون: مال هذا الرسول يمشي في الأسواق لاكتساب المعيشة. و كانت الحكمة اتصاله مع الطبقة السافلة من الناس، لا بالرسمية بل على الحقيقة. فيمكن أن يأتي في قلب النبي أيضا خطرة، لو كنت فارغا عن المعيشة لعلمت الناس القرآن أكثر مما أعلمه الآن. و مثل هذا الميل هو يكفي لمصداق الآية "**لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ**.." لكن الله ثبته، فظهرله حكمة هذا العمل. لو جلس في بيته لا يأتي إليه إلا الطبقة العالية و المتوسطة الفارغة عن المعاش. أما الطبقة السافلة التي هي مشغولة بالكسب، لا فراغ عندها لايأتي للتعليم، هو يكون محروما. و ابتداء الأمر لا يقبل التعليم إلا هم، فلو مشى إليهم بصفة المعلم، هم في حالته لا يلتفتون إليه. أما إذا جاء لطلب معيشة، و حصل له مساس في العمل الطبعي في المال فهم يتوجهون، فبعد ذلك تثبت النبي على طريقته. "**إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ**..." لو قبلت خطراتهم فما كانوا يتناهون إلى أول الأمر الذي أظهروه، فيذهب روح التعليم كله، فلا يمكن شئ، هذا على سبيل التمثيل، و مثله ذلك يأتي في الأقوام كلها.

العقبة الثانية: إذا لم يوافق على ترميماتهم و قبول اقتراحاتهم فهم يريدون أن يخرجوه من أرضه. و هذا أثقل و أشكل من الأول، وإليه الإشارة "**وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (77)**" و ليس في ذلك تدبير يمنعهم عن ذلك إلا أنهم يجازون أيضا بمثل ذلك، فيخرجون من أرضهم و يقتلون، و إليه الإشارة "**وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ... تَحْوِيلًا**" هذا جزائهم لازم.

و أما النبي فما يفصل بصورة تهديدهم بالإخراج: أنه يستمر على أعماله كما هو، و إليه الإشارة في "**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (78) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (79)**" هذه الأعمال كان يعملها أولا. التهجد كان متعينا، أما صلوة النهار فكانت على الاختيار: الإشراق و الضحى و نوافل الزوال، وهكذا قرب غروب الشمس و بعد الغروب: النوافل كانت معمولة. و من بعد التهديد صار فرضا موقتا لإثبات أن التهديد لم يؤثر في قلب المؤمنين شيئا. هذا اظهار للعزم القوى على إشاعة القرآن. هذا يؤثر في قلوب أصحاب النبي، فهم أيضا يصممون العزائم لنشر القرآن و تعليمه، و هكذا حتى يصل الأمر إلى أكثر الإنسانية، فيحصل لإمامهم الوسيلة الحقيقية؛ و هو المقام المحمود، "**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**"

بعد ضعف العزائم في عصرنا، و عصور متصلة قبلنا نشر القرآن في المسلمين أكثر بالنسبة إلى أمم أخرى، و هذا نتيجة عزم النبي المصمم. هذا أمر واحد تستمر على أعمالك بالاهتمام الأشد مما كان أولا. و ادع ربك أن يخرجك بالعزة إن كان تحقق الإخراج هو يعيذ لك موضعا تجلس فيه بالعزة، و لا يجعل الله في ذلك الموضع الحكم في تلك الأراضي يغرك، حتى لا يقوم مرة أخرى رجل يقول أخرج من أرضنا. هذا عندنا معنى قوله "**وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (80)**" نحن إذا قرأنا القرآن فهمنا منه بحسب استعدادنا، نجزم قطعا أن قوة الحكومة لا يمكن انفكاكها عن تعليم القرآن. و بعد ذلك نتعجب من رجال يعرفون بين الناس بالدعوة إلى تعليم القرآن، و يعظمهم الناس بذلك، هم يقولون أن القرآن لا يتعرض بالسياسة فإن كانوا محققين فلا تأويل لقولهم عندنا إلا أنهم يقولون تلك كلمة الكفر بالإكراه، و قلوبهم على غير ذلك. فإن ادعى أحد من اتباعهم أنهم في الحقيقة كانوا قائلين بذلك فليس بعد ذلك لهم عندنا إسم إلا أنهم كذابون دجالون.

"**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** (81)" هذا غاية الأمر الذي كان الباطل يعمل بخلاف الحق أن يخرجوهم من أرضهم حتى ينتشروا، فلا يجتمعون بعد ذلك. و إذا تعين لهم بعد خروجهم من وطنهم مركز سياسي أقوى من الأول، حكومتها كلها راجعة إليهم من أول الأمر، و يجتمع هناك الأقوام بالسهولة، كأن ذلك ذهوقا للباطل. و بعد ذلك لا يقدر أن يتعلى على الحق. فمعنى "**جَاءَ الْحَقُّ**" أمر للهجرة. والنبي كان يتوقع ذلك، نبهه على ذلك وقة بن نوفل في أول مبعثه، و ما كان يحب أن يترك مسجد إبراهيم إمام طريقته. فلما صار مجبورا على ذلك، و هيأ لنفسه مركزا آخر. بعد ذلك صرح القرآن أن الباطل كان زهوقا: يعنى أن أهل مكة غلبوا.

العقبة الثالثة: الذي يخاطبه القرآن لا يكون أهلا لفهمه، يضعف همة المبلغ، لكن الله نبه المسلمين على أن الذين يهتدون بهداية القرآن معهم موجودون، متهيؤن، فعروض جماعة جاهلة ظالمة بأن دونه لا يضعف همة المذكر، و إليه الإشارة في قوله "**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا** (82)" يعنى الذين فيهم استعداد لفهم مطالب القرآن، و قلوبهم متشوشة كالمريض، فلما سمعوا آية قرآنية ذهب شبهتهم، و حصل لهم شفاء. ثم هم بعزم قوى يجتهدون في درك مقاصده، فيحيطون علما أن ليس في الدنيا برنامج مثل عند أحد من الناس، فيدركون أنه رحمة للناس، لكن مع هؤلاء جماعة من الظالمين، هم يتفطنون، لو تمكن هذا العلم في الأرض هم لا يقدرون بعد ذلك على ظلم. فيأتون بأوهام، و يظهرون أن الناس لايقبلونه، فلا ينتفعون بهذا العلم، بل بقيامهم على ضده يزيدهم خسارا، لأنهم في الآخرة ينهزمون. إليه إشارة "**وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**" شرح للظالمين الذين لا يقدرون أن يدركوا العلم على حقيقة، لأن في طبيعتهم تلون، ليس فيهم استقرار، وإليه الإشارة "**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا** (83)" المراد من الإنسان طائفة من الناس لا الكل. نحن جربنا أن بهذا الخطاء الصغير زاد استشكال المفسرين و المحديثين في جمع الآيات و الأحاديث، و هو بلسان المنطق أن القضية المهملة تكون في قوة الجزئية، هم غفلوا عنها. و يستعملون قاعدتهم: أن المطلق إذا أطلق ينصرف إلى الفرد الكامل، فيحملون كل الإطلاقات على الحكم للنوع كله أو أكثره. فيقع عندهم تعارض المهملتين. و لو حملوها على صنفين لاندفع الإشكال.

فطائفة من الناس إذا جاءتها نعمة لا يتفكر في استبقائها بل يستغني عن كل الناس و تكون طاغية، ثم إذا ذهبت[132] عنها النعمة فليس عندها همة لتحصيل النعمة مرة أخرى. إذا غلب على قوم عدم التفكر فيصير الصنف الغالب هو مثلها. لكن فيهم يكون متفكرين أيضا، فإذا وصل إليهم شئ من العلم أو التدبير هم يصرفون جميع قواهم لتكميله. هؤلاء هم يكونون مركز القوم، هم يوجدون بين كل الأقوام، و لا يصل إليهم رجل إلا إذا تسامح مع تلك الطائفة المبطلة. هؤلاء المبطلون إذا سومحوا يكونون ذريعة لنشر صيت هذا الرجل إلى الأفراد البيعة. إليه إشارة عندنا "**وَإِذَا أَنْعَمْنَا**...".

لو قلنا أن نصف نظريات حكمة الإمام ولي الله شرح لتلك الآية "**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا** (84)" لما كان في قولنا هذا مبالغة، في **حجة الله البالغة** في باب اختلاف الناس في جبلتهم "**وقال الله تعالى: {قل كل يعمل على شاكلته}**.أي طريقته التي جبل عليها و إن شئت أن تستجلي ما فتح الله على في هذا الباب، و فهمني من معاني هذه الأحاديث (ذكرها في أول الباب) فاعلم أن القوة الملكية في الناس تخلق على وجهين: أحدهما الوجه المناسب بالملأ الأعلى... الوجه المناسب بالملأ السافل... و كذلك القوة البهيمية تخلق على وجهين: أحدهما البهيمية الشديدة الصفيقة كهيئة الفحل... و اجتماع القوتين أيضا يكون على وجهين: فتارة تجتمعتان بالتجاذب... وتارة بالاصطلاح... و لكل من مرتبتي الملكية والبهيمية والاجتماع طرفان ووسط وما يقرب من طرف أو وسط. و كذلك تذهب الأقسام إلى غير النهاية إلا أن رؤس الأقسام المنفرزة... إلى قوله و لكن أكثر الناس لايشكرون."[133] و قال في باب توزع الناس في كيفية تحصيل هذه السعادة "قال: اقتضى لطف الله و رحمته أن يبعث الرسول أولا وبالذات لإقامة الطريقة الثانية، (يعني الاجتماع بالاصطلاح) و الدعوة إليها، و الحث عليها، و يدل على الأولى بإشارات التزامية، و تلويحات تضمنية لا غير، و لله الحجة البالغة." قال: "إنما آئمة الطريقة الثانية المفهومون، و ذووا إصلاح، و هم القائمون برياسة الدين و الدنيا معا، و دعوتهم هي المقبولة، و سنتهم هي المتبعة."[134]

---

[132] في ن م "ثم إن أذهبت".

[133] لينظر: ولي الله، **حجة الله البالغة**، باب اختلاف الناس في جبلتهم المستوجب لاختلاف أخلاقهم وأعمالهم ومراتب كمالهم، 1: 63-66. وقد ذكر الشيخ السندهي كلام الشاه ولي الله بالاختصار، و أما ما بين القوسين فهو كلام الشيخ السندهي لتوضيح المعنى.

[134] لينظر: نفس المرجع، باب توزع الناس في كيفية تحصيل هذه السعادة، 105-107.

نحن نفسر قوله "**وَإِذَا أَنْعَمْنَا...**" بحمله على أصحاب التجاذب. "**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**" نحن نحمل قوله "**أَهْدَى سَبِيلًا**" على أصحاب الاصطلاح. فإن كان أرباب التجاذب لا يفهمون القرآن، و لا يقبلون دعوته، فلا ضيز، لأن أصحاب الاصطلاح و هم أكثر الإنسانية يقبلون دعوته[135] من كل قوم. و إنما أطلنا نصوص الحجة البالغة للتنبيه على أن معرفة هذا المقام من القرآن لا يتيسر فهمه عندنا إلا لمن أتقن قدر عشر ورقات من **حجة الله البالغة،** قرأها مرارا حتى تصير عنده مثل البديهات. و ليس ذلك بصعب على من يريد معرفة القرآن: بيان المعرفة الحقيقة لا الوهمية و لا الخيالية على أصول عقلية، و تقسيم حاصر لا يقدر على بيانها إلا رجال يعدون على الأصابع في الأمة المحمدية على كثرة أهل العلوم و المعارف فيها. والإمام ولي الله فيهم، فمن أراد أن يفسر القرآن على ذهنية العارفين من أهل الإسلام، و يعرضها على أصحاب العقول السليمة في عصرنا فيحبب عليه أن يستعين بكلام الإمام، لا سيما في مثل هذا المقام.

جملة معترضة: الشيخ قسم الإنسانية على ثمانية أقسام كما تقدم عبارته، فالثامن يكون ملكية عالية تجتمع مع بهيمية شديدة على وجه الاصطلاح. هذا القسم الثامن قسمناه على أربعة أقسام: الانبياء و المرسلون، الحكماء و الصديقون، الشهداء، الصالحون. الصالحون يكونون في الطبقة الثانية مع السابقين في القوة العلمية، أو مع السابقين في القوة العملية. و الشهداء يكونون هم السابقون في القوة العملية. و الصديقون و الحكماء يكونون من السابقين في القوة العلمية، و عندهم أعلى تلك الأصناف الأربعة للكاملين، أشار إليه القرآن الكتاب، و مفصل بيان هذه الأصناف في كتب **العبقات** في الإشارة الرابعة.[136] هؤلاء الأربعة جعلناها من أقسام القسم الثامن من تقاسيم **حجة الله البالغة**. فإذا ضممنا هذه الأربعة مع السبعة الباقية صارت إحدى عشر. ثم طبقنا حديث أبي زرع[137] على تلك الاقسام فانطبق هذا من فضل الله.

---

[135] في ن م "دعوة القرآن"

[136] لينظر: إسماعيل، **العبقات**، مبحث الأحكام العامة لمراتب الكمال، 164-167

[137] عن عائشة، قالت: "جلس إحدى عشرة امرأة، فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئا، قالت الأولى: زوجي لحم جمل غث، على رأس جبل: لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل، قالت الثانية: زوجي لا أبث خبره، إني أخاف أن لا أذره، إن أذكره أذكر عجره وبجره، قالت الثالثة: زوجي العشنق، إن أنطق أطلق وإن أسكت أعلق، قالت الرابعة: زوجي كليل تهامة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سآمة، قالت الخامسة: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا

الفصل: فصل دعوة أهل الكتاب اليوم، كان دعوة الأمم من هنا ابتداء دعوة بني إسرائيل، "**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)**" جاء في الروايات أن اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم. و السورة مكية، عندي اختلاط اليهود مع قريش لم يكن مستبعدا، فيمكن أن تجيئ طائفة من اليهود إلى مكة، لأن اليهود و قريش أهل تجارة، و كانت بينهم معاملات، فسأل اليهود أو قريش سألت بسؤال اليهود عن الرواح؛ مسألة من المسائل الإلهية لا يقدر على إدراكها الأميون عامة. تفصيل الجواب في الكتاب خلاف الحكمة، فأجمل في الجواب "**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**" لا يقدر على إنشائه غير ربي "**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**".

مسألة حظيرة القدس و مسألة الملأ الأعلى و مسألة عالم المثال من مبادي الإلهيات، فمن لم يعرفها ليس علمه واسعا في الإلهيات. أما النبي فقد رأها بعينه فإن كانت المصلحة تقتضي بيانها لبين بالتفصيل. ننتقل من تلك المسألة المشكلة إلى مسألة تقاربها، فنرى كيف تحيطون بعلمها. هو مسألة القرآن، فإن القرآن روح أيضا. ذكر الله في سورة الشورى "**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ**"[138] و قد ذكرنا قبل أن موطن في حظيرة القدس ينزل إليه العلم من الرحمن

يسأل عما عهد، قالت السادسة: زوجي إن أكل لف، وإن شرب اشتف، وإن اضطجع التف، ولا يولج الكف ليعلم البث. قالت السابعة: زوجي غياياء – أو عياياء – طباقاء، كل داء له داء، شجك أو فلك أو جمع كلا لك، قالت الثامنة: زوجي المس مس أرنب، والريح ريح زرنب، قالت التاسعة: زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد، قالت العاشرة: زوجي مالك وما مالك، مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك، قليلات المسارح، وإذا سمعن صوت المزهر، أيقن أنهن هوالك، قالت الحادية عشرة: زوجي أبو زرع، وما أبو زرع، أناس من حلي أذني، وملأ من شحم عضدي، وبجحني فبجحت إلي نفسي، وجدني في أهل غنيمة بشق، فجعلني في أهل صهيل وأطيط، ودائس ومنق، فعنده أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح، وأشرب فأتقنح، أم أبي زرع، فما أم أبي زرع، عكومها رداح، وبيتها فساح، ابن أبي زرع، فما ابن أبي زرع، مضجعه كمسل شطبة، ويشبعه ذراع الجفرة، بنت أبي زرع، فما بنت أبي زرع، طوع أبيها، وطوع أمها، وملء كسائها، وغيظ جارتها، جارية أبي زرع، فما جارية أبي زرع، لا تبث حديثنا تبثيثا، ولا تنقث ميرتنا تنقيثا، ولا تملأ بيتنا تعشيشا، قالت: خرج أبو زرع والأوطاب تمخض، فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين، يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلقني ونكحها، فنكحت بعده رجلا سريا، ركب شريا، وأخذ خطيا، وأراح علي نعما ثريا، وأعطاني من كل رائحة زوجا، وقال: كلي أم زرع وميري أهلك، قالت: فلو جمعت كل شيء أعطانيه، ما بلغ أصغر آنية أبي زرع، قالت عائشة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع»" قال أبو عبد الله: قال سعيد بن سلمة، عن هشام، «ولا تعشش بيتنا تعشيشا» قال أبو عبد الله: " وقال بعضهم: فأتقمح بالميم وهذا أصح ". أخرجه البخاري في **صحيح البخاري**، كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل، 7: 27.

[138] الشورى: 52

كأنه الروح الأصل، غير المبتدل، ثم في الموطن يتخذ صورة معينة مما يناسب ذلك الأصل باقتضاء الملأ الأعلى، فيتخذ مع تلك الصورة عكس، منها ينزل إلى موطن أدنى، و يتحد مع السورة فيقال تنزل العلم.

مسألة الروح الإنساني ترجع إلى معرفة الإنسانية تامة. و كيف يكون انبعاثها من إمام نوعها، و ذلك مشكل. أما مسألة نزول العلم الإلهي بصورة الكتاب المناسب لزمان، ثم نزوله بصورة أخرى مناسبة لزمن آخر، إذا قدر رجل بمطالعة الكتابين إلى تفطن أمر مشترك بينهما، فهو لفهم الروح أقرب. فقوله: " **وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (86) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (87)**" يعنى روحا من أمرنا ثم "**لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا**" يعني هذا الكتاب الذي أعطيناك ليس لك، و لا لوكيلا دخل في نزوله، إنما هو رحمة إلهية، تصورت بتلك الصورة. فأهل الكتاب يقدرون على فهم ذلك المعنى من ذلك الكتاب. الذين يسألون عن مسألة الروح، فإن جاء في فكر أحد ليس هذا منزلا من الله بل هو فكر محمد عليه السلام "**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)**" فليس هذا من تصنيف النبي بل "**رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا**" هذا كتاب يجمع العالم. روح هذا الكتاب هو هذا، فلا يقدر رجل و لا أقوام على تصنيفه. ففيه إشارة باللطافة مجمع الروحانية للإنسانية. فكان دعوة مثبتة لأهل الكتاب أن يتفكروا فيه، لكنهم لا يلتفتون، و إليه الإشارة في "**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (89)**".

لايخفى على المتفكر أن دعوة أهل الكتاب إلى الانضمام في موطن الإسماعيليين في مكة. و كان ناس من اليهود يأتون لزيارة مسجد إبراهيم أيضا. في كل ملة صنفان: صنف متعصب لايلتفت إلى غير مذهبه. صنف مسامح، إذا سمع شيئا يمكن أن يكون صحيحا يأخذون به و يتركون. مثل المسلمين فيهم رجال محققون للحديث، لايقبلون إلا إذا ثبت بالحجة أنه صحيح. صنف إذا رأوا حديثا يمكن صحته يأخذون به، هؤلاء هم الذين كثروا كتب الأحاديث. هكذا رأينا في كل ملة و كل مذهب طوائف متخالفة: متعصب، مسامح. فالمتسامحون من أهل الديانة كانوا يتركون بزيارة هذا المسجد. و آخرون يأتون للتجارات و المعاملات. فالبحث و الدعوة إنما جرى في مكة. و اليهود كان عندهم إلى ذلك الوقت مسامحة في قبول هذا النبي، لأن الرد في ذلك إنما كان على المشركين. و الدعوة كانت إلى الحنيفية طريقة إبراهيم، فتصديق هذا الأمر لا يثقل على اليهود. أما إذا صار حاصل المسألة أن القرآن يجمع الأمم، و يكون هذا

النبي هو النبي الموعود المبشر به، فيأتي في قلوبهم شئ من التعصب، فيحثون قريشا أن يعارضوا النبي. فالذي نراه من الاعتراض الآتي كان منشأه طبيعة قريش، لكن فيه تخصيص من اليهود أيضا.

فقريش يقولون من الآيات 90-93 "**وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93)**" إذا كان هذا الكتاب روح الكتب المنزلة من الله على الأرض، فالمنزل عليه هذا الكتاب أيضا يكون في الروحانية على درجة علية، فليعمل لنا من الأعمال الروحانية، هذه الأعمال و جواب ذلك ليس إلا كلمة مختصرة : "**قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا**" و تلك الأعمال ليست من أعمال البشر، و لا تناسب البشرية.

بعد ذلك تصريح بشدة تأثير هذا الفكر "**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (94)**" كأنهم لا يقبلون رسولا إذا كان بشرا. هم لا يعرفون مصلحة الرسالة، هي تقتضي أن يكون الرسول بشرا بسراية التأثير إلى الناس، إليه أشار بقوله "**قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (95) قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (96)**" يعني لو جعلنا الرسول ملكا نقسم الملائكة على قسمين: قسم يكون مطمئنا في الأرض، ليمكن أخذ البشر منهم العلوم.

ذكر الرومي[139] حكاية لطيفة لتفهيم تلك المسألة. أن امرأة كان لها صبي صغير، كان على السطح، فأرادت الأم أخذ الصبي، فهرب الصبي إلى الجدار، و ما كان على الجدار شئ يمنع التردي. كل ما دعته أمه هو يقرب من آخر السطح، فاضطرت الأم، و رأت في الطريق حكيما يذهب، فالحث عليه في هذه الواقعة. فأشار إليها الحكيم أن نترك الصبي على حاله، و تأتي بصبي آخر مثله في العمر. فلما جاءت الأم بصبي آخر هو سعى، و عد لملاقاة الصبي، و ترك السطح و الجدار. هذا كان تأثير الجنيسة.

---

[139] جلال الدين الرومى هو محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخى، ولد سنة 1207م، أديب و فقيه حنفي و صوفي. أصوله فارسيه و يعرف بالرومى، و توفي سنة 1273م، و من مصنفاته: **المثنوي، الديوان الكبير، الرباعيات**.

فالبشر لا يتبشر، و لا ينشرح قواه للعمل إلا مع البشر. فتلك الحكمة أوجبت أن جعلنا الملائكة رسولا، نجعلهم في صورة البشر. و هؤلاء الناس بسبب عدم إيمانهم بالآخرة لا يعرفون ما في الإنسان من الملكية. فإذا كانوا هم يعرفون ما وصل إليه الكاملون من البشر في تكميل البشرية لما أنكروا على الأنبياء، بل لكانوا يظنونهم ملائكة بصورة البشر.

فمن قوله "**وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (97) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (98) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (99)** " إشارة إلى هذا، يعني أنهم لا يؤمنون بالآخرة، فلا يعلمون معنى البشرية و الملكية واتصالهما. نقرأ تلك الآيات "**وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ**" يعني إذا كان يفهم معنى الملائكة و البشرية، فهؤلاء لا يجد فرقا كثيرا بين ملك ظهر بصورة البشر و بين بشر جمع كل كمالات الملكية، هذا هو المهتدى. و إذا لم يفهم المسألة فلا يقدر أحد أن يجعله مقرا به. فالضالون ضلالتهم بسبب كفرهم باليوم الآخر. "**وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ... لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا**" كان يلزم عليهم بعد ذلك البيان أن يرجعوا عن ذلك الاعتراض، هذه خاتمة -الآية- 99.

و في -الآية- 100 تشريح حكمة كون الرسول بشرا؛ هي ان الممالك تفتح تحت حكم هذا الدين و تجمع الخزائن، فإن لم يكن الرسول بشرا ما قدر على تقسيم تلك الخزائن. و أما أنتم فلو كانت تلك الخزائن بأيديكم ما أنفقتم منها شيئا، فتلك المصلحة لأن المركزية المادية للعالم تكون تحت مركز هذا التحريك، و اقتسامها على الحق لا يمكن بدون بشر رسول. إلى هذا إشارة عندنا "**قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (100)**" وجعل هذه الآية متعلقة بمسألة البشرية، لم يتوجه إليه كثير من التفاسير، و صارت الآية معترضة لا تعلق لها بالسابق و اللاحق. و بهذه الإشارة التي ذكرناها اتسق النظام بين الآيات.

فروح الدعوة القرآنية و روح دعوة موسى كأنه روح واحد. مثل ما جاء القرآن بالأحكام جاء موسى بتسع آيات بينات؛ الصورة مختلفة و الروح واحد. "**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ**

بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (101)" هي الأحكام العشرة بدون حكم السبت. و تخبط من المفسرين من فسرها بالمعجزات، لأن النبي سئل عن تفسير تلك الآيات، فسرها بأحكام. قال الترمذي: حديث حسن صحيح[140] فلا يجوز بعد ذلك الالتفات إلى أقوال التفسير "**فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**" ما كانت المنازعة بين موسى و فرعون إلا أن موسى يقول لفرعون أترك بني إسرائيل أحرارا حتى يعملوا بتلك الأحكام. و تلك الأحكام توصلهم إلى تحصيل الخلافة، لهم تكون نموذجا صالحا للعالم، فلا تمنع قوما فيهم استعداد على العمل بهذه الأحكام، "**فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا**" يعني هؤلاء المساكين بالعمل بتلك الأحكام يفوزون إلى تلك الدرجة العالية. "**قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (102)**" الظاهر من تلك الآيات أنها بصائر للعالم أنزلها رب السموات و الأرض. و لا تكون ذلك إلا أحكام تسعة لا الأجزية الوقتية لقوم فرعون. معنى " **مَثْبُورًا**" مهلكا بمخالفة تلك الأحكام.

"**فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (103)**" كان فرعون أراد أن يجعلهم في سجن أو حبس أشد من الأول، ولا يتركهم يتفكرون في شي سوى اكتساب ضرورياتهم، فكأنه أخرجهم عن رياسة الأرض التي كانت لهم قليلا من الحرية في المعاملات. و بعد دعوة موسى شدد عليهم حتى لا يبقي لهم شئ من الحرية، "**فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا**" جزائه كان الإغراق.

"**وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (104)**" أرض الموعد و اعملوا بالأحكام. و إذا قرأ الرجل كتب أنبياء بني إسرائيل بعد موسى يجد الأمر واضحا، أنهم يشددون عليهم أن لا يتركوا الأحكام. "**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ**" إذا جاء بعد موسى نبي مثله، فإن

---

[140] عن صفوان بن عسال، أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي نسأله، فقال: لا تقل له نبي فإنه إن سمعها تقول نبي كانت له أربعة أعين، فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قول الله عز وجل {ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات} [الإسراء: 101] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تشركوا بالله شيئا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تسرقوا، ولا تسحروا، ولا تمشوا ببريء إلى سلطان فيقتله، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفروا من الزحف، - شك شعبة -، وعليكم اليهود خاصة ألا تعتدوا في السبت» فقبلا يديه ورجليه وقالا: نشهد أنك نبي، قال: «فما يمنعكما أن تسلما»؟ قالا: إن داود دعا الله، أن لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود: «هذا حديث حسن صحيح». لينظر: الترمذي، **السنن**، أبواب تفسير القرآن، باب: و من سورة بني إسرائيل،5: 305.

لم تمثلوا أحكامه "**جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا**" هذه تسع آيات بينات أعطيها موسى. نستنتج من ذلك أن تلك الأحكام كانت معمولة في الإنسانية قبلها، من تشبث بها أنجح و أفلح، و من تركها هلك. فبتكرار الدهور و كثرة التجارب صارت أيات بينات يعني البديهات، فارتقاء تلك الأحكام إلى درجة البينات تنجئ عن التجارب الكثرة.

فالقرآن أكمل، تلك التسع الآيات بضم آيتين معها، و جعلها صالحة للاجتماعيات الإنسانية كلها، و إليه الإشارة "**وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (105) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (106)**" في طبيعتها الحقانية مرتكزة لكثرة التكرار، و كثرة التجارب و لحاجة للإنسانية حققه، أنزلناها، "**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**" تلك الآيات أنزلناها في سور القرآنية مفرقة قبل هذا، ثم جمعناها فيه، فكان إدراكها للأميين أسهل، يدركون شيئا، ثم يمكثون، ثم يدركون آخر "**وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا**".

"**قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (108) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (109)**" هذا خطاب لقريش. "**إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ** ..." هم يفهمون أنه قد جاء وقت اجتماع الإنسانية على مركز واحد. "**يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ**...." فأشار إلى أن اختلاف اللغات جائز في الاجتماعية الإنسانية، إذا كانت المعاني متحدة بإنزال قوله عندنا "**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (110)**" في ما نراه إشارة إلى رعاية الاجتماع بالاصطلاح. و هو مقصد الأنبياء كلهم. هؤلاء هم يجتمعون على مركز. و أما أصحاب التجاذب فلا يكون لهم مركز عمومي أبدا، هذا المركز عنوانه و شعاره و مجمع أفكاره، و المركز الأعلى في المعارف لا يكون إلا التوحيد. لهذا المعنى الذي أمر الله به في آخر آية "**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (111)**"

سورة الكهف

بسم الله الرحمان الرحيم

هذه السورة عندنا هي لدعوة الصابئة للاشتراك في مركز الحنيفية الذي أنفق عليها الإسماعيليون و الإسرائيليون. طريقة الإمام إبراهيم الخليل كانت على لون، ثم انشعب منها أديان بني إسرائيل فانصبغت بلون، ثم انشعبت منه طريقة بني إسماعيل، و انصبغت بلون آخر. ثم اجتمعنا في تعليم القرآن في الدرجة الثانية، فكان لونا ثالثا بالاجتماع كان أقرب إلى الحنيفية للأصل، و لم يكن عينها، ثم إن اجتمع في هذا المركز الصابئون، إذا بينهما و بين الحنفاء نوع من القرب في الأصل: الحنيفية إنما خرجت من الصابئية بارتقائها، فليس بينهما تباين، بل إن أراد الصابئون الارتقاء الطبيعي في حركتهم صاروا حنفاء، فدعوتهم في الاجتماع في المركز لا تغير لون المركز عن الحنيفية بحيث يتباعد عن الحنيفية. وما يقال من الصابئية بعد تغلب الحنيفية فليس فيهم تحريك الأنبياء: ليس في تحريكهم الاستناد إلى مناصب الأنبياء بل إلى طبقة تلى الأنبياء؛ هي[141] الصديقون من الحكماء و الخلفاء. ثم بعدهم الولاية الكبرى موجودة فيهم مثل الحنفاء، ثم بعدهم الولاية الصغرى هي أيضا موجودة في الطريقتين، لكن الفرق بين مرتبة الولاية في الصابئة و الحنفية؛ إن الاعتماد عند الصابئة على الفناء و الجذب، و عند الحنيفية على الاكتساب و التكميل من الأنبياء، ففي الصورة يكون الاختلاف، أما في المعنى فلا اختلاف فيه. تفصيل ذلك: أن جميع علوم الحكمة الطبيعية و الرياضية و الإلهية التي اتنشرت في الإنسانية و عليها تبتني كثير من الحوادث الكونية، كلها من بقايا الصابئة، والاجتماعية عندهم تكون مثل الطرق و المذاهب. أما الاجتماعية العامة للإنسانية ففيهم نادرة إلا إذا قام فيهم حكيم كبير، أو خليفة يجمع الأمم تحت حكمه. والكثرة فيهم للأولياء الكبار و الصغار المجذوبين و أرباب الفناء الكامل، فمن أخذ منهم الطريقة على المنهاج الأصلى يكون أقرب إلى الحنيفية كلهم، يتقارب صاحبه في الدرجة. و أما إذا فسد فيكون الأولياء الكبار و الصغار مرجع حوائجهم في الدنيا و الآخر حتى أنهم ينسون فكر الرب، و يكتفون بذكرهم عن ذكر الرب، و هذا هو الشرك الغالب على الأرض في اصطلاح الحنيفية.

[141] المراد به هي طبقة الصديقين

نرى المظاهرات في الصابئة في الهند، عندهم علوم الحكمة من الطبيعية و الرياضية و الإلهية، و استنادهم في الاجتماعيات إلى رجال يظنونهم أرباب الفناء و البقاء الكاملين، فينسبون أنفسهم إليهم و يذكرون أسمائهم، لا يعرفون في رفع حوائجهم في الدنيا أدنى النجاة على حسب عقيدتهم إلا الاعتماد على هؤلاء الكرام. و لا يذكرون في عامة حالاتهم إلا اسم ذلك الرجل الكبير مثل كريشنا[142]، مثل راما[143]. و هكذا بعده من اتباع هؤلاء الكبار، رجال مجذوبون، فالطرق الصغيرة منسوبة إليهم و هم لا يعرفون غير هؤلاء.

الإسلام جاء إلى الهند بواسطة الفاتحين. فما نفع إلا أخذ الغنائم و الأسارى، والتغلب على قطعة من الأرض إلى أيام. فإذا ضعف الحكام و تقوى الأهالي أخرجوهم. ثم جاء الصوفية، هم دخلوا في طرق المذاهب، و أثبتوا فضلهم على من يعتقدونه مرجعا في ديانتهم بإظهار الكرامات، و بتعليم السلوك، وتحصيل الفناء و البقاء للكاملين، و الجذب. فدخل جماعات و أفواج في الإسلام. ثم كان يجب على أهل العلم تعليمهم شرائع الإسلام، فقصروا في ذلك. و إنما كان مرجع العلماء الاعتماد على الحكام، و أخذ مناصب القضاء منهم. و عامة المسلمين في الهند إلى أيامنا هذه لا يعرفون شرائع الإسلام إلا قليل. و كل ذلك لسوء عمل العلماء، و اشتراكهم مع الحكومة في أخذ أموال الناس فقط. فرجع الناس بعد أخذهم الإسلام من الصوفية إلى ما اعتادوه في الصابئة. فأولا كانوا يعبدون كريشنا و راما، والآن يعبدون الشيوخ عبد القادر الجيلاني، و الشيخ معين الدين الأجميري،[144] و الشيخ بهاؤ الدين الموتاني،[145] و يسمونهم

---

[142] أحد آلهة الديانة الهندوسية الكبار، تعبده طائفة من الهندوسية.

[143] هو إله هندوسي وبطل شجاع وتنسب إليه الملحمة الهندية المشهورة، زوج سيتا.

[144] الشيخ الإمام الزاهد الكبير الحسن بن الحسن السجزي شيخ الاسلام معين الدين الأجميري الولي المشهور، كان مولده سنة 537 هـ ببلدة سجستان، ويذكر له كشوف وكرامات ووقائع غريبة، و توفي 627 هـ. لينظر: الحسني، **نزهة الخواطر**، 1: 91.

[145] هكذا في المخطوط، و الصحيح الملتاني. هو الشيخ الإمام العالم المحدث زكريا بن محمد القرشي الأسدي شيخ الاسلام بهاءالدين أبو محمد الملتاني المتفق على ولايته وجلالته، ولد 566 هـ، فسافر إلى بخارا وأخذ العلم بها عن كبار الأساتذة، وأخذ الطريقة عن الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي صاحب **العوارف** ثم عاد إلى ملتان وتصدر للارشاد فرزق من القبول ما لم يرزق أحد من المشايخ، و توفي سنة 666 هـ. و لينظر: الحسني، **نزهة الخواطر**، 1: 99-100.

أغواثا و أقطابا.[146] و الإنسان يتبصر في طرق الصابئة جنبا بجنب، الطرف الواحد الهند، و الطرف الآخر المسلمون: طابق النعل بالنعل. و هذا الذي نجده من تعليم الكتاب و السنة، هذا كله من آثار تجديد المجديدين في الألف الثاني الإمام الشيخ أحمد السرهندي،[147] و رفيقه الشيخ عبد الحق الدهلوي، من مساعيها عرف الناس معنى الشرك والتوحيد، والسنة والبدعة. ثم جاء الإمام ولي الله، و بواسطة أتباعه تكامل الأمر الذي ابتداء به الأولون. فطريقة هؤلاء المجددين عندنا هو طريقة الحنفاء.

و أما الأولون: من سبقهم، فالأغلب عليهم ليس إلا طريقة الصابئة. فالذين يظنون أن الصابئة ليس لهم وجودهم أجهل الناس في الأديان: يظنون أن الصابئة ليس لهم وجود إلا في بعض قرى سوريا. نحن نعرف طريقة الصابئة في الهند بالتحقيق، ثم نجد المسلمين في الهند الذين لم يعلموا الإسلام على حقيقة، هم أيضا على ذهنية الصابئة، إنما بدلوا أسماء[148] ثم ذهبنا إلى أفغانستان، و اطلعنا هناك التركستان و الإيران أيضا، فوجدنا الذهنية الغالبة على عامة الناس، هي ذهنية الصابئة فقط، غيروا الأسماء مثل المسلمين في الهند. الإيراني يعتمد على أهل البيت مثل اعتماد الهنود على كريشنا و راما. و التركستانيون

---

[146] الغوث و القطب من مصطلحات الصوفية. هذه المصطلحات يستعمل في التصوف لبيان مراتب الأولياء (الباحث). و قال صاحب **كشاف اصطلاحات الفنون**: "القطب: حجر الرّحى والعجلة. والقطب عند أهل السلوك عبارة عن رجل واحد هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كلّ زمان ويسمّى بالغوث أيضا، وهو خلق على قلب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يعني قطب: إنسان واحد الذي هو محلّ نظر الله سبحانه وتعالى نظرة خاصة من بين جميع الناس في كلّ زمان، وذلك القطب على مثل قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويقال له عبد الإله، وعن يمينه وشماله إمامان. أمّا الذي عن يمينه فاسمه عبد الرّبّ ونظره في عالم الملكوت، وأمّا الذي عن شماله فاسمه عبد الملك ونظره في عالم الملك وهو أعلى من زميله عبد الرّبّ وهو خليفة القطب بعد موته، كذا في مجمع السلوك." ولينظر: محمد على التهانوي، **كشاف اصطلاحات الفنون**، لبنان، بيروت، 2: 1328.

[147] الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي، الإمام العارف، بحر الحقائق والأسرار والمعارف، ولد بسرهند سنة 971هـ، أشاع طريقته في مشارق أرضه ومغاربها، وعم هذه الأمة برغائب فيوضه وغرائبها، ومن مصنفاته المشهورة **الأسفار الثلاثة من مكاتيبه، ورسائل مفردة كالمبدأ والمعاد، والمعارف اللدنية، والمكاشفات الغيبية** وغير ذلك، وكانت وفاة الشيخ أحمد المجدد سنة 1034هـ. لينظر: الحسني، **نزهة الخواطر**، 5: 479-486.

[148] في ن م بزيادة الف لام "الأسماء".

يعتمدون على بهاء الدين النقشبندي[149] بلاد كردان.[150] ثم نرى في مركز الإسلام الحجاز؛ عامة الناس يتجسسون المجذوبين و الكاملين في الفناء و البقاء. أما رجل يتوجه إلى الكتاب و السنة فلا نرى إلا من الوهابيين أو من شابههم، أو رجل وصل بالمسجدين في الهند. أما سرور تلاوة القرآن بدون فهم المعنى و سرد قراءة كتب الحديث و لعله يكون هكذا الفقه و النحو: هذا من خواص الحجاز.

و إذا فتشنا في المعاني فهم مثل أخوانهم حاصل هذا. حاصله: أن المتلفظين بكلمة الإسلام غلب عليهم ذهنية الصابئة: الاعتماد على المجذوبين في الطرق، و حصل الشريعة و الديانة للكاملين فناء و بقاء فقط، و كل منهم يثبت في آئمة طريقة و مذهبه أنهم كانوا من الكاملين المكملين.

أما النبوة فهل يعرفون معناها و لوازمها؟ فلا. فليس في الحقيقة بينهم و الصابئة إلا فرق الإسم. و منذ تجدد الصابئة في أوروبا بصورة تجدد الطبيعات يتباعد ذهنيتهم عن الحنيفية يوما فيوما. ففي سورة الكهف دعوة الصابئة للاجتماع في مركز الحنيفية. و نحن نتعجب من رجال لهم قدم راسخ في العلم: علوم القرآن، تحقيق الحكمة، هم يظنون كل ما جاء في القرآن ذكر قوم أثبتوا لله ولدا، فالمراد منهم النصارى. و هذا غلط بين، إنما جاء هذا البلاء في النصرانية من الصابئة. و الصابئة تثبت لكل رجل يظنونه كاملا أنه إبن الله، و لذلك يستغنون بعد ذلك من ذكر الله، و يكتفون بذكر ذلك الكامل. و بهذا الوهم الغلط فقط ما قدر هؤلاء من أهل العلم على تفسير سورة الكهف، لأنهم حملوها على بيان عقيدة النصارى فقط. و مثل ذلك الفكر الغلط عام رائج بين أهل العلم: أنهم يظنون ليس للصابئة ذكر في القرآن. القرآن يذكر اليهودية و النصرانية، و من هذا الوجه أيضا يتباعدوا عن فهم معاني القرآن حقيقة. فكان لرد هؤلاء أهل العلم كافيا أن النبي بعث لإبطال إمبراطورية كسرى و قيصر. و للمجوسية ملة رافية من الصابئة، ليست هي من الحنفاء. أفلا يكون لها ذكر في القرآن، ولكنهم إذا تباعدوا عن التفكر في السياسيات و

---

[149] الشيخ المكاشف بهاء الدين محمد بن محمد بن محمد البخاري، المعروف بنقشبند، صاحب الطريقة المعروفة ، المتوفى بها في سنة 791هـ، وكانت ولادته في محرم سنة 718 هـ، وكان نسبته في الطريقة إلى السيد أمير كُلال وتلقّن منه الذكر، وكان يوصي بمعرفة مكائد النفس، وكان يقول: لا يصل أحد إلى هذه الطريقة إلا بمعرفته. وقال: طريقتنا هي العروة الوثقى لأنها مبنية على المتابعة لرسول الله [صلى الله عليه وسلم] وله رسائل في التصوف. و لينظر: حاجي خليفة، **سليم الوصول إلى طبقات الفحول** (تركيا، استنبول، مكتبة ارسيكا، ط: 2010) 3: 252.

[150] في ن م مثل هذا، و لم أفهم على الكلمة المذكورة.

التغلب على الملوك غاية همتهم ليس إلا البحث عن الألفاظ أو الدعوة إلى أوهام طريقتهم فقط، فما يريدون أن يفهموا حقيقة تفسير القرآن.

نحن نرى ما عمله المجددون بعد الألف الثاني، و تأثر المسلمون بتعاليمهم. نرى بعد ما غلب أوروبا على المسلمين على أكثر سلاطينهم نشأ بتأثير ذلك طائفة من المتفكرين في المسلمين؛ هم أيضا يتوجهون إلى تفسير القرآن. أما غير هاتين الطائفتين فتفاسيرهم تقليد على المتقدمين عامة، لا يبحثون عن شئ، كأنهم يعرفونه، فلذلك التغافل عن الأديان ليس بعيدا عنهم. تم التمهيد.

"**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1)**" معناه لا ينطبق على الصابئة الصحيحة. فيكون للإنسانية عذر في الانضمام إلى هذا المركز، فمرجع هذا يكون عند بعض أهل العلم اعوجاج في الدعوة. و نحمد الله أنه ما جعل في كتابه عوجا. كما كان مقصده جمع الحنيفية هكذا مقصده جمع الصابئة معها. فإن كان في ذلك امتناع عن قبول الصابئين فبعد ذلك الدعوة العمومية للإنسانية تكون ذات عوج.

"**قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (2) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (3)**" يدعو الأمم لكن لا يترك طريقة الأصلي لرعاية الأمم، هو قيم في أصوله، ثابت، لا يتبدل. فمثل هذا الأمر يكون سببا للانقلاب في الأديان. أما إذا فهم أرباب الأديان أن الدعوة تراعينا، و إن كنا على الخطاء، فهم لا يجدون حاجة إلى الانقلاب. أما إذا لم يكن في الدعوة رعاية لأحد، إذا كان مصرا على خطئه، والدعوة قائمة على أصول لايتبدل هي التي تكون سببا للانقلاب. هذا الذي قلنا كله معنى قوله "**قَيِّمًا**" عندنا "**لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا**" معناه حرب انقلابي. كل من لم يقبل هذا التجديد و الاصلاح أو لم يخضع له فنحاربه بدون قيد و شرط، هذا معنى قوله "**بَأْسًا شَدِيدًا**". الكتاب يدعوهم و إن لم يقبلو الدعوة يقتلهم. حكمة هذا الأمر لا يفهمها إلا الانقلابي الحكيم، فتعجبنا من قوم لا يعرفون معنى الانقلاب، و هم يفسرون القرآن. و أما نحن و إن لم نعرف معنى الانقلاب إلا بعد زمن. "**وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ**" والأجر يبتدي في الدنيا و يدوم في الآخرة، والموت لا يكون فاصلا، و قد ذكرنا هذا قبل "**وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (4)**" نحن نجعل هذا راجعا على جميع أديان الملة الصابئة بعد انحرافهم قليلا عن الأصل.

و في كتب النصارى أن المسيح كان يذكر الله باسم الأب، و يجعل نفسه مثل الإبن: معنى هذا لا يرجع إلا إلى معنى الخالق و المخلوق. رأينا كثيرا من الناس من الصابئة يسمون الوالد خالق ولده، فبهذا المعنى يطلق على الرب إسم الأب يعني الخالق، و على الرجل إسم الإبن يعني المخلوق. و اللطافة إظهار المحبة، يعني أن الرب يحبه مثل محبة الوالد ولده، أو أنه يحب ربه مثل ما يحب الناس آبائهم. فالاستعارة لهذا المعنى كانت عامة في الشرائع السابقة. أما جعله ولدا مالكا لاختيار أبيه بالتوارث، ما استقر إلا في الصابئة، إذا اتقنوا مسألة الفناء و البقاء في الولاية الكبرى فجعلوا الأولياء العارفين أبناء الله، و لا يحتاجون بعد ذلك إلى ذكر الرب، لأن الولد يقوم مقام أبيه حقيقة.

تلك المسألة[151] كانت مرتسخة في الأديان الصابئة (اليونان و الروم و الفرس و التوران والهند و الصين) كلهم كانوا صابئة كما ذكره ابن الأثير[152] في مقدمة **الكامل في التاريخ**،[153] فالروم دخلوا في النصرانية و الفرس جعلوا المجوسية أرقى من عامة الأديان الصابئة، أما الهند فالبراهمة و البوذية كلتاهما صابئة. و الملل الصابئة يدخل فيها أشياء من الحنيفية مع استكراه لهم، لغلة الحنيفية و استيلاء فكرهم مع الفطرة الإنسانية مثل ذلك في عصرنا. الشرقيون كلهم يبغضون أوروبا، مع ذلك الأوروبائية تسرى فيهم، لأنهم غالبون و أفكارهم معقولة. هكذا ينبغي أن يفهم الفرق بين الحنيفية و الصابئة.

فالنصارى لما ترجموا أناجيلهم إلى اليونانية أسسوا مسألة التثليث، وجعلوا المسيح ولدا لله على الحقيقة، فإنما كان ذلك تأثرا من الصابئة. فمن قوله "**وَيُنْذِرَ**..." راجع إلى الصابئة لا إلى النصرانية. "**مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (5)**" حمل تلك الكلمة على الحقيقة كذب محض، و هم أسسوا في حكمتهم الصادر الأول من الواجب كالولد مع الوالد.

---

[151] المراد به هذه المسألة، و في هذه الآمالى أن الشيخ السندهي استخدم لفظة "تلك" دون "هذه" لما المقام يحتاج أن يستخدم "هذه" دون تلك. و لكن ما غيرت و كتبت كما كان في المخطوط.

[152] علي بن محمد بن عبد الكريم، عز الدين ابن الأثير: المؤرخ الإمام، من العلماء بالنسب والأدب. ولد في سنة 555 هـ، ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل. وتجوّل في البلدان، وعاد إلى الموصل، فكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء، وتوفي بها سنة 630 هـ. من تصانيفه: **الكامل**، و **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، و **تاريخ الدولة الأتابكية**، و **الجامع الكبير**. ولينظر: الزركلي، الأعلام، 4: 331.

[153] لينظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، باب ملوك الروم و هم ثلاث طبقات، فالطبقة الأولى الصابئون (لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، ط: الأولى 1997) 1: 291-298.

و الصادر الأول تنزل إلى رجل منهم، وحصل له فناء و بقاء في الصادر الأول، فيسمونه مجازا. هذا الفرق الدقيق إنما كان عند حكمائهم. لما شاع ذلك الفكر في العامة؛ أن الرجل الفلاني ولد الله حقيقة حملوه على ما يعرفونه من حقيقة الولادة، فصار كذبا محضا، و صدق عليه "**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ**..." و صدق عليه "**مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ**...الخ"

و قد بحثنا عن ذلك أن أهل مكة عندنا بسبب تلوثهم بعبادة الأصنام أكثرهم كانوا مائلين إلى المجوسية، فهم إذا أطلقوا تلك الكلمة على الحقيقة يريدون مثل ما يريده الصابئة. "**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6)**" قوم من أولاد إسماعيل، يتفاخرون به، و يعتقدون بدين الصابئة، هذا كان وجه التأسف.

"**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (8)**" الصابئة أساسها على الحكمة التي تنتفع في عمارة الأرض، فعمارة الأرض ليست مقصودة بالذات بل المقصد تكميل الإنسانية. فالحكمة تكون ذريعة لإصلاح أخلاق الإنسانية على أساس متين، فليس الغرض منها فقط عمارة الأرض. إلى هذا إشارة عندنا في "**إِنَّا جَعَلْنَا**... **صَعِيدًا جُرُزًا**" ولو كان مقصدا أصليا ما أبطلناها. هذا الذي أخذنا من ربط الحكمة بالأخلاق، و الاجتماعية الإنسانية أخذنا من طريقة الإمام ولي الله؛ أنه إذا أراد أن يصنف كتابا في الأخلاق والهيئة الاجتماعية مثل **البدور البازغة** يذكر مقدمة جميع مسائل الحكمة الأساسية، ثم ينتقل منها إلى خلق الإنسان و نوعية أخلاقه و اجتماعيته. أما الأمر الأول يعني أن الحكمة نافعة في عمارة الأرض فلا أرى في الناس اختلافا فيه[154] لكن هو في الدرجة الأولى في الطريق، يعنى عمارة الأرض و تكميل الإنسانية هو المقصد الأصلى. في هذه السورة ثلث واقعات:

قصة أصحاب الكهف: هؤلاء كانوا طائفة من المجذوبين على درجة الولاية الصغرى، و في تلك الدرجة يتفق الصابئة و الحنيفية على منهاج واحد. الصابئة تعتمد على الجذب و الحنيفية تعتمد على الاكتساب، و المآل بعد التكميل واحد. و الأنبياء يريدون إقامة هذه الدرجة في جميع الناس، لأنها هي

[154] في ن م "في ذلك"

النبوة[155] لكل أحد، إنما يكون الفرق في الأوقات. الأذكياء يكملونها في أسرع وقت، والأغبياء يأخذون وقتا أطول، لكن ليس شيئا فوق فطرتهم. لا يقدرون أن يأخذوه، لأن أصل الإلهام و الملكية مركوز في طبيعة كل أفراد الناس، فالأنبياء في تعليمهم طريقة الاكتساب تسمى بالإسلام، و مقصده يسمى بالإحسان، فإن حصل الإحسان لرجل أولا بلا كسب يسمى الجذب، بعض سليمي الفطرة من الناس يكونون أذكياء في فهم حقيقة حظيرة القدس، والتوجه إلى الله بواسطتها. فذكائهم ينقدح بشئ من الصابئة فيجلى في قلبهم النور، يكون داعيا لهم إلى الاعتماد على الله تاما. هذا عندنا معنى الجذب. فإن كان حصل لهم بعد ذلك صحبة رجل كامل يعلمهم طريقة السلوك أيضا، و أداب الإسلام كلها بالسهولة، فهذا الرجل لا يمتاز عن رجل اكتسب أولا طريقة الإسلام كلها بالسهولة، فهذا الرجل لا يمتاز عن رجل اكتسب أولا طريقة الإسلام المستند إلى نبي، ثم باجتهاده في تلك الطريقة حصل له نور الإحسان. فطرق اكتسابهم مختلفة، أما المعنى فمتقارب، هذا نسميه على اصطلاح الإمام ولي الله، و على اصطلاح **العبقات**: الولاية الصغرى.[156]

عندنا أصحاب الكهف ليسوا من النصارى، كانوا على شمال غرب العرب، بين مصر وسوريا في الجبال. إسم بلدتهم في القديم بطر، كانت مركز الأنباط. ففي النسب إن كان أصحاب من الأنباط من أولاد إسماعيل فنحن لا ننكره.[157] أما الديانة فكانوا صابئة، نشرح مما ذكره الله. "**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (9)**" هذا أمر طبيعي لكل من يكون صاحب فطرة سلمية، و لم يحصل له أستاذ، مرشد يربيه على الطريقة، و بقي في صحبته ناس يخالفونه في الذوق و الطبيعة، فإذا زجر من ذلك ينقدح من فطرته نور يكون باعثا على ترك جميع ما سوى الله، و يعتمد في حوائجه كلها على الله. فنحن نفهم بذوقنا لو كان هؤلاء من اتباع نبي كان تيسر لهم مرشد يعلمهم طريقة الاجتماع مع الناس. إذا كان الرجل على الفطرة و ابتلى بصحبة جماعة دونه في الفطرة، فإن كان تهذب على يدي رجل مرشد فهؤلاء لايتركهم بل يجتهد بإزالة أغلاطهم، و يدعوهم إلى الحق، و يصبر على إيذائهم. هذا معروف من سيرة حواري المسيح و أتباعهم. أما الرهبانية التي اخترعواها فمعناه غير ذلك، ينقطعون عن مرافق

---

[155] في ن م "المنيرة".

[156] لينظر: الشاه إسماعيل، **العبقات**، باب الإشارة الإجمالية إلى مراتب كمال النفس، 185-187.

[157] في ن م "لا ننكر ذلك"

الحياة، و يسافرون إلى أراضي بعيدة و طرق قفرة[158] للدعوة على دينهم، ليس يذهبون إلى الغار، ينامون فيه. هؤلاء الناس إن كانوا متبصرين بطريقة المسيح ما اجترؤا على ما فعلوه، و ليس مما رواية صحيحة تنص على أنهم كانوا من أهل المسيح. الأنباط[159] من عراق إلى مصر، عمروا البلاد، وامتلكوا التجارات. فلما كان الناس هؤلاء منهم فلا ينسبون إلا على دينهم الصابئة. الحاصل أن أهل الكهف ليسوا شيئا عجيبا يتعجب منه. كل ما انجذب الناس إلى الله بمثل هذه الصورة، الله يكفيهم في قضاء كل حاجاتهم. تلك قاعدة كلية، و ليس نادرا عجيبا.

"**إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (12)**" أصل القصة تم على هذا؛ أنهم مجذوبون، ضجروا[160] عن حياتهم الاجتماعية. ما كانوا يعرفون طريقا يهاجرون إلى بلد، أو يكون لهم مرشد يهديهم، فقالوا نحن في كل شئ نتوكل على الله إلى الكهف قريب، فدعوا ربهم. فما كان في تلك الحالة أسكن لروعهم إلا النوم فناموا فاسترحوا. و نحن نعرف من تربية الله نوعا مخصوصا نسميه في حكمة الإمام ولي الله بالبسط. إذا وقعت واقعة في عالم الأجسام تحت اقتضاء الأسباب الطبيعة فأراد الله في تدبيره أن يجعله طويلا عريضا مديدا، لكن الأسباب الطبيعة لا تحمل ذلك الطول و العرض، فيمد الله في تلك الأسباب بقوى مثالية، فيطول إلى ما يريد الله إطالته. و الأسباب هي الأسباب في الظاهر، و الأسباب المثالية و القوى المثالية تتنزل بتلك الصورة. هذا الأمر نسميه بالبسط، و ليس هو بخاص برجال أو قرن أو زمن. رجل أنامه الله مأة عام، هو عندنا بسط في نومه. و رجال أنامهم الله ثلاث مأة سنين مثلا، هذا نوع من البسط في النوم. ليس شيئا عجيبا عند من يعرف أنواع تدابير الله. ثم أقامهم الله من نومهم ثم ذهبوا إلى القرية، و رأوا أن هؤلاء القوم ماتوا، و الطبقة الحالية فيهم رجال يهدون بالحق فرجعوا إليهم. تم.

---

[158] معناه: " الخلاء من الأرض، لا ماء فيه، ولا ناس، و لا كلاء" لينظر: **المعجم الوسيط**، مادة: ق،ف،ر، ص750.

[159] "شعب ساميٌّ ، كانت له دولة في شماليّ شبه الجزيرة العربيَّة ، وعاصَمتهم سَلْع." لينظر: المعجم الوسيط، مادة: ن، ب،ط، ص898.

[160] "ضاق و تبرم. فهو ضجر. و–المكان: ضاق بمن فيه." لينظر: **المعجم الوسيط**، مادة: ض،ج،ر، ص534.

نوع من الجذب استقامة على الحق، ظهور لتدبير الله بصورة خرق العادة: مثل هذه الأمور تقع في الحنيفية كثيرا لكن ناسا من الصابئة جعلوا أمثال هؤلاء الرجال أولاد لله، و عبدوهم، يعنى غلوا في موالاتهم. يذكرون أسمائهم عند الحاجات، و لا يذكرون اسم الله، فما نسبة تلك الواقعة إلى دين الإنسانية الاجتماعية. نعم. فيه نوع من التوجه إلى الدين الحق، فيستفيد بذلك أهل الحق، وجعل ذلك طريقا لعبادتهم تحريفا و انحرافا عن الحق بعد ما حقق الله كونهم على الحق، لعلهم ماتوا، لأن حياتهم هذه كانت بإمداد من عالم المثال، فإذا انقطع المدد يموتون بحكم الطبيعة. لكن تلك القصة عند الناس تفاصيل غير مستندة إلى الحق، فذكر الله شيئا من ذلك، و أثبت أنه لا يرجع إلى تحقيق هذا نموذج لإرجاع الصابئة إلى الحنيفية. ما كان فيه من الحق نثبته، و نؤمن به. أضافوا إليها من أوهام نردها، لأنها ليس لها دليل. فإذا أعملنا مع مذهب الصابئة في المقبولين منهم لا نردهم و لا نكفرهم، بل نؤمن بما عندهم من الحق، كما يعلمنا الكتاب. أليس يجتمعون كلهم مع الحنيفية.

فالكتاب ليس فيه عوج، قوله: "**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** (**13**)" تفصيل لما أجمله أولا؛ هم أذكياء، سليم الفطرة، لا يمكن لهم التمادي على الباطل. "**وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا** (**14**) **هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا** (**15**) **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا** (**16**)" قاموا بضعفة شديدة. كثير من الناس يموتون في مثل تلك الحالة بسقوط حركة قلبهم، لكن الله ربط على قلوبهم إذ قاموا، فما حصل سقوط و لا سكتة، قلوبهم كانت مربطة بعقولهم. و إذا حصل تفريق يأتي على العقل نور قوي انكشاف، لا يقدر القلب على موافقته، يحدث موتهم. و إذا كانت الرابطة قائمة فلا. "**فَقَالُوا رَبُّنَا**..." كل ذلك في حال غلبة الحق على دماغهم.

ثم نذكر قوله فيما سبق "**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ**" فبعد الضرب على آذانهم حدث ما ذكره الله في قوله: "**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا** (**16**) **وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا** (**17**) **وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ**

ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (18)" ثم ذكر الله "**وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20)**" فأرسلوا أحدهم للطعام. "**وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21)** بهذا الطريق أعثر الله عليهم "**لِيَعْلَمُوا** ..."

كما بسط الله في نومهم فلم يموتوا كذلك يبسط الله في موت الأموات الذي هو مثل النوم في حقهم، فما يكون البعث يوم القيامة إلامثل إيضاح من النوم، "**إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ**..." هم ماتوا على قبورهم، جعلوا مسجدا ليزورهم الناس. وتلك المساجد تنقلب معبدا لهم. بعد ذلك يأتي ناس يعبدونهم. نحن نرى تلك الحقيقة في الهند إلى يومنا هذا، لو ذكرنا لكم حكايات سمعناها من أيام الطفولية واقعات متقاربة قريبا من مئة سنة لرأيتم عجبا. فأنا أتيقن قطعا أن الرجل الصالح يأتون إلى قبره للزيادة أولا، ثم ينقلب هذا عبادة. أنا أعرف هذا في الصابئة و في مسلمي الهند.

"**سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (22)**" هذه حكاية لقولهم، و تفويض العلم إلى الله، ليس فيه تصديق قول دون قول كما فهمه بعض المفسرين، قالوا ثلاثة و خمسة، رده الله بقوله "**رَجْمًا بِالْغَيْبِ**" و أما قولهم سبعة فلم يرده الله، فهو الحق. و هم لم يتفطنوا أن هذا أيضا بقوة العطف داخل تحت قوله "**رَجْمًا بِالْغَيْبِ**". و بعد ذلك صرح الله "**قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ**...". بعد ذلك -الآيتين-(23-24) جملة معترضة.

"**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25)**" هذا أيضا داخل في "**وَيَقُولُونَ**"، لأن الله صرح بعده بقوله "**قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (26)**" هذا الذي قلنا؛ أنهم من المجذوبين، و أن تلك الدرجة مشتركة بين الصابئة و الحنيفية.

هو ما استفدناه من آية "**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (24)**" – " **وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (27) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28)**" نتكلم على هذه الأربع كأنها فصل مستقل. الفناء و البقاء طريق للتقرب إلى الحق، لها مرحلتان: الأولى الفناء في إرادة الحق و مشيئته، والبقاء بها. و حاصل ذلك يكون في الكشف التوحيد الأفعالي؛ لايرى الإنسان في الكون فعلا إلا و يرى أن الفاعل هو الله الحق، و بعد ذلك لا يريد شيئا إلا إذا ألهم بواسطة التجلي في حجره البحث في قلبه، أن الله يريد ذلك. هذا المبحث كما قرأناه في **فتوح الغيب** للإم عبد القادر الجيلاني، ما رأينا كلام حكيم مثله قط.[161] نتعجب من أهل العلم أنهم يعترفون بعظمة هذا الإمام، و لا ينظرون إلى كتابه نحو مئة صفحة مرة واحدة و يشتغلون بأغلاط المتكلمين، و ما ذلك إلا لتفسير الفقهاء. عامة أهل العلم عن السياسة و التصوف. هذا كتاب معروف في التصوف، و لا يقرأونه. والتصوف ليس إلا فلسفة إشراقية إسلامية، و هكذا كتب كلامهم أيضا فلسفة مشائية إسلامية، فلذلك ندعوا عامة أهل العلم أن يتفكروا في حالات بلادهم؛ يعني السياسة، و ندعو إلى التصوف، ليقرأ كتب أهل التحقيق منهم. و هم يعرفون أن الفقهاء ليس كلهم محققا، فكما يتركون بعض كتب الفقهاء كذلك يتركون بعض الكتب من أهل التصوف. إنما ذكرنا ذلك لأنا نعلم أن فهم تلك الآيات لايمكن بدونه. و من لم يفهم لم يذق من الإسلام روحه. فتفهيمها بواسطة إمام يكون أنفع للمسلمين، و إلا فنحن لا ندعوا عامة الناس إلا إلى كتب الامام ولي الله و أصحابه.

[162]"**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ... إِلَّا أَنْ يَشَاءَ**" هذا هو الاعتماد على مشيئة الله فوق الاعتماد إلى مشيئة نفسه. هذه حالة أصحاب الكهف، هم تركوا مشيئتهم تحت مشيئة الله. فلما جاء ذكر قصتهم نبه الله على أصل مقامهم. هذا يكون أولى في التفهيم، لأن المثال موجود، نستخرج منه قاعدة. و الحكمة الثانية قوله: "**وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**" على تفسير الحكماء إ ذا نسيت نفسك، إذا نسيت مشيئة

---

[161] لينظر: الجيلاني، عبدالقادر، **فتوح الغيب**، لاهور، بنغلا ديش، داكا، مركز الإعلام العالمي، ت: جمال الدين فالح الكيلاني، ط: الأولى 2014، ص30-35

[162] من هنا إلى آخر السورة لم أجد شيئا مكتوبا في نسختي أ،ح، و لهذا نسخت من ن م بدون المقارنة بين النسخ.

نفسك، فاذكر مشيئة الله و اعتمد عليها. و هذا اصطلاح منهم. والله يقول بعد ذلك لنبيه "**وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا**" المقصد أن هذه حالتها، أنا متمكن في تلك الحالة معي عقلي و عزمي كل شئ موجود، فليس حالة نبينا تماثل حالة هؤلاء تماما بل هو مقارب له. فالذين يتمنون أن يروا أصحاب الكهف هم ينظرون إلى النبي. و في "**وَاتْلُ مَا أُوحِيَ**..." يعني إذا قرأت كتاب ربك فتلك الحالة هي تفصيل الكتاب، و لن تجد من دونه ملتحدا، و تعرفون أن الإحسان هو المراد من تعليم الكتاب. تقرؤن العبقة التاسعة من الإشارة الرابعة،[163] فإن وصل الرجل من أول الإشارة تفهمون على التمام و الكمال بيان النبي عن نفسه في كتاب الله، فيه بعد عن الادعاء، و هذا تعليم من المعلمين. فإن بعض المرشدين يكون عندهم الادعاء و يضر هذا في الإرشاد، لأن الكامل إذا تنزل إلى طبيعة الطالب و جعل نفسه في مستوى واحد يستفيد و يسترشد الطالب أزيد. ما يكون هذا الذي رأينا في شيخنا شيخ الهند مولانا محمود حسن و في شيخ شيخنا مولانا قاسم، و رأينا بإرشادهم تخرج المسترشدون كثيرا.

قوله: "**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ**... **فُرُطًا**" آية واحدة: معنى هذا على ما نرى؛ أنت تعلم و تكمل تلك الطائفة التي تدعو ربها بالغداة و العشي، يريدون وجهه، أدنى معنى الوجه رضاه. إن لم يكن معناه التجلي فليس هذا فناء في مشيئة الرب. هذا ابتداع من طبيعتهم، و أنت إذا أدمت صحبتك معهم يتكاملون، يصيرون مثل أصحاب الكهف، هذا الذي كنا أشرنا أن الجذب أولا أو ظهور نوع الإحسان أخيرا ليس بينهما فرق إذا كان كل منهما تحت صحبة كامل. هذا معنى الدين و الشريعة التي يريد الكتاب نشره. أما الذين ليس لهم تعلق بذكر الله و إطاعته و تقديم مشيئة الله على مشيئة نفسه فأنت لا تلتفت إليهم.

"**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29)**"
هذا النبي و هؤلاء أصحابه يعينون مصداقه، و يستخرج بصحبتهم رجال مثل أصحاب الكهف، هذا هو الحق الذي يريده الله منكم. "**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ**...." والتقوى التي يريد الله إقامتها بالقرآن، هو جامع بين العدل؛ يعنى الإسلام و الإحسان. فإذا فرق الرجل بينهما لا يقبل منه. معنى الإيمان: هو الجمع بين الإسلام و الإحسان. و رجل يريد التفريق بينهما هو ليس بمؤمن في كتاب الله. هذا وصف أهل النفاق.

---

[163] في هذه العبقة الشاه إسماعيل قد ذكر ما يتعلق بمدلول الآيات بتهذيب النسمة و إحسانها في الولاية الصغرى. لينظر: الشاه إسماعيل الشيهد، **عبقات**، لاهور، إداره إسلاميات، ت: مناظر أحسن جيلاني، ص362

غرض من الألفاظ أن رجلا يتعلم الإسلام، و هو يريد تحصيل الإحسان، لكن لم يحصل إلى الآن، ليس هو داخلا في ما بين الإسلام و الإحسان.[164]

رأينا في أوروبا جماعات يريدون إقامة العدل و رفع الظلم، أنا لا أجعلهم مسلمين إلا إذا ضمموا الإحسان أيضا. و كثير من إخواننا يقولون أن الغرض من الإسلام إقامة العدل، و الحزب مقدم في هذا على المسلمين، فهم أولى من المسلمين. ثم ينبعون أقوالهم الشباب الذين يتخرجون من كليات الهند، و هم يستحقرون المسلمين بالنسبة إلى أوروبا بالشدة. و أنا أرد على هؤلاء الأخوان من أهل العلم أنهم أحاطوا في تفسير الإسلام بالعدل فقط. كل رجل متجدد في الهند أو في مصر سواء في المعنى، لا يجعلون معنى الإسلام إلا إقامة العدل، يستحقرون العبادات و الشريعة كلها. و هي ذريعة لتحصيل الإحسان، فيجعلون الأحزاب الأوروباوية التي تريد إقامة العدل أحسن و أكمل من المسلمين. و ضرر هذا الفكر عندي أعظم، في المستقبل فلا أجد طريقا أرد بها عليهم إلا أجعل نفسي مقتصرا و منحصرا في الدعوة إلى حكمة الإمام ولي الله. الله يذكر إلى أخره –الآية– (29) تخويف للكافرين.

و بعد ذلك من قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا (31)**" ترغيب لأهل الإيمان.

بعد ذلك ذكر الله مثلين: المثل الأول "**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَى رَبِّي**

[164] الجملة "في ما بين الإسلام و الإحسان" غير واصح حسب فهمي.

أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (43) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (44)" فالرجل الأول، جنة كان لها ثمر، و هو ظالم يقول ما أظن الساعة قائمة، و يقول ما أظن أن تبيدا هذه أبدا. و بعد ذلك جاء في "**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ**..." التدبر في هذا المثل يرجعنا إلى سورة ن. هناك ذكر أصحاب جنة أحرقت جنتهم، لأنهم منعوا لمساكين حقوقهم. الرجل إذا كان مؤمنا فأولا يؤمن أن ليس له معبود سوى الله. الثاني بعد الإيمان بالله هو الإحسان إلى الوالدين و من يلتصق بهم. و بيان هذا في سورة النساء "**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (36)**". فمن كان يؤمن بالله أول عمل يجب عليه في كتاب الله هو الإحسان، و ما ذكرهم الله بعد هذا الظالم يمنع نفسه عن هذا الإحسان، فيتكثر ماله في نظره، و نحن نعرف بالحقيقة أن مثل هذا الرجل يكون عاقبته خسرانا.

نحن نعرف جماعة من المرقفين ترك التوحيد فقط، يجعلون رأس كل خطيئة لكن عقليتهم لا يصل إليها، كل الناس و نحن جعلنا حكمة احترام جنته، عدم ايتماره بأمر الله بالإحسان، لأن الله لا يحتاج إلى عبادتنا و عقائدنا أبدا. إنما أمرنا بعبادته ليأمرنا بالأوامر النافعة في الدنيا و الآخر. و أول أمر أمره الله في كتابه هو الإحسان إلى المساكين و اليتامى و أهل الحاجة. و من كان مصرا على ترك هذا الأمر نفهم بالسهولة أنه لم يؤمن بالله، فيقول الله الآخر: "**لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ... إِلَّا بِاللَّهِ**" فإذا أنت تذكرت أن قوتك و مشيئتك تابعة لله كان اتباعك لأمر الحق سهلا عليك. و ما ظلمت على الناس لما احترق جنتك. هذا تأثير تلك المعرفة: الفناء في مشيئة الحق و البقاء به في الاجتماع الإنساني. كان تلك المعرفة قدرة ميسرة للايتمار بأوامر الحق. هذا حاصل المثل الأول.

و المثل الآخر ضربه الله لهم إلى –الآية– (49) و هو قوله تعالى: " **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (45) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا**

وَخَيْرٌ أَمَلًا (46) وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (47) وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (48) وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)" و حاصل هذا المثل عندنا بعد التدبر، و أخذناه من شيخ شيخنا مولانا محمد قاسم في الحياة الدنيا يعمل الإنسان أعمالا، نتيجة البعض يكون المال و البنون، و نتيجة البعض يكون الباقيات الصالحات تبقي معه إلى آخر الحياة الروحانية. و كلا الأمرين يمكن أن يحصل بإرادة واحدة و سعي واحد.

الإنسان بذر بذرا، فنزل الماء من السماء فيكون نتيجة الحشيش و الحبوب، فمن كان نية تحصيل الحبوب يحصل له الحشيش بالضرورة. فإذا كان رجل يريد الصالحات، فالمال و البنون يحصل له، لأن العمل الواحد يثمر ثمرتين. هذا العمل إذا عملنا على حسب هداية الكتاب. و جعل الإسلام و الإحسان مقارنين، ففي الدنيا يفهم الإنسان أنه أحسن فيها و إلا فيظهر بعد الموت. إن هذا كان واجب العمل. ذكر الله من —الآيات– (47–49) حالة المحشر لا يظلم ربك، ووجدوا ما عملوا حاضرا. فظاهر أنهم في تلك الحالة يكونون في فرحة و سرور. هذا هو حكم الاجتماعية الإنسانية طبعيا.

و نحن نجعل ذكر قصة آدم عنوان الفطرة الإنسانية الاجتماعية. فذكر الله "**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50) مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (51)**" قد ذكرنا أن الإنسان أولا يذكر الكامل الصالح و يزور قبره أو معتكفه، ثم يعبدهم الجاهلون، هذا غلط و ضلالة، يجب على الإنسانية أن تنفر عنها، و يصلحها نفسها، لكن هؤلاء الناس الذين لا يجعلون الحبوب مقصد حياتهم بل يكتفون بالحشيش، يعني لا يتفكرون في الدار الآخرة، إنما يقصرون نظرهم على الدنيا و نذكر منهم الأحزاب. الحزبية المقيمة للعدل: يصير عاقبتهم أنهم يعبدون الجاهل الظالم. إذا كان رجالا يظهر نفسه بصورة الصلاح، هذا عام في الإنسانية. و هذا تمثل لما قال الشيطان: لأحتنكن ذريته إلا قليلا. جعل الصالحين معبودين أولياء لأنفسهم أيضا، عاما في الإنسانية، و كان هذا عاما في الصابئة. إذا أعرضوا عن الأنبياء بتقديم مشيئة أنفسهم على مشيئة

ربهم، يجعلون الظالمين أولياء الله، و يطلبون منهم حاجاتهم. هؤلاء فساق لا يعرفون من مسألة الإنسانية، و لا يعرفون مسائل الكون في السماوات و الأرض. جعلهم هؤلاء الناس عضد الرحمان.

(وقفة للتدبر)

إذا كان الصالحون من الصابئة يصرفون، أن الحنفاء أيضا لا يريدون إلا إقامة الدرجة الولاية الصغرى في عامة الناس، يعني فناء مشيئتهم و بقاء مشيئة الله. أفلا يتحدون مع الحنفاء في ذلك الأمر إذا كان صالحون حقيقة، فلا يتأخرون عن هذا الاتحاد و الاجتماع. ثم إذا قام الحنفاء للرد على من يعبر الصالحين يمكن أن يخالفهم الصابئة، لأن العبادة إنما تصدر من الجهال. أما العارفون فإنما يريدون تذكارهم و زياراتهم، ففيه خير و شر مخلوط. لعل طبيعتهم لا ترضى بدفع هذا الشر، لأنه ينقص من الخير أيضا. هذا نعرف في طبيعة المسلمين في الهند الذين فطرتهم ما تهذبت بفطرة الحنفاء: كبار الصالحين على قبورهم عمارات عظيمة، الناس الصالحون يذهبون إليها، و يستفيدون كثيرا من الفوائد الدينية، يدعون لهم، و بتذكارهم يحسن طبيعتهم. الجهال يعبدونهم، هنالك يحدث شرك، فإذا قام رجل لمنع زيارة القبور مثلا، فالعلماء لا يرتضون بذلك، لأن في دفع الشر منع الخير أيضا. هذا عندي نموذج طبيعة الصالحين من الصابئة. فإذا قام عندي لرد تأثيرات النجوم و رد تأثيرات الصالحين يثقل عليهم لابد، هذا هو محل التدبر. لكن إذا عرضنا عليهم أن الناس باسترسالهم في ذلك الطريق وصلوا إلى درجة أن يعبدوا الشياطين و الجن و الفساق و الدجالين، و يتباعدون عن ذكر الله و عن تأثير سيرة أهل الصلاح، أليس يجب إنكارهم.

و عندي كل رجل عندما دنى صلاحيته لا ينكر. فإذا رأينا طريقنا موصلا إلى تلك الخباثة ليس واجبا علينا نسخ ذلك الطريق وتبديله بأحسن منها. نجعل اجتماع الناس مخصوصا بمساحد أهل الصلاح و تعظيم الشعائر التي لاتكون فيها شائبة للشرك، و عبادة الجن، و عبادة الفساق و الدجالين. فإن كان فيهم عقل و دراية و يريدون خدمة الإنسانية هم يتفقون مع الحنفاء. إلى هذا المعنى عندنا إشارة في ذكر قصة آدم. في ذلك الموضع أن الإنسانية الاجتماعية كلها خربت بعبادة الجن و الشياطين، فإصلاح ذلك بتحديد الحنيفية ألزم.

قوله: "**وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا (52) وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (53)**" يذهبون

خلف شركائهم، هم يقعون في النار، و من خلفهم أيضا في النار. فالإنسان في حياته لا يجعل الرجل إماما إلا إذا رأى أن يتبع كتاب الله و حالته في الطبيعة أن يقدم مشيئة الله على مشيئته.

و في "**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (54)**" بعد ذلك التوضيح أيضا إذا أصر الإنسان على دينه جدلا، ذكر الله بعد ذلك " **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (55) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا (56) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (57) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (58) وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (59)**" إنهم يهلكون في الدنيا، إما بأسباب القدرة و إما بأيدي الانقلاب التابعين للأنبياء. فعدم قبولهم الحق ليس لعدم وضوحه بل إن إهلاكهم في الدنيا لازم. هذه إشارة إلى الانقلاب الذي يأتي به القرآن. هذا إلى انتهاء قوله: "**وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا**". الحمد لله، تمت.

قوله: "**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60)**" المرتبة الثانية في الولاية نسميها بالولاية الكبرى: معناها مشروح في العبقات.[165] من لوازمها: لا يريد إرادة إلا بعد إرادة الرب. هذه الحالة تكون غالبة عليه في أكثر الحالات. فما أراد شيئا و نزل في الملاء الأعلى، فهذا منهاج النبوة. هذا الرجل و إن كان من الأولياء الكبار لكنه يكون تابعا لنبي ما، و إن كان نزل في قلبه شئ لم ينزل في الملاء الأعلى، فهذا منهاج الولاية عندنا. ففي بلاد لم يبعث الله نبيا يكون الأمر الإلهي واصلا إليهم بواسطة هذا الرجل، و تقوم الانقلابات العظيمة الجزئية بواسطة هؤلاء الرجال. هم في تلك الحالة يكونون مع الأنبياء......[166] لكن الفضل الكلي دائما يكون للأنبياء. فإذا حصل له اتصال ببعض الأنبياء يصدقونهم، لا يقع بينهم التخالف أبدا.

---

[165] لينظر: **العبقات**، باب الإشارة الإجمالية إلى مراتب النفس، ذكر المرتبة الثانية من مراتب أهل السعادة، 189-196.

[166] العبارة غير مفهمومة

طريقة تعليمهم تكون مثل طريقة الحكماء، و هم في الرتبة عندنا دون الحكماء. أمر الهداية في الصابئة منتشر بواسطة الأولياء الكبار. أما النبوة بالشرح و بالحد الذي حدده الحنفاء. و كثير من الصابئة لا يصرفونها، و ليس ذلك كفرا بالنبوة كما تخبط فيه الجهلة من أهل الكلام و الفقه في الملل الثلاث: النصارى، واليهود، والمسلمين. إما إذا قام نبي أو حكيم فيعترف بأهل الحق من الصابئة. قبل نبينا كان الأنبياء يبعثون فيصدقونهم، أما بعد نبينا فلم يبق إلا الحكماء من الأمة الإسلامية. وهؤلاء الجهال من أهل الكلام الفقه يكفرون هؤلاء الحكماء الذين يصدقون بما عند الصابئة من الحق، و هذا صار سببا لمنع نفوذ الإسلام و انتشاره في أمم كثيرة.

الإمام ولي الله يصدق بما عند الصابئة من الحق، و يحقق معارفهم، لكنه يداري الفقهاء و المتكلمين بعض المداراة، فبقي سالما من مخالفة الجهال، و كان مباركا نبعه جماعات من أهل المعرفة. و هؤلاء يشدد في الرد على أهل الكلام و الفقه إلا قليلا. و له لسان مخصوص، لا يفهمه إلا خواص أصحابه. تم التمهيد، و لله الحمد.

جاء في بعض الروايات: أن موسى كان يعظ بني إسرائيل. و سأله رجل، هل على وجه الأرض رجل أعلم منك؟ فأجاب، لا! فأوحى الله إليه. بلى، عبدنا الخضر! فسأل موسى السبيل إلى تعيينه، فأرشده الله حتى لقيا. وجدت بينهما محاورات حتى علم موسى ما عنده من العلم. قصد الله ذلك في كتابه. تخبط عامة المفسرين الجهلة لجهلهم بحقيقة الأمر أنهم ماشون على ما عندهم من أن الصابئة كفار كلهم. و هم لا يعرفون أن الكفر بملة لا يكون إلا بعد معرفة تلك الملة، و ردها عنادا. هؤلاء الجهال ما عرفوا الناس بملتهم، و هم لا يعرفونهم، لكن هؤلاء يحكمون بكفرهم؛ كأنهم فرغوا مما أمر الله به من تبليغ الدين إلى أقطار الأرض كلها، و جلسوا بالتلبيس الدجالين، ينظرون رجالا، و حكموا بأن القيامة ستقوم غدا أو بعد غد. فكل ما جاء من أشراط الساعة يطبقون على حالهم، و التي مضت منها يطبقونها أيضا على أنفسهم، و التي ستأتي، أيضا يطبقون. فيجعلون هذا الرجل الذي لقيه موسى من الحنفاء و من الأنبياء.

و قد ورد في الروايات أنه لما لقيه موسى، فسلم عليه، قال له: أني بأرضك السلام. من أنت؟ هذا الأرض لا يتعارف أهلها بالسلام. قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟[167] هذا الرجل يكون من الحنفاء و من الأنبياء. و الحنفاء ذلك الزمان محصورون في بني إسرائيل. انا فهمت حقيقة الأمر أولا في **حجة الله البالغة**، فصرحت بذلك، فكبر على أقراننا من الفقهاء، والشيخ يصرح في جميع كتبه بأهل الأعراف. فقال في **البدور البازغة**: "هم على أصناف: منهم الذين لم تبلغهم الدعوة أصلا، مثل سكان شواهق الجبال أو بلغتهم بلوغا لم ينفعهم شيئا لجهلهم مثل قوم لم يفهموا لغة الإسلام او لم يفهم حجيته أو شاؤا على ذهول من تدقيق الأمر، إنما مبلغ علمهم أن المسلمين قوم عمائمهم على هذا النحو، فمنهم على هذا النحو يأكلون هذه الأشياء و يحرمون تلك. أو هم قوم يقاتلوننا على الملك، فلابد لنا أن نقاتلهم، و ذلك مع عدم اشتراكهم بالله و قريب من ذلك.[168]

صرح الغزالي و الدواني[169]، فالصابئة عند هؤلاء الحكماء لم تبلغهم الدعوة بحيث تقوم الحجة عليهم. و قتالهم بعد ذلك للمسلمين ليس على طريق العناد، فلذلك يجعلهم الشيخ من أهل الأعراف، لا من الكفار. هؤلاء الأقوام كثيرة. و اليوم أكثر أهل الأرض هم الصابئة، و البوذ و المشركون باصطلاح فقهاء النصارى كلهم من الصابئة. و هؤلاء أكثر من كل الملل الثلاث: اليهود، و النصارى، و المسملمون. و الحنفاء بالنسبة إلى الصابئة قليل. الصابئة أكثر أهل الأرض اليوم. والقرآن العظيم يزيل هذا الشك؛ أن الحنفاء هم المسلمون، أن غيرهم ليس فيهم من الحق شئ. بذلك يذهب العوج و الإعوجاج عن طريق تبليغ الإسلام، و إلا فالرجل المنكر يترك أصول الحنيفية أيضا بالنظر إلى معيشة الدنيا، و يجعل ذلك راجعا إلى أمور الآخرة فقط.

---

[167] و لينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل: إي الناس أعلم؟ فيقل العلم إلى الله، رقم الحديث 122، 1: 35.

[168] لينظر:ولي الله **البدور البازغة** (حيدرآباد، أكاديمية الشاة ولي الله، ط:1970) 219.

[169] محمد بن أسعد الصديقي الدواني، جلال الدين: قاض، باحث، يُعد من الفلاسفة. ولد في دوان (من بلاد كازرون) سنة 830هـ، وسكن شيراز، وولي قضاء فارس وتوفي بها في سنة 917هـ. صاحب التواليف، من أهمها: **أنموذج العلوم**، **شرح العقائد العضدية**، **شرح تهذيب المنطق**. لينظر: الزركلي، **الأعلام**، 6: 32.

هذا ابن خلدون يقول: الإنسانية في الأمور الأخروية تحتاج إلى النبوة، أما في أمور الدنيا فلا.[170] فإن المجوس و هم كفار عندهم، كل نظامات الحياة من حكومة و تجارة و زراعة و غيرها موجودة. و لم يعرفوا الإسلام، فلا يحتاج إلى النبوة في أمور الدنيا. هذا الفكر هو أساس التفريق بين السياسة و الدين.

أتراك استنبول لما تعارفوا بأوروبا أنهم لا يسترون إلى الحكماء، رجعوا إلى كتب الحكماء من المسلمين، فأوجدوا إلا مقدمة إبن خلدون، يعرفه حكماء أوروبا أيضا، فاعتنوا بها. و بالتدريج ارتسخ الفكر؛ فكر تفريق السياسة و الدين فيهم بسبب تأثير رأي ابن خلدون مطبوعة بترجمتها إلى التركية القديمة. الأتراك دخلوا في الإسلام بالإخلاص مما علمهم المعلمون من العرب و الفرس، أخذوا به، و كانوا مجاهدين غلبوا على الملوك، و دخل في تنظيم ملكهم الفرس و العرب سواء. إنما كانت العسكرية و الجهاد مناصة بالأتراك ما نشاء فهم حكماء. و الحكيم المعروف في أوروبا والدي يفتخر به، المسلمون من العرب و الفرس ابن خلدون. فأخذوا بنظرياته ففسدوا أمرهم. الآن صاروا كفارا، و المتبعون لابن خلدون من العرب و الترك كلهم مؤمنون. مثل هذا الظلم لا يرضي به الرب.

و نحن نرد على ابن خلدون كل كتابه، هو رجل جاهل. المجوس كلهم كفار الذين عندهم الحكومات و النظامات. ألم يبعث فيهم أنبياء، و ليس فيهم حكماء، و هو يريد من المجوس الصين و الترك. و الخطاء الذين لا يعرف فيما ...... و إن كان مراده أهل الهند الذين لم يسموا من المجوس. فهذا أيضا ممكن. و ابن خلدون أخطأ في موضعين: 1- زعم أن المجوس ليس فيهم دعوة الله بواسطة أنبياء الله، ولذلك حكم بأن التمدن يرتقي بدون النبوة. هذا خبط و جهل، إنما وقع في ذلك بتقليده على الفقهاء الذين يحكمون بكفر أصحاب الأعراف. 2- الثاني حكمه أن السياسة لا تحتاج إلى النبوة في أهل الإسلام أيضا، و أشار إلى حجج ذلك ضمن كلامه بتلميحات، يقول العلماء المعلمون أبعد الناس عن السياسة[171]. يقول: أن العرب لا يمكن منهم التعمير، إنما مزاجهم التخريب، فالدين في أساسه عنده

---

[170] لينظر: ابن خلدون، **المقدمة**، فصل في معنى الخلافة و الإمامة، و عبارته: وأحكام السّياسة إنّما تطلع على مصالح الدّنيا فقط «يَعْلَمُونَ ظاهِراً من الْحَياةِ الدُّنْيا 30: 7» ، ومقصود الشّارع بالنّاس صلاح آخرتهم، 1: 238. و لعل ابن خلدون يخاطب الفلاسفة في إثبات أن السياسة لا تخرج من دائرة العقل.(الباحث)

[171] ابن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، الفصل الثاني والأربعون في أن العلماء من بين البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها، الباب السادس (دار الفكر، بيروت، ط: الثانية 1988)، 1: 745

خرج من العرب، و في بقائه محتاج إلى المعلمين، فهل يمكن لمثل هذا الدين أن يكون مرتبطا بالسياسة. و نحن أبطلنا فكر ابن خلدون من أساسه: بأن هذا الدين ليس منشأه الأعراب الذين فطرتهم التخريب، بل منشأه قريش و قوم من العرب تهودوا في معاشرتهم، تركوا طبيعة الأعراب، صاروا أصحاب زرع، متمكنين في أرض، و عندهم من التمدن المتوسط بصحبة اليهود حاصل. هم اشتركوا مع قريش. هؤلاء هم السابقون من المهاجرين و الأنصار. بناء الإسلام على تلك الجمعية المركزية، لا على الأعراب.

و قد نقلنا من الإمام ولي الله أن قريشا كانوا متمدنين مثل ما يوجد في قصبات كبار من الهند. و قوله الثاني: أن المعلمين أبعد الناس عن السياسة. فنحن رأئنا ضد ذلك. المعلمون هم القائمون السياسة في الهند في المسلمين، و في مجوس ابن خلدون، لكن الفرق بين المعلمين الذين نحن نراهم القائمين بالسياسة و بين المعلمين الذين رآهم ابن خلدون غير صالحين لها. إن المعليمن عندنا هم مجتهدون، مستقلون في أفكارهم، و المعلمون لابن خلدون هم مقلدون الذين لم يكن لهم رأي. وإنما يقوم بالسياسة الرجل المفكر المفكر المستقل في فكره. و لا دخل في ذلك لحرفة و صناعة.

وابن خلدون تخبط في تقليده لنظريات بعض الحكماء و الخلفاء السابقين. و الإسلام لا دخل له في مثل تلك النظريات، وإنما أطنبنا الكلام للتوضيح: إن ذلك الفكر ما ينتج من نتائج معوجة. هذا الفكر هو حصر الحقيقة والعقائد في صنف من الحنفاء. فهذا الأمر جائز عند المتوسطين من أهل النظر قبل زمن نبينا، لأن بعثة الأنبياء لم تكن عامة لأهل الأرض كان كل رجل يخص لقومه، فيكون الحق خارج قومه أيضا موجودا. أما بعد بعثة نبينا، و هي عامة لأهل الأرض، فكان الإسلام هو الحق، و ما عداه كله باطل. تلك الكلمة شرحناها بالإشارة، والآن نريد تفصيلها:

إذا نزل القرآن إلى النبي تحقق أن الحق هو هذا، و ما عداه كله باطل، لكن حجة هذا الحق لا تقوم على الناس إلا بعد ما يعرفونه. فإذا بلغه النبي إلى قوم قامت عليهم الحجة و ما عداهم: المبلغ من القوم هم على أصل فطرتهم، لا يحكم عليهم بكفر و لا إسلام على حسب حكم القرآن، إنما كان عندهم الإيمان و الكفر مستندا إلى أديان سابقة مسلمة عندهم، فهم يحاسبون على حسب علمهم هذا حتى يبلغهم حكم القرآن. فإذا لم يبلغ فلا يحكم بكفر أهل الأرض.

الأجاهل من الفقهاء و المقلدون لهم من العوام، هم يقولون إذا سمع الناس أن محمدا بعث رسولا فواجب عليهم أن يطلبوا العلم، فإذا أتونا نعلمهم. أما التبليغ بلسانهم في بيوتهم فلا يفرض علينا. و هذا الغلط نبههم عليه الفقهاء المحققون، أعني الحكماء منهم. فقال الإمام الغزالي: النصارى يلقنون أولادهم أن رجلا قام في العرب يدعي الرسالة، اسمه محمد، و هو رجل كذاب، لا تسمعوا لقوله. هل تثبت عليهم الحجة بهذا العلم؟ هذا إنما يتم إذا بلغ إلى الناس: أنه نبي حقا. أما مع التلبيس إذا بلغهم إسم النبي عليه السلام فكيف يقول رجل أنه يجب عليه طلب علم ذلك النبي. و الإمام ولي الله نبه على خطئهم مثل ما رأى من عادات أهل الهند: أنهم لا يعرفون من الإسلام إلا بما ذكره في البدور البازغة. هذا حال عامتهم، فهل يجب عليهم بمثل هذا التبليغ طلب علم ذلك النبي؟ لكن مثل هذا العلم و فهم هذه التنبيهات أيضا يحتاج إلى استعداد. و نحن رأينا أن ذلك الاستعداد أيضا فقد من الفقهاء. قد تقرر في أذهانهم أن مسلما إذا أذن في بلدة بلسانه العربي، و هم لا يعرفون معنى تلك الكلمات، فقد ثبتت الحجة عليهم.

وهؤلاء اغتروا بكتب السيرة لما كانت الدعوة للعرب خاصة هم لا يعرفون بين قوم و قوم، و قد ذكرنا من **البدور البازغة** أحد سبب جهلهم الذي جعلهم معذورا, قوم لا يفهمون لغة الإسلام، عدم فهمهم لغة الإسلام، و كل هذه المفاسد و الجهالات نشاء. هو ذلك الفكر: من أن الحق منحصر في ملتنا. و نحن نحمد ربنا أن قومنا لم يبتل بملاء مخصوص، بل هو موجود في اليهود و الهنود يقينا. و نظن أن طوائف النصارى كاتوليك أيضا ما نجت من هذه، يجب التبليغ، و لا بلوغ لدين إلى قوم إلا بعد تبليغه.

قال سعدي:

چو خوش گفت بهلول دانش سی است

ولكن پراكنده باهر كسی است[172]

[172] ما وجدت مصدر هذا الشعر. و الذي رأيت في بوستان هي: چه خوش گفت بهلول فرخنده خوی چو بگذشت بر عارفی جنگجوی. لينظر: شيرازي، سعدي، **بوستان**، باب **چهارم** در تواضع،

قوله في إذ قال: "**لَا أَبْرَحُ**" سأسافر على الدوام إلى حقب مدد طويلة "**حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ**" الذي هو مقام هذا الرجل. فقد علمنا بذلك أن هذا الرجل لم يكن قريبا على مسافة شهر أو سنة أو أزيد من ذلك. فالذين عينوا هذا الموضع في جزيرة سيناء أو على مجمع النيلين الأزرق و الأبيض ليس مناسبا لسياق القرآن. هذا عندنا يمكن بوجهين: 1- بوسفودس. 2- و أما خليج هرمز في الإيران. و يمكن أن يكون قريب باب المندب على ساحل أفريقة. ففكر بوسفودس عندنا ضعيف، و إذا كان يقول به الأتراك، لأن هذا يقضي إلى سياحة في فلسطين و سوريا. و هذا مستبعد بالنظر إلى صحائف التوراة. أما السير على طرف شرق قلزم أو على طرفه الغربي إلى الجنوب ممكن. فإن كان شرقي قلزم فوصلوا إلى خليج فارس، فعند خوارج العرب المقيمين على ساحله الشرقي.

رواية أن الخضر ركب سفينة من بلادهم، و هنا جزيرة اسمه البحرين، لكن غرضنا ليس هو تعيين الموضع، و إنما غرضنا هو الوصول إلى قوم بني إسرائيل، و لم تمدن خاص، و مصر كان مركز التمدن، فالبعد عن ذلك التمدن لابد فيه من مسافة طويلة. قوله: "**فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61)**" جاء في الروايات أنهم علموا علامة السمك المشوى عندهم، ترى فيه الحياة إذا أصابهما قطرة من ذلك البحر. نحن لا نظن أن ألفاظ القرآن تحتاج إلى قصة مثل هذا، لأن الحوت المشوى ليس له ذكر في القرآن. لما لا يكون أن جعلوا معهم حوتا حبا دائما، فإذا وقعت في الماء تسير سيرا حثيثا حتى يصير سريا في الماء، هذا ممكن. فكانوا يعملون هذا الحوت مع مكتل طعامهم. فينتظم الأمر. تلك القصة و كانت في البخاري إلا أنهما أسرائيلية، ليس يجب علينا تصديقه.[173]

"**فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63)**" فجاء القصة من هذا هو طلب غداءة، فقال الفتى: "**إِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ**" فجعل صاحب القصة الغداء هو الحوت المشوى، و نحن نجعل الحوت محمولا مع مكتل الغداء، "**وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ**

---

[173] لينظر: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله فلما بلغا...، رقم الحديث: 4725، 6: 88.

عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68)" أنت لا تعرف مبادي علومنا، من أين نأخذها. فإذا وجدته مخالفا لما هو ثابت عندك من الله، و إنك لا تعرف أن هذا من عند الله فكيف تصبر؟

توضيح ذلك: أنزل القرآن على سبعة أحرف. معنى الذي تحقق من معنى تلك الكلمة عند الراسخين في العلم، أن القرآن نزل بحرف واحد؛ حرف النبي، ثم أجيز لأقوام العرب أن يقرؤوها بلغاتهم. فرجل تعلم من النبي سورة، والنبي يعرف لغته، لأن النبي كان يعرف بلغات العرب أكثرها أو كلها، و كان فتيان قريش الأذكياء، منهم أكثرهم يجمعون بين لغات القبائل، فالنبي كان يعرف لغة السائل، وعلمه سورة على وفق لغته. و تلك السورة بعينها تعلمها من النبي عمر و علمه النبي على لغة قريش، فرأى عمر الرجل أنه يقرأء على خلاف قراءته، فلببه بردائه، و جاء يجره إلى النبي لأن عمر كان لا يفهم أن تلك الألفاظ أيضا علمه النبي.[174] و الحديث معروف، قال النبي: "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها كاف شاف."[175]

فإذا كان في مزاج الرجل حدة مثل عمر لم يصبر على قراءة تخالف قراءته، و كلاهما حق. كذلك موسى في مزاجه حدة، هو لا يعرف مبدأ هذا الأمر أنه من الله، فكيف يصبر؟

---

[174] عمر بن الخطاب، يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: كذبت، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسله، اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذلك أنزلت»، ثم قال: «اقرأ يا عمر» فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه». لينظر: البخاري، **صحيح البخاري،** كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، 6: 184.

و هذا الموضوع مازال موضع النقاش بين العلماء و ما اجمعوا على رأي واحد. و أما رأي الشيخ السندهي لم يكن صائبا لكونهما قرشيان، و لما كانت لغتهما واحدة.

[175] لينظر: الطبراني، سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، باب الميم، (القاهرة، دارالحرمين) 6: 142.

قوله: "**قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (71) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (72) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (73) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (74) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (75) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (76) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (77) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (78) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82)**" فهذا محاورته، جاء بيانها إلى –الآية– (82). و حاصل ذلك ثلاث واقعات: 1– خرق السفينة. 2– قتل الغلام. 3– إقام الجدار، و لم يتخذ عليه أجرا. فموسى لم يقدر على الصبر فوق ذلك، ورآها تخالف لما عنده من الحق. ثم طبق الخضر و علمه بتأويل تلك الواقعات، و كان في الأصل في تلك الواقعات إشارات إلى مثل ذلك من الواقعات وقعت لموسى، فحصل التطبيق: 1– أما السفينة فكان عمل هذا الرجل مثل عمل موسى القبطي إذ ضربه. 2– أما قتل الغلام فكان مثل إلقاء أم موسى موسى في البحر. 3– أما عدم أخذ الأجر فكان مثل ما لم يأخذ موسى أجر السقى. فلما علم موسى تلك الواقعات فعلم أن اللسان مختلف، لكن المعنى واحد. فكان له فيها معرفة عظيمة.

لو تدبر أهل العلم في القرآن لما حصل لهم تلك المصائب التي ذكرنا نبذا منها. بل كانوا حكماء أو كانوا يتبعون الحكماء لكن تركهم التدبر في القرآن أو واهم. فإذا تحقق هذا الفكر أيجد الرجل الصابي عوجا في هداية الكتاب؟ كلا! بل بعد فهمه يؤمن على نوره. نحن نعرف سيرة الصوفية من الحكماء في الهند: أنهم تكلموا بلغات أهل الهند، و صدقوا معارف آئمتهم، فكانوا سببا لاهتداء جماعات كبار. الإمام

الرباني الشيخ أحمد السرهندي صرح باب قريبا من قربته، وجد قبوار تظهر منها أنوار النبوة، لكنه يرى أن هؤلاء الأنبياء، ما اتبعهم ناس كثير. ثم جاء من أتباعهم الشيخ ميرزا مظهر جانجانان، الشيخ محمد أفضل الدهلوي؛ هو من كبار آئمة التجديد، هو صرح بأن راما و كريشنا من الأنبياء أو من المجددين طرق الأنبياء. ثم جاء الإمام ولي الله، فسوى أفكار الناس تحت الحكمة. ثم جاء الشيخ عبد العزيز ولد الإمام ولي الله، فصرح بأن ديانة الهنود تشابه في كثير من شعائرها ديانة بني إسرائيل اليهود، و تكلم بكلام، وردت أنا آخذا من كلام بعض المحققين أن ديانة بودا تشابه ديانة النصارى، و ذكر الإمام ولي الله أن المجوس هو أرقى أمة في الصابئة. فهذه الثلاث الملل من الصابئة مثل الثلاثة من الحنيفية، مدار الملل الصابئة من زمن قديم على الحكماء و الأولياء. ومنهم من يكون البعض الأنبياء أيضا.

الواقعة الثالثة: "**وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83)**" ذو القرنين عندنا من طبقة الصديقين و الحكماء، والذين يكونون تلو الأنبياء، هؤلاء درجتهم أعلى و أكبر من درجة الولاية الكبرى في اصطلاح **العبقات**. قال: العبقات في الولاية الكبرى؛ قال: هو المسمى عند القدماء بقرب النوافل و الفناء و البقاء.[176] و عند الإمام الرباني بالولاية الكبرى، و عند أفضل المحققين بالسير في اللطائف. فصاحب هذا المقام يبطش بالرب فيخرق السفينة، ويقتل الغلام، و ما خرق وما قتل إلا الرب تبارك. و هو فعال لما يريد، وأرباب هذا المقام مما لايكاد أن يوجد إلا واحد بعد واحد في قرون متطاولة و أمم متتابعة مثل آئمة الطرق و من ضاهاهم. و بعد ذلك مقام قال القدماء، يعبرون عن بالصديقية و عبر الإمام الرباني عنه بالولاية العليا، و أفضل المحققين بقرب الفرائض. و الإمام الرباني بكمالات النبوة و يسمون المحدثين أيضا و قد ينسب الرسالة إلى المحدثين أيضا.

قال الشيخ: هذا هو وجه التطبيق بين ما ذهب إليه بعض آئمة العرفان من القول بنبوة زيد بن عمرو ابن نفيل[177] و ذي القرنين، و مريم، و بين ما ذهب إليه الجمهور من القول بعدم نبوة هؤلاء. فالحق أنهم كانوا محدثين.[178]

---

[176] لينظر: **العبقات**، 196-203

[177] زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، القرشي العدوي: نصير المرأة في الجاهلية، وأحد الحكماء. وهو ابن عم عمر بن الخطاب. لم يدرك الإسلام، وكان يكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح عليها. توفي قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنين. وله شعر قليل. و لينظر: الزركلي، **الأعلام**، 3: 60.

[178] لينظر: **عبقات**، باب الإشارة الإجمالية إلى مراتب كمال النفس، 208-209.

العبقات[179] فجعل الخضر من أصحاب الولاية الكبرى، و جعل ذا القرنين من المحدثين، و هم يسمون بالأنبياء أيضا.[180] فالمحقق عندنا أن آئمة الصابئة محدثون و أنبياؤهم كانوا أقدم القدماء قبل نوح، إدريس و من والاه"

قوله: "**وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْن**" ذوالقرنين ماخوذ من التوراة في سفر دانيال. رأى رؤيا، فرآى كبشا ذا القرنين؛ و تفسيره ملك مديا و فارس.[181] ثم جاء بعده اسكندر المقدوني، هو غلب على ملك ذي القرنين. هذا كان كيخسرو بن سباوش بن كيكاؤس. و هذا يسمونه سايروس دمرعمرس جلس على تحت السلطنة خمسة مئة قبل عيسى، و توفي سنة 529 . هذا هو ذو القرنين. هو كان على دين زرداشت و مدحه التوارة، و كتب بني إسرائيل لإحسانه إلى اليهود كثيرا حتى سموها مسيحا. فذكر الله من خليفة حكيم محدث إيراني، فتح البلاد في الشرق و الغرب، و كان عادلا قواما بالحق. فإذا كان القرآن يمدح أكابر الصابئة أهل الصلاح. فهل يمكن لرجل أن يتصور تعصبا بالنسبة إلى قوم. و هذا التعصب يكون هو عوجا في الهداية. ذكر الله من محاسن أعمال ذي القرنين أنه جعل سدا ردما. و قد تحقق الإنسان أن هذا السد في جبال فافقاسيا إشارة موجودة. قد اختلط الأوهام الكثيرة في مسألة هذا السد و أسبابه، هو أنهم لا يريدون أن يجعلوا رجلا غير ضيفي[182] ممدوحا في القرآن، فيؤلونه بأوهام لا وجود لها في الخارج. أما الذين يجعلونه الاسكندر المقدوني فالخطأ واضح، فإنه في التوراة هو صاحب قرن فقط، لا قرنين.

الآن نفسر الآيات التي تتعلق بالسد. "**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (84) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (85) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (86) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا (87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (88) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (89) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (90) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (91) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (92) حَتَّى إِذَا بَلَغَ**

---

[179] مراد به صاحب **عبقات**.

[180] لينظر: الشاه اسماعيل، **عبقات**، 208-209.

[181] ولينظر: **كتاب المقدس**، دانيال، 8: 1-22

[182] لم أفهم مراده.

بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (96) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98)"

حملوا وعد ربه على القيامة، فجعلوه باقيا إلى يوم القيامة، ولا وجود له الآن. و الصحيح أن الوعد المراد به أجل مقرر، و لأجل عبر عنه بالوعد. فلو بدلنا تلك الكلمة بمحاورة أخرى في القرآن. فقلنا إذا جاء أجله جعله دكاء، لا يمكن لهم بعد ذلك تحريف المعنى. و ذلك السد أجله مني. والسد خرب منذ زمان، تقدم على الإسلام، و آثاره باقية إلى الآن. و يشتبه عند أهل التفسير قول النبي في رؤيا رآه النبي، ليس معناه أن السد موجود الآن. تمثل للنبي في منامه، فلا يكون خبرا عن وجود السد في الخارج. قال النسفي قوله: "**دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**" آخر قول ذي القرنين".[183]

ثم بعد ذلك يذكر الله "**وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (99)**" قال النسفي: "وَتَرَكْنَا" وجعلنا "بَعْضُهُمْ" بعض الخلق "يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ" يختلط "في بعض" أي يضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى"[184] قلت فإن النسفي جعل يومئذ إشارة إلى يوم القيامة، و ليس هو من قول ذوي القرنين بل هو استيناف من الله فقوله "**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ**" كأنه قرينة عنده أن المراد هو يوم القيامة.

و بعد ذلك في "**وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (100)**" أيضا قرينة لتفسير النسفي بيوم القيامة؟ و عندنا تأويل غير هذا. الإشارة في "**يَوْمَئِذٍ**" إلى الانقلاب العظيم الذي جاء به القرآن، فإنه ينذر بأسا شديدا؛ يعنى حربا عالميا. "**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ**" هو إعلان الحرب. و قد فسرنا قبل ذلك أن الطائفة من الكفار يدخلون جهنم على فور موتهم، فيكون معنى قوله "**وَعَرَضْنَا**..." أن يقتل مقهورا في

---

[183] النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، **مدارك التنزيل و حقائق التأويل** (بيروت، دار الكلم الطيب) 2: 321.
[184] نفس المرجع:2: 321.

هذا اليوم الانقلابي يعرضون على جهنم، و يكون غلبة نبينا، ويكون غلبة نبينا على الكفار مثل غلبة موسى على فرعون، فإنهم يعرضون على النار بعد الفرق، فليس في الآيات ذكر القيامة في شئ.

جملة معترضة: قال النسفي: "ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد"[185] قلت: قد ظهر في النسفي أن اقتضاء الآيات ليس يلزم أن يكون المرجع ياجوج و ماجوج بل هو احتمال يحتمل و نعرف يفسره المفسرون بذلك الاحتمال، إنما هو للإعتماد على حديث النواس بن سمعان أخرجه مسلم [186]و قال الترمذي: هو غريب، و عندنا هو حديث معلول

[185] نفس المرجع

[186] عن النواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «ما شأنكم؟» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم، فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم، فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم، فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشأم والعراق، فعاث يمينا وعاث شمالا، يا عباد الله فاثبتوا» قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوما، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا له قدره» قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: "كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم، أطول ما كانت ذرا، وأسبغه ضروعا، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم، فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه، يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد، فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادا لي، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس،

مأخوذ من الإسرائيليات. اشتبه بحديث النبي عند بعض الرواة، فمثل ذلك الحديث الغريب كيف يجعل تفسير للقرآن، يجعل عقيدة للإسلام. و نحن بحثنا، و غالب الظن عندي: أن تلك الواقعة التي أشار إليها النواس إنما كانت مقدمة على سد ذي القرنين، و ذلك التخريب من يأجوج و مأجوج، كان سببا لاقتراح الأقوام من القرنين أن يبني السد. والواقعة مذكورة في حزقيال النبي قبل وجود ذي القرنين بزمن. قاتل الوراقين من الرواة و غفر الله المجتهدين الذين ارتكبوا الخطاء باعتمادهم على الوراقين في بعض الروايات. كيف أفسدوا تفسير كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه. تمت المعترضة.

"وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا" يوم إعلان الحرب على الكفار للكافرين عندنا. ألا تحفظون حديث خطاب لقتلى بدر. هل وجدتم ما وعد ربكم حقا. كان هذا هو الوعد قوله في: "**الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (101)**" أليس بظاهر من تلك الآية أن المراد هم المخاطبون بالقرآن. قوله: "**أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (102)**" يعنى من الصابئة أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء. و هذا التعبير أهم تعبير لحالات الصابئة، كلهم يجعل نفسه متعلقا بولي من أولياء الله و ينسون ذكر الرب.

لطيفة: قابلني في السند بحضور شيخ لنا من الصوفية رجل من الهنود، زاهد، راهب، أكبر مني، فسألني لما أسلمت أنت؟ قلت: لأذكر ربي. قال نحن أيضا نذكر الرب. فكان ميسرا لك، و أنت تقوم على دين آبائك. قلت له: أنت أخبرني بأسم الرب؟ قال: راما، قلت:أنت أنه ابن جسرت و زوج سيتا، ملك من ملوك أود؛ هذا بلدة قريبة من لكهنو، إسمها فيض آباد و متصل بها قصبة اموت زيا، هو مركز حكمة راما، فتحير و سكت. قال بل كريشنا، فذكرت كذا أنه اسم رجل، حالاته كذا، و على هذا الطريق تكلم بكلمات، رددت كلها عليه. في الآخر سألني أخبرني باسم الرب، فقلت له: نعم أنا لذلك أسلمت، أو أشرت إلى الشيخ، فقلت أنه يعلمك خطاب المجلس، واستبشر الشيخ جدا، تعرفون من هذا

واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة "، لينظر: مسلم، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، كتاب الفتن و إشراط الساعة، (بيروت، دار إحياء التراث العربي) 4: 2250.

أنهم اتخذوا أولياء الله آلهة لهم. هو ذكر أسماء الصالحين، و كلهم عباد الله. فيأتي انقلاب القرآن، لا يتركهم على ذلك.

و كذلك لا يترك من عليهم الصابئة من اليهود و النصارى الذين اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله. فالصابئة تمثلها كسرى، و اليهودية و النصرانية بمثلها القياصرة. هؤلاء الملوك كما أفسدوا قانون العدل كذلك أفسدوا طريق الإحسان لذكر الله. فوجب محوها عن وجه الأرض. "**أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ...إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا**" هذا يكون بعد قتلهم في الانقلاب. أما في صورة موتهم الطبيعي فيبتلون بالبرزخ، ثم جهنم.

"**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104)**" هذا حالة أكثر الصابئة، اشتغالهم في معاش الدنيا فقط. بعدها بيان حالاتهم، و هذا بعد مقابلتهم للقرآن. "**أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (105) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (106)**".

وبعد هذه " **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (107)**" يعني عملوا في الانقلاب على طريق القرآن. "**خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (108)**".

بعد ذلك خاتمة السورة، بأن الحاصل ليس لملة ما أن تدعي أنها ذلك محيطة بجميع علم الله، و ما وراء تلك الملة ليس إلا بالباطل، إلى هذا إشارة في قوله تعالى: "**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (109)**" هذه الآية خلاصة ديننا ما هي "**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)**" جميع الأقوام ربهم واحد، خلقهم، يرزقهم، يجازيهم، " **فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ**" و هذا كالكلمة الظاهرة عند الصابئة، كلهم كأنه يريد هذا، "**فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**". تمت السورة، ولله الحمد.

سورة ابراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

كل قوم إذا خوطب بلسانهم يخرج منهم الصالحون بعد الانقلاب، و يستقر بهم الهداية مثل هذا كان ذكر في سورة الرعد. فالأمر المشترك بين الأمم مثل الإنسانية يجب أن يحافظ عليه، و ذلك هو طريقة إبراهيم، لذلك جعله الله للناس إماما، لأنه لا يخرج من الفطرة المشتركة في الإنسانية، ثم هو يحتاج إلى أتباعه، يوقظون تلك الفطرة في جميع الأقوام بلسانهم حتى يخرج منهم أولو الألباب، و يستقر بهم الأمر، وإلى هذا المعنى الإشارة في سورة ابراهيم من (35-41)[187] و الباقي تمهيد له، أو استنتاج منه.

"**الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** (**1**)" و هذا الإبداء من النبي، هذا مراد قوله "ألف"، ثم ارتقى ذلك من السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار في زمن الفاروق، و استمر بطريقته اتباع المهاجرين و الأنصار بواسطة المحسنين إلى مئتي سنة، هذا معنى "ر" فتكامل المثل الصالح لمن أراد أن يقتدى بهم فاقتدى بهم الأقوام الفرس و الروم و الطوران و الهند و الحبش، تم بذلك إمامة إبراهيم للناس.

"**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ**..." قد ذكرنا معنى، الناس عامة من ظلمات الطبيعة إلى النور، من حظيرة القدس إلى الاتصال بحظيرة القدس، "**بِإِذْنِ رَبِّهِمْ**..." معناه إنما يستفيد بذلك من قدر له الاستفادة، و بعبارة أخرى من تكون فطرته مناسبة لهذه العلوم، هذا باعتبار تاثير النبي الذي يستمر إلى زمن "ألف، لام را" فحسابها 231 سنة ثم تنشعب طرق بواسطة أولو الباب الذين تهذبوا هذا الكتاب لهداية أقوام، فطرتهم غير صالحة للأخذ من الكتاب رأسا؛ معنى قولنا كتاب الله يترجح إلى لسان كل قوم، فطائفة يهتدون بقرآة ما نزل إليهم بلسانهم، إذا قدم لهم مقدمة للفهم رجل من الراسخين في العلم فطائفة يترجح مطالب

---

[187] "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (36) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (38) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (40) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (41)"

الكتاب، و تتصور بصور أخرى مثل القياس يأخذ الرجل من نص الكتاب، علته، ثم يطبقها على صور غير منصوصة، هذا أيضا يكون فيه سراية حكم الكتاب. و بعض الأقوام يحتاجون إلى ترجمة الكتاب بهذه الصورة، فهذا الأمر يتم بواسطة أولي الباب الذين تهذب فطرتهم رأسا بكتاب الله إما بألفاظ العربية أو بالترجمة إلى لغته، هذا معنى قوله "**بِإِذْنِ رَبِّهِمْ**".

إذا لم توافق فطرة الإنسان الكتاب لا يستفيد. فالسابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار استفادوا بفطرتهم لما علمهم النبي، و قدم لهم مقدمته للفهم، ثم طوائف في الناس، فطرتهم فطرة المهاجرين و الأنصار لكن لسانهم ليس بعربي، فإذا لم يترجم الكتاب إلى لسانهم بواسطة طائفة منهم تفقهوا في كتاب الله و تعلموا حكمة ثم ترجموا الكتاب إلى لسانهم فيستفيدون مثل ما استفادت الصحابة[188] — رأينا في بلادنا طوائف من المسلمين قد قرأوا **فتح الرحمن** للإمام ولي الله مع مقدمة التفسير **الفوز الكبير** صاروا يفهمون القرآن على منهاج السابقين من المهاجرين و الأنصار، ثم طوائف أخرى، ذهنيتهم ليست على ذهنية المهاجرين و الأنصار، بل هم اشتغلوا بعلوم الفلاسفة أو بفنون التجارة و غير ذلك، فإذا لم يبدل مطالب القرآن بواسطة الأمثال إلى ما يقارب أذهانهم لا يستفيدون. و رأينا ذلك في بلادنا– فقبل الامام ولي الله، كان الغالب على أهل ديار الهند الفقه الحنفي بأصوله و فروعه فقط، و علوم الفلاسفة المشائية على ترتيب أهل الكلام– ما كانوا يعرفون شيئا غير هذين العلمين، فقام من أتباع الإمام ولي الله رجال طبقة بعد طبقة لتفهيم كتاب الله و كتب السنة بأمثال تناسب أذهانهم، فتخرج منهم علماء.

مشائخنا في الديوبند لو لم يقربوا علوم الحديث بتشريحها إلى ذهنية الفقهاء الحنفية ما استفادوا من كتب الأحاديث. الآن في بلادنا من فقهاء الحنفية فرقة كبيرة عالمة بالأحاديث لا يوجد أمثالهم في غير الهند في هذا العصر، و كذلك قام المشائخ مثل مولانا قاسم بتقريب معاني القرآن إلى أذهان الفلاسفة، فخرج من بينهم ناس يقدرون أن يفسر القرآن على ذهنية أقوام آخرين أيضا. نوضح بذلك التفهيم معنى قولنا: أن الاستفادة من الكتاب انما تكون على قدر موافقة الفطرة الجبلية. ففطرة كل انسان قدر الرحمان، هم يستفيدون من الكتاب بإذن ربهم، و النبي جزء من أجزاء العلة التامة للاستفادة لإتمام العلة فجمع الأجزاء الباقية إنما يكون بإذن الله "**إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**".

---

[188] أظن هذا لعل من خطاء الكاتب، وليكن "فلا يستفيدون" ليتم الجزاء، لأن بداية الكلام جملة شرطية.

كل شئ يوافق الفطرة الشخصية، فهذا الشخص يجد فيه عزته، و يحمده الناس، و كذلك كل شئ واقف فطرة الجماعة، فتلك الجماعة معززة في نفسها، محمودة عند الناس، فيسعى النبي و اجتهاده بكل قوة أن ينطبق الكتاب على فطرتهم، فيخرجوا بذلك النور بهمتهم. هذا هو الآية الأولى هو مقصد هذه السورة.

و الآياتان "**اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (2) الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (3)**" فيها إشارة إلى حظيرة القدس، و التجلي القائم بحظيرة القدس. "**اللَّهِ الَّذِي**" أشار إلى التجلي، "**وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**" فسبيل الله هي ما اتفق عليه حظيرة القدس. و هذا هو فطرة الإنسان كي يعرف كل إنسان أنه اذا لم يصل شئ إلى دماغه لا يقوم بقوة. كذلك دماغ نوع الإنسان هو حظيرة القدس، فإذا لم يصل إليها شئ لا يكون لنوع الإنسان التفات إليها، فالتجلي الإلهي الذي قام وسط حظيرة القدس هو يكون مرجع الإنسانية، و الطريق إليه لا يكون إلا من دماغ النوع. فمن الناس من يصد الناس من هذا السبيل، فأنبياء الله و كتبه تهديهم إلى الله، و تمنعهم من هذا الفعل الشنيع. مثال ذلك رجل تاجر يأتي إليه الناس لاشتراء حاجاتهم، و هو لا يتركهم ليعرفوا الأسعار في السوق، ثم هو يبيع لهم الأشياء بالغبن الفاحش، و يجنب هذا السوق رجل صالح مصلح، يقول للناس: أنتم لا تبيعوا أفكاركم بيد هذا الرجل الخائن، بل تبصروا في السوق ليقيم الأشياء بأفكاركم. هذا مثال الشيطان، هذا التاجر و هذا المصلح هو مثال الأنبياء.

و في "**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (4)**" أشار إلى تقسيم هذه المعرفة في الأقوام بألسنتهم، فيحتاج الإمام الداعي إلى الحق إلى اتباع له، يعرفون ألسنة الأقوام، و يفسرونهم علوم هذا الإمام الداعي، و نريد بهذا الداعي أولا خليل الله إبراهيم، هو كان يحتاج إلى اتباع له، يقسمون هداية في الناس، فبالارتقاء الطبعي وجد الاتباع، ثم قام محمد صلى الله عليه و سلم، فهو يعمل بالفعل ما أراده إبراهيم، لأن الأمر تيسر له بعد بعث الأنبياء الكثيرة من أولاد إبراهيم. انتشار هدايتهم في الأقوام، إليه الإشارة "**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ**..." إذا قام التراجمة لكتاب الله، فمن تكون فطرته مناسبة للترجمة في الدرجة الأولى أو الثانية يستفيد، و من كان فطرته غير قابلة للاستفادة، فليفهم الإنسان أن الله ما أرسل أنبيائه و لا كتبه لهداية ذلك الصنف، فلا

يتكلف له إنسان. و نحن تفقهنا فيه، أن علاجهم ليس إلا بإقامة الحكم لاتباع الأنبياء عليهم، إما ابتداء و إما انقلابا. و هذا من نتيجة هداية الأنبياء. و من يمنع المسلمين عن اجتهادهم في تحصيل الغلبة، هو و إن ظهر بزي أهل الصلاح هو دجال، و إن ظهر بزي أهل الفسق فهو شيطان، فشياطين كل قوم و دجاجلتهم يكون مناسبة لفطرتهم و نحن عرفناهم مجسما.

"**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (5)**" فانظروا إلى قوله "**أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ**" و قوله في مبدأ السورة "**لِتُخْرِجَ النَّاسَ...**" يظهر الفرق بالعموم و الخصوص؛ قام مقام إبراهيم و جاء في بعض الروايات "لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعي"[189] إشارة إلى هذا المعنى. "**وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ**" هذا النموذج صالح لإرشاد كل قوم، "**بِأَيَّامِ اللَّهِ**" في الاصطلاح عبارة عن تاريخ القوم باعتبار الصلاح و الفساد.

فكل قوم لا يتكامل فطرتهم إلا بالرجوع إلى تاريخهم و يظهر ذلك من "**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (6) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7) وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (8)**" إشارة إلى تكميل الفطرة بتعليم الأنبياء، ينفع الإنسان، و إن تقاصر فيه يتضرر به هو "**اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ**" ليس له حاجة تكمل بابتداء الناس – تم مثال موسى.

و ذكر الله في "**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (9)**" أقواما أخرى؛ نوح، عاد، ثمود، أقواما مثل قوم موسى، و

---

[189] " «أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي»" و لينظر: البغوي، **شرح السنة**، كتاب العلم، باب حديث أهل الكتاب (بيروت، المكتب الإسلامي) 1: 270. و في **المسند** للإمام أحمد هذه الرواية عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم، وقد ضلوا، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق، فإنه لو كان موسى حيا بين أظهركم، ما حل له إلا أن يتبعني" 22: 468. و قال الألباني: حديث حسن. و لينظر: الألباني، **ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، كتاب الوقف (بيروت، المكتب الإسلامي) 6: 34.

عمم بعد ذلك بقوله "**وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ**..." يشير أنه ليس عند قوم من الأقوام، تاريخ البشرية تاما، فكل يأتي بطائفة من تاريخ الناس، و يظهر بذلك جهالة من حكم بصحائف التوراة على العلمين.

و بعد ذلك مناظرة الرسل و الأقوام، أولا: "**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (10)**" فلا يشكون فيه. ثانيا: في إقامة دعوة الحق بواسطة الرسل، و قد تكلمنا على ذلك فيما سلف، هذه مستمرة إلى الآية 12 "**قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (11) وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (12)**" ثم إلى الآية 15 "**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (13) وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ (14) وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (15)**" بحث في غلبة الأنبياء على الكفار في الأرض، هذه سنة الله التي ذكرناها. أولا يهلك الله أهل الظلم و يجعل حكم الأرض بإيدي أتباع الأنبياء، و هذا هو الإنقلاب. الإنقلاب السياسي؛ فكل دين جعلوه معرى عن ذلك صار محرفا، نحن نعرف القرآن كتاب محكم، لا يمكن تحريفه إلا إذا جعلوه كتابا غير سياسي.

ثم بعد ذلك إلى –الآية– 23 "**مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (16) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (17) مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (18) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (19) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (20) وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ (21) وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ**

لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22) وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (23)" ذكر معارضة الكفار فيما بينهم في حياتهم الثانية، و معارضتهم مع الشيطان. تلك المعارضة إذا استقرت في ذهن الإنسان يجد في منامه رؤيا تبين له ذلك، ثم ينطبق على فطرته، فعرف الحق من الباطل بقوته الباطنة، هو إيقاظ للقوة الإلهامية المستترة في قلب كل إنسان.

و في قوله تعالى: "**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (25) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (26) يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (27)**" ذكر الله مثالا لدين إبراهيم دين الفطرة، "**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ**..." فالفطرة إذا ضرب لها مثل بحيوان لا يفهم الإنسان حقيقتها، لأن القوة الإرادية في الحيوان تشكك الناظر في رد الآثار إلى الفطرة. أما الشجرة فليست فيها قوة إرادية ظاهرة، فالحب و النوى إذا اجتمعت لها ما يحتاجان إليه من المعدات يخرج منه شجرة أو نبات موافقا لفطرة البذور. فالإنسان أيضا مخلوق مثله، والإرادة شارحة لبعض القوى الفطرية فقط، فالعلم يبذر في أرض الفطرة الإنسانية فيخرج منها شجرة، هذا هو مثال دين و ملة قائمة على الحق، كما يكون من شجرة أشجار، كذلك ينشعب من إقامة الملة هداية في الدنيا، ويجنب هؤلاء من علم باطل خداع للإنسانية مثل ما مثلنا من خداع التاجر يكتم الأسعار، و نأتي له بأمثلة قوية بالمرة. فلما يكون في الغابة أشجار خبيثة و طيبة، كذلك تجعلون في الإنسانية صنفين.

ثم قوله تعالى: "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (28) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ (29) وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (30) قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (31) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (32) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (33) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)**" ذكر ما بدله قريش من دين إبراهيم.

"**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ**..." إشارة إليه، و هذا إلى -الآية- 30، ثم دعوة لهم إلى الطريقة الحقة من دين إبراهيم، الموجودة فيهم، و إن كان أقل قليل، و هذا من -الآية- 31 إلى -الآية- 34. و قد ذكر الإمام ولي الله في **حجة الله البالغة** أن دعوة ديننا إلى دين إبراهيم.[190] كان على صورة موجودة في قريش و في قبائل العرب، ما أتى لهم بشريعة لا يعرفونها.

ثم قوله تعالى: " **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (36) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (38) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (40) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (41)**" دعا إبراهيم ربه لإقامة دينه على سبيل الملة، يخرج منها الأديان، و جعل هذه البلدة (مكة) مركز دعوته.

فإنشائها بلدة جديدة لتجديد دعوته، و هكذا يجب لبدء الانقلاب تجديد دار الحكومة، هو أسس هذه البلدة، منشأ لدينه. ثم الأديان الصابئة كانت انتهت إلى عبادة الأصنام، فدعى ربه " **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ**" عن هذه الأديان الفاسدة. ثم دعا لأولاده أن يكونوا دعاة إلى الحق "**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي**..." و إقامة الصلوة هى دعوة إلى الحق، و كان مراده أن ينتشر من ههنا الدعوة الصحيحة على وجه الأرض، و لذلك قال "**رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ**..." ثم في قوله "**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ**..." أن يكون هؤلاء المقيمون لدينه، فتقبل الله دعائه "**اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ**..." معناه داعيا إلى الدين الحنيفي، و إقامة الصلوة لا تكون إلا بالتوجه إلى حظيرة القدس، و لا تكون إلا مبتكر العقائد، و الدعاء من الله للاستقامة عليها، هذا هو يكون سبب التيقظ للفطرة الإنسانية في جميع الأقوام. هذا هو متن للملة الحنفية الذي شرحه الأنبياء من أولاد إسحاق و إسماعيل، ثم يشرحه الراسخون في العلم من المتبعين للقرآن.

---

[190] ولينظر: ولي الله، **حجة الله البالغة**، باب بيان أن أصل الدين واحد و الشرائع و المناهج مختلفة، 1: 159.

ثم قوله تعالى: "**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ** (**42**) **مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ** (**43**) **وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ** (**44**) **وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ** (**45**) **وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ** (**46**) **فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ** (**47**) **يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** (**48**) **وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ** (**49**) **سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ** (**50**) **لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** (**51**)" إنذار لهم على مخالفة تلك الفطرة، يعود وبالها عليهم في الدنيا و الآخرة. و في قوله: "**هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** (**52**)" أي عموما، "**وَلِيُنْذَرُوا بِهِ**" يعني بأن يأتي عليهم مصائب في الدنيا و الآخرة على مخالفة تلك الفطرة، "**وَلِيَعْلَمُوا**..." أي للإنسانية كلها، فلا يجعلون للأقوام شركاء في الألوهية، إنما يكون الإختلاف في صور الأعمال و درجات العلم. إليه الإشارة "**وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**" و تعرف منها إشارة جليلة أن الدعوة إلى الفطرة بأصول الحكمة بواسطة أولى الألباب، فمن تنزل عن ذلك فقد حصل له نصيب من التحريف إلا أن يكون مضطرا إلى وقت محدود، لقوم مخصوص.

سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم

"**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ** (1)" هذه السورة كأنها شرح لدعوة إبراهيم إلى الفطرة. "**رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** (2)" معنى "**الَّذِينَ كَفَرُوا**" عندنا الذين لآمنوا بأديان الصابئة، و أنكزوا الحنيفية، يتبين لهم من بعد أنهم لو دخلوا الحنيفية لكان أحسن التوغل في الصابئة، يؤدي إلى اتقان العلوم السكنية و الفنون الطبيعية و الارتفاقية، و بالطبع ينقسم منها الاقتسام على الطوائف، و بالطبع ينشأ منه حب الجمال، لأن الإرتقاء في السنن ليس من حب الجمال و الجميل، ويحصل لهم بذلك المأكل و المسكن و الملبس الجميل و الأجمل، هذا هو الطرق الحسن من أديان الصابئة.

و من جانب آخر الظلمة– الظالم انقسام الإنسانية يؤدي إلى ظلم غير منقطع، و لا يمكن سد ذلك إلا بإرجاعهم إلى المساواة الفطرية الطبيعية. و هذا أحد الوجوه في الدين الحنيفي الممتاز به عن دين الصابئة، و لذلك نصب إبراهيم مركز دينه في واد غير ذي زرع ليتمثل لهم الرجوع إلى الفطرة، ثم حب الجميل يجعل الناس ضعفاء، متكاسلين عن أعمال شاقة، و هذا مفسد للإنسانية، و إن كان فساده يظهر في القوم بعد زمن طويل. فلا يجعل الأمر حسنا، و في الدين الحنيفي اكتفاء بالمتوسط من الارتفاقات لا التوغل في حب الجميل، و هذه مزية أخرى في الحنيفية.

فصل: حب الجميل بالغلو يجعل الإنسان منحرفا عن الفطرة إلى التصنع في الحياة، و ينشأ منه خبث في الإنسانية، و هو اللواطة، هذه نتيجة حب الجميل، و لا يجدون في النساء الجمال مثل ما يجدون في الغلام. و ليس عليهم مثل ما يتكلفون في تحصيل النساء، و هذا قلب للفطرة الإنسانية إلى الوراء، و إلى الهلاك. فهذا مثال أعلى للخروج عن الفطرة، فبذلك نشرح الآية " **ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** (3)" بارتقاء الحنيفية إلى أعلى مدارج الإنسانية، و عدم تخلص الصابئة عن الخبائث مع كل جهد في تجريدها عنها. و من الخبائث العقلية عبادة الأصنام و العملية اللواطة، و لا يمكن تجريد قوم من الصابئة من هذين المرضين.

فمن الآية 4 إلى الآية 27 دعوة لهم إلى اتباع الذكر و الدين الحنيفي، و الإعتماد على الرسل من البشر، لا الالتحاق بالملائكة.

ثم من الآية 38 إلى الآية 50 ذكر قصة آدم و إبليس، إشارة إلى أن الفطرة الإنسانية هي هذه الذي يدعوا إليه إبراهيم، فإن إخلاص العبادة لله إنما يكون بالتوجه إلى حظيرة القدس، و الجمال الذي في حظيرة القدس، و قصة آدم و إبليس شاهدة له.

ثم من الآية 51 إلى الآية 77 ذكر ضيف إبراهيم، أنهم يبشرونه بغلام عليم، و يهلكون قوم لوط. عمل واحد إحياء الحنيفية و إبطال اللواطة.

ثم بعد ذلك من الآية 80 إلى الآية 84 ذكر أصحاب الحجر الذين كانوا ينحتون من الجبال بيوتا، تلك الصنعة تؤدي إلى اصطناع الأصنام، هلاكهم أيضا. ذكر تحت ذكر إبراهيم فيحي إبراهيم الإنسانية بإبطال اللواطة و عبادة الأصنام.

بعد ذلك الآية 85 إلى آخر السورة تذكير بالقرآن لتغليب الحنيفية على الصابئة. القيامة تقوم لجذبة من حظيرة القدس لنوع الإنسان. فالدعوة إليها، و الإيمان بها من شعائر الملة الحنيفية، إليه الإشارة "**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ** (**86**)" و لتغليب الحنيفية على الصابئة المنحطة جاء القرآن، إليه الإشارة في "**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** (**87**)" اختلف المفسرون في تعيين السبع المثاني، و عندي سورة الفاتحة مع الست "الرائيات" من يونس إلى الحجر، هي السبع المثاني و القرآن العظيم، و باعتبارنا الحجر هي سابعها. و هذا التغليب هو أساس ارتساخ الحنيفية في قريش، و بعد ذلك يتمكنون لنشر الحنيفية في الأقوام.

و من سورة النحل بدأنا للبرنامج العالمي فحسن، بذلك اتساق السورة "**لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ** (**88**)" جمعت أزواجا من الأمتعة، و المسلمون في زمن النبي صلى الله عليه و سلم أن لا يتوجه إلى تحصيل ذلك بل يجمع المؤمنين على الحنيفية فقط، هو معنى قوله "**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**".

و بعد ذلك من الآية 89-97 إنذار لقريش، يقبلون بعض تعليمات القرآن، و يتركون بعضها، و يقيمون عوضها أشياء من الصابئة، من الروم و الفرس، و يدعو إلى هذا الأمر المختلط دعوة سياسية. هذا يشكل على النبي، فعلم أنه يغلب عليهم. يلتزم في الدعوة إلى القرآن إلى آخر أيام حياته، هذا هو

فرضه، إليه الإشارة في "**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98)**" يكون هذا التلعليم سبب إنشاء اجتماعية صالحة، و تلك الاجتماعية تكون سببا للانقلاب العظيم في العا لم.

سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

أوّل سورة نزلت في المدينة، هذه بمنزلة صحائف التوراة، فيها إعادة ما نزل من القرآن في مكة و تنظيم على منهج الكتاب و إضافة ما كان مبهما من مسائل الجهاد و الخلافة و إقامة الحجة على بني إسرائيل خاصة، كما كانت السور المكية لإقامة الحجة على قريش خاصة. و أمر قريش و أمر بني اسرائيل متوازيان. قريش:إن منهم أحزاب سياسية، أقلها ثلاثة:1- الحنفاء كانوا يميلون إلى إقامة طريقة إبراهيم و إسماعيل فقط، و يرجون من هذه الطريقة التغلب على جميع العالم تصديقا لما عندهم من الرواية و البشارة بخروج نبي منهم. 2- الطائفة كانت تميل إلى الروم. 3- والطائفة كانت تميل إلى فارس و الانضمام إليهما[191] يحصل لهم التمكن في الأرض ثم يغلبون. و كذلك اليهود كانوا يرجون أن يكون منهم نبي و يغلبون بكتابهم على سائر الدنيا.

فالمدينة عبارة عن قبيلتين للعرب: الأوس، الخزرج، وثلاثة قبائل من اليهود: بنوقريظة، بنو نضير، و بنو قينقاع. قراهم متقاربة، سمي مجموعتها يثرب. و في الإسلام بالمدينة. و عندنا بأنهم أخذوا اسم المدينة من سورة ياسين.[192] في السنة العاشرة من المبعث جاء الوفد الأول من يثرب إلى الحج و كان غرضهم الاستعانة من قريش على من علاهم و عاداهم، فلقيهم النبي و دعاهم إلى الإسلام و أن ينزل النبي عندهم للدعوة الإسلامية، فكان شاب منهم مال إلى ذلك، و قال للوفد هذا أولى مما جئنا له، و أسكته شيوخ الوفد لكنه استمر على فكره. و جاء في السنة الحادي عشر وفد للدعوة إلى الهجرة بسعي هذا الشاب، و بعث النبي إليهم داعيا. و في الثانية عشر تم القرار بالهجرة، فابتدائه كان في السنة العاشرة.

و في هذه السورة (ياسين) "**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى**" بهذه المناسبة سموا اليثرب بالمدينة. فكان الغالب في المدينة اجتماعية اليهود. و كان الأوس و الخزرج يتبعونهم في كثير من الأمور الاجتماعية مع بقائهم على الصابئة، و كان رجال منهم يتهودون. كما كان التقدم في مكة للحنفاء كذلك كان التقدم

---

[191] و كانا يرا الانضمام إليهما

[192] وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى.......(20)

في المدينة لليهود، فنزلت السورة خطابا لقريش و اليهود، و الغلبة فيه لليهود. المعارضة من قريش إلى اليهود فإن كلا يرجو أن يتقدم على الدنيا، فإثباتنا أن أهل القرآن يتقدمون دون أهل التوراة.

الم (**1**) قد فسرناها على ما أبدى إليه فكرى، واليوم نفسره على طريقة الإمام ولي الله. المقطعات لها بانفرادها أيضا معان في اللغة العربية، يمكن استنباطها بعد مجاهدة طويلة.[193]

أولا: ننظر في الكلمات الثلاثية إذا اجتمع فيها حرفان يشترك في معاني جميع الكلمات معنى واحد، مثل جيم و نون إذا اجتمعا في كلمة يكون في معناها الستر: الجن- الجنين- الجنة و غيرها، ثم بعد ذلك نتوجه إلى أخذ المعنى من حرف حرف إلى طائفة من الكلمات مشتملة على جيم، مثلا فيكمن انفراد معنى النون من معنى الجيم هذا باعتبار المادة. مادة الحروف المقطعة و باعتبار صورة الحروف و خروجها من مخارجها من الحلق و الشفة و اللسان أيضا فيها تصوير للمعاني، فإذا كان الرجل عارفا بنحو ذلك من لطائف اللغة العربية و استعمال البلغاء في التعبير عن الرموز و الإشارات يقدر على أن يتنبه له. أزيد بها بعد ما أحاط من معاني السورة. و الشيخ (الشاه ولي الله) اختار هذا المسلك، و مثل هذه اللطائف التي في اللغة العربية؛ نحن نعرف في سانسكريت أيضا هى مستعملة عندهم لكن لعدم معرفة أهل الاسلام بلسان الهند في القرون الأولى لم يستفيد، و بمثل ذلك في **الموافقات**.

في الهند نشأ رجال يعرفون العربية و سانسكريت على التمام. فالمعنى الذي أراده الإمام له ثبوت في سانسكريت كما كان المعنى الذي أردناه له ثبوت عند اليهود، فالإمام ولي الله يجعل في حكمة الشخص الأكبر[194] مثل الشخص الأصغر و يجعل حظيرة القدس[195] دماغه و لسانه. فتكلم الشخص الأكبر مثل الشخص الأصغر بالحروف كما يفهم المعاني باعتبار صواته عند الخواص، فليكن في كلام الله و كتاب الله إشارة إلى حالته في حظيرة القدس، تشابه حالته خروج تلك الكلمة من لسان الشخص الأكبر. فمثلا "أ"

---

[193] "*الم ساری سورہ بقرہ کا خلاصہ ہے*" **مقام محمود**، 1: 15

[194] هو تمثال نوع الإنسان و مكانته تحت العرش.

[195] اعلم أن للأرواح حضرة تنجذب إليها انجذاب الحديد إلى المغناطيس وتلك الحضرة هي حظيرة القدس محل اجتماع النفوس المتجردة عن جلابيب الأبدان بالروح الأعظم الذي وضفه النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة الوجوه والألسن واللغات، وإنما هو تشبح لصورة نوع الإنسان في عالم المثال. لينظر: ولي الله، الشاه، **حجة الله البالغة**، باب ذكر شيء من أسرار الوقائع الحشرية (لبنان- بيروت- دار الجيل، ط: الأولى 2005م) 1: 79

يخرج من أقصى الحلق، فيكون إلى علوم مستترة في بطن التجلي الأعظم القائم على العرش الذي هو أقصى بالنسبة إلى حظيرة القدس. و "**ل**" مخرجه من أوساط المخارج فيكون فيه إشارة الملائكة الحاملين للعرش و الحافين حوله، الذين هم وسائط في نزول البركات من التجلي الأعظم إلى حظيرة القدس. ثم "**ميم**" مخرجه من أواخر المخارج فيكون إشارة إلى تنزّلِ تلك العلوم من حظيرة القدس إلى المخارج. هذا الأمر أيضا معقول و إن كان دقيقا.

قلت: قد قررنا و كررنا أن في الأرض سبع أرضين، و أقل ذلك أن يكون سبع أقوام عظيمة مختلفة في الذهنية. فنزول علوم حظيرة القدس يكون في كل على حسب ذهنيتهم. فإذا أخذنا من **ميم** تلك الأقوام المختلفة يختلف المطلب الواحد سبعة أوجه اختلافا في الصوات فقط. و هكذا ينبغي أن يفهم تعدد **ألف لام ميم** في فواتح السور. فالست من السور فيها **الم**: 1- البقرة، 2- آل عمران، 3- عنكبوت، 4- روم، 5- لقمان، 6-السجدة. والسورتان: في أحدهما **المص** أي في الأعراف و في الثانية **المر**أي في الرعد. فإذا تفكر الرجل على المنهج هذا يجد أيضا تناسبا و تناسقا. يكون في كل سورة ذكر حكمة إجمالية أساسية بمقابلته. ثم يكون تفصيلها بلسان آخرة مثل المنازعة بين الكفار و الشياطين أو منازعة الأتباع مع المتبوع في المحشر و جهنم، أو كلام الملائكة، أو كلام أكابر الأنبياء السابقين، ثم البحث في الصورة المعينة للمخاطبين من الأعمال و العقائد و الأحوال. هذا النوع أيضا من لطائف العلوم. و سورة البقرة: الخطاب فيها لليهود؛ قوم من الأقوام المركزية في الأرض المقدسة.تم التمهيد.

قوله تعالى: "**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**" على نظريتنا في تأثير لتعليم القرآن في المجتمع المكي أدّى إلى تنظيم حكومة اجتماعية في مكة- كان المسلمون لا يتحاكمون إلى القرآن[196] بواسطة الداعي الموجود فيهم، إن كان عنده علم من النبي يعلمه من القرآن في زمن أخذه من القرآن، و إن لم يكن عنده علم يرجعون إلى النبي لا يسلمون حكومته غير هذه. و هذا كان فيما بين المسلمين خاصة. و معاملتهم مع غير المسلمين من العائلة و القبيلة هي كانت على مجارى العادات السابقة من ولاء أو عداء. ما أجاز لهم القرآن أن يتداخلوا في تلك المسائل الخارجية بل كان يأمرهم بالصبر والانتظار إلى أن يأتي الأمر. هذا النوع من الحكومة قد تقرر بمكة. فتعليم الكتاب قد أثمر نتيجته؛ هي إيجاد جماعة تريد إقامة

---

[196] أظن المراد به؛ أي لا يقضون إلا بالقرآن.

العدل و الإحسان في الأرض، ويتعاملون بين العوائل و القبائل بصلة الأرحام، يعني يردون الإنسانية إلى فطرتها، لا يعاملون بتقيد و تعليم مصنوع، لا تشهد له الفطرة، هذا هو المراد من الجزء الثالث للتقوى.

ايتاء ذي القربى: فمثل تلك الجماعة أوجدها تعليم القرآن من قريش و قبائل أخرى عربية و من اليهود و النصارى أفراد منهم، و كذلك أفراد من المجوس. فإذا ثبت أن تعليم ذلك الكتاب هو الباعث لإيجاد تلك الجماعة، والجماعة يكون لا يوجد لها نظير في الأقوام و الأديان. فمن كان يعتقد بأحوال النبوة و يؤمن بوجود الكتب الإلهية بيد الإنسان، ثم يقابل تلك الجماعة المخرجة بالقرآن بسائر الجماعات الدينية الممتازة في سائر الأديان، فإن كانت تلك الكتب التي أوجدت جماعات متناقضة من تلك الجماعة من الله عند أهلها. فالكتاب الذي أوجد جماعة أعلى منها و ثبت كونه على منهاج تلك الكتب الإلهية، فهل يشك أحد في كونه كتابا إلهيا بل يؤمن بداهة على طريق الضرورة.

حاصل كلامنا إن كان رجل يؤمن بالتوراة و كثير من الناس يوقنون بها، وتأثير التوراة في الإنسانية موجود الآن، إنما نعترف بصدق الكتاب باعتبار تأثير أثره في الإنسانية. وهذا فكر طبعي في الإنسان. فإذا رأينا القرآن أقوى من التوراة في التأثير أفلا يكون عند المنصف، هو بمنزلة التوراة كتابا إلهيا بلا ريب. فمعنى الآية عندنا "**ذَلِكَ الْكِتَابُ**" علته لهداية المتقين الذين تخرجوا في مكة. فهذا دليل على كونه كتابا إلهيا بالبداهة بل بالأولية.

فصل:

المفسرون تخبطوا في تفسير مبدأ الآيات القرآنية. يذهب عظمة القرآن من قلب طالب العلم إذا قرأ تفاسيرهم، فلا يبقي في قلب رجل عظمة القرآن إلا في قلب رجل ينكر المفسرين، و يعتقد أنهم ما فهموا القرآن، أو في قلب رجل آمن بالقرآن تقليدا. و منشأ غلطهم عامة على ما أدركناه، أنهم فرضوا المخاطبين لتلك السورة الابتدائية: الأعراب الذين لا يعرفون شيئا من الدين و الإيمان. وهم[197] ما كانو يعرفون تاريخ المجتمع العربي في زمن النزول، إنما قراؤا كتب الفلاسفة، و قراؤا فيها آراء السوفسطائيين، و أنكروا كل شئ ديني، فقاسوا أعراب البادية عليهم، وجعلوهم المخاطبين لتلك السور الأولية. فيريدون تفهيم هذه السورة للجهال غاية الدرجة، فلا يجدون لها طريقا. فيأتون بتأويلات بجهد همتهم لا تنطبق

---

[197] المفسرون

على الآيات. يقولون مثلا: القرآن حق، لا ريب فيه، و إن لم يفهم الناس، فإنهم كالأعمى لا يرون الشمس. يقولون: الهداية تكون للجاهل و الضال، و كيف تكون هدى للمتقين؟ يؤوّلون و يقولون ثم لا يقدرون على تفسير التقوى إلا ما قراؤا في التفاسير من عدالة الشهود، فلا يجدون مناسبة بين المخاطبين و بين طلبهم التقوى. و مثل هذه الشكوك غلبت عليهم. فإذا كان الرجل إماما في التفسير و ذهنيته مغمورة بالأوهام و الشكوك و يجتهد بتفسيره على دفع ذلك بكل قوته، و يرى طالب العلم أنه بقي الشبهات على حالها، فكيف يستفيد المسكين، فهو يعرض عن القرآن، لأنه يفهم و يتوجه إلى علوم يجد فيها مساغا للبحث و الفهم. و كنت متحيرا لما قرأت "**الْمُتَّقِينَ**" أى الصائرين إلى التقوى. كان في قلبي لازم هذا التفسير أن يكون التقوى في أعلى درجة من الشهرة عندهم. فنقول أن كل من يريد التقوى ألتي يعرفها الناس، فالقرآن يهدي إليها. إنّي طلبت تفسير التقوى من ابتداء ذلك الوقت إلى عشرين سنة. مثلا فيما وجدت لها معنى إلا أنهم يفسرونها بالاجتناب عن الكبائر و عدم الإصرار على الصغائر. و لم نجد في هذه السورة، أن هذه الصغيرة و هذه كبيرة. ثم وجدنا لواحد من الفقهاء (العلامة ابن حجر الهيثمي)[198]باسم "**الزواجر عن اقتراف الكبائر**" قد أوصل الكبائر إلى مئات.[199] فقلت في نفسي أن الاتقاء إن كان بالاجتناب عنها فالقرآن لم يوجد[200] متقيا. و أنا أعرف من ذهنية الهنود كلها، لما وردتهم الشبهة يأتون بمثل هذه من التأويلات. هذا ما وجدته أنا و بحثت في إخواني و أقراني، هل أحد منهم يطمئن؟ فلم أجد رجلا واحدا، إنما هم ساكتون. فأنكرت هذا الطريق من التفسير قطعا. كنت معترفا بعلم المشائخ الديوبندية مثل مولانا محمد قاسم بأنهم ليسوا مقلدين بل هم محققون، مجتهدون من أنفسهم.[201] و تلك الطائفة كانت تعتمد على اتباع الإمام ولي الله. فشرعت بتفحص التفسير في كتبهم،

---

[198]أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي، مولده في محلة أبي الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) في 909 من الهجرة، وإليها نسبته. صاحب المؤلفات. و توفي في 965هـ. لينظر: الزركلي، **الأعلام**، 1: 234.

[199] لينظر: الهيثمي، أحمد بن محمد، **الزواجر عن اقتراف الكبائر** (بيروت، دار الفكر، ط: الأولى 1987) فإنه ذكر فيه أكثر من أربعة مائة.

[200]لعل المراد به " لم يجعل متقيا"

[201]بأنفسهم أبلغ من "من أنفسهم"

فوجدت في تفسير عبدالعزيز تحت قوله "**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**" فقال هذا مثل قولنا (***اين دايه شيرده اين جوان است***) يعنى هذا الشاب صار قويا بإرضاعها فاهتديت إلى المقصود.[202]

المتقون الحاصلون بالفعل مثل الشاب يقال أن التقوى حصل فيهم من ذلك الكتاب، فكان كون الكتاب حقا بالبداهة. ثم بسطت تلك الفكرة بسطا، فحصل لي في فهم القرآن باب، و الذي ذكرته من قبل هو تفصيل ذلك الأجمال. فلما عرضته على الإخوان و الأقران استبشروا، ثم استعنت في إيضاح ذلك بكلام الرازي الذي ذكره التفتازاني في **شرح العقائد**؛ حاصله أن الإمام يقول: إن الاستدلال بالمعجزة لنبوة نبينا إنما كان في زمن المتقدم، و أما الآن لما ثبت بنبوته هداية كثير من الأقوام و تعزز دينه مثل الأديان فلا حاجة للاستدلال بالمعجزة، و لا حاجة إلى البحث في أن المعجزة دليل أم لا.[203] هذا ما علق بذهني من خلاصة كلامه. الآن انتقلت على هذا الطريق من الاستدلال أي أن إثبات نبوة نبينا في المدينة لا يحتاج إلى المعجزة، لأنه علم جماعة في مكة؛ هم خير أمة أخرجت للناس على وجه الأرض، فلا حاجة بعد ذلك– أي استدلال بالمعجز–، بل تلك النتيجة هي أعظم دليل على نبوته الصادقة.

عندي تفسير على هذه الطريقة أجل وضوح– الآن نفسر الآية "**ذَلِكَ الْكِتَابُ**" و الكتاب على لسان الحنفاء المراد منه التوراة. فمعنى أن ذلك أولى من التوراة في مصداق الكتاب، فيكون الدعوى ذلك الكتاب، لأنه "**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**"، ثبت كونه هداية للمتقين، و تخرج بتعليمه المتقون أحسن مما خرج بتعليم التوراة. مثلا هؤلاء المتقون وصفهم بهذا أنهم "**يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**" أي هم يعتمدون على النبي. أنه ما يحكيه عن الله و عن حظيرة القدس حق، و إن لم يروه. وبمقابلة ذلك – المتخرجون بالتوراة– يقولون "**لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً**" [204]و الصفة الثانية أنهم "**يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**" و هؤلاء إذا قيل لهم "**وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ**

---

[202]بعد بيان مدارج التقوى الشيخ عبد العزيز أجاب ما ورد الاشكال على تفسير "هدى" فهو إن الهداية للضالين. فما فائدة في ذكر "المتقين" فقال: لم يكن أحد متقيا بدون هدايته.......... لينظر: شاه عبد العزيز، **تفسير عزيزي،** (لاهور، نوريه عزيزية ببلى كيشنر) 1: 192–193

[203] ما رأيت هذا الكلام عند التفتازاني في **شرح العقائد النسفية**، و أما الرازي فهو رجح معنى الاهتداء موصلة إلى البغية. لينظر: الرازي، فخر الدين، **مفاتيح الغيب** (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: الثالثة 1420هـ) 2: 268.

[204] البقرة:55

لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59)"[205]الصفة الثالثة: "**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**" قليلا أو كثيرا. و بخل اليهود أشهر من أن يذكر فقوله:"**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**" [206] فالقرآن الذي تخرج به المتقون بمثل ذلك، أليس يكون أولى من التوراة بأن يسمى بالكتاب بالأولية و البداهة، و هو معنى قوله "**لَا رَيْبَ فِيهِ**".فهذه الجملة المعترضة بين الدعوى و دليلها، هذا كله نتيجة بذر الشيخ عبدالعزيز لا غير.[207]

فصل: في تحقيق الإيمان بالغيب.

في سورة الأعراف قوله تعالى: "**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ .... وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**"[208] . فالله خلق في قلب كل رجل من بني آدم ما يعرف به ربه. و هذا الذي نعبر عنه بالحجر البحت، هو نموذج من التجلي الأعظم موجود في قلب كل بني آدم. فمدار التكليف هو تلك النقطة من الإنسانية. فالإنسان يشتغل في مرافق حياته الحيوانية و العقلية، و يتغافل عن اقتضاء تلك النقطة اللطيفة، و إذا جاء رجل له تعلق بحظيرة القدس و بالتجلي الأعظم تيقظ بصحبته تلك النقطة. الآن لا بأس عندنا إذا تفقهتم في حكمة الإمام ولي الله. نعبر عن كتاب الله أنه صار كلام من حجر بحت النبي عليه السلام على ما قلته أولا، ثم يأتيه الملك ثانيا من حظيرةالقدس، فينطبق الكلامان، فتيقن النبي أنه كتاب الله. انتهى الغرض من نقل هذه الجملة أن كتاب الله يشتمل على تأثير الحجر البحت النبوي أيضا. فبصحبة نبينا عليه السلام المتيقظون لطيفتهم استفادوا من تأثير لطيفة النبي فيهم، فأيقنوا بكتاب الله، هذا التأثير إن أسند إلى كتاب أو أسند إلى صحبة النبي، فالمعنى واحد. و بعد تيقظ لطيفة الحجر البحت يتوجه الإنسان إلى حظيرة القدس هذا هو الغيب.

---

[205] البقرة: 58-59

[206] آل عمران: 181

[207] ما رأيت هذه المقارنة في تفسير الشيخ عبد العزيز.

[208]الأعراف: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (174)"

و كما يسمع النبي من جبريل و تيقن بأنه كلام الله، لأنه نزل من التجلي رأسا على الحجر البحت أولا، كذلك المتقون في صحبة النبي عليه السلام بعد تيقظ الحجر البحت فيهم يجدون في قلوبهم تأثيرا من التجلي الأعظم، فيتخيلون شيئا مثل هذا من تأثير الحجر البحت فيهم، ثم يسمعون من النبي مثل ما يسمع من جبريل فينطبق على هواجس نفوسهم فيؤمنون بالغيب، بأن ما قاله النبي حكاية قول الله هذا أعظم مقام للإنسان بعد النبوة، فجميع كمالاتهم بعد ذلك يكون شرحا لذلك المقام فقط. انتهى الفصل.

"**وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**" هذا لحفظ الرابطة الحاملة بينهم و بين حظيرة القدس. "**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**" هم يعرفون أن الفطرة الإنسانية إذا كانت تحتاج إلى شئ فلتحصيله يبذلون كل ما يقدرون عليه. هؤلاء ينفقون على الناس الذين يحتاجون مما رزقناهم قليلا كان أو كثيرا. فيحدث في قلوب المحتاجين محبة تلك الطائفة و وُدادهم بذلك. فبذلك يجذبون بتوجيههم إلى حظيرة القدس، فيحدث اجتماعية مركزية. هذا الذي حصل من تأثير صحبة النبي عليه السلام و تعليم القرآن أيام قيامه بمكة. فخروج تلك الجماعة دليل على كون كتاب الله نازلا من الله بواسطة حظيرة القدس و على كون من أنزل الله إليه نبيا.

بعد التعرف بعلاقة العلية و المعلولية بين هذه الجماعة و بين صحبة النبي يكون الأمر واضحا لا ريب فيه، فبهذا الطريق ينتظم الكلام. و أما ما يسعى إليه التفاسير باجتهادهم في اللغة العربية و صرف القوة النظرية العقلية لإيجاد الارتباط بين الآيات لا يشفى بدون التوجه إلى حظيرة القدس.

قوله تعالى: "**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4)**" اختلف في أن تلك صفات للموصوفين بالأوصاف المتقدمة أو بيان جماعة أخرى ثانية. فالأول كانت في المهاجرين، و يكون الثانية إشارة إلى الأنصار. هذا على حسب الظاهر، يترآى للناظر. و أما الذي اطمئن به خاطرى هو المعنى الأول، لأن المدار في تلك الآيات إثبات النبوة بقوة الاجتماعية الحادثة في مكة. و نحن نعلم أن الأنصار أيضا انضموا مع المهاجرين في مكة، فالاجتماعية في مكة لا يمكن أن ينقسم إلى قسمين: دائرتها أم القرى و من حولها، دخلت فيها قبائل من أطراف مكة و كذلك قبائل يثرب فيكون هذا العطف عطف صفات على صفات.

و قد تقرر عندنا في حكمة الإمام ولي الله أن النبي بعث بعثتين: بعثته إلى العرب الأميين. و بعثته إلى العالمين. فالصفات الأولى التي عطفت عليها كانت مركز البعثة الثانية. فالمتقون الذين حصلوا التقوى بتعليم

الكتاب حازوا نوعين من الكمال: الأول التوجه إلى حظيرة القدس بالعلم و المال و العمل. الثاني معرفة حالات العالم المقتضية لنزول التعاليم المختلفة من حظيرة القدس. فهم حكماء يعرفون نبض العرب فيستيقنون أن ما أنزل إلى النبي مطابق لذلك، و إليه الأشارة "**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ**". تلك الدرجة من المعرفة التفصيلية متفرعة على إيمانهم بالغيب، فيوجد فيهم المحدثون مثل عمر، و ليسوا منحصرين في عمر فقط بل يأتي في قلوبهم ينبغي أن يشرع كذا و كذا،[209] فهذا دليل على أنهم يعرفون الأسباب التي تقتضي نزول الشرائع، هذا هو الذي نسميه في كتاب الله بالحكمة، و القرآن قد فرض على النبي أن يعلمهم الكتاب و الحكمة. والناس بدون الحكماء لايتدبرون في القرآن. وكذلك فيهم جماعة يعرفون نبض العالم، يعرفون الأسباب المقتضية لنزول الشرائع السابقة من اليهود و النصارى و بالتبع الصابئة و المجوس. و قد ذكرنا أن الملتين الهنديتين اللتين عمت على وجه الأرض قبل اليهود و النصارى من البراهمة و السمنية (البوذية)، هما شبيهتان باليهود و النصارى. هؤلاء المتقون من الحكماء يعرفون بالأسباب المقتضية لنزول الشرائع السابقة بالتحديث في قلوبهم، فيؤمنون بما أنزل من قبلك. و بهذين الوصفين صاروا مصدر البعثة الثانية للعالم.

"**وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**" إذا أدرك الإنسان نظام الإنسانية العالمية يضطر إلى إثبات الآخرة. فالإيقان بالآخرة دليل على اتقانهم لمعرفة الفطرة الإنسانية العالمية، المتفرقة بالسرعة بين الأقوام. فإيجاد تلك الهيئة الاجتماعية دليل على كون الكتاب كتابا إلهيا.

قوله تعالى: "**أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)**" الهداية و الفلاح في ذلك القرآن، و إلا لمن يكون برنامجهم لتكميل الفطرة المنطبق على قومهم صالحا لدعوة الأقوام كلها إليه. أما من يكون برنامجه قوميا فلا يكون في ذلك القرآن على هدى، و لا يكون من المفلحين.

تنبيه: المسلمون قاموا بتنظيم الدعوة العالمية، و فازوا في نحو خمسين سنة إلى تحكيم صفين[210] و بعد ذلك أي قوم من الأقوام الماضية من الصابئة أو اليهود و النصارى من الحنفاء قاموا لتفهيم دعوتهم إلى

[209] يجد في قلبهم داعية تشريع بعض الأمور

[210] زمن تحكيم صفين

العالم، فيضطرون إلى موافقة برنامج القرآن و إلا فلا يفلحون. يفسد أمرهم في الطريق هذا الذي فصلناه من مطالعة الحركات العالمية اليومية.

الانقلاب الروسي انقلاب اقتصادي، لا يبحث عن دين أو حياة أخروية. و نحن جالسنا و بالتلطف قدمنا إليهم برنامج الإمام ولي الله في **حجة الله البالغة،** فاستحسنوه، ثم سألونا؛ هل عندكم قوم عاملون به؟ قلت: لا! هيهات لو كان مثل هذا القوم اليوم موجودا لدخلنا مذهبهم، و سهلت علينا مشكلة عظيمة عاقت برنامجنا في تنفيذه في الفلاحين. هذه خلاصة محاوراتهم بدون أي تحريف. فأيقنت أنهم مضطرون إلى قبول برنامج القرآن و لو بعد الأيام. و نحن لا نعرف في تاريخ العالم الإنسانية حركة عالمية مثل هذه (الاشتراكية) مضادة تماما لتعليم القرآن. و إذا كانت هي أيضا في تمامها تحتاج إلى قبول هذا القرآن الذي فصله رجل من أتباعه إمام الحكماء المسلمين، فأيقنا أن الهداية و الفلاح العالمية مختصة باتباع القرآن بعد نزوله. هذا هو معنى تلك الآية عندنا.

نحن تفكرنا في ربط آيات القرآن، و بعد ذلك من الآية 6 يأتي مضمون يبحث فيه المفسرون مستقلا: يقولون: تم ذكر المتقين المؤمنين، و بعد ذلك يذكر الكفار، ثم يبحثون بأفكارهم الكلامية في تحريف الآيات من مثل: هل يجوز تكليف ما لا يطاق؟ فأنا كنت متحيرا، أي حاجة[211] في البحث عن مثل تلك المسائل و نزولها في القرآن في هذه السورة. لكن المدارس العظيمة يدرسون التفاسير، و لا يتنبه على قبح هذه البيانات إلا قليل، و منعوا عن الكلام، فسنح لى مثل ما تعودنا في كتب النحو و غير المرتبة على نظام، فقلت: أن هذا جواب سؤال يرد على دليل تقدَّم ذكره. تقريره أنكم استدللتم بوجود جماعة مؤمنة في مكة على صدق الكتاب لكن في مكة كانت بجنب تلك الجماعة جماعة مثلهم في العلم و العقل، هم أنكروا القرآن أشد الإنكار. فلو كان وجود الجماعة بتأثير القرآن لأثر فيهم أيضا. و إذا ليس فليس يستحسن نسبة وجود المتقين في مكة إلى تأثير القرآن بل يمكن أن يكون وجه آخر.

تقرير الجواب: إن هؤلاء لم يسمعوا القرآن فلذلك لم يؤثر فيهم. فلا يكون دليلا على عدم تأثيره، لأن الكلام العلمي إنما يؤثر إذا تفكر الإنسان فيه. و إذا أسروا مشاعرهم و حواسهم عن الالتفات إليه فلا يمكن التأثير. هذا ليس بنقص يرجع إلى تأثير القرآن، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**

[211] و أقول في نفسي أي حاجة

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6)خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)". النبي يجتهد في الإنذار، لكنهم لا يفتحون أبصارهم لينظروا إلى نتائج القرآن و لا يصفون ليسمعوا و لا يخطرون على بالهم خطرة لفهم القرآن، كأنهم ملعونون من الله، من تلك النعمة العظمة حرموا، لأنهم لم يلتفتوا لبغض و مرض في قلوبهم. فعدم إيمانهم لازم أنذرت أم لم تنذر "**سَوَاءٌ عَلَيْهِم**". فانتظم الكلام، لا حاجة إلى تلك الصعوبات من مثل مسألة هل يجوز تكليف المحال أم لا. الحاصل المفسرون لا ينظرون إلى القرآن بأنه صحيفة إلهية بل ينظرون إليه كأنه كتاب إمامهم في الكلام.

الإعتراض على الجواب المذكور: إن كان أبو جهل و أخوانه لا يسمعون القرآن فلم يهتدوا، هذا لا يؤثر بتأثير القرآن لكن في المنافقين جماعة تصلى و تقرأ القرأن، و لايهتدون. هذا الجواب منقوض بالمنافقين. فمن الأية الثامنة: "**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8)**" إلى "**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)**"على طريقنا **بيان جواب عن هذا الاعتراض**: تقريره نعم مثل هذه جماعة في المؤمنين، لكنهم أيضا لم يسمعوا القرآن بل هم يصرحون بأنهم مستهزؤن. إذا لم يستفد التلميذ، المستهزي من الأستاذ، فلا اعتراض على الأستاذ. فإلى تصريح بقولهم "**إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**" تدرج في البيان حالاتهم. ففي الآية 8 نسلم نحن أن مثل هذه الجماعة موجودة. هذا معنى قوله: "**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)**". ثبت أنهم يكذبون[212] في قولهم "**آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ**".

صنفان متقابلان: أهل القرآن قائمون لإقامة العدل و الإحسان في الدنيا، وبكلمة أخرى لإقامة التقوى في الدنيا. صنف آخر يقابلهم هم قائمون على ما كان عليه أسلافهم من الجهل و إدعاء الفوقية على الناس، يستمرون على برنامجهم، لا يسمعون من تعليم القرآن شيئا. هاتان الجماعتان هل تجتمعان؟ و هل يمكن الجمع بينهما؟ فلا يشك عاقل؛ أن الانقلابي و الارتجاعي[213] لا يجتمعان. تقوم طائفة ارتجاعية

---

[212] لعل المراد به "كانوا يكذبون"

[213] اسم منسوب إلى الارتجاع: على الغريم و المتهم: ردده و أعاده إليه و لينظر: **المعجم الوسيط**، مادة: ر ج ع، 231. و منها الحركة الارتجاعية: حركة ارتدادية عنيفة مفاجئة للخلف. لينظر: **اللغة العربية المعاصر**.

على ظن نفسها، ذكية بالنسبة إلى المؤمنين أيضا، و تزعم أنها إذا جالست المؤمنين و دخلت في جماعتهم تمنعهم عن الانقلاب، و يرتجعون بهم إلى الارتجاعية بهذا البرنامج. يدخلون بين المؤمنين، فيظهرون الإيمان و قصدهم خداع المؤمنين، لكن هذا الانقلاب أراده الله، و ثبتهم على ذلك. فإن قدر هؤلاء لخداع الله أيضا، فهم يخدعون المؤمنين و إلا فالخداع راجع إليهم بأنهم قادرون على خداع المؤمنين. و إلى تلك الدرجة من بين حالاتهم ذكر في "**يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** (**9**)" يعنى حقيقة أنفسهم، في قلوبهم كبر، إنهم ليس لهم نظير في الإنسانية، يقدرون على خداع كل ذكي و غبي. فلما دخلوا في المسلمين و لم يكشف المسلمون على الفور خداعهم زاد مرضهم، هم تخيلوا أنهم فازوا و أن المسلمين يعتمدون عليهم بأنهم مسلمون، و ليسوا مخادعين، فتخيلوا أنهم يفوزون بإرجاع المسلمين عن الحق، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** (**10**)" إذا تبين لهم بعد أيام أن المسلمين ما انخدعوا بل ظهر كذبهم عندهم، بذلك يصيرون مستحقرين في أنفسهم بأنهم متهمون عند الناس عامة بالكذب. هذا عذاب أليم لمن كان يظن نفسه من الطبقة العالية في الإنسانية إذا خاب في برنامجه، و ذهبت عزته من قلوب الناس، كيف يكون ألمه في قلبه.

"**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** (**11**)" هذا تقدَّم و تدرج إلى الدرجة الثانية في بيان قبح حالاتهم. إذا ظهر للمؤمنين أنهم يريدون إصلاح الجماعتين، فبين المسلمون فساد برنامجهم، بأن هذا سر عن الاصلاح و أنه غلو في الإفساد، فلا تفسدوا في الارض بسعيكم هذا، "**قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**" يعنى أنهم يخافون القتال بين الطائفتين، فيريدون أن يتنازل هذا و هذا و لايتحاربون، لكنهم لم يفهموا معنى الانقلاب، هو يوجب الحرب مع الباطل. فالامتناع منه إفساد أوامر الله، إليه الإشارة في "**أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ** (**12**)".فتبين بذلك أنهم لا يعرفون الإيمان بالله و اليوم الآخر، إنما تلفظوا بألفاظ فقط. و بتلفظ ألفاظ العلم و الإيمان لا يدخل أحد في العلم و الإيمان إذا لم يكشف عن المراد و المقصد. ثم في قوله تعالى: "**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ** (**13**)" تقدم إلى بيان حالاتهم، أصرح من الأول. لأن المسألة فيها إشكال؛ هم لم يؤمنوا حقيقة و صرحوا بالإيمان. فلو قيل من جهة المؤمنين أنهم لم يؤمنوا حقيقة، فلم يتفقوا، لا يتم الجواب، لأن الخصم يتهم المؤمنين، أي كل رجل عاقل

إذا لم ينتفع بالقرآن فكيف يقال المؤمن؟ إنه لم يؤمن هو فليس البحث عن الحقائق بل في عصبية حزبية. فلاجتناب عن مثل هذا الإتهام، بحث القرآن عن حالاتهم درجة بعد درجة. ألزمهم أنهم يتكبرون كبرا، و أنهم يخسرون في الآخرة. و هذا ظاهر من حالاتهم، فإنهم اجتمعوا بالكفار، يقولون خدعناهم كذا و كذا، و ترون بعد أيام هم يرتجعون.[214] فإلزام الكبر عليهم محقق عند الخصم أيضا.

ثم بعد ذلك بحث عقلي. جماعتان متناهيتان في أفكارهم، فالحرب بينهم ضروري قطعا. فالعاقل ينتظر إلى أن يغلب إحداهما على الأخرى، فإذا كان أحد الطرفين يوضح للناس أن اصطلاح الحجاز لا يمكن إلا بمقاومة هؤلاء إلى آخر الأمر. و دلائلهم قوية لا يمكن الجرح فيها. فمنعهم عن التقدم هو استدامة الفساد، هذا دليل على غباوتهم. هذا أيضا مسلم، لأن البحث يكون في المجالس العامة الآن.

التقدم إلى الثالثة قوله: "**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13)**" يعنى في المؤمنين رجال عقلاء و أولو العزم مثل أبي بكر و عمر، أنتم أيضا كونوا أمثالهم. فآمنوا مثل إيمانهم يقولون: "**أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ**" أو يكون رجال من الأنصار من الأوس و الخزرج آمنوا، فقيل لهم آمنوا مثل ما آمن الأنصار، فيقولون هؤلاء سفهاء كلهم، العجب! رجل يدخل في الجماعة و يقول أن كلهم سفهاء، فإذا كان هؤلاء سفهاء فلم دخلتم فيهم؟ إليه الاشارة في "**أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ**". هذا تصريح منهم أنهم لم يؤمنوا.

ثم التقدم إلى الدرجة الرابعة في قوله: "**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14)**" بعد تصريحهم أن المؤمنين عامتهم سفهاء. ألزمهم الناس لما دخلتم في السفهاء؟ صرحوا إنما نحن مستهزؤن، و صرحوا عند المخالفين. فلم يبق لهم محل أن ينسبوا إلى المؤمنين. إن من لم يتأثر بالقرآن هم يحكمون عليه بعدم إيمانه لأجل التعصب فقط. هؤلاء بأنفسهم يقولون إنما نحن مستهزؤن. فلم يمكن نقض على تأثير القرآن.

و يأتي في قوله تعالى: "**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15)**" بيان نتيجة أعمالهم؛ هي عدم انكشاف حقيقتهم عندهم إلى مدة، فكان ذلك جزاء استهزائهم، بقوا زمانا على جهل بأنفسهم؛ إن المؤمنين لا يعتمدون عليهم من أول الأمر، هم عملوا مع المسلمين أعمال المسلمين، و لم

[214] يرجعون إلى دين آبائهم.

يحصل لهم هدى مثل المسلمين بل صاروا ضالين أكثر من الأول. فلتفهيم تلك الصورة ضرب الله مثلا: التاجر يبيع و يشتري، فأحدهما يربح و الآخر يخسر، و صورة البيع و الشراء سواء. هكذا كان حال المسلم و المنافق في صورة أعمالهم و نتائج أفعالهم. والتجار بعد الخسارة يفهمون أن النقصان جاء من جهتهم في الموضع الموضع الفلاني، هكذا هؤلاء أيضا فهموا إنما جاء النقصان بشؤم أعمالهم.

حزب تنبه لفساد حالة العالم و في قلبه عزم على إصلاح العالم، و يجزمون بالفوز. هؤلاء يخادعهم رجال، ما خرجوا من عائلتهم و لا من قبائلهم. تلك الجماعة كانت منقسمة على قسمين: 1- قسم من أكابر الزعماء. 2- قسم من أتباع الناس.

فالأول: لما لم يفز في مقصده من خداع المؤمنين تركوا التفكر في مستقبل الإسلام، فإن بقوا في المؤمنين. أفكار الجامدين: إليهم الإشارة في قوله تعالى: **"مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18)".**

القسم الثاني: ففيهم استعداد لاتباع الحق و استعداد لاتباع الباطل، (هم) مترددون. و إليه الإشارة في قوله تعالى: **"أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (19) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا**.....(20)". نجد مثال هؤلاء في أهل القرى، أنهم يشتغلون في معاشهم و يتبعون بعض المرشدين،[215] فإذا حصل لهم فراغ، و جاؤا عند المرشدين، يصلون و يصومون مثل الصالحون، و إذا رجعوا إلى بيوتهم و اشتغلوا بمعاشهم، يتركون أكثر الأعمال. هؤلاء أيضا يقولون "**آمنا بالله و باليوم الآخر**" و ليسوا بمؤمنين تاما في بعض الأوقات، يعملون بالإيمان إذا جاءت قوة من خارج، و إذا ضعف التأثير الخارجي فليس عندهم شئ. لئن[216] تبين من حالهم إن عندهم قوة اتباع الحق موجودة لئن لا يستعملونها على الدوام. الفطرة الانسانية قاضية؛ بأن كل قوة أهملت طويلا، تذهب تماما أو تضعف إلى درجة، و لذلك أنذروا "**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**

[215] الصوفيا

[216] لقد تبين

(**20**)" على طريق تفكرنا، تم الاستدلال بقوله "**هدى للمتقين**" على قوله "**ذلك الكتاب**". وهذا في اصطلاح المنطق (دليل) أني يستدلون بالمعلول على العلة، والدليل الأني يكون أقرب إلى فهم العوام و لكن الحكماء لا يطمئنون بالأني إلا إذا قدروا على تحليل العلة بإثبات لمية أيضا. فعندنا من قوله "**ياأيها الناس**" شروع في بيان الدليل اللمي.[217]

القرآن يشتمل على الدعوة، إلى أي شئ؟ هل فيها[218] صلاحية لأن يخرج بها المتقون فذلك البحث ممتد إلى رقم الآية 39. نجعل هذا فصلا ثانيا من رقم الآية 21 إلى 39، فإجمال مقاصد القرآن يأتي في هذا الفصل.

فالأمر الأول في الدعوة القرآنية: هو العبادة لله الخالق خالصة، و منع أن يجعلوا لله أندادا. و هذه المسألة اتفقت فيها كل الكتب الإلهية. هذا إلى رقم الآية 22 قوله: " **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (**21**) **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** (**22**)". قوله "**ياأيها الناس**" خطاب للطائفة المتوسطة الذين فيهم استعداد التقوى موجود مثل الطبقة السافلة من الأتباع التي كانت مثلها كصيب من السماء، فدون تلك الطبقة من الناس لا يستحقون أن يخاطبوا في أول الدعوة فلذلك جاء "**فَلَاتَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** (**22**)" و لذلك ذكر قوله "**لعلكم تتقون**"، لأنهم يفهمون معنى التقوى و التوحيد لكن الاستمرار على ذلك مشكل عليهم.[219] فبخلق الله لهم أوجب عليهم العبادة خالصة لله. و قد تقرر في السور المكية "**عباد الله المخلصين**" هم المدعوون في الدعوة الإلهية دائما. ثم الاستمرار على تلك الحالة إنما يكون باتباع أمر القرآن، و لذلك وجه نظرهم إلى البحث في معارف القرآن في "**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ**

---

[217] **البرهان اللمي**: ما يكون الحد الأوسط فيه علته للنسبة في الذهن، والعين معا.**البرهان الإني**: ما يكون الحد الأوسط فيه علته للنسبة في الذهن فقط. لينظر: السيوطي، **معجم مقاليد العلوم في الحدود و الرسوم**، مصر- القاهرة- مكتبة الآداب، ص127

[218] يعنى في الدعوة القرآنية

[219] يعني صعب عليهم

مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (24)".

نحن نجعل تفسير ذلك بابا من الكتب الإلهية. فسور القرآن مثل الأبواب لكتاب أو مثل صحائف التوراة. فالسورة الواحدة من القرآن، هذه السورة سورة البقرة، و نحن إذا فرغنا من تعليمها فترون فيها مجموعا من التعليمات القرآنية التي نزلت بمكة و ترتيبها بحيث يتكفل لهداية العالمين. هذا باب من أبواب القرآن، فخذوا بابا من صحف التوراة أو كتابا من الأناجيل أو تعليما من تعاليم الصابئة، تترجمونها بالعربية و تعلمون أهل الحجاز الذين علمناهم القرآن، و تستخرجون نتيجة مثل نتيجة القرآن. فإن كان ذلك ممكن عندكم فلا يجب عليكم إتباع القرآن بل تتبعون دينا من الأديان فتهتدون. فإن لم يكن ذلك فالإعراض عن القرآن التقهقر على الإنسانية و يؤدي إلى جهنم باتفاق جميع الكتب الإلهية.

فليس عندنا التحدي بلاغته لأقوام عجميين. والتحدي بمثل ذلك يأتي في القرآن للجن و الإنس. أ هم يعلمون العربية حتى يأتوا بكتاب مثله؟ هذا كله بعد و ذهاب قوة التدبر في القرآن. اليهود و النصارى و طوائف من الصابئة موجودون في الحجاز و ما يقرب منها فليأت أحد من أهل الأديان، و ليعلم هؤلاء الأميين و ليحدث مثل تلك الاجتماعية مثل هذا كله راجع إلى المعنى والحكمة العملية.[220] و العلمية "**وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ**" يعنى أهل الأديان "**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا**" هذا ظاهر. نحن ندعو الناس إلى يومنا هذا فليأتوا بدين أقوى من دين الإسلام، إليه الإشارة في قوله "**وَلَنْ تَفْعَلُوا.فَاتَّقُوا النَّارَ**...الخ" للمرتجعين المتقهقرين هذه النار الذين أنذروا بها. نحن في حكمتنا تثبت في عالم المثال.

فذكر الحجارة لا يلتئم على نظريتنا في الظاهر، فإن الأعمال الإنسانية هي بعينها تلتهب بعد تنزلهم إلى المدارج السافلة في المثال. والتحقيق في ذلك يرجع إلى أننا لا نجعل في الوجود حقائق متضاربة بل هذا

---

[220] و المراد به كما قال في **مقام محمود**: " قرآن شریف کی عربی فصاحت وبلاغت کے معجزہ ہونے کا کسی کو انکار نہیں ہے۔ مگر اس کے باوجود قرآن شریف کے کمال کا یہ سبب نہیں ہے۔اس کے اعجاز کا اصلی سبب یہ ہے کہ انسانیت کے لئے قرآن بہترین قانون دیتا ہے"سندھی، مقام محمود، ص15.

أمر عالم المثال[221] يتصل بعالم العناصر بوجه من الوجوه، و يمكن انتقال أحدهما إلى الآخر، لأن الأساس مشترك بينهما. فإيراد الحجارة في جهنم يكون سببا لازدياد العذاب.

إيضاح ذلك لا بد بمقدمة ذكرها الشيخ محمد إسماعيل الشهيد في **العبقات**: "إن الشيئ و إن كان عالما بشيئ بالعلم الحضوري إلا أنه إن تجرد للنظر إليه و تفرغ للتوجه إليه يقع له بطرفيه، و يترتب آثار هذا التوجه أوفر ما كان على حسب استعداد المدرك، لا سيما إذا أعانه شئ من خارج، ألم تر أن الرجل إذا جاع أو عطش أو جرح فله علم حضوري بالجوع و العطش و الألم إلا أنه إذا كان مشتغلا في تضاعيف الأشغال كأن يكون حاضرا في صف القتال أو في جماعة الهاربين لايكاد أن يتنبه لموضع الجرح و لا يترتب عليه آثار الألم، ولذا لا يكون مانعا من العدو الشديد، فإذا أزال الأمور الشاغلة إدراك الألم أشد الإدراك حتى لا يكاد أن يتحرك. لا سيما إذا شئ من خارج كوقوع الذباب على الجرح أو حضور الطعام على الجائع و حضور الماء عند العطشان، فإنه يتضاعف احساس له.[222]

قلت: فأعمال الإنسان في جهنم تكون حاضرة عنده، ملتفتا إليها قصدا، و نتائجها تؤذيه أشد الإيذاء لبعد هذا الرجل عند حظيرة القدس، و تأذي الحجر البحت من ذلك التباعد. ففي تلك الحالة إذا وقع عليه حجر يشتد إحساسه بالعذاب. وانتقال الحجارة إليها لاتحاد الوجود ليس بمستبعد عندنا. فالحكمة التي نحن نعتمد عليها لا تتم إلا بتأسيس مسألة وحدة الوجود الحقيقي، و هذا الذي نشير إليه بأن حكمتنا توافق فلسفة الهنود أكثر. و من المسلمين رجال لم يدركوا المسألة على وجهها فأنكروها.

"وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (25)" أي الذين أيقنوا بالقرآن و نظموا حياتهم على هداية "**أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ**...الخ". قد شرحنا أن الجنات الأرضية داخلة فيها مع الجنات السماوية أو المثالية. و المراد بالمثال ههنا يكون المثال الفاعل المؤثر– المثل الفاعلية المؤثرة لا المثال المنفعلة. "**هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ**" دليل على نظرياتنا أنهم أُوتوا في

---

[221] أن في الوجود عالما غير عنصري تتمثل فيه المعاني بأجسام مناسبة لها في الصفة، وتتحقق هنالك الأشياء قبل وجودها في الأرض نحوا من التحقق، فإذا وجدت كانت هي هي بمعنى من معاني هو هو، وإن كثير من الأشياء مما لا جسم لها عند العامة تنتقل وتنزل، ولا يراها جميع الناس..... ولي الله، حجة الله البالغة، لبنان–بيروت– دار جيل، ص43

[222] شاه اسماعيل، **عبقات**، باكستان–لاهور– اداره إسلاميات،

الدنيا تلك الأشياء، فلما رأوا في جنات الآخرة "**وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا**" يعرفون كل الأشياء بأسمائها و فيه إشارة إلى أن الآخرة من تتمة الدنيا.

"**وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ** ...الخ" الخلود يبتدأ من الدنيا، و يتسلسل بعد الموت[223] إلى أمد بعيد. فإن تقدموا بتعليم القرآن فجنات الدنيا أولا و بعد الموت جنات الآخرة مسلسلة تحصل لهم. و إن لم يتقدموا بالقرآن فليس شئ في الدنيا يقدمهم، فيقعون في جهنم. هذا التحدي للأمور العقلية المعنوية.

والفصل بالأمور الشهادية الحسية دليل ساطع على صدق القرآن. هذا هو الجزء الثاني للدعوة من رقم الآية 26 إلى 27 مثل الجملة المعترضة. دفع اعتراض على نظريتنا في الاتساق.

عامة المفسرين إلى رقم الآية 25 قدروا نظم الآيات بأن الله ذكر أولا المؤمنين ثم المعاندين ثم المنافقين. الأشياء تعرف بأضداد، فكان كله كأنه ذكر للمؤمنين لكن بعد هذه الآية "**إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26)**" يصعب عليهم اتساق النظم، و يأتون بالأدلة أن الاتساق ليس بلازم. و عندنا هذا جواب سؤال: تقريره لاتباع القرآن؛ دعونا هم إلى التحدي أن يأتوا من الكتب الإلهية شيئا مثله، ففي مثل تلك الحالات يمكن للمخالف أن يقول أن الكلام الذي تطلبون مقابلة غير خال من النقائص، فقيل تبرئة من تلك النقصانات لا يستحسن التحدي فأبدوا بنقض، و قالوا أن العظماء لا يذكرون في كلامهم الأشياء الخسيسة مثل الذباب و البعوضة، فهذا الكلام كيف ينتسب إلى الله؟ جوابه "**إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي**....الخ". إذا كان المثال المضروب لتوضيح المفهوم لازما، و المثال لا يؤثر في ذهنية الناس إلا بذكر الأشياء الخسيسة، فترجمة تعالى لإبلا غ المعنى إلى أذهان الناس يقدم تجويز ذكر الخسيس. و الخسيس باعتبار العرف ربما يشتمل في حكمة على أمور عظيمة لحل المشكلات عند الناس، أو في الأمور التكوينية. ففي الحكمة لا يجوز ترك ذكره حينئذ إلا لإرضاء الناس أو الاستحياء منهم، فالله لا يستحي من بيان البيان الحق. تم الجواب.[224]

---

[223] يمتد إلى ما بعد الموت

[224]اعلم أنه بين بالدليل كون القرآن معجزا أورد هاهنا شبهة أوردها الكفار قدحا في ذلك وأجاب عنها وتقرير الشبهة أنه جاء في القرآن ذكر النحل والذباب والعنكبوت والنمل وهذه الأشياء لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء فاشتمال القرآن عليها يقدح في فصاحته فضلا عن/كونه معجزا، فأجاب الله تعالى عنه بأن صغر هذه الأشياء لا يقدح في الفصاحة إذا

و هذه النتيجة تحصل للمؤمنين بمعرفة الحق. هذا ظاهر لأن المثال يكشف عن الحقائق، إلى ذلك إشارة "**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا**". ثم مخالفة عرف الناس أيضا يحصل منها فائدة. المنافقون يظهرون إنكارهم على كتاب الله، فيظهرون للناس، و تمييزهم من أهم الأمور الاجتماعية لأهل الإسلام، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا**" قد جاء في بعض الروايات من التابعين أن المراد هم المنافقون.[225] و قوله تعالى:"**مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ**" لا يسألون على سبيل الاستفهام بل على الإنكار. بين الله فائدته بإضلال كثير و هداية كثير، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا**". ثم تعيين المراد من قوله "**يضل**" في "**وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ**" فكان المعنى يظهر ضلال الفاسقين.

قوله تعالى: "**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (27)**" فالفاسق عامة يذكر في القرآن للناس إذا كان لهم برنامج الارتقاء خلاف برنامج القرآن. و الكافر هو من يتراجع إلى الوراء و يعاند لارتجاعه. فمن الناس جماعة برنامجهم الارتقائي يستلزم مناكير ثلاثة: 1- نقض عهد الله من بعد ميثاقه- هم يدخلون في دين الله و يتعاهدون بالصدق لاتباعه، و يكون في قلوبهم خداع، فإذا وجدوا أدنى حاجة يخرجون. هذا عيب على الإنسان، دليل على انخداع فطرته. شرف الإنسان أن يموت على الحق، و لا يذعن لما يظنه باطلا. هؤلاء يظهرون، لا يعتقدونه باطلا. أنه حق ثابت، ليست أغراض دنيئة. 2- و قوله تعالى: "**وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ**" معناه يقطعون الأرحام، هذا دليل واضح على انخداع فطرتهم. 3- "**وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ**" الإنسانية إذا وصلت، وانتهت إلى البطلان فلا يكون معناها أنّ جميع أمورها باطلة من أولها إلى آخرها. قد يكون فيها فوائد صحيحة لا تحتاج إلى تغير. و يكون فيها مفاسد يلزم إبطالها. و بعض الفوائد يبطل ببطلان الباطل، فهذا أيضا يغير لزوما، و لا يتأخر عن بطلان الباطل لأجل أن تبقي الفائدة. والأساسيات الحقة التي إبطال الباطل لا يستلزم إبطالها، فيترك على حالها لزوما، فهؤلاء يفسدون تلك الأشياء أيضا فلا يقدرون بعد ذلك على الإصلاح أبدا. فالبرنامج الذي يشتمل على مثل هذه الأشياء و

كان ذكرها مشتملا على حكم بالغة، فهذا هو الإشارة إلى كيفية تعلق هذه الآية بما قبلها. الرازي، **مفاتيح الغيب**، 2: 361.

[225] قَالَ السُّدِّيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -وَعَنْ مُرَّةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا} يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ} قَالَ: هُمْ أَهْلُ النِّفَاقِ. وَكَذَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ. لينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (دار طيبة للنشر و التوزيع) 1: 209.

دعواهم أنهم على الارتقاء، هؤلاء أيضا يدخلون في جماعة المسلمين لأنهم يرونهم انقلابيين، و يقولون لأنفسهم أيضا أنهم انقلابيون. و اشتمال اتباع القرآن على مثل هؤلاء ضرر للإسلام أي ضرر. في استعمال بعض الكلمات المخالفة يعرف الناس، فيفارق عن المسلمين، فيكون فيها نفع عظيم لإجتماعيته. فلا يبقي ذكر تلك الكلمة الخسيسة باعتبار تلك النتيجة. تمت الجملة المعترضة على رقم الآية 27.

قوله تعالى: "**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (28)**" هذا هو الأمر الثالث في الدعوة القرآنية. المراد بقوله تعالى: "**تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ**"، هو إنكار القرآن الذي أشير اليه في قوله تعالى: "**أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا**". الاعتراض للإنكار كفر بالقرآن، و كفر بالله. كيف تكفرون، و الله يريد أن يجعلكم خلفاء على وجه الأرض باتباعكم القرآن. فمسألة الخلافة من أهم المسائل في الفطرة الإنسانية، و الإنسان خلقه الله مستجمعا لصفات كثيرة للخلافة، إليه الإشارة في رقم الآية 28

و قوله تعالى: **كَيْفَ تَكْفُرُونَ**...**تُرْجَعُونَ**. فالموتتان و الحياتان تقربانكم، كل ذلك دليل على اشتمال الإنسان على أمور عظيمة. فالموت الأول يقتضي الحياة، فالقوة الاستعدادية قبل الحياة موجودة، عبر عنها بالموت. والموت ليس بعدم محض، "**كُنْتُمْ أَمْوَاتًا**" غير مظهرين حياتكم فعلا، ثم كان في حكمة الله إيجاب الموت للحياة، فأحياكم ثم هذه الحياة تقتضي الموت، ثم هذا الموت تقتضي الحياة "**ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**" ثم ليس موت "**ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**" اتصال بالله.

فلعظمة أمره تعترض المآلات المختلفة. و تلك العظمة إنما تظهر بصورة الخلافة. ثم هذه السموات و الأرض مخلوقتان لنفع الإنسان لإقامة الخلافة فيها، إليه الإشارة "**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29)**"، إنما يظهر جلال الله تعالى بقيام الخلافة فيها.

" **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) وَإِذْ**

قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39)"

ثم من رقم الآية 30 مسألة الخلافة من أساسها. "**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**" عندنا إشارة إلى أسماء أولاد بن آدم. و المراد من الأسماء صفاتهم الخاصة التي تستوجب المدح و الذم كما ذكر في سورة الأعراف. و تلك الواقعة قدمت على المحاورة. صور الواقعات و ترتيبها على نظريتي: هذا خلق الله على الأرض، جنته بالقوى المثالية أو نقول: انتقلت الجنة إلى الأرض، فخلق الله فيها آدم على صورة إمام النوع، المتجلى فيه الرحمن، فخلق آدم على صورته، فالإشارة إلى التجلي القائم في قلب النوع، و انتقل إلى آدم تجلي الرحمن أيضا في الحجر البحت منه، و يكون آدم خليفة لاشتماله على هذا التجلي. ثم أخرج الله من آدم و بنيه أولاده كلها بصورة مثالية؛ يعنى موجود في الجنة، فاستوثق منهم "**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**"[226] لأن أحجارهم البحتية اشتملت على عكس التجلي القائم على قلب آدم.

و بعد ذلك جاء ذكر الخلافة لآدم للملائكة. قالت الملائكة: "**أَتَجْعَلُ فِيهَامَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**" إشارة إلى أولاد آدم لا إلى آدم.[227] فأراد الله إمتحانهم بأنهم يذكرون هذه أولاد آدم. مالمقصود من خلق كل واحد منهم؟ "**ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**" فآدم خليفة على أولاده، فالملائكة كيف يكون عليهم خليفة إذا لم يعرفونهم؟ فتذكير الضمير في عرضهم كلها ترجح نظريتنا. "**قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ**" وقال: هذا تجار و هذا حداد، هو يقيم بطبيعته، و

---

[226]الحجرات 172

[227]كما قال ابن كثير:إنما أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك..... لينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، 1: 216.

الملائكة لا يقدرون على فهم شئ منها على الترتيب الذي بنياد[228] على نظريتنا.[229] و ينحل به كثير من الإشكالات التي ذكرها المفسرون ثم يأتون بأشياء سخيفة في الجواب بها، يرتفع عظمة المسألة من ذهن الطلبة. "**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا**" وهذا إظهار الخلافة. والسجود للتجلي القائم في قلب آدم. فهم بعد ذلك يعملون في الأرض لآدم بأمره، و يكون محسوبا في إطاعتهم لأمرالله. والمراد الملآ السافل الذين يعملون في البحار و البراري و الأشجار.

و الإمام ولي الله في هذا خلافا لما تقرر عند المتكلمين كافة في مثل تلك المسألة. هو لا يرى موافقة المتكلمين و أوضح ذلك في مقدمة **حجة الله البالغة** لكن يداري في بعض الأوقات، و يتكلف بتأويلات للموافقة، لأن الاجتماعية في الهند لا تتحمل الإصرار على تغليطهم. فأوّل في بعض كتبه: أن ملائكة الأعلى تشبهوا بمثالات في تلك الواقعة، فسجد الملأ السافل بأعيانه و الأعلى بمثاله، فسجدوا مع الملأ السافل. جنس من المخلوقات[230] يشبه نسمة الحيوانية التي في بدن الإنسان، فالبدن كما يستفيد من العناصر النسمة رأسا باستقلالها تستفيد من عالم المثال و من السواكن فيه من الجن. فالجن أيضا مامور بالسجود مع الملأ السافل، فالكل سجدوا إلا صنف من الجن، هم لم يسجدوا.

فصل: تحقيق ذلك يحتاج إلى مقدمة.

الإنسان مركب من الحيوانية و الملكية، فالطائفة من الحيوانات توافق حيوانية الإنسان المتضمنة في وجوده، و الطائفة من الحيوانات تضاد تلك الحيوانات. فالحيات مثلا سمها يضر بدن الإنسان و يفكك أجزائه، فمثل تلك الحيوانات لا توافق لعضوية الإنسانية. و إدارتها موكولة[231] إي نوع من الجن متقارب

---

[228] كلمة "بنياد" تستخدم في الأردية، و في العربية كلمة "مبنى" في موضعها.

[229] و المراد عند الشيخ السندي: أن هذه الأسماء ما يتعلق بالأرض و الملائكة كانوا لا يعرفون شيئا عن الأرض و ما سيقع عليها. كما قال في مقام محمود: "------ *اس لئے وہ زمینی نہ تھے۔ پھر زمین کے متعلق کیا بتلا سکتے تھے۔ آدم علیہ السلام کی فطرت چونکہ زمینی اور ان اسماء سے مناسبت تامہ رکھتی تھی اس لئے انہوں نے بتلا دیے۔------------ وعلم آدم الآسماء کا یہ مطلب ہے کہ آدم میں اللہ تعالی نے یہ استعداد رکھ دی کہ وہ اشیاء کے نام خود رکھ لیتے تھے۔ اور فرشتے قوت علمی کی کمی اور عدم مناسبت باشیاء ارضیہ ایسا نہیں کر سکتے تھے*-"- لينظر: السندهي، **مقام محمود**، 1: 48.

[230] يعنى الملأ السافل

[231] فوضت تنظيمها

للملأ السافل، و ذلك الصنف من الجن لم يسجدوا لآدم. و الصنف الذي يدبرون حيوانات توافق حيوانية الإنسان هم سجدوا مع ملائكة السافلة. "**أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**" بخلافة آدم. أما كفره بالله فهذا لا يظهر، هو كان يتنازع آدم في خلافته، و يكون تأثيره في نسمة بدن بني آدم بنوع من الجن، و هو يلقي الوسواس في قلوب الحيوانات حتى يضر الإنسان، والإنسان يتفكر في دفع مضرته.

ثم الواقعة سكونة آدم و زوجته بالجنة الأرضية. كانت حالتهما تشبه الطفولية، لا يقدر على السعي وراء حاجاتهما، فقيل لهما "**وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا**" نسبة تلك الجنة إليهما مثل نسبة إرضاع الأم لأولادها. فخروجهما من الجنة متقرر مثل فطام الأولاد في الأم من الرضاع متقرر، لكن الولد لا يريد ان يترك، كذلك هما لم يريدا أن يتركا. كما تستعمل الأم الدواء المر على ثديها، و الوالد يفهم أن اللبن صار مرا فيتركه. كذلك استعمل الرب إبليس مثل الدواء المر لإخراجهما من الجنة. و صورة استعمال إبليس غير صورة استعمال الأم الدواء المر. تفصيله على نظريتي: أن بقائهما في الجنة كان مقدرا إلى بلوغهما الوقاع، فهم إذا قاربوا الحلم كان يأتي في قلوبهم أفكار للوقاع، و لكن لا يهتدون إليه. مثال ذلك يكون في صبيان لم تخلطوا مع صبيان يتفكرون في أشياء و لا يهتدون. ونحن رأينا أمثلة لذلك.

الإجتماعية في البلاد و القرى بندر فيها مثال ذلك، أما الصحارى و البيوت المنكشفين الذين لا يتركون أولادهم يخالطون مع أحد؛ ففيهم توجد أمثلة لتلك البلادة. فإبليس خارج الجنة جار بجنسيته، فواقعها، فوسوس في قلوبهما؛ إنهم يعملون مثل ذلك الأمر، فجامع آدم حواء، فأخرج من الجنة. و ذلك الفعل الوقاع كان تمثل في جهنم بصورة شجرة، لأنه يخرج الأولاد مثل الشجرة. فإبليس عمل عملا و أشار إلى تلك الشجرة، فيقتدرون عليه فأكلا من الشجرة، و الشهوة في قلبهما كانت تامة، فقدرا تاما مثل ما يناسب الإنسانية، فصار سبيلا للإخراج مثل الدواء المر في الفطام. فلا يلومون إلا أنفسهم بعد خروجهم. "**فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ**" يكون مثل ما يهيئ الدواء المر للفطام. "**وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**" فأيقظ الله بذلك قوة الاحتفاظ بنفسه في آدم، و هو أساس كل الارتفاقات الارتقائية.[232] "**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ**" هذا العصيان لم يكن جرما بل كان فيه تكميل لما قدر الله، لكن صورته صورة العصيان و هو

[232] و هذه أربعة ارتفاقات كما ذكر الشاه ولي الله في **حجة الله البالغة**.

من مقتضى الفطرة الإنسانية وقت غلبة الشهوة في الإنسان أن يتذكر من عهوده[233] بترك الوقاع. فأوضح له أنه لم يكن خطاء يوجب مجازاة سيئة بل هو بداية نشأة، فاعمل كذا أو اعمل كذا. جاءت إلهامات في قلبه.

آدم هو عنوان للصورة النوعية الإنسانية. فكل ما جرى عليه صارت شريعة للإنسان "**قُلْنَا اهْبِطُوا**" يعنى مع أولاد، فيقع له مثل ذلك من الواقعات المتضاربة، فيرجحون بعض الأحيان ما يضرهم. فالله يرحمهم و يهديهم إلى العمل المفيد بالإلهام إما في قلبه أو قلب رجل منهم."**فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ**" يعنى يتاكاملون الخلافة "**وَالَّذِينَ كَفَرُوا**" أي من تراجع من التقدم إلى الخلافة هو يكون مع إبليس، والحيوانات الضارة الخبيثة فيتضرر منهم، و ما دام فيهم تلك الحالة يخلدون في جهنم. هذا الأساس ألهم آدم، و علم أولاده الإرتقاء إلى الخلافة العالمية ، هذا الإلهام قد جاء في القرآن ليتمم تلك الخلافة فكيف تكفرون به؟[234]

تنبيه: لهم أن يرجعوا إلى ما في جبلتهم السليمة، و القرآن مقصده إقامة الخليفة بطريق تمركز الجماعة القائمة بهداية القرآن من المتقين. فهل كتاب آخر من الأديان يقدر على إقامة الخلافة بمثل تلك الجماعة لقوم من الأقوام فيهم الخلافة. هذا هو ثبوت حقيقة حقيقة القرآن. هذا خلاصة ما قرآناه إلى رقم الآية 39.

و من رقم الآية 40 إلى رقم الآية 150 مذاكرات مع بني إسرائيل، ثم بعد ذلك إلى آخر السورة تفصيل نظام إقامة الخلافة. فربط ما بعد رقم الآية 150 إلى آخر السورة مع ما قرأنا إلى رقم الآية 39 ظاهر، كأنه إجمال للخلافة، ثم بعده تفصيل لهذا الإجمال في إقامة الخلافة. أما تلك الجمل المعترضة في بني إسرائيل،[235] فحاصل إرتباطها أن هذا فصل في إثبات الضرورة أي القرآن، لأن المعارضين يقولون لا حاجة إلى القرآن. فهو من أهم المباحث في هذا الموقع. اليهود و تلك المذاكرات في ثلثة فصول: 1- من رقم الآية 40 إلى 46. 2- من رقم الآية 46 إلى121. 3- من رقم الآية 122 إلى 150. كل فصل ابتدأ بـ "**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**" إذا كان القوم مبتليا بتلك الخطيات لا يستحق أن يتقدم على الناس.

---

[233] جمع عهد، يستعمل لعدة معان؛ منها الذمة و الميثاق. لينظر: **المعجم الوسيط**، 634، و لكن مواثق أولى دون عهود.

[234] أولا علم الإنسان بالإلهام ثم جاء القرآن لأقام ذلك الإلهام.

[235]من رقم الآية 39 إلى 150.

و الفصل واضح بين، و هي واضحة بينة؛كل إنسان يفهم قبحه و يستيقن بوجودها في بني إسرائيل. فالخطاب لبني إسرائيل يكون بتذكير النعم الإلهية عليهم. و نحن نعرف من كاف القرآن أن النعمة معناها: العلم و القانون، ثم الحكم على وفق ذلك العلم، لايكون فوقه حكم لأحد سوى الله. و ما تحدث لهم من الحاجات تقضي بدون مشقة. فإذا كانت أمة اجتمعت فيها هذه المسائل، هذه الخصال فهل لها في كاف القرآن أن الله أنعم عليها. فبنو إسرائيل كانوا في زمن من الأزمان قد أنعم عليهم مثل ذكر من زمن موسى إلى زمان داؤد و سليمان، و ما كان قوم يوازيهم، و كلهم كانوا يجعلونهم إماما، إليه الإشارة في "**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُم**" و في هذا الكتاب الذي جاء لهم كالمتن للحكمة و القانون تاكيدا بأن تلك النعة لاتستمر إلا إذا استقاموا على الأحكام. و هذا جاء مرارا في كتب أنبياء اليهود. فإذا كانت عندهم دعوى أنهم يكون للناس، و لا حاجة إلى كتاب غير كتابهم بداهة، يعلم الإنسان أن يحسب عليهم أن يعلموا بأحكامه، بدون استقامتهم على الأحكام لا يستحقون التقدم، و تركهم كل الأحكام بداهة لا تخفي على أحد. فنبههم القرآن على خطائهم و غلطهم في قوله تعالى: "**وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (40)**" ثم مسألة أخرى في قوله تعالى: "**وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41)**" في كتابهم بشارة إلى يومنا هذا باقية، أن الله يقيم[236] من بني إسماعيل نبيا مثل موسى، فيجب عليهم أن يؤمنوا به، لأنهم على طريقة إبراهيم. ممن كان يتبع إبراهيم، إذا بعث نبي في أولاد إبراهيم –في أي شعب منها– وجب عليهم إطاعته، فإن الأنبياء كلهم كنبي واحد. فإذا قام في مكة نبي، و أثبت حقيقته و حججه على الناس، و هم تركوا ما عاهدوا عليه في كتابهم، يجب عليهم الإيمان بذلك بالبداهة و الضرورة، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**آمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ**...".

عامة الناس يفهمون معنى التصديق، أنهم يطابقون في الأحكام تفصيلا. و جميع أحكام التوراة واجب تصديقها في القرآن. و ليس ذلك بمراد، إنما المراد أنه على حسب ذكر البشارة، إن لم يؤمنوا بهذا النبي فلا يوجد مصداق لذكر البشارة في التوراة، فالإيمان بهذا بحسب تصديق التوراة. أما التوافق و التطابق، فأمر يرجع إلى حكمة الأحكام. من الأحكام أصول لا تتبدل ما دامت الفطرة الإنسانية لا تتبدل، و الفطرة الإنسانية لا تتبدل ما دامت السموات و الارض، لأنه بتسلسل من الأسباب السماوية و الأرضية، وجدت

[236] أي يبعث

الفطرة الإنسانية على وجه الأرض. و بعض الأحكام لا تتبدل أبدا و البعض يكون في الأوقات المخصوصة في حالات مخصوصة، هي تتبدل في زمن من حياته، فالحكم ببقاء الأحكام و تبدلها يرجع إلى معرفة تلك الحكمة.

لا يجب على النبي المتأخر أن يوافق أحكام النبي المتقدم إلا في الأصول، فإيجاب اتباع جميع أحكام التوراة على اتباع القرآن لا يكون مرادا قطعا، والتصديق إنما هو تصديق بشارة التوراة.

"**وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ**" خطاب لأهل الكتاب بالمدينة، فإن بني إسرائيل يقتدون بكم، فيكون الإثم أيضا راجع إليكم. تخصيص هذا الخطاب بيهود المدينة بديهي. و نحن نستعين بمثل ذلك التخصيص في حل بعض الآيات في سورة النساء "**يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ...153**" تحير في فهمها كثير من المفسرين، و المراد من السائلين طائفة من أهل المدينة فقط، و بذلك ينحل الإشكال في قوله تعالى: "**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ...159**." [237]، هذا راجع إلى أهل المدينة فقط. و إن من أهل الكتاب، (أي) من أهل المدينة قبل موتهم يؤمنون بالنبي. أما إيمان ينفعهم و أما لكونهم مقصورين يسلمون أحكامه رغم أنفه.

"**وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41)**" أهل العلم دائما، إنما ينحرفون عن العلم إذا صاروا منغمسين في مرافق الحياة الدنيا. هذا ثمن قليل في مقابلة النعمة التي تحصل باتباع أحكام الله. فتنبيه على وجود نقص واضح في أخلاق علماء بني اسرائيل.

"**وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42)**"

فصل: الذي يشتمل على أمور مقصودة بالذات، و على أمور يتوسل بها إلى المقصود مخفيا مكتوما عن الناس. و يجعلون الوسائل مثل المقاصد، مثلا يجعلون المستحب واجبا، والوسيلة مقصودة؛ كلاهما تلبيس الحق بالباطل و إخفاء المقصود، و يجعلها نسيا منسيا. هو كتمان الحق مثل ذلك في زماننا ببلادنا عند المسلمين. الأمر الأهم المقصود كانت النجاة من تغلب الكفار، و قد جعله أهل العلم و أهل الحل و العقد نسيا منسيا إلا فئة قليلة من أتباع الإمام ولي الله.

---

[237] النساء

ثم ذبح البقرة عندنا صار كالواجب. و هذا كان كالوسيلة للتغلب على الهنود، و اجتناب المسلمين عن الاختلاط معهم في مبدأ الفتح الإسلامي للهند. هم جعلوه كالمقصود الأهم. و الآن غلب علينا قوم أوربا لا قيمة لذبح البقر عندهم، لكن علمائنا يتمسكون به كالفرض الواجب و الجهاد نسوه، و هذا كتمان الحق و جعل الوسيلة مثل المقاصد.

مثال آخر: القرآن هو الأصل في الدين، و علم السنة مثل الحاشية لكتاب الله، و علم العربية و المنطق و الأصول و الفروع الفقهية كالمبادي، جعلوها أصلا إلا فئة قليلة من أتباع الإمام ولي الله. هذا عندنا تلبيس الحق بالباطل، و نسيان الكتاب و السنة كتمان الحق. و مثل ذلك كان اليهود في زمن النبي عليه السلام فنبههم الله في "**وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42)**"

فصل: لتحصيل مقاصد الدين يأتي الأنبياء بشريعة و قانون، أساسها يرجع إلى عملين: الأول إقامة الصلوة لتمكين التوجه إلى حظيرة القدس في قلب كل فرد من أفراد الملة، و التدبر في الكتاب. الثاني هو إيتاء الزكوة؛ هو الاشتراك في الارتفاقات الضرورية. كل رجل عنده بشيء زائد عن حاجاته بحسب العرف أن ينفق على أهل الحاجة. و تعميم هذين العملين في المجتمع يجعل محل الإجتماع. المساجد و الكنائس يصطفون الناس صفوفا في أداء الفرائض في ذلك المجامع. هذا أصول الشرائع لا يمكن تركها لأحد يتدين بدين. واليهود يتكاسلون في ذلك فنبههم الله على ذلك بقوله: "**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)**"

فصل: الكتاب لا يقتدر رجل أن يدرسه إلا و هو يعلمه، كذلك لا يقدر رجل أن يدعوا الناس إلى خُلق أو دين و هو لا يعمل به، فيكون كمدرس يدرس بدون علم، لا يخفي استواؤهما في الحكم. فنبه الله بني إسرائيل على غلطهم في قوله: "**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (44)**".

فصل: فلو أراد رجل منهم أن يبدل حالته و يترك ما هو عليه من الخطايا، و يتبع الحق يجد أمامه عقبة، الناس يتركونه، فلا يرتفق في المعايش بالسهولة، فأمرالله على اقتحام تلك العقبة، يعني أن الاستعانة بالصبر و الصلوة. الصبر هو الثبات و التثبت على طريق الحق. و الصلوة هي الرجوع إلى الله في حل

المشكلات. فالرجل الديني يستعين بهما كما في قوله تعالى: "**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45)**".

فصل: هذه الاستعانة أيضا مشكلة و تسهيلها لا يكون إلا بتذكير العلم، أو نقول بتعبير آخر إلا بالتمسك بالفلسفة العقلية التي توجب؛ أن الإنسان لا يستغني عن الرجوع إلى الله مثل احتياجه إلى الماء و الطعام. فإذا صفا فكره في ذلك، ثم لقي رجلا له دين يعرف سلوك الإنسان، و ملاقاته به، فيطمئن به خاطره، إذا حصل له ذلك يسهل عليه الاستعانة بالصلوة، يثبت و يصبر على دينه. و معنى هذا أنهم يتوجهون في الأرض إلى طلب الجماعة، يتصفون بصحبتهم، بصفتهم بتلك المقامات و الحالات، فإذا لم يكن لهم ذلك لا يرجون شيئا. فيكون ذلك دلالة و إرشاد لطيف أن يجتمعوا مع النبي و أصحابه، و يتعلمون منهم ذلك الخلق، لكن الدعوة على وجه العموم من يدلهم على ملاقاة الله، و يمكن ذلك في قلوبهم. يلزم عليهم أن يرجعوا إليه، فإذا توجهوا إلى الأرض لا يجدون إلا النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه.

مثال ذلك: أنا أقول لأصحابي في الهند؛ أنهم إن أرادوا التخلص من تلك المصائب التي هبت علينا من منذ مئتي سنة، فليرجعوا إلى حكمة يستوي بها أفكارهم الدينية، أعلى منهم عقلا، يقدرون بذلك أن يدخلوا في الأوساط الراقية من الاجتماعات الإنسانية. و أني جازم أنهم إذا توجهوا إلى ذلك لا يجدون من يدلهم إلى المقصد إلا الإمام ولي الله. فالقرآن يدل بني إسرائيل على اتباع النبي بوجه لطيف، لا يكون تعضلا عليهم، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46)**". تم الفصل الأول، وتمت التنبيهات الإجمالية التي ترجع إلى البداهة.

الفصل الثاني: فيه تفصيل لذلك الإجمال نقسمها أيضا إلى عناوين ثلاثة:

العنوان الأول: أن بني إسرائيل تعودوا بعدم الإطاعة لأمر الحق من زمن مقهوريتهم تحت الفراعنة، بقيت منهم بقية في طول صحبتهم مع موسى.

العنوان الثاني: مع ارتقائهم في مدارج الكمال ما قدروا على التخلص من تلك النقيصة، و استمروا عليها، يظهر ذلك من شؤونهم المختلفة.

و العنوان الثالث: يجب على المسلمين أن يجتنبوا منهم و لا يرجون في اشتراكهم خيرا في شئ و لا يتبعون سيرتهم في عامة حالاتهم.

"يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47)"

العنوان الأول من الفصل الثاني: أولا تذكيرهم بالنعمة، ثم ذكر فضلهم على العالمين. تبين بذلك ترجمة قوله العالمين بمعنى الأقوام في الأرضين السبع. فما كان في زمنهم قوم أعلى منهم حكمة و حكما.

"وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (48)" و معنى **واتقوا** عندنا من اليوم الذي فضلكم في ذلك اليوم لا يظهر إلا على قدر التقوى. و التقوى هي إقامة العدل و الإحسان و إيتاء ذي القربي. علمنا بذلك أن مقصود الشرائع كلها كان أمرا واحدا: هو إقامة العدل و التقوى. **"وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ"** معناه الشفاعة بالإذن إنما هو نتيجة أعمال الإنسان، و نفي الشفاعة يكون على ظاهره.

التحريف في معنى الشفاعة يفسد أخلاق الإنسان. والمسؤلية الشخصية هى من أساس الأخلاق، إليه الإشارة في تلك الآية 48. كل شئ جاء به المشركون من الكفارة و الشفاعة و غير ذلك مردود بنص تلك الآية.[238]

ثم الإجتماعية ترتقي إلى أربعة مدارج: 1- اجتماعية في الصحرا ليس فيها إلا المسؤليات الشخصية و الأخلاق. 2- اجتماعية في القرى. 3: اجتماعية في الأمصار. 4: اجتماعية في الأقوام.

فبنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر بقوا في تربية موسى و دلهم موسى و رباهم في المراتب الأربعة. فجعلنا في نظريتنا قوله تعالى: **"وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ... لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56)"** المرتبة الأولى من الأربعة.

فالأخلاق يكون فيها تفريط و إفراط. فإذا جرب التلميذ كلا الأمرين قدر على حفظ بوسط. فالله ذكر في رقم الآية 49-50، أنعم الله على بني إسرائيل فقال: **"وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ**

---

[238] الشيخ السندهي تكلم على هذا الموضوع بالبسط في **"مقام محمود"**

سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (49) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (50)" فامتنان من الله أن يحافظوا على إدراك الإحسان.

ثم ذكر تفريطهم بقوله تعالى: "**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (51)** " هذا تفريط كان يلزمهم أن يصدر منهم. إذ فهمتم معنى التفريط فلا يكون منكم تفريط مرة ثانية، هذا معنى الشكر.

ثم يذكر نعمة أخرى بقوله تعالى: "**وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (53)**" في تلك النعمة الإفراط، هذا في رقم الآية 53. ثم في قوله تعالى: "**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54)**" ذكراهم تهيب قتل أنفسهم، و هذا تقدم إلى مدارج الإحسان بعد ما أتاهم الكتاب و القرآن. و في قوله تعالى: "**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (55)**" إفراط في الإحسان. و في قوله تعالى: "**ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (56)**" لا تعودون في الإفراط. أنظروا إلى وحدة الكلمة في التفريط و الإفراط. في رقم الآية 52 و 56 و هي "**لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**".

هذه كانت اجتماعية في البادية لتهذيب الأخلاق، و يظهر بعده من آية 57 قوله تعالى: "**وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**" أنهم كانوا في الصحارى. تم الدور الأول و في آخر الآية جملة "**وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (57)**" معناها ما أكملوا تلك الدرجة كما ينبغي.

ثم الدور الثاني: من آية58 قوله تعالى: "**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58)**" يعني صلوا صلاته وقت دخولكم القرية. تقارب الزمان في الحال، و ذي الحال يكفي عندنا. إذا فرغوا من الصلوة فعلى الفور يدخلون. إذا دخلوا من البادية في القرية، طبيعتهم تحرص على أكل شئ يزيد على قدر الحاجة، فإذا توقفوا على الباب قليلا، و ذكروا ربهم، و سجدوا له تعتدل طبيعتهم بحسن التوجه إلى الله عز و جل.

"وَقُولُوا حِطَّةٌ" معناه في طول قيام بالقرية. يقولون حطة حطة حطة، رب اغفر رب اغفر، هذا لتوجههم إلى الرب، و صرف نظرهم عن المأكولات و المشروبات لئلا يأكلوا الزيادة، و يمرضون بذلك. هذا مثل طفل إذا جلس على المائدة فأمره بالوضوء و يصلي، فإذاجلس على الأكل حدثه بقصة ظريفة حتى لا يجعل ذهنه مستقر ما في المأكوت. فإذا خالف يوما، و أكل أزيد فمرض. يعرف قدر التشريع أنه لنفع راجع إلينا فقط، فظهر بذلك معنى قوله: **"وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا**... الخ".

من التزام القانون سيكون في أحسن حالاته و هو بطبيعته يستزيد مثل ذلك في كل شئ. هذا التقيد كان في طعامهم يتدرج منه الفطين إلى تغييرات في نومه و يقظته و ثيابه. و جميع حالاته الشخصية يريد أن يستوي مع الطائفة.

في قوله تعالى: "**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (59)**" إشارة إلى أنهم لم يستكملوا تلك الدرجة أيضا كما ينبغي. أكلوا بدون احتياط، فحدث فيهم الهيضة. تعجب من أهل التفسير؛ يقولون بتبديل حطة بحنطة، و لم يتنبهوا أن المقصود إنما هو ترك القانون. تم الدور الثاني.

ثم الانتقال من القرية إلى المدينة أيضا يأتي فيه الصحراء. القرية لا تكون متصلة بالمدينة، يتبين من ذلك هل هم حافظوا على الدرجة الأولى أم لا؟[239] في الصحراء مرة ثانية زادهم الله قانونا على القانون الأول، و هو تقسيم الأمر المشترك (بينهم) بالعدل. وقعت لهم واقعة، فقدوا الماء، فاستقوا، و ضرب موسى بعصاه حجرا بأمر الله فتخرج منه أعين على مقدار أسباطهم وفق صغر السبط و كبره. فلما ظهرت العيون على ترتيب درجاتهم؛ فالاقتسام الصحيح يرجع إلى قوة اعتدالهم، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60)**"و تركنا ذلك التقسيم إليهم،

---

[239] المراد يتضح بما كتب الشيخ القاسمي: الانتقال من القرية إلى المدينة يمرون من الصحارى، لأن القرية لم تكن متصلة بالمدينة. و كان الغرض من مرورهم من الصحراء امتحانهم هل هم محافظون على الدرجة الأولى أم لا؟ لينظر: القاسمي، **الهام الرحمان في تفسير القرآن**، 1: 112.

فاقتسموا تقسيما صحيحا، هذا معنى قوله: "**قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ**" يتبين لهم إن جاروا[240] في التقسيم يخسرون كلهم، فاستنبط من عملهم هذه قاعدة.

"**كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (60)**" معناه أن كل شئ يوجد في الأرض من طيبات يستطيبها الإنسان هو رزق الله حلال لأكله و شربه بشرط واحد فقط، أن لا يحرموا من محتاج إليه، و هو أولى بذلك، إليه الإشارة في "**وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**" هذا الجور في التقسيم، هو سبب الفساد إلى آخر النهايته، والحكمة الاجتماعية في ذلك.

الدور الثالث: الاجتماعية في المدينة. هذا يكون بازدياد حاجاتهم، و يكون باقتضاء الطبيعة، و يكون عنه منافع و مضار متبادلة، فإذا لم يكن من طبيعتهم. و من طبيعتهم يصيرون على مرار المصرية، بل يرجون إلى البادية على الفور لكن يجدون مع تلك المضار منافع أيضا لا توجد في البادية. فلذلك يتمكنون في مصر، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61)**"

هذا اقتضاء منهم للحاجات العديدة: الحياة في البادية تكون بسيطة لا تكون فيها مضرات كثيرة. كل رجل أمره بيده، و المدينة فيها تقيد بالقوانين الاجتماعية، إليه الاشارة في قوله تعالى: "**أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**" التقيد بالاجتماعية أوفى بالنسبة إلى الحرية التي اعتادوها في البادية. قوله تعالى:"**اهْبِطُوا مِصْرًا**" تلك الدرجة الثالثة أتموها في الاجتماعية. بعد ذلك ما بقي من الآيات يدل على أنهم ما أكملوها كما ينبغي.

كان عادتهم العصيان و العدوان. العصيان: هو التفريط، والعدوان: هو الإفراط. هذا الإفراط و التفريط صار عادتهم، فانتج تلك العادة الكفر بآيات الله، و قتل الأنبياء بغير حق، ثم كانت نتيجة ذلك الفعل غضب من الله. و اذا استمروا على فعلهم ذلك ضربت عليهم الذلة و المسكنة، سلبت منهم

240 أي ظلموا

الحكم، هو التسلسل من الأسباب و النتائج كان في دهور بعد موسى لكن يزد كل هذه هو العصيان و العدوان الذي اعتادوا به في الاجتماعيات الثلاثة. إليه الإشارة "**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (61)**" هذا الإجتماع في المصر أو المدينة هو معنى القومية. ليس معناه أن كل الأفراد يتركون الاعتدال لكن الحكم على الغالب في تفويض الحكومة إليهم. أما في مجازاة شخصية فمن لم يتأثر بالظلم يكون ناجيا على كل حال، فإذا جاءت مصيبة عمومية نجاهم الله منها بتدبير خاص بذلك المحل، فإذا كان في الآخرة فنجاتهم متحققة، و مثل ذلك الامتياز لأفراد المحقين ليس خاصا بقوم أو ملة بل هو من النواميس العامة التي لا تتبدل، إليه الإشارة في رقم الآية 62. و من ههنا بدأ الدور الرابع.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الأديان و الملل كلها سواء في هذا الحكم. ذكر الله تعالى في هذه الآية أولا الذين آمنوا هم المسلمون، و أجمل بمقابلتهم كلمة واحدة تشمل جميع أديان الدنيا الصابئة. قد علمنا من القرآن أن الإنذار من حظيرة القدس للإنسان شمل كل ملة. والمنذزون إما يكون أنبياء أو محدثون؛ و هم في حكم الأنبياء. فليست ملة إلا و فيهم أنبياء بالمعنى الأول أو الثاني. هذا حكم جميع الملل الموجودة على وجه الأرض، و لا يشك الناس أن الشرف فيه. و عندنا الكلمة الصابئة تجمع جميع الملل من المجوس[241] و البرهمية و السمنية[242]. فهل يمكن أن لا يكون في هذه الملل نذير مع عظمة هذه الملل.

---

[241] الديانة الزرادشتية اسمٌ يُطلق على الديانة المجوسية في بعض الأحيان، وذلك نسبةً إلى مؤسّس هذه الديانة وهو زرادشت، وهي من الديانات القديمة، حيث تُعدّ أقدم ديانة توحيدية معروفة في العالم، وقد تأسّست هذه الديانة قبل أكثر من ثلاثة آلاف عام، ويعتقد معتنقوها بوجود إله أزليّ واحد هو أهورامزدا، أيْ "الإله الحكيم"، الذي يمثّل بالنسبة لهم الخير، ولا يُسبّب الشرّ أبدًا، ويعتقد أتباع الزرادشتية أن زرادشت هو نبي الله، وهذه الديانة لم تزل موجودة إلى اليوم، لكنّ أتباعها أقليّات قليلة جدًا.

[242] السمنية: بضم السين، هي حركات تصوفية ظهرت في الألفية الأولى قبل الميلاد في الهند. ذكر أبوريحان البيروني "أن خراسان و فارس و العراق و الموصل إلى حدود الشام كانت قديما على دين هؤلاء حتى ظهور "زرداشت" الذي دعا إلى المجوسية، فلما انتشرت المجوسية على أيدي الملوك بعده في فارس و العراق انجلت السمنية إلى مشارق بلخ و بقي المجوس بأرض الهند". و لينظر: البيروني، أبو الريحان، **تحقيق ما للهند من مقولة**، بيروت، عالم الكتب، 2011م، ص19.

ذكر ابن الأثير في الكامل بنص على أن الإيران و الصين و كذلك الروم و الإيران قبل تنصرهم يجعلهم صابئة. نحن نرى أنهم يفهمون الأمر، و رأيت رجالا لا يقدرون أن ينظموا قرية و يحكمون على الأقوام، هم لا يعرفون الملل و الأديان أبدا. فالرجل إذا كان محقا لم يدخل في الإجتماعية الباطلة الظالمة. حكمه سواء في جميع الملل، سواء مسلم أو يهودي أو صابئي.

"وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (63) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (64)"

الدور الرابع: في هذا أشار إلى ما آتاهم الله من القانون الذي يجمع الأقوام. يحصل لهم الإجتماعية العلمية، فالله أمرهم "**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**" يعنى إذا علمتم بالإستنباط من الأقوام الآخرين تجدون فيه مساغا، أخذوا منهم الميثاق رافعا فوقهم الطور.

فصل: اختلفوا في تفسير رفع الطور. و نظريتنا فيه: الجبل في بعض الأوقات هكذا إذا قام رجل تحته تكون قطعته منه ظله، و في مبدأ و من دوس الفيران[243] تكون هكذا، فأقامهم الله تحت ظل حجر من الجبل، وأنذرهم أنهم إن لم يأخذوا بقوة سقط عليهم حجر و يموتون. هذا كان تصوير المفهوم، أنهم إذا تركوا هذا الدين ماتوا. الدين سبب لحياتهم. والدين كان فيه تعميم لكل الإنسانية كما أشار إليه الآية السابقة "**مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ....الخ" ذكر الله أنهم في تلك الدرجة أيضا ما آمنوا كما ينبغي، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ**".

الدين العمومي لا يضع له قانون إلا على قدر الضرورة بعد ما دخل قوم، يفقه أذكياءهم في أصل الدين، ثم يفوض إليهم وضع القانون لملتهم، هذا الذي نسميه اليوم حكيما، محتاج إلى تيقظ بتجريد عين المقصود، فإذا رأى الناس لا يتوصلون بذلك القانون إلى المقصود بدله، و أصلحه إلى التيقظ.

القانون أشار في قوله تعالى: "**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (66)**" العدوان في

[243] اللفظ غير واضح، و لم أفهم مراده به.

السبت ردهم إلى الحيوانية و أخرجهم من الإنسانية. و الفرق بين الإنسان و الحيوان هو اتباع القانون. هذا معناه هم تركوا القانون فكانوا قردة. الإنسان إذا تنزل فأول حيوان يتصل به هو القردة.

القانون ينشأ في الإنسان التام بعد الإجتماعية. أما الإنسان الفرد فما يضع لنفسه من قانون فيقال له الأخلاق، و إذا اجتمع انسانان و اصطلحا على شئ فهو قانون. و القانون الطبعي ينشأ بين رجل و إمرأة بصورة معاهدة حيوية، نسميها بالنكاح. تلك المعاهدة أساسها على القوة الحيوانية التي نسميها بالوقاع، و هذا الوقاع المخصوص بالإنسانية الذي يمشي معه في جميع أدوار حياته، هو عدم اشتراك كثير في إمرأة في آن واحد، و عدم التمتع بالذكران: هذا النكاح متكامل في الإنسان، هو مصدر للقانون الإجتماعي. فإذا أبطلنا تخصيص رجل بإمرأة و جوزنا الإشتراك على الموطوءة في زمن واحد، فالذي نجده من الحيوانات بمثل خنزير و الذي يمثل الإستمتاع بالذكران من الحيوانات القرد.

رآينا الأمم المخطة جعل الله منهم القردة و الخنازير أبطلوا صورة الوقاع الإنساني، ثم في بعض الأفراد بعصيان يحدث آثار الحيوان المطرد، و إليه ليكون آية للمتبصر، فليس بمستبعد عندنا. أما فهم الآية على معنى مخصوص بالمسخ فتبصره تحريفا للمعنى. هذا استيقاظ القوة القانونية المستترة في الإنسانية.[244]

2: الثاني اتصاله بحظيرة القدس ليفهم المعاني المصودة في الإنسانية و (هذا الاتصال) هو بصورة نزول تجلي إلهي على الحجر البحت لذلك الإنسان. و أثر نزول التجلي يفهم إذا صدر من التجلي أمر، فكأن تأثيره مثل تأثير إرادة الحق، **"إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"** فإحياء الموتي أثر خاص بالله، إذا رأيتهم يصدر من لسان رجل كلمة، بها يحي الموتى فأيقنوا أن التجلي نزل في قلبه.

فالأنبياء يكونون متصلين بحظيرة القدس، يكلم الله على لسانهم، و يعرفون الحواريون تلك الآيات، ثم النبي المرسل الذي يكون من أولى العزم من الرسل يترك في الحواريين، له أيضا من تلك القوة، فيقدرون على استنزال التجلي في قلب رجل منهم، و إن كان في بعض الأحيان فيستيقنون إذا رأوا تلك الآيات بأن الله معهم، فيعلمون بأمرالله أعمالا ينفع الأقوام.فإذا سلبت عنهم تلك القوة يعرفون أن القانون بقي

[244]ليس الشيخ السندهي وحيدا باختيار هذا الرأي بل مثل هذا الكلام روي عن مجاهد كما نقله الرازي في مفاتيح الغيب: "المروي عن مجاهد أنه سبحانه وتعالى مسخ قلوبهم بمعنى الطبع والختم لا أنه مسخ صورهم وهو مثل قوله تعالى: كمثل الحمار يحمل أسفارا [الجمعة: 5]" لينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، 3: 541.

بلا معنى. حالتهم و حالة المغفلين من الناس الذين ليس لهم اتصال سواء. و تلك الأعمال كلها نتيجة الإحسان الذي هو جزء من التقوى. نعرف أن في الإنجيل كلمة من المسيح قال: "إن كان فيكم إيمان مثل حبة خردل لعلمتم مثل أعمال في إحياء الموتى أو كلمة نحو هذه."[245]

فالأنبياء إذا لم يقدروا على تكميل أصحابهم بإيصالهم إلى حظيرة القدس ما أتوا بنعمة تامة للإنسانية. أكثر الناس من الذين تركوا في تربية ناقصة هم عبدوا أنبيائهم، (لأنهم) لم يجعلوهم بشرا مثلهم.و إذا تكاملوا و رآوا ربهم بقدر استعدادهم عرفوا عظمة الأنبياء، لكنهم ما أخرجوهم من البشرية. هذه المقدمة نريد أن نؤول قصة البقرة، فاستمع لما يتلى عليك. أن جماعة من الصالحين توجهوا نقطة معينة تحدث فيها قوة لنزول التجلي الإلهي، هذا سهل بالنسبة إلى وجود رجل كامل.

تعرفون شريعة الاستسقاء: هي نزول المطر نوع من الخلق، يجتمع الصالحون، يتوجهون إلى نقطة معينة لتنازل. يتنزل إليهم الرب، فيأمر بنزول المطر. نحن نعرف مسألة التجلي بالتحقيق، فنستعمل بالمحاورة بلا حجاب. و أما عامة أهل العلم من جميع الأديان لا يقدرون على تحديد معنى التجلي، فيتحاشون من استعمال الكلمات، فيقولون مثلا إذا اجتمع المسلمون الصالحون للاستسقاء، أنزل الله إليهم رحمة. و نحن نقول يتنزل الله عليهم برحمة. لا اختلاف في المعنى، فالذي فهمت و هي نظريتي خاصة؛ أن موسى أراد أن يعلمهم طريق استنزال رحمة الله، فإن احتاجوا إلى إحياء الموتي فرحمة الله تؤيدهم. و هذا لا يمكن إلا بتكميلهم في الإحسان.

"وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69)قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا

---

[245] الشيخ نقل هذا القول بناء على ذاكرته، و الأصل هو:"فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لِعَدَمِ إِيمَانِكُمْ. فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَل لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ، وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ." **متى**: 20:17.

وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (70) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (71)"

فالآن ننظر إلى واقعة البقرة. "**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً**" بالصدقة لا شئ يتعلق بها. فذبح البقرة كان صعبا مثل هنود الهند، أهل مصر أيضا أهل الزراعة و للبقرة في الحرث مدخل عظيم، فوصل حفظها إلى تقديسها. و بنو إسرائيل تأثروا بعوائد مصر، فكان صعبا عليهم كما في قوله تعالى: "**قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا**" قال: بل أمر جدي[246] فتحاوروا فيما بين ذلك مرارا في فهم الأمر الجدي. بذلك تمركز توجههم عامة إلى ذبح البقرة. فلما فعلوه مجتمعين تابعا لأمرالله نزلت في ذلك القضاء تجلي إلهي.

"**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)**"

حدثت واقعة قتل رجل، وترافعوا إلى موسى. قال: "**اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا**". تعليم النبي يحي الموتى "**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**". إن هذا طريق الاستدلال بحصول استمداد رحمة الله. الاجتماع على إطاعة أمره، كأنهم جسد واحد، فإذا لم يكن لقوم مثل تلك القوة و الوحدة فكيف يصنعون لأقوام آخرين قوانين. و الواقعة ذكرت إلى الآية 73 و نحن ضربنا في التفسير على سياق الآيات. انتهى المسألة.

فموسى علمهم قوة يحكمون بها على الأمم، ثم بعد ذلك آية واحدة، و هو قوله تعالى: "**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74)**" فيها بيان: أن بني إسرائيل رفعت عنهم تلك القوة، فليسوا صالحين لإقامة الاجتماعية في المرتبة الرابعة. "**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ**" أي ليس عندهم من الإحسان شئ، ثم تلى ثلاثة آثار تكون دليلا على تمكن الإحسان في قوم: 1- رجل يقوم و يضع قانونا مثل الأنهار، يشمل الأقوام. 2- رجل آخر يقوم و يضع طريقة خاصة، يسقي الماء للعطشان. 3- رجل آخر يسجد لله، بسجوده يتصل بالله، فمن سجد

[246] حقيقي، غير هزلي

هذه يرى آيات الله. فإذ فقدت في قوم كل واحد من هذه الثلاثة فهو أشد قسوة من الحجر الصلب. و للهبوط من خشية الله حكايات لصالحين الأمة.

العنوان الثاني: بنو إسرائيل بعد موسى مضوا على ازدياد الإنقاص التي كانت و بقيت فيهم. ابتدائه من رقم الآية 75 إلى –الآية– 103.

مسألة: كان علمائهم يقررون نظريات لارتقاءهم على حسب حالاتهم و على حسب ما قدر عليه عقولهم، ثم يستمرون على تحريف الكتاب بتأويلات بعيدة لإرجاعه إلى نظرياتهم. و هم يعرفون أن ذلك دون مدلول الكتاب، فيوهمون للعامة أنهم مستمرون على العمل بالكتاب. ثم في الترجمة على حسب ذلك التأويل يزيدون كلمات من أنفسهم و لم يكونوا يزيدون على نفس الكتاب. هذه كانت عادة عامتهم. و الباقي في أيدي الناس من غير رجعاء[247] اليهود في مركزهم. ما كانت[248] إلا تراجم أو نقل عن الأصل. و هذا النقل كانوا يزيدون فيه كلمات، عليه مثل الحواشي لفهم التأويل. و من هذا الطريق دخل الحواشي في النسخة المنتقلة في غير المركز. ثم لما بطل مركزهم لا يقدر على تمييز الحواشي إلا الخواص من علمائهم، هذا طريق تحريفهم للكتاب صارا مستمرا فيهم.

تنبيه: و قد يعلم المسلمون في تاريخهم أن السلف ما كانوا يجوزون أن يزاد كلمة في المصحف حتى أسامى السور، و حتى الحركات و الأعراب و النقاط. هذا بسبب أنهم كانوا يعرفون من حال اليهود أن التحريف سرى في كتبهم في التدريج[249] لكن القرآن بقي سالما، لأنه محفوظ في القلوب. و التواتر لم ينقطع في دور (من الأدوار) لجريان سنة التراويح في عامة المساجد من زمن الفاروق إلى يومنا. فإن كان في المسلمين ألف مساجد، فألف من الحفاظ، في كل سنة يؤدون بتعداد المساجد. و يزداد كل سنة عدد الحفاظ من زمن الفارق، فيؤدون سنة التراويح في مساجدهم. و هذا العمل المبارك ألهم به الفاروق، و نفع به الإسلام. و رآينا الناس من الفقهاء الذين ليس لهم إمساس بالحكمة الاجتماعية يسعون في إبطال سنة

---

[247] لعل "رجاع اليهود" دون "رجعاء".

[248] سياق الكلام يدل على حذف "في أيدي الناس" بعد "ما كانت"

[249] "بالتدريج" أصح من "في التدريج، لا أدري، لعل من خطاء الناسخ.

التراويح في مساحد الإسلام، يظن[250] أنها بدعة عمرية. هؤلاء المحققون يعملون بما كان عليه النبي صلعم فقط. هؤلاء مصداق من لم يدخل القرآن. انتهى.

فالمسلمون منعوا[251] أن يطعموا منهم، أنهم يعاملون المسلمين معاملة الإنصاف. فإذا وجدوا القرآن مصدقا لكتابهم يؤمنون به "**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** (**75**)". تلك الطائفة أهل الراي و النظر، و فكرهم يغلب على الاجتماع بالطبع، و هم يظهرون للناس بأنهم يعملون بالأصل، فإن عالما لا يقدر أن يلتزم على نفسه أنه ترك الكتاب، في أي دين كان. و طريق ذلك عندهم إخفاء الكتاب عن عامة الناس، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** (**76**) **أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ** (**77**)."

فالله كما أنزل الكتاب يستفيد منه الناس عامة، كذلك يظهر عيوب من هم من العلماء في إخفاء الكتاب. "**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ** (**78**)" هذا حال عامة الناس غير أهل النظر و الفضل، لا يعلمون الكتاب إلا الألفاظ فقط. الأماني:الألفاظ.[252] و لا يأخذون العقائد و الأخلاق و المعاني من الكتاب إذ لا يفهموه، إنما أخذوا من علمائهم.

تنبيه: على ذلك التقسيم بين أهل النظر و العامة أرى حال المسلمين أيضا إلا طائفة قليلة. عامة العلماء لا يؤمنون بالكتاب إلا إذا جعلوه موافقا لآراء آئمتهم مع تنبه منهم على ضعف آراء الآئمة في بعض المسائل. فالتحريف المعنوي الذي كان عند اليهود موجود عند المسلمين.

فائدة: يجب على المتفكر أن يفرق بين من يأخذ بكلام آئمة المتكلمين و الفقهاء ذريعة إلى فهم كتاب الله، و علامتهم أنهم إذا تفطنوا بضعف كلام آئمتهم و عدم انطباقه على كتاب الله، يتركون الأقوال

[250] "يظنون" أبلغ من "يظن" لأن المقام تقتضي أن تكون صيغة الجمع.

[251] في الأصل "سعوا" دون منعوا، و لكن ما الشيخ القاسمي نقل في نسخته منعوا.

[252] وتكون الأماني: التلاوة. قال الله عز وجل: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته يريد إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته. لينظر: ابن قتيبة، **غريب القرآن** (بيروت، دار الكتب العلمية، ط: 1978) 1: 53.

و يأخذون بأقوال آئمة آخرين الذين ينطبق أقوالهم بكتاب الله في ذلك المسألة خاصة. و هؤلاء لا يجعلون هذا الانحراف القليل عن اتباع آئمتهم سببا لخروجهم عن طوائف الآئمة، بل يعملون به أداء الحق آئمتهم في الوصايا. إنهم يتركون أقوالهم إذا ثبت لهم أنه مخالف لكتاب الله أو سنة نبيه، فمن لم يترك اتباع إمامه مع علمه بضعف و عدم انطباقه على كتاب الله و سنة نبيه فهو منضم إلى اليهود.

"**فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ** (**79**)" هذه حكاية عن الذين ينتخسون نسخا لا نفهم، و يزيدون فيها الحواشي و لا يعرفون فيها بأسا. فالكتاب ما قدر المسلمون على إضافة في متنه و لكن الشروح و التفاسير فعلوا ما فعلوا. ثم مرض أخرى من لوازم ذلك التحريف، إشارة إليه في قوله تعالى: "**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** (**80**)" المحرف يعلم الناس ليسوا على طريقة، و لو ظهر للناس حقيقة أمره لما اتبعوا، فهو مجبور لأن يجعل النجاة. و الحسنة مختصة بمن يكون على طريقته و يؤكد ذلك كل التأكيدات في أذهان العامة. فالناس بعد ذلك يتغافلون عن تحقيق زلاته و تمويهاته."**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً**" و بعد ذلك النجاة بشفاعة يرونها لازمة.

فترون هذا المرض ساري في طوائف المسلمين أيضا، لا يجعلون النجاة لمن اتبع القرآن بل لمن اتبع أوامر طريقتهم. هذا المرض هو الذي كان عند اليهود، و المحقق يقول من اتبع كتاب الله هو الناجي. فإنه إذا ثبت عنده أنه ترك كتاب الله يرجع عنه، فخطاء الاجتهاد مغفور. أما الذي يصر على الغلط بعد ما ثبت أنه غلط فهو من الهالكين، هو لا يثبت نجاته إلا لمن اتبع طريقته فقط.

والله رد عليهم بآيتين: "**بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (**81**) **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** (**82**)" فالإيمان و العمل الصالح محتاج إلى تباعد من التحريفات، و اليهود منغمسون فيها، لا يتبعون المسلمين.

مسألة أخرى: الذين يكون مشتملا على نوعين من العلم: 1- تهذيب الأخلاق بتصحح العقائد و التزام الأعمال الصالحة، هذا يقال له في الاصطلاح الإحسان. 2- حقوق الاجتماعية التي نشأ فيها من أهل المنزل و الجارات و القرية و المدينة و أهل الملك و الدولة. يعبر عن المدينة في الإصطلاح السياسي

بالقوم. فإذا جاء حقوق الاجتماعية واجب على الإنسان لأن يستمد منهم في حياته. فالأبوان رباه في صغره، فإذا بلغا الكبر و ضعفا واجب عليه أن يكافيهم، هذا حكم صلة الرحم . (المكافأة ب) أهل المدينة وأهل الدولة هذا يسمي بالعدل، و هذا العدل في أداء الحقوق للقوم يلتزم عداوة قوم، معتمد على هذا القوم، و ولاء قوم يوالي ذلك القوم، و هذا الولاء و العداء يسمي بالسياسة في نظر عامة الناس. أما أهل العلم فهم يعرفون أنها من حقوق الاجتماعية فقط. فالسياسة عندهم عامة العدل في الاجتماع، و الحرب مع الأعداء جزأن مساويان للسياسة عند المحققين. و التفريق بين الإحسان و العدل لا يجوز في دين من الأديان لأنهما جزأن متساويان للتقوى، لكن إذا فسد مزاج الإجتماع الديني يقوم أناس يجعلون الإحسان و تهذيب الأخلاق هو الدين، ثم يجعلون الأمور السياسية تابعة لأهوائهم، لا تابعة للقانون الديني، هذا فساد للدين. و قد سرى ذلك في بني إسرائيل و في الحقيقة هذا الفساد و يكون سببا للتحريف. و هذا المرض وجد في ملة الهنود أيضا بطلوا دينهم، و كانوا ملة عظيمة. اليوم لا يمكن أن يعرف الحق من كتبهم، ولا يقدر الإنسان على تمييز الحق من الإيمان و الإسلام و الإحسان على وجه البصيرة، و مثل ذلك في طوائف المسلمين أيضا موجود في بلادنا.

إلى هذه المسألة الدقيقة إشارة القرآن من رقم الآية 83 إلى -الآية- 86 و هو قوله تعالى: "**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (83) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (86)**" بيان الاحسان. "**ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ (83)**" ما أقاموا الإحسان أيضا على وجه إلا قليل منهم. ثم شرع في مسألة العدل و حقوق الاجتماع من رقم الآية 84 "**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ**" هذا هو الحق القومي. كل قوم اتبعوا قانونا واحدا في المدينة. لا يجوز قتله و لا

إخراجه من ملكه. ذكر الله "**ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ**" هذا مقرر عندكم، ما جهلتم بأصل المسألة، لكنهم يتبعون الأهواء جميعا.

"**ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**" لأنهم موالون لقوم آخرين، وذلك القوم يحارب فريقا منهم، هم وفاء لحلفهم، يقاتلون فريقا من قومهم، المتبعين لدينهم. هذا هو اتباع الهوى بالإثم و العدوان؛ يعرفون أن هذا حرام عليهم.

نحن متأسفون أن قومنا في الهند وصل إلى درجة الضعف انتهى. في حكومة النصارى أنهم قاموا لقتال المسلمين وفاء لموالاتهم مع الحكام في هذا الحروب العمومة، و جماعة مشائخ ديوبند كانوا متنبهين على قبح هذه الموالات لكن لم يكن لهم قوة لمنع عامة المسلمين من الاشتراك في هذا الأمر. و سعوا على قدر همتهم في رد كيد الخائنين.

"**وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ**" هذا يكون ديدن المتقاعدين إذا انتهى الحرب، هم يقومون بالأعمال السياسية مثل قيام جماعة من أهل الهند بعد انتهاء الحرب لانتصار الخلافة و العثمانيين. هذا موافق لفعل اليهود مثل النص بالنص و يستثنى من ذلك طائفة قليلة التي قامت أثناء الحرب إلى آخره على ما في التمهيد. و الذين قاموا بعد انتهاء الحرب انقسموا قسمين: 1- قسم تابوا عن التقاعد، و أرادوا أن يستمروا على العمل فيما بعد. 2- قسم لما انتهى عمل الحرب تماما رجعوا إلى التقاعد، فتلك الطائفة نجعلها مستحقة لهذا التمهيد الذي أنزل الله في حق اليهود.

"**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)**" فتفريق العدل عن الإحسان هو مثل الإنكار لدين الرحمن. و قومنا ابتلوا بذلك ظاهرا، و نحن نعرف بصعوبته بين طائفة ضعيفة و بين عامة المسلمين في الهند. و نريد أن تكون تلك الطائفة مستمرة في الجهاد، و كل القوة من الحكومة الحاكمة و من قومنا المتقاعد مصروفة إلى منعنا عن الاستمرار في الجهاد، فلا نجد من يوزرنا إلا حزب ضعيف في كانگريس يجب الاستمرار لتحصيل الاستقلال. و هم ليسوا من المسلمين، فنحن نشترك معهم في القيام على الحكومة المتغلبة، و نترك قومنا المتقاعد، و هم يحتجون عليها بالآيات و الأحاديث

المانعة عن الاشتراك مع الكفار، و يجعلون إشراكنا مع كانگريس من أكابر الذنوب منا، و لا يحسون بموالاتهم الإنكليز، فهم أيضا يعملون مثل أعمالنا، و إلى الله المشتكى.

"أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (86)" هذه نتيجة تفريق السياسة عن الإحسان. و الإحسان أيضا يتبدل بمعاونة الكفر بالكفر. و الله ينجينا، و نحن نخوف الأمم المسلمة الذين يتخالفون مع الإنكليز أنهم ينظرون ما نحن عليه، و يتفكرون في تخلص أنفسهم.

"وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (88) وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89) بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (90)"

إذا فسد الذوق السياسي فلا يقدر الإنسان بعد ذلك على تمييز الحق من الباطل. نبه الله على ذلك من رقم الآية 87 إلى -الآية- 90. اليهود أنكروا على الرسل بعد موسى كثيرا و على عيسى خصوصا. هذه كله كان نتيجة فساد الذوق في السياسة، تركوا اتباع الكتاب، و اتبعوا الهوى، فصار دينهم أن كل ما يخالف أهوائهم هو باطل. هذا صار سببا للغضب المتضاعف. فبالتدريج سلب عنهم الحكم، لأن فساد الذوق السياسة[253] يجعل الرجل محروما عن إقامة الحكومة، فصار بعدهم عن إقامة الحكومة متضاعفا. و عبر عن ذلك بغضب على غضب. فتعين بذلك أن المغضوب عليهم في لسان القرآن من يكون عارفا بالدين، و لا يكون مقيما للسياسة على حسب الدين أولا، ثم بتخيل نظريات لا يمكن تحقيقها على وجه الأرض فيبعد عن إقامة الحكومة بعدين مرتين، فيستحق غضبا على غضب. كل ما فقد حكومة من قوم هم يتبعون قوما آخرين، فيكون لهم عذاب مهين في الدنيا. " **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ....وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ"** إذ تخييل النظريات مستحيلة أو مستبعد في العادة، وارتسخ ذلك في ذهنهم،

[253] لعل مراده الذوق السياسي

فلا يقدرون أن يوافقوا الله دعوة السياسة الجارية على وجه الأرض لعدم وصول ذلك إلى عقولهم، هذا هو المراد على ما فهمنا من قولهم "**قُلُوبُنَا غُلْفٌ**" يعنى لا تقبل قلوبهم نظريات السياسية الجارية. و في الحقيقة هذه نتيجة كفرهم الذي ذكره الله في قوله: "**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**" هو الذي أفسد ذوقهم السياسي.

"**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89)**" الكافرون كما أنكروا على أنبياء بني إسرائيل كذلك أنكروا القرآن لفساد ذوقهم السياسي. و قد اعترف بعض من كان قائلا بمجئ المهدي بالشدة مثل ابن العربي بأن هؤلاء الذين ينتظرونه من المتقاعدين يكونون هم يقومون على المهدي و هو يقتلهم. فالواجب على المسلمين أن يسعوا بقدر ما يستطيعون عليه لتحصيل القوة السياسية، فإن جاء رجل فهو يؤيدهم و ينضم إليهم، أما المتقاعدون منهم مثل اليهود، و مثل كانوا يستفتحون، فلما جاءهم ينكرونه. "**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (90)**" تبين من ذلك أنهم لا يعترفون بالحق إلا إذا كان تابعا لآرائهم و أهوائهم، فإن كان الحق بيد آخرين لا يتبعونه.

مسألة أخرى: إقامة الحجج عليهم بأنهم تركوا الإيمان بالتوراة أيضا "**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُم**". أنزل علينا أي التوراة "**وَهُوَ الْحَقُّ**" لما في التوراة تماما. فأبطل بذلك إيمانهم بالتوراة. فلآن يحتج عليهم بما كان عندهم من التكاسل في أيام موسى. إيمانهم في الأصل أيضا كان ضعيف، و اليوم اشتد الضعف فصار إيمانهم مثل لا شئ، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (91)**" و إليه الإشارة في "**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (92) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ**" هذه الإيمان المخلوط بالكفر هل يعتمد به؟ فكان الواجب أن يكفروا عن تلك الخطيئات، و يستمروا دائما في نصرة الحق. هم يتراجعون إلى الوراء، و العمل بالكفريات مثل الأول، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (93)**".

مسألة أخرى: دليل عملي على بطلانهم كما تقدم الدليل النظري على كفرهم في قوله تعالى: **"قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (94)"** كما أنكم تجعلون النجاة خاصة لكم[254] و هذا أمر مشاهد في عامة المسلمين بتقليد المتكلمين و الفقهاء، إنهم يجعلون النجاة مختصة بطائفة خاصة، و الناس كلهم سوى طائفتهم لا يستحقون النجاة. هذا هو لسبب تقاعدهم. قل **"فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ"** هذا حياة الحقارة وحياة العبودية للكفار فليجتهدوا في نصرة الحق و ليقتلوا، و يدخلون الجنة. و ليس معنى **"تمنى الموت"** إلا النهوض بقتال من خالف من المبطلين. إذا كان رجل يعتقد أنه على الحق، فالقتال في سبيله أهون عليه. و إذا امتنعوا عن القتال دل على عدم إيقانهم بحقانيتهم. إليه الإشارة في قوله تعالى: **"وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (95)"** بل هم يحبون الحياة الدنيا فقط و إليه الإشارة في قوله تعالى: **"وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (96)"**.

مسألة أخرى: إذا انهزم قوم من ميدان العمل يرجع إلى الفلسفة، و يرتبها على هواه، و يحتج بذلك عند الناس، فإبطال تلك الفلسفة أيضا من تمام الحجة عليهم: يقولون بعض الملائكة عدو لنا، و نحن لا نقبل الأفكار النازلة بواسطة القوى المخالفة لنا، هذا عذرنا في عدم اتباع دين القرآن. هذا الفكر مأخوذ من الصابئة عندهم؛ كل رجل مختص نجسته بتأبيد كوكب، فإذا نزل ذلك الكوكب، و كان في هبوطهم لا يرجون الفروج في تلك الحالة أبدا، و يصبرون على ذلك الزمان على أن يرجع نجمهم إلى الفروج. فتلك الفلسفة بطلت. ثبت الاختلاط فيها، فلا يقدر الإنسان أن يرجع إلى أمر يقيني. و اليهود مشوا على مثل ذلك في آئمة حظيرة القدس، و هم لا يعرفون أن هؤلاء الآئمة كل على مزاج رجل واحد، لا يمكن فيهم ذلك التفريق الذي كان ممكن في الكواكب، إلى تلك المسألة إشارة في قوله تعالى: **"قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (97) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا**

---

[254] يعني اليهود هم كانوا ينحصرون النجاة لأنفسهم.

إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (99)" بيان حقيقة حظيرة القدس؛ هی أنه بينة في كل الأديان، و لا ينكرها إلا من يمشي ببرنامج باطل متوازيا للحق.

مسألة أخرى: الفلسفة تنتج نظريات السياسية العملية، و هؤلاء كما بطل تخيلهم، و لم يقدروا على أخذ الحقائق على وجهها، كذلك بطل قوتهم العملية للسياسات، فلا يقدرون على إيفاء المعاهدات. و بلغ ذلك النقص عندهم إلى درجة؛ أنهم يتركون وفاء العهد مع رسلهم و آئمة دينهم أيضا، فيشتركون مع المنكرين للنبوات تبعا لأهوائهم. قوله تعالى: "**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (100)**" ليس فيهم قدرة وفاء العهد، فلا يقدرون على السياسيات العملية أبدا، لأن الجماعات السياسية لا تقبل إلا من يستقيم على عهوده. و كل من خرج منهم بعد الانضمام إليهم ليس جزائه عندهم إلا القتل. فمن لم يقدر على وفاء العهد هل يمكن أن يستقيم في السياسيات و يقيمها كلا؟ هذا هو المراد من رقم الآية 100.

ولنجعل ما يتعلق بتتميم المسألة بنقض عهدهم مع أئمة دينهم مسألة مستقلة، في قوله تعالى: "**وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101)**" أنهم تركوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. فلما رأوا أن الرسول يلزمهم باتباع كتابهم فتركوا إيفاء العهد مع آئمتهم في الدين، فإن الوفاء مع الآئمة هو القيام بالكتاب الذي عندهم من الله.

هؤلاء تركوا كتاب الله بالكلية، واتبعوا أمورا مخلوطة من وحي الشيطان و من وحي الملائكة، و قاموا العمليات للحب و البغض، و جعلوها قائما مقام دينهم. مثل ذلك نرى في بلادنا في آئمة المساجد في القرى، فالظن الغالب عندي أن الاجتماعية الفاسدة في المسلمين إنما جاءت من تأثير اليهود. و لنشرح الآية على هذه النظرية.

قوله تعالى: "**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ**

خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102)" اتبعوا اليهود ما تتلوا الشياطين على عهد سليمان. كان أخذ سليمان رجالا أقويا مثل الجن، في أذهان عامة الناس إذا تمثلوهم يكونون عندهم أقوى من البشر. و طائفة من الجن يسميها بالشيطان، فسليمان أخذ أيضا رجالا أقوياء من الأمم المتجاورة لهم بواسطة ملوكهم و سخرهم للأعمال الشاقة، و جعل بني إسرائيل للأعمال الشريفة مثل ما كانوا يعرفون من نظام الفراعنة. هؤلاء الجن كانوا يعملون لسليمان تحت تسخير العاملين الأقويا، و هم يعتقدون أنهم لا يقدرون على الفرار من حكم سليمان و إلا يقتلهم ملوكهم في بيوتهم، فدخل فيهم بعض الجن المتشكل بشكل البشر – هذا ليس عندنا بمستبعد– ثم نظموا جمعيات سرية، و هم تثبتوا بأعمال حتى يسخرون القوى المثالية من أدنى طبقات عالم المثال بوحي الجن الشياطين إليهم، لأن الاتصال بالقوى العالية يصعب عليهم لأن سليمان نبي هؤلاء. شرعوا سننا شركية يقتدرون بذلك على تسخير قوى مثالية.

فنقول أن اليهود تركوا كتاب الله و اشتغلوا بما كان يعمله الشياطين في عهد سليمان مع الكفريات و الشركيات مثل هنود بلادنا. واتبعوا ما أنزل على الملكين يعنى على الرجلين الصالحين مثل الملائكة مثل محمود غوث و مثل البوني. هما كانا ببابل أسمهما هاروت و ماروت. فيبقى عند اليهود من تواريخها أعمال وراثية منقولة زمن حبسهم في بابل، و نجد في كتاب العمليات ذكر دانيال[255] و بقي عندهم أعمال وراثية بواسطة الجمعيات السرية المنتهية إلى زمن سليمان. فاتبعوا أعمالا مختلفة شئ من الشياطين و شئ من الملائكة، فيتعلمون أى اليهود منهما مما تتلوا الشياطين، و مما أنزل على الملكين ما يفرقون به بين المرء و زوجه.

تخبط المفسرون في مرجع ضمير "هما" و جعل الصدر الشهيد مولانا إسماعيل الدهلوي مرجع "هما" ما ذكرت في كتابه **إيضاح الحق الصريح**، و مثل بذلك الحالة الاجتماعية لعلماء المسلمين في دهلي و عامة بلادنا الهند الذين يقومون على ضد الامام ولي الله و أصحابه بأنهم تركوا كتاب الله و نبذوه وراء ظهورهم، واتبعوا ما نقل عن الفلاسفة اليونانيين مثل أرسطوا و أفلاطون، و ما نقل من فقه الإمامين أبي حنيفة و الشافعي، فصاروا لا يعرفون غير الفلسفة و الفقه. و هذه حقيقة حالهم. يقول الشيخ: هؤلاء مثل اليهود، اتبعوا ما تتلوا الشياطين و ما أنزل على الملكين، و ما كفر سليمان و لكن الشياطين كانت

[255]كان من أنبياء بني إسرائيل

تشيع طريقتها بين الناس، بأن سليمان لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بهذا الطريق. و لعل يكون لسليمان بمقابلة تلك الشياطين.

فالشيطان يقولون كما أن جمعية سرية كذلك عند سليمان جمعية سرية، و اليهود أيضا تأثروا بذلك، أنهم لا يؤمنون بنبوة سليمان. و ذكروا في حكاياتهم أن سليمان في آخر عمره أجاز الكفر و الشرك في بيوتهم، كل ذلك تأثر اليهود من دعايات أولئك الشياطين، إذا كانت جماعة يأخذون فهم الأعمال من الشياطين. فالله رد عليهم بقوله: "**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ**".

الانكشافات الطبيعية في عصرنا الأورباوي لو ذكر على رجال متباعدين عن العلوم و الفنون لا يسمونها إلا سحرا، كذلك انكشافات مثالية يسمونها سحرا. و المثال له طبقات، في حكمة الإمام ولي الله شرح ذلك؛ فالحق المحض منحصر في حظيرة القدس و بعدها حلقتان:1-متوسطة، 2- سافلة. فيها الحق و الباطل. فالسحر شئ من القدرة على تسخير القوي المثالية فيقدر عليه شيطان و جن و ابن آدم على حد سواء.

قوله تعالى: "**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**" يشترطون أن لا يستعمل ذلك في حرام. في فقه الحنفي من شرع بإسم الله في أكل طعام حرام يكفر. استعمال المقدمات في المحرمات هو الكفر.قوله تعالى: "**فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ**" التعويذات للحب و البغض هذا هو غاية عملهم إلى يومنا هذا. "**مِنْهُمَا**" أي العلمين. "**وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**" كل حركة و سكون و نفع و ضرر يقع في الكائنات إنما هو بقدر الله و تدبيره، لا يشك في كل ذلك مؤمن و لا حكيم، لكن الإنسان مأمور باتباع فطرته و رجوعه إلى حظيرة القدس، و تركه كل ما يؤدي إلى البعد من حظيرة القدس. و إذا خالف ذلك المنهج المنصوص لفطرته و إن كان في أمر الله و تدبيره أمرا جائزا فهو يضر هذا الإنسان، و لا ينفعه، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ**".

و قوله تعالى: "**وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102)**" إن من اشتغل بذلك يبعد عن منهاج الأنبياء و حظيرة القدس، و يحرم على

الإنسان أن يشتغل بالأمور المختلطة بحق و باطل من الفلسفة و النجوم و السحر، فإن إشاعة ذلك في الإنسانية يمنعها من الأمور الضرورية الواجبة عليها، مضرة لهم. "**وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ**" باعوا أنفسهم بمنافع جزئية حقيرة، و لو اشتغلوا بمثل ذلك في الكتاب لكانوا حكماء و ملوكا.

قوله تعالى: "**وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (103)**" لمثوبته من عند الله خير من العلم و الحكمة و الالتحاق بحظيرة القدس.

انتهى العنوان الثاني؛ و هو إثبات أن بني إسرائيل بعد موسى مالوا إلى الانحطاط لأسباب كثيرة. و في زمن نزول القرآن تكامل انحطاطهم فلا يستحقون أن يشترك معهم رجل مثل المريض الذي بتأثيره و صحبته مرض الإنسان، يجب التباعد عنهم.

العنوان الثالث: من رقم الآية 104 إلى –الآية– 121. إذا بلغت حالتهم في الانحطاط إلى مثل ما ذكر في العنوان الثاني فيستحق أن ينسخ دينهم، و مع ذلك كان قطعة من جماعة النبي؛ هم الأنصار تأثرت من صحبتهم قبل الإسلام، و كانوا يحترمونهم بعد الإسلام أيضا. فواجب أن يعلموا الأغراض عنهم، مثلا خبثهم في هذا الدين الجديد.

قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104)**" فالتشبه الظاهري في الأمور المباحة يؤدي إلى الاقتداء بهم في احترامهم للنبي بوجه خاص. اعتقدوا أنه هكذا ينبغي تعظيم النبي، فإن هؤلاء يعرفون معاملة الأنبياء فمنعوا من ذلك، لأن لهم دعايات دقيقة لا يطلع عليها العامة في الرد على الإسلام. والدعوة إلى اليهودية المنحطة، فالتشبه الصورى أيضا صار محرما لكن مع رعاية الحكمة؛ يعنى هم ينظرون بالتعمق في مقصد كلامهم، فإذا رأوا اليهود و يريدون مقصدا سيئا لا يتبعونهم. "**وَاسْمَعُوا**" أى خذوا الأحكام من النبي رأسا. "**وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**" اليهودية المنحطة تستوجب عليهم العذاب إن لم يتركوها، فإذا دعوا الناس إليها يزيد العذاب.

أوضح الله حكمة هذا الحكم قوله تعالى: "**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ(105)**" المشركون في مكة و أهل الكتاب في المدينة من أنكر منهم الإسلام و القرآن و كفر بهما، ما يود أن ينتظم ما أنزل إليكم من الدين، يريدون أن لا يحدث الجامعة للحكومة في العسكرية، فيثبتون الدعاية فيكم. هذا

النوع من دعاياتهم كلمة ذات وجهين، فيؤذون النبي و أنتم لا تفهمون، فتتبعونهم. فالمسلمون ما كانوا يريدون إيذاء النبي، فإذا فهموا الحكمة تركوا التشبيه بهم. إليه الإشارة في قوله تعالى: **"مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا"** يعنى أن ينظم الحكم النازل بالاجتماع.

أهل الكتاب كانوا علموا الأنصار قبل الإسلام أن الكتاب التوراة لا ينسخ و القرآن معظم التوراة من هذا الطريق. كان عند الأنصار احترام أهل الكتاب، ففي قوله تعالى: **"مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (106) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (107)"** بين الله حكمة النسخ فيفهمون أن التوراة ينسخ كثير من أحكامها، إليه الإشارة في قوله تعالى:**"مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا"** أو ما يكون منسوخا لا يعاد، و ما كان منسيا يعاد حكمه بعد زمان إذا اقتضت المصلحة **"نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا"**. شرح الامام ولي الله في **حجة الله البالغة** أن المثلية تختص بشريعة لاخلافة فيها، و تبدل الأحوال تستوجب تبدل الشريعة و القانون لكن درجة الحكم مثل الأول. و قد يكون النسخ مع الخلافة، قوم يتهيأون بنظم الخلافة و تلك الشريعة تكون خيرا في الأول.[256] ففكر أنه لا يجوز النسخ ليس بصحيح.

قوله تعالى: **"أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"** يشير إليه يعنى أنه إذا يبدل الحكام يبدل القانون أيضا. و معنى النسخ أن الحكام يتبدلون لأن اليهود لا أهلية لهم في إقامة الخلافة لكن لا يتبدل القانون، فالله قادر على تبديل القانون أيضا كقدرته على تبديل الحكام، فتسهيلا للحكام يتبدل القانون بلسانهم.

قوله تعالى: **"أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"** فمسألة النسخ فرع لهذا – الملك لله– يبدل فيه خلفائه، فتتبدل الأديان، فلما أراد الله أن يقيم من قريش و من العرب خلافة في الأرض. فنسخ الأديان التي قبل هذا، و إليه الإشارة **"وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ"** يعنى أن الله هو وليكم و ينصرلكم؛ أراد استخلافكم.

---

[256] فقوله: (بخير منها) فيما تكون النبوة مضمومة بالخلافة وقوله: (أو مثلها) فيما يختلف الحكم باختلاف المظان، والله أعلم. لينظر: ولي الله، الشاه، **حجة الله البالغة**، كراتشي، باكستان، قديمي كتب خانه، باب أسباب النسخ، 1: 284.

قوله تعالى: "**أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** (108)" كان اليهود علموا بعض الأنصار أن يسألوا النبي صلى الله عليه و سلم عن موعد حصول الخلافة لهم حتى يطمئنوا به. هذا السؤال كان مثل سؤال اليهود موسى "**أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً**"[257]. قال: إصرار على مثل ذلك السؤال كفر، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**".

فسلم الله المؤمنين لكن أهل الكتاب يريدون أن يرتدوا، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (109)" فغلب على الأنصار بعد العلم بكيد اليهود، و أرادوا أن يخاصموهم، لكن المصلحة الدينية تمنع منه في ذلك الوقت، فأمر بقوله: "**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**" أي بأمر الجهاد و الخصوصة. قوله تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**" و أمروا أن يجتهدوا إلى ذلك الزمان بتقوية اجتماعهم بقوله: "**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** (110)"

قوله تعالى: "**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** (111)" هذا مثل ما يدعي كل طائفة من المسلمين أنهم على الحق فقط. و الوعد الذي للمؤمنين بدخول الجنة خاص بطائفتهم فقط. كذلك هاتان الملتان كانتا من أتباع أحكام التوراة، فادعى كل واحد منهم فقط أنهم على الحق، و بطلانهم يظهر وقت طلب الحجة، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ**..." من الكتاب و ما دون الكتاب فكل رجل يحصل لنفسه نظريات.

قوله تعالى: "**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** (112)" التوراة مبنية على صحف إبراهيم. الصحيفة الأولى: و هي التكوين: هي صحيفة إبراهيم، و دين إبراهيم لأمر الله، فيكون بحكم الكتاب. النجاة لمن اتبع دين إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا. و الاختلاف بينهم في الخصوصيات مثل الاختلاف بين الحنفاء و الصابيئة لا يمكن فصله في

[257] النساء، 153.

الدنيا. فالرجوع إلى الأصل يكون واجبا. أما لو اتفقوا على تعيين من دين إبراهيم لكانوا حجة و إذ ليس فيهم اتفاق و لا يمكن ذلك في دار الدنيا، فالمصنف مجبور.

للرجوع إلى أمر إبراهيم؛ إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (113)**" يعنى الصابئة و تفسيرها بأهل مكة غير صحيح. و المقابلة ليست إلا بين الحنفاء و الصابئة في الدنيا.

مسألة أخرى: هو البحث في القبلة. اليهود و النصارى مختلفون في جهات القبلة، يحكمون على الناس أنهم يجب عليهم اتباعهم في خصوصية الجهات أو في خصوصية القبلة. و مقصدهم إبطال مركزية مسجد الحرام و مسألة الاستقبال من فروع الملة ليست من أصول، لا يجوز تركها بحال. و جعلها من الأصول إبطال لمساجد الله على وجه الأرض كلها. فالمقصد و إن كان البحث عن المسجد الحرام لكن الكلمة العمومية توجب احترام كل بناء نبي لذكر الله للملل عامة، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (114)**" و في ضمنها أول مسجد بني على وجه الأرض. هذه الكلمة العومية.[258] أنا أعرف قدرها و أعرف جهالة المسلمين في الهند. و عاقبة تلك الجهالة عقبة عويصة[259] لارتقاء المسلمين أنهم ما حرموا، و ما رعوا احترام معابد الهنود من بداية حكمهم بسبب جهل الفقهاء و تعصبهم. إن أهم الأديان في الدنيا هم اليهود و النصارى و المسلمون فقط، فما رعوا رعاية لمساجدهم و معابدهم. الآن زالت حكومة المسلمين من الهند، فهم ينتقمون بإبطال مساجد الإسلام. الجهال لا يريدون اليوم الاصطلاح مع الهنود، و يدعون عامة الناس المساكين إلى محاربة الهنود بدون قوة و نظام. يظن أن المسلمين في العالم يؤيدونهم على هذا الجهل باجتماعياتهم، و هذا الجهل باجتماعيات المسلمين أفسد كثيرا من الأمور الدينية في الهند التي يمكن إصلاحها اليوم. المسلمون في

---

[258] المراد به جميع مساجد

[259] أمر شائق،،صعب، خفي معناه، و صعب فهمه. و لينظر: **المعجم الوسيط**، 636.

العرب زمن النبي جعلوا مواضع للتعبد بإسم الأصنام في الجاهلية إلى المساجد لكن كل ذلك بعد الإسلام. هؤلاء القوم و هذه القبيلة بدلوا ذلك بأنفسهم.

و أجهل الناس من الفقهاء بمعرفة أديان الله معرفة الحكمة الدينية السياسية، هم إذا غلبوا على قوم جعلوا معابدهم جبرا إلى مساجد، و ظنوا أن هذه خدمة للدين. فهم ما قرأوا في كتاب الله قوله تعالى: **"وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ"**[260] و هل يجدون في سيرة النبي حجة لمثل ذلك التبدل قبل الإسلام؟ نحن لا نقدر أن نصوب هؤلاء السلاطين و الأمراء و الفقهاء بأمثال تلك الجهالات.

و قد ابتلي الأتراك في فتح استنبول[261] و اليوم صاروا مجبورين لرد تلك الكنيسة.[262] فالأعمال الباطلة من جهة الحكام و جهل الفقهاء لا توجب مسؤلية على حكم الإسلام. و الله قد نص بقوله: **"وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا"**[263] و الإسلام يحافظ على احترام كل معبد بني لذكر الله. قوله تعالى: **"مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ"** مثلا المسجد أية ملة، كانت أن يذكر فيها اسمه، هو من أظلم الناس. قوله تعالى: **"أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا"** أي مساجدهم لأن الزمان يتبدل و تلك الأيام نداولها بين الناس. قوله تعالى: **"لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ"** إذا كانوا عالمين، مثل اليهود يعرفون.

نعرف كثيرا عن أهل الصلاح، كانوا جاهلين بأمر الله؛ هو التعيين في جهة القبلة أو في نفس القبلة، ليس له أصل في الأديان. الأصل هو التوجه إلى حظيرة القدس و إلى وجه الله بواسطتها. و كل

---

[260] الأنعام: 108.

[261] و كانوا حولوا هذه الكنيسة آيا صوفيا إلى المسجد

[262] اسم هذه الكنيسة آيا صوفيا و قد بناها بنى الإمبراطور قسطنطين الأكبر في عام 309م. بعد فتح القسطنطينية، أمر السلطان محمد الفاتح بتحويل الكنيسة إلى مسجد. في عام 1935، أمر مصطفى كمال أتاتورك تحويل بناء أيا صوفيا إلى متحف يضم المئات من الكنوز الإسلامية والمسيحية، وأصدر قانونًا يمكنه من إقامة الشعائر الدينية بشكل رسمي فيه. وظل حتى يومنا هذا من أهم المعالم التاريخية في تركيا، حيث يقع في مكان بارز على أعلى ربوة مطلة على نقطة التقاء مضيق البوسفور بمضيق القرن الذهبي في القطاع الأوروبي من إسطنبول. لينظر: https://www.sasapost.com/hagia_sophia_mosque_calls/

[263] الحج: 40

رجل توجه بالإخلاص إلى الله فحظيرة القدس تتوجه إليه أكثر منه قبل توجهه إليها. و قد جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي عنه، قال: قال النبي صلى الله عله وسلم: "يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة"[264] إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (115)**" إنما يتعين القبلة لتنظيم راجع إلى إمام الملة. و يكون كالسوق لتسهل التجارة، فيسهل للناس التوجه إلى حظيرة القدس. و هذا يكون باعتبار القدرة و الاستطاعة. أما إذا كانوا غير عالمين فلا يؤاخذون بذلك الحكم. و من جعل التوجه واجبا على كل حال سواء جهل الجهة و عجز عن التوجه فقد أبطل جميع المساجد إلا مسجده. هذا هو الغلط الذي نبه الله عليه و مثل ذلك حصر رحمة الله في جهة مثله هو تعيين رجل لقرب الله فقط، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (116)**" حقيقة عيسى عليه السلام ليس إلا رجل قد تقرب إلى الله فجعلوا جميع أنواع التقرب منحصرا في ذلك الرجل، فأوقع الناس في الظلمات، و قالوا من لا يتبع هذا الولد فلا نجاة له عند الله سبحانه و تعالى. الله مقدس من كل ذلك، لا يحكم على الله أحد من خلقه، و هم يريدون بإثبات الولدية لأحد منهم أن ينزلوه منزلة من قبلته. هذا لا يريده الله، أما ما يريدون أن يتحكم عليه فيقبل الله منه مثل ما يقبل الوالد من أولاده. هذا غلط و ضلال، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ**" فإن جاؤوا بعض آيات و توجيهات، أن هذا الرجل من بدائع مخلوقاته لا نظير له وإنما سميناه ولدا، رده بقوله تعالى: "**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117)**" فيكون حكمه نافذا في السموات و الأرض و كل حكم بديع كما أثبتوا اليهود و النصارى خصوصية المكان و خصوصية الرجل المختص بالله، غرضهم من ذلك أنهم مع عدم استعدادهم للتقرب الإلهى إذا تثبتوا بذلك الرجل أو المكان يصيرون مقربين، و هذا باطل. شبه هذا القول أكبها في معارضة الأنبيا قوله تعالى: "**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (118)**" و لا ينظرون إلى عدم استعدادهم، فأهل الكتاب يثبتون للأنبياء مزية، بها يتأهلون للخطاب و يجعلون

---

[264] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: و يحذركم الله نفسه (آل عمران) 9: 121.

المعارضين من الجهال، كذلك أمرهم و تخصيص الجهة و الإنسان إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**..." التكلف في دعوة اليهود إلى الحق يورث الانغماس في ظلماتهم، فمنع الله النبي عن ذلك لئلا يكون سببا لتمكن اليهود للدعايات في أمة النبي، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (119)**" فمسؤلية المعاندين ليس عليك، و أنت تأمر هذا الأمر ليكون للناس سهولة في اتباع الحق، فإن اليهود و النصارى لو اجتمعوا حول القرآن و هم أقرب الناس إليه لسهّل إقامة الحق في الأقوام بهما، لكن هذا الأمر غير ميسر لك لأنهم أهل عناد. إليه الاشارة في قوله تعالى: "**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (120)**" هم مع علمهم ببطلان ملتهم لا يتركونها. "**قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**" يعنى إن الله يأمر الناس باتباع الحق بعد تفهيم هذه الهداية المطبوعة في الإنسانية. أما أن يقوم رجل فيقول اتبعوني و لو لم تفهموا فهذا أمر لا تجتمع عليه الإنسانية، فأمر الله نبيه أن يقطع منهم، و إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**".

قوله تعالى: "**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (121)**" طائفة من أهل الكتاب يعترفون فيه بوجود نبي من بني إسماعيل، و كل من قرأ التوراة و حقق في مفاهيمها في صحيفة إبراهيم فقط لأيقن بوجود نبي في بني إسماعيل مثل موسى عليه السلام. و أنا معترف بفضل السيد أحمد خان في توضيح هذه البشارة في **خطبات الأحمدية**.[265] قوله تعالى: "**أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**" هم أهل الكتاب، و من يكفر بوجود نبي من بني إسماعيل كأنه كفر بالكتاب و بمفهومه المحقق فيه. أولئك ليسوا من أهل الكتاب حقا. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**". تم العنوان الثالث من الفصل الثاني.

الفصل الثالث من الفصول الثانوية من فصول بني اسرائيل:

---

[265] ولينظر: سرسيد أحمد خان، **الخطبات الأحمدية في العرب و السيرة المحمدية**، الخطبة العاشرة في البشارة المذكورة في التوراة و الانجيل، (انديا، عليكره، سرسيد اكيدمي، ط: 2003) 362-407.

إرشاد لمن يتلو الكتاب حق تلاوته إلى إقامة الحجة على المعاندين من نفس الكتاب. هذا من رقم الآية 122 إلى –الآية- 150.

قوله تعالى: "**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (122) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (123)**" تذكير لبني إسرائيل بالنظر إلى الفضائل التي تفضل الله عليهم بها، هذه صحيفة من صحائف إبراهيم، منقولة في القرآن؛ قطعات ملتقطة. و هو قوله تعالى: "**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124)**" إبراهيم قام في الملة الصابئة، و أمر بإلهام من الله بإقامة الحجة عليهم، فأقامها، و أمر بالهجرة، فهاجروا. و أمر بتأسيس الملة الحنيفية في بيته، و أمر بذبح الولد، و ائتمر به، و أمر بتربية أولاده لإقامة أمر الله، و ائتمر به. فكل أمر أمره الله لرد الملة الصابئة و إقامة الملة الحنفية أتمهن. و قد جاءت في بعض الروايات سنن الفطرة قص الأظفار و مثل ذلك أمور مطهرة للبدن فقط.[266] فالطلبة المساكين يفهمون أن الكلمات منحصرة فيها، و ليس معناها إلا أنها نماذج لتلك الكلمات، فطهارة البدن الظاهرة، و طهارة العقل و القلب ممن ينجسهما عن الشرك، و طهارة الدين و الملة عما يدنسها من الشرك، و التساهل و التهاون في أمر الله و غير ذلك كلها مأمور بها. فأتم إبراهيم جميع الكلمات و لذلك أمر بتربية أولاده لإقامة ذلك الدين، فأتمهن.

هذا الذي ذكرنا كله متفق عليه بين أهل الكتاب، إذ لا فخر لهم إلا من فخر إبراهيم، فالله جعله إماما للناس و إليه الإشارة في قوله تعالى: "**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**" أما بعد إبراهيم فمن يكون على طريقته يرث إمامة و إلا فلا، و إليه الإشارة: "**قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**".

ثم إبراهيم وضع هذا البيت مركز الإمامة للناس. فمن رقم الآية 125 إلى –الآية- 129 ذكر ما يتعلق بهذا البيت و هو قوله تعالى: "**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (125)**

---

[266] عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء " قال زكريا: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة زاد قتيبة، قال وكيع: " انتقاص الماء: يعني الاستنجاء" ولينظر مسلم، **صحيح مسلم**، بيروت، دار إحياء تراث العربي، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، 1: 223.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (128) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129)" هذا هو أول بيت وضع للحنفية للذي ببكة مباركا. قبل ذلك كان معابد للصابئية لا تنكر، لكن الناس يجعلون إبطال تلك المعابد فخرا لهم، فيجعلون الحقائق الواقعية المتعلقة بذلك البيت أمورا موهومة مشتبهة للناس. إنما غلبت الصابئية على أهل البيت بنحو (300) سنة بيد عمرو بن لحي[267] أما قبل ذلك فكان مركزا للحنفية من ابتدائه.

والحنفية ارتقاء للصابئة جبلة طبعية، فكان الناس في الزمن المتقدم كل من ليس من الصابئة، و هدايته يلتحقون بهذا البيت، و يعمرونه من الأنبياء و المحدثين، فصارت الأرض مقرة لإقامة جامعة الأمم فيها، فمئات من الأنبيا قد دفنت حوالي هذا البيت. و توجه حظيرة القدس إليها مسلسلة منذ زمن إبراهيم، ما انقطع لوجود رجال متوجهين إلى الله دائما. أنا كنت اتفكر أن جبريل لم ينزل على النبي و هو في المسجد الحرام. ما الحكمة فيه؟ فاتضح لي أن البيت كان مملوءا بالأصنام، كأنها مركز الصابئة. و الحنفاء من قريش كانوا يجتمعون في الحراء، فلذلك نزل الوحي في الحراء لإحياء الملة الحنفية لئلا يشتبه الأمر بالصابئة. و الغرض أن هذا المسجد و ما حوله من الجرف و غيرها من الميادين و الصحراء مملوءة من أفراد أمم يميل إلى الحنفية من معابدهم و من مقابرهم. فليست الأرض جعلت مركزا لاختصاصها برجل أو قبيلة أو قوم، فيها كل حنيف من كل أقوام، بل لتأسيس إمام أو اجتماع الحنفاء من كل الأقوام حولها، فكان دعاء إبراهيم و إسماعيل أن يكون ذريتهم أمة مسلمة فاستجاب الله دعائهما و جمع قريش من زمن قصي حول الحرم. و قيل ذلك كانت قريش منتشرة في القبائل خرج منهم نبي مثل ما دعوا بقولهما: "**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ**".

---

[267] قال ابن كثير :عمرو هذا هو ابن لحي بن قَمَعَة، أحد رؤساء خزاعة، الذين ولَوا البيت بعد جَرْهم. وكان أول من غير دين إبراهيم الخليل، فأدخل الأصنام إلى الحجاز، ودعا الرعاع من الناس إلى عبادتها والتقرب بها، وشرع لهم هذه الشرائع الجاهلية في الأنعام وغيرها، كما ذكره الله تعالى في سورة الأنعام، عند قوله تعالى: { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا } الأنعام: 136. لينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (بيروت، دار الكتب العلمية) 3: 188.

ثم بعد ذلك من رقم الآية 130 الى 134 تحقيق للملة الحنفية التي هي ملة إبراهيم، و هو قوله تعالى: "**وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134)**"

قوله تعالى: "**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**" فكل ما ثبت من الله أنه أمر الناس به نتبعه بدون تخصيص على العموم بواسطة أى قوم ثبت، هذا معنى قوله: "**أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**". هذا الذي دعى إليه النبيون، لا نفرق بين أحد من رسله. فما نرى اليوم قوما من أقوام المسلمين ادعى لدين إبراهيم دين الأقوام إلا قوم من قومنا أتباع الإمام ولي الله، هم يؤمنون بإنبياء إيران و اليونان و التوران و الحبش بسلامة صدورهم، و لا يرون ذلك انحرافا من السنن التي عليها نبينا عليه السلام، لأنهم أدركوا معاني السنة على مفاهيم الحكماء لا الفقهاء فقط. فاستوت عندهم دعوات جميع الأنبياء، و تبين له اتحادهم حقيقة باشتغالهم بحكمة الإمام ولي الله.

هذه دعوة الإسلام لرب العالمين، رب الأقوام، قد وصى بها إبراهيم بنيه، ثم من بني إسحاق قام يعقوب و وصى بها بنيه "**يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ**" أي دين رب العالمين لا دين قوم دون قوم. و وصى لهم كما في قوله تعالى: "**فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**" أى أنتم على هذا الدين. فأساس الدين من إبراهيم، ثم أساس الإسرائيلية من يعقوب موافقا لجده إبراهيم كما في قوله تعالى: "**إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**" يعنى رب العالمين فمن يقدر الآن اليوم يقول إننا على طريقة إبراهيم أو على طريقة يعقوب بين اليهود و النصارى و بين هؤلاء الرسل الآئمة بون بعيد. إلى هذا البون البعيد إشارة في قوله تعالى: "**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ**...".

فالنبي جدد طريقة إبراهيم و طريقة يعقوب بأمر الناس بقوله تعالى: "**وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (135) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (136)**" هذا تجديد لدين إبراهيم. أما اليهود و النصارى فدعوتهم إلى اليهودية و النصرانية المنحطين، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**" يعنى أن دعوة الأقوام لا يمكن إلا باتباع ملة إبراهيم فقط.

في قوله تعالى: "**فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (137)**" اليهود و النصارى أن قبلوا تجديد الإسلام[268] فيها و إلا فهم لا يجمعون على قوم حتى يدعوا الناس إليه، و لا يقدرون على مقابلة دعوة القرآنية، و إليه الإشارة في هذه الآية.

النبي قام لتجديد الدين و لم يأخذ من اليهود و النصارى شيئا لئلا ينصبغ النبي بخرافاتهم. فالله توجه إليه بواسطة حظيرة القدس و انصبغ بصبغة الله. أصل الدين المحفوظ في حظيرة القدس، هو أعلم من اليهود و النصارى بدين إبراهيم، و إليه الإشارة في قوله تعالى: "**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138)**" يعنى أن اليهود و النصارى أن يعلموا مثل ذلك. و روح هذه الصبغة قوله: "**وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138)**" يعنى لرب العالمين المتجلي في حظيرة القدس؛ مجمع الأقوام كلها.[269]

هم بثوا الدعاية في عامة الناس أن إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب كلهم كانوا هودا. و النصارى يقولون أنهم كانوا نصارى. فاذا انحرف قوم من تلك الديانات فقد انحرف من إبراهيم و أولاده. **جواب تلك الدعاية** هاتوا بالتوراة فاقرءواها. أولا يأتي إسم إبراهيم و إسماعيل و إسحاق ثم بعد زمن موسى بزمن طويل ياتي عيسى. فالكتاب شاهد على أن موسى و عيسى كانا بعد زمن. هذا كتاب الله فإن جاؤا بغير ذلك فكأنهم أعلم من الله. إلى هذا الإلزام إشارة في قوله تعالى: "**قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ**

---

[268] تجديد الإسلام لدين إبراهيم

[269] التي هي مجمع الأقوام كلها.

وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (139) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (140)" بعد ذلك أعيدت آية "**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (141)**" بون يعيد بين اليهود و النصارى و بين إبراهيم و أولاده.

مسألة فرعية: وقعت في زمن النبي عليه السلام و صارت مصدرا لشغب بين العوام اليهود و النصارى. نذكر ههنا تتمة لذلك المبحث: النبي جاء إلى المدينة، توجه إلى القدس في الصلوة، و فرح به اليهود، و كان فيه حكمة. المهاجرون من قريش كانوا يتبعون قبلة إبراهيم و إسماعيل، فامتحانهم كان لازما، يتبعون[270] تلك القبلة لأنها قبلة قومية لهم أو قبلة ملية. فإن كانوا تبعوا على النظر الثاني فمسجد إسماعيل و مسجد إسحاق في القدس كلاهما مساجد إبراهيم. يتوجهون إليه أيضا بلا جدال فاتبعوا كافة، فتعين أن ليس عندهم للقومية من أثر. وأصل الملة كان تستوجب قبلة مسجد الحرام فتوجهوا إليها. فالسفهاء ما فهموا الحكمة و شاغبوا كثيرا و صارت سببا للتشكك لبعض الناس. فأوضح الله المسألة بتوضيح لا مزيد عليه.

قوله تعالى: "**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142)**" يعني أن جهة القبلة ليست من أصول الملة و الجهات بنسبتها سواء. و ترجيح البعض لمصلحة ترجع إلى الناس. فالحكمة الإلهية كانت توجب أن لا يثبت عندهم تعصب قريش لقبلة قومية بل هم يتبعون قبلة الأمم كلها على حد سواء. فيستحقون أن يكونوا آئمة للناس، لأنهم لا يتعصبون لقوم دون قوم و إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (143)**" و يكون الرسول شاهدا عليكم، جعلنا قبلته إلى القدس لأن ذلك كان لمصلحة في قلب النبي صلى الله عليه وسلم. فأمر الله أن يتوجه إلى القدس

[270] لأنهم يتبعون

لأن إمامته للناس إنما ظهرت بعد المعراج. في المعراج قد صلى في القدس، هو يريد أن ينبه الناس أنه بانتقاله إلى المدينة لا يتوجه إلى المساجد القومية فقط بل يكمل المعاملات العمومية معها أيضا. و اتبعه أصحابه لأنهم يريدون أن يقوموا مقامه بعده في أداء ذلك المنصب العظيم فكان لتلك المصلحة.

قوله تعالى: "**وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ**..." معناه عندي احترامكم للبيت الحرام لجبلية[271] طبيعة، فإذا منعكم من التوجه إليه فكأن الله كلفكم بشريعة غير فطرية. ففي هذا يضيع القوة الإيمانية من قلب الإنسان. فما أراد الله الاستمرار إلى توجه القدس، لأنه يضعف القوة الإيمانية، لأن الأولاد و الأتباع و القوم كلهم ليسوا بتلك المشايعة من الحكمة. فإذا شكك القوم آئمتم يذهب قوتهم. قيل في بعض الروايات "صلاتكم إلى البيت"[272] فأخذنا منه اشارة إلى ما فهمنا. و الشراح يوجهون بوجه آخر مذكور في فتح البارى.

قوله تعالى: "**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (147)**" بحث أن أهل الكتاب أيضا يعرفون أن قبلة هذا النبي سيكون المسجد الحرام. فالتوجه إلى القدس كان لمصلحة عارضة و في صحائف التوراة أشارات كثيرة جمعها أهل العلم ببلادنا. قوله تعالى: "**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (147)**" قال الإمام ولي الله في ترجمته **فتح الرحمان في ترجمة القرآن**: "كساني كه داده

---

[271] الحركة **الجِبْلِيَّةُ** :هي الحركة التي تحدث بقوة الجِبْلَة الذاتية ، من حيث قدرتُها على الانقباض والانبساط.

[272] وهو الذي أشار إليه البخاري بقوله: يعني صلاتكم، حيث فسر الإيمان بالصلاة، وهكذا وقع هذا التفسير في رواية الطيالسي والنسائي من طريق شريك وغيره عن أبي اسحق عن البراء في الحديث الذي أخرجه البخاري ههنا، فانزل الله تعالى {وما كان الله ليضيع ايمانكم} (البقرة: 143) اي: صلاتكم إلى بيت المقدس. لينظر: العيني، بدر الدين، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بيروت، دار احياء العربي، كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان، 1: 240.

ايم ايشان راكتاب، مي شناسند وي را چنانكه مي شناسند فرزندان خويش را و هر آيينه گروهي از ايشان، مي پوشند حق را دانسته."[273] بعد ما رأى الإنسان الإشارات في كتب التوراة يتيقن بذلك هذا هو المراد الحق من ربك يعنى في الكتب السابقة أيضا "**فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**".

قوله تعالى: "**وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (**148**)" تنبيه على أن المسألة مسألة فرعية، فإن كل أمة جعلت قبلتها حسب تعليم نبيها، فإذاكان التعليم متحدا و هي الأساس في دين إبراهيم فاختلاف جهات القبلة لا يكون له أهمية في ذلك الدين، فاجعلوا جهة القبلة راجعة إلى مقتضى طبيعة قومهم. و المقصد من التدين ليس إلا إتيان بالخيرات، فاستبقوا إليها، و لا تضيعوا أوقاتكم في البحث في التخصيصات العارضة.

قوله تعالى: "**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** (**149**) **وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** (**150**)" تأكيد في جميع الحالات للتوجه إلى المسجد الحرام. فإن وقع مثل ذلك التغير مرة أخرى يذهب اطمينان عامة الناس. فإن كانت المسألة فرعية لكن تشاغب الناس عليها صارت كالفرض الأصلية، فلا تغيروا مرة أخرى لمثل تلك الحالة العارضة، و إليه الإشارة في قوله تعالى: "**لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ**" إنهم لا يستقر لهم قرار.

المصلحة التي هى من أهم المصالح، و التى لأجلها أجيز التوجه إلى القدس، لكنهم غير منصفين، هم دائما مشوشون كما أشار إليه في قوله تعالى: "**فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي**" و لأتم عليكم نعمتى بإقامة الخلافة لكم "**وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**" فتعيين تلك المصلحة يصير مثل تعيين رسول فيكم سواء بسواء، تم على هذا ماكان يتعلق بجواب سؤال من بنى إسرائيل أن بوجود الكتب المقدسة بأيدي بني إسرائيل لا يبقى حاجة إلى نزول القرآن، و بالتوضيح البليغ اتضح الأمر أن الحاجة إلى القرآن متحققة، فانضمت تلك القرآن إلى قوله تعالى: "**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**" فنزول القرآن كان لإتمام الخلافة. فالشبة التي تعترى على الناس ما يتعلق بازالتها انضم إليه.

---

[273] يعني حقيقت استقبال كعبه را، ولي الله، **فتح الرحمان بترجمة القرآن**، ص23

فالآن نشرع في تعليم القرآن التفصيل لإقامة الخلافة من رقم الآية 151 إلى آخر السورة 286 فتلك الأبواب نقسمها.

أبواب سورة البقرة

الباب الأول	إثبات ضرورة نزول القرآن و قد قدمنا بحثه مفصلا
الباب الثاني	في تهذيب الأخلاق من رقم الآية 151 إلى -الآية- 162
الباب الثالث	في الاجتماعية الأولية في القرى من رقم الآية 163 إلى -الآية- 176
الباب الرابع	في الاجتماعية في الأمصار من رقم الآية 177 إلى -الآية- 253
الباب الخامس	في الاجتماعية في الاقوام (الخلافة) من رقم الآية 253 إلى -الآية- 286 . هذه الأبواب الاربعة

الباب الثاني في تهذيب الاخلاق:

قوله تعالى: "**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (152)**" أصل المسألة في الأخلاق؛ الإنسانية عندنا هو اتصاله بحظيرة القدس، "فاذكروني أذكركم" عنوان له على أصول حكمة الإمام ولي الله. إذا ذكر الإنسان ربه، و دام على ذلك بالمحبة يحدث في قلبه هيئة إحسانية،[274] تذكر ربه على الدوام. و تلك الهيئة تنتقل بالطبع إلى إمام نوع الإنسان، لأن كل فرد من الإنسانية له مقام في إمامه، فتلك الهيئة تتصل بالتجلي بواسطة إمام النوع. و قد جاء في الحديث: "إن الملائكة تصعد بأعمال بني آدم إلى الرب،

[274] المراد به صفة الإحسان كما ذكر في حديث جبرائيل.

في ساعة الصباح و في ساعة المساء.[275] عندنا فعل الملائكة عنوان لتلك الهيئة، فالله يرضى عن تلك الهيئة و يحدث في التجلي لون الرضا بعد وصول تلك الهيئة إلى حظيرة القدس. و ينزل تأثير رضاء الله، و هذا اللون إلى العبد من الطريق به رخصت هيئة أعماله. هذا معنى ذكر الله لعبده، فيجد العبد في قلبه فرحا و سرورا؛ نتيجة رضي الله عليه، ثم يزيد في أعماله. هذا الصعود و النزول في الأعمال هو لازم خلق الإنسان، فيحدث في قلب مثل هذا الرجل بصيرة في الاجتماعية حتى تصير تلك البصيرة الراسخة في نسمة، فيجد في الاجتماعية أشياء توافق مزاجه، فيفهم أنها من أمر الله، و ما خالف مزاجه، يفهم أن الله ينهاه عن ذلك. فالعمل لتكميل تلك البصيرة هو الشكر، متبعا لتلك البصيرة يعمل الأعمال مستديما، فإذا خالفها و عمل أعمالا تضاد بصيرته، هذا هو الكفران. فههنا أصلان من أصول الأخلاق: 1- الذكر و 2- الشكر. فإذا كان الرجل مثل ذلك صاحب بصيرة يجد تعاليم الأنبياء موافقة لذلك الأساس فيدخل في جماعتهم.

الآن تلك الفردية تتكامل بالجماعة عشر مرات أزيد من انفرادية أو أزيد من ذلك إذا كان نسبة إلى تعلقه بالله موافقا لنسبة إمام الاجتماع. فكل شئ يأتي إلى الإمام من حظيرة القدس هو يجد كأنه أتى إليه.[276] فمن هذا الطريق يتضاعف أعماله نتيجة فالقرآن دعى الناس إلى ذلك العمل الطبعي، و هذا مقتضى الفطرة السليمة القومية. قوته في لطيفة الحجر البحت تجبره على ذلك، هو في قلبه يضع إسما لربه فيذكره، فإن سمع من أخر إسما وافق طبيعته يقبل منه مثل أصول حدوث اللغات. فإذا رفع ذلك الإسم الذي قرأه هو بنفسه فيراه مقبولا ههنا، يزيد الفرح و السرور في قلبه. يذكره بذلك الإسم، يتمكن لدعوة ربه بذلك الإسم و يقبل منه الناس فيصير إسما للرب في لغة قوم إذا كثر أتباعه. فتعليم الناس الأخلاق الإلهية مع تنبه الحكمة هو طريقة الأنبياء."**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**".

قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (153)**" فإذا تكامل بصيرة هذا الرجل في الاجتماعيات فالطريق الذي ثبت عنده رضاء حظيرة القدس عليه إما بتحققه

---

[275] عن أبي موسى، قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات، فقال: "إن الله عز وجل لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل...". القشيري، مسلم، **صحيح مسلم**، دار أحياء تراث العربي، كتاب الإيمان، باب قول عليه السلام: إن الله لا ينام، 1: 161.

[276] أتي إليه ضمن هذا الطريق

في نفسه كما يكون أكمل الرجال، و إما بانشراح صدره لتقليد إمام من آئمة حظيرة القدس. فالسلوك على تلك الطريقة في الاجتماعية هو المرضى في حظيرة القدس.

قوله تعالى: "**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ** (**154**)" و المخالفون لتلك الطريقة يعارضونه لابد، فاستقامة على طريقة هو الخلق الثالث. فهذه الاستقامة ربما تفضي إلى القتل في سبيلها، هذا الرجل أكمل حياته فمنعوا أن يقولوا أنهم أموات؛ يعنى أن هذه هي عين الحياة. ذلك الموت يعده الرجل حياة هذا هو نتيجة الصبر.

الخلق الثالث الاستقامة على طريقته، هى المسمى بالصبر. هذه الحياة لا تشعر بها عامة الناس كما في قوله تعالى: "**وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ**" الآن إذا ثبت مقامه في حظيرة القدس دامت حياته، و صار حيا دائما، و إذا لم يقدر على إثبات مقام له في حياته الدنيا هو مثل الأنعام أو دون ذلك.

قوله تعالى: "**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** (**155**)" المصائب تأتي على سالكي طريقة مرضية في الملاء الأعلى قسمان: 1- مصيبة عظيمة لكنها فردية مثل الموت، فان صبر في تلك المصيبة فيحرم في قانون القرآن أن يقال له أنه مات.
2- مصائب صغيرة متوالية متواترة، ذكرها في قوله تعالى: "**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْء**....".

تنبه: التعلق بحظيرة القدس له إنحاء كثيرة في ذهنية الإنسان. المحبة الغالبة المنسية لكل شئ سواها تسمى بالعشق في لسان المتأخرين. الخوف يكون من الخارج. الأعداء يخيفون الناس، فيكون سبب قوة الأعداء من الخارج، و الجوع يكون لنقص في ضروريات قوام الإنسان، فيكون نقصانا من الداخل. فالخوف و الجوع يحصلان النقصان الخارجي و الداخلي كليهما. و رأس المال الذي يعمل به الإنسان في الاجتماع يكون مركبا من رجال و أموال، و العمل يكون مقصده زيادة الثمرات بزيادة الرجال. و الأموال فيكون أكثر مرجوا بنقص من نفس رؤس الأموال أو بنقص الرجال الذين أخذنا بهم في العمل. أولا يترتب الثمرات التي كنا نرجوها و إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ**..." فتلك المصائب الصغار تستديم فتصير عظيمة، و من خرج من هذا الامتحان خالصا أي جرى على طريقة، و لم يرجع و لم يسكن يقال له صابرا، مثل من قتل في سبيل الله، و إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**". فالاستقامة على السلوك هي الصبر مع تحمل المصائب و المشقات الآتية و المستمرة.

و لما كان الأمر راجعا إلى الجماعة فموت بعض الأشخاص لا يغتر الباقي عن أعماله بسبب موت أصحابه. هؤلاء هم الصابرون و قد نبه الله المسلمين في قوله "**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**"[277] أن موت الرسول أيضا لا يمنع عن الثبات في الأعمال.

قوله تعالى: "**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156)**" إذا أصابتهم مصيبة تمنعهم عن العمل فلا يمتنعون، فإنهم يقولون إنا لله، ونحن مأمورون من الله فكيف نمتنع؟ يعبدون الله حتى الموت، و لا ييأسون من عدم حصول الثمرات، فإن الثمرات في الحقيقة في حظيرة القدس و هى محفوظة. فكان حاصل المعنى أنهم مستمرون على أعمالهم بكل قوة و استبشار.

قوله تعالى: "**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (157)**" رحمة الله واصلة إلى كل خلقه. و الرحمة التي تكون مختصة بالإنسان تسمى صلاة، لأن فيها اتصالا بالله بالتجلي الأعظم. فكانت الصلوة مشتقة من الاتصال؛ و إما ماخوذة من صلى النار؛ إذا أكلت النار و يفني الخشب و تبدلها نوعا آخر، هكذا الاتصال، لأن في حظيرة القدس يبدل الإنسان حياته الدنياوية، فصار مثل من أكله النار، و يعبر عنه المتأخرون بالفناء، أو يتصلون بالله، هذا النوع من رحمة مختصة بالإنسان. هؤلاء الصابرون يستحقون في حظيرة القدس أنواعا من الرحمة كما في قوله تعالى: "**أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ**".

في بعض الأحاديث أن بعض المؤمنين يدعون من أبواب الجنة الثمانية.[278] ففيه إشارة إلى أنهم يستحقون أنواعا من الرحمة و كذلك يستحقون من الرحمة التي هي لجميع المخلوقات. قوله تعالى: "**وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**" أي على فطرتهم كما في قوله تعالى: "**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (1) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى**

---

[277] آل عمران: 144

[278] عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة، دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد، دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة، دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام، دعي من باب الريان " قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم، وأرجو أن تكون منهم». القشيري، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة و أعمال البر، 2: 711.

(2) **وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى** (3)"[279] إن الله بحكمته خلق الأنواع لمعاني مختصة بها، فسوى صورتها و موادها لإتمام ذلك المعاني، ثم أوجد أسبابا ليهتدى ذلك النوع لما خلق له. فلا يخرج من ذلك المسلك و بذلك يتم ما أراد الله منه، هذا يسمى هدايته. هؤلاء هم الذين أكملوا ما خلق لأجل الإنسانية.

و بذلك تم ثلثة أصول من الأخلاق القرآنية، و ذكر الخلق الرابع في الآية بعدها، نسميه في حكمة الإمام ولي الله بتعظيم شعائر الله؛ تفصيله أن الله بعد ما خلق نوع الإنسان، و سوى خلقه، هداه إلى تكميل المقصد بواسطة خلفاء حظيرة القدس، والذين ينوبون منابها. فإن المقصد من خلق الإنسان عندنا هو تحصيل مقامه في حظيرة القدس. فجعل رجالا من نوع الإنسان ليسهل الأخذ عنهم، معلمين لطريقة حظيرة القدس. و هم في ذلك العمل مثال العرش لتجلي الرحمن.

ذلك الجماعة من شعائر الله إذا التبس الإنسان لصحبتهم يحي شعوره و يربو قلبه مثل المطر للنبات. هم يجعلون مركز اجتماعهم، هذا أيضا يلتحق بشعائر الله. و هم يكتبون طريقهم في كتاب لتستمر الهداية منه و للغائبين، هذا أيضا من شعائر الله. فنلخص أفكارنا في مثال: المدرسة تقام في الأرض لدرس علوم الملأ الأعلى، فالأستاذ فيها يسمى برسول الله، و الكتاب الذي يدرس فيها يسمي بكتاب الله، و البيت الذي يدرس فيه يسمى بيت الله. هؤلاء هى مسمى بأصول شعائر الله.

و الرجل إذا تكامل تعليمه في تلك المدرسة، و قام في هيئة تظهر كما له، هذا الرجل أيضا يلتحق بشعائر الله، و تلك الهيئة تسمى بالصلوة. فالصلوة القائمة في بيت الله أيضا من شعائر الله، لأنها تظهر أن هذا هو المقصود من التعليم. و تفصيل هذه الشعائر الأربع مثبت في باب خاص في **حجة الله البالغة**. و ما وجدنا الاعتناء بتلك المسألة لأحد من فقهاء الإسلام و حكمائه مثل اعتناء الإمام ولي الله. فتعظيم شعائر الله عندنا هو الأصل الرابع للأخلاق الربانية الإلهية.

هذا البيت من شعائر الله، أقامه إبراهيم لتعليم الدين الحنيفي. و المتصل بالبيت قطعتان من الجبل: الصفا و المروة، لها عظمة في تاريخ البيت. المروة: هى المقام الذي أراد إبراهيم ذبح ولده إسماعيل عليه السلام. الحج (الأصغر) حقيقته هو الذي نسميه اليوم بالعمرة. و المنحر في العمرة هو المروة، ثبت

---

[279] الأعلى

ذلك في **موطأ** لإمام مالك.[280] فالمروة من شعائر الله، فما جرى على الصفا أولا نسينا تاريخه و نتفرض لعل إبراهيم أقام عليه للدعوة إلى الحج، يعنى تعليم الحنفية. لكن نعرف من تاريخ نبينا واقعة عظيمة نزل في القرآن "**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**"[281] فقام النبي و دعا عشيرته، و قام أبولهب بمناقضته. هذا أيضا نزل في القرآن، فلتلك الدعوة و تلك المناقضة منزلة مخصوصة في الدعوة القرآنية.

و الذي حفظ من خطبة النبي في ذلك المقام، أشار إلى جبال أمامه، و قال: لو أخبرتكم أن جيشا من وراء هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم! فقال لهم: "إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" و كذبوه.[282] يوم فتح مكة جاء الجيش من وراء الجبل و هو الذي كان النبي أراده بقوله: "**بين يدي عذاب شديد**" فأسلم الذين ناقضوه ذلك اليوم. فأخذ بيعتهم قائما على ذلك المقام من الصفا. و الدعاء الذي نقرأه على الصفا الحمد لله الذي وعد عبده و نصر عبده و أعز جنده و هزم الأحزاب وحده حفظا لتلك الواقفة.[283] فلو تأمل متأمل تلك الواقعة وحدها تكون وحدها دليلا على نبوة نبينا عليه السلام.

هذا يقدر إنسان بعقله و احتيالاته أن تتميم هذا الأمر على هذا الأمر على هذا الطريق بعد عشرين سنة لا يقدر عليه أحد كائنا من كان في مثل الحالات التي جرت على نبينا. فليس ذلك إلا أمرا

---

[280] عن مالك أنه بلغه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بمنى: «هذا المنحر وكل منى منحر»، وقال في العمرة: «هذا المنحر - يعني المروة - وكل فجاج مكة وطرقها منحر». لينظر: مالك، **موطأ**، لبنان-بيروت- دار إحياء تراث العربي، كتاب الحج، باب ما جاء في النحر في الحج، 1: 393.

[281] الشعراء: 214

[282] عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية: {وأنذر عشيرتك الأقربين} [الشعراء: 214] ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا، فهتف: «يا صباحاه»، فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد، فاجتمعوا إليه، فقال: «يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب»، فاجتمعوا إليه، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟» قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، قال: فقال أبو لهب: تبا لك أما جمعتنا إلا لهذا، ثم قام فنزلت هذه السورة تبت يدا أبي لهب وقد تب، كذا قرأ الأعمش إلى آخر السورة. لينظر:مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب قوله تعالى: و أنذر عشيرتك الأقربين، رقم الحديث 355، 1: 193. و أما الرواية التالية فيها ذكر الصفا كما نقل عن الأعمش بهذا الإسناد قال: صعد رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات يوم الصفا. رقم الحديث 356، 1: 184.

[283] عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يقول: «لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده». لينظر: مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الذكر و التوبة و الدعا و الاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل و من شر ما لم يعمل، 4: 2089.

إلهيا ظهر علي لسان عبده و على يدي عبده. تلك الواقعة لها خصوصية بالصفا و نظن أن دعوة إبراهيم كانت مثل ذلك على هذا المقام الذي أشاره "**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ**" و أكمله على أيدي نبينا محمد صلى الله عليه و سلم . نحن نرى أن الصفا و المروة لهما اختصاصا بالبيت في تأثير دعوته. هذا معنى قوله تعالى: "**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (158)**"

كانت الصابئة أقامت عليهما شعائرهم من الأصنام، فبعض الناس امتنعوا عن الطواف بينهما لذلك الاشتباه، فأنزل الله ذلك. إن الصابئة كانت عارضة و زالت، و لهما مقام مخصوص في الحنفية. "**فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا**" هذا رعاية للمخاطبين و إلا فالمعنى يجب عليهما أن يطوف بهما، و إن كان معناه أن الطواف مباح، فما معنى قوله تعالى: "**وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ**" و إنما يستقيم إذا كان أصل الطواف فرضا مرة و أوضحت ذلك عائشة في روايتها.[284] والمروة، لها ذكر في التوراة في **التكوين** في صحيفة إبراهيم. هذا الخلق الرابع تم على رقم الآية 158.

بعده من قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (161) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (162) وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (163)**". ذكر إنذار لمن يكتم آيات الله، فتعقب ذلك الإنذار بعد بيان الأربعة، أخذت منه معنى، و أنا أفتخر به، فالذي أخذته هو تعميم التعليم فرض على جميع المسلمين، فمن كتم ذلك يدخل جهنم "**يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**" فان ماتوا على ذلك هم كفار، عليهم لعنة الله "**خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ**". قوله تعالى: "**مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى**" البينات الأخلاق الثلاثة: 1- ذكر الله ، 2- شكر الله ، 3- الصبر ، فلا تجدون دينا

---

[284] عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قدمت مكة وأنا حائض، ولم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة قالت: فشكوت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «افعلي كما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري». لينظر، البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الحج، باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت...، 2: 159.

إلا و أهله يعرفون ذلك. و البينة مثل ما يقول المناطقة هي البديهة. و الهدى الذي يحتاج إلى تعليم و إرشاد هو بمنزلة قول المناطقة النظري، و المراد به تعظيم شعائر الله.

الخلق الرابع: فإن الإنسان لا يهتدى إليه إلا بعد التفهم و الإرشاد، وإنما يتميز الأديان بامتياز شعائر الله عند كل قوم "**مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ**" هذا يجب على الناس عامة أن يتعلموه، فمن آمن بالكتاب فالواجب على من حمل الكتاب أن يعلن ذلك لعامة الناس، فإذا كتموه و لم يبينوه أبطلوا هداية الكتاب من أساسه. فالذي يصد عن سبيل الله يدخل جهنم، و لم نجد من المفسرين من اهتدى إلى ذلك.

ورأينا الأقوام الراقية، إنما يقدمون على التعليم العمومي لأفراد القوم، و رأينا المسلمين في الدور الأول أي إلى فتنة عثمان سبقوا السابقين، فرجعنا إلى فهم حكمة تلك السبقة، و ذلك متقرر في ذهننا أن مثل ذلك لا يمكن إلا بتعميم التعليم، فاهتدينا أن المسلمين في الدور الأول قاموا بهذا الفرض و سبقوا السابقين. فلما قرآنا تلك الآيات أنهم إنما عملوا بذلك التعميم اهتداء بالقرآن، فتمت لنا النعمة على فهم الآيات و ربطها.

و نحن إذا قمنا بتلك الخطوة في جماعة المنذرين من ثبات المسلمين في بلادنا و أوضحنا لهم من الآيات "**فاذكروني أذكركم**" إلى "**و لا هم ينظرون**" يتحير الناس، و يقدمون على ما تأخروا من فهم القرآن، ثم رأينا في الروايات أنهم جعلو ذلك مختصة بأهل الكتاب. و روي مثل ذلك عن ابن عباس[285]، ذلك صحيح لان المتخلفين من ذلك الفرض ما كان يوجد بين المسلمين في تلك الأيام، فما يقدر المفسر في ذلك الزمان أن يأتي بمثال لذلك إلا من أهل الكتاب، فذكر اليهود كان للتمثيل فقط، و حرف الناس و جعلوه خاصا باليهود، ثم أثبتوا تحريفهم بزيادة كلمة في تفسير ما "**أنزلنا من البينات**" فيقولون أي نعت محمد كان الذي ذكر من قبل ليس له قيمة. و أين جاء ذكر نبينا في الآيات؟ و هم يقطعون كل آية عن سابقتها و لاحقتها، فهذا التفسير صار مقررا في كل التفاسير و ترك التدبر، هو الذي أداهم إلى تلك الدرجة من الجهل.

---

[285] عبدالله بن عباس : هو صحابي جليل،حبر هذه الأمة ، ولد بمكة سنة 3 قبل الهجرة ، وتوفي بالطائف سنة 68هـ. لينظر: ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة** (المتوفى 630هـ) (بيروت، دار الكتب العلمية، ت: أحمد علي المعوض ، أحمد عادل، ط: الأولى : 1415هـ) 3: 291-292

شبابنا كانوا يتفكرون في إيجاب تعميم التعليم على جميع الأفراد، و كانوا يفهمون أن الإسلام قصر في ذلك، فلذلك تأخر المسلمون، و حكماء الغرب أدركوا حقيقته، لم يصل إليها فهم المسلمين فتقدموا، و نحن مجبورون في التقدم إلى الاقتداء بهم، و رأينا في قلوبهم نوعا من احتقار أنفسهم، لما ذكرنا في مجمع مرة زال عنهم كل تلك الشكوك.

الباب الثالث:

في بيان أصول الاجتماعية الأولى التي تكون في الصحارى و الجبال، قال الإمام ولي الله في **حجة الله البالغة** في باب كيفية استنباط الارتفاقات. و لما كانت أي الارتفاقات لا توجد في جميع الناس سواء لأسباب كثيرة ،كان للارتفاقات حدان: الأول هو الذي لا يمكن أن ينفك عنه أهل الاجتماعات القاصرة كأهل البدو وسكان شواهق الجبال والنواحي البعيدة من الأقاليم الصالحة، وهو الذي نسميه بالارتفاق الأول.[286] قلت هذا الباب نحن جعلناه لتلك الدرجة باجتهاد منا.

قوله تعالى: "**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**" عندنا فيه إجمال للأخلاق الربانية الأربعة: ذكر الله، شكرالله، الصبر، تعظيم شعائر الله. كلها تتفرع من هذه الآية، حسبت أن "**إِلَهٌ وَاحِدٌ**" يوجب الأخلاق الثلاثة الأولى، والألوهية ماخوذة من الحب، فكلمة الله لا إله، إذا استعملنا عربيا لا يفهم العامة منه شيئا، العامة لا تستقر في ذهنهم إلا إذا جئنا بكلمة من لسانهم توازن تلك الكلمة. هذا الفكر أن في لسان الهند لا توجد كلمة توازن أسماء الإلهية في القرآن إنما يخطر ببال من لم يعرف لسانهم و من لم يعرف وسعته لترجمة الاصطلاحات الدينية في كل مذهب، ترجمة كلمة الله بكلمة "من موهن" و أهل الهند يستعملون تلك الكلمة في حق من يعتقدون ألوهية و ترجمة بالفارسية "دلربا" إذا كان كلمة الإله يستلزم الحب الشديد فيتولد منه الذكر و الشكر و الصبر. و من أراد فليقرأ الباب الأول من الصراط المستقيم للصدر الشهيد[287]، يفهم بسهولة، تفرع الأخلاق من الحب الإلهي، الحب العقلي و الحب العشقي.

و كلمة "**الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**" عندنا عنوان للتجلي الأعظم و حظيرة القدس، فيكون مشتبها لتعظيم شعائر الله، هذا كالأساس لاجتماعية قاصرة أيضا، و هى اللبنة الأولى للقصر الإنسانية.

---

[286] لينظر: ولي الله، **حجة الله البالغة**، مبحث الارتفاقات، باب كيفية استنباط الارتفاقات، 1: 84.

[287] هو سيد أحمد شهيد، صاحب كتاب **صراط مستقيم**.

قوله تعالى: "**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164)**" هذه آية لكسب معايش الإنسان. و الاجتماع في أول تقوم محتاج إلى طعام، لرجل و امرأة يكاسبها، فأول ما تكون الاجتماعية إنما هو تقوم لكسب المعيشة. قوله تعالى: "**لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**" في آخرها نحن نحملها على آيات كسب المعاش. "**وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ**" إشارة إلى التجارة لقوم يعقلون. قوله تعالى: "**وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ**" إشارة إلى الفلاحة و الزراعة. قوله تعالى: "**وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ**" فنوع من اكتساب المعاش باقتناء المواشي من الإبل و البقرة و الغنم و الفرس، و يلتحق بذلك ما يصيدونه في البراري و الصحراء. "**وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ**" الإنسان يستعين بتصريف الرياح في إنشاء المعامل و الآلات، فإجراء الرحى و إخراج الماء بتصريف الرياح معلوم للإنسان من قديم الزمان. "**وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ**" المراد من تصريف الرياح و السحاب المسخر إشارة إلى تسخير البخار "استيم"، و تسير المراكب البخارية كالقاطرات في البر، و كالمراكب الهوائية في الجو، و كالمراكب البخارية في البحر. والبخار يؤخذ من الماء أو الزيت. ثم السحاب إذا كان مسخرا بأيدي الناس لا يكون إلا بخارا، و منه يوخذ القوة الكهربائية، فالارتقاء في الارتفاقات كلها في عصرنا هو من تصريف السحاب المسخر بين السماء و الأرض لآيات لقوم يعقلون. بتلاحق الأفكار نتكامل العقول، فأسباب المعاش للعقل الإنساني كأنها كلها منضبطة. في هذه الآية عندي في خلق الأرض على الهيئات المختلفة إشارة إلى المعدنيات، و في خلق السماوات أي تغير المواسم و الفصول و الاستفادة منها في تنظيم الحياة. فأهل البلاد الباردة و أهل البلاد الحارة يهتدون في معاشهم ما يناسب بلادهم و مواسمهم، هذا يكون مستفادا من اختلاف الليل و النهار أيضا. فالمعلوم الرياضية، ثم العلوم الإلهية أيضا تكون أسبابا لمعاش الإنسان في الاجتماعية، و هى مستندة إلى السماوات، بجعل كلمة السموات عامة تشتمل الكرات السماوية، و عالم المثال، فالعلوم التى تنشأ منها بعد تكامل عقل الإنسان تكون فيها أيضا آيات لقوم يعقلون. فمؤسسس الصابئة من الأنبياء إدريس عليه السلام، هو الذي جاء بالعلوم الرياضية و الإلهية. فالاجتماعية التامة للإنسانية في تكاملها كما تحتاج إلى الأرض تحتاج إلى السماء، و المفسرون عامة يجعلون الآيات لتذكير الرحمن فقط. بالتكميل الذي جاء به القرآن لا يرجع دائما إلى التقهقر كأنه لم يخاطب في القرآن إلا أعراب البادية.

فمن الآيات نأخذ أن أسباب المعاش كلها راجعة إلى خلق الرحمن و مستمدة من رحمة الرحيم فيجب على الإنسان أن لايعبد لمعاش سوى الرحمن أحدا، و يصبر على أصول العقائد التي أخذها في الباب الأول السابق.

قوله تعالى: "**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (165)**" إشارة إلى من يستعبد الناس لغلبتهم على أسباب المعاش للإنسان. و الخطاب في الآيات للذين يعبدونهم فقط. "**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا**" عندنا معناه مراكز لمعيشتهم من سلطان او عالم أو زاهد بإطاعة الناس لهم، يحصل لهم الرزق في الاجتماعية. "**يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**" فاذا جعلوا من هو وسيلة الرزق مقصودا بالمحبة كأنهم أشركوا بالله، لأن الإنسان بفطرته لا يحب ربه إلا لما يراه أنه يقضي حاجته، هذا هو الفطرة العمومية للإنسانية. "**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**" منهم لأندادهم، هذا يكون منهاج المؤمنين، كل ما رآوا أحدا أنه يعظم بذلك من اتخذه وسيلة لرزقه، يعني ندا لله، فالمؤمن يعظم ربه بأكثر من ذلك، بذلك يتعين طريقة المؤمن ممتازة من طريقة المشرك. "**وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ**" لعلهم يتنبهون. الآن نتيجة أعمالهم، لأن الفطرة الإنسانية انحرفت من مركزها. الإنسان يرى أن القوة لله، هذا إذا تفكر ينتهي إليه فكره، و لعل الإنسان تنبه أن مركزه مرجعه هو الله بسبب اقتضاء من ذاته، فإذا انحرف عن الله يجد نفسه في أشد العذاب، هو لا يتنبه بقوة نفسه و يتنبه بأن الله شديد العقاب، و هذا القدر يتمكن منه الإنسان في الاجتماعات القاصرة أيضا.

ثم قوله تعالى: "**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (166) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (167)**" بيان لما ينتجه غلطهم في دار الدنيا نتيجة في حياتهم بعد الموت. "**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ**" هذا كله نتيجة الجهالة السابقة في دار الدنيا. و على هذه الآية تم الفصل الأول من الباب الثالث؛ و هو بيان كسب المعاش من مصارف الفطرة، و الرجوع إلى الله باريها فقط. الذي يغلط في ذلك فيكسب الرزق من أيدي الناس لا يرجع إلى مسئولية في نفسه، و لا يتفكر في التي هي مخلوقة، يدخل النار، هذا جعل الأنداد كأنه نسي أصول الباب الأول، أولم يعلم حامل الكتاب تلك الأصول فأدى ذلك إلى العذاب.

الفصل الثاني: هو صرف ما كسبوا و الاستفادة من المعاش بعد الكسب، فأول الاستفادة هو الأكل، نشرح قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (173)**" فالذي كسب من المعاش فيه أشياء يستطيبها الإنسان، و فيها أشياء يستخبثها بفطرته؛ هو أكل الطيبات، و إليه الإشارة "**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ...الخ**" ثم الرجوع إلى الأصول الأولية واجب عليهم في كل حال بتلك القوة التي حصلت لهم بالأكل، يسلكون سبيل الله في الاجتماعية، إليه الإشارة في "**وَاشْكُرُوا لِلَّهِ**" و المستخبثات عند العامة اثنتان: 1- الميتة، 2- الدم المسفوح. أما الميتة فهي تجعل الإنسان عدم الهمة و الضعيف، و الدم يجعل الإنسان قاسي القلب، فالفطرة السليمة يستخبثها. الإنسان إذا أكل الميتة يذهب بها همة، و لا بد أن يأكل من يصيده.

تحريم الخنزير عند الحنفاء:

ثم آئمة الحنفاء يحرمون الخنزير أيضا، لأن فيه مضادة للفطرة الإنسانية من الاشتراك، و ذلك الفعل لا يجوز في أي صورة ما، فإن كان فيه فوائد، فتحريمها لعظم ضررها. "**وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ**" هو شعار للحنفية ، فالله إنما حرم عليهم أشياء، بعضها بينة. فطرة الإنسان تكفي في تحريمها، و هي كالبينات، و البعض يحتاج إلى ا سترشاد، هو الخنزير. "**وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ**" فهي كالنظريات، لكن هذا التحريم على المستطيع. فمن اضطر فيه، من يحكم بأنه مضطر؟ أولا فوض ذلك إليه، فيثبت الكتاب استعمال القوة الفكرية على حساب مسؤلية في أداء ما وجب عليه، و هذا الذي أبطله من اتخذ من الناس أنداد لله، فالأنداد لايتركون لهم أن يتفكروا بأنفسهم. فالطيبات التي أحلها الله لنا هي غير المحرمة. و في متن القانون الإنسان يأكل طيبا غير محرم أو بألفاظ آخر حلالا طيبا، و إليه الإشارة في قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168)**" هذا القدر من التقيد بالقانون لا يخلو منه الاجتماع القاصر أيضا، هو أساس لارتقاء الإنسانية في التمدن، إليه الإشارة "**وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**" هو عدم التقيد بقانون ما، و هو اتباع الهوى.

قوله تعالى: "**إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (169)**" ما يكون مستخبثا فهو المراد بالسوء، و ما يكون محرما ارتكابه في الاجتماعية يحتاج إلى ترك الحياء من الناس،

هو المراد من الفحشاء. و اتباع الهوى لا يسلك بها إلى حظيرة القدس، و إليه الإشارة "**وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**" الطريق إلى حظيرة القدس إنما تؤخذ من رجال كاملين، رأوها أو كأنهم يرونها، و بدون تحصيل تلك الدرجة الحكم عليها جهل، يحكم الإنسان على الله بما لا يعلم، هو تعبير عنه بلفظ آخر.

قوله تعالى: "**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (170)**" يعني لارتقاء الاجتماعية يجب أن لا يؤسس الأساس الأعلى ما يوافق الفطرة الإنسانية، و هي اتباع حظيرة القدس. "**قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**" لايتقيدون بالقانون الصحيح، إذا كانوا هم يتبعون آبائهم، هذا ليس بمخالف للفطرة، إذا كانوا يميزون بين الآباء الذين يتبعون الفطرة، فيقتدون بهم، و الذين رأوا منهم عدم اتباع الفطرة يتركونهم، أما إذا تركوا التميز فمعنى هذا أن آبائهم ما اتبعوا الفطرة، و هم يتبعونهم، يعني يخالفون الفطرة و إليه الإشارة "**أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**" و الذين توغلوا في جهلهم، و لم يصاحبوا من تقيد باتباع حظيرة القدس لا يمكن منهم ارتقاء الإنسانية، هم ليسوا إلا كالحيوانات الذين لا يفهمون نطق الإنسان و لا ارتقائه في التداوير الارتفاقية، هذا التعليم إنما توجب على الناس ليستأهلوا للارتقاء الأعلى، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (171)**" فالذين كفروا مثل الحيوان الذي ينعق له، الإنسان لا يخاطبه إلا نعقا و دعاء فقط، هم لا يعقلون شيئا من الارتقاء و لا يستعملون سمعهم و أبصارهم و لا لسانهم. فالذين يجعلون أعراب البادية مادة تعاليم القرآن يبعدون عن فهم المطالب.

قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (174)**" هذا الفصل الثاني، معناه التقيد في المأكولات بشيئين: ألا يكون خبيثا يرده الطبع، لا يكون مخالفا لما اجتمع عليه آئمة تكميل الإنسانية، هذا التقيد لازم. في الفصل الأول تقيدوا بالاعتماد على الله في اكتساب المعاش، و في الثاني تقيدوا بترك المستخبثات، و ترك ما نهى عنه آئمة الاجتماع، هذا القدر من أصول الإنسانية بعد أصول الأخلاق أيضا. يجب التعليم لعامة الناس، لأن الاجتماعية من الفطرة إنسانية، فإذا خلا عن الاجتماعية بعد عن فطرته. فهذا الباب من ضروريات الإنسانية باعتبار كونه أدنى درجات

الاجتماع يجب تعميم مثل الأول، فالذين يكتمونه أيضا يدخلون النار، و يلعنون مثل الأول. وفي آية 174-176 بيان ذلك بالتفصيل. و قد ذكرت آية 174 و لنذكر هنا آية 175-176.

قوله تعالى: " **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (175) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (176)**" لا يمكن إجبار التعليم على الناس عامة إلا على قدر الدرجة الابتدائية، و هذا جزء من الابتدائية مثل الأول. كان التعليم يتم في سنتين، بعد ذلك لم يأت مثل هذا التهديد إلى آخر السورة. كنت أتعجب من تكرار مثل هذا التهديد بعد آيات، فلما أدركت أن هذا أيضا يجب تعميم استشفيت بحمد الله.

قوله تعالى: "**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ**" أي في عين ضرورة الناس (***یعنی لوگوں کی قانونی بھوک کے وقت کتاب بھیجی***) فالكاتم أمات الناس كلهم بالجوع مما أعظم جرمه. "**وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**" إن الذين اختلفوا في الكتاب يمنعون الناس من الاهتداء بالكتاب. والثاني بمثال يتضح به وخامة هذا العمل الشنيع؛ و هو أن رجل قوي له أتباع، و هو جالس في البادية، يملك غديرة من الماء، المجتمع من الأمطار، وصل إليها ناس عطاش يستسقون، فهذا الرجل يمنعهم بقوته حتى يموتون، فهل يوجد في الدين قانون يرحم هذا الجافي؟ هكذا هؤلاء حملة الكتاب الذين لم يبلغوا إلى الناس تلك الأصول الابتدائية، هم بالإسم يقولون نحن يهود و نصارى و مسلم، و في الحقيقة هم بعيدون عن الحق. و إثم موتهم جهالا كله راجع إلى حاملى الكتاب مثل الحمير، و لا يتركونهم أن يهتدوا من قوم آخرين. و بذلك تم الباب.

فتح العزيز (تفسير سورة البقرة) للإمام عبد العزيز؛ ففيه بعض الأشياء ضعيفة موضوعة لكن كلها مثل استعمال الحكماء الأساطير، فلو ترك تلك الروايات ما استمع الناس كلمة، و هو الذي أوصل حكمة الإمام ولي الله إلى الناس عامة، أو هو جعل طريقة والده درسية و أدخل علومه في المدرسة. فأول من قام

لإعانته في أعماله هو إخوته الشيخ رفيع الدين[288] الشيخ عبد القادر[289] هؤلاء مشهورون بأعمالهم الخاصة، و من آئمة دروس مدرسة الإمام عبد العزيز ثم في الطبقة الثانية قام الصدر الشهيد محمد إسماعيل[290] ابن أخيه الشيخ عبد الغني[291] و الشيخ الصدر الحميد محمد إسحاق[292] إبن بنته الذي جعله في مقامه (بعده).

و من هاتين الطبقتين خرج مئات من الناس ملؤا أرض الهند، فلا تجدون رجلا له إسناد حديث إلا و يرجع إلى الإمام عبد العزيز. و بعد فراغ من تلك نظم برنامجا للجهاد و الانقلاب، و هؤلاء الذين تخرجوا عنده قاموا بذلك الأمر العظيم. فمشائخ الديوبندية كانوا من أتباع (الشيخ اسماعيل و الشيخ

---

[288] الشيخ رفيع الدين عبد الوهاب بن ولي الله الدهلوي المحدث المتكلم الأصولي، فريد عصره ونادرة دهره، ولد بمدينة دهلي سنة 1749م ، ونشأ بها، واشتغل بالعلم على صنوه عبد العزيز، وأخذ الطريقة عن الشيخ محمد عاشق بن عبيد الله البهلتي، وصنف التصانيف: **دمغ الباطل** و **أسرار المحبة** و **تكميل الصناعة**، واعترف بفضله علماء الآفاق. وتوفي سنة 1817م. ولينظر: الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر**، 7: 974-975

[289] الشيخ عبد القادر بن ولي الله الدهلوي أحد العلماء المبرزين في المعارف الإلهية، اتفق الناس على ولايته وجلالته، فقرأ العلم على صنوه الكبير عبد العزيز ابن ولي الله، وأخذ الطريقة عن الشيخ عبد العدل الدهلوي، وجمع العلم والعمل والزهد والتواضع وحسن السلوك، ووضع الله سبحانه له المحبة في قلوب عباده، صاحب **موضح القرآن**، و توفي سنه 1230هـ. ولينظر: الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر**، 7: 1027.

[290] الشيخ الشهيد إسماعيل بن عبد الغني ابن ولي الله الدهلوي أحد أفراد الدنيا في الذكاء وقوة النفس والصلابة في الدين، ولد بدهلي سنة 1193هـ كان بحراً زاخراً في المعقول والمنقول، ثم لازم السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد البريلوي، وأخذ عنه الطريقة، فجاهد معه في سبيل الله مع البشتون ضد الإمبراطورية السيخ، واستشهد في بالاكوث من أرض ياغستان (الآن باكستان) سنة 1246 هـ. من كتبه **رسالة أصول الفقه**، وله في التوحيد والتصوف **تقوية الإيمان** وهو بالأردية، و **العبقات**. ولينظر: الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر**، 7: 914.

[291] الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي أحد العلماء الربانيين، كان من ذرية الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي إمام الطريقة المجددية رحمه الله، ولد في شهر شعبان سنة 1235هـ بمدينة دهلي، وحفظ القرآن، وقرأ النحو والعربية، واشتغل بالحديث طول حياته، وأخذ عنه خلق كثير من العلماء. توفي سنة 1296هـ بالمدينة المنورة. ولينظر: الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر**، 7: 1024.

[292] الشيخ أبو سليمان إسحاق بن محمد أفضل الدهلوي، المهاجر إلى مكة المباركة، ودفينها، كان سبط الشيخ عبد العزيز ابن ولي الله الدهلوي. ولد سنة 1197 هـ بدهلي، قرأ سائر الكتب الدراسية على الشيخ عبد القادر الدهلوي، و تفقه عليه و أخذ الحديث، و توفي بمكة سنة 1262 هـ. ولينظر: الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر**، 7: 911-912.

إسحاق) جددوا طريقة مثل طريقتهم حتى وصل إلى شيخنا شيخ الهند و أتباع شيخنا بعده جددوا في المبادي بإشارة شيخنا.

الباب الثالث: و الاجتماعية المتوسطة في القرى العامرة من رقم الآية 177 إلى –الآية– 215.

الاجتماعية في القرى المتمدنة هي التي نسميها بالارتفاق الثاني. تلك المدنية هي لازمة الإنسانية و تنتج المدنية العالية الإمبراطوريات. فالمدنية العالية ليست بلازمة للإنسانية يتداولها أقوام. أما المتوسطة فلا يكون يخلو منها اجتماع صالح، فمثل تلك المدنية كانت في قرى الحجاز، أم القرى و الطائف و المدينة (يثرب) هي التي بعد إصلاحها اتخذها القرآن قاعدة للاجتماعية العالمية.

أعراب البادية كانوا في الاجتماعية الأولية؛ هم مادة لتلك الدرجة الثانية من الاجتماعية، لكنهم في ارتفاقهم الأول ليسوا بمخاطبين بالقرآن لإدارة أحكام، و ينظمون اجتماعهم، بل هم يدخلون في اجتماعية القرى، و يطيعون أحكامها مثل التفقه.

قد حرم عند كثير ممن يتكلم في تفسير القرآن، فأنزلوا القرآن إلى درجة لا تناسبه كأنه ليس فيه إلا أمور اجتماعية في الدرجة الأولى فقط، و ليس فيه من الأخلاق و المعارف إلا بقدر ما يناسب تلك الدرجة الابتدائية فقط. فالتفاسير عامة تشتمل على بيانات نازلة، فصارت تلك التفاسير سببا لإعراض الحكماء من التدبر في القرآن، و يظهر ذلك في عصرنا هذا الإنكار من حكماء أوربا بتعليم القرآن، فإن أولاد المسلمين صارت محتاجة إلى التعليم من حكماء أوربا، فالمسلمون يحترمونهم بالواسطة، و هؤلاء الحكماء لا يلتفتون إلى القرآن إلا بالإنكار. فالإنسان إذا تأمل يعلم أن إنكارهم لا يرجع إلا إلى التفاسير الموجودة، و لم نجد أحدا ينبه الناس أن خطاب القرآن يتوجه إلى أصل الاجتماعية المتوسطة سوى الإمام ولي الله فقط. و قد حرم بذلك في **البدور البازغة**[293] و يدركه الفطين في عامة كتبه.

---

[293] هذا الكتاب مشتمل على فاتحة و ثلاث مقالات. الفاتحة تبحث عن بعض المسائل من الحكمة – الوجود و وحدانيته تعالى و كونه المبدأ الأول. المقالة الأولى تبحث عن أحكام إمام الإنسان، و خصائص الإسلام، و علم الأخلاق و الارتفاقات الأربعة. المقالة الثانية تبحث عن وجوه اهتداء بني آدم للقرب إلى الحق و البعد عن الباطل. أما المقالة الثالثة تبحث عن الملل و الشرائع حقيقتها و مميزاتها. ولينظر: صغير حسين معصومي، مجلة **فكرونظر**، يوليو 2016، 29-32.

و الناس على قسمين: 1- ما يجعلون الإمبراطوريات الراقية التي أقامها الإسلام، هى المقصودة من تعاليم القرآن، فيفتخرون على التاريخ فقط: العرب على دمشق و الأندلس و شئ قليل من بغداد. العجم على بغداد، و ما تفرع منها من الحكومات. تلك الغوغات ملأت العالم كلها. و في زماننا بطلت الإمبراطوريات كلها، هذا الذي هو دور الانقلاب، فغلب على النفوس أوهام نسخ القرآن، فتلك الخيالات الباطلة مبنية على أساس باطل. تلك الإمبراطوريات التي متافخر بها عامة أهل العلم إذا تدبروا في القرآن لفهموا أن القرآن قام بإبطالها، و رد الناس إلى اجتماعية صالحة تناسب الفطرة و في الاجتماعية الوسطى فقط.

و لذلك حكى عن كل قوم تمدنت تمدنا عظيما في التاريخ، بين أسباب هلاكهم أنهم لانغماسهم في مرافق الحياة الدنيا صاروا غافلين عن أمور الآخرة، و مراده بذلك ما يلزم الظالم من العواقب من الخسران و العذاب الأبدي. و حكم على المدينات العالية أنها تستلزم الظلم، يبنون البناءات العظمى لطوائف مخصوصة فقط، تلك نتائخ الإمبراطوريات، و هي أسباب هلاكهم و ابتلائهم بالعذاب الأبدي. بعد ذلك كيف يفتخرون على إمبراطوريات مثل إمبراطوريات الأمم الهالكة.

و يرشد الإمام (ولي الله) الناس مع تأمله الشديد من عدم استماع الناس إرشاده أنهم يرجعون بأنفسهم إلى اجتماعية وسطى، لكن ما يدرك الناس قوله و لم يعملوا به. أنا مستيقن أنه لو توجه حكيم مثل هذا في تفسير القرآن يكون القرآن حجة اليوم أيضا على حكماء أوربا.

قوله تعالى: "**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)**" هذه الآية مشتملة على الأمور الإيمانية من الأخلاق الأربعة، و من الاجتماعية الأولى على تفصيل يناسب الاجتماعية المتوسطة. فالتقيد بالقانون، و بطلب الرزق من الفطرة التي فطر الله عليها بالاكتساب من معادن القدرة و عدم ترك الأصول الأربعة لاتباع رجل تغلب على معادن الارتفاقات. الاستمرار على هذا يحتاج إلى تمركز للاجتماعية، و المركز هو شعائر الله، فبيت الله الذي يقوم فيه نبي الله، يدرس كتاب الله و

يقوم المسلمون لإقامة الصلوة حوله. هذا المركز له صورة و له معنى، فالقرآن في هذه الآية يدعو إلى المعنى و ينكر الاقتصار على الصورة فقط.

قد ذكرنا أن الأقوام لا يختلفون في التدين بالأخلاق الثلاثة: الذكر، الشكر و الصبر. إنما يختلفون بتعدد مراكز شعائر الله عندهم، فيكون من تعظيم شعائر الله عندهم التوجه إلى تلك القبلة في صلاتهم إذا غابوا عنها فصار مقررا عند الناس في عاداتهم أن كل من رأوه متوجها إلى قبلتهم يعدونهم من ملتهم. فالقرآن ينكر الاقتصار على هذا، بل يجعل من الواجب أن ينظروا إلى المعاني المقصودة، هل قام بها أهل قبلتهم و أهل ملتهم أم لا؟ فإذا لم يقوموا بها لا يجعلونهم من المتقين الصادقين بل هم كالمنافقين. فقوله تعالى: "**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ**"

فالاجتماعية الراقية تجعل تفسير الأخلاق الأربعة و ما بعدها من الاجتماعية إلى الإيمان التام المفصل بحظيرة القدس. فحظيرة القدس فيها التجلي الإلهي، الاتصال بها هو الإيمان بالله. و حظيرة القدس تجذب الإنسانية إلى نفسها هو الإيمان باليوم الآخر. و حظيرة القدس فيها ملائكة عظام و لهم اتباع من الملائكة، الملأ السافل، فالإعتراف بهم هو الإيمان بالملائكة. و حظيرة القدس فيها تقرر الشرائع الإنسانية العامة، الاعتقاد بها هو الإيمان بالكتاب. و حظيرة القدس تتخذ من الإنسانية رجالا مثل الجوارح لها، يكونون ذريعة لتكميل ما تقرر في حظيرة القدس من إرجاع الإنسانية إليها، هو الإيمان بالأنبياء.

فالقرآن نص على أن التوجه إلى الشرق أو الغرب للأقوام المختلفة بإسم قبلتهم ليس معنى الإسلام، فإن ذلك يؤدي إلى تحريف. و المراد من التعليمات هي الدعوة إلى اجتماع عام، و ذلك الرسم لا يكون مقيما لمقصده إلا إذا تحقق في قلوب أهل القبلة الإيقان بحظيرة القدس بالتفصيل الذي ذكرناها. فالأقوام المختلفة لما توجهوا إلى المعنى الواحد فلا يختلفون إلا اختلاف اللسان و الصورة فقط.

هذا القدر من الإيمان الداعي إلى الحق و المورث للاجتماع، هو مدار الاجتماعية الوسطى و هو المقصود في الدعوة القرآنية، إقامته في الملل كلها، لا الارتقاء منها إلى الاجتماعية العالية لتكون طائفة من الناس كالآلهة للأمم.

تنبه: المسلمون لتروتهم عامة يفتخرون بعصر النبي و بعصر الشيخين. العرب تفتخر بأصول بني أمية، و العجم بعصر بن العباس، ثم بمن خلفهم من التوران و الإيران و الهند. هذا بعد من إحساسهم

بحقيقة القرآن، و هم ينظرون مدنية راقية في أوربا، و يقولون ليست لنا مثل هذا، و يحتقرون بعد ذلك خلفائهم الذين كانوا يفتخرون بهم.

فنحن بهذه الحكمة الذي أخذناها من الإمام (ولي الله) نستحقر كل هذه، و نرى تعاقب الملك في الاجتماعية الإسلامية، و عدم وصولهم في الاجتماعية إلى التناهي مثل أوربا اليومية، نرى من فضل الله علينا فقد بقينا على وجه الأرض فوق ألف سنة، و لو انتهت مدنيتنا إلى الدرجة العالية لدخلنا في الهالكين من زمان. نحن ننكر على رد تعاليم القرآن إلى الاجتماعية الأولى و على ردده إلى العالية، لا الاجتماعية المتوسطة الشاملة لجميع الأقوام في الارض. نحن نوسع الاجتماعية المتوسطة في العرض و البسط على وجه الأرض لا في الطول، فإن هذا مهلك للقوم بعد أيام قليلة. اليوم نحن نفهم من إمبراطورية الإنكليز الراقية أنه لا يحكم فيها إلا رجال دون عشرة على حسب أهوائهم، يقتلون الأمم و يستعبدونها و يأتون بالفساد باسم الإصلاح، و لهم حيل عجيبة في إغفال الناس عن الحق، فذلك لا يرضي به الرب إلى زمن طويل.

قوله تعالى: **"وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ....الخ"** هذا مدار الارتقاء الاجتماعية إلى العلو. فالاجتماعية الصالحة المتوسطة لا تجمع المال في مركز بل يجعل أفراد القوم أغنياء في حاجاتهم العمومية، هذا هو الطريق لبقاء التمدن إلى أيام طويلة. فيقسم المال مع حبهم له، أولا على ذوي القربى، لا يترك منهم من يحتاج. التقسيم على ذوي القربى على نحوين: 1- نحو يتبع فيه الحكمة، و مرادنا بذلك أنه ينظر إلى جميع أقاربه فيهديهم إلى الاستقلال بأنفسهم بالاشتغال بما يناسب استعدادهم، فإذا كانوا غير قادرين لعدم المال، أمدهم بما يحتاجون إليه، هذا إنفاق على ذوي القربى على أصول الحكمة. 2- نحو آخر لا يهديهم إلى شئ بل يجعلهم ناظرين إلى يده. هذا مهلك له و لأقاربه، فهذا الخلط ما جاء إلا من عدم رعايته الحكمة.

ثم بعد ذوي القربى ينفق في اليتامى و المساكين من قومهم على منهاج الحكمة. و قد علمنا النبي في مثاله، جاء إليه رجل يسأله فمنعه من السؤال، دله على الاحتطاب مبتديا من رأس المال الذي عنده فاشترى الرجل.[294] فالإنسان ينفق على اليتامى و المساكين على هذا المنهج ثم ينفق على أهل الحاجات

[294] عن أنس بن مالك: أن رجلا من الأنصار جاء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – يسأله، فقال: "لك في بيتك شيء؟ " قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقدح نشرب فيه الماء، قال: "ائتني بهما" قال: فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بيده، ثم قال: "من يشتري هذين؟ " فقال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال: "من يزيد

من غير قومه من الأحرار كابن السبيل و السائلين في أمر لا بد له منه، ثم في الرقاب. فإنفاقه يجمع الإنسانية كلها على مركز واحد باختلاف المدارج. هو لا يجمع المال في مركز بيته بل يصرف ما زاد عن حاجاته في الناس. و هكذا إذا صار عادة القوم كلهم نجوا من الهلاك. و إذا قام طائفة بعدها في اكتناز الكنوز و جمع الأموال يهلكون و لو بعد أيام. فالاجتماعية الصالحة لا تستعمل الرأسمالية بل تناسب الاشتراكية بأصول المضاربة مثل **"کوآپریٹو سوسائیٹی"** في أيامنا و تحريم الربا تحريما باتا و يأتي ذكره في آخر درجة الخلافة.

مقصدنا أن تحريم الربا باتا يؤدي المفكرين إلى إنشاء مضاربات، و يمنعهم عن اكتناز الكنوز لمعاملات الربا. إن قال أحد: أن الإسلام بتحريم الربا يمنعهم من منافع الأموال، و إنما هو مثل منافع البضائع فهو يمنع القوم من الارتقاء. أقول الإسلام لا يحرم نفع الأموال مطلقا بل يحرم النوع منه خاصة. إذا كان النفع و الضرر بين رب المال و بين العامل مشتركا فالإسلام لا يمنع، و إذا كان النفع لصاحب المال و الضرر على العامل فقط هذا يسميه ربا، و يحرمه باتا قليلا أو كثيرا، و لا يجوز فيه الاحتيال بوجه. فالحكمة في تحريم الربا: هذه المضرة التي تقع على العامل من جهة صاحب المال، قوله تعالى: **"وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا"**[295] الإسلام يرد الرأسمالية.

أقول اليوم تحريم الربا باتا في آخر الأمر يقتضي تفريق الأموال و من حوله من ابتداء الأمر الذي أشار إليه القرآن **"وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ"** و هذا الأمر مهتم به في القرآن، و هو من أصول الأخلاق الإيمانية. هذا الأمر الخامس يلتحق بالأصول الأربعة الأولى، و ليس الأمر على ما يظنه بعض الفقهاء من المفسرين؛ أن هذا أُرِيدَ به الزكوة. هذا خطاء منهم عظيم، فالزكوة أمر وراء ذلك، هذا جزء للإيمان، فإن

على درهم؟ " مرتين أو ثلاثا، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما للأنصاري، وقال: "اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوما فأتني به" ففعل، فأخذه رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فشد فيه عودا بيده، وقال: "اذهب فاحتطب، ولا أراك خمسة عشر يوما" فجعل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فقال: اشتر ببعضها طعاما وببعضها ثوبا ثم قال: هذا خير لك من أن تجيء والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع". و قال الأرنوط: "المرفوع دون القصة صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف...". لينظر: ابن ماجة، **سنن ابن ماجة**، أبواب التجارات، باب بيع المزايدة، (دار الرسالة العالمية، ط: الأولى) المحقق: شعيب الأرنوط، 3: 316-317.

[295] البقرة: 275

الإيمان عندنا عبارة من الأصول الأخلاقية فهي مبنية على الإيقان بحظيرة القدس، نذكر تفسير كلمة الإيمان من مولانا محمد قاسم، هو يقول (في كتاب **آب حيات**)[296]

أن الفقهاء يعرفون مسألة النية و أن الأعمال بالنيات. و النية معناها إرادة العمل الخالص تعميلا لأمر الله. مثلا نية الصلوة و نية الزكوة و أمثالها فنية أداء جميع المأمورات الإلهية مرة واحدة، يعنى نية جامعة لجميع الأعمال هو الإيمان. و أنا فسرت قول فقهائنا موافقا لهذا القول، فهم يقولون أن الإيمان هو الإقرار باللسان و التصديق بالقلب. و كلمة التصديق استعملها المناطقة لتفصيل الأمر المركب مثل الجملة لكنها يكون تصديقا بالعقل. فتقييد قول فقهائنا لقولهم التصديق يقيد القلب، الغرض منه الاحتراز عن التصديق المنطقي. فالتصديق بالقلب يكون جزم القلب بالصدق لأداء ما أقر بلسانه: إني آمنت بالله كما هو بأسمائه و صفاته وقبتلت جميع أحكامه. هذا الإقرار باللسان يوجبه فقهائنا في الإيمان. فإذا انضم إليه تصديق القلب فنية الأداء كل ذلك بالصدق، كان قول شيخنا شرحا لقول فقهائنا. و التصديق بالقلب عمل من أعمال النفس، هو مجرد المعرفة، فكان ترجمة قول مشائخنا: أن الإيمان هو قول و عمل. الحنفية الذين يفسرون كلمة الآئمة هم من أتباع السلف و ليسوا بمرجئة مبتدعة.

"**وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ**" هذا من الفرائض العملية في الإسلام. فإقامة الصلوة توجه إلى حظيرة القدس، وإيتاء الزكوة تفريق الأموال تحت قانون خاص. و الأول كان في درجة الخلق غير مقيد بقانون، هو كان عنوانا للاجتماعية الإنسانية التي هي من نتائج حظيرة القدس. فقصد إقامة تلك الاجتماعية من أصول الأخلاق، وأداء ما فرض عليه القانون مصداق الزكوة. هذا القانون كان في الإسلام على درجتين: 1- في مكة كان إنفاق العفو، كلما زاد عن الحاجة واجب[297] من غير تعين النصاب. 2- في المدينة تعين النصاب.

تنبيه: و في مكة زمن إقامة النبي عليه السلام فيها كان حق الحكومة الاجتماعية، هو طلب ما زاد عن الحاجة من إتباع الحكومة الاجتماعية و جعلهم في الإنفاق نائبين للحكومة و ما كان يجمع في بيت المال.

[296] لينظر: النانوتوي، محمد قاسم، **آب حيات**، مبحث الإيمان، 145-150.

[297] واجب إنفاقه

"**وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ**... **الخ**" هذا في المصالح الخارجية من يواليهم ولاء من الأقوام يوفون لهم بعهدهم. فالاجتماعية الإسلامية كانت تشتمل على قسمين: 1- قسم يقبل الشريعة فهم المسلمون. 2- قسم يتحدونهم بالمعاهدة الخاصة، فهؤلاء ذميون، و في الاجتماعية حصلت لهم حقوق مثل حقوق المسلمين، فأجاز قتل مسلم بذمي في القصاص. و ما أقر له فقهاء المذاهب الثلاثة فعرفنا أنهم تقاصروا في فهم روح الاجتماع في الإسلام، فنظر الفقهاء الثلاثة ليس إلا إلى زمن الانقلاب. فالمسلم الانقلابي لا يقتل بكافر ارتجاعي، تلك قاعدة كلية مسلمة لكن خاص بزمن الانقلاب، أى زمن الجهاد فقط.

أما إذا انتهى القتال و الجهاد، و هم دخلوا تحت الحكومة الإسلامية، و سلموا علوها على مدنيتهم و دينهم، هم ليسوا يخالفون الانقلاب الإسلامي، فلا يجري فيهم حكم الانقلاب في ذلك الحين بل يكون دمائهم مثل دماء المسلمين. و مثل تلك التسوية لا يقبلها ذهنية العرب و ينساها ذهنية العجم، الاختلاف بين العرب و العجم في ذهنيات هو أحد وجوه الاختلاف بين الحنفية و بين الشافعية.[298]

تنبيه: تعجبنا من أهل العصر الحاضر من علماء الشافعية هم إذا بثو الدعاية الإسلامية إلى بلاد أوربا فلا يقدرون إلا على التثبت بالفقه الحنفي في تلك المسألة، و إذا جلسوا في مجالس خاصة ينتقصون الفقهاء الحنفية إلى درجة الإحتقار. "**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ**" المصائب و المشاق التي تعتري على الإنسان حين التزامه برنامجنا. 1- قسم كالداخلية مثل الباساء و الضراء التي تأتي على المسلم بسبب عدم تفرغه عن الفرائض التى التزمها، أو عدم موافقة الناس للاختلاف بها في كسب المعيشة حين البأس، هي المصائب التي تعتريه عند قتال الأعداء و عدم ترك شئ من الفرائض و الاستمرار على أدائها هو الصبر. و كان لتلك الجملة تعبير آخر عما قدمناه في الصبر.

فالأخلاق التي كانت في الأول غير مقيدة بشي. و أما ذِكرُ الله تقيد بإقامة الصلوة، والشكر تقيد بإيتاء الزكوة، و الإيفاء بالعهد، والصبر كونه شهيدا تقيد من حين الباس و الإبتلاء بالخوف و الجوع، هو

---

[298] إذا قتل مسلم ذميا عمدا فلا يجوز قتل المسلم بالكافر أبدا ،و هذا مذهب الشافعية و الحنابلة و بعض المالكية. ذهب الحنفية إلى أن المسلم يقتل بالذمي إذا قتله. لينظر: السرخسي، المبسوط، كتاب الديات، باب القصاص (بيروت، دار المعرفة) 26: 131. ولينظر: ابن عبدالبر، **الكافي في فقه أهل المدينة**، كتاب القصاص و الديات في الأنفس و الجراجات، باب قتل العمد، (المملكة العربية السعودية-الرياض- مكتبة الرياض) 2: 1096.

البأساء و الضراء. و قوله تعالى: "**أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**" و قد شرحناها في ابتداء الكلام.

فصل: في بيان الاجتماعية المتوسطة

ما قيمة الإنسان؟ جوابها في الآيتين و قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (178) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)**" فحاصل الجواب أن الإنسانية أصناف أو جنس منقسم إلى أنواع، فكل فرد يساوي أفراد نوعه أو أفراد صنفه. ثم باجتماع الأصناف تحقق النوع أو باجتماع الأنواع يتحقق الجنس. فاستواء الإنسانية العامة لا يتحقق، و لا يمكن تحققها في الوجود. فالتثبت بتسوية الأصناف هو الممكن الذي يرتكز عليه الاجتماعية. قوله تعالى: "**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ**" فسره الإمام ولي الله بالمماثلة و المساواة في **فتح الرحمن**[299] و **حجة الله البالغة** و **المسوى**. هذا التفسير لم نجده في كتب الفقهاء و قد شاع في شبابنا مسألة المساواة آخذا من الاجتماعين الأورباويين، و هم يعرفون أن الإسلام أو الأديان عامة تتناقض، ذلك هم على قدر معرفتهم و تبصرهم في تفسير المساواة، يتباعدون عن الفكر الإسلامي. هذا وجدناه بالتجربة عموما، هم يحتقرون دعاة الإسلام القائلين بعدم المساواة، الداعين إلى عزمة الملوك و عظمة الأقوام بجبلاتهم لا بقيامهم بالعدل أو بالدين. هذا في الفقهاء غير الحكماء مرض عمومي. فإذا تقدم منهم رجل إلى دعوة الشباب إلى الإسلام ينفرون الشباب من الإسلام أكثر من الأول، هم يعرفون الحرية و المساواة من زمن انقلاب فرنسا. ويطالعون فيه كتب الانقلابيين و يحسنون الظن بالإسلام بأنه يدعو أيضا إلى المساواة و الانقلاب. فإذا رأوا من هؤلاء الفقهاء خلافه استيأسوا من هذا الإسلام أن يقوم يوما ما في المستقبل، و لا يقدر رجل أن يقنعهم بالإيمان بالمهدي و غيره، هذه حالاتهم عامة.

---

[299] "يعني اعتبار مماثلت در كشتگان" لينظر: **فتح الرحمان بترجمة القرآن**، ص27

فلما أرشدناهم إلى معنى القصاص لا باللسان فقط[300] بل بأراءة نصوص الشيخ في كتبه، ثم علمناهم قوة قول الله "**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ**" ثم علمناهم شرح قوله تعالى"**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**" إلى اعتبار المماثلة و المساواة "**حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**" أي تقومون بالعدل و الإحسان تحيروا على جهلهم بالقرآن، وأنكروا ذلك التفاسير كلها، و اعتقدوا بإمامة الإمام ولي الله. قال الإمام ولي الله في **المسوى**: و لكم في القصاص حياة أي لكم في اعتبار المماثلة و المساواة بقاء. وقال: "الأظهر عندي أن وجه الآية أن القصاص هو المماثلة و المساواة... المعنى كتب عليكم اعتبار المماثلة و المساواة... و لا يعتبر الفقر و الغني و الشرف و الاتضاع.[301]

و في **حجة الله البالغة** قال: "معنى القصاص التكافؤ، و أن يجعل اثنان في درجة واحدة في الحكم لا يفضل أحدهما على الآخر لا القتل مكانه البتة."[302] و في قوله "لا القتل" رد على التفسير المشهور، و في **فتح الرحمن**: "لازم كرده شد برشما قصاص در كشتگان"[303] يعني اعتبار مماثلة.

قوله تعالى: "**الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى**" فقهائنا يجعلون الذكر و الأنثى نوعين ممتازين، وجعلوا الإنسانية متساوية فيهما، كما شاع باتباع ارسطو اليونان بأن الإنسان نوع لا يشكك في الماهيات بل كل أفراده متساوية في الماهية، و في صدقها عليها. فعندنا هذا القول تخييل محض، ليس مستنبطا من استقراء أفراد الإنسان، و ليس مكشوفا به في حظيرة القدس، فالقول به و التقليد به يفسد الاجتماعيات، بل الذكر و الأنثى مختلفان خلقة كما يختلف أنواع الجنس الواحد. فالتحاق بعض الأفراد من أحد النوعين إلى الآخر لا يوجب نفي تنوعها، فإن ذلك انخداج في الفطرة أو ارتفاع منها.

فنحن نجعل كل أنثى مساوية، كل ذكر مساويا بكل ذكر استيفاء لحكم الأنواع، ثم الاجتماعيات المتحققة على أصول متضاربة، تقسم الأنواع إلى أصناف مثل النوع. فالقومان إذا اضطرت أمتان إلى التقاتل فإحداهما لابد أن تفني الآخر، فليس مثلها مثل الإنسان أو الحيوان المفترس للإنسان، و نجعلها

---

[300] "لا باللسان" أي بالدعاوي

[301] لينظر: الشاه ولي الله، **المسوى شرح الموطا**، لبنان، كتاب أحكام الخلافة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الثانية 2002م) 237.

[302] لينظر: الشاه ولي الله، **حجة الله البالغة**، باب المظالم، 2: 235.

[303] **فتح الرحمان بترجمة القرآن**، 27.

متساويين في حكم الاجتماع يفسد الاجتماع. فلذلك جعلنا القوم المحارب لنا الأسير بأيدينا كالصنف المخالف لا لصنفنا، فجعلنا كل فرد منهم مساوي الفرد الآخر، و بمقابلة كل فرد من مساوي الفرد الآخر فصار الأصناف ثلثة: 1- المحارب الأيسر الذي يعبر عنه بالعبد. 2- الذكر عبر عنه بالحر. 3- الأنثى فصرح بها الأنثى بالأنثى. فالمساواة بين أفراد كل نوع متعينة، فرض اعتبارها. و المساواة بين فرد من صنف مع فرد من صنف آخر مصنوعي تابع الاصطلاحات و المعاهدات في القضاء بها، فليس من الأصول يذكر في القرآن، إنما هو مقتضى وقت يحكم به أولي الأمر في ذلك الوقت بما يرونه أنفع. فتبين من تلك الآيات قيمة الإنسان في الاجتماعات الإسلامية، و قيمة الشئ إنما تتقرر بعد فنائه. يعنى الإنسان إذا أخذ من الآخر شيئا مقررا فالواجب عليه رده بعينه. أما إذا فات ذلك الشئ[304] فهما يتوجهان إلى تقدير قيمة الشئ يتقرر باصطلاحهما، فتقرر قيمة الشئ يكون بعد فنائه. و تلك القاعدة ذكرت في الهداية بكثرة.

فالقرآن نص على قيمة الإنسان وقت قتله إشارة إلى تلك الحكمة، و تبين ذلك في تفسير الإمام ولي الله في **حجة الله البالغة** و **المسوى**. و أشبع الكلام في **المسوى** و رد على كل كلام يفسره بغير هذا التفسير. بأمثال تلك النظريات فنحن نجعل الإمام ولي الله في عدد المجتهدين المستقلين مثل أبي حنيفة و مالك و الشافعي.

رأينا الناس يشمئزون[305] مثل تلك الكلمات[306] و هم يؤمنون بالمهدى و يعتقدون فيه أنه ليس بنبي و يفضلونه في كثير من الأشياء على وقائع من سيرة النبي عليه السلام. هذا عجيب في الجهالة لا يجوزون[307] مثل مالك و أبي حنيفة، و أما يعتقدون مثل الأنبياء بعد خاتم النبيين.

مسألة: قيمة الأموال أي الأشياء التي يرتفق بها الإنسان في حاجاته ما هي؟ الجواب: أن كل من اكتسب خيرا فله حق للتصرف فيه إلا إذا كان إثما مخالفا للأخلاق الإنسانية أو كان جنفا ميلا عن

---

[304] من يد الآخذ

[305] ضاق به، و نفر منه كراهة، و في النزيل العزيز " وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ" لينظر: **المعجم الوسيط**، مادة: ش م ز، 493.

[306] يشمئزون من إطلاق مثل تلك الكلمات

[307] لا يجوزون أن يكون أحدهم من الأمة المحمدية مثل مالك....

الحقوق الاجتماعية المقررة عند الناس بالمعروف، و يتبين ذلك وقت موته أن له حقا أن يوصي بما عنده كيف شاء إلا جنفا أو إثما. فإذا ذكرنا تفسير الآيات الثلاث 180، 181، 182 على هذا المعنى.

قوله تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (180) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (181) فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (182)" و فيها بيان رفع الإثم و الجنف أيضا، إنه يرتفع بالصلح فيما بينهما. و المصالحة العامة في حق الأموال أصل من أصول الحقوق الإسلامية. و الذين يجعلون المعروفات في زمن الخلافة العباسية التي تغيرنا نحن عنها كثيرا، والقانون المبني عليها واجبا علينا إنفاذها مثل القرآن. هم من أجهل الناس و أعداء الإسلام.[308]

و السعي لاجتماع جماعة من أهل الفقه و الاجتهاد لينظروا في المسائل المتغيرة[309] دائما من فروض الكفاية على المسلمين عامة. و إذا غفلوا عنه و تركوه، فلا يتقيد المسلمون بقانون الإسلام في القضاء. و أولى الناس من الفقهاء بإقامة تلك المصلحة و تلك المسألة ما رأينا إلا الفقهاء الحنفية، لكن على طريقة مشائخنا من أتباع الإمام ولي الله؛ هم دائما يجددون أنظارهم في الفقه. قال الإمام في **فيوض الحرمين** رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن في المذهب الحنفي طريقة أنيقة هي أوفق الطرق بالسنة المعرفة التي جمعت و نقحت في زمن البخاري و أصحابه. و ذلك بأن يوخذ من الأقوال الثلاث قول أقربهم بها في المسألة، ثم بعد تتبع اختيارات الفقهاء الحنفية الذي كانوا من علماء الحديث. (و رأيت في نسخة من المشاهد هي أصل **فيوض الحرمين** صنفه الإمام أولا مختصرا، و هي خطية عند بعض أهل العلم بمكة، هنا زيادة كلمة "كالحافظ الطحاوي") فرب شئ سكت عنه الثلاث في الأصول، و ما تعرضوا لنفيه و

---

[308] الشيخ السندهي ما فسر هذه الآية بل اكتفى على ذكر موضوعها و لكن في **مقام محمود** قد فسر هذه الآيات بالبسط و أكتفي على ذكر بعض النقاط: أولا ذكر مسألة النسخ و رأي الإمام ولي الله على هذه ثم قال: إن هذه الآية من الخمسة التي نسخت عند الشاه ولي الله و لكن لم ينسخ عندي. ثم أشار بعض الإطلاقات لهذه الآية ما يتعلق بتدبير المنزل. لينظر: السندهي، **مقام محمود**، 1: 152-156.

[309] النوازل

دلت عليه الأحاديث، فليس بد من إثباته. و الكل مذهب حنفي.[310] و الشيخ صرح في بعض كتبه فوصف نفسه بأنه حنفي عملا و حنفي و شافعي تعليما.

قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** (**183**) **أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** (**184**)" الأمة إنما تتقوم إذا كانت كل أفرادها عالمين، و التعليم العمومي أو تقول التعليم الإجباري شرط في الاجتماعية المتوسطة. و الشهر الواحد من السنة جعله الشارع مخصوصا للتعليم. كلمة التعليم عندنا –معنى الصحيح– هو إصلاح القوة الدماغية و الإرادية، و ليس معنى التعليم: تلقين مجرد و كلمات علمية فقط، كما زعم الجهول.

و الصيام مجرب في إصلاح القوى الباطنية، و يكون فيه إصلاح القوى الحيوانية الذي نعبر عنه بالصحة. والتعليم يحتاج إلى فراغ الوقت من الاشتغال. و الصوم يكون سببا لتعطل القوى عن الأعمال ويحصل للإنسان الفراغ. و قد أشار إلى هذا رقم الآية 183-184.

"**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**" معناه يحصل لكم الصحة والتعديل للقوى، و تصلحون لإقامة العدل. ومعنى هذا هو الاستعداد على التقوى. و الصوم أياما معدودات يؤثر تاثيرا قويا إذا كان متواليا؛ و سنة مجربة في الإنسانية لتعديل القوى."**مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا**..." الأيام المعدودة يترك فيها كل الناس أعمالهم و يشتغلون بالصيام، ويكون سببا لتقوية الاجتماعية أيضا. ويؤدي هذا الفرض في أيام آخر لعذر مرض أو سفر. وإنما آخر من الفوائد الاجتماعية لأمن الفوائد النفسية.

"**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ**" الصيام فيه ترك الطعام و قد يكون سببا لحدوث البخل في الطبيعة، لا ياكل، فيجمع، فأوجب عليهم لإقام الصيام أن يتصدقوا بالطعام، و إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ.....الخ**" و لقد تخبط المفسرون في تفسيره من قديم الزمان. فسره

[310] لينظر: ولي الله، **فيوض الحرمين**، 59-60.

الإمام ولي الله و أزال الأشكال. هو يقول أصل تركيب الجملة "فدية طعام مسكين على الذي يطيقونه"[311] و الضمير راجع إلى الطعام، و آخر المبتدأ لكونه نكرة. وليس الضمير ضمير الصيام، فمن كان يطيق إلا طعام يجب عليه ذلك ليتم صيامه، و لئلا يتعود البخل. فإن زاد على طعام مسكين فهو خير له، هذا هو أصل المصلحة.

ثم صورة القانون جعلها النبي أن يؤدوا الفدية يوم الفطر، و بدل ذلك التعميم الذي كان بتعدد أيام الصيام بصورة أخرى، فليؤد عن كل أهل بيته صاموا أو لم يصوموا، تلك الكثرة قامت مقام تكثير الأيام و سهل على الناس العمل به. ولما فرغوا عن صيام رمضان يشكرون ربهم، و يؤدون الصدقة طوعا و رغبة، ثم يؤدون عن كل أهل البيت صغارا أو كبارا الذي يشجع في القلب شكر الحياة و الصحة. هذا باعتبار الإيثار الذي كان للمسلمين في الدور الأول لازما. و التطوع (لايزال) باقيا، فإن المؤمنين يطعم المساكين فصار هذا بيان زكاة الفطر في التشريع. هذا هو تفسير الإمام ولي الله لا حاجة بعده إلى الخرافات.

تنبيه: لم يذكر مقدار الطعام في كفارة الظهار في القرآن و الإمام محمد جعله مثل صدقة الفطر لكل مسكين من الستين، فعلم منه أن صدقة الفطر طعام مسكين في كتاب الله، و أشار إليه الإمام محمد في بعض كلامه، فعلمنا أن الآئمة كانوا يعملون أن هذه الآية في صدقة الفطر، لكن نعترف بقوة تفكر الإمام ولي الله، لو لم يتنبه هو لما عرفنا شيئا. "**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ**" راجع إلى قوله: "**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**" هذا كان تعديل القوى.

ثم جعل الله تلك الأيام المعدودة شهر رمضان. وشهر رمضان كان مبدأ نزول القرآن. قوله تعالى: "**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)**"

---

[311] قلت: عندي وجه آخر، وهو: أن المعنى: وعلى الذين يطيقون الطعام فدية، هي طعام مسكين، فاضمر قبل الذكر، لأنه متقدم رتبة، وذكر الضمير لأن المراد من الفدية هو الطعام، والمراد منه، صدقة الفطر، عقب الله – تعالى – الأمر بالصيام في هذه الآية بصدقة الفطر، كمثل عقب الآية الثانية بتكبيرات العيد. لينظر: ولي الله، الشاه، **الفوز الكبير**، الباب الثاني في بيان وجوه الخفاء و الدقة، الفصل الثاني في الناسخ و المنسوخ، ص85-86.

حقيقة ليلة القدر المنزل فيها القرآن:

قال شيخنا، و لنا فيه مطالعة خاصة ماخوذة أصلها من حكيم الأمة سيد أحمد خان مؤسس كلية عليكرة، ثم نحن كملناها. ذلك يرجع إلى مسألة ليالي رمضان. يوم رمضان هو الأول و ليلته بعده، مثل أيام الحج يوم عرفة هو التاسع و الذي بعده تابع له، فكما تركنا سنة العرب في جعلها الليلة مقدمة على يومها في موسم الحج كذلك في رمضان نجعل أيام رمضان مقدمة على ليالها. و لم يصرح به الفقهاء.

فإنا رأينا أن النبي كان يدخل معتكفه بعد صلاة الصبح، و يخرج منه بعد صلوة الصبح من يوم العيد. و قد رأينا بعض الصحابة عند الليلة القدر و جعلوها تابعة لليوم قبل ذلك حيث يجعلون الليلة السابعة و العشرين بعد اليوم السابع و العشرين، و الرواية موجودة في مسلم.[312] إن رأينا أن مشائخنا يتكلفون التأويل في اعتكاف النبي صلى الله عليه وسلم والليلة السابعة والعشرين. نحن تركنا التأويل و اتبعنا الظاهر، و على نظريتنا قد صام النبي شهر رمضان في حراء ثلاثين يوما، ثم في الليلة الثلاثين نزل القرآن كما صام موسى ثلاثين يوما على الطور. و بالإلهام الطبعي صام النبي على وفق سنن الأنبياء. و عيد الفطر تذكار لنزول القرآن. و نصوم رمضان مثل ما صام النبي لتحصيل بركات القرآن.

"**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ**..." هذا التعليم عمومي يتفكرون و يتدبرون في القرآن. "**فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**" لتحصيل بركات التعليم. "**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ**" والأقوام المتقدمة كانت تصوم لتعديل القوى فقط، والقرآن سهل لنا العلم أيضا، و ذلك نعمة عظمى و منة كبرى علينا لنعمل بما أرى الله به في القرآن و نسلك سبيله. هذا معنى قوله "**وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**".

---

[312] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الأوسط من رمضان، يلتمس ليلة القدر قبل أن تبان له، فلما انقضين أمر بالبناء فقوض، ثم أبينت له أنها في العشر الأواخر، فأمر بالبناء فأعيد، ثم خرج على الناس، فقال: «يا أيها الناس، إنها كانت أبينت لي ليلة القدر، وإني خرجت لأخبركم بها، فجاء رجلان يحتقان معهما الشيطان، فنسيتها، فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان، التمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة» قال قلت: يا أبا سعيد، إنكم أعلم بالعدد منا، قال: «أجل، نحن أحق بذلك منكم»، قال قلت: ما التاسعة والسابعة والخامسة؟ قال: «إذا مضت واحدة وعشرون، فالتي تليها ثنتين وعشرين وهي التاسعة، فإذا مضت ثلاث وعشرون، فالتي تليها السابعة، فإذا مضى خمس وعشرون فالتي تليها الخامسة» – وقال ابن خلاد مكان يحتقان: يختصمان". لينظر: مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال اتباعا لرمضان، 2: 826.

مع القرآن تقوية العزم أيضا يحصل في رمضان. فالدعاء ليس إلا مظهرا للعزم، فإذا أظهرنا عزمنا بحضور ربنا بدلناه بصورة الدعاء. و لتقوية ذلك أرشد في قوله: "**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186)**" فليعزموا على العمل بالقرآن، و ليستيقنوا أن الله قريب يسهل لهم العزم. ثم هناك مشكلة القوة الدماغية في الصوم، تصير مضمحلة و لا تقدر على مدارسة القرآن بانشراح الصدر، فأزيلت تلك المشكلة.

كان عادة الصوم من القديم إذا نام الرجل شرع صومه حتى يتمم الليل و النهار، و بعد غروب الشمس إلى وقت النوم كانوا يأكلون و يشربون، ثم نسخت تلك العادة القديمة و أبيح لهم الطعام و الوقاع إلى طلوع الفجر. فوقت الليل صار صافيا لفهم القرآن و إليه الإشارة في قوله تعالى: "**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (187)**" وسبب النسخ خيانة بعض الناس في مباشرة النساء، فأحل لهم ذلك لكنا نعرف من حكمة الله أن المقصد هو تصفية الوقت لقراءة القرآن. و في آخر الآية "**وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ**..." فصارت ليالي الاعتكاف خالية لمدارسة القرآن."**لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**" التقوى بالفعل و العدل.

التلميح في مسألة التراويح و حل الإشكال:

صلى الناس بصلوة النبي عليه السلام في ليالي رمضان، فقال: صلوا في بيوتكم و خشيت أن تفرض عليكم.[313] و قد ورد في حديث المعراج هي خمس و هي خمسون لا يبدل القول لدي. فجاء عند شراح الحديث الإشكال و تكلموا فيه و عندنا نظرية خاصة. الأصل في صيام رمضان أن يصومه الإنسان

[313] عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ذات ليلة في المسجد، فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة، فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أصبح قال: "قد رأيت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم وذلك في رمضان." لينظر: البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب التهجد، باب تحريض النبي صلى الله عليه و سلم على صلاة الليل و النوافل من غير إيجاب، 2: 50.

الشهر كله؛ ليله و نهاره، إنما كان أبيح لهم الأكل و الشرب لضعفهم. و في الأصل كان الليل داخلا في الصيام، ثم أبيح المفطرات في الليل لعذر. فالآن ننظر في صيام الليل: الإنسان بعد النوم يمسك عن المفطرات، هذا هو معنى الصيام، ثم إذا قام المسلمون عوض ذلك للتدبر في القرآن برغبتهم بجماعة أفلا يكون هذا أولى في تفسير صيام الليل؟

الإمساك عن المفطرات بعد النوم في جانب و القيام في الصلاة في جانب آخر. هذا هو اللائق بصيام الليل، و هو أولى من الإمساك من المفطرات باليقين. و في طول القيام يكون الإمساك أيضا حاصلا، فاحتاط النبي عليه السلام أن يجعل هذا واجبا لمعنى الصوم الذي أبيح لهم في الليل، فليس ذلك فرضا للصلوة الجديدة بل هو من تمام الصيام. و كان خوف الاحتياط جائزا.

و بعد ما توفاه الله زال هذا الخوف، فجعل الفاروق بمشورة من الصحابة قيام الليل للعامة سنة في المساجد بالجماعة، والخاصة مستثنون منه، و لم يكن شريعة لازمة لأهل الإسلام عامة، بل راعوا فيه مصلحة حفظ القرآن. و باتباع المصلحة يجوز للخليفة الراشد ان يغير السنن على حسب المصالح. و قد ظلم الناس من منعهم من ذلك من الفقهاء. أبيح لهم المفطرات بعد النوم و أخذوا عنه عوضه الصلوة. فلله الحمد انحل الإشكال الوارد عند شراح الحديث.

مسألة: الاجتماعية المتوسطة توجب المعاملات المالية من بيع و شراء و رهن و وديعة، أرشد في كل ذلك في قوله تعالى: "**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (188)**" و قد فصل ذلك في موضع آخر "**إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ**"[314] والمبادلات كلها مبنية على الرضاء و التراضي، و إلا فهي أكل بالباطل، و هذا عيب على الإنسانية. و قد جاء في الاجتماعية الابتدائية المنع عن الخنزير و المية، و إذا أكل الإنسان مال غيره بغير رضاه فهو من تلك المحرمات.

---

[314] النساء:29

تنبيه: هذا الأمر عام لجميع المسلمين العامة و الخاصة، وكذلك الحكام وكل الناس في ذلك سواء. و لا يجوز لحاكم أن يأخذ من أحد ماله إلا ما فرضه الله عليه إلا برضاه. و قد جرى عليه النبي عليه السلام طول عمره و خلفائه الراشدون، هذا هو مبنى البرلمان.

وعمل النبي عليه السلام بذلك في غزوة هوازن، إذا احتاج إلى الأموال، ليأخذها من المسلمين لمصلحة عامة، فسألهم و قال من شاء فليعطينا برضاه و إلا يكون قرضا نؤديه له فيما بعد.[315] فاستفيد منه أن الحكومة تستقرض من الأمة أيضا. فقالوا قد رضينا و ما قبل منهم هذا القول، و قال ارجعوا إلى غرفائكم و ليأتوهم برضاكم. هذا حاصل الحديث ثابت في الصحيحين هو أساس للبرلمان. لكن السلاطين باستبدادهم أن أصلحوا أمرا و أفسدوا أمورا، ولو اتبعوا الشورى و أفسدوا بعض الأمور كان لا بأس به للمسلمين. فنحن الآن لانتكلم عن التاريخ بل مقصدنا أن التعليم الإسلامي مكمل في إمضاء الحكومة الشوروية. و ما تفوه المبطلون الذين لم يتفكروا في آية ما يوما أن الإسلام تركنا بدون قانون للحكومة، ذلك كله من سفاهتهم.

"**وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ**" هذا نوع آخر من الأكل بالباطل، يؤدون الرشوة ويأكلون أموال الناس بقوة الحكام. هذا هو الذي يفسد الحكومات. نحن نعرف الحكمة الإنجليزية في الهند، لها نظام مبني على حكمة و مصالح إلا في بعض الأشياء يتحكمون و يجبرون على الأهل، و يزعمون أنفسهم هم الفاتحون للممالك، وليسوا كذلك. و بعد قطع النظر من تلك النقيصة، نظامهم صالح لكن مملوء بالرشوة من ابتداء أيامهم إلى أيامنا هذا. لا يقدرون على الإصلاح، فظهر بذلك أن حكومتهم في الهند غير طبعية، ولن تدوم إذا تيقظ أهل الهند، وإنما ناموا المسلمين نحو خمسين سنة بتمويهات و دعايات من جهة بلاد الإسلام. و الرشوة من مفسدات الحكومة، و الآخذ و المعطي في الإثم سواء. و فساد أخلاقهم أبين، و الآية الواحدة كأنها إجمال المصالح المالية كلها.

[315] ما أجد رواية أن النبي أعار من المسلمين بل وجدت رواية أخري تشير إلى استعارة الأموال و السلاح من المشركين. عن عمروبن شعيب إن رسول الله صلى الله عليه وسلّم- لما أجمع السّير إلى هوازن ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدرعا وسلاحا، فأرسل إليه- وهو يومئذ مشرك- فقال: [يا أبا أميّة أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدوّنا] فقال صفوان: أغصبا يا محمد؟ قال: «لا بل عارية مضمونة حتّى نردّها إليك» قال: ليس بهذا بأس، فأعطى له مائة درع بما يكفيها من السلاح، فسأله رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أن يكفيهم حملها، فحملها إلى أوطاس. لينظر: محمد بن يوسف، **سبل الهدي و الرشاد في سيرة خير العباد**، (بيروت، دار الكتب العلمية) 5: 312.

مسألة: الإنسان يحتاج في اجتماعية الصالحة إلى تقويم الشهور و السنين، و إليه الإشارة في قوله تعالى: "**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189)**" عامة المفسرين جعلوا الجواب غير مطابق السؤال، فصاغوا حكمة: أن الجاهل إذا سأل سؤالا يجب أن يعرض عنه و يجاب بما ينفعه. سموها أسلوب الحكيم، وجعلوا الآية شاهدة. جعلوا السؤال عن الإهلة؛ إنهم كانوا سألوا عن الحكمة في الهلال و البدر و نقصها، وكما سألوا عن الحكمة الطبيعة في انتقاص القمر في رؤية. ففسر الإمام ولي الله: الأهلية بالأشهر[316]، لأن السؤال كان عن الأشهر، و هل يعتبرون الأشهر الهلالية في حسابهم أم الأشهر الشمية؟ لأن التقويم من ضروريات الاجتماع. فهذه الآية مثل التتمة للآية السابقة، فالجواب حينئذ يطابق السؤال. الأشهر الهلالية يعرفها عامة الناس بدون كتاب و لا حساب. و إليه الإشارة في قوله: "**هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ**" وإمام الملة جعل تلك الأشهر مواقيت للحج ليتدور أوقات الناس في الحج على جميع المواسم من الصيف و الشتاء.

"**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا**" معنى ذلك ترك التقويم الشمسي، فإنها تناسب الصابئة. والحنيفية إن جعلت تقويم الملة و المعاملة مبنيا على الشمسية فكأنها تاتوا البيوت من ظهورها.

الإنسان بفطرته يقدر أن يمشي على قانون واحد، أما تكليفه باتباع القوانين فهو خلاف الفطرة. نحن جربنا بعد تغلب الإنكليز علينا، نحن نحتاج، مضطرون إلى مهارة في القوانين المسلط علينا القانون الإسلامي معا. فأصبحنا أننا لا نتقن ذاك و لا هذا، كذلك الحساب. المعاملات إما يكون على حساب قمري و إما على الشمسية، و ذاك سهل. و نحن في بلادنا نعرف الصعوبة في حفظ التقويمين. هذا هو المراد من إتيان البيوت من ظهورها، هو تكليف الإنسان بما لا يحتاج إليه.

"**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى**" معناه أن أصل المقصود هو إتباع القانون. أما التقاويم فمن الحواشي. لا تجعلوا الحواشي مقام المقاصد، بل يكون نظركم إلى تحصيل المقاصد دائما. و اجعلوا الحواشي غير مقصودة إذا سلكتم في اتباع الأشهر القمرية، يكفي للإنسان، هذا هو المراد من قوله "**وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**" اعملوا بالأسهل و إن كان القراءة و الكتابة عامة في الملة فلا بأس في التقويم الشمسي. وإذا كانت الأمة

---

[316] *مى پرسند تور ازماه هاى (يعنى از شهرحج)*،و لينظر: شاه ولي الله، **فتح الرحمان بترجمة القرآن**، ص32

أمية فالقمري أولى. تعيين أحد التقويمين و تكليف الناس به ليس بشئ الفلاح، لايتعلق بتلك الحواشي و إليه الإشارة في قوله: **"وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"** إقامة العدل و الإحسان شئ مستقل.

تنبه: مسألة اللغة عندنا تابعة للتقويم. هي مثل التقويم من الحواشي، و ليس من المقاصد في شي. فلا يتكلف بأمر غير طبعي، فإنه يشبه إتيان البيوت من ظهورها.

الباب الرابع: في الاجتماعية العالية الموسومة بالخلافة

كنا من قبل جعلنا باب الاجتماعية المتوسطة في القرى العامرة، منتهيا إلى تلك الآية، و جعلنا من رقم الآية 190 شروعا في الباب الاجتماعية العالية في الأمصار إلى آخر الجزء. و من أول الجز الثالث جعلنا باب الخلافة، و بعد ما اطلعت على **البدور البازغة** رأيت أن تقسيم البابين غير لازم، بل الاجتماعية المتوسطة في القرى العامرة و الاجتماعية العالية في الأمصار نوع واحد و الاختلاف اختلاف الصنفية فقط. نحن جعلنا بابا واحدا يمتد إلى آخر السورة.

مسألة: الدفاع عن الاجتماعية واجب على جميع أفراد المجتمع. قوله تعالى: **"وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (190)"** معناه تهيأ القتال من يقاتلكم. **"وَلَا تَعْتَدُوا"** معناه إن لم يقاتلوكم فلا تهجموا عليهم. نحن سالمنا من أهل الذمة، فقتالهم و معاملتهم مثل المقاتل عدوان و جهل بمصالح الاجتماع.

و قد استدل بهذه الآية من يمنع المسلمين عن قتال الكفار و أن الإسلام لا يجوز الهجوم، إنما يقاتل دفاعا من يقاتلنا أولا، وهذا غير صحيح. هذا الحكم مخصوص عند المسجد الحرام أن يبدأوا بالقتال. و هذا مذكور في هذه الآية. و لا يجوز إبطال تخصيص المسجد الحرام و جعل وجه الأرض مثل المسجد الحرام. وليس معناه إلا أنهم يستعدون لذلك على قدر قوة الأعداء. والمسألة حربية يستنفر الإمام على قدر ما يحتاج إليه للحرب، والتهيأ إذا كان واجبا فعل كل فرد أن يثبت بذلك. إذا قاتلونا كافة نقاتلهم كافة، و قتال الذين لايقاتلنا جهل. وقد فسر كثير من الحكومات الإسلامية بفساد معاملتهم بأهل الذمة خصوصا في الهند، و كذلك رأينا في الدولة العثمانية في أوربا طابق النعل بالنعل.

قوله تعالى: "**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ** (**191**)" فالإخراج من الوطن و القتل كلاهما جائزان لدرء الفوضوية، و عدم التقيد بالقانون لإزالته هذه من الحياة الإنسانية يجوز القتل، فإن حالته اللاقانونية و الفوضوية لا تناسب الإنسانية لوجه ما. "**وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**" هذا تصريح بأن هذا القتال عند المسجد الحرام لا يجوز. قوله تعالى: "**فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (**192**)" أي لا يجازون بعد الصلح على معاملات كانت اثناء الحرب. قوله تعالى: "**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ** (**193**)" مقصد القتال هو رفع الفساد، فإذا أطاعوا القانون الإلهي ينتهي القتال بعده. "**فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ**" معناه إقامة الحدود على العصاة.

قوله تعالى: "**الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** (**194**)" أي تتماثل بعضها بعضا. "**بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**" والقوة الفاسقة لا تنزجر إلا إذا جوزي بالمثل. وحقوق الحرمات سواء في سبيل الانتقام.[317]. "**وَاتَّقُوا اللَّهَ...**" هذه الآيات من –الآية– 190 إلى –الآية– 194 إجمال في المصالح الحربية.

الثاني: بيان تمرين أعمال الحرب

فأرشد إلى الأول في قوله تعالى: "**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** (**195**)" وعدم الإنفاق في سبيل الله سبب هلاك القوم، ويكون ذلك الإحسان على طريق الإحسان لله كما في قوله تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ**

---

[317] و المراد به "أن يؤخذ قصاص الحرمات بالحرمات. إن هدموا مساجدنا فنهدم كنائسهم، وإن اعتدوا في الشهر الحرام فنعتدي في أيامهم المقدسة، وإن اعتدوا على نسائنا فنعتدي بمثل ما اعتدوا. ويكون طريقه أن نجعلهن أمة، و هذا أكثر إهانة من القتل" . لينظر: السندهي، **مقام محمود،** 1: 177.

وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ..."[318] ولتمرين الأعمال الحربية شرع الحج فمن رقم الآية 196 إلى -الآية- 203 مسائل الحج.

قوله تعالى: "**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (196) الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (198) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (199) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (200) وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (201) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (202)**"

الحج و حكمته في الإسلام

جاء في الحديث: الحج جهاد لا قتال فيه،[319] معناه التمرين لأعمال الحج كلها بدون قتال. فحاصل اعمال الحج : 1- أمر المسلمون أن يجتمعوا في موضع معين بنفقاتهم. 2- بأعمال[320] و تمرينات مثل أعمال الجهاد، فإذا أقاموا بها و صارت لهم عادة، فإنهم يتمكنون من أعمال الجهاد بأدنى عناية. يؤمرون بجمع الجنود إلى موضع معين من حدود الكفار في الشرق أو في الغرب، يجتمعون بأزواجهم و

---

[318] التوبة: 111

[319] هذه الرواية خاصة للنساء كما روي عن عائشة، قالت: قلت: يا رسول الله، على النساء جهاد؟ قال: "نعم، عليهن جهاد لا قتال فيه، الحج والعمرة" وقال الأرنوط: إسناده صحيح. لينظر ابن ماجة، محمد بن يزيد، **سنن ابن ماجة** أبواب المناسك، باب الحج جهاد النساء، (بيروت، دار الرسالة العالمية، ط: الأولى 2009) ت: شعيب الأرنوط، 4: 146.

[320] أن يتمرنوا بأعمال

أهليهم. هذا مصلحة من مصالح الحج. وفيه غير هذه من المصالح و إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** (**203**)" في هذه الآية تمت مسائل الحج.

"**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**" حملها المفسرون على حشر الأموات، يجعلون الحج نموذج الموت و نموذج الرجوع إلى الله. و نحن لا ننكر من تحصيل مثل هذه الفوائد من الحج، لأننا لا نرى أن القصد من سياق مسائل الحج ههنا ذلك. و المراد من الحشر هو حشر الجنود عندنا، فإن الجهاد في أول الإسلام ما قام إلا بقوة المتطوعين. والحج فيه تمرين التطوع لأعمال الجهاد. إذا ذكرنا الحديث (الحج جهاد) فمن يقدر أن يخلى الحج من هذا؟ لكن الظلمة من الملوك و شياطين الزهاد أغفلوا المسلمين عن مسائل الجهاد و آتوا الأباطيل في شرح مناسك الحج. فإنهم أبطلوا جميع أعمال المسلمين.

نشرح الآن آيات الحج. "**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ**..." بعد ذلك ذكر المناسك، وفي آخر الآيات "**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**" و الآية فيها حكم فدية، و جزاء كل من لم يؤد من أركان العمرة أو الحج يجب عليه جزائه من فديته، هذا معنى الإتمام، يعنى افعلوا جميع الأفعال التي تؤمرون بها و إذا عطلتم[321] شيئا منها (فإنكم تجازون) بكفارة مالية أو بدنية. لا يغفر عنه.[322] وكذلك نظام الحرب لايقدر جندي أن يترك شيئا مما أمر به إلا ويجازي.[323] فالتمرين لعامة الأمة رجالا و نساء[324] هل يمكن أن يكون أحسن من هذا؟ يعرف أعداء الإسلام أن القوة القانونية في القرآن و القوة العملية في مناسك الحج؛ هي التي ترجع إليها عزة الإسلام، وهم دائما يسعون في جعلهما ضعفين.

"**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ**" شوال، ذوالقعدة و ذوالحج. "**فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ**..." ثلثة أشهر يلتزم في الاجتماع، 1- أن لايكون ذكر النساء، -: ولا فساد في المعاملات بترك القانون، 3-: ولا جدال، فإذا التزموا نحو ثلثة أشهر كل تلك الأعمال و الأداب يجمعون من الأوصاف الاجتماعية العسكرية و قدروا على إقامة حكومة اجتماعية مثل قيامهم في أرض الحرم. فإن الناس هناك يلتزمون أحكام الشرع بقوتهم

---

[321] أي تركتم

[322] أي لا يغفر عنه بدون ذلك

[323] أي إذا خالف مما أمر به إلا ويجازي (أي من غير مجازاة)

[324] على أعمال الحرب

النفسية لا بقوة السلطان، هم لايقدرون بعد الفتح على إنشاء حكومة متوسطة. هذا لازم في الانقلاب أن لا يكون هدم من غير إنشاء و إفساد بدون إصلاح.

"**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ**" ينظم المتطوعون دوائر لمنفعة الضعفاء من المسلمين. "**فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**" معنى الآية معروف، فإن السؤال و التكدي في الإسلام ممنوع في اجتماعة الإسلام. هذا تمرين للجهاد و هل يمكن التكدي في الجهاد؟ و أنا أتعجب، قريش في الجاهلية كانوا أحسن نظاما في أمور الحج من نظام المسلمين اليوم، كأن يأتي إليهم ناس وكان قريش تضيفوا كل الناس، ولا تسأل أحدا شيئا. وكان الحجاج يضعون ما يجد في خزانة البيت، لايعرف أحد من أعطى أكثر من الآخر. والاحترام كان لكل أحد سواء. و إذا رجع حاج كان قريش يقتسمون ما اجتمع (إليهم) بين قبائل قريش. تحيرنا بعد ما سمعنا، وبعد ما رأينا (ما يجري هنا)، (و لا ندري) أي شئ يريد المسلمون اليوم؟

. **لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ**" هذه مصلحة ثانية للحج. **مسألة التجارة العالمية** و كانت قوافل التجارة تأتي من الشرق و الغرب، ويتبادلون في أيام منى. فإذا بقي شئ من ذلك كانوا يتركونه أمانة عند تجار قريش الأمناء للبيع و الشراء في العام المقبل، وكانوا لا يضيعون من ذلك حبة واحدة. و بذلك كانت مكة مركزا عظيما للتجارة، قويا لتبادل البضائع و لتبادل العلوم و الأخلاق في ضمن ذلك. وتلك (كانت) مصلحة عظيمة (للمسلمين). و لايترك الأعداء (أن يكونوا كما كانوا). والمسلمون لا يتنبهون و لايستيقظون من سباتهم. و فرحت إذا سمعت أن بقية قبائل قريش في بادية عرفات و نواحيها موجودة مع مسكنتهم و فقرهم، وأن الأمانة موجودة عندهم. في أيام الاغتشاش إذا أراد تاجر ان يوصل أموالا إلى جدة ما قدر عليه إلا بواسطتهم. فهمت أن الاستعداد لم يفقد فيهم فلا نيأس و لاييأس الإنسان.

"**فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ**..." هذا خطاب لأهل الكرم، فليجتمعوا لنظم معاملات الحج فيما بينهم في الليلة كالمؤتمر الإداري. أولا كانوا ضالين و الآن هداهم الله، فليلتزم العمل بهداه في الأدوات، لأن بعد ذلك يأتون إلى منى محل التجارات. هم كانوا في الجاهلية لا يخرجون من المزدلفة، و ينفرون من الناس، و كانو يتعاظمون عليهم، أما الآن فليخدموا للناس ليرجعوا بدين و منافع في الدنيا. "**ثُمَّ أَفِيضُوا**..." اجعلوا أنفسكم مثل أفراد الناس. هذا هو حكم القوة الإدارية. في الحرب لا يتميزون بسلطة و نهب أموال الناس. "**وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**" الإعتراف بالغلط أول طريق الإصلاح.

"**فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ**..." فيه إشارة أن الطبقة العالية من الاجتماعية الذين يقدرون أن يتفاخروا بآبائهم هم يجتمعون في الحج فيذكرون الله، و يذكرون مفاسد الجاهلية و محاسن الإسلام في الاجتماعية. في الحج يجتمع قسمان من الناس. 1- قسم لا يريدون إلا الانتفاع بالدنيا فينهبون أو يكتسبون، و إليه الإشارة في قوله تعالى: "**فَمِنَ النَّاسِ مَنْ**...". 2- قسم يجمع بين منافع الدنيا و الآخرة.

الاستعداد للعمل بالقرآن هو من حسنات الآخرة و الاكتساب من أرباح الدنيا و التجارة من حسنات الدنيا، و إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ... وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**".

هذه مسألة حربية أشرنا إليها أولا. بعد مثل هذه التمرينات و بعد هذه المشقة الشديدة قسم يفوز و قسم آخر يفشل. والذي يفشل ذكر أولا، و إليه الاشارة في قوله تعالى: "**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ** (**204**)" لهؤلاء حجوا فصاروا يتكلمون بكلمات لطيفة، و يظهرون تعظيمه بشعائر الله، و إليه الإشارة "**وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ**" لكنهم فاسد الأخلاق إلى غاية الدرجات، يعنى "**وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ**".

قوله تعالى: "**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ** (**205**)" يبعد الناس من اتباع القرآن، يأتي بطرق مبتدعة من عنده. "**وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ**" فاسق، يزني و يتلوط. "**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**" مثل هؤلاء ينتسبون أنفسهم إلى الإسلام و الدين. وهم ليسوا من الله و لا من الإسلام في شئ.

قوله تعالى: "**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ** (**206**)" هو يجعل نفسه على درجة لا يقدر أحد أن ينبه على إثمه. "**فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ**" مثل هؤلاء يحوجون إلى من يعتمد على قوميتهم، أو على شخصياتهم في العظمة، لا يحتاجون إلى القرآن. لباسهم لباس أهل الصلاح و في باطنهم كل الخبائث. هم يأتون إلى الحج و يقيمون في الحرم.

قوله تعالى: "**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** (**207**)" إشارة إلى من يفوز بالحج، لا يريد لنفسه شئ أن يرجع إلى نفسه و إلى قومه بل كله يكون راجعا إلى مرضات الله باتباع القرآن، و بإقامة حكمه على وجه الأرض. "**وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ**" هؤلاء الذين فازوا

في مناسك الحج، و باعوا أنفسهم لله، هم نموذج في الإسلام. و في الآية بعدها دعوة المسلمين إلى اتباع مثل هؤلاء.

قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (208)**" بمجموع قوتكم لا يلتفتون في مرافق الحياة إلى شئ سوى كتاب الله، و إليه الإشارة "**وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**" ينظرون إلى قوانين غير قوانين الإسلام. "**فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (209)**" و إذا كان القرآن هدى قوما، و صاروا مثلا أعلى في الإنسانية، كما رأيتم في اجتماعة الأقوام طائفة منهم فتلك البينات تجعل علم القرآن بديها. فإذا جاءتكم مثل هذا ثم زللتم من القرآن فاعلموا أن الله عزيز حكيم، يسلب عنكم الحكم و لا يحتاج إليكم. فإذا تركوا القرآن، و ما آمنوا بهذا النبي فلا يأتي بعده نبي إلا يوم المحشر يأتي الأنبياء.

قوله تعالى: "**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (210)**" جاء ذكر ذلك في الأناجيل، يأتي المسيح مع الملائكة و يأتي الله في ظلل من الغمام يوم المحشر. فالناس كانوا ينتظرون أن تكون حكومة إلهية في الأرض بعد بعثة نبي. فإذا جاء النبي و جاء بالقرآن وبالبينات، والناس واجب عليهم أن يدخلوا في السلم كافة، و لا يتركون مجالا لقانون آخر في الأرض. فإن لم يدخلوا في الإسلام و ما أقاموا حكومة إلهية بعد ذلك لم يبق، و لم يمكن إلا قيام القيامة الكبرى في قوله "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً...208**" جعل الأمر راجعا إلى المؤمنين بالقرآن، ويمكن أن يجعل الذين آمنوا بكتاب من الكتب. أمر كل من آمن بواسطة كتابه أن يدخلوا في السلم كافة.[325] فإن هم زلوا من بعد البينات فلا يأتي لهم يوم يقيمون الدين إلا يوم القيامة، و لم يبق يوم الإقامة، بل قضى الأمر. هذا التأويل أشبه فيه الإنسان.

قوله تعالى: "**سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (211)**" جاءتهم أنبياء بآيات، كانوا أمروهم أن يتبعوا النبي الأمي. "**وَمَنْ يُبَدِّلْ...**" إن لم يؤمنوا يسلب عنهم الحكم. في رقم الآية 212 "**زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**

---

[325] قد وقع الخلاف بين المفسرين على إطلاق هذا اللفظ كما ذكر الرازي في **مفاتيح الغيب** و لكن ما رجح هذا الرأي. لينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، 5: 352.

وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (212)". هذا لاشك فيه أن الكفار في جهنم، و المتقون في جنات النعيم فوقهم. "**وَاللَّهُ يَرْزُقُ**..." إشارة إلى أن المؤمنين يكونون فوقهم في الدنيا أيضا وإن كانت الأسباب الظاهرة تقصر عن ذلك. هذه إشارة إلى غلبة المومنين بالقرآن على المخالفين من قومهم، تنتظم حكومة إلهية على العرب، و هذه درجة أولية في البعثة النبوية.

قوله تعالى: "**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (213)**" الناس في الأصل ملة واحدة،[326] ثم اختلفوا بالألسنة و غيرها، بعث في كل قوم نبيا بلسانهم مبشرا و منذرا. "**وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ**..." ليبقي بينهم بعد نبيهم. وأهل الاختلاف بالكتاب يحكون بين الناس عند الاختلاف؛ هؤلاء أهل العلم، في كل قوم أوجدوا الاختلاف بغيا بينهم إلى ذلك الحد، كان بيان الواقعة أن حالات القوم كانت هكذا. ثم قوله "**فَهَدَى اللَّهُ**..." يعنى بالقرآن. لما اختلف فيه أهل العلم في كل قوم. فترى مثلا أن سلمان الفارسي آمن بالقرآن، فعرف ما اختلف فيه أهل الفرس بهداية القرآن. و أرى في نفسي بعد إتقاني في حكمة الإمام ولي الله و بعد تفسير القرآن على تلك الحكمة، أنا أعرف ما اختلف فيه أهل الهند من الحق و الباطل. هكذا أهدى الله الذين آمنوا لما اختلف فيه الأقوام من الحق بإذنه النافذ النازل من حظيرة القدس، ينتظم حكومة المؤمنين بالقرآن على الأقوام، تلك درجة ثانية من البعثة. "**وَاللَّهُ يَهْدِي**..." أراد أن يخرج من بني إسماعيل نبي يقيم الملة لأنا شرعنا في البحث عن مسائل القتال. ثم انتقلنا إلى إنفاق الأموال و إلى تمرين الأعمال و كان كلا البحثين تتمة لمسائل القتال. ثم البحث في رقم الآية 204 – 213 كان في نتائج الحج، فتلك المسائل و الآيات كلها إنضمت إلى المصلحة في القتال.

و على هذا الاتساق نقرا في الآية 214 أن المسلمين لا يفوزون بتنظيم الحكومة في الدرجة الأولى أو الثانية إلا بعد مقاتلات شديدة و محاربات عديدة. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا**

---

[326] كانوا ملة واحدة

الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214)" و نصر الله لا يأتي إلا بعد مقاساة المشاق الكثيرة. و الإنفاق الذي أمروا به في قوله تعالى: "**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (215)**" يعني كم نعطيكم من الأموال؟ فالجواب أن النبي لا يأخذ الأموال. المتطوعون في الجهاد من أقاربكم و من بقي بعد المجاهدين من أقاربهم تنفقون فيهم. يعنى مقاساة التعب الشديد، و إنفاق الأموال الكثيرة في ذلك يتقدم نصر الله، إليه الإشارة في قوله تعالى: ""**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا**...".

هذا القتال يشتد و يستمر، فاستعدوا لذلك بكل القوة. هذا القتال دوامه ليس محبوبا لكن فيه خير لكم، إليه الاشارة في قوله تعالى: "**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216)**" هذه الفرضية مثل العبادات. الحج و غيره يجعل المسلمين ممتازين من الأقوام الآخرين، فلا يقاس أمر الجهاد فيهم. بغيره يحرف القرآن و يحرف الكتاب. و يحبون أن يكون لهم فرصة لعدم القتال. هذا يكون في الأشهر الحرم.

قال أهل العلم أن حرمة الأشهر الحرم منسوخة في القتال، و الإمام ولي الله لا يقبله لكن يجوزه للضرورة[327]، فكان الأمر أن البعض[328] يحبون أن يمتنعوا عن القتال و إن مست الحاجة إليه. وعلى طريقة الإمام (ولي الله) حرمة الأشهر الحرم باقية، و مع ذلك إذا مست الحاجة إلى قتال في الأشهر الحرم لا يمتنع أحد من المسلمين عن القتال. فإن الكفار إذا رأوا الامتناع يردون المسلمين عن الإسلام إن استطاعوا. إلى تلك المعاني إشارة في قوله تعالى: "**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ**

---

[327] وقوله تعالى: يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه الآية، منسوخة بقوله: {وقاتلوا المشركين كافة} الآية. أخرجه ابن جرير عن عطاء بن ميسرة. قلت: هذه الآية لا تدل على تحريم القتال، بل تدل على تجويزه، وهي من قبيل تسليم العلة وإظهار المانع، فالمعنى أن القتال في الشهر الحرام كبير شديد ولكن الفتنة أشد منه، فجاز في مقابلتها، وهذا التوجيه ظاهر من سياقها كما لا يخفى. ..... قوله تعالى: {ولا الشهر الحرام} إلخ منسوخة بإباحة القتال فيه. قلت: لا نجد في القرآن ناسخا له ولا في السنة الصحيحة ولكن المعنى: أن القتال المحرم يكون في الشهر الحرام أشد تغليظا كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – في الخطبة: "دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا". لينظر: ولي الله، **الفوز الكبير**، 86،87،89.

[328] في الأصل "البعض" بدون الف و لام.

سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (217)" على نظريتنا "**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ**..." المفاسد مسلمة عندنا لكن في بعض الحالات تترجح مصلحة القتال على تلك المفاسد، إليه إشارة في "**وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ**..." فإذا أفضى الامتناع عن القتال في الأشهر الحرم إلى غلبة الكفار لاستمرارهم في القتال نحن لا نمتنع، إليه الإشارة "**وَلَا يَزَالُونَ**..." و الرجعة لا نقبلها، فلذلك نقاتل، إليه الإشارة "**وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ**..."

فتبين من ذلك أن الإيمان في ارتقائه في الاجتماعية المتوسطة ينفصل بالهجرة و الجهاد. يصير الجهاد و الهجرة من أركان الايمان، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (218)**"

قوله تعالى: "**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (219)**" فإذا كان دوام الجهاد يحتاج إلى أموال كثيرة، و ربما لا يتمكن باقتصاد الصالح، فهل يجوز لهم الترخص في تحصيل الأموال بالباطل، و تحصيل القوة بالخمر؟ فالجواب لا، و هو قوله تعالى: "**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ**..." فإذا كان الأموال لا تحصل إلا بصورة معينة، فكم ينفق الرجل من الاموال؟ و إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ**..." يعنى أى مقدار؟ "**قُلِ الْعَفْوَ**" أي ما زاد عن الحاجة، ولم يعين المقدار بل فوض إليهم. فلا تعلمون في أعمال الجهاد من الأعمى و الأصم بل بالتفكر و التبصر، إليه الإشارة "**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ**...".

فصل: أنا فكرت كثيرا فاتضح لي أن المشتغلين بالجهاد دائما يكونون من المجتهدين في الفقه أيضا على درجة من درجات الاجتهاد. و القاعدون لا يتقربون إلى مسائل الاجتهاد أبدا.

قوله تعالى: "**فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (220)**" فمثال التفكر في المعاملات: اليتامى في الجهاد وتكثر، وحفظ أموالهم في أيدى الأمانة فرض على الأولياء،

فلو أمروا بجعل اليتامى منفرزين عن أموالهم لكان عليهم صعبا شديدا، يصيرون مجبورين على خلط الأموال، ففي تلك الحالة المصلحون يسألون أحدا غيرهم كيف يفعلون؟ فلا يمكن ذلك فيجتهدون في الإصلاح بالتفكر. وهذا هو الواجب عليهم، وهكذا يجب العمل في جميع المعاملات، إليه الإشارة "**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى**" والجواب "**قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ**" هذا أمر مقرر. فإن احتجتم إلى الخلط فلا بأس به إذا قمتم بالإصلاح. هذا نموذج للتفكر و الإجتهاد "**وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ**... " الآن تمت المصلحة التربية.

مسألة: تحتاج الاجتماعية المتوسطة الصالحة الى مصلحة إدارية تضع القانون على حسب ضرورياتها مثل ما تضع الوزارات الداخلية، و تلك المصلحة تكون نظام تقويم الاجتماعية.

في الآيات 221 - 242 أحكام النكاح و الطلاق و إرضاع الأولاد و عدة الوفاة. نستنبط من تلك الآيات أحكام تلك المصالح. وقد رأينا النبي عليه السلام كان يدير الجماعة المركزية من المهاجرين و الأنصار مثل ما يدير الوالد بيوت أولاده. النساء إذا كانت لهن شكوى من أزواجهن كن ياتين إلى باب النبي في أمور الطلاق، وفي كل اختلاف إلى حكم النبي. فكان يعرف بتلك الطريقة القوة الإدارية في المهاجرين و الأنصار و كان يقول: "خيركم خيركم لأهله..."[329] كما يقول الصوفية: "العالم شخص أكبر و الإنسان شخص أصغر" جميع ما في العالم موجود في الإنسان، ومن هذا الطريق يكملون على حكمتهم بعد إتمام الدراسة في فهم القوى الإنسانية و نظامها. كذلك نقول أن البيت و المنزل التام الذي يكون فيه الزوجات والأولاد؛ الذكور والإناث، والخدم لمرافق الحياة، هذا شخص أصغر، والدولة والمملكة شخص أكبر. ومن كان قادرا على إدارة المنزل على أحسن وجوه إذا فوض إليه أمر المملكة يديرها على أحسن الطرق. النبي عليه السلام كان يبعث أمراء و قواد و قضاة و دعاة، كان يعرف قيمة كل رجل ثم يفوض إليه الإدارة. وكان للنبي صلى الله عليه وسلم نجاح في الأكثرية.

فائدة:

والشيخان الصديق و الفاروق ما أقاما بعد النبي عليه السلام مدرسة لتخرج أهل الإدارة وإنما جريا على اتباع النبي في طريقة عليه الصلوة و السلام: من كان خيرا لأهله و جارته و قبيلته يفوضون إليه أمور الممالك، وكانوا يفوزون. فاستنباطنا ليس بهين، لايلتفت إليه، و إن كان في نظر أهل العلم بديها، هم

---

[329] لينظر: الترمذي، **السنن**، أبواب المناقب، باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، 5: 709.

لايلتفتون إلى استخراج نظام الإدارة من القرآن. فإن الأمراء كانوا يعملون على حسب السليقة والاستعداد وكانوا يكتفون به. سمعت رجلا من الهنود البراهمة يقرر في مجلسه أن القرآن مملوء من الأحكام البيتية، و **أبانشد** كتاب البراهمة مملوء من الإلهيات فقط. يريد بهذا أن يثبت فضل كتابه على القرآن. فتأثرت به كثيرا، و بعد أيام سنح لى أن الاجتماعية هي القيوم للأفراد و لصلاحية الأفراد، و هي لا تنتظم إلا تحت إدارة قوية فطرية، فبحث القرآن في المسائل المنزلية إنما يرجع إلى تكميل القوة الإدارية في الاجتماعية. ومسائل التوحيد وحقائق الإلهيات لاتوجد في كتاب مثل وضوحها في القرآن، ولا توجد مسائل التوحيد كما هي في أي كتاب إلهي في الدنيا. والقرآن كان جامعا شاملا على حقائق الإلهيات وتدابير الاجتماعيات لا يقابله و يوازنه كتاب الفلسفة الإلهيات. ثم تدبرت على هذا النهج في مسائل النكاح واستخرجت فوائد، وأهل العلم ما ينظرون إليها نظر المودة والقبول. وهكذا يبدؤ الأمر حتى يستأنس به الطبع، وإنما أمدني فيه باب الارتفاقات من **حجة الله البالغة**. وأصل الفكر انبعث باعتراض رجل غير مسلم لكن بعده رأينا جماعة من أهل السياسة، لما سقطت الخلافة العثمانية قاموا بدعوى أن النبي لم يترك لنا نظاما للحكومة، وشكلا للدولة، والمسلمون مختارون في مصالحهم، و أساؤوا في فهم تاريخ الإسلام. نفعني ذلك الفكر في تلك المخمصة أيضا.

القرآن يذكرحكايات من كبار أهل الإدارة في العالم. بعض الأشياء فإذا جمعناها، و نظمنا يقيم لنا نموذجا صالحا لأكبر الدول وأقوى الحكومات، ويؤسس قانون السياسة الاجتماعي في مسائل تدبير المنازل على أكمل قانون و أكمل اتقان. والبلاء الذي أصاب المسلمين في تدبيرهم أنهم ما حصر الوحي في القرآن، وما جعلوا اتباع هذا الكتاب فرضا على النبي، وما قدروا على أن يعتقدوا أن النبي لا يعمل عملا إلا و هو يستخرج ذلك من القرآن. فحدث في علمهم الفوضوية، كلما رأوا رواية ثابتة أو ضعيفة في كتب الأحاديث جعلوه آخر استنادهم.

والإمام ولي الله نبهنا على كون هذا النحو من الفكر غلطا. هو يقول إنى تتبعت جميع الأحاديث التي تتعلق بالصلوة، فرأيتها كلها مستنبطة من الكتاب الكريم لكن طريقة استنباط النبي ليست مثل طريقة الفقهاء. وذكر بعض الأمثلة لتلك الطريقة في بعض بياناته، ولو تمسك طالب العلم بتلك النظرية وأي ما ثبت من النبي في كتب الأحاديث يجب أن تستنبط من القرآن. واستعان بكتب الشيخ ولي الله تفتح عليه

أبواب من العلوم. و المسلمون أعرضوا عن التدبر في القرآن إلا ماشاء الله، فلم يبق من عظمتهم التاريخية بأيديهم إلا شئ قليل.

1: والنعمة العظمى هي كون القرآن محفوظا من التحريف. 2: وجود جميع المواد التي يحتاج إليه طالب العلم إذا أراد أن يتدبر في القرآن. "والآن نشرح في استنباط الاحكام".

قوله تعالى: **"وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221)"** حرم الله نكاح المؤمن بالمشركة ونكاح المؤمنة بالمشرك، وبين حكمة ذلك أن أمامهم الدعوة إلى النار. والمؤمن يتبع دعوة الله إلى الجنة و المغفرة؛ يعنى أحدهما وجهه إلى حظيرة القدس والآخر استدبرها، فكيف يقدران على إيجاد اجتماعية باصطحابهما. فالبيت والمنزل إذا كان على نظام كأنه شخص واحد، مركب من أعضاء العائلة. والعناصر إن كانت متضادة فكيف يحصل منها امتزاج و تركيب.

الاستخراج: أنظر الاستنباط من التقرير لهذه الآية. قال شيخنا: الكافر لا يجوز أن يحكم على بلاد الإسلام. والمؤمن الجاهل مثل العبد أحسن في العاقبة للمؤمنين العقلاء من حكم كافر عاقل فاضل. فتلك نتيجة من أهم المسائل في الحكمة الإدارية، و استنباطها من الآية واضح، ونستأنس بقوله: **"وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ"** أليس في ذلك دعوة إلى التذكر من ذلك المثال إلى أمر كلي؟ ثم يمكن أن يقال يستنبط منه عدم جواز النكاح نساء أهل الكتاب أيضا. فجوابنا في مثل هذا أن لا تستنبط من كل كلمة كلمة، لأن ذلك النوع من الاستنباط إنما يجرى إذا كان الواقعات من نوع، أما إذا أخذنا في الاعتبار نقيس جنسا بعيد بثلاث درجات من النوع، فلا ينطبق جميع خصوصيات النوع على المستنبط، إنما يبق شئ واحد. الرابط بين النوع والجنس ثم الرابط بين الجنس و الجنس. و نحن لا نستنبط معتمدا على فهمنا أشياء لا يوجد لها ثبوت في السنة، فعدم استنباطنا من جميع الجزيات لا يمنعنا من استنباطنا بعض الأشياء الثابتة في السنة من الآيات على سبيل الإعتبار. و إذا توجه أهل العلم إلى ذلك يمكن أن يأتوا بأحسن من عندنا "منع الفاروق المسلمين عن التزوج بنساء أهل الكتاب" لمصلحة ترجع إلى حفظ مصلحة المؤمنات وتجويز نكاح الكتابيات راجع إلى مصلحة خاصة وليس بحكم دائمي طبعي للإسلام، تمت الآية.

قوله تعالى: "**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** (222) **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** (223)" نستنبط منها مسألة واحدة: أن المسلمين بعد رعايتهم ما أحكم الكتاب في حكمه مختارون في وضع قانون يناسب مصالحهم وأمزجتهم، ويكون في ذلك تسهيل على الأقوام. فكل المسلمين يتبعون محكمات الكتاب فيصيرون متحدين على كلمة واحدة ومختارين بعد ذلك على حسب المصالح وعلى حسب الأمزجة. ومثل هذا الإختلاف مباح، وهو الذي يقال فيه أنه رحمة. وأما الاختلاف في محكمات الكتاب فهو شقاق وعذاب. تفصيل ذلك (أن الأمر في) الآية 222 نص في محكمات الكتاب، اعتزال النساء في المحيض بعد التطهر، الإتيان في موضع أمرهم الله به. والحكمان كلاهما أحكمهما الكتاب. ""**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ**..." ثم وضع الاضطجاع. ليس فيه حكم الكتاب. فالناس فيه مختارون. وذكر في الروايات اختلاف بين قريش والأنصار في وضع الاضطجاع. فلما تزوج أحد القومين من الآخر ووقع الاختلاف في الوضع، أراد أن يعلموا حكم الله في ذلك. ففي 223 أظهر الله حكم الوضع في ذلك "**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ**..." فكانوا مختارين في الاستدبار والاستقبال. ورأينا أن الفقهاء لا يفهمون قوله "**أَنَّى شِئْتُمْ**" فأثبتوا في الإسلام أمرا و حقيقة ذلك إنما هي التباس الألفاظ.

طريق المباشرة عند الحيوانات:

نرى في الحيوانات كيفيات السفاد مختلفة: 1: الفيل يركب الفيلة مثل الإنسان، الفيلة تستلقي على ظهرها يركبها الفيل ويطأ. ومن عاداته أنه إذا رأى أحدا يراه لا يركب. وهذا نوع معمول في عامة البشر. 2: إن الأنثى تقوم على أرجلها ثم يركبها الذكر. هذا في الأسد وغيره من الحيوانات. وفي الركوب لا يطأ حيوان غير محل الوطئ أصلا. والمرأة أيضا إذا استلقت على ظهرها أو على وجهها أو قامت على أربع مثل أنثى الحيوان يظهر فرجها من خلفها مثل الحيوان فيركبها الذكر ويطأها في فرجها، والبعض يستلذ ذلك الوضع خاصة. هذا هو الاستدبار، وليس معناه الوطئ في الأدبار. فمعنى "**أَنَّى شِئْتُمْ**" أي استدبرتم أو استقبلتم. والبعض لم يفهم معنى الإستدبار، وظنه وطأ في الأدبار، هو جهل فاحش، لا يلتفت إليه.

وكل أحد من أهل العلم حكموا عنده أنه قال استدبرت امرأتي معناه ما ذكرنا، لا ما فهموا. والدليل على ذلك سيأتي بعده. "**وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ**" أي من الأولاد، واستنباطنا واضح.[330]

أوجب الله علينا مثلا الصلوة بأركان مخصوصة، نتقيد بها، وبعد ذلك لنا الخيار في الثياب والألبسة. فالآن ننقل ذلك إلى المملكة، و أحكام الدولة نتقيد بمحكمات الكتاب، وبعد ذلك لنا الخيار. يأتي كل قوم بقانون يناسب مزاجه هذا من الرحمة، وقد غلط جهال المتعبدين وأهل الزهد والذين يتعبدون لقومياتهم بإيجاب وضع خاص على الناس في أمور تركهم الله على الاختيار بإلحاقهم الأمور الابتداعية بمحكمات الكتاب. فهؤلاء هم المفسدون الذين لإبطال مفاسدهم يقوم المجددون للدين، إليه الإشارة

---

330 الحاصل أن الاعتزال من النساء في المحيض و إتيانهن بعد التطهر كلاهما قانونان لا يجوز لأحد خلافهما، وأما الكيف و الوضع في الإتيان فهو في درجة المصلحة. فالمسلمون مختارون في اختيار حسب أمزجتهم و عادة قومهم. هكذا ستر العورة فرض، و القانون لا يجوز لأحد خلافه. وأما وضع اللباس فهو في درجة المصلحة يختار كل قوم وضعا يناسب أمزجتهم ورسمهم. هكذا أكل الحلال فرض و قانون لا يجوز خلافه. وأما وضع الخبز فكل قوم فيه مختار. هكذا في سائر الأمور. فالاعتزال في المحيض وستر العورة وأكل الحلال وأحكام محكمة، وأوضاعها في درجة مصلحة. وإن عين الشرع وضع الحكم فيخرج الوضع من المصلحة، و يصير حكما محكما لا يجوز خلافه، فمحكمات القرآن بين الأقوامي يجب إمتثالها على أقوام العالم و أوضاعها في درجة المصالح يختار كل قوم وضعا يناسب أمزجة (**پس ہر قوم اپنی مصلحت کے موافق قانون ثانوی بنانے میں ماہر ہوگی اسکو بائی لاز کہتے ہیں**) فهذا هو روح بين الأقوامي في قانون الإسلام على وجه لم يوجد في مذهب ما. فلا يستحق مذهب ما أن يدعي أنا مذهب بين الأقوامي يعنى مذهب السلام بين محكمات (**تجویز کرنے میں اقوام عالم کے مصالح کو مد نظر رکھا گیا ہے اس لئے ہر قوم اس پر چل سکے اگر احکام تجویز کرتے وقت تعین اوضاع بھی کر دی جاتی تو اوضاع بھی درجہ قانون و حکم محکم میں داخل ہو جاتی تو پھر وہ درجہ مصالح سے نکل جاتیں اور انکی مخالفت کی گنجائش نہ رہتی تو مذہب اسلام بین الاقوامی نہ رہتا اور نہ اقوام عالم اسکو قبول کر سکتیں**) و كون مذهب ما بين الأقوامي ليس معناه أنه يدعي أنه بين الأقوامي بل معناه أن يكون في قواعده استعداد و روح يمشي به على الأقوام، ويمشي عليه أقوام العالم بالسهولة فهو لا يكون إلا مذهب روعى فيه مصالح أقوام العالم، والمذاهب الذي يخلو عن هذا الروح فهو لا يكون بين الأقومي و إن ادعى أنه بين الأقوامي. فالإسلام حرم مجامعة في المحيض و أجاز بها في الطهر، وكذا أحرم كشف العورة، و أكل الحرام لكن ما سلب فصالح الأوضاع من كل قوم فقبوله سهل لكل قوم، وأيضا راعى في تجويز القواعد و الأحكام المحكمات الفطرة، فقواعده توافق الفطرة و روعي في وضع القواعد مصالح الأقوام فصار قبوله أسهل على أقوام العالم هذا هو كونه عالمكير و بين الأقوامي. (هذا الكلام مكتوب في الهامش، و قد استخدم الشيخ بعض التعبيرات المستعملة في اللغة الأردية؛ مثل بين الأقوامي و عالمكير مكان دولي و عالمي، الباحث)

"وَاتَّقُوا اللَّهَ" أي باتباع محكماته، واعلموا أنكم ملاقوه، أي فلا تلبسو الحق بالباطل و لا تجعلوا الأمور المخترعة مثل نصوص الكتاب. **"وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ"** أي المصلحين المجددين، تمت المسألة.

مسألة: الأمر الاستنباطي يصير مثل الواجب الشرعي، إذا نذر نذرا لله و إذا صار أمرا مؤقتا وعزما مصمما من جماعة لاتباع ذلك الأمر المستنبط يؤاخذون بتركه. يحصل للأمر المستنبط فينا درجة قانونية. و الإمام ذكر في **حجة الله** "أن المقلدين إذا عزموا على تقليد المجتهد وإن لم يكن التقليد واجبا في الدين يأثمون بتركه" قال في طبقات الإثم في حجة الله: "المرتبة الخامسة ما لم ينص عليه الشارع ولم ينعقد في الملأ الأعلى حكمه لكن توجه عبد إلى الله بمجامع همته فاعتراه شيء يظنه ممنوعا عنه، أو مأمورا به من قبل قياس، أو تخريج، أو نحو ذلك، كما يظهر للعوام تأثير بعض الأدوية من قبل تجربة ناقصة أو دوران حكم الطبيب الحاذق على علة، ولا يعلمون وجه التأثير، ولا ينص عليه الطبيب، فلا يخرج مثل هذا الإنسان من العهدة حتى يأخذ بالاحتياط، وإلا كان بينه وبين ربه حجاب فيما يظن فيؤاخذ بظنه." [331] و يلحق بها معرفة حكم مجتهد فيه إذا كان مقلدا مجمعا (على) تقليد من يرى ذلك.

هذا هو الذي نجعله من النذر الذي أوجبه الإنسان على نفسه، إليه الإشارة في قوله تعالى: **"لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (225)"** والمقدم عليها الآية 224 نذكرها بعدها. وضع القانون لمخالفة البر والتقوى، ومخالفة الإصلاح بين الناس حرام، إليه الإشارة في قوله تعالى: **"وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (224)."**

مسألة: أمثلة للقانون، الفرق بين القانون والمصلحة. **"لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (226) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (227) وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (228)"** إذا لم يقدر حدود المصلحة من الجوانب بل أطلقت كيفما يفهم الرجل يعمل بها، فهي مصلحة. وإذا بين حدودها من أطرافها وقيدت بذلك

---

[331] ولي الله، **حجة الله البالغة**، باب طبقات الإثم، 1: 146.

صارت قانونا. الرجل والمرأة في البيت متشاركان، والنكاح عهد اشتراك، فيكون لكل منهما حق متبادل على الآخر، ويكون في بعض الحقوق تقديم أحدهما على الآخر، فتلك مصلحة إليه الإشارة في "**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي**..." هذا يرجع إلى المعاشرة و المعايشة من الأكل و الشرب و اللباس، وحق الانتفاع لأحدهما من الآخر.

و قد اشتهر بين أهل العلم أن الرجل إذا دعا إمرأته فانكرت، تكون عاصية وعليها من الإثم، كذا فليفهم الإنسان من تلك الآية أن مثل ذلك واجب على الرجل أيضا إذا تركها على احتياجها يكون على الرجل إثم و مسؤلية مثل إثمها.

ومبحث آخر: كلما اجتمع أفراد من الإنسانية على شئ مشترك بينهما يجب أن يبين وجه قطع كل خصوصية تقع بينهما. والعلم تنتظم الاجتماعية، والنبي علم الناس كل ذلك حتى قال: "إذا سافرتما فليكن أحدكما أميرا"[332] و في الاجتماعية البيتية يقطع كل نزاع يقع بين الزوجين في كل أمر حقيرا كان أو خطيرا، يكون الحكم راجعا إلى جعل الرجل أميرا عليها، إليه الإشارة في "**وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**" أي في الاجتماعية. تلك هى مصلحة مثل الأولى، ليس فيها تحديد الحدود. فإذا جاءت لتحديد مثل تلك المطالب والمصالح صارت قانونا. ولما خير الله عباده في وضع القانون بعد رعاية محكمات الكتاب يجب أن يعلموا بذكر أمثلة لذلك.

فالمثال الأول في –الآيتين- 226 – 227، الرجل يمسك نفسه، ولا يجعل لامرأته أن تنتفع به، فكان مثل المصلحة. فإن الرجل كان حاكما في البيت، فرأى ذلك في المعاشرة وحكم بها لحكمه، وتلك المصلحة ما قررها الله على إطلاقها بل جعلها مقيدة بأربعة أشهر فقط، يجب بعد ذلك فسخ الاشتراك. هذا مثال للقانون في قوله "**لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ** ..."

والمثال الثاني: الحاكم يفسخ الاشتراك، وبعد قليل يتراجعان إليه، هذا الأمر إذا فوض إليهما متى شاؤوا فسخوا ومتى شاؤوا يتراجعوا. كانت مصلحة، وإذا قيدت بقيود لا يمكن بعد ذلك الفسخ أو

[332] عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم" و قال شعيب الأرنوط: " رجاله ثقات، وقد اختلف في وصله وإرساله" لينظر: أبو داؤد، **السنن**، كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون... (بيروت، دار الرسالة العالمية) 4: 249.

الاشتراك، صار قانونا. و المطلقات؛ العدة هي زمان للارتجاع، وتلك المدة قيدت بثلاثة قروء. التراجع بعد الفسخ لا يجوز بعد ثلثة قروء، إليه الإشارة في "**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ**" فالتراجع صار محدودا. ومعرفة القرء أمرها إلى النساء، حرم عليهن أن يكتمن ذلك شيئا إتماما لتنفيذ القانون. وهكذا القانون قد يستلزم قانونا آخر و إليه الإشارة في "**وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ**".

المثال الثالث: للفسخ أيضا مقيد في قوله تعالى: "**الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (229) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (230)**" ثم بعد أحكام ذكرها الله: "**فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ ... فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ**" هذا قيد للفسخ. فإلى الثلاث يتراجعان ثم لا: لكن إن اعترى نكاح آخر فبعد ذلك إن بدأ نكاح مبتدأ فهو جائز، هذا تقييد للفسخ.

المثال الرابع معاهدة النكاح كانت مبنية على إيتاء مال للمرأة، و ذلك عندنا ليس قيمة الاستمتاع بالأبضاع، وإن ظنها بعض الفقهاء بل هو راجع إلى مصلحة أخرى. تلك المرأة كانت عضوا في اجتماعية بيت الوالد، فلما خرجت منها يمكن أن تحدث خسارة لتلك الاجتماعية، والرجل الذي يتخذها لبيت مستقل يمنحها شيئا إن شاءت توسع اجتماعية بيت أبيها بذلك المال. هذا وجه إيتاء المهر للمرأة. وأما في المعاشرة فالزوجان سواء، ليس له عليها تملك. هو حاكم في إدارة البيت، هي مسألة في حاجة اجتماعية. أما المعاشرة والمباشرة فالزوجان مستويان في ذلك عندنا بتنقيح المناط، وبعد تنقيح المناط مثل هذا فسدت الاجتماعية في بيوت المسلمين إلا بعد أن تولد أولادا، هي تكون واسطة مستقلة في تسوية الرجال و النساء في الاجتماع، وأما قبل ذلك فالنساء كأنها مستأجرة للاستمتاع فقط. وتلك الأفكار من أفسد الأفكار، فتلك المصلحة التي بينا؛ هي إيتاء المال للمرأة وقت العقد. إن كان إيتاء و ارتجاع باختيار الزوجين كانت مصلحة، وإذا قيدت بقيود صارت قانونا، إليه الإشارة في "**وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ**" هذا القانون يتعلق بالمال الذي قدمه الرجل للمرأة. فالمرأة إذا رجعت بيت أبيها بفرار منها فأردت تلك العطية، جاز في نظر القانون، ولو كان ذلك قيمة الاستمتاع. وقيد الفقهاء ذلك الاستمتاع بالمرة الواحدة فقط، لكان أخذ ذلك المال

باطلا. إنما استأنسوا ببعض ألفاظ، وما تدبروا في معانيها وغايتها. هذه الأمثلة من القانون يسميها القرآن حدود الله. وقد هدد من يتعدى الحدود في قوله "**وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ**" فالقوانين المتخذه لتتقيد الدولة و حكومة المملكة؛ الاعتداء عليها فساد عظيم. مبناه هو الاعتداء على حدود الله في البيوت.

تنبيه: الذكر و الأنثى بالطبعية يصلحان لأمور مخصوصة. بعض الأعمال جبلة الذكور تناسبها مثل تحمل المشاق في اكتساب المعاش. وبعض الأعمال جبلة الإناث توافقها مثل حضانة الأولاد وتقسيم الأعمال. أعمال البيت على مناسبة الفطرة؛ هو العدل والتقوى. العدل الذي تبنى عليه الاجتماعية الصالحة. وقد جرى الناس من زمن طويل، وفي جميع الممالك والأقوام على أصول تقارب الفطرة، ومنذ مئة سنة بعد اكتشاف نواميس الطبيعة، و اصطناع المكنيات حدث في جميع الممالك تغير عظيم في نظام البيوت والعائلة. فأفسد اعتبار فطرة الرجال والنساء ما يناسبها.

و الرأسماليون المالكون للماليات، لاينظرون إلا إلى اكتساب الأموال ولا رعاية عندهم لفطرة الضعفاء والأقوياء، ولا رحم عندهم للمظلوم، فعزموا على تغير الاجتماعية إلى آخرها. هذا الانقلاب الذي نراه في الغرب اليوم هو مرض وبائي، يمر على جميع الممالك مرة، ثم بعد ذلك يرجعون إلى الفطرة. فالاشتراكية (سوشلزم) قامت لرد نظام الرأسمالية، هي تمر خلف الرأسمالية وتتبعها، وفي الآخر تفوز الاشتراكية. وبعد فوزها على الرأسمالية يرجع الناس إلى قانون الفطرة هذا هو الذي نظن.

القرآن قانون الفطرة:

نحن لا نيأس من اعتبار القرآن حكم الفطرة. فطرة الرجال والنساء بسبب مرض عارض وفساد عارض، وليس معنى ذلك عندنا مسخ اجتماعية القرآن، بل معناه إبطال ما أحدثه الرأسماليون من المظالم، وليس إبطال ما أحدثه الرأسماليون بسهل، بل يحدث أشراط من قيام الساعة وأهوالها. وقد عرفنا أن الإمبراطور كسرى و قيصر زمن القديم كانوا غلبوا على الدنيا، وكانوا رأسماليين، والقرآن قام بالانقلاب عليهما، فقامت قيامة على الإيران والروم والعراق والشام. ونحن نجعل كثيرا من الآيات تشير إلى تلك الساعة، نبعد مرور تلك الساعات. انتظمت الاجتماعية على حكم القرآن ودامت نحو الف سنة والرأسماليون في تلك المدة تعدد حدود الله، وأفسدوا الأمور وستأتي ساعة كبيرة لرد تلك المظالم وتطهير الاجتماعية من الأنجاس. و نرجو بعد ذلك أن تنتظم الاجتماعية مرة أخرى إلى ماشاء الله، ونعتقد قطعا

أن حكم القرآن يكون غالبا في الاجتماعية الآخرة أيضا لكن على تفسير الإمام ولي الله فقط. فإذا أراد المسلمون أن لا يموتوا في ذلك الانقلاب فليتمسكوا بالقرآن على تفسير الإمام ولي الله، وعلى طريقة تقاربه ولا يتوهمون أن حكم الجبلة أيضا يمكن إبطاله. فالآن نرجع إلى البحث الاصلي.

في المرة الثالثة كان قد انقطع حكم التراجع، فيمكن أن يحتال الإنسان و يترك المرأة معلقة، لايطلقها الطلاق الثلاث، هذا كان ممكنا أن يستنفع به الرجل من جهة كونه حاكما، فما أبقيت تلك المصلحة بل حددت بحدود وصارت قانونا.

و المثال الآخر للقانون في قوله تعالى: "**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (231)**" هذا الذي تنبهنا عليه أن تلك أمثلة للقانون، إنما ذكرت ليقدر المسلمون على استعمال المصالح المرعية في الاجتماعية، المبنية في القرآن بحدود تناسب أمزجة الأقوام. فنجد هذا المعنى مرادا في آخر الآية "**وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا**" نحن قد بينا أمثلة، لأن القوم أميون، لايقدرون على حفظ الكليات لكن الأمثلة ليست شخصياتها بمقصودة بل يجب أن يتفكر الناس كما أشار إليه في "**وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**" فترك التفكر وجعلها أمثلة مشخصة فقط في نظرياتنا داخل في قوله "**وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا**". ونحن نعرف إذا كان الأستاد يريد أن يعلم قاعدة في ضمن مثال، والتلميذ لايلتفت إلى القاعدة يعرف أنه أضاعها بإلقائه إلى مثل هذا البليد، يؤيد ما فهمنا ما جاء بعده من قوله "**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**..." الكتاب هو القانون. والحكمة ما في الكتاب من المصلحة. والنبي المعلم موجود فيكم، تتعلمون حكم الكتاب و حكمته، فنقول مثلا: إن تلك الآيات حكمها في حقوق البيت، والحكمة توجب رعايتها في الخلافة الكبرى.

"**وَاتَّقُوا اللَّهَ**..." فكل ما تحتاجون إليه في إقامة التقوى والعدل يعلمكم. فإذا صلح باعتباركم فلا تقولوا أنه غير مراد الله، لأن الله يريد أن يعلمكم جميع ما تحتاجون إليه في التقوى. وإنما استعمل لسانا خاصا يناسب مزاجكم. النساء إذا فرغت بعد الطلاق يحبسهن الأقوياء من الأزواج أن ينكحن أو يمنعن الأولياء أن ينكحن. وذلك مفسد لحكمة النكاح. المعاهدة كانت لمصالح الطرفين فقط، فكان قانونا مظهرا

للحكمة. هذا أيضا يكون من القوانين الثانوية التي يستلزمها القانون الأول. إليه الإشارة في قوله تعالى: **"وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** (232)" هذا نوع من الكلام تم عليه الفصل. بعد ذلك أحكام من تبدبير المنزل بنوع آخر.

"البعثة النبوية رأسا إلى الحجاز و بالواسطة إلى العالم" حكم البيت في البعثة الأولى يكون نموذج الحكومة، وفي البعثة الثانية مثل خازنات، خادمات، مولدات أيضا، اجتمعن تحت رئاسة حكماء، يريدون تهذيب أولادهن وتخريج الأمم الآخرة من تعليم قريش أو العرب، مثلا يحتاجون إلى نوع آخر. و تلك الدرجة يمثلها البيت بعد توليد الأولاد. "**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** (233)" والمولود له ينفق عليهن، ويكون كل ذلك بما يناسب حالات الوالدات والمولود له. والأمة العربية تنشأ من مثل هذه التربية ثم بعد ذلك "**وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا**" أي من غير الوالدات، فلها أحكام مثل تلك الأحكام، تنفقون عليهن بالمعروف. والاسترضاع من غير أمه يجعل الرجل العربي قادرا مستأهلا لتبليغ الدين في قوم أمه. فإنشاء الملل الأخرى من تعليم الملة العربية يكون مثل تربية الأولاد، وبعد ما دخلوا في الإسلام لايكون النظر إلى الأمم مثل الأعداء. وهذا إنما يكون إلى قوم مخصوص و مصلحة تتعلق بالمصلحة المربية. وبعد ذلك يبقى أقوام يأتون تحت حماية المسلمين، وفي حفظ حكمهم فإن كانوا معتادين بتربية الأولاد واستخدامهم في ذلك بأمهات الأولاد أو بغير الأمهات قدروا على تربية الأمم "هذا الذي استنبطناه من مسألة الرضاعة".

أرى مثالا لذلك الرجل يولد له ولد من أم، هي ترضعه، وينفق عليها بعد طلاقها أيضا، ثم قد يكون تشاور في الفصال، ويتخذون حاضنة له، هي أيضا تكون مثل الأم لذلك الولد. والوالد ينفق عليها أيضا مثل ما كان ينفق على زوجته، فبذلك يتوسع نظر رحمة، لا تتقيد بصورة واحدة بل تتنوع الصور. هذا التنوع في الصورة أخذه أمرا إجماليا في الاعتبار بين الإرضاع و بين الإرشاد في التعليم. فأمر دقيق ليس

بجلي، ويمكن أن الآخر يستنبط شيئا أحسن منه لكن تنبهت على ذلك على حسب ما جرى على من الأحوال.

فالحاصل أني أرى مسألتين: 1- تربية الأقوام الداخلة في الإسلام. والمراد غير المحاربين، هي فرض على الأمة المسلمة العربية التي نشأت بتربية القرآن وتربية النبي عليه السلام. وليس هذا أمر هين بدون سعي الحكومة، بل أمره عندي أهم من أمر الحكومة. فإذا قدرنا على استنباط قانون للحكومة من تدبير المنزل، فطبيعتي توجب أن يكون في تدبير المنزل قانون لإرشاد تربية الأقوام غير المحاربة. ووجدت تشابها لمسألة الرضاع بوجه مع تلك المسألة فاعتبرتها بها.[333]

2: الرجل يتوفى في مثل الحاكم يتوفي، فلهن أحكام مخصوصة، ليس مسألة الطلاق و مسألة الوفاة مثل شيئ واحد في قوله تعالى: "**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (235)**".

ونحن نعتبر من تلك الأحكام انتقال الحكم من بيت إلى بيت. البغاوة على بيت الحاكم لانتقال الحكم أو الاحتيال السري لانتقال الحكومة غير مرضي. لكن بعد موت الحاكم الأول حقيقة أو حكما يتقدم الرجل جهرا إلى الأمة أو القوم، فإن رضوا به فليحكم.

---

[333] و المراد بهذا التشابه كما أشار إليه في مقام محمود "أن لايمكن لرجل أن يحكم على القوم أو الملك. وتكون جماعتين: الحاكم و الرعايا.... إذا كانا متفقين في أمر القانون في شؤونهم فما جاء بالفتح من الأقوام يكون بمنزلة الولد" لينظر: سندهي، عبيد الله، **مقام محمود**، 220. و ما رأيت مثل هذه الإعتبارات عند الجمهور.

النساء يتوفى أزواجهن فلهن الحق أن يفعلن في أنفسهن بالمعروف. المعاهدة معهن والمواعدة سرا لا تجوز وقبل بلوغ الكتاب أجله عزم عقدة النكاح حرام. كذلك الأمة بعد علمها بضعف الحكومة ترجع إلى نفسها وتختار حاكما، والدعايات السرية ليس مما يصلح بها الناس.[334]

تنبيه: إن العمل بتلك الرموز و الإرشادات التي أخذناها لا يمكن إلا في الجمهورية. الرئيس يموت أو يضعف، وأهل الحل و العقد يجتمعون ويختارون الأمر. هذا يمكن في نظام الجمهورية، وفي غيرها لا يمكن الانتقال من بيت إلى بيت إلا بالمواعدة سرا أو بالقتال. نحن أولا تحققنا أن أمر الأمة في تعيين حاكمها راجع إلى الجمعية المركزية، أو نقول إلى أهل الحل و العقد و ليس يراجع إلى وحي أو تعيين نبي. "فانحل مسألة الخلافة عند الشيعة".

فالأمة أو القوم يختارون مثل ما تختار النساء بعد موت الأزواج. فالاستبداد و انتقال حكم من بيت إلى بيت بدعايات سرية كلها عندنا أحكام الجاهلية، بقيت بين المسلمين، وليست من تعليم القرآن في شئ، وفي تفسير سورة الشورى عينا المقصد أحسن من هذا. و لكن أريد الآن أن نفهم من القرآن كون أحكام الإسلام فطرية. نستند إلى أمثال تلك الإشارات التي مرت لإثبات فطرية أحكام الإسلام.

ونعرف بالبداهة أن الرجل والمرأة في البيت مثل حاكم و محكوم، و من يقول كلمة على خلاف ذلك يعد منكرا بين أهل الإسلام. الآن نرجع إلى تلك الفطرة التي ارتسخت في أذهاننا في وقت انتقال الحكم من رجل إلى رجل أن نترك النساء أو القوم المحكوم أحرارا في انتخاب الأزواج، لا نسعى في ذلك بالوعد السرى وتغيير فطرتهن. فإذا فهمنا مثل ذلك فليس بأمر بعيد بالمرة، والأمر الذي استنبطناه محقق في آيات وسور أخرى. إنما يستقر به ناس، لايعرفون وجوب الشورى. وقد رد عليهم أبوبكر الرازي بأوضح رد.[335] وتعيين شورى أهل الحل والعقد هو ثابت في القرآن، والناس غفلوا عن التدبر في القرآن في مسألة الحكم.

---

[334] أي أمور الناس

[335] لينظر: الجصاص، أبوبكر، **أحكام القرآن**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: 1405هـ، 2: 329-331 في تفسير قوله تعالى: وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ... 3: 159.

مسألة أخرى: قوله تعالى: "**وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (235) لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (236) وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (237)**" النساء إذا طلقت فالمتعة حق على المحسنين، وكذلك إن لم يستفد الرجال من معاهدة النكاح فلا يجبرون على أداء كل المال الذي قطع لهن بل النصف لرعاية القانون فقط. والقانون له شخصية مثل شخصية الحي، فاعتبار المصلحة في ذلك أولى إلى العفو. معاهدة النكاح كانت لتقريب مخصوص بين الزوجين، فإذا بطلت ذلك يوجب التنافر بالطبع، فالقانون يردده، والحكمة تمنعه. هما فردان من الاجتماعية المسلمة، وتلك الاجتماعية له حق أولى في التاليف والتودد، و للمعاهدة حق التودد. بعد ذلك أزيد من الأول، فإذا بطلت المعاهدة لا تبطل الاجتماعية الإسلامية. ورعاية ذلك واجب، فلذلك في رقم الآية 236 أمروا بعد طلاق النساء "**فمتعوهن**" وأمروا في –الآية- 236 بعفو المهر إشارة إلى ذلك. فإذا حافظوا على الاجتماعية الإسلامية بلوازمها يمكن أن ينظموا حكومة جمهورية تكون تبادل الحكام بدون قتل، أما إذا نسوا الاجتماعية الإسلامية فلا تقوم جمعية مركزية ولا يكون أهل الحل والعقد ولا يتشاورون بل يكون فرض.

مسألة أخرى: "حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (238) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (239)" مسألة محافظة الصلوة جاءت في وسط أحكام البيت، نحن نأخذ منها أن المحافظة على أحكام البيت فرض مثل المحافظة على أحكام الصلوة. و الصلوة أساس الإحسان وأساس ذكر الله. وأحكام تدبير المنزل أساس العدل، وكلاهما في الفرضية سواء. تمت.

في قوله تعالى: "**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (240)**

وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (**241**)" ذكر الإحسان إلى نساء توفي أزواجهن، فالواجب على أهل الاجتماع من بقي بعد الزوج أن لايخرجوهن إلى الحول، وبعد العدة أن خرجن فلابأس عليهن، لكن أهل الزوج لايخرجوهن إلى الحول. وهذا ليس بحق النكاح بل حق الاجتماعية، فإن الزوجين لا ينفردان بل يكونان عضوا في العائلة والقبيلة. فكما أمر القرآن في الآيتين المقدمتين على محافظة الصلوات برعاية الاجتماعية، كذلك أمر في الآخرين بعدهما برعاية الاجتماعية. الأمر الأول كان للأزواج، وهذا لأهل الأزواج الاجتماعية خالصة. وكذلك "**وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ**" إن لم يقدر الزوج فأهل الزوج يؤدون المتاع. فالأمر بالاجتماعية في تدبير المنزل أو إرجاع تدبير المنزل إلى الاجتماعية الإسلامية مثل إرجاع الصلوة للاجتماعية الإسلامية.

فالاجتماعية الإنسانية هي موجبة لتدبير المنزل، وهي الموجبة للمحافظة على الصلوات سواء بسواء. قوله تعالى: "**كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** (**242**)" أيجوز أن نكتفي ونعتمد على الأمثلة فقط؟ نحن بقدرتنا سعينا في ذلك، وإذا اجتمع أهل العلم إلى مثل ذلك السعي أتوا بتفسير لعله يكون أحسن إن شاء الله تحت مصلحة الإدارية. وبذلك تم الباب في الاجتماعية المتوسطة و بقي فصل واحد من ذلك الباب (إقامة السلطان على الاجتماعية).

مسألة: قال الإ مام في **حجة الله** من باب الارتفاقات: "و كان للارتفاقات حدان:... والثاني ما عليه أهل الحضر والقرى العامرة من الأقاليم الصالحة المستوجبة أن ينشأ فيها أهل الأخلاق الفاضلة والحكماء، فإنه كثر هنالك الاجتماعات وزدحمت الحاجات، وكثرت التجارب، فاستنبطت سنن جزيلة، وعضوا عليها بالنواجذ. والطرف الأعلى من هذا الحد ما يتعامله الملوك أهل الرفاهية الكاملة الذين يرد عليهم حكماء الأمم، فينتحلون منهم سننا صالحة، وهو الذي نسميه بالارتفاق الثاني".[336]

قلت: فالارتفاق الثاني له طرفان: 1- الطرف الأعلى ما به يتعامل الملوك . 2- الأدنى ما به يتعامل أهل الحضر والقرى العامرة: فطبيعة الارتفاق أنها توجب العدل وتستلزم الطرف الأعلى أي ما به يتعامل الملوك. وقد فرغنا مما به يتعامل أهل الحضر والقرى العامرة وقد صرح الإمام في **البدور البازغة**: "أن الحجاز كان فيه الارتفاق الثاني على ما في القرى العامرة و هو الذي يستلزم الطرف الاعلى".

---

[336] ولي الله، الشاه، **حجة الله البالغة**، مبحث الارتفاقات، باب كيفية استنباط الارتفاقات، 1: 84.

فصل: فيما يتعامل به في التمدن الناقص مثل القرى العامرة والأمصار المتوسطة قد يوجب على حسب كل حاجة سنة مصطلحة عليها، ويكون رئيس كل أهل صناعة يصدرون برأيه أو اجتماع من عقلاء القوم ومبرزيهم، فيكتفون بذلك، ذكره الإمام (ولي الله) في **البدور البازغة** و قد ينعقد فيهم ملوكية إذا أرادو التقدم: و المباحث التي قرأناها من "**لَيْسَ الْبِرَّ**...(**177**)" إلى –الآية- (242) كلها راجعة إلى الاجتماعات الناقصة المتحققة في أم القرى والمدنية، ومن تلك الاجتماعات الناقصة نشأ حالته إلى انعقاد الملوكية. وهذا الطرف الأعلى من الارتفاق الثاني، فنبحث في هذا الفصل من –الآية- 243 إلى –الآية 252 آخر الجزء.

قوله تعالى: "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ** (**243**) **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (**244**)" فيه تثبيت للقتال في سبيل الله بذكر واقعة وقعت في بني إسرائيل، فروا من الموت، فوقعت حادثة ماتوا فيها يعني موتا في الصورة مثل السكتة في المرض ومثل ما يعرض بتأثير القوة البرقية، فلا يكون الموت موتا حقيقيا بل أن وصل الدواء في وقت، (ثم) تعود الحياة هكذا وصلت إليهم قوة برقية فماتوا: ثم جاء نبي من أنبياء الله و بتأثير قوة مثالية أعيد حياة القوم. في قدرة الله إنشأ كل ميت بحياة جديدة بعد تفرق أوصاله و بعد مرور ألف سنة مثلا، لكن كل ذلك يقع تحت اقتضاء الحكمة و الأسباب الموجبة له. فعامة الواقعات التي تقع في الموت والحياة تكون لا ينقطع أصل الحياة بالمرة بل يضعف إلى قرب الموت، ومن تلك البقية القليلة من الحياة إذا وصل مدد من القوى الطبيعية أو القوى المثالية يقوم الإنسان. وأما مثل تلك الواقعات بعد تفرق الأوصال و مضى السنين، فذلك لايكون إلا مثل خلق جديد، لكن لما كان من المادة الأولى وتتمة الحياة الأولى صار إحياء للميت. و الواقعة التي وقعت في بني اسرائيل هي من القسم الأول، وبعد ما قاموا تبين لهم أن الإنسان إذا فوض حياته لله و رضي بالموت في سبيل الله لا يكون موت معدم بل يكون تجديد الحياة بعده أكمل من الأول، فسهل عليهم القتال في سبيل الله.

و في قوله تعالى: "**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** (**245**)" دعوة لإنفاق الأموال في سبيل الله. فإذا تهيأ قوم بعد تجارهم في الارتفاق الثاني في الطرف الأدنى تهيأوا بذلك للقتال في سبيل الله. والإنفاق يقيمون الطرف الأعلى من

الارتفاق أي ينصبون ملكا عليهم فتوسع الارتفاق، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246)**" جماعة من بني إسرائيل بعد موسى "**قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا... الخ**". في الأمن و الرفاهية يمكن المضى في الارتفاقات برياسة جماعة. وأما في حالة الحرب فيكون الرجوع إلى واحد أولى، بل ضروريا على اقتضاء الحالات. فبنو إسرائيل لما احتاجوا إلى القتال أحسوا الحاجة إلى الملك، وإلا فقد كان قبل ذلك قضاة في كل قرية يحكمون، لكن القتال يستوجب أن يكون الأمر بيد واحد، فطلبوا منه إقامة الملك. والنبي استوثق منهم، أنتم تطلبون القتال؟ ويمكن إذا أقمنا ملكا وقمنا للقتال أنتم ترجعون؟ قالوا نحن مستوثقون للقتال لأنا "**قَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا...**" تبين أن الناس يحسون الاحتياج إلى القتال بعد الإخراج من البلاد والأولاد، لكنهم بعد كل ذلك "**كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ...**" الإقدام على القتال يحتاج إلى شجاعة، ولا تكون تلك الصفة إلا يحب العدل، والذي يحب الظلم لايكون عنده شجاعة. حصل للناس من ذلك أن من أراد عزة الدنيا فليسع لتأسيس حكومة لقانون يؤمن به أنه من الله، وذلك السعي لا يتآتي إلا من رجل يحب العدالة، وكل ما حدث في القوم اجتماع على إقامة العدل يفوزون في الدنيا. ثم في قوله تعالى: "**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247)**" بحث في أوصاف الملك، من يكون أعلم، أزيد علما و جسما هو أحق أن يرأس الناس. هذه الزيادة في الجسم إنما جعلت شرطا لزيادة العلم، وبدون الصحة لايكون قوة و على حسب العادة والمال ليس بشرط في الحكم، و إليه الإشارة: "**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ...**".

و في قوله تعالى: "**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (248)**" بيان أن الملوكية إذا استقر في إنسان صالح ينزل البركات من السماء. كان بنو إسرائيل سلب منهم تابوت السكينة. لما أجمعوا على القتال ورضوا بالملك أتاهم الله التابوت بدون مشقة. أعدائهم وضعوا التابوت على عجلة و أرسلوها إلى بني إسرائيل، بتأثير من ملائكة الملأ السافل. العجلة ما ضلت الطريق، وصلت

التابوت إلى بني اسرائيل.[337] فحكاية التوراة ليس فيها ذكر الملائكة، وإنما ذكر وضع التابوت على العجلة. و نحن نعلم في حكمة الإمام ولي الله أن ملائكة الملأ السافل فلهم في مثل تلك الأحوال على قلوب الحيوانات حتى يتم ما أراده الله. قال في **حجة الله البالغة**: "ودون هؤلاء نفوس استوجب فيضانها حدوث مزاج معتدل في بخارات لطيفة لم تبلغ بهم السعادة مبلغ الأولين، فصار كما لهم أن تكون فارغة لانتظار ما يترشح من فوقها، فإذا ترشح شيء بحسب استعداد القابل وتأثير الفاعل انبعثوا إلى تلك الأمور كما تنبعث الطيور والبهائم بالدواعي الطبيعية، وهم في ذلك فانون عما يرجع إلى أنفسهم، باقون بما ألهموا من فوقهم فيؤثرون في قلوب البشر والبهائم، فتنقلب إرادتها وأحاديث نفوسها إلى ما يناسب الأمر المراد"[338]و نحن[339] أن من هؤلاء الملائكة حصل تاثير بثورين الحاملين للتابوت أن يوصلا العجلة لبني إسرائيل هذا معنى "**تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ**".

اختبار الجنود من الملك

ثم يجب على الملك أن يختبر الجنود، ذكره في قوله تعالى: "**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249)**" "**فَشَرِبُوا مِنْهُ** ..." لما رأوا جنود الأعداء كثيرا خافوا في قلوبهم، ثم الصالحون تيقنوا أن الغلبة تكون للقوة المنظمة الفعالة لابالكثرة، فنرجو الله أن يبارك فينا فنغلب.

"**وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (250)**" "**وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ**" مع قلتهم و دعوا ربهم، أي أظهروا العزم على الموت في سبيل الحق هذا في 250.

---

[337] لينظر: عهدنامه قديم، سموئل:2-7

[338] لينظر: ولي الله، الشاه، **حجة الله البالغة**، باب ذكر الملأ الأعلى، 1: 49.

[339] أظن أنه يريد بهذا: نحن نرى أو رأينا.

"**فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251)**" فداؤد هو خليفة في بني إسرائيل بعد موسى. ذكر الله أنه "**آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ**..." هذا هو الدور في بني إسرائيل، و بعد داؤد وسليمان فالارتقاء في الارتفاق الثاني من الأدنى إلى الأعلى يتم بذلك، هذا ذكر في –الآية– 251.

في "**تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (252)**" إشارة إلى أن مثل ذلك يقع في قومك. تم الباب الارتفاق الثاني على تلك الآية.

ثم من الارتفاق الثاني القسم الأعلى منه إذا اتسع يحي بالارتفاق الثالث. "**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (253)**" إشارة إلى تقاتل الملوك و الأقوام فيما بينهم بعد التوسع في الارتفاق الثالث. كل قوم يكون له ملك. إما يكون ذلك الملك هو النبي مثل داؤد، وإما يكون نبي آخر يؤيد الملك. فمن تلك النبوات و الملوكيات تنشأ الأقوام المختلفة في الفضائل، والإشارة إلى ذلك في قوله: "**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ**" الرسل فيهم فضائل متنوعة منتشرة. فيهم انتشار العموم و الخصوص من وجه. أمثالها: 1- منهم من كلمه الله مثل موسى. 2- رفع بعضهم درجات مثل محمد صلى الله عليه و سلم، بعث للعالمين. 3- مثل إبراهيم جعل إماما للناس. 4- و آتينا عيسى بن مريم البينات و أيدناه بروح القدس. و هؤلاء الثلاثة البعض فيهم أفضل بوجه والآخر أفضل بوجه آخر. وتأثير الأنبياء المختلفة في الملوك والأمم. إنشاء الاختلاف إختلاف الأقوام، كل منهم يعتقد ولا فضيلة، ويريدون أن يجعلوهم تابعين لهم بالقوة الملوكية فاقتلوا. هذا التقاتل ينشأ من تفاضل الأنبياء البعض على البعض. وفيه حكمة لارتقاء الناس إلى إنشاء حكومة عالمية، لو لم تكن الحكمة لما اقتتلوا. إليه الإشارة "**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**".

فالمسلمون مأمورون بإقامة الارتفاق الرابع. الاجتماعية الصالحة لجمع الناس على كلمة واحدة على أن يكون الحكم و الملك لله وحده، أي لكتاب الله. إليه الإشارة في قوله تعالى:"**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**

أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (254)" والمراد من الكافر الظالم من يمتنع من إقامة الاجتماعية العامة. تم على ذلك.

الباب الخامس في بيان الخلافة

ابتداءه من آية الكرسي إلى آخر السورة . و قد ذكرنا لكم أنه كان عندنا تقسيم آخر، وإنما رجعنا إلى هذا التقسيم ليكون الابتداء في كل باب بآيات، فيها ذكر الله وذكر الإيمان بالله و التوجه إلى حظيرة القدس.

1- باب الأخلاق من قوله: "**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**". 2- الباب الثاني من قوله: "**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**". 3- الباب الثالث: "**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ**". 4- الباب الرابع "**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**".5- الباب الخامس يتقدم عليها باب إثبات الضرورة و الحاجة إلى نزول القرآن. **فالنظرية التي حققناها في باب الخلافة**

1- أن الخلافة لا تقوم إلا بجماعة. 2- الرئيس و الرياسة على الأمم إنما هي بتلك الجماعة. 3- الجماعة تنصب لهم رئيسا و انتخاب الرئيس و نصبه راجع إليهم فقط.

إقامة الرئيس رأسا من الأمم لا تجوز لولا حاجة إلى ذلك أن لايتدخلوا في إقامة الرياسة، لأن ذلك يؤدي و يجر إلى نزاع و فساد. و الأمر عندنا هكذا في تشكيله: كل قوم من أهل الإسلام يقدمون رجلا يكون عندهم أعلم بكتاب، وبما كان عليه النبي وخلفائه الراشدين. ويكون هذا الرجل ممثلا لقومه، لا يرجع رأيه إلى نفع ذاته خاصة. فمثل هذا الرجل يبعثه كل قوم إلى المركز. يجتمع اجتماعية من الأقوام، هي تكون مرجع الأمم لإقامة كتاب الله. فإن حصل في المركز اجتماعية كل الأقوام يعتمدون عليها، لأنها تراعى مصالح كل قوم، فلا حاجة إلى بعث المبعوثين من كل قوم. وربما يكون الداعي إلى تلك الجماعة رجل معين من الله. فالاجتماعية التي حدثت بتعليمه و دعوته يعتمد عليها كل الأقوام و الأمم نسميها باصطلاحنا في العصر الحاضر الجمعية المركزية.

نحن بعد ما استقرأنا أحوال سياسيات الأقوام في هذا العصر ما وجدنا القوة في قوم أو في مملكة ودولة وحكومة إلا إذ اعتمد القوم على جماعة صالحة لإقامة الأعمال التي فوضت إليها، فسموها برلمان:

جماعة مركزية. أياما شئت فقل، فكل الأسامى سواء. ومن فقد تلك القوة ليس لها قيمة في سوق الأقوام قدر درهم و إن زعم و توهم في نفسه، نظر إلى تاريخها أو بالنظر إلى أمانيهم أنهم كذا و كذا من الخيالات.

و بعد ما حصل لنا هذا اليقين نظرنا في كتاب الله و فيما كان يجري عليه النبي و خلفاءه هل نجد لها أثرا؟ فالذي اطمأن في الخاطر أن قوله: "**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**..."[340] إشارة إلى هذه الاجتماعية المركزية، هم الذين سعوا في إقامة حكم القرآن على الأقوام، وفازوا في ذلك، فهم خلفاء الله في أرضه. وهذه الجماعة إذا احتاجوا إلى رئيس ينتخبونه منهم، ونحن نسميه بالحنيفة – ذلك الرجل الرئيس. والأحق عندي أن يسمي خليفة الخلفاء، و إذا مات رئيس يخلفه رئيس آخر، و ليس للأمة حق المداخلة في انتخاب الرئيس. و للأمة حق في تنظيم تلك الجماعة، إما بحصول رضى من الأمة على رجل موجود في تلك الجماعة، وأما يبعث مبعوث منهم، فإذا انتظمت الاجتماعية المركزية بعد ذلك لا يبقي للأقوام حق انتخاب رئيس لتلك الجماعة. فإذا سمينا تلك الجماعة جماعة الخلفاء يكون أوفق لبيان مرادنا. كل قوم ينصب خليفة في الاجتماعية المركزية و خليفة الخلفاء طول حياته. ثم تلك الجماعة نصبت لهم خليفة الصديق ثم الفاروق ثم عثمان فنصب الخلفاء لم يكن حقا إلا لهم و لهم حق في العزل.

فتنظيم مثل تلك الجماعة و الجمعية المركزية فرض على جميع الأقوام إن أرادوا إقامة كتاب الله. الأقوام الإسلامية من الهند والأفغان والطوران والعرب كلهم إلى يومنا هذا لا يحبون عليهم سلطنة إلا شرعية لكن لا يهتدون إلى إقامتها. وإقامة سلطنة القرآن الكريم على الأقوام الإسلامية ممكنة اليوم. إن اجتهدنا مثل اجتهاد العمال، أما لولم تجتهد فلا يكون شئ، وعدم الاجتهاد والناشئ منه إنما نشأ من السلاطين وأعوانهم من العلماء المترفين. فعلى تلك النظرية نشرح هذا الباب من سورة البقرة، والذي تحققنا من أهل عصرنا في جميع مرجع القوة السياسية هو الذي يحققه الإمام ولي الله في كتابه **إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء** و هو يجعل خليفة الخلفاء أقوى من جماعة الخلفاء و ذلك صادق زمن النبي عليه الصلوة والسلام، و جماعة من أهل العلم تسامحوا جعلوه الأمر منسحبا إلى زمن الخلفاء بعد زمن النبي أيضا. أنا لا أقبل منهم ذلك بل جماعة الخلفاء بعد النبي أقوى من خليفة الخلفاء. فنظري ذلك من آثار الفاروق إذ سأل الجماعة أن لو خالفتكم فأي شي تفضلون بي؟ قالوا نقومكم بالسيف وسلم الفاروق. ذلك منهم فلا

---

[340] التوبة: 100

يجوز على آخر الغض من حق الجماعة بعد ذلك، وإلا فهو ظلم. فنحن نقدم تفسير آخر السورة لتعيين هذا المعنى ثم نكمل ما بقي. قوله في أخر السورة "**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (**284**)" معناه أن الحكم و الملك لله وحده لهذا المعنى فقط، بعث النبي، ومعنى ذلك يرجع إلى أن حكم كتاب الله يكون نافذا على ملك الأرض فيتم الحكم لله في السموات والأرض. والذين يخلفونه في الأرض لإقامة كتاب الله يحاسبهم حسابا خاصة لا على منهاج حساب العامة، وإليه الإشارة في "**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ**". تلك الآية خاصة بخلفاء الله في أرضه، هم إذا أخفوا في أنفسهم أمرا خلاف ما أمر الله به في كتابه في حق قوم أو في فرد يحاسبهم به الله فيغفر لمن يشاء، أي كانت حسناته غالبة، ويعذب من يشاء أي من كان سيآته غالبة، "**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**" على المغفرة وعلى العذاب. و أما عامة المؤمنين لا يحاسبون إلا بما تكلموا أو بما عملوا، وهذا الحساب يكون بواسطة الملائكة. والملك لا يكتب إلا ما تكلم به أو ما فعل. أما خلفاء الله فيحاسبكم به الله.

لما نزلت الآية أشكلت على الناس، فالنبي علمهم أنهم إن لم يقبلوا هذا لايستخلف منهم أحد. ومن تلك الدرجة زلت اليهود وضلت "**قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا**" فحرموا عن الخلافة العمومية، واتبع الناس أمر النبي "**وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**" هذا الميثاق ميثاق الخلفاء إذا خالفوه يسلب عنهم الخلافة، فهذا مضى قوله "**وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ**" أي يسلب شرف الخلافة من قوم خالفوا ميثاقه.

قوله تعالى: "**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** (**285**)" الرسل و المؤمنون جماعة واحدة، والمؤمنون هم الخلفاء، والرسول خليفة الخلفاء، كلهم سلموا هذا الميثاق وآمنوا به، فتصريح تلك في الآية التي بعدها "**كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ**" هذا عنوان لحظيرة القدس. "**لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ**" تصريح بشعار الحنفية، لما جعل الله إبراهيم إماما للناس وجب عليه أن يصدق كل رسول جاء إلى قوم من أقوام الدنيا. ذلك الإيمان الاجتماعي يجمع أنبياء الدنيا، هو دعوة إبراهيم. فالذين تعصبوا لقومهم من فقهائنا وردوا أنبياء أقوام آخرين لا يعلمون أبدا. ولو تمسكوا بالقرآن وقالوا هذا دين جميع الأنبياء أيضا كانوا على الحق، وإن كانوا لا يعلمون التفاصيل، لكنهم يظلمون الناس، يتعصبون لطائفة من فقهائهم، وينكرون على جميع الأقوام أنبيائهم.

ولإخراج هذا الفساد من قلوب الفقهاء ندعوهم في علوم الحديث و الفقه أيضا إلى اتباع الإمام ولي الله كما ندعوهم في تفسير القرآن، وفي علوم الحكمة إلى حكمته، ولو وجد رجل يقوم مقام الإمام لجعلناه مساويا له.

تفصيل إيمان الرسول و المؤمنين: "وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ" إن أغفلنا شيئا بالعزم نواخذ به إما إذا لم يكن عزم فنرجوا غفرانك فتقبل الله دعائهم هذا في الآية بعدها قبول دعائهم.

"لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)"

"لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا"هذا ناموس كلي لا يتخلف أبدا، ومن هذا التكليف ينشأ مواخذة، لأن الإنسان إذا فعل شيئا برضاه واختياره يجذب نفسه روح هذا العمل، فان كان صالحا فله و إن لم يكن فعليه، إليه الإشارة في قوله: **"لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ"** والمؤاخذة إنما تجري على إرادتها وعلى عزمها، و صار عزم المؤمنين ظاهرا في دعائهم **"رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا"** النسيان والخطأ ليس تحت الإرادة، وليس تحت العزم، هم يحبون أن يغفروا، والله قد استجاب دعائهم **"وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا ... مِنْ قَبْلِنَا"** الذي علِمنا واطمأن به الخاطر أن معنى ذلك لا يكون علينا حكومتان: حكومة القرآن وحكومة فوق ذلك لقوم آخرين. فإذا كانت علينا حكومتنا فنحن مسؤلون عن إقامة حكم القرآن. **"رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ"** يعنى ما لانطيقه إلا بمشقة بل يكون لنا التيسير في الارتفاقات. **"وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا"** بتكميلنا مدارج الخلافة العمومية. **"أَنْتَ مَوْلَانَا"** لا إنسان غيرك **"فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ"**المعاندين قوله " **لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**" إليه الإشارة تفصيلا. الإشارة فيه إلى آية الكرسي، هذا شرح أن كل ما في السموات و الارض له الآية 255.

"اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)" آية الكرسي فيها بيان إيمان الخلفاء المفصل و شرح لحظيرة القدس تماما. قوله **"اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ"** تعبير

عن التجلي الآعظم. "**الْحَيُّ الْقَيُّومُ**": الحياة معنى الصورة الكبرى للعالم ومرجعها، والقيوم مرجع المادة كلها. "**لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**" فتباين بذلك كل خلقه. "**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**" الملك والحكم، تفصيله فيما بعد "**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**" هذا تمام الملك. "**يَعْلَمُ ... بِمَا شَاءَ**" الإحاطة العلمية لله، هو الموجب لكل شئ له. "**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**" عندنا ليس الكرسي سوى العرش شئ آخر؛ يكون له اعتباران: عرش باعتبار و كرسي باعتبار آخر، هذا لا بأس به. فلنفرض جسما عظيما كرة محيطة بالعالم، يجمع الأجسام، فلا بد أن يكون له سطحان: 1- فوقاني 2- تحتاني. والتحتاني لا بد أن يكون أصغر على قدر السمك، فإن سميناه من جهة التحتاني كرسيا، وسميناه من جهة الفوقاني عرشا، فهذا لا يخالف ما قررناه. "**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ**" محيطة بهما، يكون أقوى و أعظم فيهما، وهكذا يزداد القوة كل ما ارتقى الأمر، مثلا التجلي الإلهي يقوم على العرش، و يحيط به مستويا عليه. فهذا التجلي يكون أقوى من العرش، و نحن إذا مثلنا التجلي بمثال ظهورتنا بالصورة في مرأة، مثلا تخيل فكر المتفكر أن التجلي أضعف من المظهر، لأن المرأة أقوى من صورتنا فيها، وليس هذا إلا مثالا للتفهيم فقط. ثم صفة الله تعالى التي تجلت على العرش هي أقوى من التجلي، ثم ذات الله وهو الذي نسميه مصداق كلمة الله هو أقوى من جميع الصفات قوة لا نهاية لها. فمن هذا الطريق ينبغي أن يتصور الإنسان عظمة الله، إليه الإشارة في قوله: "**وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**".

"**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (**256**) فالخلافة الإلهية تكون برضى الأقوام المومنة بالله اجتماعية، بين الأقوام المؤمنة لا الكافرة، ويكون حكم تلك الاجتماعية نافذا على الأقوام الكافرة، وليس ذلك إكراها بعد تبين الرشد من الغي، إذا كانت دعوة القرآن موافقة للفطرة الإنسانية وتبين ذلك. ورشد الإنسان هو اتباعه وترك ذلك لا يجوز للإنسانية إلا إذا انحرفت عن الفطرة. ومن هذا الطريق لا إكراه الذي يكون بإيجاب الخلافة على الناس يكون في حكم لا إكراه.

(غلط المفسرين في تفسير لا إكراه) و الذين يفسرون الآية بأن الناس يتركون سدى على حسب ما يشاؤن سدى، لايكلفون بقانون راشد، تبين رشده ليس بتفسير بل هو تحريف. رأينا من تقلد الغربيين يذكر تلك الآية عندهم في إثبات الحرية التي يريدها الغربيون، وغرض الغربي أن لا يعارضه المسلم بل يخضع لحكم غربي فقط آه. وفسر الإمام ولي الله في فتح الرحمن: قوله: "**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ**

الْغَيِّ" *یعنی نیست جبر کردن برائے دین۔(یعنی حجۃ اسلام ظاہر شد۔ پس گویا جبر کردن نیست ،اگرچہ فی الجملۃ صبر باشد) ہر آئینہ ظاہر شداست راہیابی از گمراہی* "[341] فمثل ذلك التفسير لم نر من أهل العصر من فسر الآية به، ونحن تيقن. أما هم يخضعون للقرآن وأما نحن نخضع لدينهم، وهل تتم الاجتماعية بدون ذلك؟ أقول: و الظاهر عندنا أن المذهب التي لا تكون أصولها انقلابية، كلها مبنية على الفوضوية، و لا يكون عندهم قانون و نظام تام على تعفيف الناس في أشغالهم. و رأينا القوة الديكتاتورية الانقلابية في هذه الايام في ممالك أوربا كلها مبنية على الإجبار والإكراه على الناس تحت القانون. وفي ظننا أن المعتزلة و غيرها في إسلام كلها مذهب نبتت لهدم القوة الانقلابية التي جاء بها القرآن، و جرب بها المسلمون.

تنبيه: لما أنشاؤا عصبية الأمم بعد انتهاء الحرب العمومي سنة 14 فرح كثير من الناس من أخواننا. أما أنا فقد فهمت غرضهم. أنهم لتقسيم ما اغتنموا من أهل الإسلام و من غيرهم حصلوا اجتماعية، حكمها يكون لازما على المغلوبين لا يرخص لهم. رفيقنا مهمند برتاب ما أحب كلامنا أولا، ثم بعد سنة أو سنتين التقينا فصوب رأينا.

الإنسانية لا تقوم إلا بطريق مطابق للفطرة. فالأقوام المتفقة على أرشد نظام يوجد في الدنيا يجعلون غالبين على غيرهم، أما بغير هذا الطرق يسكن الإنسانية و لاتتقدم. فالواجب علينا أهل القرآن أن نثبت لدى الأقوام أن ليس شئ بيد الإنسانية أرشد من القرآن. ثم تنظيم اجتماعية ممن آمن بالقرآن أي قوم كانوا على السواء. النظر فيه إلى الإيمان بالقرآن لا غير. تلك الجماعات تجعل غالبة على الأقوام المخالفة لا على سبيل الانتقام بل على سبيل الإرشاد مثل الوالد يكون غالبا على أولاده. فإن قام أحد على خلاف هذا النظام يقتل هو فقط. فكنت قلت في عصبة الأمم إن أرادوا إقامة الحق باتفاق الأقوام فليجعلوا لعصبة الأمم قوة عسكرية تحارب من خالف حكم عصبة الأمم. فنقول: يريدون أن يقيموا إقامة حق يعرفونه، وأما إذا لم يكن بيدها قوة عسكرية فهي تمويه للأقوام فقط. و إلا فالمغلوبون يرتضون لتملك هؤلاء على ملكهم بالدعاية فقط.

[341] ولي الله، **فتح الرحمان بترجمة القرآن**، گروه علمی فرنگی موحديدن، ص42

ثم هو بعد سنتين قال لي نعم! المتفكرون في عصبة الأمم يتفكرون أن يجعلوا لعصبة الأمم قوة عسكرية لكن لم يرضى أحد سوى انجليز.[342] هم الحائزون على عصبة الأمم ،غرضنا بدون قوة هل يمكن إقامة العدل و الحق على وجه الأرض؟ هذا خلاف للفطرة. إنما يجوز الدعوة إلى الحق بدون قوة لتجتمع قوة. أما نفي لزوم القوة بتاتا، فهذا إبطال للفطرة من شرح دعوة المسيح أو دعوة بوذا، أنهم ينفون القوة بالمرة، هو أخطأ في ذلك، و حرف كلام المسيح و كلام بوذا. نعم. الدعوة إلى اجتماع القوة لا تكون إلا بالقوة، فإذا انتظمت القوة فليؤيد الدعوة، فإذا كانت دعوة بنيت على رشد لا يوجد أرشد منه جمع تائيد القوة لها نقول لا إكراه فيها. قوله:"**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ** ...**عَلِيمٌ**" التمسك بالفطرة و بدين يوافقها هو التمسك بالعروة الوثقى. وشرح الدعوة القرآنية بأنها موافقة للفطرة الإنسانية أساسها مستحكم في **حجة الله البالغة** فليجتمع أهل العلم حوله ليقدروا على تعيين الرشد من الغي.

قوله: "**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (257)**" الإيمان بالله يحصل بولاية الله. الله كما خلق الفطرة يسر للناس أن يوافقوها، فإذا أراد الإنسان إرادة صحيحة لإقامة الفطرة على وجهها فالله يؤيده، فإذا كانت إرادته منحرفة عن اتباع الفطرة فلا يؤيده إلا من قام جهرا على عناد الحق، إليه اشارة في —الآية– (257).

قوله تعالى: "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)**" ذكر القرآن أمثلة لتأييد الله و ولايته لأهل الإيمان في —الآية– 258. احتجاج إبراهيم و كيف أيده الله "**فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ**" وهكذا دائما يؤيد الله، وليس مثل هذا التأييد خاصا بإبراهيم "**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**" علم منه أن المقصد من اتباع الفطرة هو إقامة العدل ودفع الظلم.

---

[342] في القرون أولى زمن النبي والخلفاء وخليفة الخلفاء أن أموالهم في التكليف الشرع لايكون اختيارية بل مفوضة إلى اختيار الناس فقط، وعندهم قدرة للاختيار و على هذا الخطاء أصر السيد أحمد عليكري و رد الشاه ولي الله في مسألة التكليف و اندراج في كتابه الخطبات الاحمدية. فاستطاب الأوربيون بهذا الفكر من المسلمين و ألزموا عليهم و قالوا بحرية الذين هذا مما فهمنا و الله أعلم بحقيقة الأمور. محمد صالح نكرى (المكتوب في الهامش)

ثم في –الآية– 259 مثال آخر لولاية الله، رجل يأتي في قلبه شبهة "**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (**259**)" و هو صار آية للناس.

تنبيه: أنا تدبرت في صحائف **حجة الله البالغة** للإمام ولي الله، فالإم لا يأتي بحكمة إلا بعد أن يجربها على نفسه، أو جربها رجل آخر يعرفه الإمام، و تجربته تكون مثل تجربته لاتحاد الذوقين، فتأثرت بذلك و بتلك الحكمة، ورأيت لما عارضت بها أشد المنكرين في بعض الأوقات، ما قدروا على إنكارها. فكلمة الحكمة المكتوبة في الكتب لا تؤثر في الإنسان إلا إذا جربت في حياة الرجل. ونرى الأقوام الغالبة هم يتوجهون إلى تجربة كل حكمة على أنفسهم و يزدادون رفعة، وكذلك القرآن العظيم لا يقدم حكمة للناس إلا وهي مجربة في نفوس طائفة أذواقهم متحدة. ومسألة إحياء الموتى من أهم المسائل الإنسانية للقرآن فإن لم يكن هذا مجربا لا تحي القلوب.

و نحن ذكرنا لكم من عم الشيخ ولي الله تجربة إحياء الموتى في وقفة لطيفة، تزيد تلك الواقعة مأئة سنة بتأثير ملك من الملأ الأعلى أقوى من الشيخ أبي الرضا محمد. و هذا لاينكر عندنا لأنها موافقة لنا في ذوق الحكمة من رجل نحسبه منا، وليس عندي الآن ذلك الكتاب لكن حكاية أخرى في إحياء الموتى في سلسلة مشائخنا موجودة.

أنا بايعت الشيخ محمد صديق السندي[343] وكان شيخنا كاملا ومكملا، فبواسطتين شيخ مشائخه السيد محمد بقا السندي[344] هو أخذ طريقة القادرية عن رجل من أولاد الشيخ عبد القادر الجيلاني و عبد

---

[343] هو الشيخ الحافظ محمد صديق البرجوندوي السندي من أئمة الطريقة الراشدية ، وكان يمنع عن الشرك والبدعة ، وكان صحب الصدر الشهيد الشاه اسماعيل ، والأمير الشهيد السيد احمد البريلوي لما وردوا في السند لاجتيازهم إلى أفغانستان وتنور بصحبتهم.توفي سنة 1308هـ. لينظر : **سرگزشت حيات** (ترجمة تحديث العبد الضعيف بنعمة ربه اللطيف للإمام عبيد الله السندي) باللغة الأردية للشيخ عبد الخالق آزاد، (لاهور، إداره رحيمية، ط: 2014م) 34.

[344] هو سيد محمد بقا شهيد بن سيد محمد إمام شاه حسيني، ولد سنة 1723 م في منطقة خيربور، أقليم سند، و أخذ العلم و الفيوض من الشيخ محمد اسماعيل بريالوي، و الشيخ عبدالقادر آخرين؛ كان من سلسلة الشيخ عبدالقادر

القادر كان في بنجاب، بدعائه أحي الله ميتا مات من قريب. رأى هذا الشيخ هذا الميت الذي أحي مرة ثانية شيخ من شيوخ لكهنو، هو من أئمة الطائفة الوجودية، و كان هذا الرجل معاصر للشيخ أبي الرضا محمد. وإذا كانت واقعات تجري من الإحياء فتلك الآيات تكون مثبتة لمسألة إحياء الموتى. الأدلة الموافقة المخالفة متعارضة، و الأسباب لإعادة الحياة لا نحيط بها لكن إذا وقعت واقعة فكيف ننكرها "الطبيب يحي الميت".

و قد ذكر لنا رجل من الطبيبين، أن الأطباء يسعون في إحياء ميت مات قريبا، وقد فازوا في بعض الأوقات في بعض الصور، و كان يتظاهر بالتفصيل بتفصيل الطبيبين من حكماء العصر، فقلت له إلا يثبت من ذلك أنه ممكن؟ فبهت. و كان أولا مدار أفكاره أنه غير ممكن، و عندنا لا يثبت مثل ذلك المسائل بالأدلة بل بالآيات الواقعة، ولذا جاء في الكتاب الكريم في حق هذا الرجل "**وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاس**" بعد ذلك في –الآية- 260 مثال آخر لولاية المؤمنين "**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260)**" فأربه الله. فمن أول تلك الآيات على المعنى المجازي بأنه لم يكن حياة، وإنما أطلق عليها الحياة على طريقة التشبيه نحن نجعل تلك الطائفة متباعدة من طريقة الأنبياء و إن كانوا لايريدون بالتأويل فسادا.

تنبيه: إعادة الحياة إلى النبات مرئية بالأبصار، مشاهدة في البراري يجف بذر العشب فينزل المطر فيحي الله. وقد ذكر الله ذلك في كتابه كثيرا "**كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**" توفي باسبوعين قبل ذلك اليوم رجل من حكماء الهند أثبت التجانس في الحياة بين النبات و بين الحيوان بأدلة طبعية قابلة للتجربة، أفلا يكون ذلك دليلا على إمكان إعادة حياة الحيوان، ببصر الإنسان أن إعادة حياة الحيوان لاينبغي أن ينكر. هذا الأمر هو دليل على تقرب هذا الرجل من حظيرة القدس، والمقربون إلى حظيرة القدس من طبقة عالية من الأنبياء والمحدثين ومن طبقة متصلة بهم من الحكماء الربانيين الذين يصدقون بمعارف الأنبياء بشهادة من قلوبهم. هم الذين يكونون خلفاء الله في أرضه.

جيلاني، و في السفر قد هجم عليه بعض القرصان، و استشهد سنة 1783م. ولينظر: السندهي، عبيدالله، **التمهيد لتعريف آئمة التجديد**، لاهور، رحيمية مطبوعات، ط 2016، المترجم باللغة الأردية: مفتي عبد الخالق، ص620.

فعنوان حظيرة القدس عندنا آية الكرسي و سائر الآيات أمثلة لها قد ذكرت. ثم نذكر أولا قوله تعالى: "**يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (269)**" نجد في كتاب الله كلمتين 1- "خيرا" معناه المال. 2- "خيرا كثيرا" معناه الحكمة.

"**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (262) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265) أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (266) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (267) الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (268)**" في هذه الآيات ذكر الله مسائل إنفاق الخير، وذكر آدابا و رعايات في إنفاق الخير. هذا يقدر قدر العرب الذين طال حياتهم في الأقحاط. فإذا نظم تنظيم يكون بذلك إنفاق الأموال لازما على أرباب الأموال، تحسبه العرب رحمة أم لا؟ كذلك الناس المفاليس من الحكمة في أطراف الأرض عند جميع الأقوام، فالله نظم إدارة لتروج الحكمة في إنحاء الأرض. أنزل من حظيرة القدس القرآن وأخرج ببركة القرآن الخلفاء، عملهم إنفاق الأموال في من يحتاجون إليه، وإنفاق الحكمة في من يحتاجون إليها.

وبعد ذلك قوله تعالى: "**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (270) إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (271)**" إشارة إلى التقيد بقيود في إنفاق الحكمة، يكون

حسابها عند الله فقط. فالتقيد بذلك لازم لكن إلى ذلك التقيد يهدي الله من يشاء و ليس عليك هداهم، و إلى ذلك يشير قوله تعالى: "**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ** (272) **لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** (273) **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** (274)" التوجيه إلى إنفاق الأموال على من يحبس نفسه لإنفاق الحكمة. فإذا كان الناس ينفقون عليهم الأموال، و هم ينفقون عليهم الحكمة فازوا. فإيجاد قوة الإنفاق إنفاق الأموال و إنفاق الحكمة هو مقصود القرآن من إقامة خلافة الله.

خباثة الربا في الاجتماع: فالربا رأسا يخالف الإنفاق، فهل يمكن تجويزه في خلافة القرآن الكريم؟ فإن مثل هذا التجويز جمع بين النور و الظلمة. والربا يحدث في النفس خباثة أنه لا ينفق حبة إلا و يجمع فائدة إلى نفسه أولا. والفساد الذي يأتي من الربا في الاقتصاديات هو أزيد من ذلك، والقرآن الكريم يمحق الربا من وجه الأرض، فإن الربا يفسد الفطرة الإنسانية في الأخلاق، ولأنه يضيق على الناس في الاقتصاديات، فمنع الربا أولا بالموعظة. فإن لم ينته فبالثاني أي بالحرب. هذا هو الأساس المحكم المتقن لتعليم القرآن. فهل يكون هذا كراها أم لا؟ يبطل الربا بالحرب لكن هذا بعد أن تبين الرشد، وبعد أن تبين أن يضاد الرشد فكان مثل لا إكراه.

الربا ينتظم لاكتسابه حكومات عظيمة، يهدمها الإسلام بحرب من الله ورسوله. فتلك نكتة عندي في قوة الانقلاب للعالم المسلمين، فمن يرد المسلمين عن اتباع تلك الحكمة (أي أنهم يجمعون القوة لمحق الربا) من يمنع المسلمين من ذلك هو أما: 1- جبان ضعيف لا ينبغي أن يعد في الإنسانية. 2- أو جاهل بالقرآن لم يتدبر فيه. 3- أو عدو معاند لعزة القرآن. فالجبان نأمره مع القواعد أن يقعد. والجاهل نعلمه. أما المعاند فنقتله كائنا من كان سلطانا كان للمسلمين أو إماما في الدين سواء فنقتلهم جميعا. فمثل هذا الانقلاب لا يقوم به إلا المسلم.

لا عدوان عندنا على حدود الله، نفرق بين ذوي الارحام و لا نأمرهم بكفر الرحمان. فمن يجتمع بعد ذلك إلى هؤلاء المردودين؟ هذا إلى –الآية– 281 و هو قوله تعالى: "**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (277) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (278) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (279) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (280) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (281)** "

قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (282)**" والربا يحس الناس الحاجة إليه إذا لم يقض العرض في وقته، فيجب على المسلمين إذا تداينوا بدين أن يكتبوه. و يؤده في وقته لئلا يضطر الناس إلى أخذ الربا. و كل رجل صاحب معاملة يستقرض من الناس نوجب عليه في هذا الزمان أن يتعلم القراءة و الكتابة بلسانه، ونجعل الرجل والمرأة فيه سواء ليحفظ الناس أموالهم و يؤدوا الدين في أوقاتها.

تنبيه: نحن رأينا في طوائف من الهنود و كسبهم كله مبني على الربا. هم كلهم صغارهم وكبارهم يعلمون الكتابة والحساب على لسانهم، ثم وجدنا فيهم أنهم يؤدون كل ما استقرضوا في أجله الواجب،

فعندي جزم أن كل قوم يكتب حسابه في المداينات صغيرة و كبيرة يخرج من عادته التسويف و المماطلة[345] في الأداء. نحن نجعل هذه الكتابة إجبارية على المسلم، وهذا سهل اليوم، ولم يكن زمن النبي فيها سهولة. نخرج بذلك المماطلة في الأداء من أخلاق المسلمين، فلا نترك حيلة يحتال بها الرجل لتجويز الربا على وجه الأرض، و في حكومتنا عامة، و الناس نسوا ذلك الانقلاب الذي علمه القرآن وذلك لعدم تدبرهم و هجرهم القرآن. إلى –الآية– 282 مسائلة الكتابة فقط.

ثم في –الآية– 283 مسألة الرهان إن لم يكن كتاب فعلمنا أن عدم أداء الدين في وقته جرم عظيم، لأنه ذريعة لأخذ الربا، قوله تعالى: "**وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** (**283**)" أمانة و القرض بدون المعاملة و بدون الرهن سماه الله أمانة. نحن نأخذ منها مسألة فقهية تخالف فقهائنا. النقود عندنا تتعين في الأمانة. و تلك المسألة نردها باعتبار و إيماء في تلك الآية. فإن الله سمى القرض أمانة و أداء تلك الأمانة يكون بعينها أم بمثلها؟ ونجعل ذلك ذريعة لتجويز الحوالة مع الأجرة خارجا من الربا، لأن المعاملات المالية اليوم لا يمكن تنظيمها إلاعلى تلك النظرية. ورأينا أن الإمام قائل به، فأخذنا بذلك و نجونا في معاملاتنا من كثير من العوائق. فنحن نظمئن بإحياء الاسلام بأمرين: 1- عبادة الله: فكل من يقول كلمة لا إله إلا الله هذه من جماعتنا، فهذه الكلمة تكفي في كل الأمور. 2- تحريم الربا و منعه بكل قوة، و حرب هذه هو الإسلام. و المسلم لا يحي إلا بهذا. تمت السورة البقرة و الحمد لله.

[345] تأجيله مرة بعد أخرى

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه السورة هي التي تكون متممة للحجة على أهل الكتاب. أهل الكتاب عندهم التوراة، و البحث عنها كان في سورة البقرة. و سورة البقرة أولى و أجمع من التورة، و ذلك ظاهر لمن تفحص، و عندهم العهد الجديد بعد موسى من الحواريين. وكانوا هم حاكمين على الأرض و روما كانت نصرانية. فتتمة البقرة هي الكشف عن أغلاط النصارى في اتباع التوراة. وهي الدعوة لهم إلى حكومة عالمية، و إثبات أن ذلك لا يتم إلا على دين إبراهيم لا على اليهودية ولا على النصرانية. والقرآن العظيم يتكفل على إقامة تلك الدعوة، وإقامة الخلافة. يجب على النصارى الانضمام إلى المسلمين، ومن يخالف المسلمين يُغلب. والحجة الدينية قاهرة على النصارى، لأنهم لا يتأتى لهم فلسفة تبطل الأساس الحنفية، والبرنامج المفصل لارتقاء المسلمين في السياسيات بالبحث عن الهزيمة في أحد، والكشف عن أغلاطهم.

يتعين لهم البرنامج في قوله تعالى: **"قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (95)"**. وقبل ذلك في قوله تعالى: **"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64)"** هذا فصل في دعوة النصارى إلى اتباع إبراهيم و إلى الحنفية. و من الآية **"إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** (33)" إلى قوله تعالى: **"فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64)"** فصل في البحث عن تصحيح العقائد، عقائد النصارى في المسيح. وقبل ذلك من فاتحة السورة إلى آية 31 إثبات مقصد إنزال الكتب الإلهية. والذين لا يفهمون ويشوشون للناس إخراجهم من الإمامة في الدين. هذا البحث يتم إلى قوله تعالى: **"قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31)"** يعنى أن النبي هو الحجة في فهم كتاب الله (التوراة و الإنجيل) فإن الكتب الإلهية لا تفهم بالألفاظ والوضعية اللغوية فقط، بل لا بد منهما من ملكة خاصة نعبر عنها بالفرقان. والفرقان عبارة عن قوة قدسية في الإنسان تجعل مزاجه على أمزجة الملأ الأعلى يفهم بعد ذلك معنى ما تقرر في حظيرة القدس. وليس على وجه الأرض في زمن النبي أحد يكون له مماثلة بالنبي بوجه ما في فهم الكتاب الإلهية، هذا هو الفصل.

والمراد بالفصل الأول يتعين من قوله تعالى: "**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (18)" قبل ذلك تمهيد للفصل الأول.

بسم الله الرحمان الرحيم. "**الم** (1)" الف – لام – ميم، معناه قد تبين في سورة البقرة. كان المرجع في سورة البقرة أن القوة العلمية بعد الانقلابين لام – ميم عمر و معاوية رضي الله تعالى عنهما يرتسخ على وجه الأرض بأيدي المسلمين. فإذا خاطب رجل المسلمين و فهم كلامهم ثم لايستفيد كلام أحد من الأديان السابقة. والكلام في آل عمران متوجه إلى فلسفة تحت الكتاب، يمكن منها استخراج طرق للسياسة حسب تبدل الأعصار. وتلك الفلسفة ترجع إلى الحكماء الربانيين الذين لهم اتصال بحظيرة القدس، ولهم معرفة بالتبدلات التي تقررت هنالك. ومعرفة بقواعد التبدلات و تطبيق بعضها إلى بعض، فهذا العلم هو من خواص المسيح ابن مريم عليه السلام، و بعد الانقلابين لام و ميم لا يقدر أحد من عرفاء الأديان و الحكماء السياسين في الملل يلتفت بقدر معرفة بالمسلمين إلى غيرهم.

قوله تعالى: "**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** (2)" الذي نفهم نحن أن الحي القيوم تفسير للتجلي الأعظم القائم على النفس الكلية فوق العرش الذي يعبر عنه بالإشارة فقط لا بالإسم. فإذا نزل في الكتاب "**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**" يكون إشارة إليه. الله إسم متقرر على التجلي القائم على العرش بالرحمن. لكن السياسة راجع إلى التجلي القائم على النفس الكلية. فإذا قيل "**اللَّهُ**" من حيث هو هو يكون إشارة إلى التجلي القائم على النفس الكلية. و إذا قيل "**اللَّهُ**" فهو التجلي القائم على العرش المفسر بالأسماء الحسنى. "الرحمن الرحيم" و "الحي القيوم" إسمان باعتبار الصورة والمادة، فالنفس الكلية هي الصورة ومنبع الصور وأمها، والنفس الرحماني هو منبع المواد كلها. فالنفس الكلية منشعبة من الحي، والنفس الرحماني منشعبة من القيوم. هذان الإسمان فرعان لإسم الذات "**اللَّهُ**" لكن باعتبار الرجوع إلى التجلي الذي هو قبل انشعاب الصور من المواد الذي يعبر عنه بالعماء. فالتجلي المستور في العماء هو الذي ينفرع عنه "الحي القيوم" لكن الأسماء الإلهية لا تستقر قبل الاستواء على العرش. فالرحمان الذي هو فرع لإسم الذات استقر على العرش واستوى عليه. فبعد ذلك استقرت الأسماء الإلهية جميعها لفهم حظيرة القدس. وحظيرة القدس لا تصرف إسم الذات أيضا إلا بعد استواء الرحمن على العرش.

فالرحمن هو وسيلة لمعرفة جميع الأسماء لكن الخواص من الملاء الأعلى يرجعون إلى أصل التجليات فوق على الرحمن المستوى على العرش مثل التجلي القائم على النفس الكلية، وإن كان بعد ذلك ليس للرجوع إلى التجلي القائم بالعماء سبيل إلا الاعتماد على التجلي القائم على النفس الكلية. فالتجلي القائم على النفس الكلية قال الشاه إسمعيل في **العبقات**: من التجليات تجلي على النفس الكل و هو أول التجليات و أرفعها.[346] وظني أن أقصى ما يمكن لأهل النظر من معرفة الرب هو معرفة بهذا التجلي و ما ورد في الحديث أن الرب كان في عماء[347] فذلك إشارة إلى هذا التجلي.

قلت الصدر الشهيد يفرق بين النفس الكلية و بين النفس الكل قال في العبقة العاشرة من الإشارة الأولى القيوم. للحقائق الإمكانية واحد شخص، وذلك القيوم هو المسمى بظاهر الوجود، والوجود المنبسط على هياكل الموجودات والنفس الرحماني والنفس الكلية وهو غير النفس الكل التي هي النفس المتعلقة بالعرش. وقال في بحث التجليات من التجليات تجلى على النفس الكل و هو أول التجلي لم يجعل مظهر التجليات النفس الكلية.[348]

فعندنا أول التجليات هو التجلي القائم على النفس الكلية، و التجلي القائم على النفس الكل فرع منه. نعم لا يعرف التجلي على النفس الكلية إلا بواسطة هذا التجلي القائم على النفس الكل الذي هو فرع لتجلي الرحمن. هذا هو الذي يجب التنبيه على ذلك في فهم كلام الإمام ولي الله. فالحي القيوم يتفرعان باعتبار التجلي القائم على النفس الكلية، وهي التي هي النفس الرحماني لكن كما ذكرنا في تطبق العرش والكرسي على جسم واحد كذلك جهات مختلفة للنفس الكلية وللنفس الرحماني من شئ واحد قيوم للحقائق كلها. فالحي يتفرع من قيام التجلي على جهة النفس الكلية. والقيوم يتفرع من جهة قيام التجلي على النفس الرحماني. والوصول إلى معرفة الأسماء الإلهية الحي القيوم من أعلى معارف الملأ الأعلى. ولعل المسيح ذكر من تلك المعرفة شيئا للحواريين. فالطبقة الأولى منهم تحققوا بتلك المعرفة. والطبقة الثانية

---

[346] لينظر: الشاه اسماعيل، **العبقات**، باب الإشارة إلى التجليات، 97-98.

[347] أخرجه ابن ماجة عن ابن رزين قال: قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: "كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، وما ثم خلق، عرشه على الماء" و قال شعيب الأرنوط: اسناده ضعيف لجهالة وكيع بن حدس. لينظر: ابن ماجة، **سنن ابن ماجة**، أبواب السنة، باب فيما أنكرت الجهمية، (دار الرسالة العالمية، ط: الأولى 2009) ت: شعيب الأرنوط، 1: 126.

[348] لينظر: الشاه اسماعيل، **العبقات**، باب الإشارة إلى مراتب تنزل الوجود الحقيقي، 18-20.

ردت على وجهها. والطبقة الثالثة خلطتها بكلام الفلاسفة توضيحا لعامة الناس لتثبت فضل المسيح على أنبياء بني إسرائيل، فاختلط كلامهم ونشأت منه مبادي فاسدة للطرق الباطلة.

و إذا توجه إمام من آئمة حظيرة القدس إلى تبيين أغلاط النصارى يستحضر في قلبه تلك المعرفة الحقيقية فيتلوا "**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2)**" وبعد ذلك يصح التفهيم لأن تلك الشرار[349] يقع من ألفاظه في قلوب العارفين فيطمئنون به. تلك الشرار من التجلي القائم في الحجر البحت الكامل.

قوله تعالى: "**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (4)**" فأنت تقدر على حل مشاكل أهل الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتب الإلهية في العالم نزل الله عليك الكتاب بالحق. الدين الحنيفي يجمع بين أديان العالم، والكتاب الذي نزل على النبي هو متلبس بتلك المعرفة– الله لا إله إلا هو الحي القيوم– هذه معنى قوله بالحق. قوله: "**مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**" المراد عندنا جميع أديان العالم. ونحن نجعل اليهود و النصارى مرجع جميع الأديان. فالبعض يشبه النصارى، والبعض فيه شئ من اليهودية و شئ من النصرانية، والبعض يشبه دين اليهود فقط.

قوله: "**وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ**" وعندنا التوراة كانت لإقامة الحركة العالمية على طريق إبراهيم يعنى يكون مصدقا لإمامة إبراهيم. وكذلك عندنا الإنجيل، كان مقصد المسيح هو إقامة إمامة إبراهيم للناس على أساس التوراة، وإليه الإشارة و أنزل التوراة و الإنجيل هدى للناس لكنه لم يفز. والقصور في اتباعهم. و القرآن جاء لتعيين هذا المقصد، و أتمه الله عزوجل على أيدي نبينا صلى الله عليه و سلم صاحب المقام المحمود، لأن أمته أمة لا يعارضون معارف الأنبياء بمعارفهم على خلاف بني إسرائيل بعلومهم الموروثة عن آبائهم،كانوا يعارضون أنبياء زمانهم، ولا يطيعون في تكميل ما أمروا به. مثال ذلك اليوم نراه عند المسلمين. رجل يقوم بالتجديد و تعليم القرآن والسنة على وجهها، فأهل العلم قاطبة يعارضونه، وإنما يتخلصوا له من عامة الناس جماعة هو يربيها فيقوم بها طريقة. وقليل من أهل العلم أيضا قد يشاركهم[350] لكن مدار تجديد الطريقة إنما يكون على الذين دخلوا من أول الأمر. فالنبي الذي نزل

[349] أجزاء صَغيرة متوهّجة تنفصل عادة من جسم يحترق

[350] "يشاركونهم" أصح، لأن السياق يقتضي أن تكون صيغة الجمع

عليه الكتاب بالحق هو أقدر على حل مشكلاتهم و على تبيين أغلاطهم. قوله: "**وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ**" (قد) جاء في وصف المسيح بقوله: "**وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**"[351] هذا الفرقان و روح القدس شئ واحد و هو نور حظيرة القدس المخلوط فيه، سبب جميع الملاء الأعلى، وهذا النور إذا وقع على الحجر البحت للكامل يتجلي له حظيرة القدس مثل ما يتجلي الشمس على العين، يوقع نورها عليه. و هو الفارق بين المعاني الحقة في الكتاب من المعاني الباطلة. وإذا تكلم أحد في معارف الكتاب مجردا، وليس عنده الفرقان هو قد يأتي بصواب و قد يأتي بغلط، يكون فيه اختلاط. فالذين يعتمدون على كلام من له اختلاط و يعاندون أهل الفرقان هم ليسوا بمؤمنين و إن أقروا بلسانهم.

تنبيه: جماعة من الجهال بين المسلمين يتكلمون بكلام السلف و ليس عندهم شئ من الفرقان، يعاندون أهل الفرقان، وهم ليسوا من الحق في شئ.[352] ونحن نعلم جماعة منهم دخلت في اتباع الإمام ولي الله فصاروا يتكلمون بكلامهم، و لايعرفون شيئا من المعاني، لأنهم لم يأخذوه عن رجل ذي فرقان. ليس عندهم إلا علم الفلسفة و اللغة يتشبثون بأهوائهم، ويعاندون بها أهل الحق. و نحن بتجربتنا لتلك الجماعة نقيس[353] حالات اليهود و النصارى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. فيكون في تلك الجماعة رجال يسلموا الأذهان، ما رأوا رجلا أعرف من تلك الجماعة بالحق، فدخلوا فيهم. فلما تعارفوا بأهل الفرقان على الفور اتبعوهم، بإسم هؤلاء تقوم تلك الطائفة في الدنيا، فإذا عاندوا أنبياء صاروا كفارا و إليه الإشارة في قوله: "**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ذُو انْتِقَام**". من أغلاط تلك الجماعة أنهم إذا رأوا رجلا عنده فرقان يفهم المعاني الحقة للكلام الإلهي و هو غير عارف باصطلاح العلماء الباحثين من الكتاب، يغلطون في فهم هذا الرجل، فيقولون مثلا أن الألوهية نزلت عليه، فإن وجدوه كاملا يجعلونه إلها و إلا يدعون فيه شيئا من الألوهية، و لا يكون فيه إلا أنه نزل في قلبه الفرقان.

والألوهية من صفاته اللازمة في حظيرة القدس ما ذكره الله في قوله: "**إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (5) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**

[351] البقرة: 87

[352] أظن "على شي" أبلغ دون "في شي"

[353] نقيس عليهم

(6)" هذا علمه و هذه قدرته.[354] هذه الصفات يعرف الألوهية عند كل من اتصل بحظيرة القدس. فإذا تحقق رجل بتلك الحقائق هل يمكن أن يشتبه عليه شئ؟ و أن يظن في مخلوق أنه فيه شئ من الألوهية؟

أصل المسألة أن الكتب الإلهية تشتمل على نوعين من العلم: نوع لعامة الناس إي للإنسانية كلها. فإذا كان رجل سليم الفكر و سمع ترجمة ذلك الكلام يفهمه مثل فهم البديهات، و لا يغلط رجل في فهم تلك الجملة بحمل الإنسان على أعراب البادية، هم في الإنسانية مثل الأطفال. مرادنا من الإنسانية هي الاجتماعية المتوسطة. والإنسان– وإن لم يخاطب شئ من الكتب الإلهية– إذا كان يعيش في الاجتماعية المتوسطة يعرف كثيرا من أحوال الإنسانية بتجربته على نفسه، ويعرف كثيرا من الأصول الإنسانية لإحساس الاحتياج إليه في نفسه، مثل هذا الإنسان إذا ترجم له من الكتب الإلهية يفهمه بلا واسطة أحد و بلا إعانة أحد .

النوع الثاني من علوم الكتب الإلهية هو أصول النوع الأول و أصول أصول النوع الأول و أصول أصول أصول النوع الأول، ذلك لايقدر أحد أن تيقنه إلا بإعانة أحد من الأساتذة. و الأساتذ الماهر هو الذي يكون له اتصال بحظيرة القدس بتيقظ لطيفة الحجر البحث. هذا النوع من العلم إذا تفكر فيه الإنسان بالعلوم العادية يشتبه عليه المراد. فالنوع الأول من العلم يسمي بالمحكمات و النوع الثاني يسمى بالمتشابهات. إلى هذا المعنى إشارة في قوله تعالى: "**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7)**"

قوله: "**هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ**" يعنى أساس الدعوة و أساس القانون يفهمه الإنسان بفطرته "**وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**" يحتاج الإنسان في حلها إلى أستاذ. فالمحقق لا يتخبط بل يطلب أستاذا يجعله أستاذا عالما بها. مثال ذلك أنا طلبت العلم، فقرأت أولا الفقه الحنفي، و كنت كأني أتقنته، لأن اجتماعيتنا كلها مبنية عليه، قرأنا فروعه و أصوله. والأساتذة فيهم المحقق للأصول و الفروع، فاطمأن به الخاطر بأننا إذا اشتغلنا بالكتب الحنفية بعد فراغنا من الطلب لا نتحير بل نقدر على التحقيق. ثم اشتغلنا بعلم الحديث فوجدنا

[354] هل يشارك فيه أحد؟

طائفة من الأحاديث[355] تؤيد الفقه الحنفي فاستقر ذلك العلم في قلوبنا. و وجدنا طائفة تخالف الفقه الحنفي فاشتكلت حلها، وما حصل عندي اطمئنان. إنني إذا رجعت في مطالعة كتب الحديث أقدر على حلها، فتحيرت في ذلك لكن كان حصل عندي في ضمن طلب العلم أن شيخنا ليس في قلبه تحير، عنده علم أعلى لم نحط به أيضا، فوجدت في قلبي بأني إذا استعنت من الأساتذة و سرت على طريقتهم يمكن أن أصل إلى أصل المطلب. حفظت إرشاداته، و اشتغلت نحو سبع سنين على الطريق الذي تعلمت منه فاهديت بحمد الله. و وجدت بمقابلتي طائفتين من أقراني: 1- طائفة لا تحسن بتحقيق المشكلات، لأنها مطمئنة بتقليدها لرؤساء الاجتماعية في بلاد الإسلام. هي تعرف أن ما يحتاج إليه عامة الناس من الفقه أنها تعرفه، و أن هذا القدر كاف لفلاح حياتها. 2- فطائفة أخرى متحيرة مشككة إلى آخر حياتها، فعلمت يقينا لو لم يكن الله أعانني بشيخ من جماعة المشائخ ما قدرت على حل المشكلات.

فههنا أذكر لذلك مثالا؛ و هو أنني لقيت أحد مثلي من أسلم بنفسه، و كان هو من أهل بلادي، بين محلتي ومحلته نحو عشرين ميلا. و لنا تعارف بالقريتين، حصل لنا استيناس فيما بيننا، و كنا متقاربين فيما أخذنا من المكاتب الابتدائية. كان هو أكبر مني بسنتين إسمه عبد الهادي، تفرقنا في طلب العلم. أنا وصلت الديوبند و هو وصل إلى عالم من علماء الذين تركوا الحنفية رأسا، واتبعوا رجالا مثل القاضي الشوكاني[356] و النواب الصديق حسن خان[357] و مثل السيد نذير حسين[358] من تلامذة الشيخ إسحاق. هو أيضا ترك الحنفية، و دعا إلى اتباع أهل الحديث لكن في مسلكه و مسلك الشوكاني فروق بينة. والطبقة الثانية من علماء أهل الحديث لا يفرقون بين المسلكين. عبد الهادي اشتغل على رجل من

---

[355] طائفة من المحدثين

[356] محمد بن علي الشوكاني، فقيه مجتهد، من كبار علماء اليمن، ولد في سنة 1759 م، ونشأ في صنعاء، اشتغل بالقضاء والإفتاء، وكان داعية إلى الإصلاح والتجديد، ترك التقليد وسلك طريق الاجتهاد. ترك مؤلفات كثيرة تدل على سعة علمه وسلامة منهجه. من مصنفاته: **نيل الأوطار في الحديث، فتح القدير في التفسير، القول المفيد في أدلة الاجتهاد و التقليد**، و غيرها، و توفي سنة 1834م. لينظر: صلاح الدين على بن موجود، **حياة الشيخ الشوكاني**، (رياض، دار السلام، ط: الأولى 2006م) 59.

[357] هو الشيخ محمد صديق خان بن حسن بن علي البخاري القنوجي، ولد و نشأ في قنوج(بالهند) و تعلم في دهلي، و له حوالي ستون مصنفات بالعربية و الفارسية، و توفي سنة 1307هـ. لينظر: الزركلي، **الأعلام**، 6: 167 و ما بعدها.

[358] هو محمد نذير حسين بن جواد علي، ولد سنة في سورج كره بولاية بهار شرقي الهند سنة 1220م، و نشأ فيها و قرأ القرآن و أخذ مبادئ العلم و الكتابة في بلدته و نواحيها، و كان إماما في عصره، خدم السنة النبوية طول حياته، وتوفي الشيخ في سنة 1320م. لينظر: **نزهة الخواطر**، 8: 1391.

الطبقة الثانية من علماء أهل الحديث، و لما فرغ من التعلم، فكان ما اطمئن على أن ما حصل كاف لفلاح في حياته، فرجع إلى دارالفنون الإنجليزية في لاهور و اشتغل بالعلوم الشرقية فيها، و حاز الرتبة العالية في الفارسية والعربية من دارالفنون. ثم اشتغل بالإنجليزية، فأتم الإعداد منها أيضا، ثم اشتغل بالتعليم في مدارس الحكومة، ولقيه رجل صالح من أهل الحديث لا من علمائهم، فزوجه بنته و أمده بأموال، فكان مثل الطبقة المتوسطة من المسلمين في بلادنا في المعيشة و الرفاهية. و بعد ما فرغت من ديوبند ثم اجتهدت في حل المشكلات، و حصل لي اطمينان على طريقة الإمام ولي الله بواسطة مشائخ ديوبند. رأيت عبد الهادي في السفر بالصدفة، و نزلنا في ملتان معا عند رجل واحد، إلى الآن لم يكن بيننا تعارف، فلما ذكرنا و تبادلنا الأسماء تعارفنا بعد ذلك، كان بيننا اتصالات مرارا. و بعد ما فرغ هو من احتياجاته في المعاش توجه إلى القرآن الكريم، لأن الرجل الذي هو ذو فهم و أسلم بنفسه و قدر على المبادي التي يحتاج إليها في فهم القرآن فهو لا يجعل مقصد حياته إلا فهم القرآن. فلما توجه عبد الهادي إلى القرآن لم يفهم من التفاسير شيئا. ثم رأى تفسير السيد أحمد خان مؤسس عليكره، و وجد فيه بعض الأشياء التحقيقية، و لما أيئس من الكتب شرع في ترجمة القرآن باجتهاد. فكتب الترجمة للجزء الأول، و طبعه و انتهج مسلكا ليس له أصول و لا نظام. ثم لقيته في بيته بعد ذلك، و سألني عن إشكالاته في القرآن. وقد فهمت مدار مشكلاته، و قلت له إن تقدر أن تسمع مني ساعتين و لا تعارضني في الطريق فأنا أذكر لك أفكاري، قال نعم! فذكرت له كلام الإمام ولي الله في إتيان الإسلام لإصلاح الأديان بتعليم مشتمل على درجتين: 1- درجة للعرب الأمية، 2- و درجة للعالمين. ذكرت بعض الأشياء من المذاهب العامة الفاسدة و كله على منهاج واحد. قال في آخره أجد في قلبي أني لو استمررت نحو شهر في صحبتك لانحلت الشكوك.

أنا في هذه لا أتكلم على المجازفات بحمد الله. الآيات المشابهات يفسر كلها مثل المحكمات إذا حصل لنا صحبة رجل مؤيد بروح القدس أو بتفسير آخر رجل أوتي الفرقان. ومثل هذا الرجل نسميه نحن بالراسخين في العلم. فالرجل الطالب للحق يجمع جميع مواد المعرفة للكتب الإلهية لكن لا يصاحب و لا يصطحب رجلا من الراسخين في العلم خروجه من المزلات ليس بسهل.

قوله: "**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي...مَا تَشَابَهَ مِنْهُ**" يعني بدون الاستعانة بالراسخين في العلم يكون اتباعهم للمتشابهات و اجتهادهم فيها و في حلها قد يفضي إلى فتنة، و قد يفضي إلى التأويل الصحيح، لكن الاعتماد على التأويل الصحيح لا يحصل لهم إلا إذا حصل لهم فرقان من الله أو من صحبته رجل من

الراسخين في العلم . إليه الإشارة في قوله: "**ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**".

تنبيه: طائفة من المشتغلين بالعلم تؤمن بالتشابه على مراد الله و لا تتثبت في تفصيل المسألة. يقول طائفة دون طائفة هؤلاء من أهل الحق لهم سلامة الفطرة، يشتغلون بالعمل بالمحكمات في الدين. ثم لفرائضهم في الارتفاقات، هؤلاء هم في الطبقة الأولي. والطبقة الثانية يقولون نحن نؤمن بالمتشابه على مراد الله، ولهم في قلوبهم أوهام يظهرون للناس، إذا وجدوا مساغا يعارضون من خالفهم جهرا. هؤلاء ليسوا من الحق. و الطبقة الثالثة أنني أرى من هؤلاء يجعلون أوهامهم تحقيقا، ويدعون الناس إليه أنه مذهب السلف الصالحين، هؤلاء ليس لهم في العلم قيمة، هم الذين أضلوا أمثال عبد الهادي.

قوله: "**يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا**" يعني الراسخين في العلم لا يشتبه عندهم شئ من العلم بل ينطبق عندهم البعض على البعض. فمن ادعى أن الراسخين في العلم لا يعلمون شيئا من المتشابهات، إن كان مراده منع أهل الجهل من الكلام في المتشابهات، فتلك مسألة دينية تقبل منهم، أما إذا اعتقدوا أن المتشابهات ليس علمها عند أحد سوى الله، هذا رجل جاهل بمراد الآئمة.

تنبيه: رأينا الذين يشددون في الوقف على "**إِلَّا اللَّهُ**" لازما من الحنابلة و الحنفية.[359] نحن نعرف من الحنفية عرفائهم كلهم يجوزون العلم بالمتشابهات على سبيل الوهب الإلهي إن لم يكن على سبيل النظر والاستدلال. صرح بذلك الإمام الرباني الشيخ أحمد السرهندي أنه أعطى العلم بالمتشابهات. و لما أراد أن يذكر ذلك لولده الكامل الشيخ محمد معصوم فدعاه إلى خلوته و أقام رصدا أن لا يسمع كلامه أحد

[359] .... أنهم مخطؤن في ذلك

غيره. صرح بذلك عبد العلي[360] المعروف ببحر العلوم في شرح **مسلم الثبوت** [361]و كذلك من الآئمة الحنابلة شيخ الإسلام ابن تيمية صرح بذلك في كتبه و رسائله مرارا و رد عليهم ردا شديدا.[362]

قوله: "**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**" الذين يتفكرون في تنظيم الإنسانية هم يجدون الإشكالات، فإذا قرءوا كتبا الإلهية تهديهم إلى حل تلك الإشكالات، فيتذكرون، فيجعلون طائفة من الكتاب متنا و طائفة منه شرحا له للراسخين في العلم على تفاضل بينهم. هم إذا انطبقوا ما تفكروا فيه و ما وجدوه من كتاب الله على أمر واحد صاروا أهلا ليعلموا الكتاب و منهم يكون الراسخون في العلم إذا اتصلوا بحظيرة القدس.

فهؤلاء الذين رسخوا في العلم يقولون قوله تعالى: "**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ** (**8**)" إذ هديتنا بتوافق المحكمات و المتشابهات **رَحْمَةً** بنصرك بها كأننا نراك، ونتصل بحظيرة القدس، فيذهب مجالا للشكوك.

قوله: "**رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ** (**9**)" هم يعتمدون على أن حظيرة القدس جذابة للنوع الإنساني. كل تأويل ليس له استقرار هنا فهو باطل. نحن لانعمل شيئا يثبت خطاءه إذا جمعتنا ليوم لا ريب فيه، بل نؤدي فرضنا على حسب المحكمات، و تكون المتشابهات سببا لنشاطنا في إقامة المحكمات. فكما هديتنا بجمع المحكمات و المتشابهات تفضل علينا بتقديمنا على الناس، هم يقيمون العدل أكثر من الناس. فالإيمان بكتاب الله محكماته و متشابهاته و العمل بإقامة العدل والإحسان هو علامة الفرقان. هؤلاء هم الذين اهتدوا بهدي الأنبياء.

---

[360] عبد العلي بن نظام الدين السهالوي اللكهنوي. وكان عبد العلي: بحراً زاخراً من بحور العلم، إماماً جوالاً في المنطق والحكمة والأصول والكلام، مجتهداً في الفروع، ماهراً في التصوف والفقه وله مصنفات جليلة منها: **شرح سلم العلوم مع المنهيات**، و **حاشية على مير زاهد رسالة**، و **فواتح الرحموت في شرح مسلم الثبوت**، و **تنوير المنار شرح منار الأصول** بالفارسي، ومنها **الأركان الأربعة في الفقه**، ومنها **شرح المثنوي المعنوي** وله غير ذلك من الرسائل. و مات سنة 1225 هـ. لينظر: الحسني، **نزهة الخواطر**، 7: 1021-1023.

[361] لينظر: السهالوي، عبد العلي، **فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت** (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية) 2: 21-22.

[362] لينظر: ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** (السعودية، دار العاصمة، ط: الثانية 1999) 1: 376، 4: 71.

قوله: "**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أموالهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (10)**" من الطبقة الثالثة، بالاختلاط بين الصحيح والغلط يتخذون برنامجا للسياسة بإسم الأنبياء و يكون القصد فيه تكميل أهوائهم فقط مثل سلطنة النصارى في الروم اعتقدوا بالتثليث و الكفارة والفداء، يسهل للناس اتباع سياستهم، و في الحقيقة كفروا بالأنبياء. و حقيقة أحوالهم مثل من ينكر الحق من الفراعنة و غيرهم. إليه الإشارة في الآية 10-11. "**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا...شَيْئًا**" الأموال والأولاد التي حصلت لهم بقوة السياسة الباطلة.

قوله تعالى: "**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (11)**" لا فرق بين الفراعنة و بينهم كما آخذ الفراعنة كذلك يؤاخذ هؤلاء. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (12)**" هذا إنذار للروم. و لا يغتروا بضعف المسلمين. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (13)**" إشارة إلي بدر.[363] إن في ذلك لعبرة لهؤلاء الذين يجعلون الكفر مبنى السياسة، لا يحصل لهم في الدنيا إلا الشهوات. والذين هم أولو الألباب، الراسخون في العلم يخالفون تلك السياسة الباطلة و يردونها. السياسة الباطلة تاتي لأربابها بالأموال و الشهوات. وأولو الألباب يعملون سياسة حاصلها إقامة القسط بين الناس. قوله تعالى: "**الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (17) شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19)**" في بيان أحوالهم الذين يقولون ربنا آمنا بالحق، و نرد الباطل فاغفرلنا ذنوبنا وقنا عذاب النار. فإن حصل منا خطاء و حصل به للناس ضرر، هذا ذنب لكن لم نرده قصدا، فاغفرلنا.

---

[363] و هذا بدر الصغرى و أما الكبرى فهو ذكر في الأنفال 12. **إلهام الرحمان**

"**الصَّابِرِينَ... بِالْأَسْحَارِ**" الصابرين في مقاومة الباطل، و الصادقين لإقامة الحق، القانتين لاتصالهم بحظيرة القدس، والمنفقين مالهم لأهل الحاجة، لايريدون من حكمهم جمع الأموال بل الإنفاق، المستغفرين وقت السحور، وقت التقرب إلى الله. يستغفرون الله، يعنى يعترفون بأغلاطهم، و كل عمل يعملونه في اليوم يحاسبون عليه بأنفسهم، ويعترفون بأغلاطهم وقت السحر عند الرب. يتوبون على أنهم لا يعودون أبدا إلى هذا. هذا هو معنى الاستغفار بالأسحار.

هؤلاء هم أهل العلم، وهم الذين يقيمون العدل مثل ما أراده الله وحده لا شريك له مع ملائكته في حظيرة القدس. هؤلاء من أهل العلم، هم أولو الألباب، الراسخون في العلم، يقيمون العدل، وإليه الإشارة في "**شَهِدَ اللَّهُ ... الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**" لا اله إلا هو– هو مبنى الأديان، و منتهى المعرفة، و ليس الغرض منه إيجاد الفلسفة و جمع الأموال. شهد الله و الملائكة و أولو العلم أن التوحيد لإقامة القسط والعدل. "**قَائِمًا بِالْقِسْطِ**"يقول النسفي رحمه الله أي مقيما للعدل.[364] هذه الشهادة هي لإقامة القسط. و لقد ظلم الناس من حرّف مثل هذه الآية الكريمة ببلاغتهم و فلسفتهم، هذه صفة أهل العلم، و الذي يحصل لهم بعوض ما يحصل للمبطلين من الشهوات، أشار إليه في قوله تعالى: "**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** (**15**)" و المبطلون أي شئ يحصل لهم، إليه أشار في قوله تعالى: "**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** (**14**)" هذه إشارة إلى حكومات باطلة، يحصل لهم هذه، أما في الآخرة فعذاب. و **لِلَّذِينَ اتَّقَوْا... حُسْنُ الْمَآبِ**". هذه نتيجة الآية السابقة.

الكتاب منقسم على قسمين: 1– محكمات، 2– متشابهات. و من ادعى الفلسفة و المعرفة في المتشابهات، و أخرج الدين من إقامة العدل بين الناس، هم جعلوا مركز كل قانون، وحكم من ينصبونه حاكما، و كل ما يعمل و يحكم به لايؤاخذ عليه شئ. هذا معنى السلطان. و قيصر و زار و كسرى و امبراطور، الحقيقة واحدة و الأسامي مختلفة. هذا لا يمكن ترويجه بين الناس إلا بتدقيقات مثل الفلاسفة و تشريح للمتشابهات. هؤلاء مبطلون يستخدمون علم الدين في سبيل الخيانات، و يجمعون الأموال و الخيل

---

[364] لينظر: النسفي، عبد الله بن أحمد، **مدارك التنزيل و حقائق التأويل**، (بيروت، دارالكلم الطيب، ط: الأولى 1998) 1: 242.

و الفضة و النساء و البنين، ولمن يدين بحكم. كل هذا ظلم على الناس، فلإبطال هذه القيصرية و إبطال المذاهب التي بنيت عليها تلك القيصرية نزل القرآن الكريم.

و المسلمون لما نسوا الكتاب جعلوا حكمهم على منهاج المبطلين، و هذا الذي يدعوا إليه القرآن هو الذي كان يدعوا إليه جميع الأديان و ليست هذه دعوة أخرى. و الدليل عليها أن كل دين يدعوا إلى تسليم أحكام الله أو نقول بتعبير آخر إلى الإسلام، فإذا أخذنا مركز الأديان فالمشترك بين الأديان هو الإسلام. هذا النوع الذي رتبوه من الدين مجموعة البدعات، يدعوا إلى تسليم حكم القياصرة لمخالفة الإسلام. وقد تحقق كذبه، فإن خالفونا في ذلك فنحن نقدر على أن نبحث معهم إلى آخر الدهر حتى يظهر بطلانهم عند الناس كافة. إليه الإشارة في قوله تعالى: **"إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (20)"** يعني أن الأمر المشترك في جميع الأديان هو تسليم أحكام الله، هذا بديهي من أجل البديهات عند من يشتغل بتعلم الأديان. و تفصيله أن الناس مدينون بالطبع، و كل اجتماعية تحتاج إلى حاكم، والأحكام يقع فيها الاختلاف، طائفة تحاكمت إلى رجال لهم اتصال بحظيرة القدس، هم يحكمون أمر الله المتقرر عند الملاء الأعلى، يقدمونه على كل حكم، هذا هو الدين. جماعة تحاكمت إلى رجال نصبوهم لأجل الحكم، و هم ليسوا من أهل الأديان، ثم من أهل الأديان تنشأ جماعة تقوم بالبغاوة على الدين ينصرون آراء هؤلاء الحكام غير أهل الدين. ويكون في الدين طريقان: 1- طريق اتباع أمر الله، الثابت بواسطة أنبيائه. 2- و جماعة باغية على الدين و متخذة قوانين و أحكام مخالفة للأديان، و إليه الإشارة في **"وَمَا اخْتَلَف...بَغْيًا"** هم يختلفون في أنه هل يجب إطاعة أمر الله في كل أمر أم لا. هذا الاختلاف في الدين حادث لم يكن في الدين. ليس معنى قولنا أن الناس يتحاكمون وقت الاختلاف إلى رجال لهم تعلق بحظيرة القدس، إنهم لا يراعون مصلحة الاجتماع والتمدن، كما يظنه أهل الجهل بل الدعوى أنهم هم الذين يراعون حقيقة الاجتماع و حقوقه، فيراعون حقوق جميع بني آدم على حسب اختلاف مدارجاتهم. أما هؤلاء الحكام فلا يراعون إلا طائفتهم و أحزابهم فقط.

و الأمر الفارق بينهما أن العدل يكون أظهر و أكمل في اتباع الدين. والظلم يكون ظاهرا في اتباع الملوك الغير المتدينة. ثم قد يكون أن الطائفة الباغية من أهل الدين على أهل الدين، فيكون الإسم إسم الدين، و (لكن) الظلم أكثر من غير المتديني،ن فلا يكون ذلك الفساد من الدين بل من الذين قاموا بغيا على الدين فقط. هؤلاء في الحقيقة هم يكفرون بآيات الله، إليه الإشارة في "**وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**" يعني ثم يسلب عنهم الحكم بإسم الدين أيضا فيغلب غالب غير متدين، هذا هو الحساب في الدنيا.

فالاحتجاج على النصارى في زمن النبي بهذا المعنى، وكذلك الاحتجاج على قريش في دعواهم اتباع إبراهيم بهذا المعنى، وإليه الإشارة في "**فَإِنْ حَاجُّوكَ** ...**بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**" نحن أي النبي و من اتبعني نسلم وجوهنا لله أي لجميع ما أتى على الأرض من الأديان. نحن نسلم وجوهنا له، لا تكون الكلمة ثقيلة على الناس، فإن أديان الله لا تختلف، هذا هو أساس دعوة إبراهيم. إذا ادعينا نحن نتبع جميع أديان الله فمعناه أنا راسخ في العلم من جميع الأديان، فإنهم يختلفون فيصير الأديان عندهم من المتشابهات، و نحن نجمع و نطبق كلها فتكون عندنا من المحكمات، فتلك الحنفية. هذا هو الذي أشرنا إليه في مثال عبد الهادي لا يقدر اليوم رجل من أهل المذاهب المشهورة الأربعة أنه يعمل بجميع الأحاديث الثابتة في الكتب الستة، يصير كله من المتشابهات عند رجل يرجع لفهم الدين و لا يقلد بجهله.

و نحن نقدم الإمام ولي الله في هذا، و أنا باعتمادي على **حجة الله البالغة** صرت، أو من يجمع الأحاديث الصحيحة، و من هذا الطريق المحكم ارتقيت إلى فهم الكتاب و لم يختلف على. و عبد الهادي لما ترك الفقه الحنفي أولا بعذر أنه يخالف الأحاديث، و اعتمد على مشائخه أنهم يتبعون، ثم رآهم أنهم أيضا يتركون الأحاديث بترجيح بعضها على البعض، فاشتبه عنده علم الحديث. فمن هذا الوجه صار شكوكه في كتاب الله. نريد أن يتقن كل رجل تلك المسألة، لأن نحن على قياس تلك الحالة نعامل العالمين، لأن الإسلام الذي علمناه النبي إما راجع إلى العرب خاصة، هذا لا ينكره أحد من الدنيا إلى يومنا هذا. و أما راجع إلى العالمين إلى جميع الأديان، و هذا هو الذي يتنازع فيه الناس و في قبول الإسلام لذلك المعنى. و نحن حققنا من كتب الشيخ حكمة الأديان ك **البدور البازغة** و **التفهيمات الإلهية** كما حققنا ما يتعلق بتعاليم النبي في **حجة الله البالغة**. و نحن نعترف بحقية جميع الأديان الصابئة و الحنفاء، لكن بقدر ما أنزل عليهم نجعلها مثل الأحاديث المختلفة. فإن كل دين قائم على وجه الأرض كتبهم الدينية

التي تضبط ما أنزل عليهم لا يتنازل درجاتهم عن كتب الأحاديث عندنا. نحن نجمع بين جميع الأديان في كتبهم الموجودة اليوم على وجه الأرض و نطبقها أو نتبعها، ثم ندعو هؤلاء هل أنتم تتبعون؟ فإذا أنكروا ذلك ثبت أنهم كفار بأديان الله، و إلا فالتكافر و التكفير المتبادل لا ينفع لأحد. و قد ذكر في سورة البقرة قوله تعالى: "**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**" [365] هؤلاء يتكافرون و لا يظهر الحقيقة عند الناس فلذلك قال الله "**فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**".

فنحن نريد إثبات الحقيقة عليهم في الدنيا، وليس له من طريق و لا سبيل إلا هذا. نؤمن بجميع ما أنزل الله على أهل الأديان، وببركة رسوخنا في العلم نطبق هذا الدين، و ما يتخلص هو الحنفية و هو الذي يدعو إليه القرآن، إليه الإشارة "**فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ**" يعني بجميع ما أنزل الله، و لانفرق عن أحد من رسله. "**وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ**" هم النصارى و الأميين و الفارس أأسلمتم يعنى بمثل ذلك تتركون كل الاختلاف و تجتمعون إلى ما اجتمعت إليه الإنسانية "**فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا**" و يصيرون رفقاء لكم "**وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ**" يعني يسلب عنهم الحكم و يعطي لقوم يعملون مثل ذلك، "**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَاد**"

بيان خبط المفسرين و المتكلمين و الفقهاء

في بيان بعثة النبي إلى درجتين، قال شيخنا: و قد تخبط في ذلك الباب طوائف من أهل الكلام و التفسير و الفقه بخلطهم بين الدرجتين في دين النبي عليه الصلوة و السلام. 1- درجة للعرب، 2- درجة للعالمين. و فصلها الإمام في **حجة الله البالغة**. هؤلاء لا يفصلون، -بل- يجعلون ما —كان- للعرب هو الواجب على العالمين. فلا يقدرون على شرح الدين بالحكمة و لا على تنفيذه بالقوة و الحكم. هذا الذي رأينا عبد الهادي قد تحير فيه. الفقه الذي أخذه من أهل الحديث كيف يصير دينا و فقها للعالمين، فإنه يعرف أن مثل ذلك موجود في كل دين. و لما نبهته على تميز الدرجتين باللطف و اللين تنبه، و قال الإحاطة بتلك المسألة لا يمكن في مجلس واحد بل في مجالس بطول المصاحبة . نحن بحمد الله كما تحققنا

---

[365] البقرة:113

أن التعليم في علم الأحاديث ليس الاختلاف فيه، كذلك تحققنا أن القرآن و التوراة لايختلفان. و هذا القدر مشترك فيه طوائف من أهل العلم.[366]

ثم نحن نريد أن نتقدم خطوة، فنقول أن الحنفاء و الصابئة متحدون. وهذا[367] ليس إلا عند الإمام ولي الله، و من تقدمه من علماء الهند في الألف الثاني. و عامة بلاد المسلمين غافلون عن كل هذا، فلا يقدرون على إثبات أن الإسلام عام على جميع أهل الأرض إلا بدلائل فقهية يمكن الاعتراض عليها. لا يرجعون إلى الحكمة و لا يقدرون على شئ إلا ماشاء الله.

حكاية: الشيخ محمد أفضل الدهلوي[368] استاذ لإمام ولي الله في علوم الحديث و الشيخ في الطريقة للشيخ محمد مظهر جان جانان[369] قال الإمام ولي الله في خاتمة **القول الجميل في بيان سواء السبيل** "و أجاز لي مشكوة المصابيح و صحيح البخاري و غيره من صحاح الستة، الثقة الثبت الهادي محمد أفضل عن الشيخ عبد الأحد عن أبيه الشيخ محمد سعيد عن جده شيخ الطريقة الشيخ أحمد السرهندي بسنده الطويل المذكور في مقاماته. آه. و قال الشيخ مظهر في كتابه إلى بعض المتعندين "و

---

[366] أشار إليه الشاه ولي الله فيقول: " أن الملة اليهودية حملها الأحبار والرهبان، فحرفوها بالوجوه المذكورة فيما سبق، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم رد كل شيء إلى أصله، فاختلفت شريعته بالنسبة إلى اليهودية التي هي في أيديهم، فقالوا هذا زيادة ونقص وتبديل وليس تبديلا في الحقيقة." لينظر: ولي الله، **حجة الله البالغة**، باب أسباب اختلاف دين نبينا صلى الله عليه و سلم و دين اليهود و النصرانية، 1: 278.

[367] و هذا الفكر

[368] الشيخ المحدث محمد أفضل السيالكوتي ثم الدهلوي أحد العلماء المشهورين في الحديث، انتفع به كثيراً وأسند الحديث عنه، أخذ عنه الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي والشيخ جانجانان العلوي والشيخ كدا علي وخلق كثير من العلماء. توفي سنة ست وأربعين ومائة وألف.. لينظر: الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر** (لبنان، بيروت، دار ابن حزم، ط: الأولى 1999) 6: 806.

[369] مرزا جانجانان الدهلوي الشيخ المحدث الفقيه الزاهد، يرجع نسبه إلى سيدنا علي رضي الله عنه، ولد لإحدى عشرة بعد المائة والألف في أيام عالمكير، كان من أعاجيب الزمان في ذكاء الحس والفطنة والقوة الغريبة في إبقاء الذكر والإستغناء عن الناس والزهد والورع واتباع السنة السنية، توفي رحمه الله شهيداً في سنة خمس وتسعين ومائة وألف، ودفن في بلدة دهلي. لينظر: الحسني، عبد الحي، **نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر**، 6: 705-707.

كتب الحديث در خدمت هادي محمد أفضل السيالكوتي تلميذ شيخ المحديثين عبد الله بن محمد بن سا لم المكي گزرا نيدم".[370]

فالشيخ محمد أفضل كان من سيالكوت و انتقل إلى الدهلي قد ذكر في المقامات المظهرية في ترجمة الشيخ محمد أفضل (أنه) رأى رجلا في الرؤيا، أن النار ملتهبة و كريشنا مستقر، متمكن في وسط النار و رام قائم خارج النار. ذكر تلك الرؤيا عند الشيخ محمد أفضل، فقال رجل من أهل المجلس هؤلاء آئمة الفكر هم دخلوا النار. فقال الشيخ مظهر عندي تأويل آخر غير هذا، أن رام كان في مبدأ الخلقية، و كان يدعو إلى الله بعقله، و كريشنا كان في آخرها . دعا الناس إلى الله بعواطف المحبة، و التهاب النار ظهور حبه بالله و شوقه إليه. فاستحسن الشيخ أفضل هذا التأويل. و للشيخ محمد أفضل مكتوب إلى بعض أصحابه في توجيه ديانة الهنود مطبوع بعد (14) في مجموعة مكتوباته و انتهى إلى كلمة "واعتقاد التناسخ مستلزم كفر نسيت". و الذي نحن نعتمد عليه من حكمة الإمام ولي الله في الجمع بين الأديان الصابئة والحنفاء ليس هو مما تفرد به بل حكماء الهند في الألف الثاني عامة يحكمون بذلك، فالذين يخالفون من أهل الكتاب لهذه الدعوة القرآنية، أشار إليه في قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (21) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (22)**" الذين يخالفون تلك الدعوة، هذه حالاتهم.

تنبيه: نحن رأينا مثل هذا في الفقهاء في الإسلام يقتلون الذين يخالفونهم على مثل ذلك. فتشدد الفقهاء إلى درجة أن يقتل المخالف، يستلزم[371] الكفر بآيات الله.

قوله تعالى: "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23)**" هذا إلزام ثان عليهم. أولا دعوا إلى ما اجتمع عليه الأنبياء

---

[370] لينظر: الشاه ولي الله، **رسائل شاه ولي الله، القول الجميل في بيان سواء السبيل،** (لاهور، تصوف فاؤنديشن) ت: سيد محمد فاروق القادري، 119.

[371] و هذا يستلزم

فأنكروا بحجة، أنهم لا يتبعون إلا دينهم. ثم يدعون إلى أن يتبعوا كتابهم، فينكرون أيضا لاتباعهم أهواء فقهائهم الذين بغو على كتاب الله، إليه الإشارة في هذه الآية.

تنبيه: مثل ذلك رأينا في بلادنا من فقهائنا طائفة، إذا دعوناهم إلى كتاب الله و سنة رسوله يقولون نحن نتبع فقهائنا فقط. وغير الحنفية من فقهاء أهل الحديث ينكرون عليهم الإعرض عن كتاب الله و عن السنة. أما نحن فندعوهم إلى كتب الفقهاء الحنفية الآئمة المحققين. هم ينكرون تلك الكتب و يرجعون إلى ما عندهم من الفتاوى الضعيفة. وإذا وصلوا إلى تلك الدرجة من الجهل يسقط عنهم إسمهم من أهل الأديان، و هم يغترون بإسم الدين و هم لا يمكثون في جهنم إلا أياما قليلة معدودة بما ثبت عندهم من فضائل ذلك الدين، و هم يغلطون في إدراج أنفسهم في أهل تلك الدرجة، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24)**" يظهر غلطهم يوم القيامة فقط، أما في الدنيا فلا يقرؤن شئ، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (25)**"

تلك الطائفة أيضا عنها يسلب الحكم في الدنيا إذا قامت جماعة أخرى لإقامة العدل أحسن منهم. أما في حين أن لاتقوم قوم لإقامة العدل فقد يكون حكم الظالمين قد يستمروا، إذا قام أحد فلا يتمكنون بعد ذلك في الحكم. فأمر الله نبيه أن يدعو، و يسلب الله عنهم الملك، و يعطيه آخر. قد أشار إليه في قوله تعالى: "**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (27)**" معناه تنزع الملك منهم وتعطيناه. فقد أثبتنا أننا أطوع لتسليم أمر الله في إقامة العدل و نحن أحق.

من بعد ذلك الوقت يكون محاربات مع أهل الكتاب و الأميين، فلا يجوز للمسلم أن يميل إليهم، يحب عليهم أن يتبعوا جماعة النبي صلى الله عليه وسلم. فقد يصير المسلمون في تلك الحالة حزبا سياسيا دينيا، يدعون جميع الأديان إلى الحنفية، فإذا خالفواهم يحاربونهم و يسلبون ملكهم، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (28) قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي**

صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (29) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (30)" إلا أن تتقو منهم تقاة. هذا مثل المضطر يأكل ما حرم الله بدون عدوان و بدون بغي، والحكم باضطراره مفوض إليهم، فيحاسبهم الله به فقط. فإن الأمر بينه و بين الله و لن يتدخل فيه قاضى و لا مفتي. كل هذه الآيات في محاسبة الله عبده فيما بينه و بين ربه

الأمر الثاني: الانضمام إلى جماعة النبي، التحذر من الكفار و الانضمام إلى جماعة النبي، أمروا به في قوله تعالى: "**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31)**" يعنى أن من خالف سياسة النبي و حكمه لا يبقي له مقام في حظيرة القدس بل تكونون مثل الكفار، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (32)**" و الحاصل في هذا الفصل إتمام الحجة الدينية عليهم برد اختلافاتهم، و دعوتهم إلى ما ثبت عندهم من الحق. فإن أعرضوا، لا يكون لهم حق الحكم بإسم ذلك الدين على وجه الأرض. يسلب عنهم حكم المسجدين: 1- مسجد القدس و هو المبحوث عنه في هذه السورة، و كذلك يسلب عن قريش مسجد الحرام.

الفصل الثاني من –الآية- 33 إلى –الآية- 63 في بيان تأسيس مذهب النصارى من المسيح بن مريم.

و النصارى كان مبدأ مذهبهم من المسيح بن مريم، وحكومتهم في الروم. ومقصد هذه السورة دعوتهم إلى إصلاح أغلاطهم، ثم إصلاح حكمهم بإخراج الظلم من الحكم، وكذلك إصلاح الفرس مقصود في القرآن العظيم. ثم الجمع بينهما، و جعل تلك المجموعة مركز العالم، و يكون الدين دين إبراهيم إمام الأنبياء. ففي الفصل الأول ظهر غلطهم في الدين. ثم الفصل الثاني جعل الدرجة النازلة من الدين المختلط بالحق و الدين. فالسعي في إصلاح حكمهم بعد السعي في إصلاح دينهم هو خلاصة الفصل الأول، الفساد الذي وقع في دين النصارى هو ألوهية المسيح بناء على فلسفة، ثم يتفرع منها ألوهية الملوك و فرعونيتهم، و يتفرع منها ألوهية الرهبان و الأحبار.

و إذا تأملنا في الأقوام المتمدنة و أدياهم الجامعة، فهذا الفساد هو الفساد الساري في جميع الأديان؛ منهم من أفحش و صرح بأن عيسى هو إله، و البعض الآخر مثله في الأفحاش و الصراحة. و البعض يقول مثل ذلك على سبيل التورية مثل اليهود و صابئة الهنود. فيهم طائفتان مثل النصارى و مثل اليهود. فالبحث مع النصارى أصولي، يرجع إلى تهذيب طوائف من الأقوام. في الفصل الثاني بيان مبداء غلطهم و الدعوة إلى إصلاحه. و الأغلاط في عامة الأقوام تتوارد مثل شئ واحد، فإصلاح النصارى إصلاح العالمين و بهذه الطريقة ينظر الحكيم في القرآن، و لا ينظر بهذه الطريقة إلا حكيم. يجعل البحث مع قوم نموذجا لإصلاح الأقوام، بل يجعلون الكتاب بحثا عن شخص واحد، و ينظرون إلى شخصياتهم فقط.

قوله تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33)**"

القطعة من الأرض في القرآن، من شرق بحر الروم إلى جبال الصين، يعنى شرق الهند قطعة مسطحة، من أفضل قطعات الأرض، ليس فيها حجاب إلا جبال على حدود الأفغان، قسم هذه الجبال على قسمين: قطعة شرقية شمال الهند، و قطعة غربية. فالإيران و سوريا و أناطول و العراق كل هذه داخلة فيه. و الذي تحقق عندي أن البحث في الكتب الإلهية ليس إلا عن تلك القطعة لوجوه. 1- منها أنها مركز العالم المعور، 2- و منها أنها أحسن قطعة في اعتدال الهواء و طيب الماء و بركات الزرع. فإن كان أهل الهند شرقيها يجعلون أنفسهم في وطن واحد و يتكلمون بألسنة متقاربة. هكذا الهند الغربي و الإيران، فإن الألسنة و الطبائع متوافقة. ثم إذا نظرنا إلى أناطول و العراق و سوريا و إلى الأقوام المتواصلة بتلك القطعة في شمال بحر الروم مثل اليونان و جنوب بحر الروم مثل مصر رأيناهم متجانسين مع أهل العراق و سوريا و أناطول. ثم ينشعب من تلك القطعة شعوب مثل سوريا و العراق، إلى جنوب جزيرة العرب من الهند إلى جنوب الهند الدكن، من أناطول إلى قفقاسيا، من الإيران إلى التوران. فتلك الشعوب حوالي هذه الأرض المقدسة المركزية، فالإنسانية أساسها كأنها منحصرة في تلك الأرض لطول الزمن و قدم العصور، لا يمكن تعيين الأول و الثاني، لكننا نرى الإنسانية في طول عمرها انتقلت إلى مركز اجتماعيتها في بلدان تلك القطعة فقط.

في آخر الأمر نرى الأرض بين النيل و الفرات صارت أرجح من بقية القطعات. هذا إنما يكون بعد نوح، أما ما قبل فكان كل القطعات كانت مركز الإنسانية على حد سواء. فإن قيل أن آدم كان في

الهند، أو كان في الإيران، أو كان في السوريا، أو كان في الجزيرة، عندنا مثل هذا لا يعد اختلافا، و يمكن أن نقول أن آدم عمره كان طويلا، و تلك الأراضي كانت مثل مملكة، و كان ينتقل و يتحول في بلاده. يؤسس لأولاده مراكز الاجتماعيات.

ثم بعد ذلك نوح، و عندنا كان أصل وطنه من غرب جبال الأفغان، و تلك القطعة العظيمة كان مركزه، و كأنه ترك الهند. إلى الآن نرى (لامك) لمك من آبائه في أفغان قطعة إسمها لمكان منسوب إلى لمك، في الإيران بلاد إسمها يشبه نوح- نهاوند- عمره كان طويلا فكان يدور في تلك الأراضي، يؤسس لأولاده المراكز. ثم من إبراهيم نرى أن الأرض بين الفرات و النيل صارت مركز أولاده، كما أن الهند خرج من أولاد نوح، كذلك الإيران خرج من أولاد إبراهيم. وليس معنى هذا الا محل مركزية الاجتماع. و تأثير اجتماع المركزيات في جميع هذه الأراضي من الهند إلى اليونان كان شائعا دائما. و الذين يبحثون باعتبار انشعاب الأقوام في تلك الأراضي ثم يختلفون في أنبياءها و اجتماعيتها فكل هذه الاختلافات إنما نشأت من قصر النظر. و ليس عندنا مثال إلا مثال الفرق الإسلامية، كل واحدة تدعي و تزعم أن الإسلام لا يوجد إلا عندها. وصحة مثل هذه الكلمة ليست إلا من وجه دون وجه، و كذلك ليس عندنا لكل تلك الاختلافات قيمة حبة. إن آدم كان في الهند أو في الإيران أو في سوريا أو في الحجاز، فالكل عندنا سواء، كل البلاد كانت بلاده، لم يكن محبوسا منحصرا في بيت من بيوت بلاده. و يتفكر الإنسان أن العمر في عصورنا هذه دون المائة، حذفنا عشرين من أوله و عشرين من آخره، يبقي ستون، يعمل فيها الإنسان. فإذا فرضنا رجلا قويا في البنية، سليم الدماغ، عالي الدماغ، هو من أولي العزم يتمكن في ملكه ستين سنة سنة العمل، هل يكون عمله منحصرا في بيت أو حارة أو بلدة؟ و هل هؤلاء لا ينتقل في نواحي ملكه أو بلدته؟ و هل لا يبذر بذورا في كل بلد لأفكاره؟ و هل هو لا يدور حول ما حواه، مملكته من الممالك؟ إذا مات هذا الرجل العظيم، و بعد مأته سنة أخذ الناس يدونون تاريخ هذا الرجل، فهل لا يبدأ كل قوم من هذا الرجل العظيم؟ فهل يكون معناه أنه خاص بقوم دون قوم. كل هذه خرافات.

فإذا اتفق أن رجلا يقول أن الأراضي مركزها هي هذه، ثم جعل الصين أيضا من الشعوب المنشعبة من تلك الأراضي، هذا الرجل يوافقنا في أن الإنسانية من بدئها إلى يومنا هذا لم تتبدل، إنما يتبدل مركزيات الاجتماع، والناس في التاريخ يعرفون أن التمركز إنما دار و تحول في تلك القطعات، هي منبع الأديان، كما أن الأرض بين النيل و الفرات منبع الأديان الإبراهيمية. كذلك تضمون إليها الإيران و حواليها لمنبع

الأديان النوحية، ثم تضمون إليها الهند أيضا لمنبع الأديان الآرامية، بمثل هذا ينتظم الأمر في الأديان كلها. و إخراج الإيران من كونها مركزا للأديان مثل البرهمنية و البوذية. هل يمكن تسليمه برجل له نظر في ارتقاء التاريخ؟ أو اخراج الإيران من كونها مركزا للمجوسية. وارتقاء الاجتماع هل يمكن هذا؟ فإذا جعلنا السند من ملحقات الهند، و جعلنا التوران مع الإيران انحلت المشكلات. و القرآن الكريم يبدأ سلاسل النبوات و سلاسل الدين الاجتماعي من آدم، فإذا حصرتم أنتم جميع ما خرج من آدم من الأديان في الحنفية مثلا يلزم أن يكون مبدء البرهمنية و البوذية آدم آخر، هل تجوزون ذلك؟ و إذا ليس، فالذي تغلب على أذهان المتعلمين في المدرسة العربية من دعاية عربية و في ضمنها دعاية إبراهيمية و من حصر جميع كمالات الإنسانية في تلك المركزية و انكار التدين و الاجتماع في غير من انتسب إلى هؤلاء تباعد الرجل من فهم القرآن الكريم، ويقربهم إلى الإيمان بأساطير هؤلاء.

على ساحل قلزم بلدة حديثة حدثت بعد الإسلام إسمها جدة (ميناء مكة) جعلوا فيها قبر حواء على أنها جدة بني آدم، وعندهم أمثال من مثل هذه الخرافات يذكرونها في كتب السيرة و التفاسير و كتب التاريخ. و بسبب مثل هذه الخرافات لا يقدر أحد أن يفهم القرآن الكريم حق الفهم. والله حكم في الآية (33) بأنه قد اصطفى آل إبراهيم، و موسى منهم، لأن آل إبراهيم ظهر أولا في بني إسرائيل، و موسى مركز عظمتهم. و إذا قرأنا التوراة فالصحيفة الأولى و هي السفر الأول، فيها بحث عن إبراهيم و الصحيفة الثانية و هى السفر الثاني، فيها بحث عن موسى، بعد ذلك العهد الجديد من آل عمران، كذلك اصطفى قبل آل إبراهيم نوحا على العالمين، و الأقوام موجودة و نوح أعلى منهم. و اصطفى آدم على العالمين، وكانت الأقوام موجودة قبل ذلك أيضا، و آدم مصطفى عليهم. فالبشرية و الإنسانية إنما منبعها من آدم، فليست مبدءها منه، بل إنما هو مفضل على مخلوقات وجه الأرض فينتظم بذلك نظرية صحيحة لارتقاء الخلق[372]

---

[372] قوله نظرية ارتقاء الحق الخ. أقول و لقد حسن داروين الفلاسفي في تحقيق نظرية ارتقاء الكائنات و أنكره الحمقاء من مبلغ الأديان و ذلك محمول على قصور نظرهم فقط لكن محن نكمل نظرية داروين بإثبات الصورة الشخصية جوهرا ليست بعرض و عندنا على هذه القاعدة لا نغلط قول داروين الفلاسفي بأن الإنسان مخلوق من القردة و ليس المراد و نفس القردة بعينها صارت صورة إنسانية بل ارقت من استعداد أولى بقبول الصورة الإنسانية و تحقيق هذه الفلسفة و بيان معركة الاراء بين الفلاسفة سنكتب رسالة مستقلة انشاالله تعالى. (**إلهام الرحمان**)

أما رجل فقيه متفقه يقرء القرآن، ويحكم بأن غير ديننا يعنى الحنفية أو الشافعية كل الناس ليسوا على شئ من الدين و الإنسانية، فتلك الذهنية مضرة بالمرة. و تلك الآية (33) هي خلاصة صحف أهل الكتاب: اليهود و النصارى. فالكتاب مبدأه من آدم، وبعد الطوفان المبدء الثاني من نوح، ثم آل إبراهيم بنو إسرائيل، ثم الأناجيل آل عمران، هذه خلاصة الكتاب، ففيها تاسيس الفكر، أن الفضائل الإنسانية متوارثة متفاضلة فقط. فإذا حقق أحد تلك النظرية لا يجعل أحد من البشر فائقا على جميع البشر في جميع الأوصاف بل التفاضل أيضا يكون منقسما. هذا أفضل من وجه و الآخر أفضل من وجه آخر.

نحن نسلم أن موسى من أولاد إبراهيم عظيم، لكن هل لا يكون لإبراهيم نفسه فضل على موسى من وجه آخر. و كذلك هل لا يكون لآدم فضل على جميع أولاده من وجه. فإذا لم يكن لأولاد البشر أن يتفضل على جميع البشر فهل يكون منهم إلها؟ فهذه الآية (33) لتاسيس الفكر.

قوله تعالى: "**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (**34**)" ثم شرع الله في بيان دعوة إمرأة عمران و في بيان تولد مريم عليها السلام. و معنى أن مريم وإن كانت أنثى صورة، و هذا بتأثير أسباب من الأبوين. أما مبدء خلقها، فدعاء أمها أن يجعلها في قوة الذكران، فصارت جامعة للقوتين باعتبار الروحيانية. فإن تأثرت بقوة روحانية و غلبت عليها الذكورة لتولد ولدا ذكرا.

قد شاع في التواريخ أو في الأساطير مثل ذلك وقع في الإنسانية مرارا. و قد حكى ناس في حكاياتهم في الهند، و قد كتب في ذلك الغلام أحمد القادياني قبل إدعائه النبوة كتابا إسمه **سورمة جشم آريا**، و هو أحسن كتاب في ذلك الباب، ذكر فيه شواهد من ذلك. فكانت قصة امرأة عمران أقوى من قصة زكريا بدرجة واحدة، شبهها بدعوة زكريا. و قد ذكرنا في سورة مريم زيادة (ما) تتعلق بها.

قوله تعالى: "**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** (**42**)" كانت هي كالنبي من النساء، جعلها أتباع الإمام ولي الله درجة في النبوة دون الدرجة المشهورة نوعا من الصديقية تشبه النبوة. وما اشتهر من أفضلية الذكور على الإناث من كل الوجوه فليس له من الصحة شئ، والأمهات لها فضل على أولادها، والناس ينسون ذلك بالكلية، و بمثل ذلك يبطل الحكمة. مريم لم تكن مصطفاة، لأنها ولدت عيسى بل كانت صاحبة نفس كاملة.

قوله تعالى: "**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44)**" إشارة إلى قصور في الأناجيل، أنها لم تتكلم في مريم شئ، و هذا هو خطأ أساسي في تعليم النصارى.

قوله تعالى: "**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46)**" يكلم الناس في المهد، فضله ظاهر. و يكلم الناس كهلا: لم يفهم الناس حكمته؛ جعلوه بعد نزوله من السماء مرة ثانية، و هذا غير صحيح على نظريتنا، بل هو بقي إلى أن صار كهلا، و علم الناس طريقته؛ غفل عن ذلك كتب الأناجيل. و الذي ذكروه أن بولس[373] رآه في الرؤيا تحريف، بل هو رآه في اليقظة لا في الرؤيا، و مات هو كهل. هذا أيضا من عجائب قدرة الله في حياته لم يقدر أحد على أخذه.

قوله تعالى: "**وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49)**" تلك القوة الروحانية، نحن نعرف بمثلها في المقربين و لا ننكرها لأحد. "**وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ**" هذا هو كشف كوني، نعرفه في المقربين؛ ما أكل و ما ادخر فكل أحد يمكن أن يخبر به كل مقرب. الأشياء المحسوسة المتعلقة برجل خاص مثل تلك الخصوصيات من أكل و شرب و ما اكتسبه و ما جعله ذخيرة في بيته لا يمكن تحصيل تلك المعلومات بسهولة. فإذا أخبره أحد؛ علم الناس أنه بقوة الإلهية من مواهب الله، و مثل هذا نعرفه لكل أحد حصل له مقام في حظيرة القدس، بأن يكون له بسط قي علمه و إرادته بتأييد روح القدس، و هو النور النازل عليه من حظيرة القدس.

و مثل هذا الأمر عندنا صنفي لا شخصي، فلا يكون مثل هذه الأمور دخل في جعل هذا المخبر إلها. نحن نعرف من آئمة الطريقة الصوفية أشياء تعليمية، بعد مداومة على هذا التعليم، قد يحدث في قلب من له استعداد لتلك الحالات بعينها، و يسمون مثل تلك الحالات ولاية عيسوية. فكما نرى من علم الحكمة و فنون الاكتساب لا يستفيد منهما كل أحد على السواء بل لا يستفيد إلا من له استعداد لذلك،

---

[373] الرسول بولس ، يعتبر اعظم رجال تاريخ المسيحية، تولد في طرطوس فى اسيا الصغرى، ثلاثة عشر من الكتب السبعة والعشرين الموجودة في العهد الجديد تُنسب تقليديا إلى بولس. توفي حوالي سنة 64.

كذلك تلك الأشغال من أنواع ذكر الله التي رتبها آئمة الطريقة لا يتأثر بها إلا من له استعداد لها، لكن أهل الاستعداد كلهم على السواء، ينكشف عليهم حالات الناس الخصوصية، و ينفخون في شئ يرى فيه الحياة، فإذا صار مثل تلك فنونا مستعملة في الأمة المحمدية هل يمكن بعد ذلك أن يجعل صاحب مثل هذه الحالات إلها؟

قوله تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (51)**" هذا هو أساس ذلك الطريق. كل الناس قد اتفقوا على مثل ذلك الاتصال بحظيرة القدس، و عبادة الإله الحق هو الصراط المستقيم. لنا بعد حكمة الإمام ولي الله مطالعة مخصوصة في التقرب إلى الله نذكرها: أي عبد من عباده أراد أن يحصل له درجة عالية مثل جبريل مثلا، و استمر على ذلك، ما تركها، و لا يتحول عنها إلى شئ آخر أبدا، فإن كان مصرا على تحصيل تلك الدرجة العالية من ربه يصل إليها في يوم من الأيام و لو بعد ملايين من السنين. هذا صراط مستقيم لكل أحد على السواء، فقول الله تعالى حكاية عن عيسى "**إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**" معناه عندى أنكم لو استمررتم على عبادة الله و تمنيتم من الله، هذا الفضل الذي منّ الله به عليّ لوصلتم إليه. و الرب يعطي بمداومة العبودية كل كمال في الإنسانية. هذا الباب فتحه عيسى بن مريم في الناس.

قوله تعالى: "**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52) رَبَّنا آمَنَّا بِما أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ (53)**" معناه عندى "منهم" أي من اليهود، من بني إسرائيل، قال من أنصارى إلى الله يعنى من غير اليهودية. و كل هذه الأناجيل دوّنها اليهود، و ليس تعليم عيسى منحصرا في اليهود فقط بل هو أخذ أنصارا من غير بني إسرائيل أيضا، هو صار واسطة بين موسى و محمد.

قوله تعالى: "**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ (54)**" مكر اليهود؛ هم صدوا الناس عن الدعوة الإلهية، و الله جازاهم بذلك. أخرج الدين من اليهود، والإمامة الدينية سلبت عنهم، هذا معنى قوله "**وَمَكَرَ اللَّهُ**" يعنى جازا هم على ذلك بتلك. عندنا تعليم عيسى قام على أيدى أقوام من غير اليهودية، و لذلك دخلت فيهم أغلاط الصابئة من الفلاسفة.

قوله تعالى: "**إِذْ قالَ اللَّهُ يَا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55)**" أي مميتك. (**فائدة مهمة في بيان وفات عيسى**) الذي شاع بين الناس عن حياة عيسى إنما هي أسطورة يهودية، و هى أيضا أسطورة صابئية، و شاعت بين المسلمين بعد فتنة عثمان بن عفان بواسطة أنصار بني هاشم من الصابئة، و من اليهود الموالين لعلى بن أبي طالب، لا لحب على بل لبغض الإسلام، فشاعت بين من لم يفهم قوله تعالى: "**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**"[374] و حل[375] هذه الآية مبنى على مهارة في الاجتماعية العامة، و الذين يأتوننا بمثل تلك الروايات هم أبعد الناس من العلوم الاجتماعية، فإذا كانوا جاهلين بمعنى هذه الآية، قبلوا تلك الروايات و تأثروا بها و قبلوها.

و البحث العلمي في الإسلام مرجعه الأول هو القرآن العظيم، و ليس في القرآن آية تدل على أن عيسى لم يمت، و أنه حي سينزل إلا استنباطات البعض، فيها شكوك و شبهات، و هذا لا يمكن أن يجعل مبنى عقيدة الإسلام. ثم بعد القرآن العظيم أصح الكتب في الروايات عندنا هو موطأ مالك، و ليس فيه أيضا شئ يدل على ذلك. و عند عامة أهل العلم أصح الكتب بعد كتاب الله **الصحيح البخاري** و عندنا أصح الكتب بعد **الموطأ** لا ريب فيه. وحديث لينزلن ابن مريم موجود فيه[376] لكن ما معنى هذا الحديث؟ لم يذكر البخاري[377] شيئا يؤيد هذا بل أتى بشئ يناقضه، و الناس لا يتدبرون في تراجم البخاري، و هذا معروف عند أهل العلم. وقد اشتهر أن فقه البخاري في أبوابه. فإن كان الإمام البخاري أشار إلى تضعيف فكر العامة في **جامعه** فذلك عندنا تضعيف لذلك الحديث، أو أشار إلى إعلاله فمثل

---

[374] التوبة: 33.

[375] بمعنى شرح

[376] " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها" لينظر: البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، 4: 168.

[377] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري : إمام الدنيا وجبل الحفظ ، صاحب الصحيح ، ولد سنة 194هـ ، وتوفي سنة 256هـ. لينظر: المزي، يوسف بن عبد الرحمان، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ت: بشار عواد، 24: 430 -467

هذا في البخاري أحاديث كثيرة متعارضة يتركها لمن يتفكر و يجتهد. و قد اتفق أهل العلم أن مثل ذلك لا يعد (لا يضر) من الأصوال المجمع عليها في كونها أصح الكتب بعد كتاب الله.

و الحافظ ابن حجر[378] مصر على تقديم كتاب البخاري على جميع كتب الحديث، و يصرح في **النخبة** و يقول: "وقد يقع فيها ما يفيد العلم النظري بالقرائن" ثم يقول: "و الخبر المحتف بالقرائن أنواع: منها ما أخرجه الشيخان مما لم يبلغ التواتر فإنه احتفت به قرائن: 1- جلالتهما في هذا الشأن.2- و تقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما. 3- وتلقى العلماء لكتابيهما بالقبول. و هذا التلقي وحده أقوى في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر إلا أن هذا يختص بما لم ينتقده أحد من الحفاظ مما في الكتابين". فهذا لا ثناء، هو المطلوب للنقل، "وبما لم يقع التخالف بين مدلوليه مما وقع في الكتابين، حيث لا ترجيح؛ لاستحالة أن يفيد المتناقضان العلم بصدقهما من غير ترجيح لأحدهما على الآخر، وما عدا ذلك فالإجماع حاصل على تسليم صحته"[379]

قلت فالحافظ يستثنى من ذلك ما انتقده أحد من الحفاظ، و ذلك راجع إلى أكثر من مائة حديث، ذكرها الحافظ في مقدمة **فتح الباري**، و الاستثناء راجع إلى ما وقع فيه التخالف، فليس ذلك مما هو أصح العلم بعد كتاب الله. و إذا كان حديث ذكر في البخاري و الإمام بنفسه صرح في باب آخر خلاف ما يتبادر منه، فهل لا يكون هذا مثل ما أعله بعض الحفاظ؟ و لا يتنبه على مثل ذلك إلا الخواص من أهل العلم.

جملة معترضة: قال الله تعالى في سورة المائدة: "**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116)**"

---

[378] هو أحمد بن علي العسقلاني، ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (بفلسطين) ومولده سنة 773 هـ، ووفاته 852 هـ بالقاهرة. صاحب التواليف الكثيرة، منها؛ **الإصابة في تمييز الصحابة، الدراية في تخريج أحاديث الهداية، فتح الباري، تقريب التهذيب، تهذيب التهذيب، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر**، و غيرها. و لينظر: الزركلي، **الأعلام**، 1: 178-179.

[379] العسقلاني، ابن حجر، **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر على مصطلح أهل الأثر** (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط: الأولى 2001) ت: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، 60-61.

في جوابه قال عيسى عليه السلام: "**مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117)**" فلنتفكر في هذه الآية.

السؤال يرجع إلى زمان قال الناس فيه أن عيسى أمرنا أن نتخذه إلها. و هذا القول لم يكن إلا بعد المائة الأولى من تاريخ النصرانية، فإن تلك العقيدة بتلك الصورة إنما حدثت في المائة فقط، فعيسى في جوابه ينكر أن يقع ذلك في حياته حيث يقول "**وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ**" يعنى إن القول لم يقع وقت شهادتي فيهم و عند شهودي لم يكن هذا القول فيهم. "**فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي**" معناه أن المسؤلية بعد ذلك مرفوعة عني، و أن هذا القول إنما حدثت بعد ما توفيتني. فبدون هذا التفسير لا يكون الجواب مطابقا للسؤال. فالآن نرجع إلى كتاب التفسير من كتاب البخاري في سورة المائدة باب **ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة**، قبل باب و كنت عليهم شهيدا الخ. ذكر في الباب الأول قال ابن عباس: متوفيك "مميتك"[380] جعل تفسير قوله فلما توفيتني، و هذه الوفاة لا يمكن أصلا إرجاعها إلى الوفاة التي تتوهمها عامة الناس إنها بعد الآف من السنين ينزل ثم يموت، فإن الوفاة بعد النزول لا تكون ترفع المراقبة و لا ترفع المسؤلية، فإن الوفاة ترجع إلى مراقبة بني إسرائيل و عدم المسؤلية بعده. و ذلك حادث بعد المأة الأولى لا بعد الآلاف من السنين، فيكون الموت قد وقع قبل المأة الأولى بلا ريب. هذا تفنن من الإمام البخاري بعدم نقله ذلك التفسير من ابن عباس لا في سورة آل عمران إذ الناس يولون قوله "متوفيك" على إماتته بعد النزول. و قد يجعلون مقدما و متوفيك متأخرا، فأراد البخاري أن لا يحرفوا هذا التفسير. فنقل قول ابن عباس في تفسير سورة المائدة حتى لا يمكن حمله على ما بعد النزول، فمعنى هذه الإشارة من الإمام البخاري أن متوفيك مميتك و هو واقع في المأئة الأولى. بعد ذلك روايته لحديث أبي هريرة هل يمكن جعلها من الأصول المتفق عليها؟ بل هو مما ذكر و ضعفه، لا يوجد في البخاري، و هذا لا يتنبه عليه الوارقون من أهل الحديث، إنما يعرف قدره من جعل كتاب البخاري كشرح موطأ مالك، فالإمام مالك يخرج هذا الحديث في كتابه ، أتى بحديث الطواف في الرؤيا[381] لأنه ضعف في المعنى.

---

[380] البخاري، محمد بن اسماعيل، **الجامع الصحيح**، كتاب تفسير القرآن، باب ما جعل الله من بحرة...، 6: 64.

[381] عن عبد الله بن عمر؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أراني الليلة عند الكعبة. فرأيت رجلا آدم. كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال. له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم. قد رجلها فهي تقطر ماء. متكئا على رجلين، أو عواتق رجلين. يطوف بالكعبة. فسألت: من هذا؟ فقيل: هذا المسيح بن مريم. لينظر: مالك بن أنس، **الموطأ**، كتاب

والعجب أن المحققين من الأشاعرة لم يجعلوا نزول المسيح و المهدي مما يجب اعتقاده على أهل السنة، فلم يأته صاحب المواقف، و ما انتقد عليه الشراح، ولم يذكره العضدية، وما انتقد عليه الشارح الدواني، فليس المسألة إذاً إلا إلى من لم يتدبر في العلم.

"**مُتَوَفِّيكَ**" قال ابن عباس مميتك، ذكره البخاري في المائدة، و لا يمكن تأويله بما يفسره العامة. "**وَرافِعُكَ إِلَيَّ**" يعنى في العلم و المرتبة مثل إدريس عليه السلام و حيث قال: "**وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**"[382] فعلوم إدريس من الرياضيات والطبيعيات صارت مثل فطرة الإنسانية، وتلك درجة رفيعة في العلم. كذلك علوم المسيح عليه السلام صارت فطرة للناس، وليتمكن بعد تلك الفطرة من بناء صرح عظيم النبي للحنيفية، و غلبتها على أديان الناس. وتلك منزلة رفيعة لعيسى ابن مريم.

وتقريب الحقيقة إلى أذهان الصابئة إنما هو من أثر تعليم عيسى بن مريم. اليونان و الروم دخلوا في النظرية . –هذا– ظاهر، و هم ركن من أركان الصابئة، و بواسطتهما تأثر الإيران والهند الصابئة إلى أفكار تشبه الحنفية. ويعظمون موسى والتوراة، هذا كله بتأثير ابن مريم، وصارت كالفطرة الطبعية لهم، هذا الذي قد تقرر عندنا من قوله "**وَرافِعُكَ إِلَيَّ**..."

"**وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**" اتهموا ابن مريم بأشياء لا يجوز ذكرها لأدنى الناس، و كل ذلك راجعة إلى ذهنية جامدة: أن الجسم لا يتولد إلا من الجسم، والروحانية أو الجسمية اللطيفة لا تؤثر في الجسمية الكثيفة. فمن أتقن بتلك القاعدة بامتناع تأثيرها صار مثل اليهود؛ يجعل ابن مريم ولدا غير رشيد. و من يجوز تلك النظرية أن التحاق الروحانية الموجودة في الإنسانية بالطبقات العالية مثل معراج النبي أو تاثير الطبقات العالية في القوى الإنسانية من أجلى البديهات. ومن تعلق بالإلهيات وقيل ذلك النظرية يطهر ابن مريم أولا باعتبار علمه و تعاليمه و أعماله الخالدة، ثم يطهره من تلك النسبة الكاذبة، هذا كله بتوجه نصوص من الله إلى ابن مريم، وكونه وجيها عند الله.

صفة النبي صلى الله عليه وسلم، (الإمارات، أبوظهبي، مؤسسة زايد بن سلطان، ط: 2004) ت: مصطفى الأعظمي، 5: 1348

[382] مريم: 57

"**وَجاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ**..." المتبعون منهم النصارى و المسلمون و الأقوام من الصابئة سلموا تطهيره، تلك الأقوام تكون حاكمة على الذين رموه و قذفوه بالفساد. و إذا كان أحد من بني إسرائيل ترك السب و الشتم، وجعله محرما باعتبار فضل ابن مريم، لا يدخل في دينه، عندنا هو من الذين اتبعوه. فإننا نعرف المسلمين من أتباع ابن مريم وليس المسلمون أتباعهم له مثل أتباع النصارى. فإذا كان قوم من الصابئة و اليهود يعظمونه هم أيضا من أتباعه، هذه حكمهم في الدنيا، و أما في الآخرة فمالهم شئ كما في قوله تعالى: "**أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (56) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (57)**".

قوله تعالى: "ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (58)" الأساس الصحيح للنصرانية هو هذا، و الذين زادوا عليه من الخرافات و الكفريات بطل بتعليم القرآن.

قوله تعالى: "**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59)**" يعني كان آدم مخلوقا من الخلق الأول لكن بعد الانقلاب، إليه الإشارة "**خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ**". عامة الناس لا يفهمون من أمثال تلك الآيات إلا أن آدم مخلوق من تراب، مبدع أول، مرة و ليس فيه تاثير لسلاسل المخلوقات السابقة. وليس عندنا باعتبار أصول الحكمة كذلك، بل ذلك التراب يكون مثل مني يخلق منه الإنسان، فكما أن الماء هذا يتولد من بعد تاثيرات، ليس من الماء الذي يكون في العيون و الآبار، كذلك التراب الذي خلق الله منه آدم فيه استعداد عظيم باعتبار تأثير الخلق، ثم تأثير من القوة الفعالة للقدرة الإلهية خلق آدم، كذلك لابن مريم مادة من ماء مريم، هو كالتراب، و تاثيره من فعالية القدرة الإلهية فصار كمثل آدم، فهو مخلوق بمنهاج خاص، ليس فيه شئ أزيد من ذلك، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (60) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (61)**" الرجل سليم الفطرة بعد ما استعمل حواسه الظاهرة و الباطنة يعتقد أن هذا المخلوق عامة والإنسانية خاصة مخلوقة على نظام مخصوص من الخالق. فكل مصنوع آية على صانعه. هذا شئ يجعل الرجل المصنوع هو الصانع، فهذا باطل.

فإذا كان أصل النظام راجعا إلى الحق، فأحد من أهل الباطل لايقوم على ساق، فإذا قام أحد من أهل الحق فأهل الباطل يقوم على المنازعة في الإرادة فيفوز أهل الحق على أهل الباطل. فالمباهلة ليست إلا مقابلة في القوة الإرادية. فالقوة الإرادية التي بنيت على الحق تستلزم الغلبة على الباطل، و يتقن به من اتصل بحظيرة القدس، ويتقن باتقان هذا النظام. فالله نصر نبينا في هذه المباهلة، و المخاصمون اعترضوا بحقيقته و اتبعوه، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (**62**)" ما ذكره من خلق عيسى "**وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ**" أما عيسى فليس بإله. "**الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**" أي هو الذي يغلب على الأديان أي منهم النصارى المبطلون.

قوله تعالى: "**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ** (**63**)" فإن تولوا بعد معرفتهم الحق فإن الله عليم بالمفسدين، فيجعلهم مغلوبين. وخلاصة الفصل الثاني هو بيان إصلاح الديانة المسيحية، إن قبلوه يكون لهم حكم و إلا يسلب عنهم الحكومة للنصارى.

الفصل الثالث: بيان دعوتهم إلى اتباع الحنيفية الإبراهيمة: فهذا الفصل الثالث فيه بيان دعوة لأهل الكتاب إلى اتباع الملة الحنفية، لأن دعوته[383] فتح بابا لإدخال الأمم الأجنبية في دعوة بني إسرائيل. هذا الأمر شرع فيه العمل به الحواريون، ثم اختلوا، أولا: هل يدخلون غير المختونين في جماعتهم؟ و تم الاتفاق على ذلك، ثم قام بولس الرسول بألهمة المتعقدة ليقيم دعوة المسيح إلى الأقوام (هذا الكتاب أعمال الرسل) هي تتمة الأناجيل، و كذلك استحسنا من حكمة الإمام ولي الله أنه يجعل أعمال الخلفاء الراشدين إلى زمن الفتنة من تمام أعمال النبي. فالدعوة المسيحية بعد بولس الرسول مثل الإسلام. بعد الفتنة يأتي فيها أشياء غير صحيحة أيضا، لكن الدعوة تتوسع.

فلما كان أصل الدين الفطرة، فكل ما اجتمع الناس على مسلك واحد، وحصلت فيه الكثرة التامة تظهر الفطرة بحقيقتها، فإن وقعت أغلاط تغفر. فهكذا الدعوة المسيحية ارتفعت، فأدخلت روما الشرقية في النظرية، فهذا انقلاب جديد في تاريخ المسيحية، و فيها تقع أغلاط، و تتقدم الحركة، صارت في الدنيا كتاب الله معظما بعد زوال اليهود، وقع فيها اضطراب، وحصل ضعف في السلطنة الدينية أيضا. فتجديد هذا الدين الذي جاء به المسيح كان مكتوبا أنه يكون بيد أحمد "الفارقليط"، فقام النبي من بني

[383] المراد به دعوة عيسى عليه السلام

إسماعيل. فالآن هذا التجديد لا يستقل إلا على ملة إبراهيم، لأن نسب هذا النبي لا يجتمع مع بني إسرائيل إلا بعد موسى فوق موسى. و الاجتماع ينسب إلا بين إسماعيل و إسحاق في إبراهيم، فكانت الملة الإبراهيمية في أول نشأتها إلى زمن يوسف على طريقة جامعة بين الآئمة الأربعة: إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، يعقوب. تلك ملة حنيفية، و هي بعد قيام هذا النبي من بني إسرائيل لا يمكن إلا الدعوة إلى تلك الملة. فالرجوع إلى تخصيص اليهودية الذي كان قبل المسيح، هو ارتجاع شنيع، ظلم على الإنسانية. فيكون الملة شاملة لجميع الإنسانية، و يكون مركزها راجعا إلى الآئمة الأربعة فقط. هذه الدعوة و تبيينها هي مقصد هذا الفصل.

فالحنيفية إمامها المستقل هو إبراهيم، و آئمتها المجتهدون في المذهب إسماعيل، واسحاق ويعقوب. كل شئ فعله هؤلاء الثلاث شرحا لطريقة إبراهيم وتكميلا لها هو داخل في الملة، و كل ما وراء ذلك و رجع إلى شخصياتهم فلا يدخل في الملة وإن كان مقدسا ومعظما. فالنبي إنما قام لدعوة الأنام إلى تلك الطريقة فقط. و قد تعين في سورة البقرة في قوله تعالى: "**أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133)**" تلك الطريقة كانت شرحا لطريقة إبراهيم. هذه هي التي يسلمها النبي حجة عليه شهادة له، و لا يقدر أحد من بني إسرائيل أن يتركها.

و أساس الطريقة على ما قاله إبراهيم أسلمت لرب العلمين كل ما أوحاه الله إلى الأقوام، يعني للعالمين، فإبراهيم يسلم كله، ويطبق بعضه على بعض. لما شرحنا كل ذلك من قبل فلا يوجد في الإنسانية قوم يمكن له أن يعرض عن طريقة إبراهيم كما جاء مصرحا في سورة البقرة في قوله تعالى: "**وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130)**" فبعد المسيح لا يصح و لا يتم الدعوة إلا إلى هذه.

قوله تعالى: "**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64)**" نحن بنو إسماعيل و أنتم بنو إسرائيل، لكنا نتحذ على ذلك أن لا نعبد إلا الله، رب العالمين، و لا نشرك به شيئا من الأحبار و الرهبان و الملوك. "**وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا**" فإن لم يرض بنوإسرائيل لأنهم

يلزم عليهم أن يتركوا خصوصياتهم، فأنتم تستحقون عليه، لا تتركونه. بعد ذلك آيات ليس فيها أشكال، و تكلمنا على أصل المسألة.

قوله تعالى: "**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68)**" عندي في حق أهل عصرنا كلام على مثل ذلك. النبي و خلفائه قاموا بالدين، فأولى الناس به من آئمتنا بعد الألف الثاني عندي هو الإمام ولي الله و أصحابه لكن نظريا فقط. أما الأعمال ففيها قصور و أعذار. ثم عرض الأستاذ لأهل عصره في آئمة دين الإسلام قوله تعالى: **وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (69)** هم يريدون أن يردوكم عن الأمر الجامع إلى ما اختصوا به من الخصوصيات بكل الأعمال التي يأتي بها السياسيون في الدعايات.

قوله تعالى: "**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (70) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (71) وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (72) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (73) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (74)**" النصرانية استفادت من تقدم المسلمين على الأرض، و تعلمت طريق عمل المسلمين، ثم لما ظهر الضعف في المسلمين، قاموا بأعمال مثل أعمال المسلمين، لكن بعد مسخ صورتها لئلا يتبين للناس أنهم مقلدون للمسلمين، و شرعوا أن يردوا المسلمين عن المنهج القوي، و يأخذوا مقامهم. و هم اليوم في تقدم على مسلكهم. لكن الأمر الذي وضح للمسلمين من متانة و فهم حكمة الإمام ولي الله لو تراجعوا إليها و تمسكوا بالقرآن مثل القرون الأولى قبل الفتنة.[384] و هذا يتمكن به طوائف من المسلمين إذا أتقنوا فهم الحكمة، فبذلك يتخلصون عن تغلب النصارى بالتمويه و التضليل، فينبغي في نظري أن يعمل كل طائفة

[384] المراد به قتل عثمان بن عفان

من أهل الإسلام منفردة برأيها حتى إذا تمكنت طوائف ثم يجتمعون و يحبون دينهم. أما ادعاء لجمع سفهاء الناس من كل قوم على انتصار الإسلام و على قيام الملة فمع قوة المخالفة لا نرى أنه يثمر، ذلك فائدة. هذا نظري.

رأي الأستاذ في سياسة النصرانية و طريق المقابلة

قوله تعالى: "**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (76) إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (77)**" هذه الآيات الثلاث يستفيد أهل الإسلام منها اليوم مسائل: 1– عامة الفقهاء أضلوا أهل الإسلام؛ إن غير المسلمين من الملل كلهم على الباطل، و هذا الجهل آفته من أهل الإسلام دون التسابق مع الأقوام في الدنيا، سياحون على وجه الأرض لنفع أنفسهم، و لنفع الناس، و المسلمون لا تجد فيهم إحالة، و بهذا ابتعدوا من التفكر في الإنسانية، بل الإنسانية عندهم محصورة في محرابهم و مساجدهم و مدارسهم. و هذا أدنى فعل من الأقوام، يأتي أقوام، يحفرون أراضينا، و يستنبطون على ما في التاريخ، و نحن نأكل في أقوام مبطلين في التاريخ و لا نسعى لتصحيحها و تحقيقها.

فلي ذوق التاريخ، و أكثر حياتي كنت في قطعة شمالية غربية من الهند، فالذي أدركنا من أول أساطير الناس في التاريخ كل يوم نرى يظهر الحق على خلافها، لكن يسعى الهنودا أو الإنجليز. أما المسلمون ففي السند يفتخرون بمحمد قاسم الثقفي[385] الفاتح الشهير، و لا يعرفون من بني أمية شيئا، و لا يعرفون من سيرة هذا البطل إلا كلمات مخلوطة بالكذب، هكذا يفتخرون بأسماء رجال لا يعرفونهم و أعمالهم، فلا نقدر على تعيين –طريقتنا– باتباع أسلافنا لارتقائنا السياسي، إذ لا علم لنا بالتاريخ أبدا. و لعل سائر

[385] محمد بن القاسم الثقفي، فاتح السند، ولد سنة 72هـ، من كبار القادة، ومن رجال الدهر في العصر المرواني، وكان سليمان شديد النقمة على الحجاج وعماله، فلما ولي، بعد موت الحجاج عمد إلى اقربائه وكتابه وعزل محمد بن القاسم وأمر بحمله من السند مقيدا، فحمل إلى واسط، وعذب بها، و قيل: مات في العذاب في سنة 98 هـ. لينظر: الزركلي، **الأعلام**، 6: 334.

الأقوام الإسلامية مثل هذه، أنا بنفسي لو لم أكن من قوم غير مسلم، وأراى رجالهم من أقراني يتقدمون كل يوم لجلست في حجرة، لكن غير التسابق لا تتركن.

فلا أقدر أن أجلس، و أحد من أقراني أراه أعلم مني دينا و سياسة. و كل من يمنعني ذلك من أم و أب و أخت فابغى عليهم كلهم، هذا طريق تكميل الإنسانية و تقدم الأقوام. و القرآن أرشد إلى ذلك في سورة البقرة "**وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**"[386] و نبه عليها في سورة التغابن في قوله تعالى: "**يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ**"[387] هذا الفكر (أي) أن خارج قومنا لا يوجد شيئا إلا باطل هو الذي أقعد أهل الإسلام عن التسابق و التقدم.

فالقرآن قد نص؛ أن أهل الكتاب ليسوا سواء، فهم رجال صالحون، و منهم مبطلون، هكذا في كل قوم، والتسابق يكون مع الصالحين، والاجتناب يكون من أخلاق المبطلين، وبذلك يقدر الإنسان على تمييز بين أهل الصلاح من قومه و بين الأشرار، بعد ذلك يستقر الحق في قلبه و يجد من جهة الله نورا في قلبه.

قوله تعالى: "**وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78)**" من هذه الآية يستفيد أهل العلم القرآن الذي بفضل الله عندنا محفوظ مفرز عن غيره. و قد تقرر عند فقهائنا؛ لا يجوز تفسيره بما يخرج عن ألفاظه إلا بما ثبت عن النبي بالتواتر أو الشهرة. و الصحيح في تفسير الشهرة أن تكون تواترا بعد القرون الراشدة يعنى بعد الفتنة، والفرق أنها لم تتواتر في زمن خير القرون و ما كان أحاد في الأصل، و تواتر بعد القرن الأول هو المشهور. وهذا تفسير الرازي[388] في **أحكام القرآن**، و كل من خالف فالكل على باطل، إنما يريدون اختراع اصطلاحات لنصرة المذاهب فقط، فلنمسك

[386] البقرة: 148

[387] التغابن: 9

[388] الإمام أحمد بن على أبوبكر الرازي، المعروف بالجصاص، ولد في بغداد سنة خمس وثلاثمائة هجرية، هو إمام الحنفية في عصره ومن المجتهدين المبرزين في المذهب، و توفي في سنة سبعين و ثلاثمائة. و لينظر: تقي الدين التميمي، **الطبقات السنية في تراجم الحنفية**، موقفه الشاملة، 1: 122.

بالكتاب و لا نزد عليه كلمة تغير ظاهر الكتاب إلا ما تواتر و اشتهر. وفي اليوم التفاسير مملؤة بخرافات الدنيا، وعامة المسلمين يظنون أن كل ما في التفاسير هو المراد من كتاب الله.

قوله تعالى: "**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80)**" عندنا من أكابر الطريقة الإمام عبد القادر الجيلاني[389] مقبول، و كان كل الكفر الذي هو موجود في الهنود بإسم ذلك الشيخ، فقراء المسلمين و زهادهم اشاعوا في المسلمين، ثم قرأنا كتبه **فتوح الغيب** و هو وحده كاف في هذا الباب، فرأينا أمرا عجيبا، أين الشيخ و أين تلك الكفريات؟ و لعل في ظني مثل ذلك قد وقع عند جميع أقوام الإسلام، فالصبر على تلك الحالة إبطال للدين، و من ينتظر مصلحا يأتي، و يصلح تلك الأمور إذا نحن أفسدناها إلى تلك الغاية. نحن قرأنا كتب آئمة الطريقة لاتباع الشيخ، **القول الجميل** للإمام ولي الله **و الصراط المستقيم** لشاه إسماعيل الصدر الشهيد[390]، ثم **اللمعات** و **العبقات** و أمثال ذلك فنحن نجعل أولياء أمة محمد صلى الله عليه و سلم مثل أنبياء بني إسرائيل و ليس أن كل خرافة تنسب إليهم، و تشاع بإسمهم.

قوله تعالى: "**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (82)** " الأنبياء لهم درجة من القرب لكن ليس لهم الانتهاء. الأمر كله بيد الله، و كل النبي و لو كان عظيما مثل موسى في بني إسرائيل أو مثل خاتم الأنبياء صلى الله عليه و سلم، كلهم لا يستبدون بأمره، بل آخذ منه عهد

---

[389] عبد القادر بن موسى، محيي الدين الجيلاني، مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين، ولد في جيلان في سنة 471هـ وله كتب، منها: **الغنية لطالب طريق الحق، الفتح الرباني، فتوح الغيب**، وتوفي بها في سنة 561 هـ. ولينظر: الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، (دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر) 4: 47-48.

[390] الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الدهلوي، ولد بدهلي في سنة 1193، وصار بحراً زاخراً في المعقول والمنقول، وأما مصنفاته: فهي عديدة أحسنها كتابه **الصراط المستقيم**، و **إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت** و **الضريح في بيان حقيقة السنة والبدعة**، ومنها **منصب إمامة في تحقيق منصب النبوة والإمامة**، ومنها رسالة له بالعربية في رد الإشراك والبدع، توفي في سنة 1246. ولينظر: الحسني، عبد العلي، **نزهة الخواطر**، 7: 914.

إن جاء بعدكم نبي تؤمنون به. و هم أمروا بذلك و آمنوا به. نرى فيها من الحكمة، أن الرجل الذي يكون إليه الانتهاء أو كمال يشتبه عند العامة هو بالرب، فلذلك أخذ من الكل عهد: أنهم يتبعون أمر الله. هذا ذكر الله كرم الله وجوههم، لكن الناس يعظمون نبيهم الخاص بحيث يجعلون إليهم المتنهى. فبعد ذلك يلتفت القوم حول ذلك الرجل، فعرفنا أن المبالغة في مدح نبي من الأنبياء أيضا يكون للجهال سببا لتحريف الدين.

قوله تعالى: "**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (83)**" الإطاعة و الأمر كله لله فقط. فوا عجبا لقوم يعظمون الآئمة مثل أبي حنيفة و الشيخ عبد القادر النقشبندي إلى درجة ليس فوقها درجة، ذلك من باب التحريف.

بعد ذلك في قوله تعالى: "**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84) وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)**" شرح لمفهوم الحنفية. "**وَمَنْ يَبْتَغِ**..." النبيون من غير الحنفاء لا نفرق بين أحد منهم، هذا هو الإسلام، و من تركه فليس من أهل الحق، فكانت حالته مثل النصارى و اليهود غير موافقة لتلك الدعوى إلا رجالا منهم.

قوله تعالى: "**كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (86) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (87) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (88) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (89) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (90) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (91)**" هذا الكفر الذي هو الارتداد بعد الإيمان. قوله من أهل الكتاب إذا رأوا النبي أول وهلة و أنه يصدق أنبياء بني إسرائيل قالوا أن الرسول حق، و صدقوا بالبينات، لكن فكرهم كان أنه يقتصر على هداية قومه خاصة، و لا يدعونا إلى اتباعه، يعنى الدعوة الإسلامية. في الدرجة الأولى أدركوها، ثم إذا رأوا أن دعوته عامة لجميع أهل الأرض كفروا. هؤلاء

سموا مرتدين عن الحق. و إلحاد من أول الأمر ما اعترفوا بحقيقته خوفا من ذلك، هم أيضا كفار، فهؤلاء ليس لهم من ناصر يسلب منهم الإمامة الدينية. والمانع لهم عن التصديق ليس إلا حب الدنيا و حب الأموال. إليه الإشارة في قوله تعالى: **"لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)"**

قوله تعالى: **" كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93) فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (94)"** أما العذر بأنه ليس على طريقة إسرائيل، إنه يحل الإبل، فهذا باطل. غرضهم أنه ليس ذلك النبي الموعود، هذا الافتراء ظلم عظيم على الإنسانية.

الفصل الرابع: في بيان ما يقوم به المؤمنون بالقرآن ليدخل في الملة الحنيفية (95–117)

قوله تعالى: **"قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (95)"** أنتم أبطلتم في اليهودية و النصرانية أصل منهاجها، فلم يبق شيئ يصلح أن يتبعه الناس من ملة إبراهيم، هي محفوظة عند بني إسرائيل و عند بني إسماعيل، و مركزه هو هذا المسجد الحرام. و إليه الإشارة في قوله تعالى: **"إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96)"** فالحركة العالمية مركزها الأول هو البيت الذي ببكة. فليس معناه أنه لم يكن قبله بيت أو أنه لم يكن قبله حركة عالمية تذكر و تعلم ضمن الحركات القومية، أما أن يكون للحركة العالمية مركز فلن يكن قبل ذلك البيت بين، ثم تلاه ثانيا بعد أربعين سنة؛ البيت الذي وضعه إبراهيم في القدس، كلا المسجدين لإبراهيم عليه السلام. هذا أول بيتين و ثالث المساجد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، هو **"مَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ"**. فمن قال أنه (**مَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ**) مسجد قباء فقط، فخطاء ظاهر في التفسير. و من كان في مسجد قباء من الأنصار، و هم يتطهرون تطهرا زائدا، فهم يصلون الجمعة أيضا في مسجد النبي صلى الله عليه و سلم، و كانوا يجتمعون إذا تفرغوا للصلوة مع النبي من غير الجمعة أيضا يصدق عليهم أنهم في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم. فقوله تعالى: **"فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّر"** يعنى من أهل القباء الذين يصلون في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، هذا الثناء في هذه الآية نزلت في أهل قباء لا في مسجد قباء. مسجد قباء مسجد من مساجد الطريق الذي سلكها النبي في هجرته، و ليس هو مسجد النبي

صلى الله عليه و سلم بل هو مسجد قباء، فالمسجد النبي الذي أسس على التقوى ليس إلا مسجد النبي صلى الله عليه و سلم.[391]

تحقيق المساجد الثلاثة المذكورة في الحديث

فالمساجد الثلاثة هي مراكز للحركة الدينية العالمية، هي مذكورة في القرآن. و لا تشد الرحال[392] إلى مراكز عالمي إلا هذه الثلاثة. فالنزاعات التي وقعت في شد الرحال كل ذلك لالتباس بين الدرجتين من الدعوة. فالممنوع هو شد الرحال إلى مركز عالمي فقط غير هذه الثلاثة. و شد الرحال إلى مراكز القومية لا يدخل في النهي. و كثير من أهل العلم لا يقدرون على الفرق بين الدرجتين، مثلا لا يجوز أن يترجم القرآن إلى لسان عجمي لأقوام عظيمة، فحفظ المتن العربي فرض على جميع المسلمين لحفظ الحركة العالمية. أما ترجمة القرآن إلى لسان كل قوم لحفظ حركة قومية فليست ممنوعة. فأهل الهند يترجمون القرآن بلسانهم فأي ضرر للمسلمين؟ وسهل عليهم فهم القرآن. فلو سألنا كثيرا من أهل العلم ما أجازوا بذلك، و كل ذلك للجهل في امتياز الدرجتين للبعثة.

قوله تعالى: "**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97)**" يعني لمن كان له قلب بحال الاتصال بالله وبحظيرة القدس بمجرد وروده إلى ذلك المحل المبارك. فلا نصدق بخرافات يصنفونها للجهلة.

"**مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ**" هذا الحجر أيضا من الآيات البينات، و كذا الحجر الأسود، هذا من شعائر ذلك الزمان، أنهم إذا تحالفوا يضعون حجرا، فاقتداء بتلك العادة الجارية إبراهيم، وضع حجرا في المسجد و هو محفوظ، فمن مس الحجر الأسود كأنه دخل في عهد و ليس فيه شئ يزيد على ذلك.

---

[391] في جعل البيت مركز الحركة العالمية حكم: (1) أنه سرة الأرض .2: الرجال الذين يقومون بالحركة العالمية كانوا في المركز . 3: كان هذا المركز محفوظا لا يصل إليه الأعداء بالسهولة لكون الجبال و البحر حواليه. 4: كونه واد غير ذي زرع و لو كان ذا زرع زرع لقلب على أهل التمدن و غلب عليهم حب الوطن و هما مهلكان. (**إلهام الرحمان**)

392 قد ورد في الحديث قول النبي صلى الله عليه و سلم: "لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى". ولينظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج و غيره، لبنان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2: 975.

و في الأصحاح الرابع و العشرين من سفر يشوع آية: " 25 قطع يشوع عهدا للشعب في ذلك اليوم، و جعل لهم فرائض و أحكاما في شكيم، 26 و سجل يشوع هذا الكلام في كتاب شريعة الله، و أخذ حجرا كبيرا و أقامه هناك تحت البلوطة التي عند مقدس الرب. 27 وقال يشوع لجميع الشعب: هذا الحجر يكون شاهدا بيننا، لأنه سمع جميع أقوال الرب الذي كلمنا بها، فيكون شاهدا لئلا تنكروا إلهكم".[393]

و مثل هذه العادة كانت في زمن إبراهيم، و معنى كلام يشوع أن هذا الحجر علامة للشهادة علينا عند الرب. قوله "**وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا**" هذا الحرم يجب على كل من آمن بإبراهيم أن يجعله آمنا فلخضوع الناس لاتباع إبراهيم صار آمنا. قوله: "**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**" و الحرم مركز الحركة العالمية. "**وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**" إشارة إلى أن تعظيم شعائر الله من أجزاء الإيمان.

ثم بعد ذلك أربع آيات لنهي أهل الكتاب عن منعهم عن الحج، فإن ذلك مركز إبراهيمي، و هل يقدر أحد من بني إسرائيل أن ينكر شعائر إبراهيم؟ هذا إلى –الآية– 101. قوله تعالى: "**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (98) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (99) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (101)**"

بعد ذلك بيان[394] ما يجب على المتعلمين في هذا المركز في قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102)**" التقوى إقامة العدل، والإسلام هو إطاعة جميع أوامر الله تعالى، هاتان الأمران يكونان من شعائر المسجد الحرام: 1- لا يظلم أحد أحدا، 2- و لا ينكر شئ مما أنزله على عباده.

قوله تعالى: "**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ**

---

[393] كتاب المقدس، يشوع، 24: 25-27

[394] برنامج المتعلمين في هذا المركز له أربع دفعات، هذه الأمور المقيمة للحركة العالمية.

اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103)" هذا أمر ثالث: الاعتصام بحبل الله اجتماعا يعنى القرآن و لا تفرقوا، هذا يكون على قسمين: القسم الأول فرقة تعتصم بالقرآن و فرقة تترك الاعتصام به مثل أهل السنة و الخوارج في جانب و طوائف الشيعة في جانب آخر. القسم الثاني كلهم يؤمنون باللسان، و دعواهم الاعتصام بالقرآن لكن تشريحاتهم صارت كأديان مستقلة، هذا أيضا ممنوع مثل الأول. "**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ... تَهْتَدُونَ** " الأمر الرابع في هذا المركز.

قوله تعالى: "**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (105) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (106)**" تنبيه أن لا يختلطوا مثل أهل الكتاب في الاعتصام بحبل الله. "**وَلَا تَكُونُوا.... تَكْفُرُونَ**" و الكفر بعد الإيمان هو التفرق بعد الاجتماع.

قوله تعالى: "**وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (107) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (108)**" جعل هذا البيت مركزا لإقامة العدل في العالمين. قوله تعالى: "**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (109)**".

قوله تعالى: "**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (111) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (112)**" مقيم الحركة العالمية، يقيمون العدل، وتهتدمون الظلم. "**وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**" معنى تعتصمون بحبل الله. ثم ذكر حال أهل الكتاب بمقابلة المؤمنين، و كل ذلك تنبيها للمؤمنين أن لا يكونوا مثلهم. فلذلك كل ما أتى الله بنوع من التعليم تأتي في جنبه بما له أهل الكتاب.

"**وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ...وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**" هذه الآيات شرحناها في سورة البقرة. معنى هذا أن اليهود بقليل من العصيان و العدوان بالتدريج وصلوا إلى درجة ألزموا بالمسكنة و الذلة، و لم يبقى لهم

حكم، و بقوا تحت قوم آخرين. فإذا تقاصر المسلمون في الاعتصام بالكتاب فبالتدريج يصلون إلى تلك الدرجة.

ثم صرح الله، لا يظن الناس أن أهل الكتاب كل هم صاروا أشرارا في قوله تعالى: "**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115)**" هكذا كل قوم وصل إليهم كتاب الله، و عملوا به، لا أن يكفروه، فإذا كما سلمنا وجود أهل الضلال في الأمم[395] الأخرى، ثم رأينا نعمة الله علينا فوضت إلينا مركزية الحكومة العالمية، فيجب علينا أن نسابقهم، و إلا فلا يبقي التوازن.

و الذين كفروا من أهل الكتاب ليس لهم شيئ، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (116) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (117)**" تم الفصل الرابع: بيان ما يجب على المسلمين القيام به من الامور المقيمة للحركة العالمية.

الفصل الخامس (118–125)

في بيان التنصيص على منع الاشتراك مع أهل الكتاب في أعمالهم الباطلة. نهى الله تعالى عن الاشتراك معهم، لأنه يقوم الحرب بين المؤمنين و بين أهل الكتاب، فلذلك الانقطاع عنهم لازم.

قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (118) هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (119) إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا**

[395] في المخطوط: العموم، لعل من خطاء الناسخ.

يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (**120**)" في الباطل يكون لكم الاشتراك و المراد بأهل الكتاب يهود المدينة. " **هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ**..." هذا إيمانهم بالكتاب إلى يومنا هذا، قائم مثل إيماننا بكتب الحديث. ليس هذا الإيمان مثل إيماننا بالقرآن. فهذا الإيمان لا يقوم من المؤمنين إلا رجل يعرف علم الحديث حق معرفته مثل الإمام ولي الله. "**وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ... مُحِيطٌ**" تم الفصل الخامس في بيان التنصيص على مفارقة أهل الكتاب، لأنهم يشتركون في حرب المشركين على خلاف المؤمنين.

الفصل السادس. 121–179

تعيين الارتقاء و دفع النقائص من الاجتماع بالتبصر على ما جرى في غزوة أحد من الأغلاط. و لا حاجة إلى التشريح بل تكفي للمطالعة باعتبار الأصول التي هي مذكورة، و سيجئ التشريح فيما بعد على الفصل السابع بما لا مزيد عليه، ثم التقصيل بعد ختم السورة.

الفصل السابع 180–188

في بيان فساد اليهود بإقامة الرأسمالية و زوال الحكومة عنهم.

في الفصل الخامس كان التنصيص على قطع التعلقات بأهل الكتاب. المراد من أهل الكتاب هم اليهود، و إن كان البحث في هذه السورة من النصارى، لأن الإمامة الدينية لم تكن سلبت عن اليهود في الملة المسيحية في الأصل. فالعادات التي كانت مرتسخة في اليهود يجب الاجتناب عنها، ولذلك ينهى عن المواصلة لأهل الكتاب، هذا متعلق بالخامس. و الفصل السابع بين فيه أساس فساد اليهود، فالحكومة سلبت من اليهود، والنصارى يحكمون في العالم بإسم التوراة بعد قبول إصلاح المسيح ابن مريم، لكن اليهود لا يسلم حكم النصارى، و يسعون في تحصيل الحكومة، و هم مع فشلهم في التقدم متجمدون على إنكارهم. هذا مرض ينبه عليه في الفصل السابع.

الحكماء في الإسلام بحثوا عن الحكمة الإلهية إلى ما أقصى ما يمكن، و اشتعلوا بالرياضيات أيضا دون الإلهيات والطبيعات دون الرياضيات و اشتعلوا في الطبعيات يعنى الطب أكبر و الكيميا أقل منها أما الحكمة العملية فهي آخر المباحث عندهم، واشتعلوا بالأخلاق في ضمن الإلهيات، و في التصوف لهم تصانيف عالية أما الأخلاق من حيث الاجتماع فليس لهم فيها حظ قليل و أقل قليل.

والأصول التي نقحت[396] للاجتماعية في ارتقاء أوربا بعد الإسلام لم يتوجه إلا رجل أو رجلان، فمن تلك الأصول الإمبراطورية. و ينبه ذلك على مفاسدها و احتياج الناس إليها في تحصيل الفوائد الإمام ولي الله في **حجة الله** و منها الرأسمالية (سرمايه داري) هي مقدمة الأمبراطورية، كذلك نبه على ذلك مثل الأول الإمام ولي الله في زماننا، الإنسانية استقرت في دماغها تمركز الأصلين هذين، و الانقلابات كلها ترجع إليها. نحن نرى أن تلك الأصول أيضا تكون مضمرة في تعاليم القرآن لأنها أساس الاجتماعية الإنسانية. و قد ذكر الإمام ولي الله أن الإسلام في اجتماعية العالمية إنما ينظر إلى هدم ذانك الأصلين. فهذا هو مقصد الفصل السابع هو التنبه على الرأسمالية التي بقيت عند اليهود بعد زوال الأمبراطورية من أيديهم.

في الفصل الذي أخرنا بيانه كان ذكر هزيمة المسلمين في أحد تنبهات على أغلاطهم لئلا يقعوا فيها مرة ثانية. إنما يغلبون على النصارى الحكام من أهل الكتاب بعد إصلاحهم لتلك النقائص التي وقعوا فيها في أحد. ففي حالة عدم الفوز بالفتح إنما يميل إلى الرإسمالية و كل عيوبها.

تنبيه: نحن نأسف على عدم توجه المفسرين إلى بيان تلك المفسدة في أخلاق الإنسانية. جعلوا بعض المباحث القرآنية، و هو أهم المباحث و يتكرر في القرآن مرارا على أساليب مختفلة، مرادنا بذلك ذكر الله، و البحث عنه في القرآن كثير، و الرجل الاجتماعي لا يلتفت إليه حق الالتفات. إنهم لا يلتفتون إلى مباحث ذكر الله بل يظنون أنه دعوة إلى البرهانية و إن كان القرآن يصرح ببعض البرهانية، كل ذلك من سوء الفهم، إنما نشأ لعدم تحقق الغائلة العظيمة في الأخلاق، و هي الرأسمالية، و ليس لها علاج إلا التوغل في ذكر الله. فلو تنبه المفسرون على تلك الحكمة لما أهملوا هذه المباحث المهمة من مباحث القرآن الكريم.

قوله تعالى: "**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** (**180**)" تهديد شديد ينبغي أن يتوجهوا إلى كل حرف من تلك الآية. "**آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**" يعني الأشياء الضرورية، فعرف الحاجات فكان المقصد و كان الغرض أن تقتسم ما زاد عن حاجاتنا في من

[396] خلص جيده من رديئه، هذبه و أصلحه. لينظر: **المعجم الوسيط**، مادة: ن ق ح، ص944.

نحبهم من أهل الحاجة من ذوي القربى، فلذلك يصلح أخلاقنا و نصلح أخلاقهم، فتجتمع إنسانية في ضررها، تعتمد على الله لكن الذين بخلوا بما فضل من حاجاتهم، و قطعوا حبال المودة عمن أوجب الله وصل ذلك الحبل، هؤلاء البخلاء أساس مرضهم نسميه بالرأسمالية، و هم يحسبون أن ذلك خير لهم. لا تحسبن أحد بالتأكيد الشديد أن هذا الأمر خير لهم بل هو شر لهم.

"**سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**" الأخلاق التي حصلت لهم بسبب هذا البخل هو هذا سيطوقون يكون ما بخلوا به طوقا عليهم، هذا كله تمثل للأخلاق بعد فسادها.

"**وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**" ا لأشياء التي يبخل بها الناس لا تحملها أحد كلها، يتركونه لله، إنما يذهب معهم ما أفسدوه من أخلاقهم. "**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**" و كان بعض اليهود يقولون إذا كانت كتب الآلهة توجب علينا إنفاق ما عندنا فكأن الله فقير، و نحن أغنياء، نعطيه ما يحتاج هو الله. أنظروا إلى فساد عقولهم، تلك العروض التي استغنوا بها، هل هم أوجدوها، و هل الذي أوجدها يكون فقيرا؟ و هل قادر على خلق ما لا تتناهي من أمثالها؟ إنما أوجب عليكم الإنفاق لأنه حكمة الاجتماع للإنسانية، هذه تنيجة مبحث الرأسمالية.

الإنسان يصير مثل المجنون كما ذكره الله في سورة البقرة "**الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ**" هم بفساد عقلهم، لا يقدرون أن يميزوا بين حلال و حرام. في الحكمة الاجتماعية أن الحلال و الحرام لمنافع الناس و مضارهم في الحياة الاجتماعية، و لا يرجع شئ منها إلى الله من تلك المنافع و المضار، والقائل فاقد العقل، يجعل البيع الذي هو تقويم للاجتماع مثل الربا، (الذي) من أعظم المفسدات للاجتماع، فلا يقدر أن يفرق بين الحلال و الحرام. هذا الشر في آثار الرأسمالية. و إليه الإشارة في قوله تعالى –الآيتين- 181-182.

قوله تعالى: "**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (182)**" هذا يكون مثبتا في أخلاقهم، و كل شئ يقع في سلاسل الوجود بتأثر علل و أسباب ثم ينعدم تحت حكمة الأسباب يكون محفوظا في عالم المثال. هذا محافظ على جميع الكائنات، و قد غفل عن ذلك الناقصون من المشتغلين بالحكمة، فلم يقدروا على فهم كثير من الأشياء. و الحكمة

الإلهية التامة لا تكون كاملة إلا بوجود مثل ذلك العالم مستقلا على رأسه، أترون رجلا لا يكون له حافظة حكيما في أفعاله؟ و الحكماء العظام كلهم أثبتوه الأشراقية و المشائية لا اختلاف بينهم في تلك المسألة و لا اختلاف إلا في التعبيرات فقط. فهولاء الجهلة المشبهة بأهل الحكمة لا يحسون ضرورة ذلك العالم، إليه الإشارة في قوله "**سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا**" هو يكون محفوظا في عالم المحافظة. "**وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ**" كأنه إشارة إلى أن هذا الفعل الشنيع قتل الأنبياء أيضا عن آثار الرأسمالية.

مسألة: اليهود يأتون بأعذار لعدم قبولهم هذا الدين، و كذلك لعدم قبولهم النصرانية قبل ذلك و يصورون أعذارهم بصورة شرعية، لكن أصل مرضهم هو حب المال و الرأسمالية، و إليه الإشارة في قوله تعالى: "**الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (183)**" نحن جربنا الرأسمالية في بلادنا في حصة من الهنود يقال لهم (بنيا) و في اليمن يسمونهم (بانية) فهم موجودون في اليمن و غيره، و قسم آخر يقال لهم مارواري، هاتان الطائفتان أكلوا مكاسب الناس المساكين عامة، و لا وداد في قلوبهم، لا لآبائهم و لا لأبنائهم و لا لأمهاتهم و لا لأزواجهم إلا في صورة يحصل لهم ربح مالي. نحن كنا مجربين لذلك، متأذين بذلك، لكن ما عرفناها بالتحقيق في أصول الحكمة منشأها و مرجعها. فقرأنا في دعايات أوربا أولا ثم اشتغلنا بكتب حكمائهم و رأينا كلامهم يشبه كلام الإمام في **حجة الله البالغة**، فتنبهنا على حكمة الإمام، ثم قدرنا على تنظيم الدعوة القرآنية الاجتماعية العالمية.

مسألة واحدة بسيطة ما كنا نتوجه إليها، أفسدت علينا جميع علمنا ما قدرنا على إدراك معاني الحكمة، إنما كنا سطحيين[397] (أي علم بالظواهر)، نقول كلمات مثل كلمات أهل الحكمة فقط. و بعد معرفته تلك الأصول من الاجتماعية تبصرنا في فهم كلمات آئمتنا في الآثار التي من الرأسمالية لأهل الكتاب إلى المسلمين باختلاطهم بحكم الضرورة، لأنهم مشتركون في الدعوة إلى الحنيفية. فالتنبه على تلك الآثار و الأمر بالاجتناب من مضرها هو تتمة ذلك الفضل.

مسألة: يكذبون النبي عليه السلام بأشد أنواع التكذيب، و كل ذلك يرجع إلى رأسماليتهم، إذا يترك النبي صلى الله عليه وسلم هدم الرأسمالية يجتمعون حوله فورا، فالصبر على تكذيبهم لازم ، إليه

---

[397] غير عميق

الإشارة في قوله تعالى: "**فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (184) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185)**"

مسألة: يأتي من اليهود لعامة المسلمين امتحانات من الأموال و الأنفس و يؤذون المسلمين كثيرا، و كل ذلك لأنهم يستمرون على هدم الرأسمالية. فإذا تركوا ذلك ارتفع منهم المصائب، فالقيام بالدعوة القرآنية يحتاج إلى صبر و استقامة، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186)**"

مسألة: فالنبي و المؤمنين مشتركون في التأذي منهم. مطمح[398] نظرهم في الإيذاء أن يمنعوكم عن بيان الكتاب للناس، فإن إشاعة القرآن و مقاصده تضرهم بتلك التدابير، يجعلونكم مضطرين إلى الكتم. هذا نتيجة حبهم لحياة الدنيا، إنهم تركوا ما أمروا به من التبليغ. في تلك الحالة لا نجاة لهم عن العذاب الأليم في الدنيا و الآخرة، هذا الاجتهاد منهم في إيذائكم و في تكذيب النبي صلى الله عليه و سلم يجعلونكم أمثالهم، إلى هذا إشارة في قوله تعالى: "**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (187) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (188)**"

تم الفصل السادس، في آخر الآيات نبه على أن لا يكون مثلهم في الكتم و في حب المدح بما لم يفعلوا. فالرأسمالية إذ اجتمعت مع الإمامة الدينية تكون نتيجتها هكذا، يشتغلون في تكثير الأموال بدون تقيد في الكتاب. "**وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ**" قانون الارتقاء عندهم ليس هو التمسك بالكتاب بل أخذ بما استنبطه الرأسماليون من تكثير الأرباح، و مع ذلك يحافظون على إمامتهم الدينية، لا يعلمون بها شيئا، ويحبون أن يسموا بألقاب دينية: الخليفة، أمير المؤمنين، المجاهد، المحدث، الفقيه، الزاهد،

---

[398] هدفهم

الولي، و أمثال ذلك الألقاب تبقي كما هي، و العمل كلهم على خلاف الكتاب. و الألقاب لإبقاء الارتفاقات لا يكونون في الإيمان و الإسلام مثلهم.

الفصل الثامن: بيان الأمور الموجبة للاجتناب عن الرأسمالية للمسلمين

قوله تعالى: "**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (189)**" فيه إشارة إلى أن اتباع كتاب لا يجعل الإنسان في خسران، بل يكون كفيلا لارتقائه، لأن ملك السموات و الأرض أليس إلا الله، هو قادر على أن يجعل متبع كتابه مفلحا، و بهذا اليقين يتمسك الإنسان بالكتاب.

قوله تعالى: "**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190)**" الطبقة من الناس أولو الألباب، عندهم عقول سليمة يتبعون بما وصل إليهم أفكار. من تقدم عليهم و مستخرجوا أفكار مناسبة على حالات زمانهم، و ينظرون إلى ما يصير إليه مستقبلهم، فهولاء هم أولو الألباب، هم الذين يستفيدون من خلق السموات و الأرض و اختلاف الليل و النهار باستنباط الارتفاقات المناسبة التي شرحناها في سورة البقرة في –الآية– (164).

قوله تعالى: "**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)**" هؤلاء أولو الألباب إنما يستفيدون بالارتفاقات إذا داموا على ذكر الله قياما و قعودا و على جنوبهم. و إلا فيوصلهم هذا الاستنباط إلى الرأسمالية المفسدة للإنسان. قوله "**وَيَتَفَكَّرُونَ**"إذا تفكروا و رأوا أن الحكمة في خلق السموات و الأرض هو انتفاع الإنسانية و ارتقائها، و الرجوع إلى مركز الإنسانية حظيرة القدس و إلى طريقها الجنة، و التباعد عما يوجب الاعراض عن حظيرة القدس. يتفكرون في خلق السموات و الأرض مرة و يتفكرون في الإنسانية مرة أخرى، و يجعلون كلا منهما يتصل بعضها مع بعض.

فإن سرى في الإنسانية فساد فكان في المعنى إبطال حكمة خلق السموات و الأرض. هذه الرأسمالية التي هي نتيجة الارتقاء في الارتفاقات. إذا خلت عن ذكر الله دائما و عن التوجه إلى حظيرة القدس لأفسدت الإنسانية، فكأنها إبطال لحكمة خلق السموات و الأرض. إلى هذه إشارة في قوله تعالى: "**رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (192) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193) رَبَّنَا**

وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194)" سمعنا رجلا ينادي للإيمان فنثبته بصدق قلوبنا، لأنه يدعو إلى ذكر الله و دوامه، ويدعوا إلى التفكر في خلق السموات و الأرض، ويدعوا إلى التفكر في الاجتماعية الإنسانية، و كل ذلك وافق فكرنا الذي شهدت به عقولنا فاتبعناه، و هو أخبرنا عن أشياء لانحيط بها لكن نصدق بها، نسألك أن تنجز لنا وعدك إنك لا تخلف الميعاد.

يأتي بيان تلك الوعود في التي بعدها في قوله تعالى: "**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (195)**" يعني أن هذا نوع من الثواب، و حسن الثواب عنده لا يتناهي، و ذلك الثواب نتيجة الأعمال. هذا الذي كان هو الوعد أنكم تعلمون كذا و كذا، و تكون النتيجة كذا و كذا. فالأعمال التي أوجبوا عليهم هو هذا.

"**فَالَّذِينَ هَاجَرُوا...وَقُتِلُوا**" ونتبجته قوله تعالى: "**لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ...**" هم بعد الإيمان بذلك المنادى قبلوا أحكامه، فيرجون نتيجة، إليه إشارة في مبدأ الآية "**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ**" فالجنة لازمة للجميع، والحكم في الدنيا لمن يبقى سالما في آخر الفتوحات، إليه إشارة في –الآيات- 196-198.

قوله تعالى: "**لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196)**" هؤلاء هم الروم و بالتبع الفرس. قوله تعالى: "**مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197)**" يغلبون عن قريب، هذا الملك يكون لمن آمن. قوله تعالى: "**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (198)**" المجاهدون كلهم جماعة واحدة، وجميع الأفراد يستحقون

الجنة. واستفدنا من الشيخ عبد الرحيم[399] أن قوله "**نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**" أي أن الجنات مقدمة للأنعام من الله. "**وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ**" إشارة إلى ما لا يمكن ذكره اليوم من عظيم النعماء و الآلاء.

فالحاصل أن المسلمين لا يتوجهون إلى الارتفاقات فقط، بل إلى ذكر الله، و إلى إصلاح الاجتماعية الإنسانية أيضا. والنظام الجامع للمقاصد الثلاثة إذا أوجد من نبي يتبعونه، يحصل لهم في الدنيا و في الآخرة الجنة، والتمكن في حظيرة القدس. هذا لا يفوزون به إلا بعد هدم الرأسمالية من وجه الأرض و إلا بعد الجهاد و القتال.

بعد ذلك في –الآية– (199) تنبيه على أن لا يغتر المسلمون بشخصياتهم الاجتماعية، بل يتفقون من يعمل على نظامهم من الأقوام الآخرين، إليه إشارة في قوله تعالى: "**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (199)**".

تنبيه: أهل العلم يتنبهون بفضل على الأقوام الآخرين، يأتي في بالهم أن الأقوام الآخرين إذا صدقونا و دخلوا في جماعتنا، و كنا أفضل منهم، هذا من وجه صحيح لكنهم يغفلون عن الوجه الآخر، و لا يتعذرون به النبي صلى الله عليه و سلم بين كما جاء في الصحاح رجل آمن بنبيه ثم آمن بنبينا يكون له أجران.[400] فهؤلاء من أهل الكتاب أو رجال آخرون أدركوا الإصلاح أولا و اجتهدوا في ذلك، لكنهم

---

[399] الشيخ عبد الرحيم الدهلوي، أحد المشايخ المعروفين في الهند. ولد ونشأ بدهلي، وأخذ العلم عن أساتذة دهلي، وتطبب على بعض الأطباء ومن مصنفاته رسالة في الصرف، ومرآة القرآن رسالة له في القرآءة والتجويد، وروضة النعيم في الموعظة، وله غير ذلك من الرسائل. مات سنة 1305م بدهلي. و لينظر: الحسني، **نزهة الخواطر**، 8: 1275.

[400] و النص في الصحيح مسلم هكذا: "حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا هشيم، عن صالح بن صالح الهمداني، عن الشعبي، قال: رأيت رجلا من أهل خراسان سأل الشعبي، فقال: يا أبا عمرو، إن من قبلنا من أهل خراسان يقولون في الرجل إذا أعتق أمته، ثم تزوجها: فهو كالراكب بدنته، فقال الشعبي: حدثني أبو بردة بن أبي موسى، عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم فآمن به واتبعه وصدقه، فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله تعالى وحق سيده، فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها، فأحسن غذاءها، ثم أدبها فأحسن أدبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران" ولينظر: مسلم بن الحجاج النيشابورى، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم= (صحيح مسلم)**، المحقق: محمد

ما فازوا إلا بعد اجتماعهم معنا. و هم يعملون معنا مثل أعمالنا. فلو سلمنا لهم حق التقدم ساويناهم في المعاملات. واعترفنا فضلهم من بعض الوجوه كما عندنا فضل عليهم من بعض الوجوه، فصلحت اجتماعيتنا بانضمام أكثر أهل الحق في الأرض إلينا، والآن جعلناه ضيقا إلا على رجال دائما يمدحوننا مثل الملوك، و هذا لا يقدر عليه أحد. فالحياة في القصاص المماثلة، إذا رأينا رجلا اجتماعيا مثلنا في قوم آخرين نكرمه و نحترمه مثل جماعتنا، و لا يتنبه على فوائد مثل ذلك إلا رجل مجرب، و فيه إشارة إلى (ضم) جميع جماعة صالحة إلينا، و كذلك من اليهود و الفرس و التوران و الهند و الحبش و الأفرنج، فينتظم دعوة دينية عالمية.

حقيقة رباطات الصوفية: قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (**200**)" أمرالله بالاستقامة و المداومة. "**وَرَابِطُوا**" أمر لجلب الأقوام الآخرين إلى أنفسكم، فإن الرباط إنما يكون على حدود دار الإسلام. عامة أهل العلم لا يعرفون للرباط حكمة إلا الدفاع عن دار الإسلام، و نحن نزيد على ذلك كلمة من صلح على حدود دار الإسلام يضمه إلى نفسه، ذلك كان في الهند بواسطة الصوفية، جعلوا الرباطات، كانوا يخدمون من نزل من غير فرق بين مسلم و غيره، يسهل على الناس التدبير في كمال الاجتماعية الإسلامية. "**وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**" أي إقامة العدل و الإحسان و تعظيم شعائر الله هذا هو مدار الإصلاح و الفلاح، تمت السورة.

فالآن نرجع تشريح الفصل السادس 121–179

بيان أغلاط وقعوا في أحد، و كانت بذلك سببا للفشل. المؤمن إذا آمن بالقرآن و صمم عزمه على اتباعه يكون فكره أن لا يفشل أبدا، فإذا فشل مرة يتحير، و الحق أنه يفشل لعدم رعاية الأحكام و فهم ذلك ليس بسهل، إنما يقدر عليه معلم حكيم عظيم، يبين لهم العلم الجزئ الذي ارتكبوه، ثم يحلل أجزاؤه، وينبههم على الغلط. بعد ذلك يستقيم الفهم أن أوقع الفشل، يغتش أسباب الفشل في أعماله شعر:

غافل مشو كه مركب مردان مرد را

فؤاد عبد الباقي، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم (بيروت، دار إحياء التراث العربي) 1: 134.

در سنگلاخ باديه پي ها بريده اند

نوميد هم مباش كه رندان باده نوش

از يك نگاه كرم به بمنزل رسيده اند[401]

الفصل الأول: من الفصول الثانوية من الفصل السادس إلى 121–129

إذا وقع الفشل، فأول الأمر يرجع الفكر إلى سوء النظام من تنظيم القائد. ففيه نفي لإرجاع منقصة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. قوله تعالى: "**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (**121**)" هذا يقين أن النبي عليه السلام هو القائد للجيش. قوله تعالى: "**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** (**122**)" أول الفساد نشأ من ذلك في الطريق، رجع أهل النفاق، فالعزم حصل فيه شئ من الفتور للجماعة، فالنصرة من الله بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم كما كان في بدر، و إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** (**123**) **إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ** (**124**)" المؤمنين في هذه الآيات وعدوا الأمداد من الملائكة ثلاثة أو خمسة آلاف. في أحد لما صاروا محرومين من مثل هذا الأمداد؟ هذا إنما يكون باستعداد الجيش و اطمئنان قلوبهم على نصر الله، و عدم فتور عزمهم لاتباع أمر الله. فكلما أرادوا أمرا عظيما و صمموا العمل، و قوتهم لاتكفي لذالك، يأتي جبر القوة من تأئيد الملائكة، فإذن كانت الحاجة إلى خمسة أو إلى سبعة كيفما كانت.

حكمة النزول عندنا "**مُنْزَلِينَ**" معناه إتيان المدد من عالم المثال، و عالم المثال فوق عالم العناصر، فكلما جاء من المثال يكون منزلا، و إنما احتجحنا إلى ذلك لأنه هذا المدد إنما يأتي من ملائكة الملأ الأعلى السافل. عندنا إذا قام قوم لاتباع أمر نزل إليهم من الملا الأعلى بواسطة نبي، و صمموا العمل، فملائكة السافلة بالجبلة مضطرون إلى أمدادهم إن احتاجوا إلى ذلك. و أمدادهم يرجع إلى إحداث خواطر الفتح في قلوب المؤمنين، و خواطر الهزيمة في قلوب الكفار، و إلهام لتدبير موافق إذا تفكر الإمام أو أشار في ذلك بإحداث خواطر الحق أو بتزيين الخواطر الحقة التي كانت في قلوبهم، هذا حكم عمومي للملأ السافل.

[401] دهخداء على أكبر، **أمثال و حكم**، باب غ (إيران، تهران، أمير كبير، 1383هـ) 1123

و قد يتمثلون بصورة الإنسان أيضا، يعملون بعض أعمال القتل و الضرب. فتأييد الملائكة إنما يكون بعد تثبت القوم على الأمر و العمل، فكانوا في بدر كذلك، و في أحد كانوا على خلاف ذلك. أفكار الفشل قد سرت بين جماعة المجاهدين، فلا يستجلبون أمداد الملائكة، فهذا لا يرجع إلى سوء تنظيم من القائد بل المنقول أن النبي صلى الله عليه وسلم عمل في ذلك اليوم عملا، و سن بذلك سنة مستقلة للإنسانية. و تفصيل ذلك: استثار الناس، هل يخرجون إلى خارج المدينة أو يقاتلون داخل الجدور؟ فاختلف الناس في ذلك، الشبان عامتهم و طائفة من الشيوخ الذين تخلفوا عن بدر لعدم علمهم رجحوا الخروج، و أكثر الشيوخ كانوا يميلون إلى الدفاع داخل المدينة، والقائد لا يظهر رأيه لتأييد من يظهر العزم إلى أعلى درجة، ليظهر من الجانب الآخر أيضا أفكارهم على الحرية. فالنبي صلى الله عليه وسلم أظهر ميله إلى رأي الشيوخ، لأنهم كانوا على ضعف فلا يستحقرونهم الناس، ثم بعد البحث تقرر رأي الأكثرية على الخروج، فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم. هذا هي سنة الاستثارة أقيمت ذلك اليوم. إنما غلب الشبان بالأكثرية، و النبي يتبعهم و ترك رأيه الأول. فما رأينا الآن قانونا للشورى أحسن من ذلك، لكن المسلمون أعرضوا عن الشورى و قوانينه معروف، و ما اعتنوا بحفظ تلك السنة مثل اعتنائهم بحفظ أحجار الاستنجاء و هذا بين لدى كل من قرأ كتب الفقه و كتب الأحاديث، فخسروا بذلك بنيان جهلهم من الحكومة، واستبدوا الأمر، فبطلت الاجتماعية من المسلمين عامة ثم خلافا بهذه السنة من الشورى رجع أهل النفاق من الطريق، و سري الجرائم الفشل في طوائف من الجيش فهل يمكن في مثل تلك الحالة نزول مدد من الملائكة و إليه الإشارة في –الآية– (126).

قوله تعالى: "**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (127)**" هذا المدد إنما يأتي للتبشير و اطمئنان القلوب على القرار. فإن لم يبق القرار في قلوبكم فما أتاكم فهو منكم. "**وَمَا النَّصْرُ...خَائِبِينَ**" هذا البشرى و هذا الاطمئنان إنما يكون لقطع أعداء، و كبت الأعداء و أنتم لا تريدون بعزم قطع الأعداء. ثم تبين أن الأمر لله، و كان فيه حكمة، و الذي نفهم نحن من تلك الحكمة هو أن

من لم يجرب الفشل والهزيمة لا يستقيم رأيه في القيادة أبدا. و قد اشتهر في العرب مثلا "لاحكيم إلا ذو تجربة"[402]، جربوا الفشل و الهزيمة و هذا كان مرادا.

والنبي صلى الله عليه و سلم جرح، فأراه أن يدعو عليهم، فمنع عن ذلك، إليه الإشارة في قوله تعالى: **"لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (128)"** هل يمكن تجربة الفشل و الهزيمة بدون إصابة ما للقائد؟ كلا- فكان ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم مرادا ليجربوا الأمور وليستقيموا حتى لقد فشا فيهم غلطا أن النبي قتل، و ما فشلوا، بعد ذلك أيضا هؤلاء هم المستقيمون حقيقة. والضعفاء الذين تزلزلوا، ظلمهم ظاهر لكن يستحقون التعذيب، يستحقون أن يتوب الله عليهم. و هذا الأمر إلى الله و ليس للنبي، فالنبي قاتلهم فكان فيه له حق، هم هاجموا على المدينة فقاتلهم إما أن يدعو عليهم فماله فيه من حق. بذلك صاروا تحت أمر الله، و النبي أيضا يمكن أن يخطي في بعض الأمور فلا ينسب ذلك الخطأ إلى الله، و لا يجعل ذلك من قانون الإسلام.

"وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (129)" فصار تصوير الحكم و الحكومة لله وحده، أن الأمر أمر الحكومة راجع إلى الله فقط، ليس لك من الأمر شئ. تم الفصل الأول.

الفصل الثاني من الفصول الثانوية للفصل السادس من 130-138

و لا يكون في قلوبكم غضب و انتقام للذين غلبوا عليكم في بعض الشؤن و آذوكم، تلك المسألة أخلاقية. إذا حصل للإنسان انكسار بمقابلة أحد، فإن كان ذلك الانكسار راجعا إلى قصور في نفسه فحكمة الأخلاق توجب أن يسعى الإنسان لجبر ذلك فقط، ثم بعد ذلك ينظر في خصمه إما إذا

---

[402] أصلا هذا قول النبي صلى الله عليه و سلم، كما أخرجه ابن حبان في صحيحه، عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة" و قال شعيب الأرنوط: إسناده ضعيف لضعف دراج في روايته عن أبي الهيثم: قال ابن الجوزي: تفرد به دراج، وقد قال أحمد: أحاديثه مناكير، ومع ذلك فقد حسنه الترمذي، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. و لينظر: البستي، ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، باب فرض الإيمان، ذكر خبر يدل على صحة ما تأولنا لهذه الأخبار (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: الثانية 1993) 1: 421.

حدث له غضب على الخصم و توجه للانتقام يفضل عن جبر قصوره و تصفية أخلاقه و لا يحصل نجاة من تلك الخصومة إلى آخر الدهر.

مسألة: جاء في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم قام على قتل أحد و قال نحن نقتل في المعركة الآتية عوض رجل رجلين منهم فجاء الأمر في –الآية– (130) قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (**130**)" منعوا عن ذلك، في ضمن مسألة أخلاقية الربا أضعافا مضاعفة يفسد الأخلاق الإنسانية، هذا العزم مثله، و هذه الفائدة استفدنا من شيخنا شيخ الهند، قال: تفكرنا، لما جاءت مسألة الربا في خلال واقعة أحد؟ فتنبهنا على ذلك، ثم قال: أن التفكر في ربط الآيات أمر عظيم يحتاج إلى تدبر. ورأينا أكثر أهل التفاسير يأتون في ربط الآيات بأقوال و أفكار ضعيفة، فالأحسن أن لا يتكلم في ارتباط الآيات و أن يكتفوا ببيان معاني الآيات على حدتها فالآن توجه أنظار المسلمين إلى جبر نقصانهم في قوله تعالى: "**وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** (**131**)" الكافرون ليس لهم برنامج مقرر لمستقبل حياتهم، فلا يقومون العمل بعزم مصمم، و نتيجة ذلك أنهم يدخلون النار. و على المؤمنين أن يجتنبوا عن حالة تكون للكافرين.

و بعد ذلك إرشاد لهم في قوله تعالى: "**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** (**132**)" بهذا الأمر امتياز الكفار عن المؤمنين.

تنبيه: عامة الأفكار رأينا في معنى إطاعة الله و رسوله هو أداء ما أمروا به، ونحن نستنكر هذا الفكر. الأداء بعد فهم الحكمة، أن الأمر ليس إلا لنفع لنا، ولا يرجع فائدته لا إلى الله و لا إلى رسوله، و هذا يكون لسبب الرحمة و الفلاح لعلكم ترحمون. نحن جربنا هذا في استاذ ماهر في الصناعة، يأمر المتعلمين بأمر، فالحذاق منهم يفهمون أولا حكمة الأمر ثم يعتمدون عليها، و يأتمرون أن الأمر في تعليم الشرع إلى غير الحكماء، و نحن نقلدهم و نرجو الخير، وكان ينبغي أن ننتظر الساعة.

قوله تعالى: "**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** (**133**)" أنتم تعملون أعمالا، نغفر ذنوبكم في مقابلة تلك الاعمال. فالإشارة إلى تلك الأعمال مذكور في قوله تعالى: (134-135).

قوله تعالى: "**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135)**" قطعة من الآيات نؤخر بيانها. أولا الأعمال التي أمروا بها لتحصل المعفرة "**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ...الْمُحْسِنِينَ**". "**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا... يَعْلَمُونَ**" فليحفظ القاري أن النبي إنما بعث لتكميل قريش، ليكونوا آئمة للناس، فإفناء هؤلاء الأقوام ليس بمقصود. و لو تكامل المسلمون في هذه الأخلاق التي أمروا بها في الآيتين كان أحسن لهم من الانتقام، إذا كانوا انفقوا لضعفاء قريش في السراء و الضراء و كظموا غيظهم و عضوا عنهم، أفلا يكون العمل إلى الإصلاح أقرب؟ "**وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**" ثم بعض الأعمال يكون نقصانها مقتصرا على الفاعل، لا يتعدى أثرها إلى غيرها، تلك الأخلاق أيضا ينبغي على الإنسان أن يصلحها، إليه الإشارة في "**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ**" فالأخلاق الفاسدة إذا سعى الإنسان في إصلاحها يحتاج إلى قوة من الروحانية، هذا لا يكون إلا من الله فقط، إليه الإشارة في "**وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ**" قد حكم أهل العلم أن الإنسان إذا رجع عن الإصرار تبين حينئذ أنه كان يصر لجهله، فمتى ترك جهله الإصرار هو مستحق للمغفرة "**أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (136)**" علمنا أن تلك الاعمال كانت مستوجبة للمغفرة، كلها كانت متعلقة لقوله "**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ**"

الآن نبحث فيما تركنا من الآيات البقية (133) "**وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ**" أنا تنبهت من ذلك الآية على مسألة البعد الرابع كما ذكرنا من قبل.

في تفسير سورة هود مفصل على مسألة البعد الرابع فراجع عدم دخول أهل النار في جهنم أو أهل الصلاح في الجنة.

فالإنسان إنما يكون في جهنم أو في الجنة بقدر ما استفادوا من أوضاع نعمة السموات و الأرض فقط. والتي نفهم من سورة هود ثم يخرج من جهنم إلى النجاة، و من الجنة يتصل بحظيرة القدس، فينتظم سير روح الإنسان فيما بعد الموت. نحن تعجبنا من رجال أهل العلم لا يقدرون على تنظيم الآيات و الأحاديث، و يظنون ذلك أنها من المتشابهات عندهم. هذا مذهب أكثر المتكلمين من المائة الخامسة، ثم

ينصبون المحاربة على أهل المذاهب في العالم، و يسعون في الانتصار عليهم لكل غث وسمين، يجعلون هذا هو الإسلام الذي يدعون إليه الناس، فلا يجوز أن رجلا له عقل يلتفت إلى كلامهم فلا حق لهم في أن يكونوا وكيل الإسلام لا يصلحون لذلك من ذلك الزمان إلا الصوفية و الفلاسفة من المسلمين، و المتكلمون أفسدوا الأمر أكثر مما أصلحوا.

"**أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ** ... **الْعَامِلِين**" فإذا توجهوا إلى تكميل أخلاق المؤمنين و كونهم مصدرا لأنهار العلوم و المصارف في أقوام العاملين، يكون كل هذه هو المقصد. أما هؤلاء المكذوبون فلا حاجة لنا بصرف توجه أنظارنا إليهم، و إليه الإشارة في قوله تعالى: "**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137)**" فهل كان كل المكذبين قتلوا؟ لأن المسلمين قاتلوهم في قوله تعالى: "**هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (138)**" فتعليم الأمر المقصود في ضمن التنبيه على التقصير هو المقصود في هذا الفصل، و هذا من أكمل أنواع التعليم تأثيرا. تم الفصل الثاني.

الفصل الثالث: لا يفهم من الفصل الثاني أن الأمر بقتال الكفار صار كالمعطل، بل المقصود أنه ينبغي أولا أن تكملوا نقصانكم، و بعد ذلك تواصلون إلى أخر الأمر في الجهاد، هذا هو ذريعة الارتقاء.

قوله تعالى: "**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (139)**" الوهن في القيام بنصرة الحق حرام، و الحزن على ما أصابكم أيضا ممنوع، لأنكم جبرتم ما كان لكم من النقصان. هذا النقصان قد صار سبب فرح و سرور، لأننا نبهنا به على أغلاطنا، و هذا لا يعرف قدره إلا المحقق المرتقى، فما عرض أمر يبعث حزنا. "**وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ**" إشارة إلى ما تقدم في الفصل الثاني قوله تعالى: "**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ**".

فالآن يبحث عن رفع أسباب الحزن من القلوب، ليتم النشاط في المستقبل، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140)**" الاجتماعية الإنسانية تقتضي بطبيعتها أن فريقا منهم يغلب آخر دائما في كل شئ، هذا لا يمكن ممن حصل له فتح، فقد تحدث عليه الانكسار أيضا. الفارس قد يقع في ميادين الحرب لا الطفل الذي يزحف ركبتيه.

گرتے ہیں شاہ سوار ہی میدان جنگ میں

وہ طفل کیا گرے جو گھٹنوں کے بل چلے

"**وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُو**" وقت الفتح كل يؤمن، إما من يعترف بالميادين و يذعن لها إنما يتميز وقت الانكسار، هؤلاء هم المؤمنون. نحن نرى المسلمين في الهند بعد ذهاب الملك من أيديهم، هم مثبتون بحكمة الإسلام، و يجزمون بعلوه، بهذا يظهر إيمانهم، و يرجي لهم الخير ان شاء الله.

لما نزلنا الحرم جاء الأستاد حميد الدين الفراهي[403] هو رجل علمي لا يشتغل بالسياسيات، و نحن نشارك في بعض الفنون العلمية، و لنا وداد معنى و صداقة، و هو أنكر علينا في انكسار المسلمين في مسألة الخلافة، و ما عمل عمال الجمعية من أعمال غير مرضية، و أنكر علينا اشتغالنا بالسياسيات، لأنها لا تغير شيئا، فقلت له زعماء جمعية الخلافة كثير منهم أفسدوا الأمر كما تقولون، ألا تنظرون إلى عامة المسلمين في الهند كيف أنفقوا حب أموالهم بإسم نصرة الدين، و كيف قاموا بالهجرة إلى الأفغان، وتحملوا المصائب، أ ما كان كل هذا أثر على العامة؟ قال: نعم، و ذكر لنا بالمناسبة حكايات كثيرة. إن كثيرا من المكتسبين الأموال بضاعتهم اليدوية، أنفقوا جميع ما كان عندهم، فقلت لهم: فهل يحبط الله أعمال هؤلاء المؤمنين بجهل بعض الزعماء؟ كلا– لا يمكن أبدا، فاعترف، و نحن بحمد الله عارفون بحسن مستقبلنا، و كل ذلك لارتكاز الإيمان و عقبية الجهاد في أقوام المسلمين في الهند. يسعى أتباع الإمام ولي الله فقط، و ذلك ليس لقوم آخرين أما ما توارثوا من العلوم و الأعمال الإسلامية فالهند و غير الهند فيها سواء، و لا نجد قوما من العجم أنهم ترجموا القرآن، و علموا قومهم، وترجموا الأحاديث و الأخلاق و كتب الحكمة إلى لسان أهل الهند. ثم أسسوا الحركة الجهادية و داموا عليها، و الآن نعرف في بلادنا رجالا لا يعرفون إلا لسان الهند، و هم يعرفون الحكمة في **أحياء العلوم** للغزالي أحسن ممن يقرأوا الأحياء بالعربية. هل علمتم

---

[403] هو عبد الحميد بن عبد الكريم الأنصاري الفراهي. ولد في قرية فريهة في أعظم كره سنة 1280 هـ، أسس مدرسة الإصلاح التى تعني بتدريس اللغة العربية .وقد أدى دورًا أساسيًا في إنتاج أعمال علمية حول النظرية القائلة بأن آيات القرآن متصلة ببعضها البعض بحيث تشكل كل سورة أو فصل من القرآن هيكلًا متماسكًا، و من مصنفاته: **الإمعان في أقسام القرآن، نظام الفرقان و تأويل القرآن بالقرآن، الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح**، و توفي سنه 1349 هـ. و لينظر: الحسني، **نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواظر**، 8: 1267.

أنتم أن مؤسس طائفة الشيوخ بابا نانك[404] ترجم كتاب **كمياء السعادة** للأمام الغزالي بلغتهم الهندية غير الأردية، إنما حذف منها أسماء المسلمين، و أبهمها بكلمة بعض الصالحين. و جاء الكتاب أساس مذهبهم. هل تجدون في الدنيا قوما من أهل الإسلام تعلمون على حكمة الغزالي في تنظيم الاجتماع؟ هذا الفن كأنه سبق أهل الهند جميع أقوام العجم. حال الهند بعد سقوط الخلافة.

قوله "**وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**" فإذا أردتم أن تكونوا منصورين على أعداءكم فاثبتوا عند الله أنكم مظلومون، و هذا الإثبات إنما يكون بالشهداء و بعد ذلك الظالمون يغلبون.

قوله تعالى: "**وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ** (**141**)" يعنى تصفية النسمة، و قد ذكر من ببعض العارفين من أهل الهند أن مقامات الإنسان كانت تحصل للصحابة بضربة السيف منهم أخذنا هذا المعنى. "**وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**" يعني لعدم رحمتهم على المساكين بل محاربتهم بالقوة و يتباعدون عن الرحمة.

قوله تعالى: "**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ** (**142**)" يعني الجنة تحصل مثلا بالإيمان، ولكن الجنة فيها درجات، كل المؤمنين هل يتساوون في الدرجات أم يحصل لهم شئ بدون استحقاق؟ هذا غير جائز في الحكمة. يأتي في الدين على المؤمنين واقعات تبين بذلك الصابرون، ويستحقون درجة خاصة في الجنات، وتبين بتلك الواقعات المجاهدون، وينالون بها درجات خاصة في الجنات.

مسألة الإيمان بالله يقتضي اقتضاء الأولية أن يبيع الإنسان نفسه، و كل ما يملك بيد الله، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ**"[405] فكان المؤمنون يظهرون. (هم قالوا) نحن بعنا أنفسنا لله، فأي عمل من الله يؤدي إلى الموت يقينا جاءنا نحن لنعمل به بدون عذر. هذا معنى تمنى الموت و هذا الذي امتحن الله به اليهود في سورة الجمعة. تخبط أهل التفسير في تفسيرها،

---

[404] هو مؤسس ديانة سيخ، ولد سنة 1469 م، و سافر في البلدان لتحصيل المعرفة، وتوفي سنة 1539 م. لينظر: **الموسوعة العالمية (عالمي انسائيكلوبيديا)** (لاهور، فيصل ناشران) 2: 2055.

[405] البقرة:111

عرفنا أنهم لا يعرفون معنى الإيمان أيضا و يفسرون القرآن، و آتوا تحت الآيات بخرافات تضحك بها الناس. في هذه الآية إشارة إلى مقام امتحان المؤمنين بذلك.

قوله تعالى: "**وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (143)**" قال بعض من تخلف عن بدر لو حصل لنا يوم مثل يوم بدر ليرى الله ما نعمل، إشارة إليه "**وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ**". و قد جاء أن هذا القائل الصادق استشهد في أحد.

قوله تعالى: "**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144)**" موت الإنسان نفسه قد يسهل، و موت حبيبه، إمامه، وخليله يصعب عليه. أكثر الفقراء في تلك الواقعة (أي) امتحان المؤمنين بمسألة الموت تماما، قد شاع بين الناس أن النبي قتل فتثبت بعد ذلك أيضا قوم على نظام و على برنامج، هؤلاء هم المؤمنون حقا. فتلك الدرجة في الجنة لا تحصل إلا بعد امتحان لمن فاز في الابتلاء و الاختبار.

قوله تعالى: "**وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (145)**" الموت لايأتي إلا في وقت الامتحان بالإرادة و الإيمان فقط. فالنبي لم يقتل في تلك الواقعة –نحمد الله– لكن الامتحان قد حصل لأكثر الناس.

قوله تعالى: "**وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146)**" حكاية عمن تقدم من الأنبياء، و قاتلوا و لم يحدث فيهم ضعف و لا وهن بسبب المصائب التي أصابتهم. كذلك أنتم توصلون الجهاد إلى آخر الدهور، إليه الإشارة في هذه الآية.

قوله تعالى: "**وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (147)**" إشارة إلى أنهم مع صرف تمام قوتهم في الجهاد ما كان توجههم إلا إلى إصلاح نقصاناتهم، و الغلبة على الأعداء. ما كانوا يرجونها إلا بفضل من الله.

قوله تعالى: "**فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (148)**" يعني بالثبات والاستدامة على الجهاد يحصل خير الدارين. تم الفصل الثالث.

الفصل الرابع من 149–158

حكمة الاستدامة على الجهاد و دفع الاعتراضات و الخطرات المانعة للجهاد و الاستدامة عليه. والذي يريد الاستدامة يغفر زلته، فأصل الأمر هو إدامة العزم. قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (149)**" قوله "**إِنْ تُطِيعُوا**" و قد فسرنا معنى الإطاعة هو الصلح مع أهل الكفر، و عدم القيام برد مسلكهم الباقي، هو الذي فسرناه في أول سورة من القرآن، و هو المراد ههنا أيضا يعنى أن تركتم مزاحمة الكفار. "**يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**" يعنى إلى الجاهلية و عدم اتباع نظام مخصوص، تعرفون حقيقته، هذا خسران للإنسانية. فإذا كان رجل يعرف الحق، فالواجب عليه أن ينصره هذا هو الذي يوجب الاستدامة.

قوله تعالى: "**بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (150)**" يبشر الله الذين يريدون الاستدامة بأن الله ينصرهم. في (151) نوع من نصرة الله قال: "**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (151)**" هذا هو الذي ذكرناه من عمل الملائكة السافلة. "**بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا**" الشرك في قضاء الحوائج أكثره يرجع إلى أوهام و تقليد. فمعنى الأمن إلى أوهام و تقليد، ففي الأمن لا يتوجه الإنسان إلى تحقيق الأمر بل يتبع رسوم آبائه و قومه، أما إذا وقع الموت على رؤسهم يتفحصون في بواطن قلوبهم؛ هل نجد ملجأ أو ملاذا من الشركاء؟ و يحكم قلوبهم بالنفي. ليس سوى الله ملاذا، ويأتي في قلوبهم الرعب من جهة الملائكة، هذا التاثير أكبر من كل آلة حربية.

في الحرب العمومي رائينا عجائب الألمان (جرمني) غلبوا بنظامهم العسكري و بقوة أسلحتهم على أعدائهم، و لكن لما جاء دعاية الاشتراكيين في قلوب العساكر و ضعف يقينهم على حقيقتهم فشلوا بعد ما قاربوا على الفتح و الغلبة. وتنبه الاشتراكيون و العمال على أن تضعيف عزم الجيش أقوى من جميع الأسلحة، فنظموا الدعايات على حسب ذهنية أوربا، لكل قوم قوم، وحفظوا بذلك ممالكهم عن تغلب الأعداء و الأغنياء. فنحن عن هذه التجربة أيقنا بالتعليم القرآني، وصل لنا اليقين لنجاح الانقلاب

الإسلامي مع ضعف المؤمنين و قوة الأمبراطورين، ونرجو الخير لأهل الإسلام أن حصل لهم اليقين بالتدبر في القرآن مع رعاية أيام الله.

مسألة: مثل المشركين و الكفار إذا حصل فتور في العزم من أهل الإيمان هم أيضا يغلبون. فلإراءة هذا بالتحقيق كانت واقعة أحد، وفشل المؤمنين أعظم نعمة عليهم، بعد ذلك حصل لهم اليقين بتلك المسألة، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152)**" "**وَلَقَدْ...بِإِذْنِهِ**" إشارة إلى الفتح الأول الذي حصل للمسلمين بعزمهم على اتباع أمر الله. "**حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ**" الجيش في ميدان الحرب يجعل نفسه شخصية واحدة، هذه مسألة محققة في حكمة الحرب، فإذا وقع في تلك الشخصية وهن في العزم؛ طائفة تهوي شيئا و أخرى آخر بطل عزم شخصية الجيش، فإنكسار يأتي إليهم كما يأتي على المشركين.

"**ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ** " حصل لهم هزيمة و رأيتم سببها. "**وَلَقَدْ عَفَا...الْمُؤْمِنِينَ**" لأن المؤمنين أخذوها مثل المتعلمين، ما أرادوا الإصرار على خطيئتهم بل مثل ما يقع الخطاء من طالب الحق، غير مجرب في أول الأمر، لذلك عفا الله عنهم. وقليل منهم كانوا مخطئين حقيقة أيضا الذي أشاره إليهم "**مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا**" لكن لعدم الإصرار على ذلك جعلوا مقصورين.

قوله تعالى: "**إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (153)**" هذه الآيات فيها تنبيه أن الله عاملهم معاملة طبيب رفيق معلم، إليه الإشارة "**ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (154)**"

"**ثُمَّ أَنْزَلَ** ...**أَنْفُسُهُمْ**" هؤلاء هم الذين أخطاؤا حقيقة. "**قَدْ أَهَمَّتْهُمْ**" معناه لايريدون أن يقتل منهم أحد. "**يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ**" المؤمن بتعليم القرآن يعتقدون بأن كل ما يجري في هذا المقام هو مقتضى حكمة الله مقررة في الأزل، ونحن نعمل أيضا تبعا لتلك الحكمة، فذهب عن قلوبهم معارضة الشرع و القدر، بل صاروا يعتقدون أن التكليف ينشق من التقدير. فهذا هو الذي أخذناه من حكمة الإمام ولي الله في **حجة الله البالغة** بالتحقيق بحمد الله.[406]

فإذا وقعت واقعة علمنا وعلم كل المؤمن أن هذا مقتضى حكمة الله ما كان يمكن ردها، فإذا قال قائل بعد ذلك نحن لو فعلنا كذا ما وقعت تلك الواقعة، أليس هو من الجهل بحكمة الله مثل الجاهلية الأولى؟ الآن تنظرون إلى رجل مؤمن كان يجب عليه أن لا يفر من صف القتال و إن قتل، فإذا حصل لأحد غلط في أداء هذا الواجب، لأن حفظ نفسه أهم عنده من القتل، في ذلك الموقع هذا خطاء منه. ثم يأتي بفلسفة مموهة باطلة يستر عن الناس غلطه. فهذا ليس بشيء، و نبه المسلمين على تلبيسات النفس في مثل تلك المواقع بأمثال الحيل الفلسفية، إلى هذا المعنى إشارة "**يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ**" ثم فصله بقوله "**هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ**" لإخفاء غلطهم. "**قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ**" هذا العالم كله أتقنه و أبرمه الله، فتلك الكلمة صحيحة لا ريب فيها لكن مرادهم من الاحتيال غير ذلك ذكر الله، "**يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ**" هذا خطأ بحكم حكمة الحرب. إذا ضعف المسلمون بمقابلة الكفار فالفرار حرام، والقتل ههنا فرض، فلا يجوز الفرار بعد أن الحصول في ذلك الصف كان مخلطا لخطأ من الأمور أو بوجه آخر. هذا التعليل كله باطل، لو أخبرنا مثل هذا الاحتيال لأحد لما قام حرب في الدنيا، ولما كان حضور هذا القتال بعد المشورة، فلا يجوز لأحد أن يعترض على ذلك الفرار، و جعل الغلط في الفرار عذرا للفرار. بين الله غلطهم بقوله "**قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ**" إذا رأيتم أن هذا الرجل قتل في ميدان القتال، هل يمكن تخلفها عن أسبابها؟ هذا محال في الحكمة.

الحكاية: في بيان جواب شيخنا مسألة التقدير لمستخرجي الكلية. قال شيخنا: كان يقرأ علينا رجل من المستخرجين في الكلية الإنجليزية القرآن في نظارة المعارف بدهلي، فلقيه يوما رفيقه في الكلية، هو كان عاملا في أعمال الحكومة. فلما سأله عن حالاته و تبين أنه يقرأ القرآن، تعجب رفيقه، فقال هل يمكن لرجل تخرج من الكلية أن يقرا القرآن. و هل في المسلمين معلم يقدر على تعليم المتنورين؟ فقال له

---

[406] لينظر: ولي الله، **حجة الله البالغة**، باب انشقاق التكليف من التقدير، 1: 56-60.

هذا الرجل تعال معي، وترى أستاذنا، فلما اجتمعنا أول مرة سألني عن مسألة القدر، قلت: أنت تتأمل في كلامي بالدقة. دع الآن الإيمان بالله و بالقدر و الشرع بل تشركوه، و استحضر ما قرأته في الكليات عند حكماء أوربا. ألست أنت تقول بسلسلة الأسباب و تسلسل العلل و المعلولات؟ قال: نعم، أنا قائل به، فأشرنا إلى شئ وقع في ذلك المجلس. قلت له باستحضارك لسلسلة العلل أخبرني هل يمكن أن لا يوجد ذلك القلم في ذلك الموقع؟ قال: لا، لا يمكن هذا أبدا، أ قلت له الآن ذلك القلم في ذلك الموقع و لا يمكن تخلفه أبدا، ذلك هو القدر فاستيقن، فكان يزورنا بعد ذلك إذا حدثت له فرصة.بذلك تبين قوله "**قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ**".

"**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ**" هل أنتم توجهون على أنفسكم أم لا. "**وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ**" ينذركم على أغلاطكم لتقدروا على تصفية. "**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**" فحاصل المسألة إزالة شبهة لمبتدئين في الحكمة الشرعية تمنعه عن الاستمرار في الجهاد، أذيلت هذه الشبهة بأكمل درجة.

مسألة: بعض من فر يوم الأحد كان أعماله الصالحة في الماضي أكبر من أن يصدر عنه مثل ذلك الغلط، لكنه جالس و صاحب رجالا منغمسين في الشبهات من أهل النفاق، فتأثر قليلا، وبالنظر إلى سوابقه يستحق أن يغفر مثل عثمان بن عفان،[407] فإنه من المهاجرين إلى الحبشة و له سوابق، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا**

[407] حدثنا عبدان، أخبرنا أبو حمزة، عن عثمان بن موهب، قال: جاء رجل حج البيت، فرأى قوما جلوسا، فقال: من هؤلاء القعود؟ قالوا: هؤلاء قريش. قال: من الشيخ؟ قالوا ابن عمر، فأتاه فقال: إني سائلك عن شيء أتحدثني؟ قال: أنشدك بحرمة هذا البيت، أتعلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد؟ قال: نعم، قال: فتعلمه تغيب عن بدر، فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: فكبر، قال ابن عمر: تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه، وأما تغيبه عن بدر، فإنه كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت مريضة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه» وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فإنه لو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه، فبعث عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى: «هذه يد عثمان – فضرب بها على يده، فقال – هذه لعثمان» اذهب بهذا الآن معك". و لينظر: محمد بن اسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب قول الله: إن الذين تولوا....، 5: 98.

كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (155)" حاصل المسألة أن لايكون هذا الغلط مانعا لهم عن الاستمرار، وهذا مقرر في حكمة الأخلاق (اقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم)

مسألة: التثبت بأسباب تباعد الإنسان عن الموت، يجعله مانعا عن استمرار الجهاد. هذا الفكر (يجب أن) يخرج الإنسان من قلبه، يتيقن بأن الموت لا يأتي إلا في وقته. أما السعي للفرار من الموت هذا يهلككم، و يؤخر الموت إن حضر في القتال ثم فر هلك، و إن قعد في البيت و لم يحضر تأخر. فالأعمال إذا كانت ذات وجوه كل أحد ينظر إل غالب مصالح حياته، فكل عمل يوافقه في الأكثر يقبله، وإذا خالفه يرده، و إن كان مشتملا على ألف مصلحة أخرى، فغالب مصلحة المؤمنين في ذلك الوقت كان هو غلبة المسلمين على الكفار، فكل أمر يؤخره عن مقاصد حياته لا يلتفت إليه و إن كان لأناس آخرين مشتملا على مصالح إليه الإشارة في قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (156)**"

قوله تعالى: "وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (157)" فالموت مقصود لكم. "**وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (158)**" يعنى أن الموت لا ينقص منكم شيئا. حاصل المسألة المنع من المانع في الاستمرار. تم الفصل بحمد الله.

الفصل الخامس من 159– 164

بعد ما استقام العزم على الجهاد يعرف الإنسان فضل رسول الله و يقدر قدره و يعرف أن هذا الأمر لا يمكن المشي عليه بدون صحبة عليه السلام، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)**" يشير أن بعد هذه الهزيمة اعتمادهم على استمرار الجهاد ما كان ممكنا إلا بتدبير النبي صلى الله عليه وسلم و تعليمه، فكانت من رحمة الله ظهرت في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، (ف) عاملهم باللين. "**وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا**" رعاية الأحوال إنما يقدر عليها الموفقون فقط، فمن غلط قليلا كان يمكن أن ينقض الجماعة، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بما يقتضيه جبلته من قوله "**فَاعْفُ عَنْهُمْ**".

"**وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**" وشاورهم أمر إيجابي، والذين يجعلونه أمر ندب أو أمرا تاليفيا فقط، ما وصلوا إلى كنه الأمر، لأنهم لايعرفون الاجتماعيات، و لايعرفون ما يتوجه نفوس الكاملين. فإذا أحسن أحد كامل في فنه إن المستشير إنما يستشير لمصارفه أبدا، لايشترك في المشورة. ومبدأ الغلط أن الناس ليسوا اجتماعيين، و هم يتصورون أن النبي صلى الله عليه وسلم أيضا لم يكن اجتماعيا، و هم لا يرون أمر هذه النبوة كله مبنية على الحكمة تقتضيها الإنسانية من بدء خلقها، بل يرون أمرا وقع بالصدفة فقط، فيخفون ذلك المعنى، يعني كونها بالصدفة بكلمات مموهة عظيمة باطلة، إن الله بقدرته فعل هذا يعني الله كان تابعا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، مثل عاشق يراعي هوى معشوقه، هذا هو مقتضى كلامهم و نتيجة حكمتهم و الذي نعلمه، أنهم أبعد الناس من فهم النبوة هذه. فالمقصد من الأمر بالمشاورة على ما أدركنا ذلك في حكمة الإمام ولي الله.

مصلحة المشورة:

إنما تكون مصلحتها هي تربية رجال يتمكنون من إقامة الأمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم على ما يريده النبي صلى الله عليه وسلم كأنه موجود فيهم. هذه التربية هل يمكن بدون اشتراك عام؟ بل الذي أدركناه من تربية شيخنا إياي أنه يعرف الأمر، ويتظاهر عندي أنه لا يعرفه حتى أتمكن أنا بالخوض في ذلك، و إقامة رأي معتمد على ما عندي من العلم و القوة؛ فإذا قررت هو كان يصدق ذلك فقط، فهل هذا يمكن أن يجعل بالمصادفة على طريق التاليف؟ و قد تحقق عندنا أن هؤلاء رجال ليس عندهم من الحكمة الشريعة شئ من الفهم، و ما اجتئرنا على إظهار هذا بتلك الإلفاظ لو لم يكن كتاب الأحكام لابي بكر الرازي. فعلمنا أن الفقهاء المحققين من مذهبنا كانوا يعرفون المسألة كما نعرفها اليوم نحن.

"**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**" يعنى إذا علمت عملا صحيحا على حسب قانون الاجتماعية، فمسؤلية النبيجة ليست عليك. فإذا كانت حكمة الله لا تريد ما قصدتم فليس الإثم عليكم، إذا اتبعتم الحق الذي يجب عليكم رعايته، و يوضح ذلك المقصد في قوله تعالى: "**إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (160)**"

مسألة: لا يجوز لأحد من المؤمنين أن يظن بالنبي ما كان أنزله من درجة النبي. قال (صلى الله عليه وسلم): إنما بعثت معلما[408] فإن قال أحد أنه فعل ذلك ليعلمنا فذلك من الحق و الحكمة، و أما من قال أنه يصادفنا لتحصل مطلوبه مثل ما يعمله الملوك، هو باطل لا يجوز نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم عند رجل يفهم درجة هكذا.

مسألة تقسيم الأموال: فإن قال أحد أن النبي خص هذا الرجل بعطية، لأنه ينفع المؤمنين و يريد أن يعلمه الدين أكثر مما أخذ هو، ذلك أمر جائز. و أما من قال: (أنه) أعطى رجلا من أقاربه عطية ليأتي بها إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم، يعني أن النبي احتال في تحصيل مال، هذا لا يجوز نسبته إليه عند من يعرف درجة النبي صلى الله عليه وسلم، فتنبهنا إلى هذا في قوله تعالى: "**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (161) أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (162)**" فالنبي صلى الله عليه وسلم كما يعطي العلم يعطي المال.

قوله تعالى: "**هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (163)**" يعني درجات المؤمنين إنما يتعين حسب مقدار معرفتهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، و معرفة النبي تماما هو هذا كما ذكره في قوله تعالى: "**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (164)**" يعني إحسان من الله، بعث إليهم أستاذا برا رحيما، يعلم كل شئ يحتاج إليه الإنسان. تم الفصل.

الفصل السادس من 165–168

الاغلاط التي تقع من المؤمنين إما لسوء الفهم أو لقصور في علمهم أو لنقصان في رفقائهم، فكل هذه جائزة ممكنة إلا أنه ينبغي إصلاحها، لكن نسبة شئ من ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز. قوله تعالى: "**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ**

---

[408] رواه ابن ماجة، و قال شعيب الأرنورط: " إسناده ضعيف جدا، داود بن الزبرقان: متروك، وبكر بن خنيس ضعيف، وكذا عبد الرحمن بن زياد: وهو ابن أنعم الإفريقي." ولينظر: ابن ماجة، **سنن لابن ماجه**، باب في فضائل أصحاب رسول الله (دار الرسالة العالمية) 1: 155.

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (165)" أخذوا أسرى وقتلوا من الأعداء رجالا (في بدر) ثم المشركون أصابوا في أحد، فبالنظر إلى المجموع كان المسلمون هم الفائزين، لأن المشركين عامة رأوا على أخذ أسير من المسلمين، كان أمر المسلمين راجعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فهو هذا أن المسلمين باعتبار المجموع كانوا فائزين، لأن قيمة تدبير الأمير إنما يكون بالكليات لا بالجزئيات. فوقوع نقصان جزئي لا يؤثر في كمال تدابير الإمام لكنكم تجعلون مسؤلية أيضا راجعة إليه، إليه الإشارة "**قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا**" من أين هذا، يعني أنه من النبي صلى الله عليه وسلم و من تدبيره، مثل تلك الحكمة الأمور لا تنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، إليه الإشارة "**قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**".

الآن تفسير جمله "هو من عند أنفسكم" في الآيتين بعدها في قوله تعالى: "**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (167) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (168)**" حاصل هذه المسألة أن النقصان الجزئي يرجع إلى أسباب مخصوصة، و الإمام أو الأمير لا يتولى إلا الأمور الكلية، فتعرفون بذلك الفرق بين ما يجوز نسبته إلى الإمام و ما لا يجوز هذه النسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. النقصان الجزئي إنما صدر من أهل النفاق و الذين لم يتحققوا الأمور من المؤمنين اتبعوهم. فأزيلت تلك الشبهة عن قلوب المؤمنين بأنهم إذا "**قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا**" خالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم، فالنقصان الذي حدث، سببه (كانت) تلك المخالفة، فلا يجوز لأحد أن يطيع المنافقين. و قد حصل من ذلك النقصان فوائد؛ المؤمنين من التجربة و الامتياز في درجات، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (166)**" تم الفصل.

الفصل السابع: من 169–179

المسلمون ما وقع عليهم نقصان، ما مات جماعة فهم الشهداء، فازوا درجات في الآخرة، ليسوا ميتين بل هم أحيا، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ**

أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171)" حصل للجماعة قرح، هذا كان فيه نفع للمسلمين، قاموا على تلك الحالة لتعقيب الكفار. تلك منزلة لا يصل إليها من الناس أحد بعد الهزيمة هم جمعوا، فهذا أول دليل على صحة نظامهم، ثم قاموا بعد ذلك الاجتماع، و عليهم جراحات و مصائب لتعقيب الضالين، و هل كان بعد ذلك فتح لقريش و إلى تلك النعمة أشار في قوله تعالى: **"الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (172) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175)"**

والواقع مشهورة إنما حصل نقصان قليل. جماعة من المنافقين انفصلوا و رجعوا، فهذا أيضا كان نفع للمؤمنين، إليه الإشارة في قوله تعالى: **"وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (176) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (177) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (178) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (179)"** بيان حال المنافقين، هو ضار لأهل النفاق و نافع لأهل الإيمان بعد ما بين الله المنافع التي حصلت للمسلمين في أحد، و تبين بذلك صحة تعليمهم و حكمة تربيتهم، فنتجت. فانتج ذلك أنهم يتبعون النبي وإن لم يعلموا إلى أين تصير العاقبة، لأن النبي لا يعمل لنفسه، ويأمره الله و هو أمين لوحي الله وحكمته، وحكمة الله تقتضي أحيانا أن لا يطلعكم على المستقبل، فكان لازما أن يتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم. وإن لم تعلموا عاقبة الأمور، إليه الإشارة **"وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ"** يعني كلكم. إن في ذلك يحصل مضرة لكم، بالإفشاء يعرف العدو أيضا حكمة العمل، فيسعى لرد تلك الحكمة فيكون ضررا لهم. أما النبي صلى الله عليه وسلم و خواص أصحابه فاطلاعهم على ذلك المستقبل الآخر لا يضر، فيطلعه الله **"وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ"** فالنبي صلى الله عليه وسلم و إن كان واحدا لكن خواص أصحابه الشركاء في حكمة نبوته في حكم الرسل. فالعامل على القرآن جماعة النبي و خواص أصحابه من السابقين المهاجرين

و الانصار "**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**" النبي و جماعة المركزية القائمة مقامه بعده "**وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ**" تحصل لكم خلافة في الدنيا و الجنة في الآخرة، و التمكن في حظيرة القدس. تم الفصل، و تمت السورة بحمد لله.

سورة النساء

سورة البقرة و آل عمران الزهراوين كالخلاصة للتوراة و الأناجيل. وهذه السورة شريعة و قانون[409]. إنما [410] تقوم إلا على اجتماعية طبيعية، و الاجتماعية أساسها النساء و الرجال و الأطعمة و الأموال. فسورة النساء و سورة المائدة تبحثان عن الاجتماعية لرد الأموال إلى أهلها و إخراج ما أدخل فيها من مفاسد اليهود و النصارى و الصائبة الذين يعبر عنهم عامة بالمشركين. فحاصل موضوع السورة البحث عن الاجتماعية الراجعة إلى إيجاد الربط بين الرجال و النساء أولا، و إلى الأموال ثانيا. و المسائل الشرعية السورية ما تكون إلا بقدر مرأة للاجتماعية، والاجتماعية هي لا تقوم و لا تتكون بدونها.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)**" و في الصحيفة الأولى من التوراة، البحث فيها من[411] آدم و زوجه. و هذه الآية خلاصتها، هذا تأسيس لوحدة النوع، والذي يراجع الكلمة الإلهية هو أن النفس الواحدة تكون صورة إمام النوع، ثم النوع ينفصل إلى أصناف: الذكران و النساء. فإمام الذكران يكون شخصا، و أول النساء تكون إمرأة، فالرجل[412] و الشخص الأول أولا يتمثل فيه صورة إمام النوع، يخرج منه صورة النساء و يبقي صورة الرجل كأنها صورة متنازلة لإمام النوع. فالنفس الواحدة في وحدتها لها تعلق بإمام النوع في المعدن الأعلى، و إذا خلق منه زوجه فيكون في تلك الحالة له تعلق في الموطن الثاني.

المقصد: إن إمام النوع كان مشتملا على قوتين: 1- القوة الفعلية، 2- القوة الانفعالية. ثم في الموطن الثاني انقسمت القوى، وصورة النوع قائمة على حالها. في أحدهما الفعلية أغلب، و في الأخرى[413] الانفعالية أغلب. و في هذا التقسيم كان المركز القوة الفعالية، هو مركز للصنفين. صنف القوة

---

[409] في ن ح بزيادة "للاجتماعية الإنسانية"

[410] في ن ح بزيادة "و هي الشريعة إنما" قبل "إنما"

[411] أظن "عن أدم" أحسن

[412] في ن ح "و تتمثل في هذا الرجل الأول الذكر، هو إمام الذكران، صورة إمام النوع" مكتوب في الهامش.

[413] في ن ح "الثانية" دون "الأخرى"

الانفعالية كان أدون[414] منه. فالمركزية كانت محفوظة لصنف الفعلية، هذا إمام الفعالية. الأول إمام النوع، ظهرا في قالب آدم في موطنين: فأول ما خلق آدم في الجنة، كان فيه ظهور إمام النوع، ثم ظهر فيه إمام الفعالية، فكان انفصل عنه مركز الانفعالية.، وإلا انفصال مركزية الفعالية كان من إمام النوع لا من إمام الفعالية لكن الصورة الواحدة كانت تمثل المنزلتين: 1- إمام النوع، 2- إمام الفعالية. فاشتبه الأمر، (ويقال)[415] كأن النساء خلقت من الرجال، و في الحقيقة هن شقائق الرجال، لكن الصورة صورة آدم لكونها لها تعلق بالمنزلتين، صارت مصدرا للنساء.

"**وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً**" الأقوام العظام كلها تحكي حكاية واحدة بجعل آدم أباهم، فاشتبه على الناس؛ هل كان آدم واحدا أو متعددا؟ ونظرياتنا في ذلك ليست على ما يعرفه عامة الناس. آدم و زوجته يتمكن في قطعة من الأرض، و يتولد منها أولاد، فإذا صار الأولاد صاحبة أولاد تنتقل إلى قطعة أخرى من الأرض، و تتمكن فيها و تؤسس البيوت لأولادها، ثم هكذا الانتشار و الانتقال إلى أراضي مختلفة من الإنسانية متباعدة، لأن طبيعتها جامعة لأصناف مختلفة من الإنسانية، يتولد أولاد لصنف مخصوص في قطعة و لصنف آخر في قطعة أخرى. هكذا يصلح ربط كل قوم بأبوين من النوع. و على هذا تنطبق و تتفق الروايات. ثم يكون من بين أولاد أولاد أفضل من آخرين، هم (كانوا) يحفظون الروايات أكثر من غيرهم، وهذا موجود بعد آدم في أولاد نوح، و بعده في أولاد إبراهيم، وبالاستقراء يعرف شرف هؤلاء الأقوام في الاجتماعيات على الآخرين، و إن كان الآخرون أيضا حاملين بفضائل لا توجد في غيرهم.

الرجوع إلى الله بالرجوع إلى الأبوين

فالرجوع إلى الله إنما يتيسر للإنسان بفطرته بالرجوع إلى الأبوين. نسبته إلى الأبوين يحفظها الإنسان، ثم يضرب تلك النسبة حسب استعداد دماغه، في عشرة، في مائة، في ألف، في مليون أو في ما لا نهاية له. ويتصور ربه، وإليه الإشارة في قوله "**رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ**" يعنى من نفسين: إحداهما خلقت من الأخرى أو نقول إحداهما متأخرة في الخلق من الأخرى. و المقصود من تينك العبارتين واحد، ثم يدخل

---

[414] في ن ح "أحط" مكتوب في الهامش.

[415] في ن ح "ويقال" مكتوب في الهامش.

فيه الأوهام و التعقلات حسب استعداد الأقوام، وتحدث خرافات و أساطير، لكن ذلك القدر هو حق و حقيقة، أن الإنسان مخلوق من زوجين، و هما ليسا أفراد أنواع مختلفة بل أفراد نوع واحد، يظهر ذلك بوجود الخنثى المشكل يتبدل جذبات ضعيفة[416]، و لا يعرف هو اختلافا في شخصيته، وهذا الأمر دائما مجرب في الإنسانية. بعض الخنثى يكون في الأول أنثى، ثم يضعف فيها قوة الأنوثة فيصير رجلا أو على العكس. و الآت التناسل تتبدل إحدهما بالأخرى أيضا. هذا دليل على أن الذكر و الأنثى من نوع واحد. فإذا تصنف هذا النوع إلى صنفين فإمام الفعالية في المركز يكون في التقدم. و قد خرف[417] من زعم أن الذكر و الأنثى سواء (خبط الفلاسفة المشائية).

في مسألة امتياز الأنواع و الأشخاص: الفعالية و الانفعالية لا تتساويان لكن قيمتها باعتبار مصدرهما واحدة. إحدهما لا تنفك عن الأخرى، و لاتصلح أن تستبد بنفسها. في هذا المعنى متساويان، والناس بفطرتهم متحدون على هذا المعنى. الأمن خرف فطرتهم بأفكار باطلة. السماء و الأرض يجد الإنسان فيهما قوة فعالية وانفعالية، يسميها[418] الإنسان بالذكر و الأنثى. و أين الذكورية و الأنوثية في السماء و الأرض و الروح و المادة؟ الفطرة الإنسانية قضت بأن الذكر اسم الفعالية والأنثى إسم الانفعالية، فلا يصلح النظام لا في الإنسانية و لا في غيرها إلا برعاية القوتين. كل في موقعها[419]

ثم الإنسان يجد بفطرته التعلق بأبويه، ويعرف أن تلك السلسلة تترقى إلى طول بعيد، لكن لا يحتاج إلى تصور ذلك الطول البعيد. فإن فطرة آبائنا مثل فطرتنا. نحن بفطرتنا إذا كانت سليمة نجد احتياجنا إلى ما في السموات و الأرض، ثم عقولنا تهدينا إلى خلق السموات و الأرض؛ من خالق واحد لا شريك له، فليست المسألة مشكلة غامضة مثل ما يظهرها المتوسوسون في المدارس، أو ضعفاء الإدراك في الاجتماعيات، بل لايحتاج إلا إلى ثلاث مقدمات واضحة بينة. المقدمة الأولى: نحن خلقنا من الأبوين. و الثانية: نحتاج نحن و أباؤنا سواء إلى ما في السموات و الأرض. والثالثة: و ما في السموات و الأرض إذا تفكرنا كله يرجع إلى خالق واحد. فوجودنا معلق بالسموات و الأرض، و هو[420] ليست تابعة لنا،

---

[416] في ن ح "جذبات صنفية"

[417] من خرف الشيخ، فسد عقله من الكبر. لينظر: **المعجم الوسيط**، 228.

[418] في ن ح "فيسميها".

[419] في ن ح "أي كل واحدة منهما" مكتوب في الهامش لشرح الجملة.

[420] في ن ح "هي ليست" لعل هذا يكون من خطاء الناسخ.

وليست باختيارنا. و قد أدركنا أنه رب واحد يدبرهما في تفاصيل جزئياتهما النازلة، لا تأخذه سنة و لا نوم. فإن وجدنا طريقا إلى الاتصال بالرب خلصنا من كل التشويشات. فالدعوة إلى تلك المعرفة هي مقصد تلك الآية.

"**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**" خطاب للاجتماعية الإنسانية عامة. "**اتَّقُوا رَبَّكُمُ**" اتصال العبد بالله يكون بانحاء، ويعبر عنها بتعبيرات، لكن التعبير الجامع للإنسان المتمدن هو التقوى، و تحت التقوى بتحليلها يخرج ثلاثة تعلقات: 1- رب الناس، 2- ملك الناس، 3- إله الناس. أول ما يدركه الإنسان من أبويه هو الربوبية، ثم إذا بلغ و نظم بيته جزأ من دار أبيه يدرك الملوكية. أبوه مثل ملك يحكم في الدار، في كل أمورها، و في كل شئ يقع بين أهل الدار من نزاع، يحكم فيه الأب، ويصلح، وهذه هي الملوكية. ثم بعد تكامل الإنسان هو يحب رجلا: أباه المربي الملك، و لايجد له بديلا، أو يحب أمه المرضعة المتحننة، أو يحب زوجه أو ولده، هذا الحب يدل إلى الألوهية. فهذه الأوصاف الثلاثة يدركها الإنسان بفطرته في اجتماعيته. فإذا اتصل العبد بالله فلا يجد لفظا يعبر به عن هذا التعلق إلا مثل ألفاظ التي اعتاد عليها في اجتماعياته، أنه ربه، أنه ملكه، و أنه الإله. فباقتضاء هذه الأوصاف الثلاثة ما يجب عليه من حقوق ربه، أو نقول بلسان الحكيم من حقوق نفسه باعتبار تعلقه بربه. فالكلمة الجامعة لجميع الحقوق هي المعبرة بالتقوى.

التوضيح:[421] كل أمر ثمين محبوب، أول شئ يزيد الإنسان بتعليق آماله به، هو حفظه عن الضياع، فإذا كان فيه كاملا كأنه يستفيد منه بجميع أنواع الاستفادة، يصير مطمئنا به. فإذا غفل في الحفظ أو تغافل فيه يجد نفسه غير مطمئن بالاستفادة منه. فالحفظ عن الضياع هو مركز جميع الاستفادات، و ذلك الروح محفوظ في كلمة التقوى. حفظ تعلق العبد بربه هو التقوى، لا نجد كلمة تنبه فطرتنا على الحقيقة أعلى من ذلك، هذا معنى "**اتَّقُوا رَبَّكُمُ**". ومعرفة الرب تحصل في الدرجة الثالثة أو الثانية من الأبوين.

فالأذكياء إذا فهموا تعلق الوالدين ينتقلون إلى الله: أنهما بسبب رؤيته أن الوالدين لا يقدران على إيفاء جميع حاجاته مع حبهما ذلك. فيجد من قلبه أن ربه هو الذي خلقه، إذا رأى أن بعض حاجاته تقضي بغير توسط الوالدين و بغير سعي منه، فتلك الآيات تهديه إلى ربه. ثم يزيد تعبدا بتعلق

[421] في ن ح "توضيح ذلك" دون "التوضيح"

الأبوين. ثم ينتقل إلى ما في السموات و الأرض. فمعرفة الرب في الحقيقة ناشئة من نفس الإنسان الذكي، والتفاصيل تحصل بعد ذلك من معاملات الأبوين. فالمدار في الارتقاء في الاجتماعيات حفظ تعلقه بربه، وحفظ تعلقه بأولاد أبيه، و أولاد جده إلى آخر ما يمكن الاتصال بهم. فتلك الجماعة بفطرتها الطبيعية تصير مثل شيئ واحد. والارتقاء في الاجتماعيات لا يمكن إلا بهذا، كل جماعة توحدت صارت أرقى من جماعة لم تتوحدت. فحفظ لربه هو في الحقيقة حفظ نفسه، هذا هو الذي يجب أولا، إليه الإشارة "**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ**" تم كلمة ثانية "**وَالْأَرْحَامَ**" اتقوا الأرحام. قال الشيخ عبد الرحيم: الناس يزعمون أن بر الوالدين صعب، و في الحقيقة خلافه، و ليس في الدنيا شيئ أسهل منه، فإن الوالدين يرضيان من أولادهما على شيئ قليل. فنزيد على ذلك؛ أن الرجل الاجتماعي الذي يجمع حوله جماعة فأسهل شيئ أن يجمع حوله ذوي أرحامه.

"**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**" تلك الفطرة قائمة فيكم دائما بوقاية[422] خالق السموات و الأرض فلا يقدر أحد أن يغير الإنسانية عن منهجها الطبعي. هذا هو عنوان هذه السورة. البحث عن الاجتماعية باعتبار الدعامتين. 1- تعلق نفس الإنسانية بربه. 2- تعلقه بذوي أرحامه. وإقامة الفطرة التي لاتتبدل على أصلها و رد ما أحدثه المستخرجون في الفطرة.

و النبي صلى الله عليه وسلم وصف الحنيفية بالسمحة[423] السمحة، بهذا المعنى ليس فيها دعوة إلى خلاف الفطرة كل واحد و كل قوم يرجع إلى آبائه و إلى ربه، ثم المخرجون في الفطرة يمنعون الناس عن ذلك، هؤلاء أن ظهروا بصورة التدين فهم الدجالون، أن ظهروا بصورة الحكومة فهم الفراعنة.

فالباب الاول: من تلك[424] السورة هو الاجتماع الطبيعي بين الرجال و النساء في البيوت بالنكاح و تربية الأولاد و جمع ما يحتاجون إليه من الرزق بالأموال على الصورة الاصلاحية بالرد إلى الفطرة السليمة، لا بشيئ لايدركه الناس بالفطرة. و هذا ممتد من 2-36.

---

[422] في ن ح "بمراقبة" مكتوب في الهامش.

[423] و هو قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة" و لينظر: **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر، 1: 16.

[424] المراد به سورة النساء، لعل الصواب هذه السورة.

قوله تعالى: "**وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا** (2) **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا** (3)" إلى العاشرة أحكام اليتامى. قيمة تربية الأبوين إنما تظهر عند فقداهما، فإذا أردتم أن تعرفوا الأبوين فانظروا إلى أولاد مات أبواها، يظهر عليكم بركات تربية الوالدين. فأول الأمر يبتلى به اليتيم: إن كل من يحفظ مال اليتيم يريد أن يأكله، إما كله أو بتبديله بأنقص منه. وأكل جميع أموال اليتامى بالحيلة أن يضم مال اليتيم إلى ماله، ثم يدعي أن ماله ضاع كله، فلا يرجع اللوم عليه[425] و يأكل مال اليتيم كله بالسهولة. في الآية الثانية نهى عن هذا. هذا أول بركة الأبوين: حفظ الأموال لحاجات الأولاد. ثم الثاني من الذي يبتلي به اليتيم؛ هو رعايته تتعلق بالعدل في النكاح في يتامى النساء، و هم لم يراعوه، فمنعوا عن ذلك. في الثالثة يعنى إن لم تقدروا على العدل في اليتامى فلا تنكحوهن، و هذا معروف من نفسية الإنسان أنه إذا رغب في نكاح إمرأة لايقدر أن يتركها إلا إذا كان يحصل له أحسن و أجمل منها، فلذلك ما قيل لهم لا تنكحوا اليتامى بل أمروا به بما هو هذا بقوله "**فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**" يعنى لا حاجة لكم إلى نكاح اليتامى إن كانت سعة في نكاح النساء.

جواب: اعتراض الأورباويون على مسألة الزواج أكثر من واحدة. قوله: "**مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**" بعد ما تغلب الأورباويون على ذهنية المسلمين حصل لتلك اهتمام فوق ما تستحقه. الغربيون نظموا برنامجا للتغلب على المسلمين و الاستيلاء على بلادهم، فما قدروا على معارضة دينهم، و ما قدروا على الغلبة على ممالكهم بالقهر، فرجعوا إلى إبطال اجتماعياتهم من أساسها، فوجدوا تلك المسألة أقرب شئ لتحصيل مقصدهم، فبحثوا عنها و بثوها. و في قريب من مائتي سنة فازوا بالمقصد.

و تفصيل ذلك أن الرجال في قوتهم الفعالية على ثلاثة مدارج بالطبع: الأعلى ، المتوسط. الأدنى. فالأدنى: هو رياسة لا تتجاوز عن تأثيرها في محل واحد: يتخذ زوجة واحدة و يرتضى بها، لا يبغي عنها حولا. والمتوسط: أن حصلت له إمرأة يتمنى أن يضم إليها أخرى و لا يصبر طول حياته على إمرأة واحدة. والأعلى: يجمع في حالة بين نساء كثيرة، تلك الحالة الفطرية في فعالية الرجال، لاتتبدل في زمان. ثم النكاح يحتاج إلى أموال و معاشرة في عائلة. فبعض الناس يسهل عليهم أمر المال و المعاشرة، فينكحون حسب

---

[425] في ن ح "إليه"

تمناهم. المتوسط و الأعلى بما يريد.[426] وبعض الناس لا يسهل عليهم المال و المعاشرة فمع حبهم لكثرة النساء يتقيدون بإمرأة واحدة.

ثم من هؤلاء قسمان: 1- قسم فساق علنا أو خفية، فهم يقتصرون على أزواجهم بل يتخذون أخدانا يعاملوهن معاملات الأزواج، ثم يتركوهن. هذا معروف في الاجتماعيات، لا يخلوا عنه قوم و لا اجتماعية. فدعوى أن الرجل يمكن أن يقتصر على إمرأة واحدة عند الغربيين، إنما هو على الرجل ضعيف الباه من الطبقة الدنيا، أو رجل متقي لا يريد الفسق، ولا يؤيده المال والمعيشة، هذا أيضا يكون مخلصا لإمرأة واحدة، و هم في الاجتماعية قليل، فالأكثرية لا تقتصر على إمرأة واحدة. إنما هذا إدعاء يتظاهر به المرؤون عامة. لا حقيقة لهم، هذا فكر في المسألة من وجه ثم لها وجهة أخرى: قوم عائلة ثم عائلة، فيهم نوع من الافتخار، لايريدون تزويج بناتهم بغير[427] قومهم، أو عائلتهم. فهذا أيضا لا يخلوا عنه البشرية في قطعة من الأرض. إنما يزوجون بناتهم من الأكفاء، ثم تفصيل الأكفاء يكون مختلفا. والفطرة العامة قاضية باعتبار العائلة و القوم. بعد تحقق هذا الرسم بمرور زمان يبتلي ذلك القوم بكثرة النساء و قلة الرجال، فيحتاجون إلى جمع النساء كثيرة لرجل واحد.

ثم لو فرضنا أن هؤلاء القوم يتفاخرون على الأقوام، و يريدون سيادة الأقوام، يحتاجون إلى محاربات، يقتل منها[428] رجالهم، فتكثر النساء، ويحتاجون إلى تكثير الأولاد ليتم لهم السيادة، فيصير كثرة الأزواج كالسنة الازمة في هؤلاء القوم إلا لرجال ضعفاء البنية. هذا مقتضى حالاتهم في الخصوصية، ليس قانونا عاما للإنسانية.

فبنظر إلى الوجهة الأولى رأينا فيها كثرة الفسق في الرجال و النساء بسبب تقيدهم بإمرأة واحدة. فلو جوزنا لهم كثرة النكاح على حسب الاستعداد ليوجب عليهم ترك الفسق ليصير كثرة الزواج أمرا جائزا. و إذا نظرنا إلى مصلحة قوم مخصوص ليصير كثرة الازدواج مثل الأمر الضروري في بعض الأحيان. ثم نظرة أخرى في تلك المسألة ما يحصل من الفساد في العائلات و من التحاسد و التباغض في الأولاد. فإن قدرنا

---

[426] في ن ح "كما يريدون"

[427] في ن ح "في غير"

[428] في ن ح "فيها رجالهم و تكثر النساء" و فيهم مكتوب في الهامش، والعبارة "تكثر فيهم النساء"

على إصلاح ذلك و تقليل المفاسد لا ينكر على كثرة الأزواج، و إن كثرت المفاسد يجب ترك الكثرة في تلك الحالة.

إذا كان في القوم قوة الارتقاء أغلب فيكون كثرة الأموال و اعتزال بعض الأزواج عن بعض، و اشتغال أولاد إمرأة بأموال تكفي لحياتهم، واشتغال أولاد إمرأة أخرى بأعمال غير ذلك لا حاجة لهم في التعارض مع الإخوة. فإذا كانوا على هذه الحالة فإصلاح المفاسد يمكن برعاية القوانين العامة. إذا أفسد الربط بين الزوجين يقدر كل واحد منهما على الافتراق. ويجد كل واحد بعده زوجا يرضي به، فلا يكون للاجتماعية ضرر في ذلك .

حاصل المسألة: أن المسألة ذات وجوه. و كل الأقوام على السواء، في جميع الحالات لا يستحقون جعل كثرة الأزواج فيهم مثل الأمر الواجب. أما تجويز الكثرة عند ضرورة في وقت مخصوص فلا إنكار عند أحد. ملوك كل قوم في تاريخهم ليتزوجون كثيرة إلا إذا التزموا شريعة تحرم الكثرة، و يكون أتقياء في ذلك. و في غير هذه الصورة كل الملوك ليتزوجون و لا ينكر عليهم، و تلك الحالة نجعلها شاذة لا نبحث عنها.

أما الاجتماع العمومي فالذي تلخص لنا من ملاحظة الاجتماعيات و الشرائع المحرمة و المبيحة أن الايجاب لا يستحق إلا أن يكون النكاح بواحدة، ويخيرون في التكثير تحت شروط و موافقة حالات. فإذا لم يراعوا الشروط يجب منعهم بتاتا. ثم لتلك المسألة عندنا مطالعة خاصة لم أرى من تنبه لذلك، و أكثر ما تنبهت عليه هو مسألة السفور و الحجاب الشائع في زماننا عند المسلمين.

مسألة الحجاب: و دعوة النساء العصرية إلى السفور فإنه أقرب إلى الإحصان. فالحجاب تختص بحالات مخصوصة: إيجابية على العامة غير ممكن في قوم ما، لكن المرؤون يتعصبون لدعواهم بالكذب. و قد تأذيت من ذلك بكثير. فإن الجهل بحقيقة الأمر لايدع أن يخرج الإنسان إلى حق. والتعصب مع الجهل يبطل الإنسانية. ونتكلم عليه قليلا: المسلمات في بلادنا عامتهن مسافرة، مسفرة في القرى و في الأمصار إلا عائلات مخصوصة يدعن[429] الشرف لنفسها. فالحجاب يكون مرعيا فيهم على قانون الشريعة

[429] في ن أ، و ن ح "يدعون"

الاسلامية. إنا[430] استقريت أحوالهم، فما وجدت في طول الهند و عرضها إلا بيتا أو بيتين فقط، فإن الشريعة الاسلامية يجعل إخوة الزوج أجانب بالنسبة إلى إمرأته. و لا يقدر بيت ما على احتجاب نسائه عن إخوة زوجها لأن لا تتحمل الأموال نفقات يستلزمها الاحتجاب. كلهن مسافرات عند إخوة زوجها، متحجبات عن الأجانب. فليس هذا حكم الشريعة، و إنما هو رياء يتفاخر النساء بفخر باطل. و القرويات السافرات أكثر عفة من تلك المحتجبات الكاذبات. لو كانوا راعو أمر الشريعة لتركن الحجاب. فتحقق الحكمة و رعاية الشرع أمر عظيم في الحكمة. لكن إذا رأينا لا تفيد الشريعة و لا وجود للحكمة و المصلحة، و الرسم جار من ملوكهم و أمرائهم بعد بطلان كل شئ من الشريعة، فيجب تغييره. هذا نوع واحد من مطالعتي في اجتماعيات الهند، و أنا في ضمن ذلك تنبهت على قبائح أخرى و هي اللواط.

اللواط هو نتيجة احتجاب النساء. وإصلاح اللواط عن الأمة لا بد تجريد المرأة و القاء الحجاب. الناس الذين ليس عندهم حجاب، في فساقهم الغلبة بالزنا أما للواط و إن كانت إلا أنهم يفعل بها قليلة و الذين تعارفوا الحجاب فاللواط فيهم أكثر من الزنا.

الآن نرجع إلى الأصل: الذين يتقيدون بإمرأة من الفساق فاللواط عندهم أكثر. هذا أمر إذا توجه إلى تحقيق دعائم الاجتماعية يتنبه عليها. أما الذين يقطعون منازل حياتهم مثل الحيوان لا يعرفون شيئا من ذلك. و الأحبار و الرهبان الذين جعلوا أنفسهم فوق الإنسانية و لايعرفون إلا أنفسهم، أو رجالا في التاريخ لا يلتفتون إلى اجتماعية تراقبهم، هؤلاء لا يبحث عنهم، فهمم ملعونون في الدنيا و الآخرة، أعمى الله أبصارهم و أضلهم على علم. فالذي ينظر في الاجتماعية يجد هذا البلاء عاما.

الآن نرجع إلى ما دعانا الأنبياء الكرام من الحنفاء. فالذي تحقق عندي[431] أنهم يمنعون الاجتماعية بادي بدئ[432] إلى النهي عن أمرين:[433] 1- الرجل يصنع بيديه مصنوعا، هذا دليل على كمال هذا

---

[430] في ن ح "لكنا"

[431] في ن ح "تحقق في قلبي هو"

[432] لم أفهم مراده بهذه الكلمة.

[433] أقول استقراء شيخنا هذا حق، و رأيت أحوال الاجتماعية عندنا (ملايا) بالنسبة إلى الهند أحسن لقليل في مسألة اللواط، لأن عندهم امراءة سافرات، فإذا غلبه الشهوة ينظرون أول مرة إلى المرأة و الأولاد الجميلة كأنهم خلف المرأة. أما في الهند فليس كذلك بل الأولاد ألذ من المرأة بفعلهم اللواط، و ذلك لاحتجاب النساء، ثم إذا رأينا أيضا أحوال الملايا بأحوال الإندونيسيا فوجدت أن الإندونيسيا أحسن بعشرة أقداما، و ذلك سره أنهم يحررون بناتهم و نسائهم ليتخلطوا

الرجل، و يتفضل على هذا المصنوع يقدر على خلق ألف من أمثاله[434] ثم ينعكس الأمر، يجعل هذا الإنسان مصنوعه الإلهه، هذا خلاف الفطرة. أما مصنوعات الله آيات لربه، ليس ممنوعا بالفطرة عند الحنيفية. نرى الجبال و نتذكر الرب، نرى البرق يخطف ونتذكر الرب، ونرى النبات ينبت ونتذكر الرب، و نرى أنفسنا متخلصة من بلية بالقدرة الإلهية لا بتدبير منا فنتذكر الرب. فهذه الأمور مخلوقة ممكنة نجعلها تجليات للرب، ليست ممنوعة في الحنيفية. أما أن يصنع بيديه شيئا و يتخذه إلها: هذا هو الممنوع. و الذين خرجوا مناط منع عبادة الأصنام، أنها ممكنة تخبطو، ما وصلوا إلى الحق. ليس مناط منع الصنم إلا كونها على ضد[435] الفطرة هذا أمر واحد.

2- أساس الاجتماعية هو النكاح. واللواط ضد الفطرة، يمنعون عنه. فالمنع عن اللواط يكون كمثل المنع عن الزنا؟ كلا! فإن الزنا يخالف الفطرة، وإنما هو يخالف القانون في محل مخصوص. هؤلاء المحتجبون منعوا عن الزنا، وجعلوا الناس مضطرين إلى اللواطة والسحاقة. فهذا الفعل لجهلهم بحقيقة الأمر. هكذا المتقيدون بزوجة واحدة، إذا شددوا في ذلك يجعلون الناس مضطرين إلى اللواط. فمن قدم نفي اللواط والسحاق على كل شئ في الاجتماع هو يجوز أولا السفور و حرية المرأة. و يجوز كثرة النكاح و اتخاذ السراري لمنع اللواط. فإذا انتهجت الفطرة منهجها لسوى نفسها بنفسها، فإن تلك القوانين يتبدل قيمتها باختلاف الأصول و الأوقات. فأساس القانون هو جعل الفطرة حاكمة على نفسها فقط.

فالحاصل أن الاجتماعية الإنسانية قائمة على دعامتين: الأولى المعرفة بربه و التقوى منه. فأول شئ يمنع لكونه مخالفا للفطرة كما هو اتخاذ مصنوعه الآلهة على أي صورة كان. فبطل العمارات العظيمة المبنية بمحنة ألوف ألوف عملة التي ترتزق بواسطتها الآف. الآف إنسان يهدم تلك العمارات إذا كانت معابد الأصنام يتخلص الفطرة بحكمها. ثم هي تتخذ نهر إمرأة لقدرة الرب، أو تتخذ صخرة مرجعا للتوجه إلى الرب، نتركها على حالها. أما إن يتقيد بآلهة مصنوعة فنحارب الإنسانية و نقتل دعاتها و لا نجد لذلك أدنى أساس للنقصان.

مع الشبان و الرجال، فذهب عنهم فساد اللواط مطلقا إلا في طائفة مخرجة ناقلة عن طائفة أخرى. صالح." مكتوب في الهامش. قد نسخت بعض الأجزاء من ن م، و هذه العبارة مكتوب في هامش ن م، و لكن ن ح خالي عنها.

[434] في ن ح "و بفضل هذا يمكنه أن يضع ألف أمثاله" مكتوب في الهامش.

[435] في ن ح "خلاف" مكتوب في الهامش.

الدعامة الثانية للاجتماعية النكاح. توسع فيه الفطرة الاستمتاع إلا في صورة متفاحشة مفسدة للعائلة، و نتركها بدون ذلك مطلقة مرسلة ونسدها عن الالتفات إلى اللواط بكل ما يمكن به سدها، هذا الذي هو دعانا إلى الله خص في النكاح مثنى و ثلاث و رباع.

لطيفة: في الهند كان رجال، لهم اختصاص في معرفة أصناف النساء في الاجتماع و المعاشرة الزوجية. صنفوا في ذلك كتابا تاريخها قبل الإسلام. وحصروا أقسام النساء في أربع: فإن شاء رجل جمع واحدة واحدة من النساء من كل الأصناف الأربعة. هي أدنى نصاب لكثرة النكاح، و هي تكفي لكل من أراد الاستمتاع بالأصناف المختلفة، فلا يحتاج إلى أكثر من ذلك. فإن كان مهارة هؤلاء الرجال في ذلك الفن محققة صحيحة فلنعترف بحكمه الاقتصار على أربع. و لا يشكل في ذلك إلا مسألة كثرة نكاح الأنبياء.

كثرة أزواج الأنبياء:

و ليس كان هذا على غرض الاستمتاع بل كان فيه مصالح سائرة أخرى مثل تعليم النساء. هذا باعتبار عامة أهل العلم، ومثل تعليم الرجال والنساء. و هذا باعتبار ذهنيتنا. فإذا جعلنا مبنى نكاح أكثر من أربع غير الاستمتاع، و جعلنا النساء مصنفة إلى أربعة أصناف وجدنا لهذا الاقتصار مصلحة كافية. و نحن نجد مثل ذلك من الحكمة المرعية في باب الربا على أصول الإمام ولي الله دهلوي في تحريم بيع الأجناس متفاضلا و إلحاقها بالربا، فإذا كانت أجناس النساء مختلفة فله أن يأخذه من كل جنس واحدة.[436] في تحريم بيع الأجناس متفاضلا و الحاقها بالربا، فإذا كانت أجناس النساء مختلفة فله أن يأخذ من كل جنس واحدة.

قوله "**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً**" فيه دلالة على أن الكثرة مشروطة بشروط. و لا ينكر حكيم أن ذلك يحتاج إليها في بعض الأحوال. "**أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**" فيه دليل على اعتبار القومية

[436] في ن م، و ن أ بزيادة "أقول: و لعل في نظرية شيخنا أن النساء لائقة لتعليم النساء و الرجال كليهما، و خصوصا قوة التربية عند النساء أكثروهن تتصفن بالشفقة والرحمة على الأولاد. والرجال لم يقدروا على ذلك في كل حال، فظهرت فضيلة النساء في هذا الباب. وعندنا إذا كان في بلدة التعليمات و التربيات كلها في يد النساء و الأعمال و الأشغال المعاشية كلها في يد الرجال فذلك أحسن نظام لا يوجد مثله في التاريخ البشر. و قد ذكر في التاريخ أن أزواج المطهرات كلهن معلمات؛ خصوصا عائشة صديقة رضي الله عنها أخذ منها رجال كبار. (صالح)" مكتوب في الهامش.

الخاصة. كل قوم يتخذ زوجة من غير قومه تجعلها مثل المملوكة أدنى من زوجه القومية. و إنكار القوميات و جعل الإنسانية على طبقة خرافات أو احتلامات عقلية لا قيمة لها في الاجتماع الإنساني. و ليس مثال ذلك إلا أن تقوم جماعة لتسوية سطح الأرض كلها يبحرها وغورها، هو محنة بلا فائدة[437]

رأينا فطرة الإنسانية: بيت واحد ينقسم إلى أبيات، ينتظم المعيشة على أحسن ما يمكن. إذا جمعنا كل هذه الكثرة في بيت واحد يتكرر الحيات و المعاش. فإذا كانت الفطرة الإنسانية توجب ذلك كيف يمكن إبطال القوميات من وجه الأرض؟

الأمر الأدنى من ذلك: هل يمكن جمع الإنسانية على لسان واحد؟ نحن الهنديون لا نقدر على القاف و العين إلا على تكلف، والفرق بين السين والصاد والثاء، والفرق بين التاء والطاء، كذلك العرب لا يقدر على أداء حروف هندية مفخمة مثل: ڈ، ٹ.

كان رجل منا سياح، كان أميا، لايكتب و لايقرء، وكان ذا عقل و تجربة، حكى لنا أنه ذهب إلى نجد (بلاد السعودية) فاجتمع جماعة من العرب، وأخذوا يقولون أن الهندي لا يقدر على أداء الحروف من مخارجها، فقال أنكم لا تقدرون على حروفنا. فقالوا: لا، أن العرب تقدر على كل شئ. فقال: قولوا كلمات هندية اسم فرس (*گھوڑا*) فلم يتمكنوا. فمن يتخيل مثل هذه الأمور الحاشية فهو جاهل. وإنما المقصود أجمع على أفكار توافق الفطرة على قدر الضرورة، هذا هو الجمع فقط. "**ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا**" الواحدة أو التنزل إلى اتخاذ زوجة من غير قومه هو أدنى.

كانت المسألة في يتامى النساء و كانوا لا يعولون في مهورهن، منعوا من ذلك. وليس المراد التضيق، فإن النساء و إن كانت يتامى إذا قبض مهورهن ثم آتين أزواجهن شيئا على طيب نفس فلا بأس

---

[437] في ن أ بزيادة "أقول: و لقد غلط العلاء و السياسيون المتقيدون باسم الدين أن يجعلوا من مقاصد الاسلام إبطال القومية مطلقا و يظنون أن الإنسان إذا قال كلمة لا إله إلا الله نفي عنه قوميته فصار كلهم قوما واحدا هذا جهل غامض لا يصح ... يلتفت الناس و لو..... عقل إليهم. و نحن نرى أن الاسلام لما جوز للانسان تملك المال و لما فوض عليه الانفاق بعد أداء حاجة نفسه الضرورية؟ فعلمنا بذلك أن الاسلام لا يبطل نفس الإنسان و ءخصيته، بل شخصيته، هو التي يصدق عليها الإنسان فإين الإنسان إذا بطل شخصيته؟ فإذا اجتمع الاف انسان مختفلة الشخصية و فيهم نظام عادل بحيث يكون قيمة". مكتوب في الهامش.

في ذلك، إليه الإشارة في قوله تعالى: **"وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (4)"**

مسألة: والأمر بإيتاء اليتامى أموالهم يحتاج إلى شرح. فالآيات 5-6 هما شرحان لقوله **"وَآتُوا النِّسَاءَ"**.

قوله تعالى: **"وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (5) وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (6)"**

"جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا" فيه بيان حكمة: يعنى أن الاجتماعية لا تقوم إلا بالأموال. فمن كان لا يعرف الحساب و لايقدر أن يراعي الموازنة بين الصادر و الوارد هو سفيه، لا يجوز أن يفوض إليه الأموال، فإن أموال الأشخاص جزء من أموال القوم، فالقوم يحافظون على أفرادهم. فالسفيه الذي لا يراعي الموازنة لا يعطى إلا ما يكفيه فقط. فالحكومات الإسلامية كيف فوضت نظام ماليتها إلى أولاد الملوك السفهاء؟ و ذلك خروج عن حكم القرآن. ورأينا الجهلة من الفقهاء يتحكمون على الأقوام لدعاية حكومة أولاد الملوك السفهاء، وذلك رأينا في أفغانستان، وتأذينا بذلك أكثر من فساد الاجتماعية في النكاح. ما وجدنا لذلك مخلصا في عصرنا هذا. إلا إجبار كل رجل و إمرأة على الكتابة و القرأة بلغتهم. فمن جعل هذا الحكم خلاف الإسلام هو رجل جاهل أشد الجهل.

قوله: **"فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا"** يرشدنا إلى إيجاب الاختبار قبل تسليم منصب من مناصب الاجتماع إلى رجل مدرس، قاضي، إمام، و كذا كل عامل في الإدارة. جماعة من العلماء يجتمعون لأداء هذا الغرض، إيجاب التعليم و اختبار العاملين ذلك من فروض القوم راجع إلى أهل العلم خصوصا. والأصح كل الأصح أن المسلمين قطعوا مدارج في الارتقاء في جميع أطراف الاجتماعيات، وصلوا إلى

درجة، ثم وقفوا، وشرع أقوام آخرون من الحمل[438] الذي توقف عليه هؤلاء، ونظموا، ثم تقدموا، وصلاحية التقدم إلى اليوم بأيدي المسلمين أكثر منهم.

"**وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا...بِالْمَعْرُوفِ**" أخذ منه بعض الخلفاء الراشدين حكم أخذ الوظيفة من بيت المال للحكام الكبار، وجعل الناس بعد ذلك بيت مال الأمة من ملك آبائهم. أفسدوا بها جميع الأمور، فلا يصلحون أبدا إلا إذا قاموا بإصلاحه. الأمة تتيقظ بالقرأة و الكتابة، وتحافظ على ميزانية أموالها بواسطة عقلائها. و لاتترك أحدا أن يتغلب عليها. وتغلب المحتالين الأقوياء لا يمكن منعه إلا بعد إيقاظ الناس بالتعليم، وجعلهم يتفكرون و يتساوون في الحقوق. و قد أثبتناه في تفسير "و لكم في القصاص حياة" في البقرة على ترجمة الإمام ولي الله.

مسألة: هل اليتامى يأخذ الأموال من الآباء لكون كل المال مختصا لهم؟ الجواب: لا. شرح ذلك يأتي مفصلا، و إجماله في قوله تعالى: "**لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (7)**" هذا نوع من ارتقاء التهذيب و الثقافة، وتقليل المنازعات المالية في البيوت، والعائلات تعين حصة كل أحد في العائلة بالعدل، إليه الإشارة في "**نَصِيبًا مَفْرُوضًا**" إذا قرر بالعدل، و سلمه الأمة حصل له النجاة في كثير من المسائل. والقانون الإسلامي الذي يأتي بيانه من قريب تنبهنا على العدل. و ما رأينا رجلا من فقهاء الأمة شرح الحكمة الملحوظة بالتقسيم مثل **حجة الله البالغة**، حكى لنا رجل من أتراك في استنبول أنه ترجمه إلى الفرنسية، و قدمه إلى حكيم في باريس، فقال هذا العالم التركي أنه غضب على الدكتور الفرنسوي. فقال لما لا تقدمون لنا شرح قانون الإسلام بمثل ذلك. فكما رأينا نحن أنه شرح للحكمة كذلك يراه الغرب أيضا، لكن من يبلغهم مثل هذه الأشياء في الإسلام؟

قوله تعالى: "**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (8)**" تلك الآية قد أغفلها الفقهاء في العمل بها. وذلك من تتمة التقسيم، ويرشد إلى أن المال في الحقيقة للأمة لا للبيت و العائلة فقط. إنما اختير البيت لتنظيم الملة، فالمستحق للأموال قسمان: قسم لها نصيب مفروض، ثم حضر في وقت القسمة من ليس له نصيب مفروض من أولى القربى من أهل

[438] في ن ح "من أحمل"

العائلة و اليتامى و المساكين، هذا من القوم والأمة. وطائفة من ذلك نقسم عليهم و يبين لهم حكمة التقسيم بالفرض ليكون عذرا في تقليل العطايا. هذا يجعل في قلب كل منهم حسن الاشتراك متيقنا. فإذا رأوا رجلا في بيت أو عائلة يفسد الأموال أخذوا بيده، لأن لهم أيضا نوعا من الحق في هذا المال. فقهائنا بأغفالهم ذلك، وجعلهم ذلك من باب المندوب أعدموا فكر الاشتراكية الحقة من الأمة. فالإثم راجع على ترك التدبر في القرآن. و قد بقى من تلك الآيات موضع:

"**وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا**" يرشد أن السفاهة و الإسراف ليس خاصة باليتامى بل أولياء الأمور أيضا يوجد فيهم من يجب حجره، فيجب على الأمة مراقبة أموال الأفراد. فإذا رأى منهم إسرافا أو سفاهة منعوهم، وحجروا عليهم. و الحكومة إنما تقام لأداء مثل هذه الفرائض والوظائف، فمن أغفل من أولى الأمر ذلك وجب عزله.

مسألة: يجب على الناس أن يعاملوا مع اليتامى معاملتهم مع أولادهم، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (9)**".

مسألة: الظلم على اليتامى يوجب الجبن عن حفظ البيضة. إذا كان الرجل مطمئنا أنه إذا مات كان قومه لايقصرون في حفظ ماله، و لا أولاده يكون شجاعا في أداء الفرض في الجهاد. و إذا علم أن أولاده تضيع بعده، هو لا يتقدم على القتال. فالظلم على اليتامى ظلم على القوم كله بإفساد أخلاق من كان قويا منهم، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (10)**".

فبعد ذلك أحكام الفرائض؛ قوله: "**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (11) وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ**

يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (12)" الفرائض كلها مذكورة في هاتين و آخر السورة، قوله تعالى: "**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (176)**" فالثلاث استوعبت أصحاب الفرائض. ثم بعد ذلك الاجتماعية الإسلامية أوجبت فرضا أو فرضين لشرح تلك الآيات، فصارت أصول مسائل الفروض محصورة محصاة[439] ثلاث آيات، وثلاثة أو أربعة من الأحاديث. فإذا كان بعد ذلك رجل يعرف الحساب يقدر على كل مسائل تتعلق بالميراث، يصير مجتهدا. هذا نموذج للاجتهاد في المسائل. هذا يمكن تحصيله في كل زمن إلى قيام الساعة، لذلك كان الفقهاء من الصحابة يتوجهون إليها أكثر. وكان معرفة تلك المسائل هي الفارقة بين الفقيه و غير الفقيه.

تنبيه: إني إخترت تعليم الاجتهاد، وتعليم ذلك الباب مقدما. نعلمهم القرآن و أحاديث مختصرة في المسوى. ثم إذا عرفوا الحساب لا يحتاجون إلى شئ. يدركون منه الاجتهاد، ويجتهدونه، ويستعملونه. يردون بذلك قول كل من يدعي أن الاجتهاد ممنوع أو مسدود. بعد ذلك يتساهلون لأخذ الحكمة. أما الذين لا يقدرون على هذا فما قدرنا على إيقاظ ملكة الاستنباط فيهم بوجه. و أنا بحمد الله أخذت الحساب في المكتب أولا، ثم كان شيخ لي أمرني بحفظ أبيات في الفرائض،كنت أسير معه. و كان يلقي على بيتا أو بيتين فأحفظ. ولما فرغت من حفظ الفرائض قلت لا أحتاج إلى غير ذلك، أنا أقدر على تقسيم كل تركة.

ومسألة: فالشيخ أنكر على أنه لا يمكن. و قد رأينا قبل ذلك مدرسا في المدارس الإنجليزية و فشل في الاختبار، قلت: أنا لست مثله، أنتم على خيار فاختبروني بما شئتم. و كنت في صغري ماهرا. فعرض على مسائل، و كلها استخرجتها، و سلم بعد ذلك قولي. ثم قرأت عليه السراجي بنحو ساعتين

[439] في ن ح بزيادة "في"، و العبارة "محصاة في ثلاث".

بعد المغرب، و أتممتها في جيلسة واحدة. ثم بعد ذلك المطالعة اشتغلت **بالمصفى** و عملت منها الشكبة في المناسحات، ثم قرأت **حجة الله البالغة** و أتقنتها بحمد الله.

الفرق في تقسيم الميراث عند الصابئة و الحنفاء:

قال شيخنا: سألني رجل من الهنود، و كان قد[440] أسلم أن القانون الهندي لا يجعل للبنات حقا في مال الآباء، وقانون الإسلام يجعل لهن حقا، فما الفارق؟ قلت أن القانون الهندية يضم البنات إلى بيوت أزواجها بحيث لا تقدر هي على ترك بيوت الأزواج أبدا، وتجعلها ترث من مال أزواجها أكثر من الآخرين، فلا حاجة لها أن تأخذ من بيت أخيها شيئا. و الإسلام أباح الطلاق، فليس بلازم قرارها في بيت زوجها. و ليكن لها من بيت أبيها نصيب. فاستحسن ذلك، وقال: ينبغي أن يعلم الإسلام رجل مثل هذا. قلت: هذا الذي أشرت إليه أن تجعلوا في شرائع الأديان مثل كتب الأحاديث عندكم المختلفة فيما بينها، ثم اجتهدوا في تطبيق بعضها مع بعض.و بعد ذلك تتمكنون من جميع العموم تحت حكم القرآن.

قوله تعالى: "**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (13) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (14)**" فالتشديد في المنع عن تعدى؛ تلك الحدود، لأن ذلك صورت لقطع خطرات الخصومات في البيوت و العائلات. ثم يبتنى على ذلك حكومات قوميات صالحات. ثم يحكم على الأقوام القرآن العظيم. فتعدى تلك الحدود يفضي إلى هدم ذلك البناء العظيم. تمت مسألة الفرائض.

قوله تعالى: "**وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (15)**" الاجتماعية تبتنى على الذكر و الأنثى، و ربطهما، و على الأموال. والأموال لها في الاجتماعية أهمية زائدة، و لا يكون الربط إلا بالاشتراك. والميل الطبعي مشترك في الحيوان و الإنسان سواء، لكن الحيوان لا تهتدي إلى الاشتراك في المرافق أي في الأموال. فلم تنتظم لها إجتماعية، والإنسان اهتدى إلى ذلك، ففاق الملائكة أيضا. فلذلك قدم البحث في الأموال، و الآن بحث عن الارتباط بين الرجال و النساء على نصاب لا يحدث إختلافا.

---

[440] المراد به بعد أن أسلم

المعيشة أصل و الاجتماع عمارات:

فبعد اتقان المعيشة كلها يحدث الفساد في الارتباط، هو عدم مراعاة العهد الذي عقد و يعبر بالنكاح. فالنكاح اشتراك في منافع الحياة، واستمتاع طبعي لأحدهما من الآخر. فإذا خالفت إمرأة وخرجت عن تلك المعاهدة بدون نقضها تحت القانون فهو إفساد للعقد. فلذا جعل عليها تعزير الحبس في البيوت إلى آخر الحياة أو يكون قانون آخر. فتعين بعد مدة القانون: "**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ**"[441] و قد حمل تلك الآية بعض أهل العصر على السحاق بين النساء، والقرينة في الآية التي بعدها "**وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا (16)**" فعامة أهل العلم يجعلون تلك الآية مثل الأولى في الزنا، والإمام ولي الله جعلها في اللواط. هذه الفاحشة التي من الذكران ليس لها حد مقرر. الضرب والإهانة يكفي. " **فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا**" لاتذكروا تلك الفاحشة مرة أخرى إليهم فعلوها.

تحقيق شيخنا في المسألة: قال شيخنا: فعندى ملاحظة أخرى أخذتها من بعض أهل العلم من تلاميذ الشيخ إسحاق الصدر الحميد. صدور الفاحشة من الذكران مثلا يكون بالصدفة، حكمه هذا، أما إذا أعقدوها فالجزاء هو القتل كما في الحديث. و على هذا حمل الآية الأولى "**وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ** ..." أيضا على الزنا الذي حدث بالصدفة مرة. وأما الجزاء مائة جلدة في آية النور فعلى من اعتادوها.

تنبيه: على غلط الفقهاء في مسألة التعزيرات. ورأينا الفقهاء تغلظوا في التعزيرات أخذا من بعض الخلفاء الراشدين، لكنهم ما قدروا على ملاحظة مجموع سيرتهم. هم يشددون في موضع و يتسامحون في مواضع، فلم ينكر على الفقهاء آئمة تبع التابعين إلا واقعة التشديد في التعزير، فتأثروا بذلك و تغلظوا في ضبط قوانين التعزيرات، ولعلهم أخطأوا في ذلك إذا صار مرجع ذلك ترك تلك التعزيرات بالمرة. فإن كان ذلك على اعتدال و على الفطرة لما تركها المسلمون أبدا. إلى يومنا هذا هم أقل الناس بالنسبة إلى الأقوام فاحشة. فإن روعيت المصلحة الشرعية على الاعتدال لصارت التعزيرات من طبيعة الأقوام المسلمة.

فنحن نرى كلمة الزاني و السارق لا ينبغي أن يطلق إلا على الذي يعتاده. والفرق بين المجرم العادي و المجرم الذي وقع في الجرم اتفاقا مرة يجب الاعتناء به في القانون دائما. و إلا تفسد الأخلاق

---

[441] النور: 2

كلها. من هذا الوجه يجب النظر الثاني للتعزيرات التي استنبطها الفقهاء، فلا ينسب إلى الإسلام ما في كتب الفقهاء من أبواب التعزيرات و الحدود في عصرنا هذا إلا بعد التحقيق مرة ثانية. فليس غرضنا تبديل شئ من أحكام الله لكن نجد بعض تغافلات في الاستنباط؛ مثلا جعلوا الرجم من الحدود، وإنما هو تعزير ماخوذ من التوراة. فالحدود التي ذكرها الله في كتابه، لا يجوز لأهل الاسلام التساهل بها[442].

الآن نرى الذي يسرق مرة واحدة شيئا قليلا يقطعون يده، ثم لا يقدرون على تنفيذ ذلك في أولادهم و أقاربهم و قومهم. فإذا وجدوا من قوم آخرين يقطعون يده كأن السرقة لا تقع بين قومهم. هذا التظاهر بالباطل، هل ينفع المسلمين؟ و الفرق بين المعتاد و الاتفاقي: الإشارة إليه في قوله تعالى: "**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (17) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (18)**" فالعذاب الأليم للذين يعتادون السيأت، و أي عذاب أشد من قطع الأيدي، أو الرجم بالحجارة؟ فإنما تستحق بعد الاعتياد و المعتاد.

الشبان ينكرون العمل بالقرآن:

و نحن كلما ذكرنا لشباننا العمل بالقرآن كانوا يقولون: هل يمكن اليوم قطع الأيدي والرجم؟ فقلنا أن الرجم ليس من القرآن، فإن لم تريدوا أنتم رجم الزناة المعتادين لأغير، و إن كنا نرى ذلك حال الاعتياد و شرط وجود الزوجة، أما الفقهاء فهم يشددون في معنى الإحصان؛ ويقولون أنه إذا تزوج أحد مرة في العمر حتى إذا ماتت أو افترقاهما محصنان، فهذا غلط في تفسير اللفظ، ونقص في توفية شروط الرجل المتزوج، له زوج[443] موجودة هو محصن. ثم إذا اعتاد الزنا يرجم بالتعزير. فإن رأى المسلمون في ذلك أيضا مصلحة، و رأوا عدم الرجم فلهم ذلك. أما السارق فقطع اليد واجب، عندي لا يجوز تركه، لكن في تفسير السارق للفقهاء تشدد أيضا. ومعنى السارق هو الذي اعتاد السرقة، و لاتثبت في العادة إلا بعد المرة الرابعة. ثم المال الذي يسرقه لنا فيه نظر و مطالعة مخصوصة، الشارع خصه بالذهب، فالتعميم في غير

---

[442] في ن ح "فيها"

[443] "زوج" في نسختين، لعل الصواب "زوجة"

الذهب كله غير شرعي. والذهب بالطبع يحفظه الإنسان أقصى حفظه. فالسارق إذا سرق الذهب هو أبطل آخر حرز المسلمين. ثم إذا اعتاده يقطع يده. فالتشديد الذي أتى به الفقهاء و إن كان جيدا في المنظر لكنه مفسد في العاقبة. الناس اعتادوا على ترك الحد القرآني، ثم سرى ذلك المرض حتى ترك جميع الحدود، فأفسدوا ذهنية المسلمين من وجوب الأخذ بالقرآن.

رأيت عجبا لما ذكرت عند شبان الهند، المحامون منهم، انتقدوا القطع و الرجم، و لما ذكرت عند شبان الأتراك في إستنبول هم أيضا انتقدوا القطع والرجم سواء كلمة بكلمة. فلما بينت الأمر في كلا الموضعين قبلوه مني. فلا أرى التثبت بتفسير القانون المتعلق بالتعزيرات بأقوال الفقهاء واجبا بل للإنسان أن يجتهد في مقاصدهم فهم القرآن فقط. و ما ثبت من النبي تفسير لذلك قطعا، فيعرض رأيه على أهل النظر في القوانين، فإذا حصل اتقان فليجعل ذلك التفسير أحق.

مسألة: يجب في النكاح المهر، ذلك توفية لسيادة الرجال في الاجتماع. فإذا فسد الارتباط و أرادا أن يتفرقا فلا يجوز لهم احتيال في رد المهر، فإن ذلك كان من شرط لعقد[444] أولا. فلما استفادوا من تلك المعاهدة، و لو كان قليلا يجب استيفاء الشروط، فلا يجوز الاحتيال في الاسترداد. بذلك يطمئن الإنسان على تأكيد[445] العقد. فالزوج بعد العقد يحرم على نسائه أن يستمتعن من غيره. هذا التحريم نتيجة العقد. والعقد منعقد بكل شروطه. فإذا تساهل الناس في الشروط، كيف يستوجبون على النساء تحريم الاستمتاع؟ فإذا أدوا ما وجب عليهم بدون احتيال يستحقون أن يحرم الاستمتاع بغيره. يتحقق الزنا ثم يؤاخذون،[446] كل ذلك من نتائج صحة العقد، فاسترداد المهر إفساد للقانون. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (19) وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (20) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (21)**" هذه المسألة نسميها بتأكد العقد ثم يقاس عليها مسائل الإجارة و غير ذلك من العقود.

---

[444] في ن ح بزيادة الف لام "العقد"

[445] في ن ح "تأكد" من باب تفعل بتشديد العين.

[446] في ن ح "يؤاخذن" صيغة الجمع للمؤنت الغائب.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ... مِيثَاقًا غَلِيظًا" فالمهر مشروط في العقد. هذا دليل أن الاجتماع لا تقوم إلا بالمال.[447] و لنا[448] في فهم حكمة اشتراط المال مطالعة خاصة: أول المصالح أن المرأة كانت فردا من اجتماع بيت أبيها. فإذا أفردناها من ذلك الاجتماع يحصل للاجتماع نقص ما، فنعطي لتلك المرأة مالا إن شاءت واست به[449] أهل بيت أبيها. و منها أن الزوج يكون له سيادة في البيت فلإثبات السيادة يعطي عطية. منها أن الاجتماع بالميل الطبعي لا اعتبار له في القانون إلا إذا كان معه معاملة مالية حتى يصير الميل و الارتباط الطبيعي أمرا محسوسا يحكم به أهل الرأي. فلو لم يكن للرجل ميل لما أدى ذلك المال، و لو لم يكن للمرأة ميل لما تقبل منه المال الذي يحصل به في الرجل[450] السيادة عليها، فصار تمثيلا للربط الطبيعي. ففي كل المصالح لا يجوز الاستراداد، إذا أرادوا فسخ تلك المعاهدة.

بعد ذلك ذكر المحرمات التي لا يجوز العقد عليهن. هذا مثل الشرط الثاني للنكاح. والمحرمات تقررت في بني آدم لمصالح كثيرة. في قوله تعالى: **"وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (22) حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (23) وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (24) وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى**

---

[447] في ن ح بزيادة " فالذين استهانوا المال و فسروا القرآن، و شرع الإسلام على الأخلاق ما استوفوا حق القانون. ولا ينبغي أن يسند ذلك الذي استنبطوه إلى القرآن و الإسلام". بعد "لا تقوم إلا بالمال".

[448] في ن ح "فلنا"

[449] من المؤاساة

[450] لعل الصواب "للرجل"

الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (25)" بيان المحرمات، و قد ذكرنا معنى الإحصان الذي عندنا. و نأخذ إشارة من قوله "**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ...**" قد جاء في الروايات أن الناس استعظموا أن ينكحوا النساء؛ لهن أزواج، فنزلت "**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ...الخ**"[451] المحصنة من يكون لها زوج فعليا. و من ذلك نستنبط مسألة أخرى؛ أن العقود تحت حكم الاجتماع، فإذا تبدلت اجتماعية ليس للعقود حكم. فتبدل الدار يوجب إبطال حكم العقود.

"**وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا**" الفقهاء اختلفوا في تأثير هذا الشرط. الحنفية لايقولون بالتأثير، يجوزون النكاح بالآماء مع القدر على الحرة، والشافعي يجعل له تأثيرا، لايجوز نكاح الأمة عند القدرة على نكاح الحرة. فالظاهر من الآية هو قول الشافعي. أخذنا منها أن تقديم نساء القوم على نساء غير القوم مرعى في تلك الحكمة، و ذلك الحكم و فيه من الحكمة ما لا يخفي. و كان إمام أبا حنيفة ينظر[452] إلى المرتبة العالية من الاجتماعية في الإسلام. في تلك المرتبة تكون الأقوام كلها متساوية، لكنني أرى ليس معنى الاجتماع العالمي هذا. كل قوم يتثبت على قوميته، و يكون الإسلام جامعا لهم. كأن القرآن يشير إلى تلك الدرجة، و أما الذي يستنبط من فقه إمام أبي حنيفة من القوميات أن لا أؤيده إلا إذا كان راجعا إلى رأي ذاتي.[453]

رجل يترك القوم و البلاد[454] و ينتقل إلى قوم آخر، ثم ينضم إليهم، هذا جائز، ليس له أثر في إنشاء الفوضوية. أما الغاء قوميات و إحداث قومية عمومية فعندي أنها لا تتحقق إلا بإسم، ويكون سببا للفوضوية. فليس هو مرادا في القرآن. كل قوم ينكح من قومه إلا لضرورة. ههنا يؤيد مذهب الشافعي.

---

[451] " عن أبي سعيد الخدري، "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين بعث جيشا إلى أوطاس، فلقوا عدوا، فقاتلوهم فظهروا عليهم، وأصابوا لهم سبايا، فكأن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحرجوا من غشيانهن من أجل أزواجهن من المشركين، فأنزل الله عز وجل في ذلك: {والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم} [النساء: 24]، أي: فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن". ولينظر: مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب الرضاع، باب جواز وطء المسبية بعد الاستبراء...، 2: 1079.

[452] في ن ح "نظر"

[453] في ن ح بزيادة "لنفسه" أي ذاتي لنفسه.

[454] في ن ح "قومه و بلاده"

نحن نرى القرآن يميز المراتب.[455] تلك المحرمات كانت في التوراة، والقرآن صدقها و قررها. كونها في التوراة دليل على أنها تقررت في التجربة في أولاد إبراهيم. كان الفساق من قريش لا يتقيدون مثل فساق العرب. والله أراد إلى إصلاحه، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27)**" ثم قوله "**يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28)**" معناه أن ما عدا تلك المحرمات جوزناها لكم، هذا هو التخفيف.

إذا أنشأت بيوت يحتاجون إلى معاملات متشاركة في البيوت كلها، فقانون ذلك هو التبادل على طريق التراضي، و إلا يبطل البيوت و نظامها. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29)**" يعني بترك قانون المحرمات في النكاح، و قانون التبادل على التراضي في الأموال تبطل الاجتماعية، وتقتلون أنفسكم. "**وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30)**" ترك قوانين الاجتماع يهلك الإنسان في الدنيا والآخرة. و اتباع[456] القانون معناه اجتناب الكبائر، المحرمات المنصوصة ثم المحرمات المستنبطة عند قوم دون قوم لا يؤاخذون بها مثل المنصوصة. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (31)**".

مسألة: النظام الاجتماعي إلى رئيس، و إن كان مركبا من اثنين فقط. هذا الاجتماع بين رجل و إمرأة يحتاج إلى رئيس تحت القانون العمومي. فمن يكون رئيسا منهما؟ جوابه في –الآية– 34 و قبل ذلك –الآيتين– 32-33 حكمة تمهيدية لتوضيح تلك المسألة.

قوله تعالى: "**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (32)**" فالفضائل

---

[455] في ن ح بزيادة " تلك المحرمات موافقة للتوراة، يريد الله ليبين لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم و يتوب عليكم، و الله عليم حكيم." قبل هذه الجملة.

[456] في ن ح "فاتباع"

التي تنسب إلى الرجال أو الى النساء ينبغي أن تكون على قدر الاكتساب. الرجل يعمل في طبيعته يحمل المصائب و المشاق، يكتسب الأموال و يحافظ على ذلك، و يقاتل للدفاع. تلك الفضائل نسلم لرجل. ثم النساء لطبيعتهن لهن و عليهن حضانة الأولاد و تربيتها و إرضاعها من أمور محبوبة عندهن. يحتجن في إتمام تلك الأعمال و الوظائف الى القعود في البيوت. ثم يكتسبن من الفضائل موافقة لطبيعتهن. لهن الحق في ذلك و في ادعاء الفضل في الأمور الغير الطبيعية غير مستحسن غير محمود في الحكمة. إليه الإشارة "**وَلَا تَتَمَنَّوْا**" بعد ذلك "**لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ**". [457] كل يسعى في تكميل الفضائل الموافقة لطبيعة.

فائدة: قال في **حجة الله البالغة:** "وجاء في تقدير الغنية المانعة من السؤال أنها أوقية أو خمسون درهما. وجاء أيضا أنها ما يغديه أو يعشيه. وهذه الأحاديث ليست متخالفة عندنا، لأن الناس على منازل شتى، ولكل واحد كسب لا يمكن أن يتحول عنه، أعني الإمكان المأخوذ في العلوم الباحثة عن سياسة المدن لا المأخوذ في علم تهذيب النفس، فمن كان كاسبا بالحرفة فهو معذور حتى يجد آلات الحرفة، ومن كان زارعا حتى يجد آلات الزرع، ومن كان تاجرا حتى يجد البضاعة، ومن كان على الجهاد مسترزقا بما يروح ويغدو من الغنائم. كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالضابط فيه أوقية أو خمسون درهما، ومن كان كاسبا يحمل الأثقال في الأسواق، أو احتطاب الحطب وبيعه وأمثال ذلك فالضابط فهي ما يغديه أو يعشيه."[458] فالحكمة توجب أن لا يشتغل الرجل و المرأة إلا بما يتحمله طبعه، و بما يناسبه. فالنساء إذا أردن أعمال الرجال أو الرجال أعمال النساء فذلك غير جائز في نظر الحكمة. هذا الذي نراه، أيدناه في فروع القوانين أيضا بما حكينا عن الإمام في تقدير الغنى، و في عدم تحول كل ذي حرفة عن حرفته. و لايخفي على المتبصر أن حالة الاضطرار أمر تستثنى من كل ذلك. و لايجعل الأمور الاضطرارية أصولا في نظر الحكمة.

---

[457] في ن ح بزيادة "إدعاء الفضل على غير الطبيعة غير محمود" بعد الآية

[458] ولينظر: **حجة الله البالغة**، باب المصارف، 2: 71. هذه إضافة في ن ح.

فائدة: التسوية بين الناس في الإكتساب كما يبالغ في ذلك الاشتراكيون، إن كانت في حالة الاضطرار فتسلم و إن كانت في حالة الاستقرار فتمويه و باطل مردود، و على وجه من يقول بها كائنا، ما كان،[459] و ما نتيجة[460] الأفراد في الأقوام.

تتمة تلك الفائدة: النساء أدخلوها في المعامل و المصانع للضرورة. فإن الرجال في ميادين القتال فكان جائزا. و أما تأسيس ذلك في حالة الأمن و الاختيار فغير صحيح. و إذا استمروا على ذلك يحتاجون إلى استقناع أو[461] الاستثناء مثل ألا يتركوا للنساء فراغا وقت الحمل و الإرضاع عن الأعمال، ويقومون بذلك لبغاوة على أرباب المعامل فذلك دليل على كونها غير فطرى. فكل شئ يلتزمه الإنسان على غير الفطرة فإن كان لوقت محدود لضرورة فلا بأس. أما الاستمرار عليه فخلاف الحكمة.

"**وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ**" لكل أحد مجال للترقي إلى ما لا نهاية له بالتزام موافقة طبيعية. فأي حاجة إلى الخروج من سنن الطبيعة؟ هذا معنى "**وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ**" و قد تقرر في الحكمة التي نعتقد بها أن الذين يدخلون جهنم لهم أيضا مجال الارتقاء إلى ما لا نهاية له. فالإنسان المخلوق في صنف خاص لم يتجاوز عن سنن فطرته. نحن جربنا هذا في بيوتات عالية أن الأم تكون لها من السلطنة على الرجال من أولادها و أحفادها ما لا تكون لأحد من السلاطين. و قد جربنا نساء تركن نسائيتهن، ويتكلفن في إظهار الفضل محتقرات إلا بين طائفة قليلة اصطلحت على ذلك. و الاصطلاحات لاتقوم عليها إنسانية، إنما تقوم الإنسانية على السنن الطبيعة.[462]

و لتكميل تقدم الرجال في الرياسة على حسب استعدادهم جاء ما في قوله تعالى: "**وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ**

---

[459] في ن ح بزيادة "أفلاطونا أو أباه" بعد "ما كان"

[460] في ن ح "قيمة"

[461] في ن ح "مثل" دون "أو"

[462] في ن ح بزيادة "و أنا متأسف كثيرا أن الذين يتسمون بعلوم الشريعة في أيامنا هذه لا يخرج من ألسنتهم كلمة حكمة. وجوب الجريان على السنن الطبيعية، إنما يتكلم بتلك الكلمة من اتبع نبينا، لكن المسلمين خاصة هجروا القرآن، و ما صرفوا وقتا في تصحيح الأفكار على منهج القرآن، بل أخذوا عن الفقهاء المناظرين كلمات جدلية، وقدموها على القرآن. فاستبعدوا عن الحكمة."

شَيْءٍ شَهِيدًا (**33**)" هؤلاء من ذوي القربى. و قد فصل ذلك في آيات المواريث. فإعادة هذه لمصلحة أخرى. و هي مبنية في قوله "**وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ**" و الموالي على قسمين: قسم طبيعي، و قسم بالحلف و الولاء. لهم أيضا حقوق مثل ذوي القربى، يجب إيصال الحق إليهم إيضا. إليه الإشارة "**فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ**" هذا الأمر عقد المحالفة، إنما يختص به فطرة الرجال. هم يستحقون السيادة في داخل البيوت أيضا، لأن لهم سيادة خارج البيوت، فهاتان الآيتان لبيان فطرة الرجال للسيادة، فلا تجوز لإمرة تمنى ما فضل الله به الرجال. و ذلك مفسد للاجتماعية الطبيعية، فانتظم بعده قوله: "**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَا**...".

تنبيه: في قوله "**مَوَالِيَ**" أي من الذي عقدت أيمانكم رمز إلى حكم الفطرة. تفصيله أن الإنسان يقدر على تكميل خلق إذا لم يكن أساسه في جبلته فالإنسان قومي، لأن حب ذوي الأرحام و حب ذوي القربى مستكمن في فطرته، فلتوسع ذلك الحب يصير الرجل قوميا بالفطرة. ثم الرجل يكون عالميا بالطبيعة، يحب الاجتماع العالمي، و يجب أن يكون لذلك أيضا أصل في جبلته.

فالإنسان إذا كان يعقد عقد الإخوة أو يحلف حلف الولاء، و ذلك من طبيعته مع رجل أو رجلين مثلا، ثم يراعي حقوق العقد و الحلف إلى آخر عمره بالطبيعة، فلذلك الرجل اجتماعي عالمي طبعا. و تلك الخصلة في الرجال أكثر بالنسبة إلى النساء. فالرجال بالطبع اجتماعيون عالميون يستحقون السيادة في خارج البيوت. و بقوة السيادة الخارجية يستحقون السيادة داخل البيوت أيضا.

"**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا** (**34**)" في الآية بيان سيادة الرجال على النساء، و ما تستحقه النساء لطبيعتهن. "**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ**" بيان سيادة بما فضل الله يعنى بالفطرة و الطبيعة. "**وَبِمَا أَنْفَقُوا**" يعني بالاكتساب. "**فَالصَّالِحَاتُ**" معناه إطاعتهن حكم القانون. كل قوم يكون لهم في العائلة قانون معروف، والإطاعة الواجبة لا تكون إلا في المعروف. "**حَافِظَاتٌ**

لِلْغَيْبِ" فالرجل يكتسب المال، و النساء تحفظه في وقت غيوبته بما آتاهن[463] الله من حذاقته في الحفظ. فاستوين مع الرجال من وجه و أخرجن من سنن طبيعتهن.[464]

"**وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ**" إذا كانت المرأة لا تتحمل سيادة الزوج فالمقصود من الاجتماع لا يحصل. فإن كان إصلاحها ممكنا فليتثبتوا به، و إلا فليترافعوا إلى القوم، ويتخلص كل من الطرفين إن لم يمكن التوفيق. فصلاح الاجتماع يوجب أن يكون السيادة للرجال. أما جبر أحد من الطرفين فهذا غير واجب، إليه الإشارة "**وَاللَّاتِي تَخَافُونَ...الخ**"

"**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (35)**" إن كانت الحكومة موجودة فليكن الحكم الثالث من الحكومة، ثم يكون اتباع حكم التحكيم واجبا عليها. و إن لم يحبا لكن مصلحة البيت تقتضي عدم الإجبار على ما لا يحبون، فلذلك لم يأمر الله بالحكم الثالث، بل اكتفى بالحكمين. و بالحكمين ليس يواجب أن يحصل التوفيق، إن[465] اختلفت الحكمان فليس للتوفيق سبيل. و ليس الغرض من ذلك التحكيم التوفيق ألبتة، بل إن أمكن فليوفق. هذه غاية ما سعى الله في التوفيق. فإذا لم يتفقا فالافتراق لا بأس فيه. فحاصل المسألة أن الحكمين ليس يراد منهما التوفيق البتة.[466]

---

[463] في ن ح "آتاهم".

[464] في ن ح بزيادة هذه الحكاية: " **حكاية:** نحن أقمنا في البلد الحرام أنا و إبن أخي فقط. ليس معنا إمرأة سنين كثيرة و أيام طويلة. وكان عندنا بعض الأشياء محفوظة من كتب من بعض وزراء الحكومات، خاصة لنا في الحقوق السياسة من خواتيم لمصالح مخصوصة من جوازات السفر. كل شئ منها نهتم بكل قوتنا في حفظها، و لا نعتمد على أحد حتى نجعلها محفوظة عنده. لأنا نعلم أن إنكار ذلك سهل. فأتي إلينا رجل كان يقرء علينا من الهند و جالسنا في البيت، و عرف أين نحفظ المحفوظات. و كنا نصلى صلوة المغرب و العشاء في الحرم، نترك الحجرة خالية و إلا فبعض الأحيان أنا أكون في الحجرة. فتعين ذلك الرجل الوقت و سرق منا كل شي. ثم أوصلها إلى الحكومة التي تستجلب مثل هذه الأشياء منا. فلما ابتلينا بذلك عرفنا أن من الحكمة أن يكون بعض أركان الاجتماع دائما يقيم في البيت لحفظ ما في اليد."

[465] في ن ح "إذا اختلفت"

[466] في ن ح بعدها بزيادة التنبيه: " **تنبيه:** فالذين قاسوا على ذلك مسألة الخلافة أخطاؤا. فإن تحصيل التوفيق في مسألة الخلافة كان واجبا. فكان ينبغي لهم أن يعينوا ثلاثة من الحكام: الحكمان من الطرفين و الحكم الثالث ممن يتفق عليه.

الفصل الثاني

في بيان الاجتماعية الابتدائية في القرى و نحوها من 36-57 –الآيات– بتعيين الأخلاق الاجتماعية الابتدائية. المسلمون لما تمركزوا في البلاد المتمدنة العالية نسوا بعد أيام و أزمان ما كانوا عليه من الأخلاق في ابتداء رقيهم[467] في الاجتماعية، فلذلك قربوا من الهالكين. يحسبون أنفسهم كأنهم مفرزون عن الاجتماعيات، و في طبقة عالية من الإنسانية. و تلك مغالطة شيطانية لا يرتقي الإنسان إلى الطبقة في الإنسانية إلا و هو فرد من الاجتماعية العامة الصالحة. و حفظ تلك الدرجة لا يتمكن من الإنسان إلا في القرى. [468] و حفظ الأخلاق للاجتماعية المتوسطة فوق البادية دون التمصر و التمدن هو الحياة للإنسانية، نبحث عنها في هذا الفصل. فأولا؛ و تلك الدرجة من الاجتماعية كانوا السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار.

قوله تعالى: "**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (36)**" الغرض منها نفي حكومة الطوائف المتأهلة من الملوك و الفراعنة و الأحبار و الرهبان. فأول أمرهم إنكار جعلهم آلهة. إليه الإشارة "**وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ**" و حصر جميع أنواع السيادة في الله الحق. إليه الإشارة "**وَاعْبُدُوا اللَّهَ**" فإن الإنسان لا يستحق أبدا أن يتحكم على الإنسان.

قوله "**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**" فالمحسنون نموذجهم الوالدان. كل من أحسن إلى أحد يجب عليه أن يقابله بالإحسان مكافيا لإحسانه. هذا مثبت الإنسانية. و إذا قبل الإحسان بدون معاوضة بالتدريج

الطرفان أنه لا يميل إلى أحدهما. فإذا هدم الحكمين ففي صورة اختلاف الحكمين كان الحكم الثالث يرجح، و كان ذلك ممكنا. فإن طائفة المهاجرين و الأنصار كانت على الحياد بين على و معاوية. تم على ذلك الفصل الأول."

[467] في ن ح "ارتقائهم".

[468] في ن ح بزيادة " ملوك بني أمية و خلفائهم ما نسوا اتصالهم بجزيرة العرب، و البوادي فسدت اجتماعياتهم. و تغلب عليهم بالتدريج العجم الإيراني ثم التوراني الذين كانوا تقروا في القرى (اجتمعوا) و الهند من ألوف سنين محافظ ثقافته، لأن نظام القرى ما تبدل في ضمن الانقلابات. و الحنفية استقروا في خراسان، لأنهم ترجموا الفقه إلى الفارسية، و أدخلوها في القرى. فالانقلابات تأتي في الاجتماعيات، و منشأها لايكون إلا من القرى."

يصير عبدا للمحسن. فعلى مثل ذلك يعاملون في المجتمع عامة. إليه الإشارة في "**وَبِذِي الْقُرْبَى**" إحسانا مثل إحسان الوالدين على حسب درجات ذوي القربى. "**وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ**" كان القرآن العظيم اصطلح من التعبير عن ضعفاء القوم باليتامى و المساكين. ثم الإنسان من غير قومه يعامله الإنسان مضطرا. فالمعاملة يلزم أن تكون مثل معاملة قومه. إليه الإشارة "**وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ**" كل من دخل في حدود اجتماعيتنا يجب أن يعاملون بالإحسان على درجة متساوية على اختلاف في الطبقات. توضيح ذلك بمثال: الإنسان يعامل أباه وأولاده الأقربين معاملة مخصوصة في الإحسان. ثم يعامل الإخوة و الأخوات بالإحسان، كلما سنحت لهم حاجة إلى ذلك لا يتخلف على حاجتهم أبدا. و لايجتمع معهم مثل اجتماعه مع آبائه و أولاده في كل حين[469]. فالإخوة و الأخوات يجدون في أنفسهم أن الرجل محسن مثل إحسانه إلى آبائه و أولاده، و إن كان الاختلاف واجبا،[470] فإن ذلك راجع إلى تباعد الإخوة و الأخوات عن منزل الرجل، واختصاصهم بمنازلهم الخاصة لا إلى قصور في الإحسان وقت الحاجة. كذلك الإحسان إلى الأفراد من قومه و الأجانب يجب أن يحسن، أنه متساو بلا فرق. هذا الذي نريده من التساوي، نجعله مشارا إليه في قومه "**وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ**".

أنا متأسف على فساد الطبقة العالية من المسلمين هم لا يخلصون لجارهم بالإحسان إلى الجار الجنب مثل الجار ذي القربى بالحقيقة و إن كان فبالفظ فقط. بذلك خربوا بيوتهم بأيديهم.

"**وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ**" الذين صحبتهم على التصادف، هم أيضا يستحقون الإحسان مثل الوالدين. و لقد مات الذي كانوا يربون أولاد الإسلام على تلك الأخلاق، و إنما دخلت الشياطين في مدارس التعليم، يرجع ذلك إلى تقديم الرأسماليين، و تقديم السلاطين فقط. و هو أساس بطلان الاجتماع كما قرره الإمام في **حجة الله البالغة**.

"**وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**" يعني يجب إليهم الإحسان مثل إحسان الوالدين من الرجال و النساء. والوالدان يخدمون في بيوتنا و يأكلون و يشربون على مقابل الخدمة، و لايقدرون على ملك المال لتأسيس مرافق حياتهم. هؤلاء أيضا يجب علينا معاملتهم بالإحسان مثل الوالدين. و من خالف هذا الأمر سماه

---

[469] في ن ح بزيادة "وآن"

[470] في ن ح "واضحا"

الله "**مُخْتَالًا فَخُورًا**". إلى إحراج مثل ذلك الخبث من اجتماعية الإسلام. وأوصاهم الله في سورة الإسراء في الأمور الأساسية "**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا (37) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (38) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ** ..." يعنى لا تتبدل بتبديل الأعصار و الأمصار في –الآية-36.

و غير مخفي من أهل التدبر أن ذلك الإحسان لا يتصور إلا بقضاء حاجاتهم وقت الضرورة بصرف أموال المحسنين. فالذين يأمرون الناس بالبخل، و يكتمون الأموال في الأرض و تظاهر بالأفلاس و الفقر؛ هؤلاء منكرون لتلك الحكمة التي برعايتها أمر الله بذلك الأمر. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (37)**" هذا الفصل يكون سببا لسلب العزة في الاجتماع.

ثم طائفة ينفقون، لكن لا باقتضاء أخلاق توجب عليهم بل ليمدحهم الناس فعلهم، هذا لايكون لازما بل أن فعلوه مرة، يتركونه أخرى، فلا يحصل للناس اعتماد عليهم. فلا يتحقق التوحد بين الجماعة الذي هو روح الاجتماع. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (38) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (39)**" فالأموال التي ينفقونها بهذا الطريق يجب على المتفكر أن يجعل ذلك مثل المستعمل في جلب الأرباح الكثيرة. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (40)**"

هذا الأمر لا يخفي على الناس في الاجتماع هل يعمل للشهرة و الصيت أو يعمله لتكميله و لأيمانه بالله و اليوم الآخر؟ يحاسبون في ذلك الإنفاق. ويكون الرسول هو الحاكم الفاصل الشاهد عليهم؛ "**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (41)**" فيه إشارة إلى ذلك.

قوله تعالى: "**يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (42)**" هذا نموذج للكفر و الإيمان و وجوب إطاعة الرسول. فالدعوة الإيمانية لتكميل الإنسانية في فضائلها. هذا ما كان في الأخلاق الاجتماعية المتوسطة. فإن تذكر مسألة من شرائع الاجتماعية

المتوسطة فتلك المسألة تتعلق بالطهارة و أداء الصلوات[471] فذلك أول ما يجب على الناس من الشرائع بعد تقيدهم بالأخلاق الإيمانية. فالذين قدموا هذه الشريعة على حكمة الأخلاق التي أمر بها من فقهائنا المتأخرين، فقد حفظ من التحريف.[472]

إذا الإمام أبو حنيفة فسر الفقه "بمعرفة النفس ما لها و ما عليها".[473] فأدخل الحكمة في اصطلاحه في الفقه. فمن أوهم الناس أنه مقلد لأبي حنيفة في الفقه، وأخرج الحكمة من الشريعة أو أخرها فقد حرف كلام الإمام. فتلك المسألة عندي في قوله تعالى: **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (43)"** الصلوة يتلى فيها القرآن، كأنه تذكار الميثاق الذي بينه و بين عبده. فإن معنى الإيمان في التشريع يرجع إلى جعل مرجع الأعمال كلها، هو الكتاب الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله. فالإيمان في الشرع ميثاق و عهد: أن لا يعمل إلا بالكتاب و لا يتركه. فإذا قرأ في الصلوة القرآن العظيم فكأنه تذكر العهد. و هذا لا يتم إلا إذا كان في صحو العقل، ويفهم معنى ما أمره الله به. فلذلك منعوا في حالة السكر أن يقربوا الصلوة. فكان الأمر ظاهرا؛ أن المقصد من القرآن هو فهم أحكامه. فلما كان العرب إذا قرأ القرآن فهم، والعجمي لا يفهم، فصار حكمه حكم السكران. فكل رجل من أهل الإيمان عجمي، لايفهم لغة القرآن، فيجب عليه أن يقرأ في صلوته ترجمته بلغته حتى يعلم ما يقوله. هذا هو حكم الإمام أبي حنيفة و صاحبيه. ليس بينهم اختلاف، لأن العجمي إنما يحتاج إلى الترجمة، إذا كان لم يتعلم العربية. و أما نسبة ذلك أن العجمي إذا كان يعلم العربية أيضا يقرأ بترجمة إلى مثل الإمام أبي حنيفة جهل. فليس من الآئمة الثلاثة اختلاف: أن العجمي إذا كان يفهم العربية يقرأ بالعربية، و إذا كان لا يعرف العربية فليقرأ بلسانه ترجمته حتى يخرج من ذلك النهي **"لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى"** عن مسؤليته.

---

[471] في ن ح "الصلوة"

[472] في ن ح "حصل له حفظ من التحريف".

[473] لينظر: عبدالعزيز البخاري، **كشف الأسرار شرح أصول البزدوي**، مقدمة الكتاب (دار الكتاب الإسلامي) 1: 5.

فمن قصر من العجم من أهل العلم في تعليم قومهم العربية من القرآن بقدر ما تصح به الصلوة و يتعلم معناه بلغاتهم و إن لم يقدروا على أخذ العربية تعلم معناه فهو مؤاخذ في حكم من يكتم ما أنزله الله كما مر في سورة البقرة. و من يجعل تلفظ الكلمات العربية بدون فهم معانيها كافيا في الصلوة، من العرب فقد حرفوا القرآن. بهذا المثال في الاجتماعية المتوسطة يفهم عامة الناس قوة التشريع في الأحكام.

"**وَلَا جُنُبًا**" لاتقربوا الصلوة في محل الاجتماع يعنى المساجد و لا في البيوت "**إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ**" ليس معناه في حالة الجنابة يمر، ويعبر من المسجد من فسر به فقد أخطأ. معنى هذه أن الصلوة جنبا لايجوز إلا للمسافر فقط، فإنه لا يقدر على الاغتسال بعض الأحيان. إليه الإشارة "**حَتَّى تَغْتَسِلُوا**" فاستثناء عابرى السبيل من وجوب الاغتسال. و نظم الآية "**و لا تقربوا الصلوة جنبا حتى تغسلوا إلا عابري سبيل**" فاستنباط جواز العبور من المسجد هو من تلاعب النحاة كائنا من كان. بعد ذلك تفصيل التيمم. وشرح ذلك في **المسوى** و **المصفى**.[474]

فالتصرف في التشريع بمثل ذلك مثل ما نسبنا إلى العجم و العرب. كان معمولا في بني اسرائيل في كتابهم. في الآيات "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (44) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (45) مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (47)**" بيان ذلك. و إنذار للمسلمين أن لايعملوا مثل عمل اليهود في كتابهم. "**أَلَمْ تَرَ... مِنَ الَّذِينَ هَادُوا**" يعنى يريدون أن تتبعوهم فيما يعملون في كتابهم من التحريف. لاتتبعوهم، اتبعوا شرعكم و لا تحرفوه.[475]

---

[474] لينظر: الشاه ولي الله، **المسوى شرح الموطا**، كتاب الصلوة، باب: وجوب الوضوء و الغسل و التيمم لمن أراد الصلاة و هو محدث أو جنب (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية) 1: 68.

[475] في ن ح بزيادة "و لاتحرفوه"

"**يُحَرِّفُونَ ... مَفْعُولًا**" هذا تهديد على التحريف، من اعتاد التحريف فيما أنزله الله يطمس الله وجوههم. يريدون الارتجاع، إليه الإشارة "**فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا**" أو يلحقون بالبهائم بغلبة الفواحش فيهم. هذا رجوع إلى الحيوانية. و حياة علمائهم و زهادهم راجع إلى التقهقر. كل ذلك نتيجة التحريف.

بعد ذلك يأتي درجة الشرك: قبول حكم غير الله بمنزلة حكمه ذلك الجرم لا يغفر أبدا. هذا نتيجة بعد نتيجة، و التهاون و التحريف قبلها.[476] إليه الإشارة "**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48)**"

بعد ذلك في الشرك و قبول حكم غير كتاب الله يأتي فيهم القبائح على صورة أخرى: 1- مع قبولهم حكم غير الله يجعلون أنفسهم من الذين يستحقون النجاة بحكم كتاب الله. هذا افتراء عظيم. كتاب الله لايضمن النجاة لمن لم يؤمن به. إليه الإشارة في قوله تعالى: " **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (49) انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا (50)**"

2- أنهم يتركون الكتاب و يتوجهون إلى أعمال السحر و السحر رائج عند الصابئة، ويرجحونهم على الحنفاء الذين يريدون أحياء ملة إبراهيم. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (51) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (52)**".

3- أنهم يحصرون التقدم في السياسيات لحزبهم، و لايجوزنه لغيرهم.[477] و كله في التخيل فقط، و لذلك لا يقرؤن لأحد أنه يعلم شيئا من الحق. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (53) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (54)**" هذا تخيل باطل. أنا ما قدرت على فهم تلك الآيات إلا لمشاهدتي لتلك الأصناف في علماء الإسلام. حكمت بعده أن اليهود كانوا مثله.[478] أشار

---

[476] في ن ح "هذا نتيجة بعد نتيجة التحريف و التهاون"

[477] في ن ح "و لايجعلون ذلك جائزا لغيرهم"

[478] في ن ح "مثل ذلك"

القرآن إلى رد تخيلهم "**فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ ... عَظِيمًا**" فالذين يعملون بالحكمة النازلة في القرآن و الشريعة المعزاة في الكتاب على وجهها و عدهم بالملك العظيم. من آمن بذلك يفوز و من صد عنه يفشل. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (55) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (56)**"

الفصل الثالث على الاجتماعية المتوسطة: الحكومة الصالحة تتولد من الاجتماعية الصالحة. فالحكمة في الحكم حفظ الأمانة والحكم بالعدل. الاجتماعية تستوجب المعاملات و الاشتراكات، فروح المعاملات هو الحفظ على أداء الأمانة. و إذا حصل خصام فلا يكون في الحكم ميل إلى أحد الخصمين، فالحاكم إذا عرفه من الحق يحكم به. فإن كان في إدراكه خطأ فلا بأس به، لكن إذا مال إلى أحد الخصمين فقد خرج من العدل. إلى هذه الحكمة أشار "**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58)**"

فالشريعة التي تتمثل على تلك الحكمة أي الأمانة و العدل هي التي أتى بها النبي عليه السلام من الله تعالى فلذلك أمروا باتباعها في قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59)**".

"**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**" تلك شريعة محققة. "**وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**" تلك شريعة مستنبطة نسميها بإصلاح عصرنا القانون الثانوي و اللغة الانجليزية[479] (بائي لاز). كل رجل يفوض إليه تفويض القانون بجعل تسهيل شركائه في التنفيذ في العمال قانونا للتنفيذ. هذا القانون و إنما يتبدل بتبديل أولى الأمر. في الكتاب أمر باتباع نص الكتاب و أمر باتباع ما استنبطه أولو الأمر. ثم تصريح بترتيب القانونين في الدرجة. الأول يقدم على الثانية عند ظهور الاختلاف. إليه الإشارة "**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ ...**".

[479] في ن ح "التعبير الانجليزي"

غير كتاب الله عند كل قوم من المتدينين الحنفاء هو طاغوتهم. فالقرآن يأمر أهل التوراة باتباعها و أهل الإنجيل باتباعه، ثم يأمرهم بالاجتماع مع أهل القرآن. فإذا كان اختلاف يقدم حكم القرآن، لأنهم هم القائمون بالسياسة العالمية. فالقرآن لايأمرهم بترك كتابهم، و منهم من يأمرهم بترك كتابهم. و قد جهل من أهل الكلام من يأمر أهل الكتاب بترك الكتاب كله. هم لم يقدروا الاجتماع العالمي حق قدره .

في-الآية- 60 إشارة إلى أن الذي يزعمون أنهم آئمة الدعوة العمومية من اليهود يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت فقوله: **"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (60)"** دليل أن هؤلاء من أهل الكتاب سلموا أن القرآن الكريم العظيم يدعوا إلى ما دعا إليه الكتب المتقدمة، لذلك هم آمنوا بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك. فلو كان القرآن أمرهم بترك كتبهم كيف يتحقق أنهم يؤمنون بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك، لكن الأمر كان على ما نبهنا عليه.[480]

والذي تفرست به و اطمئن قلبي؛ أن المراد من الطاغوت هو الدعوة إلى اتباع القيصرية الرومية التاركة كتاب الله.[481] و إني فهمت ذلك بالتجربة إلى دعوة الاتباع لبعض سلاطين المسلمين، و هم ما كانوا على تقديم القرآن في السياسيات. فكانت دعوتنا في الظاهر إلى اتباع الدين و استحكامه. و في المعنى بواسطة ذلك السلطان إلى ترك الكتاب. لا أريد التجاهر في تلك التجربة. أما بعد ما طالعنا انقلاب أوربا الاجتماعي وقفت على ما عملنا الغلط. هذا كان من أهل الكتاب رجال يوافقون المسلمين. إن كل أهل الكتاب يعمل بكتابه و يجتمعون فيما بينهم، لكن هؤلاء ما كانوا يريدون بعد الاجتماع التحاكم إلى حكم الله المتفق عليه في تلك الكتب. مرادنا أن المسلمين كما أمروا برد المستنبط إلى المنصوص وقت الاختلاف كذلك في الاجتماع العالمي. إذا اجتمع أهل الكتاب يتحقق صورة مثل ذلك بعض المسائل تكون متفقا عليها في جميع الكتب على السواء و بعضها تكون كل الكتب تختلف فيها عن الآخر. فإن وقع الاختلاف بين الفصل الأول و الثاني، فمن كان يريد التحاكم إلى الله يقدم كلما اتفق عليه الكتب

[480] بعده في ن ح بزيادة "نحن بحمد ربنا فهمنا الأمر بواسطة الإمام ولي الله جزاه الله خيرا. نحن نعترف أيضا بأنا لا نعمل بالكتاب، لكننا بحمد الله نؤمن به كله. و لانجد فيه اختلافا واضطرابا. هؤلاء كانوا يزعمون فقط، و كانوا يريدون أن يتركوا الكتب الإلهية كلها، و أن يتحاكموا إلى الطاغوت."

[481] في ن ح "لكتاب الله"

الإلهية كلها على الاختلافيات. و تلك هي الدعوة القرآنية. و من يجعل في صورة الاختلاف بعض المسائل من الفصل الثاني الموافقة لآراء الملوك والسلاطين يقدمه على المسائل المتفق عليها في الكتب الإلهية. هو في الحقيقة يريد التحاكم إلى الطاغوت.

فالمسلمون ببركة اتباع القرآن لا يغلطون في فهم تلك المسألة. والنبي هو الإمام في الدعوة الحقة في ذلك. فلو كان هؤلاء من أهل الكتاب صادقين لاتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم، لكنهم منافقون. ثم إذ أصروا على اتباع الطاغوت بالجهل و رأوا ضرره يندمون في الجملة. إذ ذلك إشارة في قوله تعالى: "**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (61) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (62) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (63)**" غلط المفسرون في تعيين[482] مقاصد المنافقين و المشركين في الوقائع الجزئية الحادثة في الحجاز في مكة أو المدينة. و لا ينظرون إلى مرمى تلك الواقعات في اتصالها بالأكاسرة و القياصرة، وجعلوا القرآن في نظر عامة الناس كتابا مخصوصا للعرب. و من نظريات العامة تأثر في عصرنا شبان المسلمين. و إثم كل ذلك يرجع إلى تخصيص الآيات و الواقعات الجزئية الشخصية. **الفوز الكبير** أحسن داع إلى النجاة من تلك المخمصة.

ثم في قوله تعالى: "**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (64) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65)**" تصريح بدرجة القرآن في الاتصال بأهل الكتاب و بالاجتماع بهم. "**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ**" نفهم من إشارة أن من آمن برسوله ينبغي له السعي في أن يتبعه من لا يتبعه دائما.

و غرض إرسال رسول هو أن يطاع بإذن الله. فالسكوت عن دعوته إلى الإطاعة كأنه جهل بمنصب الرسالة. "**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا**" إشارة إلى أن الخطأ في الابتداء لا يمنع الرجوع في الانتهاء. فلا يكون الداعي مكتفيا بدعوته الأولى فقط. وهذا الاجتهاد تركه المسلمون بتأثير من أهل الكلام. "**وَاسْتَغْفَرَ**

[482] في ن ح "المفسرون منا قد غلطوا في تعيين"

لَهُمُ الرَّسُولُ" هذا في الظاهر مختص بحياة النبي صلى الله عليه وسلم. و إذا علمنا في الروايات أن الأعمال تعرض للرسول في الملأ الأعلى، وطبيعة الملأ الأعلى هو الاستغفار لمن يريد الحق. يكون الحكم عاما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أيضا. و ليس معناه أنهم يحضرون إلى مسجده و إلى قبره، هذا تكليف لما لا يطاق في كل وقت.

"**فَلَا وَرَبِّكَ...فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**" يعنى أهل الكتاب، لأنك تعرف الاختلاف. إنما تدعوا إلى ما اجتمعت عليه الكتب الإلهية فقط. فتقديمك و تسليم حكمك فرض عليهم، و ذلك لا يختص لأهل النفاق من أهل الكتاب بل من حصل في قلبه عظمة شئ غير كتاب الله لأن يتبعه من المسلمين أيضا يدخل في حكم أهل الكتاب. و لو قدموا النبي و سلموا حكمه و إن كان بالقتل في قتال المخالفين أو الهجرة من الأوطان إلى جهاد المخالفين فاتبعوه. علمنا أنهم قدموا النبي صلى الله عليه وسلم، و أما بدون ذلك فلا.

الحاصل أن اتباع القرآن و الإيمان بالنبي و تحكيمه على أنفسهم لا يتم إلا إذا قبلوا حكمه في الهجرة و الجهاد. فتنظم بذلك حكومة قرآنية، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (66)**" و بذلك يتم ما أراده الله من إنزال القرآن، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (67) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (68) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (70)** ".

الفصل الرابع: في الدعوة إلى القتال و الهجرة و ليس فيه شئ أشكل منها. قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا (71) وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (72) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (73)**" قال الإمام في فتح الرحمان "اى مسلمانان بگيريد سلاح خود را، پس بيرون رويد گروه گروه شده يا بيرون رويد همه جمع

آمده"[483] هذا يدل على استمرار الأمر و العمل. فلو كان اجتماع الجماعة كلها فرضا ما قدروا على استمراره. فالمسلمون يجتمعون طائفة منهم على أصول الحزبية في حزب الله ليجاهدوا و يقاتلوا لنصرة السياسة القرآنية. فإذا كان هذا العمل عاما في المسلمين يبقي عزم الجهاد حيا فيهم. و إذا جعلوا ذلك بأجرة يأخذونها من السلاطين يبطل المقصد. فتعميم عزم الجهاد و القتال في كل فرد من المسلمين من ذكر أو أنثى هو لازم ذلك الحكم.[484]

قوله تعالى: "**فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (74)**" فليقاتل ترجمة الآية على حكمة الإمام الذين يبيعون[485] المرا فق الدنيوية لتكميل الأخلاق على فطرة القرآن. فالأخلاق التي يؤمر بها المؤمن دائما تكون حاكمة على حياته. وإذا رأى ثلمة فيها يبيع[486] جميع مرافق حياته لتلك الثلمة. إليه الإشارة "**وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**" لأن عمله ليس للتغلب في المرافق.

قوله تعالى: "**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (75)**" يعني يدعونكم إلى القتال أو دفع الظلم عن الضعفاء يكون هو الباعث للقتال في سبيل الله.

قوله تعالى: "**الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (76)**" يعني لدفع الظلم عن الضعفاء على حكم نظام القرآن الذي هو خلاصة الكتب الإلهية كلها. "**وَالَّذِينَ كَفَرُوا**" يعني الفرعونية أو السلطان غير مسؤول

---

[483] لينظر: ولي الله، **فتح الرحمان بترجمة القرآن**، النساء: 71، ص89.

[484] بعده في ن ح بزيادة " و تلك المسائل التي أدهشت أهل عصرنا من المسلمين في الاجتماعيات في حق الرجال و النساء، كل ذلك قد نشأ بترك عزمهم للجهاد. فإذا كان المسلمون و المسلمات كلهم يقومون بذلك الأمر: فلا إمكان لشئ من تلك التشويشات. وليجعل القاري المؤمن بالقرآن. كل قوة تمنعه عن ذلك قوة نفاقية. قوة المنافقين كانوا ملوكا أو رهبانا أو أحرارا كلهم من المنافقين."

[485] في ن ح "يتبعون"

[486] في ن ح "يتبع"

و مقدس، و بإسم كل المظالم هذا هو الطاغوت. فالمسلمون كانوا أجمعوا كل قوتهم لقتال كسرى و قيصر، و تلك الملوكية الغربية أو إليابانية كلها على معنى واحد، اتخذوهم إله.[487] **"فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ"** تلك الحكومة مثلها هو الشيطان، إذا كانت الحكومة طاغوتية ظالمة.

قوله تعالى: "**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (77) أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78)**"كانت طائفة تريد القتال لما لم يؤمروا به، وكانوا أمرو بالتهيأ، فكان قيل لهم "**كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ**". "**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**" أي أجمعوا قوتكم الجهادية بجمع الرجال و الأموال، فكأنهم تثقل عليهم هذا التأخر. "**فَلَمَّا كُتِبَ**..." هكذا يكون المفرطون في العمل يحتاجون و يرجعون إلى التفريط "**وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ ... مُشَيَّدَةٍ**". "**وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ**" إذا حصل لهم فتح يحمدون ربهم. "**وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ**" ينسبون ما حصل لهم من الانكسار و بعض الأحيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حيث أنه أمير. و ذلك فهم فاسد يفسد الجيش. كل فرد من جنود الله إذا رأى انكسارا فليرجعوا إلى النظر في أعمالهم[488] و في تعيين الغلط الذي أوقعهم في هذا الفساد.

أما عدم التدبر و عدم التحقيق و نسبة كل نقصان إلى الأمير، فنقص و فساد في الجندية نبهوا عليه إن كانوا يرون. هذا الانكسار غلط باعتبار الاجتماعيات العالمية، هذا غلط.

الاجتماعية العالمية باعتبار نظامها توجب ذلك، فإنكم تركتم النظام الذي يقتضيه العالمية. فإذا كنتم فائزين مع ترك ذلك النظام تكون اقتضاء العالمية باطلة. و اقتضاء العالمية قد تقرر في حظيرة القدس بأمر الله. فالانكسار الذي حصل باقتضاء تلك العالمية يكون مما قضى به الملأ الأعلى في حظيرة القدس. يكون من عند الله. فإن كان الإلزام الذي يلزم عليكم يرتفع نسبته ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم

---

[487] بعده في ن بزيادة " قد علم الناس قريبا أن رجلا من بيت ملوك أنجليز كان يميل إلى نصرة الضعفاء في سلطنتهم فجعلوه معزولا عن الملك."

[488] في ن ح "فليرجعوا في النظر إلى أعمالهم".

فانسبوه إلى الله. فإن ذلك جائز بلسان حظيرة القدس لكن لا يرتفع بشئ من ذلك الإلزام الذي هو ناشئ منكم. إليه الإشارة "**وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ**" يعنى دفع الإلزام عنهم. "**قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**" لأن ذلك تابع لقضاء نزل إلى حظيرة القدس. فنسبته واقعة إلى أسبابها إلى الله لا ترفع و لا تنفع لرفع نقص ناقص من الأسباب القريبة.

"**فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ**..." إليه الإشارة في –الآية– 74 تنبيه لهم بما يرجع إلى أنفسهم، "**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (79)**" للنبي حيثيتان: 1– أمير على الجهاد من ربه.[489] 2– رسول لتبليغ أمر الله من وجه. فلا تخلطوا إحدى الجهتين بالأخرى. الأمير إذا استشاركم، ثم وقع الانكسار، فنسبة ذلك إلى الأمير لا تنفعكم. تحققون الفساد الذي كان في تدبيركم منكم، فإن الأمير في بعض الأوقات يراعي رعايتكم، فهو رحيم بكم إذا وافق رأيكم للتعليم. فإنكم بعد ما أدركتم نتيجة من الانكسار تفهمون ضرر ذلك الرأي بالتحقيق. تتركون ذلك الرأي طول عمركم. فلو كان الرسول صرح لكم بما هو يعلم من حظيرة القدس و يجبركم عليه؛ فإن حصل لكم فتح لكن لا تتعلمون شيئا، وتكونون أنقص من الأول. فإن كان الرسول سكت عن إجباركم رحمة بكم لتتعلموا، فلا تنسبوا ذلك القصور إلا إلى أنفسكم، و الرسول أعلى رتبة منكم كما لاتنسبون ذلك القصور إلى الله، كذلك تعظمون رسول الله فإنه جامع للرتبتين: 1– رسول الله. 2– يعلمكم العمل بأحكام الله حتى تستقلوا بصيرة على العمل بكتاب الله. "**وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا**" إشارة إلى هذا.

وبعد ذلك في قوله تعالى: "**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (80)**" تنبيه على إطاعة الرسول و عدم المنازعة مثل ترك المنازعة مع الله.

قوله تعالى: "**وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (81)**" يعنى في حضور النبي يؤمنون بحكمه و بعده يغيرونه. هذا ليس من الإطاعة في شئ. مثل ذلك الأمر إنما يحدث بإظهار الإطاعة قبل

---

[489] في ن ح "من وجه" دون "ربه".

الفهم. يفهمون و بعد يخالفونه، هذا يوجب عليهم[490] أنهم لا يظهرون قولهم "**طَاعَةٌ**" إلا بعد فهم الحكم تاما. فالذين يخالفون الأمر لاينسب عملهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم. بعض الأوقات الانكسار يحصل بسبب ذلك. كيف يجوز لهم نسبة ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ إليه الإشارة "**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ**..." يجب عليهم التدبر في أحكام الرسول. لو أغفلوا في ذلك يغفلون بمثله عن تدبر القرآن. يظهر لهم الاختلاف في الحكم و يقع شك منهم في الكتاب. فالواجب أن يتدبروا في أحكام الرسول و في أحكام أولى الأمر فليحفظوا أصل الحكم. وليقيسوا عليه عمله، فإذا غلطوا في العمل فلا ينسبون الغلط إلى الأمر. ثم كذلك يعملون في القرآن: يتدبرون في أحكامه حتى يرتفع عنهم الاختلاف. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** (82)".

الفصل الخامس: في بيان الحاجة الى جماعة مركزية لرفع النزاع بين الجنود

"وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (83)"

هذا من جبلة العامة الذين يؤخذ[491] منهم الجنود و قد ذكرنا بإيجاب الجهاد و على كل فرد من المسلمين. فجعل كل مؤمن جنديا. هذا من جبلتهم و عادتهم. و الدعاية في جند المخالفين هي أكبر من المدافع و من كل سلاح. فإذا كانوا على ملك البساطة يتأثرون من كل دعاية. فإعلاج هذا ضروري. "**وَلَوْ رَدُّوهُ ...مِنْهُمْ**" و علاج ذلك ليس إلا أنهم يرجعون في كل ذلك إلى أولى الأمر منهم. فهم يكون رجال يستنبطون الحقيقة.

أولو الأمر طبقتان: 1- جماعة تستنبط. 2- أخرى تدبر الأمر. هم يعاملون الرسول، يعاونونه، فإن كان النبي حاضرا فالرد إليه، و إلا فإلى أولى الأمر منهم. فرفع الاختلاف من بينهم و عدم تأثرهم من دعايات المخالفين يستوجبان تنظيم جماعة مركزية تحت أمر الرسول. هذا التنظيم و هذه الإشارة فضل من الله "**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ ...قَلِيلًا**"

[490] في ن ح "لهم" دون "عليهم"

[491] في ن ح "التي تؤخذ".

وفي قوله تعالى: "**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا** (**84**)" طريقة تنظيم تلك الجماعة مذكورة. النبي لا يوجب القتال في سبيل الله قطعا إلا على نفسه فقط، والآخرون الذين يحبون النبي و لا يتركونه، يذهب وحده إلى المعركة لا يوجب عليهم بل يحرضهم، يعلمهم حكمة القتال. من ذلك تكون تلك الجماعة. أما إذا وجب من أولى الأمر قطعا لا دخل لهم في التفكر. فالجماعة المركزية لاتقوم و لا تحدث أبدا. إليه الإشارة "**فَقَاتِلْ** ... " نتيجة هذا التعليم هم يقومون بمحاربة الأعداء على عزم منه، إليه الإشارة "**عَسَى اللَّهُ**..." حرب الكفار لا ينتهي إلا بذلك. وليس المقصد الدفاع فقط، بل الهجوم وتهذيب الأعداء. فالجماعة المركزية ضروري أن تكون متينة قوية لا يؤثر فيها شئ. إليه الإشارة في "**وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا** ...". تلك الجماعة يلزم أن تكون لها وجاهة عند النبي، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا** (**85**)" تقبل شفاعة تلك الجماعة بتساوي مع عامة الجنود حتى يكون لها تأثيرا، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا** (**86**)" و لايتحكم الجماعة على الجنود بل الحكم لله، والكل عباد الله. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا** (**87**)" .

من 88-91 –الآيات– بيان ضرورة تلك الجماعة، إذ لو لم تكن هذه الجماعة فالأمور لا ينتظم أبدا.[492] الكفار على قسمين: 1- أشداء في العداوة، يظهرون البغض في أفواهم. أمر هؤلاء أسهل، إما بصلح و إما بحرب. 2- المتملقون يخفون العداوة، ويظهرون المودة و المحبة، إذا كانت المعاملة معهم، يختلف الآراء، و في الجماعة لزوما يفسد الأمر بهذا.

فقوله: "**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا** (**88**)" تصريح أن المراد من المنافق عدو يتملق. هذا خلاف عامة المفسرين، هذا التحقيق في **فتح الرحمان**[493] و في **المسوى** و **المصفى** تاما. قال في المسوى و الظاهر عندي أن المنافقين في هذه الآية محمول على معناه اللغوي؛ أعني من يكون له وجهان: يأتي هؤلاء

---

[492] في ن ح "إن لم تكن هذه الجماعة"

[493] "پس چیست ای مسلمانان شما را؟ در باب تملق کنندگان دو گرو شدید؟" لينظر: ولي الله، **فتح الرحمان**، ص92.

بوجه و هؤلاء بوجه. والمراد ههنا قوم من الكفار يأتون المسلمين فيستمعونهم، ثم يأتون الكفار فيصرونهم و يعاونونهم؛ يعني ما كان ينبغي للمسلمين أن يتخلفوا في أمر هؤلاء الكافرين الذين يطلبون الأمان بل كان ينبغي لهم أن يجتهدوا في أمرهم حتى يجتمع رأي المؤمنين على شئ واحد.

واستنبطنا من هذه الآيات الحاجة إلى الجماعة المركزية. تلك الكلمة نستعملها بعد مطالعتنا الانقلاب، و أما قبل ذلك فكنا نسميها مجلس الشورى بترجمة من المسوى، استفدنا هذا. قال في باب أبيحت المخادعة مع ملوك الكفار و قبائلهم إذا إجتهد الإمام و ذو الرأي من المسلمين، فعزموا لنفع المسلمين في ذلك، و لم يخافوا من الكفار مكيدة.

ثم قال الله: "**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (88) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (89) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (90) سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (91)**" و المشهور عند عامة المفسرين من قول زيد بن ثابت أن الآية نزلت في منافقين فروا يوم أحد.[494] والإمام يؤول هذه الرواية: أن حكم هؤلاء المنافقين علم من هذه الآية على طريق المقايسة، في الآيات تصريح بأنهم كفار. فقول الإمام أقوى و أظهر إذا كانت الآيات مرتبطة. و أما إذا جعلنا "**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ...**" منفردة عما بعدها يمكن حمله على المنافقين.

---

[494] عن زيد بن ثابت: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى أحد، فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين: فرقة تقول: نقتلهم. وفرقة تقول: لا (1) فأنزل الله: {فما لكم في المنافقين فئتين} فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنها طيبة، وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة". ولينظر: أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، مسند الأنصار (بيروت، مؤسسة الرسالة) المحقق: شعيب الأرنوط، 35: 477.

تعجبنا أول مرة لما قرأنا ترجمة الباب في **المسوى** "هل يجب أن يكون مع النبي أيضا ذو الرأي" فلما أسلمنا و شرعنا في التحقيق؛ رأينا عامة تعاليم القرآن مصرحة أو مشيرة إلي ذلك. والمتكلمون إذا أخذوا القرآن يفسرون، فهم لا يعرفون إلا النبي صلى الله عليه وسلم و معجزاته، أو المخاصمة في آيات الصفات مع المكابرين. والحكمة العملية الموجبة للجهاد و التظيم فليس عند المفسرين كلمة متحققة. فالأثر الذي يحركونه[495] في ذهن الناس؛ أن القرآن لم يكن يعمل به إلا النبي صلى الله عليه وسلم، و أن القرآن ليس تعليما اجتماعيا. فالمسلمون ينظرون في إقامة القرآن إلى السماء فقط. و قد بطل كل اجتماعيتهم، و الكفار الذين غلبوا عليهم نظموا أنفسهم، ثم تغلبوا على المسلمين، و ليس عندهم مثل القرآن شئ يهديهم إلى التنظيم. لكن المسلمين لا يتدبرون القرآن و لا ينظرون إلى كلام من تدبر فيه.

وأرى[496] بعد كل ذلك أن الإمام في جميع كتبه يجعل بعد النبي صلى الله عليه وسلم كل القوة مفوضة إلى ذوي الرأي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين يعبر عنهم القرآن بالسابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار. فاستقام لنا إحداث الانقلاب في ذهنية طلبة العلم. إن الإمام ولي الله يأتي بأشياء تحقيقية في القرآن لا توجد في التفاسير؛ لا الررازي،[497] و لا البيضاوي،[498] و لاالكشاف، فتنبه الطلبة. و ما كنا نرجوا ذلك، فتغير الرأي في حق المسلمين من اليأس، أن فيهم استعدادا كاملا، لكنه مختف تحت الرماد.

فتأكد بعد ذلك العزمان: العزم الأول هو التدبر في القرآن بواسطة الراسخين في العلم. و هو الإمام ولي الله سهل على المسلمين. و القوة العالية الصحيحة مستترة موجودة في جماعات المسلمين. و

---

[495] في ن ح "تركوه"

[496] في ن ح "رأينا"

[497] محمد بن عمر بن الحسن ، أبو عبد الله، فخر الدين الرازيّ: الإمام المفسر، وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري في سنة 544هـ، وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الريّ) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة في سنة 606هـ. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، و له تواليف في شتى مجالات العلمية و منها **مفاتيح الغيب** ، **المحصول في علم الأصول**، **المطالب العالية**. لينظر: الزركلي، **الأعلام**، 6: 312-313.

[498] عبد الله بن عمر، أبو سعيد، أو أبو الخير، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة. ولد في المدينة البيضاء (بفارس – قرب شيراز) وولي قضاء شيراز مدة. وصرف عن القضاء، فرحل إلى تبريز فتوفي فيها سنة 685 هـ.
من تصانيفه " **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**" و "**طوالع الأنوار**" في التوحيد، و "**منهاج الوصول إلى علم الأصول**" و غيرها. لينظر: الزركلي، **الأعلام**، 4: 110-111.

قد تأيد الفكر الذي استنبطناه بأن الحاجة إلى وجود الجماعة المركزية تظهر ضرورتها عند عامة الناس في أيام الحرب و في تلك الآيات أشارة الله إليه و كان في الأول ذكر "**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ**" فنجعلنا الباب كله واحد.

بعد ذلك تحريم قتال المسلمين فيما بينهم "**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (92)**" ثم ذكر أحكام الديات و غيرها.

في قوله تعالى: "**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (93)**" قد اختلف المفسرون في ثبوت الخلود في جهنم للمؤمن القاتل. هذا بسبب تعيين نظرياتهم؛ أن الخلود مختص بالكافرين فقط، و أنهم لا يرجون لهم نجاة أبدا.، و نجاة المؤمنين عندهم قطعية. و نحن لانسلم تلك النظريات. خلود المؤمن لا يكون مثل خلود الكفار، و خلود الكفار أيضا ليس معناه أنه يئس من رحمة الله بالمرة. و قد أوضحنا المسألة فيما قبل، فلا حاجة لنا في تقليدهم.

في قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (94)**" بيان عدم التثبت في تبين المؤمن حرام، لأنه يكون ذريعة إلى قتل المؤمن خطأ. فقتال المومنين حرام، نجعل ذلك من نتائج القوة المركزية الناظمة للمسلمين و إلا فلا يقدرون على دفع القتال فيما بينهم.

فاتسقت الآيات في الباب من 95- 104 –الآيات– استعداد و تهيئة لقتال الأعداء و الكفار. و ذلك لا يمكن إلا بعد تعيين قوة المركزية، فإن تنظيم القوم على القتال ليس بسهل، إنما تتأتى النتائج على قدر متانة القوة المركزية. جعلنا تلك الأحكام أيضا ملتصقة بذكر الباب.

في قوله تعالى: "**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (95)**" تقسيم المؤمنين: إلى القاعدين و المجاهدين. فإن كل القوم لا ينفر، فالذين ينفرون هم أفضل من القاعدين. و جاء في ضمن الآيات "**وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى**" جعل الإمام ولي الله تلك الآية في باب؛ إذا كان الكفار مستقرين في بلادهم فالجهاد فرض على الكفاية، إن قام به البعض سقط الحرج عن الباقين. و إذا قصدوا هم بلادنا و استنفر الإمام المسلمين وجب على الأعيان. و قال في شرح "**وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى**" يدل على أنه فرض على الكفاية، لو كان فرضا على الأعيان لما وعد تاركه الحسنى.

و عندنا لاشتراك القاعدين في الفضيلة وجهة أخرى. هم يمدون المقاتلين بالأرزاق و بالرجال فاشتركوا في الفضيلة. فإن القرآن أسقط عن الأعمى و الأعرج الغزو بشرط إذا نصحوا لله و رسوله. فبث أخبار الخير للمسلمين و رد دعاية الكفار، كأنه فرض عليهم داخل في النصيحة لله. فأصحاب المال و أصحاب الصحة كيف وعدهم الله الحسنى بدون شرط؟ النصح للمسلمين و فرض عليهم أيضا. هم الذين يقدرون على تنظيم المملكة و على عدم وقوع الخصومة في القوم حتى يصل إلى المجاهدين مدد من مال و رجال. هذا واضح عندنا من يطالع مصالح الحرب و حاجاتها. فمن شرط على المفسر أن يكون فيه ملكة في الكلام فليجعل على المفسر مطالعة للمصالح الاجتماعية. لكن أفكار أهل الإسلام قد انحرفت عن فهم الاجتماعيات بسبب سوء صنيع المتكلمين. فقوله تعالى: "**دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (96)**" تتعلق بها.

قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (99) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (100)**" دعوة إلى الهجرة إلى مركز الجهاد. فالهجرة تكون لمعنيين: 1- أما مركز متعين للجماعة المركزية، هم يدعون الناس إليهم. 2- و أما يخرج رجال المركز و أتباعهم

لتعين مركز. فالهجرة الثانية لا تصلح إلا قريبا من ديارهم حتى يتمكنوا من الجهاد على المتغلبين. هذا كله وضح لنا من عم أصحاب عبد العزيز. و أما الدعوة إلى المركز الإسلامية فإنما تقوم بها جماعة مركزية متمكنة في المركز.

مسألة: و تعليم الشرعيات أهم أمور الصلوة. هي مركز العقائد، مركز الأخلاق. و الفقهاء و الزهاد اعتنوا بها أشد الاعتناء. و بعض الناس اشتغالهم في الصلوة يمنعهم عن الهجرة و الجهاد. هذا رأينا،[499] في زماننا جماعة من أهل الصلاح جلست في المساجد، تذكر الله و تقيم الصلوات، و جماعة منهم أيضا جلسوا في مدرسة يعلمون الناس مسائل الصلوة، هم يحسبون أنهم على أحسن الأعمال. و لا نشك في ذلك، لكن إذا جاءهم الدعوة من الجماعة المركزية للهجرة والجهاد منعوا عن ذلك بسبب اشتغالهم بالصلوات. هذا[500] من ضعفهم. هو غلط في نظرنا إذا تدبرنا في قوله تعالى من 101-103 –الآيات– . ذكر الله في "**وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا (101)**" إذا تعارض أمر الجهاد و أمر الصلوة، فأمر الجهاد مقدم، و القصر في الصلوة لاجناح عليه. هكذا في "**وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (102)**" ذكر صلوة الخوف. تقديم الجهاد على الصلوة يظهر تمام الظهور. و في "**فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (103)**" أمر بالذكر قياما و قعودا و على جنوبكم بعد قضاء صلوة الخوف. معنى ذلك عندنا أن صورة الصلوة صارت مقصودة، لكن ذكر الله مع التقيد بالحالات واجب بعد أداء صلوة الخوف أيضا، فإن الرخصة في الشرائع إنما ترجع إلى التشريع و صورة العمل لا إلى المعنى المراد من ذكر العمل.

---

[499] في ن ح "في بلادنا" قبل "في زماننا".

[500] في ن ح بزيادة "الذي نراه" بعد "هذا"

فمن ظن أن الجهاد و السفر يجعلنا عن الصلوة بعيدين فلذلك لا يتوجه إليه، هو لم يفهم حقيقة الأمر. فإن معنى الصلوة قائم على حاله، فاستنبطنا بتلك الآيات أن عمل الزهاد و الفقهاء غلط في زمن الحرب، إنما يستقبح ذلك حال الأمن فقط. إليه الإشارة في آخر الآية "**فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ... مَوْقُوتًا**".

تعمير المساجد و المدارس لا يكون إلا في حال الأمن فقط. و أما حال قيام الحرب فمصلحة الجهاد مقدمة على غيرها كلها. جعلنا تلك المسألة العمل بها على وجه الصحة موقوف على وجود جماعة مركزية والاتصال بهم، و إلا فلا تصح الصلوة أيضا.

في قوله تعالى: "**وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** (**104**)" التصريح بالمقصود. هذا الاستعداد و هذه التهيئة إنما كان لأداء هذا الفرض. و أداء هذا الفرض متوقف على وجود جماعة مركزية من حيثيات متعددة.

الفصل السادس: في بيان الإعراض عن جميعة خائنة تقوم لمعارضة الجماعة المركزية واجب. قوله تعالى: "**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا** (**105**)" الأصل المرجع في الدين هو الكتاب و الحاكم بين الناس أنت بما أراك الله من كتابه، فالجماعة التي تقيم مقاصد الكتاب أنت تؤيده "**وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**" الذين يخونون في إقامة مقاصد الكتاب.

حدثت واقعة: سرق بعض الناس، واتهموا بها بريئا آخر. واجتمع منهم جمعا على اتهام البرئ و إبراء السارق، و رفعوا القصة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. والنبي مال إلى قولهم أولا، فجاء التنبه "**وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**". النبي صلى الله عليه وسلم لما تأمل في حقيقة الأمر ظهر الحق. تلك الجماعة صارت نموذجا لمن تقوم لمعارضة الجماعة المركزية من أهل الخيانة و هذا واضح على من اطلع على مصالح الإدارة و التحاكم إلى الجماعة المركزية، إلى –الآية– 112 حكاية عن تلك الجماعة.

و في قوله تعالى: "**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** (**113**)" تنبيه على أنهم ما قدروا على تغلب رأي النبي صلى الله عليه وسلم، لأن الله أنزل عليك الكتاب و الحكمة و علمك ما لم تكن تعلم. فالتميز بين جماعة محقة و بين

جماعة مبطلة يرجع إلى الكتاب: من كان يقيم الكتاب على وجه الحكمة هو على الحق. في مبدأ الآية أشار إليه "**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ**" يعني لولا علمك بالكتاب و الحكمة لهمت طائفة منهم أي يضلوك. فكيف يعرف أن تلك الجماعة تقيم الكتاب و الحكمة.

الأمر البين في ذلك ذكر في قوله تعالى: "**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (114)**" الجماعة الحقة تمت بشعارها، فاتباع هؤلاء ألزم، إليه الإشارة في قوله: "**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (115)**" فمخالفة تلك الجماعة الحقة و موافقة الجماعة الخائنة لا توصل أحد إلا إلى شرك و خرافات. تلك علامات داخلية في تعاليمهم. و في كل معاملتهم سمعنا و جربنا. في الظاهر قد يتقارب الجماعتان. فإذا دخل الناس فيهما و تعاشروا و تعاملوا معهم يتبين الأمر على طالب الحق. الخائنة في اجتماعيتها إنما تميل إلى جهل و خرافات و عدم التقيد بعلم إذا كانت تحصل لهم شهواتهم. فإن أخطأ طالب الحق في الصورة الظاهرة فلا يخطي بعد المعاملة.

فالآن –الآيات– من 116–121 نجعلها من ذلك الباب لعامة المؤمنين. النبي وقف على خيانة الجماعة بما علمه الله، ثم المؤمنون إذا ابتلوا بذلك و رأوا أن الاشتراك في الجماعة الخائنة تؤدي إلى الاشراك بالله و إلى اتباع خرافات تبين لهم الأمر "**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (116) إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (117) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (118) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (119) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (120) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (121) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (122)**" ذكر الجماعة المحقة.

مسألة: قوم جعلوا أنفسهم ملازما للاجتماعة الحقة لانتسابهم إلى المحقين. وابتلى به اليهود و النصارى. و اليهود لا يرى أنه يوجد حق في غير اليهود، لأنه تابع لموسى عليه السلام. و النصارى كذلك. ثم جاء المسلمون و هم أيضا كذلك. و هذا الانتساب بدون تحقق على المعاني الحقة ليس بشئ. يعني أنهم يلتحقون بالجماعة الخائنة بالدرجة الثانية. لم يتعمدوا الخيانة إلا أن الخيانة لزمتهم. "**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123)**" كائنا من كان.

فمن تحقق بالمعاني الحقة ذكرهم في قوله تعالى: "**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (124)**" هذا ابتداء العمل و الأعلى في المركز. "**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (125)**" فالجماعة الحقة تشتمل على رجلين: 1- رجل يحي ملة إبراهيم. 2- رجل يعمل الصالحات. "**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا (126)**" يقيمون حكم الله على وجه الأرض. تم الباب الاجتماعية المتوسطة.

الفصل السابع: و من ههنا نشرع في باب الاجتماعية العالمية المتقاربة إلى الاجتماعية المتوسطة. فنفرق بين إقامة الإمبراطورية العالية في التمدن و بين توسيع التمدن المتوسطة في أقوام العالم. فالأول يضر الناس إلا طوائف قليلة. والثاني رحمة على الناس بالتعليم و الإرشاد و الإصلاح و إقامة حكومات اجتماعية قومية متوافقة مع الحنفاء هو المقصد. فالفصل السابع في تعيين المقصد في هذه الاجتماعية العالمية. هو أن تقوموا للمستضعفين بالقسط. هذا هو الأساس. و إتمام بقية عناصر التقوى من الإحسان و إيتاء ذي القربى و الانتهاء من الفحشاء و البغي هو التكميل.

قوله تعالى: "**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (127)**" فمركز البحث عندنا "**وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ**" و الزيادة عليه مشار إليه "**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ**".

في "**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (128)**" مركز البحث قوله: "**وَالصُّلْحُ خَيْرٌ**" و الصلح خير يشير إلى اصطلاح القوم فيما بينهم. وقوله تعالى: "**وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (129) وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (130)**" مركز البحث في –الآية– 129 "**وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا**". و مركز البحث في –الآية– 130 تفرق الأقوام في قومياتهم لا يكون فيه ضرر لأحد بعد الاجتماع العمومي على الصلح و الاصطلاح. مرادنا أن وجود الأقوام في الجامعة الإسلامية مثبت. "**وَإِنْ يَتَفَرَّقَا**" و التفرق ليس بخروج عن الجامعية.

فالمسألة نازلة في الزوجين: والزوجان إذا تفرقا لا يتفرقان إلا عن منزل خاص، و لايخرجان من القوم. فالتفرق تفرق جزئ. الزوج يتخذ منزلا و الزوجة منزلا آخر. وعدهم الله بالسعة في ذلك. فالأقوام عندنا في الجامعة الإسلامية مثل الدور في المدينة، أو مثل البيوت في القرية. فصح الاستنباط.

قوله تعالى: "**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (131)**" إقامة حكم القرآن على وجه الأرض عامة هو المقصد من هذا الاجتماع، و بذلك قد وصى الله الذي قبلنا أن يقيموا حكم الله على وجه الأرض. إليه الإشارة "**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا...الخ**".

الفصل الثامن: في توضيح البرنامج في الاجتماع العالمي.

قوله تعالى: "**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (132)**" الأمور كله توكل إلى الله على وجه الأرض. الحكم مرجع إلى الله، فإقامة هذا الفرض إن لم يؤده المسلمون فيأتي الله بقوم آخرين؛ يقيمون هذا الأمر. فالناس لايرجون من الإجتماعية إلا مرافق حياتهم. فلو قاموا بحكم القرآن لحصل لهم ذلك مع شئ زائد. هو تكميل الأخلاق المستوجبة[501] لنجاة الآخرة. إليه الإشارة في

---

[501] في ن ح "المستوجب"

قوله تعالى: "**إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا** (**133**) **مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** (**134**)".

فالبرنامج مفصل في قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** (**135**)" الأمر الأول: شهداء لله، والأمر الثاني هذا هو و لو على أنفسكم. يعني قولكم هذا هو حركة عالمية حتى إن كان يخالف قومنا. نحن أيضا نحكم بالحق. الميل إلى سلطان أو إلى قوم لا يجوز. إليه الإشارة "**إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا** " فقوله "**فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى**" تفسيره "**أَنْ تَعْدِلُوا**" الإعراض عن العدل. "**وَإِنْ تَلْوُوا**..." يجازيكم على وفق الأمر. الإعراض هذا الروح عليكم أن تحافظوا عليه. ثم تجمعون عليه جميع الأديان. إليه الإشارة في قوله: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا** (**136**)" الإشارة إلى الآية المتقدمة من اتباع الحكمة و القيام بالقسط و عدم اتباع الهوى و إقامة العدل و أن تستديموا على كل هذه "**آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**". "**وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ**" يعني برد الكتاب إلى تلك الحكمة. "**وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ**" الكتاب ههنا للجنس يعني برد كل الكتب الإلهية إلى تلك الحكمة يجتمع بذلك كل الأديان. و يكون الحكم لله. و من خالف هذا فليس من الدين في شيء. إليه الإشارة "**وَمَنْ يَكْفُرْ**... **بَعِيدًا**".

في قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا** (**137**)" إشارة إلى من ارتد من هذا الدين الاجتماعي و استمر على ذلك، "**وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا**". ثم أشار إلى المنافقين في قوله تعالى: "**بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** (**138**)". الذين يؤمنون بهذا الدين الاجتماعي ظاهرا و لا يؤمنون به باطنا.

في –الآيات– 138-146 بيان المنافقين و تهديد لهم و إنذار للمؤمنين إذ يتخذهم أولياء: "**بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** (**138**) **الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** (**139**) **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ**

اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (140) الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (141) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (142) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (143) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (144) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (146)" هذا العذاب الذي للكافرين و المؤمنين إنما هو لأضرارهم بالاجتماعية و ليس الأمر يرجع إلى الله. "**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (147)**".

الفصل التاسع: في بيان ما حدث في الأقوام من الأغلاط و ما ينبغي ذكره.

و لايذكر إلا ما اجتمع عليه الأديان في العالم. فالرعاية الاجتماعية تغلب على الرعاية القومية المتضاربة. فهذا الفصل يرجع إلى جزئين: 1- المنع عن ذكر الأغلاط و الإفسادات التي ترجع إلى الأقوام. و كل قوم يشتغل بذكر مصائب قوم آخر، فمحو مثل هذا هو الجزء الأول من التاسع، إلى إجمال ذلك إشارة في قوله تعالى: "**لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (148) إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (149)**" الجهر بالسوء من القول إنما يستحسن من مظلوم في مجلس الحكم، أو القول فيه إلى القوم إذا لم يتفق المجلس أيضا،[502] أما في غير هاتين الصورتين فلا ينبغي أن يذكر منفعته لقومه، بل ينبغي أن يذكروا محاسنهم و يعفون عنهم[503] إليه الإشارة في "**إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا.... قَدِيرًا**". فالذين يتبعون الباطل المحقق عند جميع المذاهب ليسوا هم على الإنسانية، بل هم كافرون حقا و إن سموا أنفسهم بالألقاب العالية. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ**

---

[502] في ن ح " إنما يكون مستحسنا من مظلوم في مجلس الحكم. أو للترافع إلى القوم إذا لم ينصف المجلس أيضا".

[503] في ن ح "محاسن قوم و يعفون عن المساوي"

بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (150) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (151)" هذه إشارة إلى ما فسر به اجتماعية أهل الكتاب من اليهود و النصارى. فلم يصلحوا لإقامة الدين العمومي، فإنهم يقولون "**نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ**..." فليحفظ القاري أن الأنبياء كلهم لم يصرحوا في كتاب من كتب الإلهية. فالواجب الإيمان بجميع المذاهب الإلهية إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (152)**".

مسألة: هؤلاء الذين يفرقون بين الله و رسله؛ منهم جماعة "**يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا (153)**" و يريدون أن لا يؤمنوا بالنبي بتلك الحجة الفاسدة. هؤلاء يستمرون[504] على إنكار أنبياء الله من زمن موسى، فلا يستبعد منهم هذا السؤال. و كانوا هؤلاء اليهود في المدينة. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (154) فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (155)**" المراد من أهل الكتاب يهود المدينة ،لا كل أهل الكتاب كما زعم. هم سألوا "**أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ** ..." بين الله طبيعتهم من زمن موسى، و أتم بقوله "**فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا**" هؤلاء بكفرهم و بظلمهم منهم.

كفرهم مفصل في آيات إلى 159 و ظلمهم في –الآية- 160 و أخذهم الربا مذكور في –الآية- 161 هؤلاء الكفار أتم ذكرهم "**وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (161)**" لكن فيهم رجال على الحق ذكرهم في قوله تعالى: "**لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (162)**" هذا الجز الثاني من هذا الفصل يبتدئ من –الآية- 162 "**يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ**..." والإضافة على شرح أن الدين كله واحد. في قوله تعالى: "**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ**

[504] في ن ح "مستمرون"

مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163)" هذه السلسلة واحدة من نوح إلى نبينا عليه السلام، و مع هؤلاء سلسلة أخرى. إليه الإشارة "**وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (164)**" هم الذين ذكروا بعد نوح و رسلا لم تقصصهم؛ هؤلاء هم الأنبياء الصابئة، لم يأت لهم ذكر لا في التوراة و لا في الإنجيل و لا في القرآن. و اتصالهم بالحنفاء يكون فوق نوح. "**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**" تمثيل للرسل يكلم الله رسله بطرق مختلفة: "**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (165)**" فالناس كلهم ليسوا ببني إسرائيل و لا الحنفاء، يبعث الرسل في الحنفاء و في بني إسرائيل، و ترتفع بذلك حجة من غيرهم. و هم لم يسمعوا بهم و هم لم يعرفوهم؟ لا بل بعث فيهم رسل من الله، فلا يكون للناس حجة بعد رسلهم "**وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**".

كان حكماء المسلمين من إيران مثل جلال الدولة؛ كانوا يؤمنون نبوة زردشت الفارسي. و حكماء الهند من المسلمين قد آمنوا بأنبياء الهند. و الآن شبان المسلمين يعرفون بعد إيمانهم بموسى و عيسى بإيمانهم بزردشت و كرشن و رام و بودا و سقراط، و لايبالون بمخالفة الجهال من أهل الكلام. فلا يقدر أهل الإسلام أن يعلموا و يؤمنو بحكمة القرآن بدون الإيمان بهؤلاء، و إن كنا نعتقد بأن سلسلة الحنفاء أفضل من الآخرين. و الله صرح "**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**" والإيمان بجميع الرسل هو المقصود في القرآن. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (166)**" هو أمر متقرر في حظيرة القدس. و من خالف هذا هم كفار. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (167) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (168) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (169)**" هذا الحكم راجع إلى أهل الكتاب المتحرفين عن طريق الإيمان بجميع الأنبياء.

تتمة الفصل: في ضمن قول اليهود الذي حكينا؛ هم من كفرهم جاء تفصيل يتعلق بمريم و المسيح ليس مقصود، إنما جاء تبعا، ولذلك أخرناه إلى تمام السياق.

في قوله تعالى: "**وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (156)**" أنهم رموا مريم بالفاحشة. فلا يرون أن ذلك يرجع إلى إمام دين من الأديان المقيم لكتب أنبياء الله. و كم من الناس يؤمنون بالمسيح و كم من ناس خدموا دين بني اسرائيل منهم؟ منهم مجوز فيهم، هذا كفر بالاجتماعية التي يدعوا إليها الأنبياء بعد تكفير النصارى. هل يجتمع المؤمنون في الدين؟ و قولهم على مريم مثل قولهم على المسيح في "**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157)**" لو فرضنا أن المسيح ليس له نسب عال في الإنسانية لكنه جاهد طول حياته لإقامة تعليم، واتبعه ناس من الحواريين، وتسلسلو بأعماله لإقامة التوراة و الإنجيل في الدنيا. ننظر إلى ما علموا الناس و نشروا دعوتهم حتى أقاموا الإمبراطوريات على ذلك القانون. هو يكفي لكونه رسول الله. هل يقدر في زمن نزول القرآن أن ينكر كون المسيح الذي هو منبع النصرانية و دين امبراطورية روما أن يقول أنه ليس برسول الله بقصص و حكايات مشكوكة عند قوم من أعدائهم. هل يمكن الاعتبار على تلك الأساطير بمقابلة ما أدهش العالم من اصلاح الاجتماعية؟ كلا! إليه الإشارة "**إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ** ..." فإن قالوا لم يثبت عندنا رسالته، فما قيمتهم و ما قيمة قولهم هو رسول الله باعتبار ماله في اجتماعية الإنسانية من نفوذ من التعليم الصحيح و إقامة الحق؟ و الآن ليس عندنا شئ لإثبات نبوة أنبياء الصابئة، لكن باعتبار ما نراه من آثارهم. هل نقدر على تكذيب رسالتهم؟ و بمثل ذلك يثبت رسالة المسيح قطعا. بعد ذلك يردون رسالة بخرافات و أساطير عندهم. و هل يقدرون على إثبات ما رموا به مريم؟ هل عندهم قدرة في إثبات ذلك؟ و من لم يقدر على إثبات الفحش هل يجوز له رمي إمرأة عفيفة؟ فإصرارهم على البهتان كفر بالاجتماعية الدينية. و فيه إبطال للدعوة القرآنية. ثم هكذا قولهم إنا قتلنا المسيح لا يقدرون على إثباته. وإثبات القتل واجب على اليهود. فالله ردد دعواهم في القتل. هو مشتبه بين اليهود و النصارى من ابتداء الأمر. فراوة الأناجيل اشتبهوا في رواية الواقعة، و لم يجد اليهود حجة من عندهم للإنسانية. "**وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ**" تفسير فيما بعد "**وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ**...." هذا ظاهر في تعارض روايات الأناجيل. كانت عادتهم المستمرة في الصلب. أن الذي يصلب، يحمل صليبه. فرواة الأناجيل اختلفوا، أحدهم يقول أن المسيح حمل صليبه، والآخر يقول لا: أن المسيح حمل أولا، و في الطريقة أخذوا رجلا آخر، و أعطوه صليبه. فإن كان الذي يصلب بحمل صليبه ظلم. يصلب المسيح يقينا بل وقع شك. ظهر معنى قوله "**وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ**" ثم هم يرجحون إحدى الروايات على الأخرى أو يطبقونها لتصحيح الصليب، فذلك كله بالظن منهم و تأويلات.

منه ظهر صدق قوله "**مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ**" فلا نحتاج إلى أساطير اليهود و النصارى التي هي غير الكتب المتواترة عندهم في شرح القرآن. و المفسرون أتوا بقصة آمن بها المسلمون؛ أن المسيح رفع إلى السماء و أحد حواريه صار على صورته، فقتل، و لانحتاج إلى تصديقه و لا إلى تكذيبه. فيما حكاه القرآن هو ما ثبت في الأناجيل فقط. "**بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158)**" ليست تلك الكلمة استعملت مرة واحدة فقط في كتاب الله، بل لها نظائر، من كان له مقام عال في الاجتماعية يصفه القرآن بالرفع، و نحن نؤمن أن الله رفع المسيح. الآن لا نعرف شيئا من تعاليم موسى و إبراهيم إلا من أتباع ابن مريم رفعه الله إليه يقينا. والآن لا نحتاج إلى رفع جسماني لتفسير كتاب الله. فخالفنا أهل المتكلمين من أصولهم، و ليس مثل هذا الاختلاف أول قارورة كسرت في الإسلام. "**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (159)**" قال النسفي: الضمير في به يرجع إلى الله أو محمد عليه السلام و الثاني أي أهل الكتاب.[505] "**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**" راجع إلى آية "**يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ**" هؤلاء السائلون أن منهم إلا ليؤمن به قبل موته.

لنا ههنا مطالعة خاصة حاصل معنى الآية عندنا: هؤلاء السائلون من يهود المدينة لا يبقي أحد منهم إلا و يؤمن بالنبي. والإيمان عندنا أعم من أن يكون بالمطاوعة أو يكون في صورة الخضوع بعد القهر و الجبر. فمن أطاع حكم سلطان و إن كان بالكراهة أو بالجبر يجوز عندي أن يقال آمن به. فضمير موته يرجع إلى الكتابي و يمكن أن يرجع إلى النبي يسألك أهل الكتاب، فيه ذكر النبي موجود، و ليؤمن به. رجعه النسفي إلى النبي فمضى هذا أن قبل وفاة النبي يؤمن يهود الحجاز، أي يقبلون حكم النبي طوعا أو كرها، إخراجا أو إماتة، فلا حاجة لنا إلى قبول نزول المسيح. و يؤمن به أهل الكتاب نصا متقررا في

---

[505] " ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم والمعنى وما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى عليه السلام وبأنه عبد الله ورسوله يعني إذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف أو الضميران لعيسى يعني وإن منهم أحد إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله رُوي أنه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام أو الضمير في به يرجع إلى الله أو إلى محمد صلى الله عليه وسلم والثاني إلى الكتابي {وَيَوْمَ القيامة يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً} يشهد على اليهود بأنهم كذبوه وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله" ولينظر: النسفي، أبوالبركات أحمد بن محمود، **مدارك التنزيل و حقائق التأويل** (لبنان، بيروت، دارالكلم الطيب، ط:الأولى 1998) 1: 415.

كتاب الله إنما بشئ يأخذه بعض الناس على حسب استنباطه أو موافقة رؤيته. فنحن رزقنا في مجتمع بين الأقوام لدعوة القرآن، لا يقدر أحد أن يقول لنا أنتم بحكم القرآن منتظرون المسيح، و نحن أيضا ننظر، فانتظروا معنا. فقولى لهم ينظر طوائف من المسلمين مجئ المسيح لكن ليس ذلك بحكم القرآن. أنا لا أدعوكم إلا إلى القرآن. و نحن جربنا أننا ننتظر المسيح فلا نقدر للدعوة القرآنية لا للمسلمين و لا لغيرهم، لأنه ليس في تفسيرنا ذكر المسيح.

الفصل العاشر: في بيان الإنذار بالانقلاب لإنشاء الاجتماعية الصالحة للعالم.

"**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (170)**" يعني ما يريد الله من النظام المتقرر في حظيرة القدس قد أخبركم الرسول صلى الله عليه وسلم. فإن أصلحتم أنفسكم على وفاق ذلك يكون لكم رحمة و راحة، و أن لاتتبعون أنفسكم، على حسب هذا التعليم فوقوع الانقلاب لا بد منه. إليه الإشارة "**وَإِنْ تَكْفُرُوا...**" والمانع العظيم لتحصيل هذه التعاليم في الاجتماعية للحنفاء أهم المقصود أولا في الانقلاب، هو غلو النصارى في دينهم؛ فاعتقدوا بالتثليث ومبناه على إثبات الولد لله، هم أفسدوا معنى الاجتماعية الإنسانية، فإن التناسل و التوالد لا يكون إلا في نوع البشر و الحيوان فقط. فإذا أثبتوا ذلك للمقدسين، و لله أفسدوا تصور حظيرة القدس، فجعلوا الملاء الأعلى وحظيرة القدس أيضا ملوثا بالخطيئات الطبيعة للبشرية. فتكدر بذلك منبع الإنسانية. و إصلاح ذلك لازم، لأن حظيرة القدس نسبتها إلى النوع الإنساني مثل الدماغ. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171)**" هذا الحق معناه إنما المسيح ابن مريم رسول الله و كلمته و روح لا تجعلوه ممتازا عن الرسل. إليه الإشارة "**فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ**". بعد ذلك إشارة إلى قبح التثليث، فإن[506] ذلك يفسد تصور ملوكية السموات و الأرض لله، إليه الإشارة في قوله "**وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ...**" قد

---

[506] في ن ح "بأن"

ظن بعض[507] أن إثبات عبودية المسيح و إخراجه من الولدية سبب احتقاره، رد هذا الزعم[508] بقوله "**لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (172) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (173)**" بل إن ذلك كونه عبدا لله لازم له و إلا فيكون معذبا[509]، إليه الإشارة "**وَمَنْ يَسْتَنْكِف**..." رفع هذا الغلو من عقيدة البشر لتأثير التعليم الاجتماعي فرض. فإن أصلحوا حسب هذا التعليم يكونون في رحمة من الله و فضل هذا كان آخر الآية.

قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (174) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (175)**" و في آخر السورة آية الكلالة: فيه تنبيه أن الاجتماعية المنظور إليها في سورة النساء و إن كانت على صورة القومية و العالمية لكن وجهتها إلى تدبير المنزل لا إلى الإمبراطورية. هذا هو الذي فهمنا من **حجة الله البالغة** من الحكمة في انقلاب الإسلام. هو رد الأمبراطوريات، و إنشاء الاجتماعيات الصالحة المتوسطة للقوميات.

أما المسألة ففي المواريث، و قد اختلف في الكلالة كثيرا و نحن نرجح للتصديق، ثم لنا في الإعراض عن الاختلافات في مثل تلك المسائل مطالعة خاصة. نحن نستوجب للإنسان أن يكون عضوا في حكومة قومية صالحة مبنية على الشورى. و إذا ابتلي قوم مثل ابتلائنا فلا يصرف إلا إلى إيجاد حكومة و لا يبطل قوته الدماغية في فصل الاختلافات بغير هذا المطلب. فإن كان رجل في حكومة قومية شورائية فجاء الاختلاف شكوكا فليعرض على القوة المستشارة للحكومة في قدرته، فليتبعه و لايكون في الاختلافات الفرعية سبب تفرق القوم. و قد غلط بعض أهل العلم في تقديم الفصل في الاختلافات الفرعية على تنظيم الحكومة القومية، و على إنشائها في بلادنا. و ذلك مرجع الاشتغال بكتب الفقه و الأحاديث أكثر بالنسبة إلى الاشتغال بالقرآن. فالقرآن يمثل في ذهن الإنسان الحاجة إلى حكومة تخضع لحكم القرآن. و

[507] في ن ح بزيادة "الناس بالجهل" بعد "ظن بعض الناس"

[508] في ن ح "إلى الرد هذا الزعم"

[509] في ن ح بزيادة "مسؤلا عنه"

إذا اشتغل الإنسان بالفقه و الحديث يضطر دماغه إلى إيجاد التخيل، بأن الفصل في تلك الفرعيات ضروري فيما ينشأ الحكومة[510] و هذا خيال غير صحيح. فإن الفصل بعد قيام الحكومة لا قبله. و من هذا الوجه نقدم الحكماء على الفقهاء. فالآن نقرأ ترجمة قوله: "**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (176)**".

سورة المائدة

بسم الله الرحمان الرحيم

البحث عن الاجتماعية مثل الأول، لكن مبنى الاجتماعية على الأكل و الشرب أكثر، فإن الحاجة الإنسانية إلى الأكل و الشرب توجب الاجتماعية مثل الاحتياج إلى النكاح. أما الأكل و الشرب ضروري، و الاستغناء عنها غير ممكن. فكأن مباحث سورة المائدة كالأساس لسورة النساء، وكلما عمت الاجتماعية زاد شرفها، لذلك فإن البحث في المائدة يكون أكمل من البحث في سورة النساء.

قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1)**" العقد يحتاج إليه الإنسان لتحصيل معاشه، فإن ذلك لا يكون إلا بالاشتراك مع جنسه. و هو[511] لا يتم إلا بالعقد والإيفاء. فإن الإنسان إذا أراد أن يعيش يعزم على إيفاء العقد، ويجعل على ذلك مقتضى إيمانه، فيتجلى العقد والقلب بأحسن مظاهرهما و أكملهما، فكما أنه يحتاج إلى إيفاء العقود في مبدأ اجتماعية كذلك يحتاج في حالته بلوغ الاجتماعية إلى أعلى درجاتها. وذلك الأمر ظاهر على الحنفاء: أن تكميل الاجتماعية لا يمكن إلا بالتمركز على مساجد إبراهيم و في العرب لا يمكن إلا بالتمركز على المسجد الحرام. فالاجتماع حول المسجد الحرام في عصر القرآن هو أعلى اجتماع للحنفاء عامة. و في احترام المسجد الحرام أيضا يحتاج إلى الإيفاء بالعقود

[510] في ن ح "في إنشاء الحكومة"

[511] في ن ح تبدأ الجملة ب"والاشتراك لا يتم"

التي عقدها إمام الملة مع أتباعه، كأن الحاصل أن الإيفاء بالعقود هو روح الاجتماعية في مبدئها و منتهاها. إليه الإشارة "**أُحِلَّتْ لَكُمْ**..." فإن تحريم الصيد حال الإحرام من العقود اللازمة في اتباع إمام الملة.

قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** (2) إشارة إلى أن الإيفاء للعقود يستكمل جميع الفضائل. فأول الأمر لايهتك حرمة شعائر الله؛ يعنى المسجد الحرام و ما وليه من الصفاء و المروة، وكذلك ما يتعلق بالاجتماع لتعظيم شعائر الله مثل الشهر الحرام و الهدي و القلائد، و من أحرم بالحج .كل هذا أول مرحلة في إيفاء العقود، إليه الإشارة "**لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ**".

"**يَبْتَغُونَ فَضْلًا**..." إشارة إلى حكمة تحريم المحرمات من شعائر الله و غيرها؛ يعنى ليس الأمر مقتصرا على تحصيل البركات الأخروية فقط، بل المقصود من ذلك الاجتماع هو ابتغاء فضل الله و رضوانه. الإنسان يكتسب الرزق في اجتماع ناقص بسعى منه محنته مأة روبية شهرية. ذلك الإنسان بمثل ذلك السعي في اجتماع تام منه يكتسب شهريا ألفا من روبيات، كذلك كلما ارتقى الاجتماع زاد قيمة السعى أضعافا مضاعفة. فالذين يجتمعون في مركز اجتماعي لا مركز فوقه فكأنهم يبتغون أن يحصلوا قيمة مساعيهم أكثر ما يمكن في العالم. هذا معنى يبتغون فضلا من ربهم، و مما كان معجزا للعالم. ثم في هذا الاجتماع يبتغون اتباع إمام الملة فيحصل لهم رضوان الرحمان[512] فإنه اتخذه خليلا. هذه حكمة الاحترام لتلك الشعائر. و لا يقدر إنسان على كمال الاحترام إلا إذا كان ملازما[513] على إيفاء العقود. ظهر بذلك المنفعة الأولى لإيفاء العقود.

"**وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا**" هذا التقيد المنصوص[514] لا يصلح أن يعم عامة حياة الإنسان. فقطعة لازم، فإذا أوصلوا إلى المسجد الحرام و حلوا يرتقون في الاجتماعية إلى درجة عالية منها. هذا الفصل بين الحلال و الحرام لازم. إليه الإشارة "**وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا**" صورة الاصطياد على سبيل المثال و التحلل

[512] في ن ح "ليحصل لهم رضى الرحمان"

[513] في ن ح "عازما" دون "لازما"

[514] في ن ح "الخصوص" مكان "المنصوص"

بالاصطياد و غيره لازم، لأن تلك الشعائر كانت مختصة بمحل مخصوص، إنما كان منه الفرض؛ ارتكاز احترام المركز في الدماغ. فالاجتماع لا تتم أبدا بدون ارتكاز في مركز. هذا هو السر في استقبال القبلة في الصلوة، لكن الارتكاز هذا ليس هو كل شئ، بل هو طريق إلى تحصيل كمال للأشراف و الأقرب منه للإنسانية. معنى هذاالفصل بين الحالين بالاصطياد هو توجيه النظر إلى أن الإنسان قد فرغ من الوسيلة فيتوجه[515] إلى المقصد بأقصى توجه. إليه الإشارة في **"وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى"** هذا هو المقصود في الاجتماع. و معنى **الْبِرِّ** قد تقدم.[516] فالتعاون في تعميم تلك الاجتماعية هو المقصود من الاجتماع.

"**وَالتَّقْوَى**" هي إقامة العدل و الإحسان، و قد شرحناها مرارا. فالتعاون في إقامة العدل هو المقصود. فالاجتماعية العالية تقيم التقوى، لأن الإمبراطورية و الحاكم على تلك الاجتماعية العالية ليس إلا الله وحده لا شريك له. والخليفة وحده ليس مطاعا، لأنه إذا كان [517]كذلك يرجع إلى الإمبراطورية باختلاف الإسم فقط. بل جماعة الخلفاء هي المطاعة؛ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض. و وعد الله المؤمنين أن يستخلفهم في الأرض. قال النبي عليه السلام: " أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، ألا وإن لكل أمة أمينا، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح"[518] و هكذا بين فضل جماعة من أصحابه، و هم القدوة للاجتماعية أو كإبن مسعود و أبي ذر؛ هؤلاء هم الخلفاء و الحاكم هو الله. و أما الرجل وحده يكون خليفة لله فما علمنا إطلاق ذلك إلا على أنبياء الله: آدم و داؤد و النبي محمد صلى الله عليه وسلم .كل واحد منهم خليفة الله. أما إطلاق تلك الكلمة على أحد غير الأنبياء فما علمنا. فالذي أحدثه المتأخرون من المسلمين اصطلاحا في الخلافة هو مرجعه[519] إلى الإمبراطورية بتبديل الإسم فقط. هذا المركز يحصل التعاون على البر و التقوى بين الأقوام المسلمة. فالتعاون في البر و التقوى للأقوام هو موضوع هذا الدين، ولا يفهم إلا من نظر في الفلسفة

---

[515] في ن ح "ليتوجه"

[516] في ن ح بزيادة "في البقرة في مبدء الاجتماعية المتوسطة" بعد"قد تقدم"

[517] في ن ح "إن كان"

[518] ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجة**، افتتاح الكتاب في الإيمان و فضائل الصحابة و العلم، 1: 55. و صححه الألباني في **صحيح و ضعيف سنن ابن ماجة**، 1: 266.

[519] في ن ح "يرجع"

الاجتماعية، والناظرون في الإلهية فقط. يجعلون قومهم الأقوام و يفسدون الاجتماعية المقصودة في شرائع الله.

"**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ**..." إشارة إلى إقامة البر و التقوى، والتعاون بهما. ولذلك جعل كالمقدمة للتعاون. فالفرق بين الإمبراطورية التي هدمها الإسلام و بين الحكومات العالية التي أنشأها الإسلام هو أن الإمبراطورية تكون حاكمة على مقيمي التعاون، و الحكومة التي أنشأها الإسلام تكون تابعة لمقيمي التعاون. و قد غفل عن هذا الفرق العظيم الحكومات الإسلامية منذ مئات من السنين، لكن لما كان غرضنا[520] إنشاء حكومة جديدة نجعلها موافقة لروح التعليم القرآني إنشاء الله.[521]

"**وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ**" فإخراج الإثم و العدوان من ذهنية القوم نسميه بالفلسفة. ونختار بذلك حكمة الإمام ولي الله، و نحتاج إلى إصلاح قليل ليوافق ذهنية العصر مثل ما أصلح شيخنا ترجمة [522] الشيخ عبد القادر بإخراج كلمات هندية صارت متروكة في لساننا اليوم،[523] هكذا أعملت في إصلاح حكمة الإمام ولي الله، فأرى بعض الأفكار يصرح بها الإمام في بعض تصانيفه، فاستخراج منه قاعدة عوض القاعدة المشهورة عند الناس، أو أتى بشيئ من علوم الإمام عبد العزيز و أصحابه أو من علوم مولانا محمد قاسم، و ما أجد أزيد عليها من أفكاري خاصة. لا يبقي إلا أقل قليل و أصرح بذلك.

وتصفية الذهن لإخراج الإثم و العدوان نحتاج إلى حكمة مثل هذه. والقرآن استعمل لذلك الدعوة إلى اتباع ملة إبراهيم. فأفكار ملة إبراهيم المتفق عليها بين بني إسرائيل و إسماعيل، و بين أقوام من الصابئة.

---

[520] في ن ح "في عرفنا" ولم أفهم على مراده بهذا.

[521] بعده في ن ح بزيادة " وقد اجتهدنا في دعوة بعض أعداء الإسلام إلى ذلك الإصلاح، فما استقاموا، و فشلنا، فعرفنا الأساس الباطل لا يرجى منه الخير. أما إذا عممنا الدعوة و التعليم من الابتداء و تقرر في ذهن هذا القوم ثم يمكن بناء حكومة تابعة للقرآن."

[522] في ن ح بزيادة كلمة "لسان" قبل "ترجمة". المراد به ترجمة شيخ الهند محمود حسن ديوبندي الذي أصلح ترجمة الشيخ عبد القادر بإسم "**موضح فرقان**" بالتسهيل و التنقيح.

[523] بعده في ن ح بزيادة " و أبدلها بالمحاورات التي تبادر بها أهل الفصاحة. و كان شيخنا عارفا للساننا و أديبا شاعرا، فيها مذكر له أنه ما بدل حكمة بأخرى إلا و استعملها الشيخ عبدالقادر في حاشية موضح القرآن أو الشيخ رفيع الدين في ترجمة القرآن أو الإمام ولي الله في فتح الرحمن. فإن الكلمات الفارسية أيضا يهضمها لساننا مثل غذائها الطبعي. و الحاصل أنه ما أتى كلمة من عند نفسه."

لهم العقلية التي لا يخالفها إلا من سفه نفسه. فتصفية الذهن بدون اشتغال بمثل هذه الأشياء لا تمكن أبدا. فالفقهاء و المتكلمون مقصرون فيه[524] و تأخروا على قدر ذلك عن فهم القرآن."**إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**" لمن يخالف في ترك تعظيم شعائر الله. هذه حاصل الآية الثانية.

قوله تعالى: "**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3)**" شرح لإيفاء العقود في الحياة و المعيشة. والحكمة في ذلك أن الإنسان لو ترك سدى يأكل ما يأتي، ويحضر عنده بدون تقيد يصير مثل الحيوان. و إذا جعل نفسه مقيدا، يأكل بعض الأشياء و تحريم البعض فيحتاج إلى استعمال الفكر في تحصيل المعاش و السعي لذلك. و ربما سعيه لا يأتي بمطلوبه و هؤلاء لا يريد الخروج عن ذلك للاتصال بحظيرة القدس، شرع[525] من أول حياته لا استقبال الدرجة العالية أيضا. فإذا كان مطلق التقيد لازما ففي التخصص يتبع الرجل الطبيعة للإنسان.

رأئينا أساتذتنا يتقيدون في الأكل و الشرب على وجه. و نحن نحب أن نوافقهم، و يكون بالنسبة إلى ما يختارون من عندنا، ثم يكون فيه تسهيل اجتماع الناس على موافقة التخصيص. ثم يتوسع الأكل و الشرب من بيوت كل جماعة يتخصصون بذلك. هذا هو السر في تحليل ذبائح أهل الكتاب لنا، فإنهم أيضا يتبعون إمام الملة.

تنبيه: رأيت طائفة من براهمة الهنود يتقيدون بقيود على مقتضى الفطرة الإنسانية. ثم في التخصيصات يتبعون أهوائهم الشخصية أو أهواء آبائهم في بيوتهم خاصة، فيتكلفون بأنفسهم أن يهيؤا طعامهم، أو يكون أحد من أهل بيته يوافقه. رأينا على خلاف ذلك عند الحنفاء التوسع العمومي، فيقدرون على تنظيم الحركات العالمية بسهولة. إلى هذا المعنى أشار في الأية 3. حرم ما ذبح على النصب

[524] في ن ح "في ذلك"

[525] في ن ح "يشرع"

و الاستقسام بالأزلام أيضا مع المحرمات الطبيعة إتباعا لآباء الملة إبراهيم و إسماعيل و إسحاق. و حكم على مخالفة ذلك بالفسق أي الخروج عن الملة "**ذَلِكُمْ فِسْقٌ**".

"**الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ... وَاخْشَوْنِ**" لما تقيدتم بطريقة آباء الملة في المبادي الاجتماعية كأنكم خالفتم من ترك الملة الحنيفية من أساس الاجتماع. فلا يرجون منكم أن تنفقوا، فيئسوا. هذا الانقطاع لا يضركم إذا تقيدتم بأحكام القرآن. إليه الإشارة "**فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ**".

"**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**..." قطعة من الآية نزلت في عرفة حجة الوداع. إذا تمت خلافة الله لنبيه. فمن الأساس إلى درجة الحكومة كان اتباع آئمة الملة سواء، فتمت بذلك النعمة. فترك النبي الناس على طريقة بيضاء سهلة لموافقتها لآباء الملة، أو بتعبير آخر لتصفيتها على الفلسفة المصفية لذهنية المسلمين. "**فَمَنِ اضْطُرَّ**..." في حالة المخمصة الإنسان يجتهد على مسئوليته. و قد غلط من أهل الفقه من أخر الناس عن الاجتهاد فيه.

قوله تعالى: "**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (4)**" المقصد هو بيان تفصيل الملة الحنيفية. "**قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ**" يعنى ما يتطيبه المنظر بصورة. الأقوام في قطعة من الأرض و بعد تقيدهم بتعظيم شعائر الله كل يتطيبونه يحل لهم. "**وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ**" فيه إشارة إلى استعمال الآلات في تحصيل الطعام. هذا هو الفرق الفارق بين الإنسان و الحيوان، كلما يجعل الإنسان حيوانا ما آلته في تحصيل رزقه. هذا تفضيل على الحيوانية فلا يجعل نفسه متبذلا إلى درجة الحيوانية.

تنبيه: قرأنا في كتب المنطق تعريف الإنسان بالحيوان الناطق؛ أي المتفكر فقط، فصارت حقيقة الإنسان التفكر. و لما ذهبنا إلى أوربا (روسيا)، و سألنا الانقلابيين عن معنى الإنسان و كان غرضنا إلزامهم بأنهم تركوا الإنسانية في بعض المواضع في انقلابهم، فأجابونا: أن الإنسان حيوان يستعمل الآلات. فما قدرنا على إلزامهم و فتح لنا باب جديد في مطالعة الإنسانية. و ليعلم المتفكر أن الآلات هي رأس المال في فلسفة الاقتصادية، لا الفلوس و النقود. ثم وجدنا الشيخ رفيع الدين يفسر الإنسان في تكميل الأذهان بتعريفين: الحيوان الناطق أو حيوان مستعمل الآلات في تحصيل الحاجات صرنا متأسفين على جهلنا بكلام

آئمتنا.الآن عندنا تحصيل الطيبات، ينظر إلى تفكر الإنسان و حل الصيد ينظر إلى استعمال الآلات، ثم شرح الآية على طريقة شيوخنا.

بعد ما ارتقى المسلمون إلى الاجتماعية العالية يحتاجون إلى توسع زائد بعد اتباع الحنفية. فأرشد الله في قوله: "**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (5)**" أعيد للعطف عليه، و بيان المساواة للمعطوف مع المعطوف عليه. والمقصود في الآية هو المعطوف "**وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ**" فصار الرجل يستفيد من طعام أهل الكتاب يعنى يأكل في بيوتهم مثل ما يأكل الطيبات في بيته. فيكون ذريعة الاتصال معهم أقوى، يستجلبهم إلى برنامجه من اتباع الحنفية. "**وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ**" هذا تصريح ما نسوا حظا من كتبهم الإلهية.[526] ففي ديانتهم الأكل من بيوت آل إبراهيم كان حلالا، و نسوه، والقرآن ذكرهم. و قد استشكل المفسرون في الآية، و أتوا بتوجيهات ضعيفة.

"**وَالْمُحْصَنَاتُ**" هذا أيضا للعطف عليه، والمقصود هو "**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**" فنكاح الكتابيات مثل نكاح المسلمات، فإن الاشتراك في الطعام يدعوا إلى الاشتراك في المنزل. نسائهم أحلت لنا، فإن الرجل كما يحتاج إلى النكاح، و ربما يسافر فلا يجدون من قومه أحدا، فإن كان القوم أهل الكتاب فليأكل و ليتزوج من الذين أوتوا الكتاب.

عامة الفقهاء حصروا أهل الكتاب في اليهود و النصارى لأسباب كثيرة: 1- اشتراكهم اليهود و النصارى مع المسلمين في الأرض المقدسة. 2- اشتراكهم في الحنفية. نحن نعذرهم فيه. و أما مطالعتنا مخصوصة. قد رأينا الفقهاء أخذوا الجزية من المجوس، و من البربر، و من أهل الهند. جعلوهم من أهل الكتاب في ذلك الحكم. فلا نجد ذلك حجة لهم في ترك الطعام و النكاح. و نجعل صيد الأقوام من الصابئة هم أهل الكتاب على قسمين: 1- قسم يعظم آئمة الحنفاء و يحترمهم، نجوز معهم الاشتراك في الطعام و النكاح في هذا القسم. 2- قسم يعاند الحنيفية و لا يحترم آئمتهم، فلا نجوز الاشتراك معهم في

[526] في ن ح "الأصلية"

الحياة و المعيشة. و على مثل ذلك كان يعمل به السلاطين في الهند بفتاوى بعض الفقهاء. هم لم يخصصوا بتخصيص مثلنا، فصار هدما لمخالفة عامة الفقهاء. و قد رأينا بعض آئمة الفقهاء من التابعين مثل سعيد بن المسيب يحلون ذبائح المجوس. "**وَمَنْ يَكْفُرْ** ..." يعني من ترك التقيد باتباع آئمة الملة و أهل الكتاب، بل صار إباحا مطلقا. هو لا يرجع إلى نفع لا في الدنيا و لا في الآخرة.

قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (6)**" حكم الطهارة مثل ما تقدم في سورة النساء. الاعتصام بالوضوء و التيمم وقت الصلوة. هذا أيضا مبدأ الشرائع يلزم إلتزامه في ابتداء الاجتماعية. "**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7)**" المراد منه ما في آخر سورة البقرة إذ اشترط الله للخلافة "**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ**"[527] لا تعلمون في خلقه لا ظاهرا و لا مخفيا في قلوبكم ما يخالف حكم الكتاب المخالفة ظاهرة أو باطنة يكون مخالفته عن المقصود فقط. يعملون بالذي أمروا به في تحصيل المقصود، و أما المقصود فلا يحصلونه تاما فهو مخالفة خفية.[528] و هم قد عاهدوا على أن لا يخالفوا. قالوا "**سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**".

فالأمر بالصلوة، و الطهارة صورته؛ والوضوء و الاغتسال و التيمم هو الصورة، و معناها ما في الآية السادسة. "**وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ**" و المراد من التطهير هو التشبه بملائكة حظيرة القدس و تحصيل السماحة. فإذا تخلف أحد عن تحصيل المقصد فكأنه خالف أمر الله خفية، فيدخل تحت "**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ**".

"**وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ**" هو استخلافكم لإقامة العدل و التقوى. و هذا الأمر بالتطهير وقت الصلوة ظاهرا له معنى: أمرهم بتحصيل المقصد، والمعنى "**وَاتَّقُوا اللَّهَ**" و تفصيل ذلك في قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

---

[527] البقرة: 284

[528] في ن ح "مخالفة حقيقة"

آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8)" و قد تقدم "**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ**..." هذا تفصيل و تفسير للتقوى التي هي مقصد إنزال الكتب. فالأمر بإيفاء العقود في أول هذه السورة، ثم الارتقاء تدريجا في أمور الحياة من الأكل و الشرب متقيدا بالحلال و الحرام، في تعظيم شعائر الله، و انتظام الوضوء عند الصلوة كلها طرقا للتقوى. فالعدل في الأحباء و ذوى القربى و في قومه سهل لكن المأمور به في القرآن "**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ** ..." هذا هو الميثاق الذي واثق الله به أهل القرآن. فإذا قرأ القرآن كل رجل ذوعقل من أي ملة كان، و فهم مقصد القرآن فهل يمكن أن تخالفه؟ كلا! هذا هو جمع العالمين على كلمة واحدة. ثم صدور الأعمال، فكل قوم يقوم بها على حسب لغته. ليس نفي الألسنة و لا القوميات مقصدا في تعليم القرآن، إنما المقصود إقامة العدل و التقوى. و هذا لا يختلف باختلاف الألسنة.

تنبه: القرآن إذا كان مقصده هذا يمكن ترجمته إلى جميع الألسنة في الدنيا. و إذا كان مقصده البلاغة العربية و فصاحتها فلا يمكن ترجمته إلى لغة ما. فعرفوا الفرق بين المتقدمين من المسلمين و المتأخرين. فالسلف كان المقصد عندهم إقامة العدل، و كانوا لا يبالون بأي لغة كانت. و منذ قام المتكلمون و اشترطوا لثبوت نبوة النبي الأمر الخارق للعادة، و لم يكن شرطا لا في القرآن و لا في سائر الأديان. و إنما استنبطوه بخرافاتهم المبطلة المقيمة للجدل و الجدال بين الأقوام. ثم جعلوا إعجاز القرآن في بلاغة العربية. هذا عندنا نوع عظيم في مخالفة القرآن و تحريف لمطلبه. و هؤلاء ليسوا هم من بشرهم الله بالفوز في الدنيا و الآخرة، و إنهم لا يدخلون تحت الآية التاسعة قوله تعالى: "**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (9)**" ألا بقدر ما أقاموا من العدل.

و في قوله تعالى: "**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (10)**" بترك هذا الميثاق و ترك مقصده و ترك ظاهره هو الكفر و التكذيب. و إذا كان المؤمنين يريدون أن يقيموا القرآن يكف الله أيدي الأعداء أن تصل إلينا. هذه علامة إن كنا نقوم بكتاب الله، يكف الله أي أقوام يبسطونها إلينا، و إذا وصلت إلينا أيدي قوم من الكفار، فهذا دليل على أنا تركنا القرآن. ثم أدعوا أن القرآن لا يمكن أن يعمل به في ذلك العصر زيادة في التكذيب. إليه الإشارة "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (11)**" هذه نعمة من الله نتيجة إيفاء الميثاق. و هذا مبسوط في صحائف التوراة على لسان

كل الأنبياء بني اسرائيل؛ هذا إن أقمتم الميثاق تغلبون و إلا فتغلبون. إليه الإشارة في قوله "**وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (12)**"

فالذين جعلوا الآيات القرآنية مخصوصة بقوم أو أشخاص فقد حرفوا القرآن. و هذه حذاقة في التحريف لم تكن عند غيرهم، فما ذكر الله بعد ذلك من حالات بني اسرائيل في نقض عهدهم إلا ليكون تذكيرا لنا. و قد شغلونا عن التذكير بأيام الله. والاعتبار بحالات الأقوام الماضية بالاشتغال بالألفاظ و البلاغيات و تحسين الأصوات. الآية 13 في اليهود و الآية 14 في النصارى أنهم نقضوا الميثاق. و – الآيتان– 15–16 دعوة إليهم إلى اتباع القرآن لتجديد الميثاق. هذا يكون انضمام الأقوام إلى المسلمين إذا كانوا أوفوا بعهدهم، و الآيات واضحة.

تنبيه: نحن في زماننا ابتلينا بتلك الفضائح كلها أول جزاء نقض الميثاق من اليهود، و ذكر الله "**فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (13)**" ابتلي المسلمون به أيضا.[529] و الجزاء الثاني تحريف الكلمات عن معانيها، و صورة الكلمات قائمة. هذا ظاهر تمام الظهور في تفاسيرنا. و الثالث نسوا حظا مما ذكروا به.

عندي الذين يقولون أن السياسة ليست جزء من الدين و بالتدريج يقود هذا الفكر هو مصداق هذا النسيان. ثم ذكر في حق النصارى بقوله: "**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا**

---

[529] بعده في ن ح بزيادة "قسوة القلوب: قد رأينا جميع الأقوام المسلمين يشتكون أن الإحسان فقد منهم، أن المحسنين فقدوا منهم الذين كان لهم أحوال و مقامات إلهية. الاتصال بحظرة القدس له أيضا معنى و يكون أثر ذلك واصل، ذلك أن يرفع من قلوبهم حب صلة الأرحام، و هذا كله من الله و من قسوة القلوب."

مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (14)" الجزاء الأول "**فَنَسُوا حَظًّا**" هذا موجود فينا.[530]

الجزاء الثاني "**فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ...**" لا شك في أن المسلمين أشد ابتلاء به من سائر الأقوام.[531] ما كنا نعلم في الهند بتلك المصيبة الأخيرة. فلما تعاشرنا مع الأتراك و العرب جزمنا أن العداوة فيهم استحكمت إلى درجة لا يرجي زوالها.

بعد قطع تلك المدارج من هذه الأجزية و عدم رجوعهم إلى الحق يأتي العذاب على وجه آخر. يرى إليهم الكفر بكتاب الله و هم يزعمون أنهم أكرم الناس على الله. هذا جهل مركب. و قبل ذلك كان جهلا بسيطا إليه الإشارة في قوله تعالى: "**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18)**" يتنزل التجليات الإلهية على قلوب عباده و هم في تلك الحالة لا يتكلمون عن أنفسهم بل الله يتكلم على لسانهم. و بهذا هم لا يصيرون آلهة. من عرف ارتقاء الإنسان في إنسانية يجعل ذلك من المقامات الإنسانية للإنسان. أما إذا كان أحد قاسي القلب فلا يفهم حقيقة هذا الإحسان، فيجعل الإنسان المقرب إلى الله إلها، وهذا كفر. و هو بزعمه في تلك الحالة أنه قد فاز على مقامات الإحسان إليه الإشارة في قوله "**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**" وهذا جهل على جهل. رد الله قولهم إن الله هو المسيح بقوله "**قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ**".

تنبيه: بمثل تلك الكلمة أتى به الشيخ محمد إسماعيل الشهيد في **تقوية الإيمان** في تفسير حديث قال الله: "يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما

---

[530] بعده في ن ح بزيادة " عند قوة الاستنباط إذا فقد من قوم فلا يقدرون على تفسير الأمور التي تفسر على حسب تغير الزمان و الأعصار. و يغلب عليهم الجمود على عادات كانت مختصة بالعصر الماضي، لكنهم لفقدان قوة الاستنباط صرفوا عن ذلك. هذا هو موجود فينا مثل وجوده عند النصارى و أزيد."

[531] في ن ح "هذا الأمر لا يشك أحد أن المسلمين أكثر الأقوام ابتلاء بذلك"

زاد ذلك في ملكي شيئا"[532] فقال الشيخ تبعا لأهل العلم أنهم عينوا أتقى رجل إما بجبريل أو بمحمد عليهما السلام. فقال الشيخ معظما لشأن الرب أن الرب أجل و أعظم يقدر أن يخلق ألوفا أمثال جبريل و محمد.[533] حاصله كلامه.

فإن المخالفين له في السياسيات و كان المخالفون يخالفون للحركة الجهادية. فاقعدوا الناس عن القيام بدعاية فاسدة؛ بأن أشاعوا في الناس أن مثله صلى الله عليه و سلم لا يمكن و لا يقدر عليه الرب، فصار الشيخ و أتباعه كفارا عندهم و موهوا ذلك بكلمات فأفسدوا أمر المسلمين. ثم إذا قلنا أنا من أتباع إسماعيل فنريد التبري من تلك الطوائف، ثم جماعة من أهل الحديث اتخذوه إماما. فاختلاف مشائخنا الديوبندية معهم ليس إلا اختلافا اجتهاديا كاختلاف الشافعية و المالكية، و أما اختلافنا مع هؤلاء المكذبين. فنحن نتبرى منهم بكل قوتنا.

رد الله على اليهود و النصارى في قولهم "**نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ**" بقوله "**قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ**" الكفار استولوا علينا و يعذبوننا بكل عذاب، لكن هؤلاء الجهال إن كانوا على حياتهم يأكلون و يشربون لا يحسون بعذاب شيئا.

قوله تعالى: "**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ...**" لإقامة الحجة عليهم "... **أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (**19**)" فالنبي جاء مجددا لتعليم موسى عليه السلام، هكذا يقوم المجددون لتعليم القرآن في الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

و في نظريتي و اعتباري قوله –الآيات– من 20–26 إشارة مثل ذلك (أي الذين ينتظرون المهدي من المسلمين لكنه إذا جاء يخالفونه) بموسى أمرهم بالجهاد فقالوا: لن ندخلها أبدا. هؤلاء من أهل الكتاب يرجون مسيحا منجيا ما يعاملون معه إلا مثل ما عامل أوائل نبي إسرائيل موسى.

---

[532] ولينظر: **صحيح مسلم**، كتاب البر و الصلة و الأداب، باب تحريم المظالم،4: 1994.

[533] شاه اسماعيل، **تقوية الإيمان** (لاهور، المكتبة السلفية) 56.

قوله تعالى: "**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (20) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (21) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (23) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (24) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (25) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (26)**" و هذا هو الإيذاء الذين كانوا آذوا به موسى.

فالأستاذ الحكيم علم قومه طريقة ارتقاء الاجتماع، وأخذ منهم ميثاقا يعمل بتلك الطريقة. فلما جاء وقت العمل بالميثاق ارتدوا على أدبارهم. فهل يمكن أن يكون إيذاء للحكيم أشد من ذلك؟ كلا! فبره الله مما اتهموه بأنه يريد إيذائهم و إهلاكهم.[534] فقام رجلان فدخلا باب مملكة الأعداء و تجسسوا أحوالهم و رجعوا سالمين. فلو قبل اليهود أمر موسى لما كانوا هالكين؟

بعد تلك الدرجة إذا أصروا في الغي يسلب منهم عقولهم، فيكونون أدنى من الحيوانات و الطيور في التمييز. إليه الإشارة في قصة ابني آدم، فندم ظالم؛ قال: "**يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ**" من –الآية 27 إلى –الآية– 31 بقوله تعالى: "**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (31)**"

---

[534] في ن ح "لأنه يريد إهلاكهم"

ههنا فائدة ضمنية يستفاد من تلك القصة هي عزم قباحة قتل بنى آدم، نبه الله عليها. و هذا التنبيه في السياق مثل جملة معترضة "**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (32)**" هذا القول عندنا إشارة إلى تمثيل الحقيقة الاجتماعية للإنسانية. كل الناس مثل رجل واحد، من اجترأ على قتل نفس يمكن منه أن يفسد و يبطل محنته. نتيجتها تكون قتل جميع الناس و إبطال الاجتماعية. من أجل ذلك شرع قانون "**مَنْ قَتَلَ نَفْسً**..." فمن نجى رجل مبتلى بالقتل تمكن منه أن يحي سنة بها يحي الناس كلهم. هذا حاصل – الآية– 32. وكان في ذلك الحكم استثناء "**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ**" و قتل المفسدين في الأرض و قتالهم كلها جائز[535] و من أحسن الأعمال في بعض الأوقات إليه الإشارة في قوله تعالى: "**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (33) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (34)**".

بعد ما بين الله عاقبة من ترك الميثاق من أهل الكتاب في جميع مدارجها من التنزل أمر الله المسلمين بالاجتناب عن كله في قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (35)** رجالا ممثلين لإقامة العدل و التقوى يكونون من أقرب من رأيتموه من الناس إلى الله، فتقتدون بهم في زمانكم. هذا يسهل العمل بالتقوى. وأما الاشتعال بالنظريات و المتخيلات المتعلقة بالتقوى فلا يكون موصلا لإقامة التقوى. و قد ذكر الإمام ولي الله في بعض كتبه أن الرجل لا يفلح إلا إذا رأى مفلحين. فالاشتغال في المدارس بالنظريات ما ينفع تمام النفع، و إنما النافع الحقيقي بعد ما أصلح الرجل فكره؛ هو انسلاك في اجتماع يوجد في نظر الرجل أقرب الناس إلى الله، تلك الاجتماع و رئيس لذلك. و المراد عندي على ما تحققت بعد البحث المستدير، وإنما اطمئن الخاطر ببعض الأقوال للإمام ولي الله في تفسير الوسيلة، و بعض أقوال الشيخ محمد إسماعيل الشهيد و أما ما عدا هذين فلا يطمئن بشئ منه الخاطر.

---

[535] في ن ح "أما الذين يفسدون في العرض فقتلهم و قتالهم كلها من الجائزات"

تنبيه: بعد ما رأينا نظام الانقلابيين في اجتماعهم و احتسابهم و اعتصامهم على من سلك فيهم أيقن بضرورة الانضمام على اجتماع صالح. و إذا تغافل الاجتماع الصالح عن اجتناب أفراده فهلكوا، فليس إثمه إلا عليهم. فالآن أمكن لي تنظيم جماعة صالحة لإقامة أمر القرآن باسم الانقلاب. بعد تدرجنا في الارتقاء إلى درجات نصرح بإقامة القرآن بدون اجتماع مثل هذا ذهب من دماغي فكر الفوز و إيجاد هذا الاجتماع و إنشائه يكون من الفكرين على وجه الأرض، أو من الملائكة التي تنزل من السماء. كله سواء عندي أما بدون اجتماع مثل هذا فكله أماني و أباطيل. فتحقق حقيقة قوله "**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**" والسبيل هو القرآن "**تُفْلِحُونَ**".

هذه الدعوة من المؤمنين إلى التقوى، وابتغاء الوسيلة والجهاد في سبيله بمقابلة قوم يكفرون و يظلمون. ويكون المؤمنون قادرين على رفع الكفر و الظلم.[536] هذا هو الكلام و تحقق "**لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**" هذه التتمة لتلك الآية إلى –الآية– 40.

"**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (36) يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (37)**" فالعذاب أدنى ما يكون ضعف عذاب الدنيا. كل أموال الدنيا تنفقوا في سبيل النجاة من عذاب الآخرة.

ثم في قوله تعالى: "**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (39)**" ذكر السرقة و جزائها، هذه نموذج لنفي الظلم. فالكفار يكونون مثل مصلحته الخارجية، و إسراق مثل المصلحة الداخلية. "**وَالسَّارِقُ...**" وقد تقدم قوله "**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (40)** " فالمقصد من إعداد تلك الجماعة إتمام أمر الله في الأرض.

الدعوة إلى الجامعة بين أديان تحت إدارة النبي صلى الله عليه وسلم و حكم القرآن راجعة أولا إلى المنافقين، اليهود، الشركاء في المدينة مع جماعة الإسلام. هم ينظرون إلى اتصلال بالمركز الآخر، و ذلك

---

[536] في ن ح "دفع الكفر و رفع الظلم"

يفسد، لأن الحكومة الكفرة إذا غلبت على جماعة مؤمنة لا يبقي إيمانها صحيحا، فتبين حالهم ما يصبرون أن انضموا إلى ذلك المركز. و الفصل الثاني: [537] أنهم إن إنضموا إلى المسلمين يبقي ديانتهم قائمة، إنما يحتاجون إلى اصلاح أنفسهم حسب كتبهم. و جماعة المنافقين يسلمون أنفسهم موافقا لأمر القرآن.[538] هذا هو الفصل الأول.

الفصل الثاني: فيه تنبيه للمنافقين و اليهود على ضرر يحصل لهم من الانضمام إلى المركز الآخر من قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41)**" بحث في اليهود أنهم سماعون لقوم آخرين. هذا دليل على أنهم يريدون الانضمام إلى آخرين، فالدعوة إلى تحكيم التوراة إن كان لهم إيمانا. "**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ**" هم المنافقون. "**وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا**" هؤلاء يسارعون في الكفر. فالمنافق يكفر القرآن و اليهود يكفر التوراة، هم يريدون التجسس لقوم آخرين. ولا ينتبهون أن انضمامهم إلى آخرين يخرجهم إلى إنكار التوراة. القصد في اعتبارنا هو توجههم إلى الاتصال بالفرس. و للفرس كانت قوة في اليمن، و اليهود كانوا موجودين في اليمن، بتوسطهم يتصلون بيهود المدينة، و هم يتحبسون لهم أخبار المسلمين، و يريدون أن يفسدوا اجتماع المسلمين. إليه الإشارة " **سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ**"

الإسلام يدعوهم إلى اتباع التوراة، و إلى ترك ما زادوا عليه من آراء أحبارهم. وأحبارهم هم يبطلون هذه الدعوة أيضا بتحريف كلمات الكتاب بتأويلات الآيات على حسب آرائهم، "**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ... فَاحْذَرُوا**" هذا الفعل في الحقيقة[539] في دينهم و امتحان دينهم. المؤمنون بالكتاب إذا دعى لكتاب الله فإن صحيح الإيمان لا يحرفون بتأويل بعيد. إليه الاشار "**أُولَئِكَ الَّذِينَ...عَظِيمٌ**" لو كان هؤلاء

[537] في ن ح بزيادة الكلمة "مبتليهم" قبل "أنهم"

[538] في ن ح بزيادة " إذا كانوا آمنوا به" بعد "القرآن"

[539] في ن ح بزيادة كلمة "فتنة" بعد "في الحقيقة"

يبحثون في معاني التوراة و يحملون نصوصها على الملة الحنفية ملة إبراهيم و اتفقوا مع المسلمين لكان في تطهيرهم، لكنهم إذا أعرضوا لا يريدون أن يكون دينهم خالصا يبقى في الأرض، هؤلاء لا يفلحون.

تنبيه: قد رأينا في بلادنا جماعة من المسلمين يدعوهم أتباع الإمام ولي الله إلى اتباع الكتاب و السنة و ما عليه المحققون و المجتهدون من الفقهاء و من العارفين، و يتركون ما دخل فيهم من رسوم الكفار المحاربين أو المتغلبين، و هم لا يسمعون. و بعد ذلك هل يمكن إقامة الإسلام على طريقتهم في الهند؟ و الذي تحقق بالمطالعة الدقيقة أنه غير ممكن، فإن إقامة الإسلام تحتاج إلى الجهاد. والجهاد لا يقوم به قوم بالاستدامة إلا إذا قاموا و عزموا على الأخذ بالحق و على ترك الباطل. فالمسلم إذا لم يصمم العزم على الأخذ بالأصول الإسلامية فقط، لا يقدر على إقامة الإسلام. هكذا كان حال اليهود زمن النبي. فقد رأينا تلك الجماعة يرضون بحكومة الكفار و يعرفون أن في ذلك يعلمون لقوم آخرين هكذا إذا لم يطهر اليهود و إذا لم يعزم اليهود على الأخذ بالتوراة فهم يعلمون لقوم آخرين.

قوله تعالى: "**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (42)**" يعني أن الدين الحق يدعوا الإنسان إلى الأخذ بالصدق و إلى أكل الحلال، لكنهم[540] منغمسون بضده، يأتون إليك للتحاكم، و غرضهم ليس إلا إفساد المسلمين. أنت تدعوهم إلى الأخذ بالتوراة؛ مثلا هم يقدمون معنى التوراة. هذا المعنى الباطل الذي يستجلبون به الحرام، ويوصون أصحابهم أن لا يأخذوا بغير هذا المعنى، فالحكم عليهم لا يوصل إلى الأخذ بالحق. و بل الأمر مترد يمكن أن يكون بينهم رجل يعرف الحق. ففي تلك الحالة ليس قبول تحاكم لازم "**فَإِنْ جَاءُوكَ**...". ثم ليس غرضهم من هذا التحاكم أتباع الحق، فإنه لو كان ذلك لاتبعوا التوراة. إليه الإشارة: "**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (43)**".

بعد ذلك إثبات حقيقة التوراة و أنه كتاب عمل به النبيون و الربانيون و الأحبار، فالكتاب متواتر فيهم في الطبقات الثلاث، و هو محفوظ عندهم، و يعرفون معانيها. و الفساد الذي حدث في بني إسرائيل هو ترك ذلك الكتاب. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا**

---

[540] في ن ح "لكن هؤلاء"

النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44)"

تنبيه: قد اشتهر بين المسلمين بواسطة المناظرين و المتكلمين أن التوراة لم تبق بأيدي أهل الكتاب محفوظة، و تجادلوا في إثبات ذلك، واستعانوا به بكلمات الملحدين و المتقلدين،[541] و ليس الأمر كذلك. و الأمر المحقق أن كتب موسى التي هي أصل التوراة محفوظة فيهم مثل موطا مالك و باقي الكتب مثل عامة كتب الأحاديث. هذا هو المقصد من آيات جاء فيها أنهم حرفوا. قد جزمنا أن ليس في الدنيا كتاب يوازي القرآن العظيم، و لا تنزل درجة الكتب الإلهية عند الأقوام من درجة كتب الأحاديث. و عندنا خطأ واحد في تصوير أصل المسألة؛ أن الطرفين يتكلمون في معارضة كتب الأديان للقرآن. و وقعوا في الخطاء حقيقة، فإن الفرق بين تلك الكتب و بين القرآن مثل الليل و النهار. و قد رأينا مثل ذلك في جماعة من المسلمين أنهم توهموا من كلمات بعض أهل الحديث أن كتب الحديث توازي كتاب الله. بحثوا في المقابلة بينهما فأنكروا الحديث بالمرة، فإن كتاب الله لا يمكن بمعارضتها إثبات شئ مذكور. و هكذا لما بحث

---

[541] في ن ح بزيادة "كان فيه نوع من النفع و الإصابة أن المسلمين غلبوا على المبشرين (و كان أول آلات الحرب لتخريب دين الهنديين هذه التبشير (مشنري) النصرانية، فإن لم يصر الهندي نصرانيا إلا قليل فسد دينه الأصلى الإسلام و دخل فيه الأغلاط، التوهمات العقلية" مكتوب في الهامش) في بلادنا بعد ذهاب سلطانهم، لكن هو بذلك ضرر عظيم أيضا. الاعتراضات من الملحدين كما وجهت إلى التوراة توجهت إلى القرآن أيضا. فالشبان لما وقفوا أن المسلمين لما تثبتوا بكلام الملحدين في رد أهل الكتاب فردوا كتب الملحدين باعتماد ما عليها جراثيم الإلحاد إلى قلوب الشبان أكثر. فنحن بعد مجاهدة شديدة في مطالعة كتب الطرفين اقتنعنا بأن تراجم الكتب المقدسة التي يوجد في بلادنا في درجة كتب الأحاديث، عندنا فيه صحيح و غلط، لكن يمكن تصحيحه و تمييز الغلط منه بعد حصول ملكة في فهم كتب مثل ما تمكن علماء الحديث من تمييز الأغلاط من صحاح الحديث. هذا في كتب الأحاديث العامة. أما أم الكتب مثل موطا مالك؛ أحاديثها محفوظة معمولة عند أكثر أهل الحق يمكن التصديق بحقيقتها بعامة المسلمين أيضا. بعد تحصيل درجة ابتدائية من العلم هكذا نظن"

المتكلمون في مقابلة صحائف التوراة بكتاب الله ما وجدوه شيئا يذكر. فإذا رجعنا تحقيق أصل المسألة فلنفرض صحائف التوراة مثل كتب الأحاديث لا مثل القرآن. قد صرح به الامام ولي الله في **السطعات**.[542]

ثم نحن بحمد الله اشتغلنا بعلم الحديث، فنجد أم الكتب مثل المتواتر و المشهور عند عامة أهل العلم و مع وجود الأغلاط و مع وجود الأحاديث الضعيفة في الأصل في كتب الأحاديث. نجزم قطعا بحقيقة تلك الكتب، كذلك يجزم المحققون من المسلمين في جميع الأعصار بحقيقة التوراة مثل ابن عباس و البخاري و ابن تيمية و الإمام ولي الله.

"**فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**" إنذار لليهود أنهم يتبعون كتاب الله و يتركون مخالفة الكتاب و لا يريدون إرضاء الناس و تحصيل الأموال.[543] "**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ**..." اليهود إذا لم يحكموا بالتوراة هم كافرون.و قد رآينا كثير من المفسرين قد اشتبه عليهم معنى الآية، فإنهم يرون كثيرا من المسلمين لا يحكمون بما أنزل الله. والذي اقتنع به خاطري أن المراد من هذه الآية؛ من رضي أن يكون الحاكم على كتاب الله حاكم آخر و لم يجعل حكم كتاب الله أعلى؛ أولئك هم الكافرون. مثال ذلك[544] لا يوجد إلا في بلاد تغلب عليها الكفار، و رضى المسلمون بحكمهم بالقوانين المقررة عندهم، هم مصداق تلك الآية. أما في بلادنا عليها ولاة مسلمون، يريدون أن يحكموا بكتاب الله حسب ما فهموا معانيه،[545] خالفوه خطأ أو عمدا في بعض الأحكام فلا يصدق عليهم أنهم داخلون تحت هذا الحكم. هم ما ردوا التحاكم إلى غير كتاب الله مثل من رضي تحت حكومة كافرة. هذا الفرق ضروري بين المسلمين عندي.

قوله تعالى: "**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45)**" هذا يشعر بأن الواقعة جاؤوا فيها إلى النبي كان فيها مخالفة ذلك الحكم

---

[542] لينظر: ولي الله، **سطعات**، سطعة: 22، (لاهور، إدارة ثقافت إسلامية، ط: 2012م) مترجم: مولوي سيد متين أحمد، 121.

[543] والكلام في سياق الحكم و ليستخدم صيغ الأمر والنهي دون المضارع، لعل هذا من خطاء الناسخ أو الكاتب. و ليكن "ليتبعوا كتاب الله و ليتركوا مخالفة الكتاب، ولايريدوا إرضاء الناس و تحصيل الأموال".

[544] في ن ح بزيادة "في المسلمين" أي "مثال ذلك في المسلمين"

[545] في ن ح "معاني كتاب الله"

"**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ... الظَّالِمُونَ**" هذا يصدق على المسلمين إذا لم يعملوا بكتاب الله، و إن كانت حكومة المسلمين عليهم. و أما مع اليهود يشترك النصارى في كثير من القبائح، و لذلك جاء ذكرهم تماما لذكر اليهود في قوله: "**وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ** (**46**)" فالدعوة لهم أيضا لاتباع الإنجيل، فإنهم إذا تركوا ما زادوا على تعاليم عيسى يجتمعون مع الأديان الحنيفية بالسهولة. و لذلك أمروا في قوله تعالى: "**وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** (**47**)" فخالفوا أهل الإنجيل، فإن دعوة الإنجيل ليست في الحقيقة[546] إلا إلى درجة إحسانية في أحكام التوراة. و ترك ذلك لا يؤدي إلا إلى الفسق. و بما شرحنا لا يأتي به بعض المفسرين من إثبات التخالف في حق من لم يحكم بما أنزل الله من الكفر و الظلم و الفسق. فإن الاختلاف رجع إلى اختلاف الحالات.

في قوله تعالى: "**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** (**48**)" أمر أهل الإسلام باتباع القرآن، و حفظ الكتب المتقدمة في الأمر المشترك بين الأديان كلها. فإن الضعفاء من أهل الأديان يقدمون من الفرعيات على الأصول، فإصلاحهم صعب على أهل القرآن،[547] يردهم إلى تقديم الأصول على الفروع. إليه الإشارة "**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ**..." من "**الْكِتَابَ**" المراد به الجنس أو المعهود أعنى التوراة فقط، فإن التوراة مقدمة على جميع الكتب المقدمة، ولهذا يرجع المعنى إلى الجنس. "**وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**..." يعنى تقديم الفروع على الأصول.

تنبيه: قد أخطأ من جعل الاتفاق أهل الكتاب فيما بينهم راجعا إلى الاتفاق في الفروع، كما يخطئ كثير من المسلمين في جميع الفرق الإسلامية على الاتفاق في الفروع. كل ذلك غير ممكن و غير مطلوب و غير مراد.

---

[546] في ن ح "الحنفية"

[547] في ن ح "واجب على أهل القرآن"

"**وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**" ليس معناه إلا أن أهل الكتاب إذا أخرجوا من ملة إبراهيم، القرآن يهديهم إلى الحق ،كما أن الاتحاد بين المسلمين أمروا في اتباع القرآن فقط. إذا نرى طائفة من الإسلام خالفت معنى الكتاب نرد عليها في المخالفة فقط. أما الاستنباط و الاجتهاد فكل قوم على الخيار. إليه الإشارة في "**لِكُلٍّ جَعَلْنَا**... " للحنفاء منهاجهم هو اتباع إبراهيم، و لهم شرعة اتباع موسى و عيسى و محمد، و كذلك للصابيئة منهاج و لهم شرعات. فالاتفاق لا يكون إلا في المنهاج لا في الشرعات."**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً**" في الأصول و الفروع. "**وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ**..." يعنى في تلك الصورة لا يتبين فضل قوم على قوم. عين الأصول و فوض إلى الأقوام شرعات ليظاهر المسابقة، إليه الإشارة "**فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**". "**إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ**..." إشارة إلى حكمة خلقية كونية. اختلاف الأقوام و الأفراد محقق في الكون تحت اقتضاء طبعي قطعي لا يمكن تخلفه. هل يمكن بشريعة ما رفع الاختلاف كله؟ كلا! فيثبت الحق قيمة كل مختلف في اختلافه، فلا يقدر على الحكم بذلك غير الله أحد.

قوله تعالى: "**وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (49)**" القرآن يثبت الأصول الاجتماعية المجتمعة. هذا الحكم نافذ عليهم في كل حال أنه لا يختلف معهم إلا في الفروع، إنما يأتي بفروع على قدر ما يقيم جماعة في حفظ الأصول. فليس الأمر كما يريد بعض المسلمين من الحكم بفروعه على جميع الأديان عن بعض ما أنزل. "**وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ**" فالدعوة إلى الأصول الحنيفية لا يجوز أن يترك منها شئ. "**فَإِنْ تَوَلَّوْا**" يعنى أن الخلافة تحصل لأهل القرآن بهذا مقرر. هم أن لم يجتمعوا مع المسلمين يكونون تبعا لهم، لكن يقبل جزيتهم، و يدخلون في الاجتماعية الإسلامية. إليه الإشارة "**أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ**...".

قوله تعالى: "**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (50)**" إذا خرجوا من اتباع القرآن تحت الخلافة الإسلامية هم يرجعون إلى إطاعة الكفار المنكرين للحنيفية بالمرة، و من أحسن حكما من الله لقوم يوقنون.

تنبيه: مثاله في المسلمين المتأخرين الشيعة لا يدخلون تحت حكم النبيين و يقبلون حكم الكفار، هذا مقتضى دينهم. هكذا أهل الكتاب يجب عليهم أن يتبعوا في الخلافة لأهل الإسلام و لا يرجحوا الكفار عليهم.

مسألة: فإذا وجب على اليهود و النصارى أن يتبعوا القرآن أولا أن يدخلوا في حكمه، و يسلموا. و ثانيا أن يدخلوا تحت حكمه بالذمة. فلا يجوز بالمسلمين أن يتبعوا اليهود و النصارى و إلا لا يمكن تحقق تلك المركزية. و طائفة من المنافقين تسارع بالكفر باتباعهم اليهود و النصارى لمنافع دنياوية. والمسلمون أيضا يمكن أن يشبه عليهم المسألة بعمل المنافقين، فأمروا بمنع أن يتخذوا اليهود و النصارى أولياء في قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ (52)**" الضيق في مرافق الحياة الدنيا بالمقاطعة منهم. " **فَعَسَى اللَّهُ ...نَادِمِينَ**" فإن الله جاء للمسلمين بفتح يندمون. ينتقد عليهم أهل الإيمان بأن هؤلاء ما كانوا معنا. إليه الإشارة "**وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (53)**" فيعلم أنهم ما كانوا مع المسلمين. هذا التولي يوصل إلى الارتداد عن الإسلام فإن إنكار مركزية ارتداد منه. و المركزية لا يتم إلا بقوم يعتمدون على الله و كتابه فقط. إليه الإشارة "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (55) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (56)**" فتعين المركزية من حزب الله يمنع عن اتخاذهم أولياء. تمت المسألة.

بيان قباحة الاشتراك مع اليهود. اتخاذهم أولياء يوجب الارتداد[548] قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ**

---

[548] في ن ح بتغيير هيئة الجملة "بيان القباحة الاشتراك مع اليهود و اتخاذهم أولياء أن ذلك يوجب الارتداد"

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (57) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (58) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (59) قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (60) وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (61) وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (62) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (63) وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (64). هذا الذي اتخذه لعبا إلى النداء بالصلوة. إليه الإشارة "**وَإِذَا نَادَيْتُمْ ... لَا يَعْقِلُونَ**" هذا ظاهر في الارتداد. ثم هم منغمسون في كفرياتهم، و اتخاذهم أولياء يورث ذلك. فلا يساوون المؤمنين، فإن المؤمنين امتازوا عنهم بإيمانهم لله و بعدم التفريق بين رسل الله. إليه الإشارة "**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ... فَاسِقُونَ**".

ثم ذكر انغماسهم في كفرياتهم "**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ... الْمُفْسِدِينَ**" هل يصلح للمؤمن أن يتخذ مثل هؤلاء الأولياء بل يجب عليهم أي يقبلوا الدعوة القرآنية. و هو لا يزيد على أن يوجب عليهم ما أمروا به في كتابهم، إليه الإشارة "**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66)**" تمت الفصل الثاني على ذلك.

الفصل الثالث: الدعوة إلى المركزية الإسلامية و القرآن 67-93

يعنى إذا ثبت أن اليهود و النصارى أبطلوا مركزيتهم إذ تركوهم بكتابهم. و المنافقون الذين يتوجهون إلى المركزية هم أيضا يقصرون في الكفريات. هؤلاء بمجموعهم يدعون إلى المركز الصابئة. هذا كان حاصل الفصل الثاني فالواجب حينئذ إن يدعوا إلى مركز الدعوة القرآنية.[549]

---

[549] في ن ح بزيادة "فالفصل الثالث رد له" بعد الجملة.

قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67)**" لما كان اليهود و المنافقون سماعين لقوم آخرين، فإذا دعوناهم إلى اتباع القرآن فقد عرضنا بمخالفة مقصد القوم الآخرين. و كان العرب يخشون من الفرس أشد الخشية. و في هذه الدعوة معارضة لهم، فلذلك جاء التأكيد "**بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ... رَبِّكَ**" جميعه لا بالتدريج. "**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ ... رِسَالَتَهُ**" الدعوة أولا كانت لقريش العرب و تمت الدعوة إلى درجة، و إن لم يبلغ رسول بعد ذلك الدعوة دعوة العالمية. و المركز القرآن فكأنه لم يبلغ الدعوة الأولى أيضا. فإن المقصد من تلك الدعوة كان إصلاح العالم لا إصلاح قريش و العرب فقط. و لعظمة الأمر و علامته نبه "**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ**..." فإن المعارضة الإمبراطوريات ليس بسهل، هم يقدرون على حيل كثيرة في التغلب على من يعارضهم. فالنبي محصون معصوم عنهم. و قد ظهر صدق الوعد إلى آخر النبي عليه السلام. إليه الإشارة "**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي**..." فشرع الله في دعوة أهل الكتاب أولا إلى ذلك المركز، ليس ذلك زيادة على إقامة التوراة و الإنجيل. و في نظري أن الدعوة في هذه السورة ليس إلا تسليم كون القرآن و دعوته مثلهم أولا و أعلى منهم.

ثانيا في الحكم فقط. كلما ارتقى الإسلام في تأسيس الحكومة يظهر فضله الثاني. هذا موكول إلى العصر الآتي. أما الآن فالمقصد هو المبحث الأول ألا يقبل اليهود و النصارى أهل القرآن أيضا؛ يظهر هم في الدعوة إلى الحنيفية أيضا. فلو كانت الدعوة القرآنية إلى غير حنيفية ما رضى إلى إقامة التوراة والإنجيل. مثاله: في زماننا نحن حنفية و ندعوا المالكية و الشافعية إلى اتباع كتاب الله و إلى اتباع موطأ مالك و لو نريد منهم بعد ذلك أن يتبعونا في الحنفية. ذلك دليل على كوننا من أهل السنة فقط. فإن هم سلمونا الحنيفية من أهل السنة اكتفينا منهم اليوم به، و نطمئن في قلوبنا أن بذلك نحقق مركزية الحنفية، و يتحقق مركزنا، فإن التمركز لا يحصل بالألفاظ و الأدلة، إنما يكون بالتغلب في السياسة. و نحن نرجوا التغلب في كل سياسيات العالم فيما بعد انشاء الله. فاليوم إذا أسلم لنا إخواننا، نحن من أهل السنة أسسنا أساس التمركز.[550] هكذا يفهم الإنسان خطاب القرآن لأهل الكتاب في هذه السورة. أولا عاب عليهم أنهم سماعون لقوم آخرين، و يفضى ذلك إلى الكفر بكتابهم. و القرآن يدعوهم إلى أي يقيموا كتابهم فقط، و بصدق كتابهم فإن لم يكن أهل كتاب الله يجمعوا أهل الإسلام أقرب إليهم من جميع الأقوام. تم المثال.

---

[550] في ن ح بزيادة "أحيينا" بعد "أسسنا"

قوله تعالى: "**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (68)**" إذا أقمتم، نحن نسلم فضلكم. "**وَلَيَزِيدَنَّ**..." هم يفهمون معناه أن في ذلك دعوة إلى تمركزهم، فإنهم ينشطون في العمل و يتقدمون، و كما دعي أهل التوراة و الإنجيل كذلك دعي الصابئة أيضا.[551] في الدعوة إلى مشترك بينهم و بين أهل الكتاب: هو الإيمان بالله و باليوم الآخر و العمل الصالح. في هذا الأمر يشترك الصابئة و أهل الكتاب كلهم. أما تصوير الصورة الإيمانية و تصوير الآخرة هم يختلفون مع أهل الكتاب في بعض الاشياء. فالقرآن لا يدعوهم إلا إلى إقامة الأمر الحق المشترك، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (69)**".

قد فصل الإمام ولي الله أن الاختلاف بين الصابئة و الحنفاء لا يعبأ به في حظيرة القدس. و مثل ذلك بمثال: و جماعة من الحكماء يحصرون في العالم بكل الوجود في الإله الحق، لكنهم قائلون بالإيجاب، و طائفة متفقة في حصر التأثير منه، و هم قائلون بالإرادة الإلهية. و في حظيرة القدس كلاهما مقبولان على السواء. فإن القصد في إصلاح الإنسانية هي حصر التأثير لا غير.[552]

ثم المانع للملل عن قبول الدعوة القرآنية بدعات أحدثوها، فالبحث عنها لازم لتعليم الدعوة. فاختار القرآن على سبيل التمثيل و النموذج؛ البحث عن اليهود و النصارى و العرب المؤمنين ظاهرا و في قلوبهم مرض من الميل إلى جاهلية آبائهم. فالتنبيه عليها في الأقوام الثلاث هو المقصود في هذا الفصل. أولا ذكر الله بني اسرائيل. حدث فيهم فتن و جاء أنبياء الله لإصلاح مرارا. فالذي استقر عليه الأمر من أهم البدعات عندهم هو مقابل للبحث. إلى الإجمال إشارة في قوله تعالى: "**لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**

[551] في ن ح "و لما دعا أهل التوراة و الإنجيل كذلك دعا الصابئة أيضا"

[552] في ن ح بزيادة " وبمثل ذلك أتى بأمثلة غير ذلك في التطبيق. و أنا أقررت بنعمة ربي و أشكر سعي الإمام في تطبيق الملل. بذلك أيقنت أن كتاب الله القرآن العظيم حق. أيقنت بحقيقة القرآن العظيم. و كل رجل لم يصل إلى تطبيق الملل بوجه من الوجوه و لو على طريقة غير طريقة الإمام ولي الله يتساوي لي أنهم في دعواه لتصديق كتاب الله يتبع آبائه فقط. والقرآن العظيم قد تفرد بها العلم و يدعو الملل إليه. و أنا جازم بحمد الله أن من وصل من الملل إليهم لتلك الدعوة فأنكروها فهم كتاب على ما كانوا عليه من العلم و العمل. و اليقين بهذا ليس بسهل على سبيل التحقيق عند الله على التوفيق."

وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (70) وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (71)" و إلى التفصيل إشارة في قوله تعالى: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72)" ثم رد عليهم هذا القول من كتابهم "وَقَالَ الْمَسِيحُ ... و إلى عقيدته "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73)" و الرد عليهم من الإنجيل في أخر الآية . "أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74)" من تلك الكفريات المخالفة لكتابهم. ثم أتى القرآن بدليل في إبطال بدعاتهم، ثم بدليل زائد على ما في الإنجيل في قوله تعالى: "مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75)" فإبن مريم رسول الله و أمه صديقة من المحدثات، فكانا أفراد البشر، و كان يأكلان الطعام، و الأكل يتغوط و يحدث. ففي قوله تعالى: "قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (76) تنبيه على عقيدة أثبتها صحائف التوراة بدرجة عالية من الثبوت.

"قُلْ أَتَعْبُدُونَ..." مسألة ألوهية المسيح و التثليث إنما جاءت من سفهاء الصابئة الذين كانوا يتشبهون بالحكماء، و غلبوا بقوة بعض الملوك على الأقوام، فلضروريات السياسة أفسدوا فطرة الناس، إليه الإشارة في قوله تعالى: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (77)" و ذلك عندي صادق على طائفة من حكماء اليونان و على طائفة من حكماء الفرس و على جمع كثير من براهمة الهند.

قوله تعالى: "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78)" ليس هذا المرض مختصا بالنصارى فقط، بل يوجد في اليهود، و لكن البحث عن عامة اليهود مشكل، ليس عندهم حكومة. والبحث عن عامة النصارى[553] سهل، و لذا قدموا على

[553] في ن ح "حالة اليهود" و "حالة النصارى" مكان "عامة اليهود" و "عامة النصارى"

اليهود في –الآية- 79 ذكر اليهود، قوله تعالى: " **كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79)**... ثم طائفة ثالثة من العرب المنافقون. المرض فيهم؛ أنهم يقولون اليهود و النصارى أكثر من تولهم المؤمنين، أنهم يعرفون فضل أهل الكتاب عليهم لأميتهم، فلا يسلمون بفضل أمة أمية عليهم بمقابلة أهل الكتاب، فلا يتفقون مع المؤمنين في الباطن، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (80) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (81)**"

بعد ذلك يبحث عن مسألة أخرى: أى الطوائف الثلاث تكون أقرب في قبول الحق. فالعداوة شديدة عند اليهود و المشركين، لأن المسلمين ينازعونهم في سياسياتهم بمكة سياسة المشركين، و في المدينة ينازعون سياسة اليهود، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (85)**" و ما كان لأهل الإسلام معارضة للنصارى إلى تلك الأيام، و كانوا أقرب مودة. فالطائفة من النصارى أمنت بالقرآن. هم مع المسلمين في الدرجات، و الذين كفروا من النصارى أيضا هم أصحاب الجحيم، و ذلك في قوله تعالى: "**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (86)**"

بدأ ذكر العرب، الموانع لهم عن الاتفاق[554] في اتباع القرآن، المنافقون و الفاسقون و كذا المشركون بعدهم يذكر في –الآيات- 87-93. قوله تعالى: " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (87) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (88) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ**

---

[554] في ن ح "عن الأخلاق"

فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (89) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (91) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (92) لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (93)" هم يحرمون بعض الأشياء إتباعا للآباء، ذكرها في سورة الأنعام.

مسألة: عادة العرب كثيرة الحلف، و ذلك يضعف القوم في عزمهم، والفاء بالحلف يضعف العزم، فأمروا بالكفارة في المنعقدة و العفو في اللغو في –الآية– 88. أصل الحكمة "**وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ**".

مسألة: عاداتهم في الخمر و الميسر و الأزلام تمنعهم عن الأخلاص بالقرآن. منعوا عنه في –الآيتين– 90-91. مثل ذلك لا يطيقون آبائهم و رسومهم في الجاهلية بل يلزمهم أن يطيعوا القرآن. "**وَأَطِيعُوا اللَّهَ**...." ففي ما لم يبلغ الإنسان تحريمه يعمل على عادات قومه، لا مواخذة فيه، إنما المواخذة بعد ما سمعوا و فهموا أتباع نبيه. إليه الإشارة "**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ... الْمُحْسِنِينَ**".

الفصل الرابع: 94-108

القوة المركزية لإجتماع الأقوام حولها تحتاج إلى ترك بعض الحقوق لها، و إظهار اللين مع الأقوام الملتفت إليها، مع هذا هو عدم إظهار التفوق عليهم إذا أسلموا عظمة آل إبراهيم، احترموا الحنيفية. هذا يحصل بالرجوع. رجوع الأقوام إلى الاجتماع معنا لأننا لا نجعل لأنفسنا حقوقا عليهم، لكن فكر آئمتنا معظم عندنا لا شبهات أبدا.[555] فإذا مالوا إلى الاجتماع معنا حصل لنا المقصود: احترام الحنيفية. بهذا

[555] في ن ح "لا يستهان أبدا". و المراد به: رأي لا يُسْتَهان به : جديرٌ بالعناية، لم يستخف به. لينظر: **المعجم الوسيط**، 1000.

نكتفي و نترك هذا التفوق الذي يحصل لنا فيما بعد. إذا اجتمعت الأقوام حولنا فالتنازل في هذا المؤسس للمركزية.

قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (94)**"

مسألة: الصيد يحرم وقت الإحرام، و صيد البحر أحل لنا، و ترك هذا لاحترام البيت. حكم من أحكام الشريعة فليتدبر فيه الحكيم. يكون معنا بعد التدبر: أننا لو أردنا احترام البيت ، فلنترك الانتفاع بهذا الصيد، و يعرف الناس ذلك منا إنما تنازلنا عن بعض حقوقنا احتراما لمركزنا. و هذا المركز معناه ما هو "**جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ**" فتركنا الصيد احتراما لمركز الإنسانية فنترك هذا التفوق أيضا حتى يجتمع الناس حوله. هل يقبل الأقوام فوقية قوم عليهم بطيب أنفسهم؟ كلا! فنجعل أنفسنا متساوين للأقوام احتراما لمركزية البيت. هذا بعد تدبر الحكم، نقرأ الحكم "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ... مِنَ الصَّيْدِ**" امتحانا. "**تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ... بِالْغَيْبِ**" المسؤلية مفوضة إلى الإنسان، فأكل حرام مسؤل عند ربهم. "**فَمَنِ اعْتَدَى**" في هذا الحكم "**فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**".

تنبيه: الأقوام تأتي إلى البيت بدون سلاح، احتراما له لازم على كل أحد. و من خالف يعذبه الله، لأنه يبطل مركز الإنسان. و في قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (95)**" جزاء قتل الصيد. و معنى هذا إن أخطأ رجل أو تعمد في المعاملة؛ عامل بالسوء يجب عليه الكفارة، و إرضاء ذلك القوم، و إلا فليحفظ قوله في آخر الآية "**عَفَا اللَّهُ ... ذُو انْتِقَامٍ**".

قوله تعالى: "**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (96)**" إذا تدبر فيها إنسان يفهم أن الحجاز هو مركز الحرام و منبع اجتماعية، يكون فيه حقوق قومية العرب مسلوبة من العرب، أما ما عدا ذلك هم قوم من أقوام العالم على السواء. فأقوام اليمن و النجد و شمال الحجاز لهم حقوق القومية في بلادهم ثابتة، و يتركون

حقوق القومية في الحجاز احتراما للبيت فقط. و إلا فلا يمكن تحقق الاجتماعية العالمية في مركزها إلا على صورة الإمبراطورية الملعونة التي كاد أهلها إبراهيم و أولاد من بني اسرائيل. ثانيا: والفرس و الروم زمن نزول القرآن ظهر فسادهم في البر و البحر. فإذا أبطلنا تلك الإمبراطورية و جعلنا الحكم لله وحده فيكون المركز متساويا لجميع الأقوام، إليه الإشارة "**سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ**"[556] هذا حكم المسجد هو الحساس و تحريم الصيد في خارج المسجد تبعا للمركز، فليكن الحجاز أم القرى و من حولها تبعا له.[557]

هذا هو الذي أشار إليه الامام ولي الله في **حجة الله البالغة**، قال البلاد على قسمين: "قسم تجرد لأهل الإسلام كالحجاز... قوله عليه السلام:"لئن عشت، إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب"[558] وأوصى بإخراج المشركين منها. أقول: عرف النبي صلى الله عليه وسلم أن الزمان دول وسجال فربما ضعف الإسلام وانتشر شمله فإن كان العدو في مثل هذا الوقت في بيضة الإسلام ومحتده أفضى ذلك إلى هتك حرمات الله وقطعها فأمر بإخراجهم من حوالي دار العلم ومحل بيت الله. وأيضا المخالطة مع الكفار تفسد على الناس دينهم وتغير نفوسهم، ولما لم يكن بد من المخالطة في الأقطار أمر بتنقية الحرمين منهم"[559]

فسر جزيرة العرب بالحجاز لا كل جزيرة العرب، كما كان الأمر بترك الصيد إحتراما للبيت، كذلك يكون الأمر بترك حقوق القومية في الحجاز لقوم خاص. و أما خارج هذا الحدود فالعرب ينتفعون بحقوق القومية مثل سائر الناس. تمت المسألة.

مسألة: قوله تعالى: "**جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (97)**" رأينا الاجتماعية هي سبب لقيام الإنسانية. و رأينا الأموال سببا لقيام الاجتماعية ذكر الله في القرآن الأموال فقال: "**جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا**" في سورة النساء. فإذا تدبر الحكيم يعرف قيمة قوله "**قِيَامًا**

---

[556] الحج:25

[557] في ن ح "تبعا للمركز"

[558] لينظر" الترمذي، محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، أبواب السير، باب ما جاء في إخراج اليهود و النصارى من جزيرة العرب، 3: 208.

[559] ولينظر: ولي الله، **حجة الله البالغة**، باب الجهاد، 2: 274-275.

لِلنَّاسِ" إذ أبطلنا[560] الإمبراطورية لم يمكن قيام الناس إلا بالاجتماع بالرغبة في مثل ذلك الموضع المحترم. " **جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ** ..." إشارة إلى أن الإنسان يقدر أن يصنف دستورا و برنامجا لاجتماع الناس حول بقعة ما، ويسعى لذلك، لكن الفوز في الاجتماعية المركزية و دوامها و استمرارها على مرامه هو مثل أربعة آلاف سنين إلى زماننا، هذا لا يمكن بسعي رجل أو جماعة أو قوم، إنما يكون بتأييد من الله. هذا المحل جعله الله مركز للناس عامة. "**ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا**..." إشارة إلى أن إبراهيم لما وضع و رفع قواعد الكعبة للناس كان الله يعلم أن ذلك يتم بعد ثلاث آلاف سنة تقريبا. هذا لا يقدر أن يعلمه أحد سوى الله. هو الذي أمر إبراهيم ببناء البيت، هو الذي أخرجه من صلبه نبيا، يجمع الناس حوله، فيكون ذلك آية للمتفكرين "**أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ**..." بعده "**اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (**98**)" من احترم البيت يغفره الله ومن ترك يعذبه.[561]

قوله تعالى: "**مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ** (**99**)" إشارة إلى أنه لا يجوز أن ينسب الفوز في الاجتماعية العالية إلى تدبير النبي فقط، بل هو مبلغ، معلم، و الأمر و الحكم لله كله. فلا يجوز للأمة تنسب إلى النبي أن يتحكم على الناس و يبدل المركز على صورة الإمبراطورية و الله أعلم بأحكامه.

قوله تعالى: "**قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (**100**)" الاعتبار عندي في ذلك يمكن الإمبراطورية الملعونة على وجه الأرض هو المراد من كثرة الخبيث، و استيلاء[562] الجامعة الإسلامية على ضعف، و قلته هو المراد من الطيب. "**فَاتَّقُوا اللَّهَ** .... " إشارة إلى أن استمرار العمل من المسلمين يغلبون على الامبراطوريات، و الله أعلم.

مسألة: تفصيل قانون الاجتماعية: القانون الاجتماعي للأقوام مفوض إليهم تحت رعاية المصلحة العامة. فإذا أراد قوم أن يضبطوها في زمن الرسول ينهوا على أن المصلحة لا تقتضى ذلك "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ**

[560] في ن ح "إذا أبطلنا"

[561] في ن ح "و من هتك يعذبه" مكان "ترك"

[562] في ن ح "ابتداء"

عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (101)" الأمثلة التي ذكروها لتلك الأشياء الممنوعة غير كافية لفهم المراد، مثلا رجل يسأل؛ من أبي؟ هل له تعلق بالقانون القرآني؟ فالناس قصروا في أنفسهم على تلك الأمثلة. و الحكيم لا يقتصر عليه. "**قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (102)**" كان قانون شريعة قبل أوانه، و لذلك قد جاء من السلف قوم من سأل عن واقعة لم تقع.

قوله: "**مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (103)**" بيان حالة عمومية للقوم، ليسوا صالحين أن يفوض إليهم تقنين القوانين. فإذا كانوا على تلك الحالة هم لا يفهمون تفصيل القوانين قطعا. "**وَلَكِنَّ الَّذِينَ... لَا يَعْقِلُونَ**" فلا يقدرون على الفرق بين المفترى على الله و بين ما أمر الله به، هم لا يعقلون. أكثرهم رضوا بتقليد آبائهم. إليه الإشارة "**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (104)**" فإذا كان ذهنية عامة الناس مثل ذلك، هل يقدرون على تقنين القانون العموي الجامع للجزئيات أو على فهمه؟ كلا! هذا هو إعانة من نزول تفصيل الشرائع الاجتماعية. تمت المسألة.

مسألة: المؤمنون يجب عليهم أن يرتقوا في فهم القانون الشرعي و يجعلوا لأنفسهم قوة التقنين. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105)**" أي أصلحوا أنفسكم لحمل الأمانة القرآنية، لا تلتفتوا إلى تقنين القوانين للأقوام. إليه الإشارة "**لَا يَضُرُّكُمْ**..." يعنى إذا تدبرتم في القرآن. و إشارة تصلحون أن تحكموا على الأقوام. فالآن يكون فكركم كله التثبت بالقرآن و التدبر و الإحاطة بحكمه القرآن. ذلك يسهل لكم ببركة وجود النبي صلى الله عليه وسلم. فإذا اهتديتم لا يضركم أحد بعده. يعنى تقدرون أن تقاوموهم بعقولكم. و قد مرت إليه الإشارة في "**فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**". "**إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ**..." فيه إشارة إلى التوسع في فهم القوانين بعد أهتدائكم بهداية القرآن؛ إنما يكون بعد اجتماعكم مع الأقوام. فإن المسؤلية القومية عند الله مندمجة في المسؤلية الاجتماعية الإنسانية. إليه الإشارة "**إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ**..." أنتم بعد الاجتماع ترجعون.

مسألة: وقعت واقعة جزئية زمن النبي صلى الله عليه وسلم. رجل من المسلمين سافر إلى خارج دار الإسلام، فمات و أوصى بأهله،[563] فنزل آيات الشهادة **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ (106) فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (107) ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (108)"** فصار قانونا. لنا في مطالعة ذلك القانون رأيي على خلاف عامة الفقهاء الحنفية، و لا نعرف من غير الحنفية أيضا. كثير موافقة من فقيه، و تلك المطالعة مبنية على فهم قانون الشهادة المعمولة بين الأقوام.

تفصيل ذلك: قانون الشهادة عندنا؛ البينة على المدعي فإن لم تكن عنده بينة فاليمين على المدعى عليه. هذا هو القاطع لكل خصومة. عندنا ثم شهود البينة لازم في قانوننا أن يكونوا عدولا. فكان الفقهاء في الزمن الأول يرجعون في تعديل الشهود إلى زعماء القوم أو مقدمي التجارات[564] و كان ذلك سهلا، ما كان الأمر قوميا. فإذا اختلطت الأقوام و الغربا في مراكز الدولة مثل بغداد مجتمع الأقوام العربية و العجمية كلها صعب الرجوع في التزكية إلى كبائر العائلات و الأقوام. فجعلوا تحليف الشهود قائما مقام التزكية، فكانوا يستحلفون الشهود و القضاة من ابتداء الأمر بعد تعديل الشهود. ما كانوا يقبلون شهادة على رد شهادتهم؛ يعني لم يكن للمدعى عليه حق جرح في شهادة العدول. ففي زمان التعديل الحقيقي ما ظهر ضرر منع الجرح من المدعى عليه على الشهود. و إتيان شهادة أقوى من شهادة الشهود، و لكن إذا آل الأمر أن التعديل إلى الاستحلاف فظهر ضرر سلب حق الجرح من المدعى عليه. فإن هؤلاء الشهود يكذبون جهرا لأنهم مأمونون من حق رد شهادتهم بدرجات[565] عند القاضي.

---

[563] في ن ح بزيادة " و أشهد عليها رجلين من غير المسلمين، و هما خانا و سرقا بعض الأمانة. و بعد ظهور الخيانة خلف الأولياء على رد شهادتهما، فقبل دعوى أولياء الميت و قضى لهم. بعد تلك الواقعة الجزئية"

[564] في ن ح "مقدمي الحالات"

[565] في ن ح "بلاحلفهم" مكان "بدرجات"

و نحن لا نعرف تاريخ القضاة في زمن عروج الحكومة في الإسلام، أما في آخر زمن حكومة الهند نعرف أن الشهود الكذبة يجتمعون حول دار القضاء، فمن أدى لهم قيمة شهادتهم يحلفون كذبا، و يشهدون على ما يريده المدعي. فذهب احترام القضاء من قلب عامة المسلمين، فارتضوا الرجوع إلى المحاكم الانكليزية، وامتنعوا عن الرجوع إلى القضاة. و كان الفارق بينهما، أن الشاهد في دار المحكمة الانكليزية إذا قدر المدعى عليه على إثبات كذبه يقبل الحاكم جرحه، و يسقط شهادة الشهادة. أما دار القضاء إذا جاء شاهد بالشهادة الكاذبة، و أثبت عدالته عند القاضي بحلفه فقط. والمدعى عليه يقدر على إثبات كذبه بشهادة عدول مزكاة من القوم، ربما يكونون أعدل من القاضي، و القاضي لا يسمع الجرح على الشهود. تركنا من دار القضاء كلها. بالتدريج احتقر الناس القانون الإسلامي. هذا التاريخ أنا عالم به و أنا أتفكر دائما في المسائل كأني أقدر على العمل به. فإذا نظرت إلى تلك المسألة، و عمت مضرة عدم الجرح من وكيل المدعى عليه شهود المدعي أبطلت في فكرى، حكم من قضى به. وأني أعلم أن تصديق الشهود بالاستحلاف محدث ليس له أصل في قانون الإسلام إلا بنوع من الاستنباط و المنصوص في القرآن. إنما هو **"مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ"**[566] نحن لا نرضى بهذا الشاهد الكاذب، بأيدينا بينة على كذبه. حكم القضاة الحنيفة بإسقاط حق الجرح. إذا كان الشهود يعرف عدلهم بالتزكية جهرا أو سرا فأنا أسلم، لأن القاضي اجتهد في قبول شهادة الشاهد المرضى. و إذا ثبت عند القاضي بعد اجتهاده أنه مرضى فلا يجوز لأحد أن يبطل حكم القاضي. فتلك الحكمة مسلمة عندي في عمل الآئمة السابقين من القضاة الحنفية. و أما إذا أثبت القاضي عدالة الشهود بالاستحلاف فقط، فذلك أوجه[567] مثل حلف المدعي. و النبي صلى الله عليه وسلم رد حلف المدعي، فكذا يرد حلف شاهد المدعي. فإذا كان القاضي رضي بذلك الأمر الضعيف نثبت بعد ذلك بتجويز حق الجرح من المدعى عليه مع شهود المدعي، فيكون قضاءنا لا ينتقص درجة من درجة الأورباويين. و نحن نستند في تجويز رد شهادة شاهد المدعي إذا رأينا بوجود الكذبة. إلى الآيات التي تلوناها و لا يقبل فيه تأويل من أولها إلى رد حق الجرح كائنا من كان تحت المسألة الاستنباطية.

---

[566] البقرة: 282

[567] في ن ح "راجع" مكان "أوجه"

و الآن نتكلم في حكمة تلك الشريعة و أساسها بما سبق. قد ذكرنا المسألة السابقة وجوب الرجوع في الاجتماعية إلى مسابقة الأقوام يلزم من ذلك أن يقبل الأقوام في إقامة العدل مثل قومنا، و إلا لا يمكن منا إقامة العدل على قوم غير قومنا. فإذا أردنا أن نحكم عليهم فندخلهم في دار القضاء بإثبات مماثلة و مساواة و إن كان وقت الضرورة. و القرآن العظيم نص أن شهادة بينكم حين الوصية إثنان ذوي عدل منكم و آخران من غيركم. و جعل القرآن شهادة غيرنا مثل شهادتنا وقت الضرورة. فمن تلك الحجة يتبع قضائنا بالاجتماعية العالمية، ثم يقدرون على تقنين قانون إن احتاجوا، فتم الاتساق، و تم الفصل. الحمدلله.

الفصل الخامس:

الحكم على الأقوام ليس إلا لله. فلا يحرف قوم هذا القانون الاجتماعي بين جميع أديان الناس من أول الأمر إلى آخر يوم القيامة. فالدينيات أول أمرها الإيمان بحكم الله و الاستلام له. و من لازمه إبطال الإمبراطورية الملعونة إذ مرجعها أن مركز الإمبراطورية غير مسؤلية عن شئ. و هذا لا يستحقه إلا الله ربنا وحده لا شريك له. إليه الإشارة "**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**"[568] فإذا أقام أحد حكومة غير مسؤلية عند الناس، الحاملين لحكم الله هو ملعون فرعون من الفراعنة. فإذا كان أمر الديانة ينافي ذلك الأمر فلا ينبغي لقوم أن يحرفوا هذا الحكم بجعل نبيهم إلها، إذا اعتقدوا بذلك حكموا قوميتهم على الأقوام باسم الله، فذلك باطل من الأمر مخالف لما أجمع عليه الرسل من –الآيتين- 109:120.

قوله تعالى: "**يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (109)**" فلو كان إلى علام الغيوب. مقصد الفصل قد تم و تبين في هذه الآية الواحدة، و إذا رجعنا إلى آخر الآية "**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (120)**"

ذكر المائدة و حقيقتها:

هنا شبهة عارضة لقوم من بني إسرائيل ينبغي إزالتها. النصارى يدعون أن المسيح قال لهم إني إله أو كما قالوا. حل لتلك العقدة هو المنظور في –الآيات- 110-119.

---

[568] الأنبياء: 23

ولنذكر المسألة من صحائف الأناجيل. ذكر رواة الأناجيل مسألة العشاء الرباني في متى، مرقس، لوقا.

مشاغبة عارضة لقوم من بين اسرائيل ينبغي ازالتها أن النصارى يدعون أن المسيح قال لهم أنى إله و أو كما قالوا حل تلك العقدة هو المنظور ههنا في –الآيات– 110–119 نذكر المسألة من صحائف الاناجيل ذكر رواة الاناجيل مسألة العشاء الربامي: متى مرقس لوقا ..

و في **متى** (26:26–28) "فيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز و بارك و كسر و أعطى التلاميذ وقال (خذوا. كلوا هذا هو جسدي). و أخذ الكأس و شكر و أعطاهم قائلا (اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا".

وفي **مرقس** (12: 22–24) "فيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز و بارك و كسر و أعطى التلاميذ وقال (خذوا. كلوا هذا هو جسدي). و أخذ الكأس و شكر و أعطاهم قائلا (اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا".

و في **لوقا** (22: 14–20) "و لما كانت الساعة اتكأ و الإثنا عشرا رسولا معه، و قال لهم: "شهوة اشتهيت أن أكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم، لأني أقول لكم: إني لا آكل منه بعد حتى يكمل في ملكوت الله". ثم تناول كأسا و شكر و قال: "خذوا هذه واقتسموها بينكم،... و أخذ خبزا و شكر و كسر و أعطاهم قائلا: "هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكري". و كذلك الكأس أيضا بعد العشاء قائلا: "هذه الكأس هي العهد الجديد الذي يسفك عنكم".

هذا العيد على صورة العشاء الرباني معمول به عند النصارى إلى يومنا هذا. تلك المائدة يجتمعون عليها و يأكلون فيها مع المسيح، ليكون تذكارا و عيدا لهم للقيام. بهذا الطريق هذا هو المذكور في الأناجيل و تلك المائدة كانت مسؤلة منهم، ثم كانت فيها بركة المسيح ممثلة بصورة الخبز و الشراب. فإذا أكلوا و شربوا اتصلت الدعوة و بركتها بهم جميعا. فنزول هذه البركة هي تجعل المائدة نازلة من السماء. في تلك المسيح يخبرهم، أنه يبذل دمه لهذا العهد. فهل بعد ذلك يمكن أن يقول أنه إله على الحقيقة؟ كلا!

فإن كان تكلم بكلمة تكون على سبيل النزول التجلي الرحماني على الحجر البحت[569] تكلم الرب على لسان عيسى ابن مريم، فغلط في فهمها من لم يدرك صحبة فحرف عن موضعه. و بظهور ذلك التجلي الذي هو من الكمالات الإنسانية لا يصير الرجل إلا عند المحققين. لا يخلو أحد من رسل الله إلا و تكلم الرب على لسانه، فكما هم يوجد منهم يصير المسيح أيضا إلها. فالتبرى من ابن مريم هي مسؤلية تلك الكلمة المحرفة في بعض أتباعه. حكى الله في آخره هذه القصة و أزال الشبه.

قوله تعالى: "**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (110) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (111) إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (115)**" ذكر الله إحسانه إليه.

في قوله تعالى: "**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116)**" يعني أنعم الله عليك بنعم الله خصوصا، تلك النعم يكون منك هذا؟ "**قَالَ سُبْحَانَكَ** ..." أيضا رد الأمر إلى علام الغيوب مثل عامة الرسل.

في قوله تعالى: "**مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117)**" هذا و

---

[569] في ن ح "في الحجر البحت"

العهد الجديد الذي أخذ منهم ليلة العشاء الرباني، "**وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**" أنت تعلم أنه بعد ما توفيتني حدث فيهم هذا الفكر. و أما في زمني و من أصحابي لم يكن من هذا شئ.

في قوله تعالى: "**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118)**" إشارة إلى عفو خطأ اجتهادي منهم، كما يعرفه الفقهاء، إن ذلك مغفورة. كذلك في باب المعارف الإلهية إذا صدر خطأ من غلبة سكرة من شدة المحبة يغفرلهم. "**وَإِنْ تَغْفِرْ**..." إذاكانت أمة أخطأ بخطيتهم فنوع من المسؤلية راجع إليهم. إلى ذلك المعنى إشارة "**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ**" لا يكون لك اعتراض مثل الغلبة جاء في الحديث في مثال التائب رجعت ناقته قال من شدة الفرح "أنت عبدي و أنا ربك"[570] قال الله جوابا للمسيح "**قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119)**" فإن كان أحد معذورا في حبه و صادقا في إيمانه نغفرله،و إن تعلق به رجل، تعمد الفساد نعذبه. الصادقون "**لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي**...".

تتمة: في قوله تعالى: "**إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ** ..." لقد تخبط في تفسيرها المفسرون بتثبتهم بكلمة "**أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً**" و هم قد غفلوا. معنى قوله "**وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى**" [571] في فهم مقامات الإلهية. و مع كل ذلك هم يقدمون لتفسير كتاب الله. فإذا استشكل رجل من الجهال يأتي أهل التقليد له كأنهم يجعلون جهلهم أمر الملة. والكل مردود إليهم، و كتاب الله برئ.

تلك المائدة التي حصلت لهم ليلة العشاء الرباني كان هيأها المسيح بأمر بعض أصحابه، أنهم يأكلون عيد الفصح. فصاح العيد.

عيسى دعى ربه، فألهم أنه يأمر أحدا من تلامذته و هذا مستجابة بدعائه. قوله: "**اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**" و عيسى ابن مريم أراد أنهم يتوجهون في هذه الحالة إلى العزم على إقامة التقوى مثل ما

---

[570] عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح " و لينظر: **صحيح مسلم**، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة و الفرح بها، 4: 2104.

[571] البقرة: 57

بايع صحابة الحديبية على أيدي النبي صلى الله عليه و سلم. هذا معنى قوله "**اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**" فلما فهموا أمر المسيح قالوا نريد تلك المائدة. تصويرا لذلك العزم فتصير الجماعة كلها مثل رجل واحد، تقبل عيسى اقتراحهم. ثم دعى ربه "**رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً**" يعنى يتصرف نازل من حظيرة القدس في قلوب بعض عبادك، يهيؤن لنا ما نحتاج إليه. "**قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا**..." لكن لما كان تصويرا للعزم المصمم على إقامة الدين مجتمعين مثل رجل واحد. "**فَمَنْ يَكْفُرْ**.." و كان فيهم واحد تخلف نبيه عيسى على ذلك. و كل هذه مبسوطة في الأناجيل و كان ذلك مثل صاحب الجمل الأحمر يوم الحديبية رجل من المنافقين كما جاء في رواية الصحاح.[572] فغلط في تفسير تلك الواقعة أكثر المفسرين. و نحن ما بعد تعارفنا لاصطلاحات الحكماء في حكمة الإمام ولي الله سهل علينا بحمد الله فهم الواقعات في آيات المائدة. و قد ذكر الإمام ولي الله في بعض كتبه تأويل العشاء الرباني أن المراد من قول عيسى هذا مذهبي و هذا دنيوي ما هذا. و كانه اعترف بصحبة الواقعة و بعد ذلك لا نحتاج إلى شئ أزيد منه.

[572] "عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يصعد الثنية، ثنية المرار، فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل» قال: فكان أول من صعدها خيلنا، خيل بني الخزرج، ثم تتام الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وكلكم مغفور له، إلا صاحب الجمل الأحمر» فأتيناه فقلنا له: تعال، يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم، قال وكان رجل ينشد ضالة له" لينظر: القشيري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب صفات المنافقين و أحكامهم، 4: 2144.

سورة الأنعام

بسم الله الرحمان الرحيم

عندنا السور الأربعة المتقدمة: البقرة، آل عمران تبحث عن الشرائع السابقة لتوضيح الحنيفية. إذا حذفنا الأغلاط من اليهودية و النصرانية تنطبقان، و تكون شرحا للملة الحنيفية. و إجمالها كانت من إبراهيم إلى يوسف: فإبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب. ثم شرع في التفصيل.

1- من يوسف إلى موسى درجة. 2- من موسى إلى عيسى درجة أخرى، ههنا تمام الإسرائيلية. 3- ثم من عيسى تعميم الإسرائيلية، و بالاجتماع فيها يكون شرحا للحنيفية، شرحا باعتبار الصورة و الشريعة. ثم هذه الصورة تقوم على اجتماعية طبعية، و للإجتماعية الطبيعة دعامتان: 1- النساء، 2- المائدة. فالنساء و المائدة تكملان صورة البحث في الاجتماعية. فإجمال الحنيفية في الفاتحة و تفصيلها في البقرة و آل عمران. و تفصيلها معنى في النساء و المائدة. فتلك السور الخمس كأنها شرح للحنيفية التي تجمع المؤمنين بالقرآن، و تجمع اليهود و النصارى و ما بقي بعد هذه الأديان إلا الصابئة. فهم خمس أقوام الهند، و الصين في الشرق، الإيران بالمعنى العمومي الشامل للتوران في المتوسطة، اليونان و الرومان في الغرب، و أطراف الممالك الباقية، إما ملحقة بهؤلاء، و إما وحوش ملحقة بالأنعام. فمجوس الإيران هم أقدم من الصابئة. واليوم نعرف اليونان مقدمة في الحكمة. و إذا راجعنا في التاريخ فاليونان تفرعت من الإيران. الهند القديم و الصين أمتان كائنان في الأصل على درجة عالية من الاجتماعية، لكنهم انحطوا. فجاء آرية الهنود، و تقدم عليهما. و آرية الهنود و المجوس شيئ واحد متقاربان. و هذه مسألة الإيران و التوران ليس فيهما فرق كثير، هما متقاربان من هذا الطريق. و قد ثبت عندنا تقدم المجوس على الصابئة.

و نحن نجعل سورة الأنعام في الصابئة[573] بتوسط المجوس. الأعراف نجعلها لسائر الصابئة على انفرادها. هذه الستة من السور تجمع مسائل أديان العالم كلها. ثم في الأنفال و التوبة جهاد و انقلاب بالقوة بعد إثبات الحجة للعالم. هذا هو الباب الأول من القرآن السبع الطوال.

[573] موضوع السورة هي الدعوة إلى الحنيفية للأقوام الصابئة كما أشار إليه في **مقام محمود**: "*جس قوم کے دماغ پر صابی فلسفہ حاوی ہے۔ اسے حنیفی تعلیم کی طرف لایا جارہا ہے*"۔

فالآن نشرع في سورة الأنعام و نتكلم مع أصحاب النور و الظلمة من المجوس. و في ضمن هذا يصل الدعوة إلى الصابئة عامة. عندنا في مطالعة تاريخ الأديان الصابئة مطالعة مخصوصة ممتازة عن عامة أهل العلم؛ أساسها من الإمام ولي الله، ثم توسعنا فيها بما عرفناه من أديان الهنود الحنيفية، غلبوا على العالم الإسلامي بواسطة غلبتها على خلافة بغداد. و نقول بتعبير آخر بانتصار خلفاء بغداد. فكانت للحنفية مركزية في الحكومة و وضع القوانين، و للحنفية تعلق من وجوه بالعجم. فالمذاهب المنشعبة من العرب مثل المالكية و الشافعية و الحنابلة مع كل سائر الأقليات يتأذون من قلوبهم على الحق أولى من الحنفية لكن القوة السياسية ما وافقتهم و صارت كمغلوبة، هم دائما يعارضون الحنفيين. هكذا اليونان و رومان بمنزلة الحنفية، و الإيران و الهند بمنزلة المالكية، و الشافعية هم يحسبون أنهم أحق بالعلوم من اليونان، لكن القوة السياسية من زمن أسكندر أمدهم. و ليس الأمر باعتبار العلوم مثل ما يزعمه الناس، فلذلك نحن نقدم المجوس على الصابئة. هم في الوسط لهم نسبة إلى الأطراف من اليونان و التوران. و فسادهم في آخر الأمر يمنع على أن يكون أوائلهم متقدمة. تمت المطالعة.

قوله تعالى: "**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** (1)" من ذلك الباب يدخل الحكيم في معرفة الرب الذي خلق السموات و الأرض، يتفكر فيهما كل إنسان بالطبع. يدرك وحدة التدبير النافذ في جميع الدوائر؛ هو التدبير مستقر و غالب فيهتدي إلى الله. إليه الإشارة في "**الْحَمْدُ لِلَّهِ**" ثم يتقدم حاذق الحكماء على استخراج أصول ذلك التدبير، فينشأ منه مذهب في الحكمة نسميها النور و الظلمات، ذلك بشروط يهتدى. إذا روعي الإنسان ببركة إلى معرفة الرب في المدارج العالية، ثم إذا جاء ذلك المعرفة إلى أيدي جهال من أهل السياسة يتقدمون على الناس فيبدل بالشرك بتأسيس أصول الشرك، كأنه فطرة للإنسان فيفسد الأمر.

"**وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**" ولنرجع إلى مسألة الصورة و المادة. و الصورة ترتقي إلى النفس الكلية و هو عبادة عن الوجود المنبسط بعد تنزلها، و هو النور. و المادة تنتهي إلى الماء، مثلا: هي الظلمة فلا يكون في مسألة النور و الظلمة، و مسألة الصورة و الهيولى، و مسألة النفس و النفس الرحماني، إلا فروق اعتبارية. ثم لنمعن إمعانا لجمع تلك المسالك و تطبيقها بتحليلها إلى كلمات توافق اصطلاحنا المعتمد عليه في حكم الإمام ولي الله. فنقول التجلي هو ذريعة المعرفة الحقة عندنا، و يلاحظ بوجهين: أما بجعل

مرأة للمتجلي و أما ببقل النظر إليه. ففي الصورة الأولى يقال له التجلي، و هو النور، و هو الصورة، و هو النفس الكلية. و إذا لوحظ بالوجه الثاني، هي الظلمة و هي المادة و الهيولى، و هي النفس الرحماني.

قد صرح الإمام ولي الله أن النفس الكلية و الرحماني شئ واحد، و إنما الفرق بالاعتبار من هذا الطريق.[574] سهل لنا هذا التأويل، و نحن نجزم أن هذا الفرق لا يقدر على تحقيقه، و لا على إذعانه و قبوله الا خواص الحكماء. و إذا فوض هذه المسائل إلى عقول العامة يغلطون. فإذا انضم مع الأغلاط الدعامة السياسية يصير دبن متبوع يتبعه ناس. هو الذي صار بسببه الشرك عاما في طوائف الصابئة. فإن من الفلاسفة من أثبتوا عقولا قائمة لذاتها؛ هي مرجع الكائنات. و الإمام ولي الله ينفي استقلال العقول المجردة، و يجعلها تجليات. و إذا غلط الفلاسفة بإثبات الاستقلال للعقول فكأنهم أسسوا الشرك، ثم أتباع الفلاسفة يجعلون نماذيج لأفكارهم على حسب مدارجهم، إما من الشمس و القمر، و إما من أشخاص روحانية أو ظلمانية، و إما من أصنام الكاملين و أوثان بإسمهم من الأحجار و القبور. فكل ذلك يرجع إلى خطاء أولى.

إذا أصلحنا أفكار الناس من الابتداء، فإن الأشياء النورانية و الروحانية و القاهرة تكون مثل التجليات لله الحق في حالة إذا كان كل منها مرأة للحق، بل هو مخلوق من مخلوقات الله، و للإنسان فضل جزئي على المخلوقات. فلما لا يجعل نفسه مرأة للحق من هذا الطريق إصلاح الحنفاء، لكن أهل السياسة لما أصروا على شركهم و باطلهم صارت تلك المعرفة محتاجة إلى سلطان قوي، يهدم حكومات المشركين أو يغلب عليها ذلك السلطان. لا يأتي إلا تحت حقيقة من الحقائق، فصار دين الحنفاء حقيقة. مثال ذلك سوشليزم —الاشتركية– انتشر باعتبار نظرية فلسفية للإجتماع. فكان هذا إلى زمان، فاحتاجت تلك النظرية إلى تأييد من حكومة. والحكومة لا يمكن تنظيمها إلا على حقائق. نتوجه أنصار سوشليزم بإثبات نظريتهم باستقراء التجربيات الحقائق. فلما صلح فكرهم في تنظيم الحقائق، حدث فيهم نشاط لإقأمة حكومة. فالفلاسفة الذين كانوا تكهنوا بفشل مثل تلك الحكومات و الاجتماعيات، لأنهم لم يكن عندهم مستندة إلى الحقائق. فتكهنوا بفشلها، و تقلد هم الناس زمانا، لكن لما قامت أنصار تلك النظرية بإثباتها حقيقة ثم أقاموا عليها حكومة، فما فشلوا، بل فازت الحكومة.

---

[574] لينظر: ولي الله، **سطعات**، سطعة 3، 68.

فالنظرية إذا أيدتها الحقائق و التجارب تصير حقيقة، لا تنهدم ببث الدعات بل بمقابلة الحقائق هكذا. نظن أن الحنيفية أولا كانت معرفة نظرية إصلاحية للصابئة، و ذلك من زمن نوح، ثم صارت حقيقة جاء بها إبراهيم. هدم بها حقائق المذاهب الصابئة. ثم سهل علينا أن الحنفاء إذا تقاصروا في جمع القوة الحقيقة لنظريتهم، و جمع الصابئة القوى الحقيقية لتأييد نظريتهم يغلبون على الحنفاء. و لا يكون في ذلك تصحيح لنظريتهم، إنما هو غلبة الحقائق على الحقيقة. و هذا علم آخر، و أما البحث في النظرية فلا يكون حق إلا للحنفاء.

ثم رأينا من الحنفاء آئمة يتبعهم ناس جهلة. يرجعون إلى الصابئة، لأنهم لا يقدرون على تمييز نظرية الحنفاء من نظريات الصابئة. هم رأوا كاملا، تجلى الله في قلبه في الحجر البحت، ففي تلك الحالة هو يكون تجليا إلهيا. متفق عليه بين الحنفاء و الصابئة. أما بعد رفع تلك الحالة، الحنفاء لا يجعلونه تجليا. والصائبون يجعلونه تجليا مستقلا. لذلك الكامل هذا بعد فساد ديانتهم. فالجهلة من اتباع الكامل يجعلونه تجليا مستقلا على نحو المبطلين من الصابئة. هذا الفرق في النظريات أيضا قائم. و الفرق بين كون كل من مذهبين حقيقة من الحقائق يرجع إلى تصديق في مبدأ هذا الدور.

لما تصاعدت القوى؛ قوي الهيولى، و انتظمت الكليات و العنصريات، ما كان مرجع القرب إلى الله إلا نفوس الأفلاك و العناصر. فانتظمت الصابئة، فجعلتها ذريعة التوجه إلى الله. ثم بالتدريج التحق الكاملون من البشر بحظيرة القدس؛ مرجع تقرب إلى الله. و لما رأى الحنفاء أن فساد نظريات الصابئة بلغ إلى الكمال أعرضوا عن تلك الوسائط بالكلية. و جعلوا ذريعة التقرب إلى الله، توسط الأحجار البحت للكاملين من البشر. فانتظمت حقيقة بمقابلة الحقيقة الأولى، لكن حقيقة الأولى ما بطلت كلها، فإن نفوس الأفلاك و العناصر منبع التجليات الإلهية إلى يوم كما كانت. إنما حرم الصابئون من التقرب لفساد نظرياتهم فقط. فإذا اجتنبوا الفساد و رجعوا إلى التجليات حقيقة فقط، هم أيضا على الحق و الحقيقة، لكن الحنفاء أولى منهم لاعتمادهم على الفطرة الإنسانية السليمة فقط. فهم محتاجون إلى تكلف و إلى تجشم استدلالات، لا يسلم فيما أحد إلا نادرا. فلا يعتبر طريقتهم في النواميس الكلية، إنما يأتي بها رجل مخصوص فيفوز. فليس قيمة مذاهب الصابئة إلا مثل مذهب المجتهدين في الإسلام. فقد وضح بذلك، الفرق بين درجة العارفين بمسلك الظلمات و النور و درجة المشركين بالله بإثبات يزدان و أهرمن مسقلين، هكذا في آرية الهنود، هم يجعلون رجالا من الكاملين مثل راما و كرشنا في المتأخرين، و شيوه و وشنو في

المتقدمين ذوات مستقلة، منبع الشريعة و التكوين. و عدلوا عن جعلهم تجليات، جعلوهم شركاء لله. هكذا من أثبت العقول من اليونانية هم أثبتوا شركاء، من جعل هؤلاء حجابا و حجبا في تأثيرات الرب في مخلوقاته. هو الذي يكون أثبتهم مستقلين شركاء، و الحنفية لا ينكرون وجودهم إذا تنزل الرب إليهم. يجعلونها تجليات أيضا. و هم في تلك الحالة لا يكونون حجبا في التأثير، فإن المؤثر هو الحق لا يشرك فيه التأثير بوجه، يعني و لو بالشفاعة، لا ملك مقرب، و لا بشر مجتبى. أما إذا لم ينزل الرب إليهم هم ليسوا إلا مخلوق من المخلوق. هذا هو الفرق في النظريات.

فالقدماء عن الصابئة أصحاب النور و الظلمة كانوا مثل الحنفاء. النور هو التجلي، و ذلك الشخص بعينه في وقت عدم التجلي نعبر عنه بالظلمة، يعني لا يستند إليه شئ. فلحنفاء بالنسبة إليهم مثل المجددين بطريقتهم. أما هم الذين تأخروا إذا أثبتوا ذوات مستقلة حجابا بين الله و تأثيره كانوا من الفرس و الهند و من اليونان و من التوران و الصين و الروم؛ يعني العرب و الحبشة، فالكل سواء، تأخرهم في الدرجة عند القرآن عنهم. "**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**" فإثبات الحجاب بين الله و تأثيره كفر بالرب. ثم الآية الأولى منها إلى السادسة تفسير و تشريح لتلك الآية نتلوها.

قوله تعالى: "**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2)**" يعني العنصريات التابعة للإنسان التي تجتمع من الطين مثل التراب و الماء و الهواء. و أنا لا أسلم و لا أعتقد أن النار عنصر رابع خلاف ما جرى عليه أتباع الإمام ولي الله. ليس مسألة أصولية انجروا على منهج إلهيون الذين استقر أفكارهم في كلام ابن سينا و الطوسي[575] و نحن مضطرون في عصرنا هذا إلى الاختلاف معهم في كثير من الأشياء. و في هذا لا يوجد خروج من طريقة الإمام. و قد رأينا بعض من له تقدم في إدراك الحكمة من آئمة أهل العلم مثل إبن تيمية و من أتباعه ابن القيم[576] أنكرا كون النار

---

[575] محمد بن الحسن بن علي الطوسي، ولد في خراسان في سنة 385هـ، مفسر، نعته السبكي بفقيه الشيعة ومصنفهم. و من أشهر كتبه: **الإيجاز، الجمل و العقود، التبيان الجامع لعلوم القرآن، الاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار**، و توفي سنه 460 في بغداد. و لينظر: **الأعلام**، 6: 84.

[576] محمد بن أبي بكر الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين، ولد في سنة 691هـ ، و كان من أركان الإصلاح الإسلامي، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شئ من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الّذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، و ألف تصانيف كثيرة ، منها **إعلام الموقعين**، و الطرق **الحكمية في السياسة الشرعية، شفاء العليل**...، و توفي في سنة 751هـ. لينظر: الزركلي، **الأعلام**، 6: 56.

عنصرا في **زاد المعاد**[577] ثم نحن نزيد عنصرا آخر عند الهنود (آكاش)[578] هو يرجع إلى تفسير عالم المثال عند الإمام. و العناصر عند الهنود خمسة؛ يعدون النار و آكاش عنصرين.

في فكرنا أن اليونان أخطأت في تعيين النار القوة البرقية المثالية، عبروها بالنار. و كلام الهنود أفصح و أوضح. و كلام الإمام ولي الله أيضا أقرب إليهم. فلو جاز لنا تسليم نار غير النار المقدسة البرقية المثالية نجعلها عنصرا خامسا. و لا يكون في هذا بأس. هذا الجسم المخلوق من العناصر المعبر عنه بالطين؛ قضى الله أجلا و لا يزيد عليه. أجل شخصي و أجل نوعي. و الإنسان ليس عبارة عن مجرد هذا الجسم فقط، بل هذا الجسم مثل مركب له إلى وقت محدود. و الإنسان على الحقيقة مركب من نسمة و نفس ناطقة، فأجل هذا غير الأجل الأول. إليه الإشارة "**وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ**" أي في عالم المثال و حظيرة القدس. و الإنسان إذا مات بجسده الطيني يكون حياته موجودا في عالم المثال و ما يتعلق به. هذا متفق عليه عند آوائل الحكماء قاطبة. "**ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ**" لغفلتكم عن حقيقة قول آئمتكم في تمثيل حكم.

قوله تعالى: "**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (3)**" إشارة إلى نفي الحجاب في تنفيذ حكمه و في علمه. "**وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (4)**" معناه عندي يأتي إليهم العارفون بالمسائل الدينية على وجهها و هم يثبتون نفي الحجاب بين الله و بين خلقه هؤلاء يعرضون عنهم لا يلتفون إليهم.

في قوله تعالى: "**فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (5)**" تهديدهم لأجل هذا الإعراض أن ذلك قد أفضى التكذيب، "**فَقَدْ كَذَّبُوا**" هذا التهديد موافق للناموس الكلي الإلهي، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ**

---

[577] " فإن قيل: فأين حظ الجزء الناري؟ قيل هذه مسألة تكلم فيها الأطباء وقالوا: إن في البدن جزءا ناريا بالفعل، وهو أحد أركانه واسطقساته. ونازعهم في ذلك آخرون من العقلاء من الأطباء وغيرهم وقالوا: ليس في البدن جزء ناري بالفعل، واستدلوا بوجوه" ثم ذكر خمسة وجوه عليها. ولينظر: الجوزية، ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، فصل: في هديه صلى الله عليه وسلم في الاحتماء من التخم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: السابعة و العشرون، 4: 19.

[578] العناصر الخمسة في الهندوسية هي: الهواء، الماء، النار، الأرض، و آكاش، والمراد به الفضاء، أو الأثير (Aether). حملت هذه المعلومات من شبكة انترنيت، التاريخ: 20-10-19، لينظر: د. گوتم چهترجی Dr.Gautam Chatterjee)، **العناصر الخمسة**(**PANCHABUTA or FIVE ELEMENTS**) ، http://www.ibiblio.org/gautam/hind0003.htm.

مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (6)" لا يعرف الناس أنهم هلكوا باقتضاء الأسباب الطبيعة، بل هلكوا بذنوبهم. الأسباب الطبيعة ليست علته، و تأثيرها ليس على وجه العلة بل ذلك التأثير نتيجة التأثير بالأسباب الطبيعة من المؤكلين عليها، المأمورين من حظيرة القدس بإهلاكهم. فالوسائط لما صارت مختفية عن الناس عامة هم يحسبون أن ذلك باقتضاء الطبيعة فقط إلى قصورهم في التأمل إشارة في "**وَأَنْشَأْنَا... آخَرِينَ**" تلك الأسباب الطبيعة صارت سببا لإنشاء القرن الآخر. فكان الإهلاك و الإنشاء بتأثير الله الحق و الأمور الطبيعة لا تصير حجابا إلا عند الجاهلين.

الفصل الثاني

في بيان الفارق بين الحنفاء و الصابئة المبطلين. هو إثبات حظيرة القدس و إثبات التجلي على العرش، و الحاكم في حظيرة القدس، و ينشأ من إثباتها مسألة الإرادة المتجردة. فإثباتها للحق ليس صحيحا عند المتأخرين من الصابئة و الحنفاء يجعلونها مصداق معرفتهم بالله؛ يعني هم لا يعرفون ربهم إلا بالمريد. و أما معرفة الرب بالإيجاب فيفوضون أمرها إلى خواصها فقط، صار ذلك من أهم موارد النزاع. ثم يتبع هذا النزاع إثبات الكلام المتجددة. و بواسطة حظيرة القدس يثبته الحنفاء، و ينكره الصابئة المتأخرة. ثم انجذاب النسمة الإنسانية الجسمية المقهورة تحت تأثير النفس الناطقة إلى حظيرة القدس محقق عند الحنفاء و ينفيه الصابئة. و من هذا الانجذاب يحدث مسألة القبر و الحشر و الجنة و النار في طريق الوصول إلى حظيرة القدس. هذه مسألة أصولية اختلفت فيها الصابئة و الحنفاء. بيانها بلغة العرب الأميين من أهم مقاصد القرآن.

و بعد ما حصل الشفاء في تلك المسائل لرجل و انشرح صدره، لا يتخلف عن التطبيق بين الحنفاء و الصابئة. تلك النظريات استفدناها من حكمة الإمام ولي الله و نرتبها على الآيات القرآنية بحسب فهمنا في الفصل الثاني بحث عن الكلام المتجددة.

قوله تعالى:"**وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7)**" بعد وصولهم إلى المشاهدة أيضا ينكرونه، لأنهم أخطاؤا في تأسيس النظريات، و ما أثبتوا

نزول التجليات بل جعلوا كل ما صدر بعد الصادر الأول حجابا في تأثير الحق، فالشدة تحملهم على نظريتهم. لو رآوه غلطا بالمحسوسات لما تيقنوا. إليه الإشارة في الآية السابعة.

ثم يرجعون على نظرياتهم و يأتون بالنظر إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (8)**" المراد من الملك في نظرنا هو الصادر الأول أو العقل الأول، فإنهم لا يقبلون مصداقا للتجلى إلا الصادر الأول فقط. هذا أيضا عند خواصهم، و أما العامة فهم يجعلون العقل الأول حجابا له. في صورة المناظرات يتمسك العوام بنظرية بعض آئمتهم و إن كانوا في حالة عدم المناظرة لا تيقنون بها. "**وَلَوْ أَنْزَلْنَا**" إشارة إلى انجذاب النفس إلى حظيرة القدس. و تحقيقه أن النفس إذا وصلت في التجرد إلى درجة يقدر أن ينظر إلى أعلى قوة في حظيرة القدس ينجذب إليها فورا، إليه الإشارة "**لَقُضِيَ الْأَمْرُ**".

في قوله تعالى: "**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (9)**" رعاية الحكمة البشرية توجب أن يظهر الملك في صورة الإنسان ليسهل الأخذ عنه بالفطرة. غرضهم في الحقيقة هو نفي الكلام ثم تهديدهم في قوله تعالى: "**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (10) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (11)**".

في قوله تعالى: "**قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (12)**" توجيه أنظارهم إلى جذب الإنسانية إلى الله. و أنه رحمة في حق الإنسان؛ يعني أن هذه الرحمة تستلزم إنزال الكتاب حتى يستمر الإنسان في العلوم الإلهية و يستعد للانجذاب.

قوله تعالى: "**وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (13) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (14) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (16) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (18)**"

بيان تأثير الرحمة في أن لا يلتفت الإنسان إلى غير الله. يستفيد من رحمته أكثر "**وَلَهُ مَا سَكَنَ... الْخَبِيرُ**" ثم بحث الانجذاب إلى –الآية- 18.

ثم توجه لوجه آخر على ضرورة نزول الكتاب. تصويره أن النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى عمل، و يوعد على تركه بجزاء. فإن كانت القدرة بيد النبي صلى الله عليه وسلم هو يجازي أعدائه بمجازاة شديدة، لكن هذه الأعمال من النبي لإطلاع هؤلاء بالعذاب تكون مستخفية، لا تظهر للناس عامة، و لنجعل الأمر المتنازع فيه واضحا جليا. المجازاة تكون بقوة لا تكون بيد النبي أبدا. والمجازاة تكون على مخالفة هذا القرآن فقط. فهل لا يصير الإنسان مجبوار لأن يسلم أن بين هذا القرآن و بين من أتي بالعذاب على مخالفة الاتصال حقيقيا. فيثبت أن القرآن كلام الله و يظهر صدق هذه الدعوة، أن المجازاة لم تقع إلا على ترك القرآن و من لم يبلغه القرآن لا يجازي بذلك الجزاء. فيكون دليلا على أن القرآن صدر عن الله، فأهل العلم يجب عليهم أن يتصرفوا في نظرياتهم حتى يصح صدور هذا الكلام من الله، لأنه حق واقعي.

فالنظريات لا نجعل إلا على حسب الواقعات. ذلك لا يكون إلا بالاعتقاد بحظيرة القدس. و نزول التجلي على العرش هذا مثل الدليل الأني بإثبات العلل استدلالا من نتائجها. إليه إشارة في قوله تعالى: "**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (19)**" فإذا خالف من بلغه القرآن فجازاه الله لا غيره كل الجزاء، لتسلمون أن القرآن من الله. و إلا فتسلمون أن المعذب على ترك القرآن غير الله، و سلمتم مع الله آلهة أخرى شركاء له. إليه إشارة "**أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ...**" حاصل هذه الآية عندنا أن المجازاة بالعذاب تقع على من بلغه القرآن، لابد منه.

فلا يخلوا الأمر من وجهين: 1- الله هو المعذب على مخالفة هذا، هو مقصدنا. 2- أن تقولوا أن المعذب على ترك القرآن غيره تعالى، فتجعلون هذا القرآن كلام غير الله، لكن يلزمكم أن تقولوا أن في الكون و الوجود من له عقل، و معه خطاب للإنسانية، ثم له مجازاة من يخالفه. و تلك المجازاة لا يقدر عليها أحد من الإنسان، و إنما نستند إلى قوة إلهية. فهل لا يلزمكم قبول الله غير الله؟ "**أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ**". فإن قلتم هذا فلا تتكلم معكم، لأنكم أنكرتم أمرا بديهيا في الكون، أن مثل هذا التأثير لا يصدر إلا من الله. فإذ لغير الله فقد جعلتم في الوجود آلهة أخرى. و هذا لا يسلم أبدا. حكمه كائنا من كان. أما إذا أسندتم تأثير هذا المعذب إلى الله، و جعلتموه عاملا بأمره في تأثير العذاب حتى ينتفي الشرك، يلزمكم أن

تجعلوا في صدور هذا الكلام أيضا غير مستقل، بل بأمر الله. هذا هو الذي نريده من نسبة إلى الله. فإن المحقق أن المجرد من الكلام لا يتحقق إلا في حظيرة القدس بواسطة تجلى على العرش. و تأثيرات كل التجليات يستند إلى الحق على مرتبة واحدة.

في قوله تعالى: "**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (20)**" الآيات الإلهية و القرآن إنما تنزل لإقامة العدل. "**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (21)**" فهل لا يكون ظالما؟ و كلاهما في الظلم سواء. فالحكيم لا يتقدم على الناس إلا لإقامة العدل، كيف يأتي من تكذيب القرآن؟ و هل يجب الظلم هذا التشديد؟ ليس براجع إلى المخاطب، أنه ظالم و أنه مجازي، بل إن كان المتكلم مفتريا على الله، هو راجع إليه أيضا. فانظروا في النتائج التي تأتي من يثبت ظلمه، "**إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**" هذا هو حاصل –الآية– 21.

ثم أنا قد أشرنا إلى أن القرآن لو لم يسلم أنه كتاب الله يلزم الشرك. ففي "**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (22) ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24)**" بيان وخامة[579] الشرك فقط. "**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ**..." تلك الدرجة العالية للمنكرين كون القرآن كلام الله.

ثم درجة أنزل منه للمكذبين، هم لا يقدرون على إحاطة المقاصد فلذلك ينكرون. إليه أشار في قوله تعالى: "**وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (25) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (26) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (27) بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (28)**" كأنه يريد أن يفهم لكن ليس عنده قوة الأخذ لذلك العلم العالي، إلى بيان تلك الكيفية إشارة في "**وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً**..." تلك الطائفة لا تقدر على إدراك الحكمة، فغايته ما يدركون منه "**يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا**..."، لو توجهوا يتباعدون

---

[579] ثقل، و لم يستمرئه، و ضرره، لينظر: **المعجم الوسيط**، 1019.

و ينهون الناس. فيأتي إليهم الكفر بمنع الناس أشد. "**وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا**..." تلك الطائفة الثانية. انتهى البحث في القرآن الكلام المتجدد بواسطة التحلي.

الفصل الثالث

في بيان انجذاب النفوس إلى الله الذي انبعث من حظيرة القدس من جميع أمور الآخرة "**وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (29) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (30)** " في قلب الإنسان اقتضاء بعض المعاملات موجود، لا يجب أن يعامل تلك المعاملات إلا مع ربه. فإذا لم يقدر للإنسان أن يرى ربه فقد حرم توفية هذا الاقتضاء فخسر. و الله رحمته عامة، لا يرد سائله. و هذا الإنكار تفريط منه.

قوله تعالى: "**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (31) وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (32) قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33) وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (34)**" فإعراض الجاهلين عما لا يقدرون على أخذه عام في أمم جميع الأنبياء و المرسلين. لا ينبغي للنبي أن يخزيه الإنسان النافذ العزيمة، يريد حل تلك المشكلة بسعيه، لكن تغيير الفطرة لا يقدر عليه أحد. فالسعى فيه جهل بحكمة الله. إليه الإشارة "**وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (35)**" و لما قدرنا أن النبي يبعث لتكميل طائفة من الناس لا لتكميل كل إنسانية، فلا يرد إشكال على نظريتنا.

ثم –الآيات– من 27–50 ذكر المكذبين و تهديدلهم، و تذكير بأن يعتمدوا على الله. فإذا صار الاعتماد على الله فقط طبيعته، ففي أمور الآخرة أيضا يعتمدون على الله فقط يؤمنون بالله. هذا البحث طويل، و يمكن أن يعترى على الخواص، أن اتساق الآيات كأنه منقطع لكن لو قرأنا.

قوله تعالى: "**وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (51)**" علمنا أن سوق الكلام إنما كان لهذه طائفة التي لا تنتفع بالإنذار، يبحث عنهم بالتفصيل، فيقع نافعا لمن في قلبه قبول للإنذار. و كذلك بعده من الآيات تؤيد هذا الفكر في قوله تعالى: "**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (52)**"

"**وَجْهَهُ**" عامة المفسرين فسروا "**يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**" بالرضاء و غن على ظاهرها، يريدون وجهه؛ رؤيته. و طائفة من الناس مجبولة عليها: و رحمة به نزلت التجليات. "**وَمَا مِنْ حِسَابِكَ...الظَّالِمِينَ**" ليس تعلقهم بك، إنما يتوجهون إلى الله.

و كذلك في قوله تعالى: "**وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (53) وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (54)**" ذكر هؤلاء، يعنى أن الإنسان عمل بجهالة من رؤية الله: الحكماء يثبتون مثل تلك الدرجة للمقدسين فقط. و القرآن العظيم جعل كل من تاب عن خطاء مثل المقدسين. و رأينا أن الإنسانية إنما تقدم بجهاد من هؤلاء التائبين، هذا التعليم بركة من الله ورحمة على الإنسانية. "**وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (55)**" تم الفصل الثالث.

الفصل الرابع 56–73

المبطلون من الصابئة إذا أصروا على جهلهم، و دعوا إلى الشرك بلزوم لهم ما لا يلتزمونه، فالقرآن العظيم ينهى عن مطاوعتهم أو اتباعهم بذلك لتحقيق الضرورة إلى الحنفاء دائما. هذا الفصل كأنه انتقال من الصابئة إلى الحنيفية، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (56) قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (57) قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (58)**" إذا حصل مقاطعة بين الحزبين فأمر الآخر هو القتال في هذا الوقت. هذا القتال ليس لأهل الإيمان قوة، فالله يحكم في المستقبل؛ يعني

هم يرجعون الغلبة. أما إيضاح المسألة ليكون عذرا من الانقطاع هذا ميسر، فيأتي بالفرق البين في هذا الفصل.

قوله تعالى: "**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (59) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (60) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (61) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (62) قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (63) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (64) قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (65)**" بيان لعلم الله المحيط، و قدرته القاهرة؛ يعني على نصرة الحق. هذا يعرفه الناس. إنما يقع في الباطل من لا يقدر على إقامة. فالله بعلمه التام المحيط و بقدرته القاهرة لا يكون منه نصرة الباطل.

في قوله تعالى: "**وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (66) لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (67)**" إشارة غلبة الدعوة. هذا تصريح بالمقاطعة.

في قوله تعالى: "**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (68) وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (69) وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (70) قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (71) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**

(72) **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ** (73)" تصريح بالمقاطعة. مقاطعتهم جاز من غلبتنا تحريف. تم الرابع:

في هذه الفصول كانت كالتمهيد في تعرف الصابئة، تم تحقيق الحاجة إلى الحنيفية من –الآية– 74 نسميهم بالأنبياء. و الحمد لله تم الباب الأول.

الباب الثاني في الانتقال إلى الحنيفية و الباب الأول أربعة فصول في أديان الصابئة.

الفصل الاول:

آئمة الحنفاء أولهم إبراهيم أبوه من آئمة الصابئة. فالحنيفية تجديد للصائبة الأولى، و رد الصابئة الفاسدة. فلأساس الصحيح للإنسانية الذي أسسه الصابئة لم يبطلها الحنفاء. الإنسان بعد ارتقائه من درجة عامة الحيوانات يستنبط منهم إذ كلياتهم الحساب، فيرجعون فيه إلى الفلكيات، ثم يستنبطون الطب. فللصابئة في استنباط هذه الفنون منة عظيمة. فالآيات للارتقاء فيما بعد الطبيعة إنما تؤخذ من الحساب أو من الفلكيات، ثم من الأرضيات. والإنسان بالتدريج من هذه الفنون استيقن بوجود تدبير وحداني محيط بالسماء و الأرض. هذا مقرر في علم النفس أن شيئا لا يستعد له النفس، و ليس له شئ في مباديها لا تهتدي إليه أبدا. فالأنبياء و الكاملون من الحكماء هم يكونون نماذيج لما جبل عليه الإنسان، فتظهر منهم الفطرة أكثر من غيرهم، فيكون حجة للناس. إن ذلك فطرة لهم. فالحكماء بالتدريج يوصلون للنوع إلى تلك الدرجة، ثم يأتي نبي آخر، فيظهر في طبيعة الفطرة على درجة أعلى من الأولى. فالطبيعة السافلة تنكرما كان أزيد عندها، والمتوسطة تنتظر، لاتنكر و لا تتبع. والطبيعة العالية تصدقه بشهادة من نفسها. ثم يستنبطون طريقا للمتوسطة. و بعد اهتداء المتوسطة يستنبطون للطبيعة السافلة فتضيع الملة بعلوم الفطرة الظاهرة بواسطة نبي ذلك الزمان. ثم يأتي درجة عالية من الفطرة أعلى مما كان، أن من جبل على الفطرة السليمة و ظهر فيه درجة من ارتقاء الإنسانية ليست عند الناس. ثم وجد الحكماء من قلوبهم شهادة صادقة. و توجه طائفة إلى الاستنباط طرف يوصلهم إلى تلك الدرجة. فإذا فرغوا من الانصباغ بتلك الدرجة من الحكمة ظهر شخص آخر فيه. أشار الفطرة أكمل من الأول بدرجة، هكذا يقوم تكامل الإنسانية، فكانت أفذاذ من الأنبياء هدو، إذا صارت هذه الطوائف من الناس إلى علوم الرياضة و الطبيعة

أولا، و بواسطة إلى العلوم الإلهية ثانيا؛ فيقولون مثلا هو واحد و كل الأعداء ينبأ من الواحد. و يقولون هو مصدر كل كمال مثل هذا.

ثم جاء درجة الدعوة إلى العلوم الإلهية مستقلة. هذا هو الفصل بين الصابئة و الحنفاء. الآن يكون الدعوة إلى العلوم الإلهية أولا، و إلى الرياضة و الطبيعة ثانيا، أي على العكس من الأول، و كله مقتضى الفطرة الإنسانية. فالطبيعات و الرياضيات يحتاج إليها لمرافق الحياة الدنياوية. و الإلهيات يحتاج إليها لمرافق الحيوة الثانوية. فأولا استواء مرافق الحيوة الدنياوية و قليل من التوجه إلى مرافق حياة الآخرة. فجاء الحنفاء بتكميل الحيوة الآخرة المبنى على تكميل الحياة الدنيا. فالحيوة الإنسانية لها وحدة، منقسمة الدنيا و الآخرة باعتبار فقط. فلا يمكن خلو وقت من الإنسانية عن جميع مرافقها. إنما الفرق بقلة و كثرة و الترتيب و التنظيم فقط. فالصائبون كانوا عرفوا ربهم بأمثال، كذا ذكرنا أنهم يقولون واحد ثم يقولون هو منبع النور. ففي تلك الأمثلة ليس المراد التطبيق من كل وجه مثل ما نقول رأيت أسدا يرمي؛ فليس معناه أن له مخالب مثل الأسد. لكن إذا وقع غلط في فهم مثل ذلك، يأتي رجل يقول هو ليس مثل شمس؛ يعنى من وجه ليس نفي جميع وجوه البتتة مراد له. دفن شمس الأمثال مع شروط و قيود تجليات فهم في آخر دورهم غلطوا في معنى التجلي، فظهر في إبراهيم فطرة الجبلية بأكمل مراتب معرفة الرب، لكنه لا يغير تأسيس من الأصول الصحيحة في معرفة الرب عند الصابئة.

فالتجلي هو الطريق لمعرفة الإنسان بربه؛ معناه بعد تجريده من اصطلاحات الإلهية، المثال المطابق للممثل له على وجه البتة فقط. لا نتجاوز عن الشئ الذي نريد به التعرف إلى غيره. فإذا وقع الانحراف على وجه البتة صارت التجلي باعثا للتغليط. و رد الأغلاط هو فرض على المصلحين، فكانوا يعرفون ربهم بتمثيله بالملك القاهر الحكيم. فجعلوا رجلا من الملوك معينا، فاتخذوا تذكار ذلك الرجل، و بعد انتقالهم إلى تصور ذلك يتصورون معنى الملك. و يرجعون إلى الله هذا التطويل أفسد فهم العامة حتى جعلوا الملوك آلهة. و ابتدأ الملوك عليهم بالقهر و الجبر استنادة من ذهنهم، ففسد الأمر، فقاس إبراهيم في زمان الفساد، فأراد رد الأمور إلى اصلاح الأصنام. أي فائدة فيها ؟

الآن الغرض ليس شخصية ذلك الرجل إنما هو وصف ملوكية مثلا، فليترك الأصنام بالمر. صورة أخرى: الشمس مركز للنور و الحرارة و نظام حيوة الدنيا يتوقف عليها كثيرا. فكانوا جعلوا الشمس تجليا

للرب، ثم جعلوا للشمس أصناما قبلوها بصورة الرجل، ثم جعلوا إلها معابد خاصة. هذا التطويل يفسد الأمر الإنسانية، فيبطل الأصنام و ينظر الإنسان إلى الشمس، يفهم معناها. هذا إصلاح أولى من إبراهيم.

و الدرجة الثانية كما قلنا أن المثال هو الذريعة لمعرفة الرب. هذا باعتبار ذهنية العامة المشتغلة بالرياضيات و الطبيعات. فإن كليات العلوم إنما تعرف بالأمثلة، و لا يقع إلا في كليات منحصرة في فرد. و الواجب إن كان له أوصاف كلية هو منحصر في فرد فيقع فيه الأغلاط. يجعلون الكلي جزئيا أو الجزئي كليا. فلذلك اعتبر الإلهيون قيدا زائدا على عامة الأمثلة؛ هو كونه مرأة للحق فقط. فإذا تجرد النظر إلى المرآتية خالصا كانت تجليا؛ أي مثالا صحيحا للمعرفة. و إذا غفل عن كونه المرأة مرأة و عن المرائية و نظر إلى مرأة مستقلة فليس تجليا؛ أي لا يكون مثالا لمعرفة الرب. باشتراط هذا القيد كان مظنة حصول المعرفة الصحيحة من الأمثلة أقرب، و أكثر لا يغلط منه أحد إلا نادرا. والنادر كالمعدوم في العلوم و المعارف الكلية.

فإذا رأينا الرجل ينتقل من مثال إلى معرفة كمال إلهي لكن مع جعله مرأة له، حكمنا بأنه صحيح المعرفة. فإن في المرآتية لا يخطر بباله، أن الرجل مثل هذا فإن هذا يحتاج إلى تشبه النظر، و في المرائية لا يكون إلا نظر واحد. فلا يزيد على ما يراه يحكم، أنه من كمالات ربه. و هذا هو ربي يشير إليه بالإثبات. هذه غايته، ما يمكن للإسناد من الوصول إلى معرفة الله. و هو طريق سا لم من الأغلاط. ثم بعض الحكماء أرادوا أن يأتوا بطريقة أكمل من هذا. و ما قدروا إلا إلى نفي محض،كل ما يأتي في علمهم ينفونه عن الرب، و يجعلون هذا النفي المحض هو المنتهى المعرفة. يقولون ليس بجسم، و ليس بجوهر، ليس في مكان، ليس في جهة مثال ذلك.

هذا الحكيم يصل به إلى معرفة الرب لا بأس به. أما إذا علمنا هذا الطريق لعامة الناس فهم لا يجدون في أنفسهم سكونا في النفي المحض، فيرجعون إلى الإثبات بوجه ما، و يقعون في أغلاط. فاتخذوا من جميع الأشياء آلهة لهم. و هذا الفساد كان قد عم في الصابئة، يبالغون في التنزيه حتى ينتهي القوة الفكرية عن تصوره. ثم إذا رجعوا إلى الإثبات فكل شئ يحبونه يجعلونه إلها: حجرا و مدرا و شجرا، إمرأة و أمردا. و طريق إبراهيم مصؤون من كل هذه، يثبت المعرفة بالأمثلة لكن بشرط؛ أن لا تتجاوز عن كونها أمثلة فقط. و هذا منحصر في الاقتصار على وجه المرائية فقط. و من لم يدرك هذا القدر من مباحث

حكمة المعرفة الإلهية هو في نظرنا لا يقتدر على تفسير آيات نقرأها اليوم إلا بوجود غامضة أغمض من المتن.

قوله تعالى: "**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (74)**" إسمه في صحائف التوراة تارخ. خبط المفسرون: أن آذر اسم عمه، و ليس عندهم علم باختلاف الألسنة. نحن نقرأ في القرآن عيسى و في الأناجيل يسوع، و نقرأ في القرآن يحي و في الأناجيل يوحنا. هل يمكن من هذا اختلاف الأشخاص؟ فتارخ تقرأ زارخ ثم تنقلب آذر مثل يسوع عيسى. "**أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً**" الإله واحد عند الفطرة الإنسانية السليمة، فإذا جاء أحد بعلم إلهي أفضى ذلك إلى تعدد الآلهة، ظهر بطلانه. هذا مثل أمثلة الحساب، إذا كان عندنا مقدار من المال، و أردنا تقسيم بين عشرة رجال مثلا. فإذا أجمعنا حصة كل واحد في الآخر حصل الميزان أكثر أو أقل من الأصل، يعرف المحاسب أنه أخطأ في عمله. هكذا إذا جاء أحد بطريقة في معرفة الآلهة و نتيجة ذلك الطريق يكون الاعتقاد بآلهة متعددة، ظهر أن عمله باطل لا يشك فيه شاك. إليه الإشارة "**إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ**...".

قوله تعالى: "**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76)**" شرح و تفصيل تلك الأرائة. نحن ناخذ على سبيل المرائية، و سليم الفطرة يهتدي ذلك بسلامة طبعه. فأطلق تلك الكلمة على الحقيقة. و نحن بعد ما تحققنا في علم التجلي في حكمة الإمام ولي الله لا نحتاج إلى تأويل أصلا. "**فَلَمَّا أَفَلَ**..." العارف بعلم التجليات يعرف أن التجلي لا يجعل و لا يكون إلا أعلى ما يتفكره الإنسان. فإنه إذا توجه إلى شئ دون الأعلى يكون ناظر إلى شيئين، فلا يتمكن من جعله مرأة للرب الواحد الذي نظير له عنده. أما أعلى المفهوم فلا يكون في قلبه الا واحد. فإذا توجه من ذلك الطريق إلى الرب يجعله مرأة، فيكون عرفانه صحيحا إذا تقرر هذا. فلما رأى كوكبا أعلى شئ في النور جعله مرأة للرب، فلما أفل ظهر له أنه ليس بأعلى شئ، فلا يجعله مرأة إلا من يكون جاهلا بطريقة التجليات ناقص الفطرة.

هكذا في قو له تعالى: "**فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77)**" لأنه أعلى ما رآه في التنوير. "**فَلَمَّا أَفَلَ**" إذا أثبت شيئا ناقصا للتجلي

فقد ضللت. إذا هكذا "**فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78)**" ظهر أنه ليس تجليا على هذا الطريق.

و قد ذكرنا في الفصل الثاني أن كثيرا من الكاملين التحقوا بالملأ الأعلى في حظيرة القدس. و هم توجهوا إلى الله بالتجلي الأعظم القائم على العرش. فلا شئ عند الإنسانية أعلى من العرش. و هذا العلم تحقق في حظيرة القدس إن لم يكن فيها، فإن حظيرة القدس في أول أمرها كانت مشتملة على نفوس الأفلاك و نفوس الكواكب و نفوس العناصر و ملائكة المجردة عن التعلق بالأجسام، الحاملة العرش التجلي الأعظم فلم يكن فيها من كمل الإنسانية أحد. فالإنسان في ذلك الوقت كان يحتاج إلى تصور مثل تصور نفوس الأفلاك و غيرها. إذا أراد أن يعرف الرب بأقصى ما يمكن، فمن هذه الطريقة آئمة الصابئة كانوا يقدمون على العناصر و الأفلاك أولا بالطب و الهيئة. و بعد ما ارتسخ العارف في هذه الفنون و حصل له شبه بنفوس الأفلاك و الكواكب مثلا، فيحاكي ما تصوره نفوس حظيرة القدس من صورة التجلي الأعظم، و يجعله أقصى المعرفة. هذا أساس طريقة الصابئة و في ذلك الوقت لم يكن ممكنا إلا هذه.

فلما كثر التحاق الكاملين في حظيرة القدس صار ما كان يتصوره. أما النوع الإنساني من معرفة التجلي قدوة لمن وصل إلى حظيرة القدس. فلما كثروا صار نوعا من العلم متقررا في حظيرة القدس بعد ما كان خاصا بفرد دون فرد. و كان ارتقى النوع الإنساني في حظيرة القدس إلى تلك الدرجة صاروا باعثين لنسخ الطريقة السابقة التي لا تهتدي إليها فطرتهم إلا بعد تكلف. و سألوا ربهم الهداية التي تقوم في إنسانية من طريق فطرهم، فلذلك الزمان كان. أو أن بعثة إبراهيم؛ فلما أيئس إبراهيم من جعل الكواكب و الفلكيات تجليات مستقلة، فإنها تكون تجليات في وقت دون وقت. و عامة الناس من غلطهم بجعلها تجليا مستقلا. يعبدون الأصنام و يقعون في تجويز تعدد الآلهة. فالعلاج من مرضهم ليس إلا الدعوة إلى التجلي الدائم و إلى نفي ما كان تجليا في وقت دون وقت، و إلى جعل الوصول إلى التجلي الدائم الرجوع إلى الفطرة الإنسانية فقط. و كان ذلك هو الذي يمكن في ذلك إلا و إن يعنى الرجوع من طريق الحجر البحث إلى التجلي القائم في قلب إمام النوع. هذا فطري و الوصول من ذلك التجلي إلى التجلي القائم على العرش، فإذا كان واصلا إلى التجلي القائم على إمام النوع و يرى عكسه في قلبه يقول هو ربي. و إذا وصل بعده إلى التجلي القائم على العرش يقول له الذي فطر السموات و الأرض. هذه معرفة دائمة للتجلي الصحيحة. فكانت الإنسانية قد ارتقت إلى إدراكها فنسخ جميع ما كان قبل، و دعي إليها فقط.

فالرجوع إلى الأول بعد قيام الطريقة العالية تقهقر و ارتجاع و انكار للرب على المراتب المختلفة من أفراد الإنسان. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79)**".

دائما إذا نشر علم عال أعلى مما كان رائجا في الإنسانية يخاصم الطبقة السافلة عامة و من المتوسطة أكثرها. إليه الإشارة في "**وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81)**" فأجابهم أني لست في شك، بل وصلت إلى معرفة تامة. فاقتدرت على تعيين طريق إليها، فلا قيمة عندي مثل ذلك الخصام. إليه الإشارة في "**أَتُحَاجُّونِّي**...".

ثم وصل البحث إلى أنه من كان جعلوه تجليا للرب بعض الأحوال على الحقيقة و في سائر الحالات بالغلط. و كانوا يعتقدون ألوهية هؤلاء، فأظهروا الخوف منهم في صورة الإنكار، و رجعوا و وجهوا ذلك إلى إبراهيم أولا، لأنه الداعي إلى الإنكار. إليه الإشارة "**وَلَا أَخَافُ**..." بين لهم حكمة الرد على الطريق السابق أنها أفضت إلى تجويز تعدد الآلهة. و التعدد باطل بالبداهة. الضرورة إلى إثبات الآلهة تقتضى انحصاره في واحد، و من يعتقد تعدد الآلهة هو أبطل الحكمة أصلية. هذا أول الأمرين: 1- الإنسان إذا اعتقد الباطل حقا ارتفعت منه مزية الإنسانية، وصار لاحقا بالحيوانات. 2- أن ذلك أفضى إلى الظلم على الإنسانية، فإن كل من جعله الإنسان مظهر التجلي الإلهي صار حاكما مستبدا على الإنسانية، لا يسأل. هذا الظلم هو نتيجة الشرك.

فإن كان الناس يعرفون ربهم و يعرفون من يستحق أن يكون مظهرا للتجلي في وقت دون وقت فلا يجتري أحد أن يتحكم على الإنسان. فإن الحكم كله لله. إليه الإشارة "**فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ**..." الإشارة إلى المسألة الأولى من اعتقاد الباطل حقا.

و الإشارة الثانية في قوله تعالى: "**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82)**" اختلف أهل العلم في تفسير "**وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**" و فسروه بالشرك و الظلم.

[580] و رأينا كل الآيات القرآنية منبئة إليه و رأينا عامة أهل عصرنا و كثيرا قبلنا معرضين عنه، يجعلون الشرك أكبر الكبائر من الظلم. فلذلك لا يكون للمشرك أمن، كأنهم يرجعون إلى المسألة المصلحة الأولى. و على نظريتنا أن الشرك لظلم عظيم، لأنه يؤسس قانونا للظلم. مثلا إذا استبد ملك بقانون و سلم الناس، هذا الحق له. يجعل ذلك كل ظلم يحدث بسبب ذلك القانون .كل ظلم في نظر عامة الناس هذا إفساد للإنسانية. فكان ظلما عظيما. فإنا جعلت الظلم أصلا و جعلت الشرك ذريعة له. و الفرق بين ما تفطنت به و بين ما عليه أهل العلم يرجع إلى تمييز المدارج العلمية. فعامة الناس أول شئ يدركون قبحه هو الظلم، إذا جعلوا[581] شيئا بقوتهم الفطرية موافقا للقانون، و الشرع الفطري، ثم جعلوا محرومين من الانتفاع اكتسبوه يحسبونه جرما و ظلما، و يدركون قبحه بالفطرة. فإذا جعلنا تيقظهم الفطري ذريعة إلى وصولهم بالمعرفة الحقة للرب فلنجعل الظلم نتيجة الشرك اللازمة له. فإذا أراد الناس أن يرفعوا عن أنفسهم الظلم فالواجب عليهم ينتفوا أولا الشرك. فمن هذا الطريق الإنسانية العامة تصل إلى المعرفة الحقة. هذا هو طريق التشريع في القانون الإلهي. أما الخواص من أهل العلم و المعرفة هم يعرفون التوصية أولا بالفطرة، و يدركون قبح الشرك ثانيا، أنه يباعدهم من حظيرة القدس ظلما عظيما. لكن هذا خاص بالخواص. أما إذا أردنا أن يكون عامة الناس يتركون الشرك فليس له طريق الا أن الظلم لازم للشرك، و نريد نفي الظلم من الناس يدركون بسهولة.

ثم العلم الذي امتاز به إبراهيم هو هذا إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83)**" ثم بواسطة أولاده شرح الله طريقة في الدنيا. و كان قبل إبراهيم ذلك العلم خاص بالخواص فقط.

فكل ما التحق الكمل في حظيرة القدس يدرك الخواص. هذا المعنى من فطرتهم. فإذا لم يكن متقرر بإجماع حظيرة القدس لم يكن الدعوة إليها عامة. فالدعوة العامة قام آل إبراهيم، و الخاصة كانوا قبل ذلك موجودة. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ**".

---

[580] في ن ح بزيادة "و نحن تفطنا من تفسيرهم الملازمة بين الشرك و الظلم"

[581] في ن ح "حصلوا"

فطريقة إبراهيم هو المتبوعة في الدعوة القرآنية إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (86) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (87) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (88) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (89) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (90)**" لو رجعوا إلى الصابئة لبطل أعمالهم. هذا في نظريتنا.

أما عامة أهل العلم فهم يجعلون الشرك مفهوما متقررا. و عندنا التقرر إنما هو للتوحيد فقط. فأي مرتبة من التوحيد تقررت فالشرك لا يكون إلا في مرتبة فقط. و عندنا الأمر المشترك في جميع الأديان من ابتداء الإنسانية هو رجوع إلى الله بالتجليات. أما في زمان الصابئة كان الأغلب هو التجليات في الآفاق ذريعة للمعرفة. و في الحنفاء تجليات الأنفس أغلب الذرائع في المعرفة. فأي درجة من التوحيد تقررت يكون نفيها شركا. و الشرك عندنا يتبدل صور الشرك باختلاف الشرائع، "**أُولَئِكَ الَّذِينَ...لِلْعَالَمِينَ**" معناه إيصال الحنيفية إلى أقوام العالم.

الفصل الثاني:91–108

تعيين أن طريقة الحنفاء بصورة كتاب يدرس ضروري لنشر هذه الهداية في الأقوام. و من الناس من أقر بحقيقة ملة إبراهيم لكنه ينكر نزول كتاب الله هذا الفصل يرد عليهم. "**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91)**" قد ذكرنا من قبل أن المبطلين من الصابئة ينكرون كلام الله المجدد، و أصل تباعدهم عن الفكر الفطري للإنسانية، و من مركز الإنسانية: حظيرة القدس. فالله إذا تدلى خلقه بتجليات على الوجه الصحيح "**قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ** ..." فقريش مع تلبسهم بالصابئة[582] كثيرا كانوا يؤمنون بأنبياء

[582] في ن ح "مع الصابئة"

بني إسرائيل. موتهم مثل أكابر قومهم. فالإنكار عليهم كان يؤدي إلى حط مرتبة آل إبراهيم. و ما كانوا يجوزون شيئا يؤدي إلى ذلك. فلما كان اليهود في بعض الأوقات يؤيدون قريشا على خلاف النبي صلى الله عليه وسلم، الخطاب في –الآية– 91 كان راجعا إلى قريش و اليهود.

"**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (92)**" يعني أن الإيمان بإنزال الكتاب إنما تيسير فهمها لمن يصدق بحظيرة القدس، و تأثيرها في الإنسانية الذي ينشأ من الإيمان بالآخرة. و التجلي القائم بحظيرة القدس الذي منشأ الصلوة و الرجوع إلى الله. فمن كان تخلق بتلك الأخلاق سهل[583] عليه الإيمان بالكتاب. و مقصود هذا الكتاب الأولى هو إنذار أهل الحجاز مركز إبراهيم.

قوله تعالى: "**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93)**" هذا رد على الجاحد المعارض لكتاب الله. فأتى لهم بمثال فليتدبروا فيه. دعوى إنزال الكتاب أو دعوى الوحي هل تستحسن[584] منهم إذا لم يقدروا على فهم ذلك المثال بنظرهم[585] الذي هو أصل أصول الأنبياء كافة. فإذا كانوا هم غافلين عن هذا كيف يتفوهون بأنهم يأتون بكتاب الله. و إثم ذلك إلا ضلال وبال عليهم. إلى هذا المعنى إشارة في قوله تعالى: "**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103)**" فيه بحث عن توحيد الله و تنبيه لكل من يعرف العربية على مسلك الأنبياء الحنفاء. و هل يقدر أحد من هؤلاء الظالمين أن يشرحوا مسألة التوحيد بمثل ذلك؟ فكتاب الله إنما يقول له كتاب الله باعتبارنا يشتمل عليه من المعاني و الحكمة لا لأجل أنه ادعى أحد كتاب الله. فقال الناس أنه كتاب الله. فالشرك ظلم عظيم يحبط جميع الأعمال لكنه لا ينضبط إلا بضبط التوحيد و تقريره، فأتى القرآن بتقرير التوحيد على وجه لا يمكن معارضة. فمن لم يقدر على تقرير أهم المسائل عند الحكماء كيف يفترون على الله كذبا؟ أنهم ينزلون كتاب الله. هذا انتهى إلى "**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ**

---

[583] في ن ح "يسهل"

[584] في ن ح "مستحسن"

[585] في ن ح "بنظرتهم"

شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103)"

ففي الظاهر ينقطع الاتساق لطول البحث في التوحيد لكن في قوله تعالى: "**قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (104) وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (105)**" تبين الأمر أن البحث كان راجعا إلى إنزال الكتاب. "**قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ...**" شرعنا في البحث الآخر. هذا هو تعريف إلهي. و جعلنا البحث إلى المفتح الذي فتحنا به الكلام بذلك يقولون "**دَرَسْتَ**" أنت تقول مثل من درس عند الحكماء: كلام منظم نبينه لقوم يعلمون. العلماء يعرفون قدره، الذين يحتاجون إلى تبيين الشرك و أعماله، و حاصل الفصل أن فيه بحث أن اتباع كتاب الله هو واجب.

الفصل الثالث: 106–115

فيه بحث أن اتباع كتاب الله هو واجب لاقأمة الملة. "**اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (106)**" لا يحبون أن يتقيدوا[586] العلم بكتاب معين. فإن ذلك لا يكون له طول البقاء بعد المؤلف. و أما إذا ضبط بالكتاب فيدوم إلى آخر الدهر إن شاء الله. "**وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**" الغالب في كتاب الله يكون البحث عن كتاب الذي تدعوا إليه، لا الرد على هفوات المشركين. بذلك تبين موضوع الكتاب. "**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (107)**" إخراج الشرك من أهله بالمرة لا يمكن، إنما الغرض هو الدعوة إلى منزلة عالية لمن فيه صلاحيتها.[587] فالاشتغال بهفواتهم يضر بالمقصود، إليه الإشارة "**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (108)**" و كذلك في سؤالهم الآيات "**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (109) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (110) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ**

---

[586] في ن ح "يتقيد"

[587] في ن ح "صلاحية تلك المنزلة"

الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (111) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112) وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ (113)"

قوله تعالى: "**أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (114)**" بيان المقصود من الكتاب؛ هو نفي تحكم غير الله على الناس. "**وَالَّذِينَ...الْمُمْتَرِينَ**" أهل الكتاب عندهم هذا الموضوع فقط لا غير، فهم يعرفون حقيقة القرآن بالاشتراك في الموضوع.

تنبيه: قد تأملنا في قوله تعالى: "**وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ**" قياسا على حالاتنا. نحن نريد انقلابا بطريق مخصوص، فإذا وجدنا في المشارق و المغارب من يوافق طريقنا الانقلابي نحبه، و نريد أن نتحد معه. فلو عمل أهل التوراة بالتوراة لأحبوا كل قوم يعملون بما أنزل الله عليهم، و يريدون أن يتحدوا[588] معهم، لأنهم لا يجدون من على طريقهم غير هؤلاء. هكذا أهل الإنجيل هم إذا رأوا أهل القرآن يعملون بالقرآن و طريقهم متحد مع اليهود و النصارى، إذا كانوا مقتصرين[589] على العمل بما أنزل الله. يحصل المقصود[590] من اشتراك الأقوام في موضع واحد. فأهل الكتاب يعرفون حقيقة القرآن باشتراك المقصد و الدستور و البرنامج. لكنهم من أجل ما أضافوا إلى ما أنزل الله مضطرون إلى الجحود. إليه الإشارة في "**فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**"

و القرآن أتم دعوى الحنيفية على منهاج العالمية بين الأقوامية[591]، فلا يمكن الإضافة عليه. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (115)**" هذا هو يثبت كون نبينا خاتم الأنبياء. لا يمكن أن يأتي نبي، هو أعلى منه. فسر مولانا قاسم "خاتم النبيين" أي "خاتم درجات النبوة و كونه في آخر الزمان يلزم منه ذلك، و إلا فالتأخر في زمان من

---

[588] في ن ح "يتمددوا"

[589] في ن أ " مقتصرين" محذوف، و لكن في ن ح مكتوب.

[590] في ن ح "المقصد"

[591] لعل التعبير المناسب هي "الدولية"

حيث هو هؤلاء يوجب فضيلة"[592] فنازعه كثير من أهل عصره، و هم إذا سكتوا عن المعارضة، صرحوا بتكفيره، و استعانوا بمن يجلس في الحرم من العلماء في ذلك العصر، فوافقو على التكفير مع عدم فهمهم. فصار لنا فيه قدرة إذا عرضنا الحق، فلو كفرنا جميع من على الأرض لا نتراجع منه قدر ذرة. تم التنبيه.

الفصل الرابع:116–127

"**وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (116) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (117)**" فكل شئ خلاف كتاب الله يجب تركه بالمعنى في اتباع كتاب الله، أنهم يتبعون شرائعه، يعنى كتاب الله، يشتمل على الصدق و العدل باعتبار المعنى، و له صورة أيضا. فاتباع يفضى إلى المعنى. هذا عندنا لا يكون مثل ما يلهج به عامة الناس أن الصورة تكفي. الصورة لا تراد إلا معناها. فالواجب المحافظة على المعنى. و على الصورة كما يقول الفقيه في أصول الفقه القرآن اسم للنظم و المعنى جميعا. "**فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (118)**" مثال للصورة. "**وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (119) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (120)**" هذا معنى. قوله كلوا مما ذكر الله عليه إذا التزم شعار قوم فليلتزم بأخلاقه.

و بعد ذلك قوله تعالى: "**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (121)**" منع عن الاشتراك مع مخالف القرآن.[593] هذا الطريق لاتباع الكتاب. هو يجعل الميت حيا. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (122)**".

فالمخالفون يريدون أن ينحرف المسلمون من هذه الطريقة. فمعارضتهم تثبت على الحق أيضا ضرورية. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا**

---

[592] نانوتوي، قاسم، **تحذير الناس**، 3.

[593] في ن ح "من خالف القرآن"

يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (123) وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (124)" هذا مكر منهم لإفساد فكر المؤمنين، أن لا يسلموا فضل النبي صلى الله عليه وسلم عليهم. و الإشارة إلى فضل النبي في قوله "**اللَّهُ أَعْلَمُ** ..." هذا الفضل ليس إلا مثل فضل الوالد على الأولاد أو مثل فضل المعلم على التلميذ، هو راجع إلى نفعهم،[594] ليس مثل تحكم الملوك و استبدادهم بل لتعليم حكم الله و تيسير العمل به. و هل كل أحد يقدر أن يكون أستاذا في تعليم علم الله؟ جزاء مكرهم سيصل إليهم، إليه الإشارة "**سَيُصِيبُ الَّذِينَ**..." فمن كان صالحا لاتباع القرآن يشرح صدره للأخذ من النبي، و الاعتماد على صدقه، و اتباع أمر الله. هذا في "**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125) وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (126) لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (127)**"

الفصل الرابع: 128–150

إجمال المكر كان مذكورا في السابق، و تفصيله هو موضوع هذا الفصل. و قد اشترك فيه الجن و الإنس في الإفساد. و معناه عند الدعايات الحنفية، و نحن نستيقن بحمد الله، كانوا مستيقظين بما يأتي هذا الذي عليهم من الوبال. إذا لم يكن هذا أمرا مخفيا، بل القرآن يجهر بذلك من أول أمره.

كل ما ارتقى المسلمون في الاجتماعية كان يزداد خوف كسرى و قيصر. هم ما كانوا يجوزون أن يتنازلوا ظاهرا من درجتهم بمعارضة النبي و أصحابه، إذ هم يعرفون أن في ذلك إهانة لهم عظيمة، لأن المسلمين لم يكن عندهم شئ لأمن الجيش، و لا شئ. إسم الملوكية على قطعة من الأرض. و هم جعلوا لأنفسهم أنهم لا يخاطبون إلا الملوك. و في تنازلهم عزة رافعة للمسلمين. فتلك المصالح ما كانوا يصرحون بالمعارضة. أما كانوا يغفلون عنها. فهذا نحن الذين لا يعرفون السياسيات.

تنبيه: نحن جربنا ذلك اليوم دولة بريطانية أكبر حكومة على وجه الأرض، و أنا و رفقائي ما نسبتهم إليهم. فقمنا بدعوى؛ أن الهند وطننا، فلا يستحق البريطانية أن يحكم على الهند. فما كانت قيمة

---

[594] في ن ح "نفسهم"

هذه الدعوى بالنسبة إلى قوة بريطانيا؟ هم لا يتنازلون أن يخاطبوا أو يعارضونا لكن كيف كانوا يسعون على خلافنا مستحقين؟ عرفنا ذلك من حكومة كابل و من رجال منسوبين لعداوتنا، فإذا كانت بريطانيا لا تغفل عن حركة مثل حركتنا، فكسرى و قيصر كيف يغفلان من أقوال و إيمان المؤمنين به آتوا.

فهذه القوة العظيمة تكون داخلة في معنى الجن. أصل إيماننا بالجن الناري، و كونه من عالم المثال مستحكم في حكمة الإمام ولي الله، لكن تلك الكلمة إنما يراد بها شياطين النار فقط، ليس من فهم القرآن في شئ. كل قوة مستورة خفية تنقم داخلة في الجن. فالدعايات السياسية الظاهرة من قريش و يهود داخلة في معشر الجن و الإنس. هؤلاء كيف أفسدوا الأحكام من زمان في قريش، و في العرب حتى قام الناس بجهالاتهم معارضين للقرآن العظيم، البحث عنهم هو موضوع هذا الفصل الرابع، و من جهالاتهم مذكورة في قوله تعالى: "**وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (136)**".

و كذلك في "**وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (137) وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (138) وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (139) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (140)**" حكايات عن جهالاتهم.

و كذلك في قوله تعالى: "**وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (141)**" تصريح بحق الله في الزراعات.

في قوله تعالى: "**وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (142) ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ**

الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (143) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (144) قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (145)" حكم الأنعام.

ثم بعض الأشياء التي حرمت على إليهود خاصة ذكرت في قوله تعالى: "**وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (146) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (147)**" هم لجهالاتهم يكذبون النبي. إليه الإشارة في "**فَإِنْ كَذَّبُوكَ**" يعني يهديكم إلى الحق. "**وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ**..." من أمر يخاف من بأس الله. هذا هو موضوع الفصل تاما.

المفسدون من الجن و الانس يفسدون في المجتمع الحجازي حتى لا يؤمنوا بالقرآن. و آخر حجتهم مذكورة في قوله تعالى: "**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148)**" فاستمسكوا بالقدر على التشريع، بمعارضة القدر على التشريع. و تلك المعارضة و تكذيب الشرائع عامة في الأقوام قديمة و ليس ذلك بناء على علم.

جواب هذه في قوله تعالى: "**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (149)**". تفسيره "**فَلَوْ شَاءَ**..." تفسير هذه الآية موضوع البحث في الحجة البالغة في باب انشقاق التشريع من التقدير. فراجع.

فهداية كل الناس ليست مقصودة من التشريع، لكن كل نوع إذا قدر تعين له خواص، فبتوفية هذه الخواص يكون الفرد كاملا. فالطبقة المستمسكة من النوع يستدعي بلسان نوعه أن يأتيهم النبي. فلتكميل تلك المصلحة يأتي التشريع. في آخر هذا الفصل "**قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ**

حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (150)" كان هذه تتمة للفصل السابق. تم الفصل.

الفصل الخامس: 151–165

حاصل الدين الحنيفي الذي اتفق عليه التوراة و القرآن. "**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)**" في –الآية– 153 الأحكام التي أنزلها في التوراة و القرآن مشتركة، و ذكرنا البحث في سورة بني إسرائيل.

و في قوله تعالى: "**ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (154)**" بيان أن التوراة تفصيل تلك الأحكام. و في "**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (155)**" أن القرآن شرح لها. فتم الحنيفية عليه.

إنزال هذا الكتاب دفعا لعذر قريش من بني إسماعيل و إن كان المقصد مأخوذا في التوراة[595] أولا، إليه الإشارة في قوله تعالى: "**أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (156) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (157)**" هذا في نظريتي إشارة الى ما ينتظره اليهود و النصارى؛ إتيان المسيح، هم يغلطون في ذلك المسيح. إنما أشار بإتيان النبي، فقد جاء. فإنزال القرآن كما دفع عذر قريش دفع عذر اليهود و النصارى؛ هم إذا لم يؤمنوا بهذا الكتاب فلا يأتي لهم شئ قبل يوم القيامة أو قبل موتهم.

[595] مأخوذا من التوراة، أو مذكورا في التوراة أصح و أولى.

قوله: "**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158)**" إشارة إلى موت الناس فرادى. قوله "**أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ**..." هو إتيان يوم القيامة، و يكون ذلك اليوم يأتيهم أنبياؤهم أيضا، يكون نبيه موجودا مع قومه. قوله: "**أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ**" المراد به في نظريتنا ابن مريم للنصارى و كليم الله موسى لليهود. و قد جاء في بعض الروايات أنه طلوع الشمس من مغربها.[596] هذه إشارة إلى ذلك الانقلاب: يوم القيامة، يوم طويل، مبدأه من فساد هذا النظام: الكواكب و الشمس و القمر و الأرض، فكل ما استمر نظام الشمس و القمر على وجه الأرض يكون نوع الإنسان موجودا. ففناء النوع يؤثر فيه هذا النظام، هذا هو ابتداء يوم القيامة، و ينتهي إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة و أهل النار النار. طلوع الشمس من آيات ذلك اليوم. و ملاقاة كل نبي أمته أيضا من واقعات ذلك اليوم.

فإن رأينا إلى ذهنية اليهود و النصارى هم ينون كل ارتقائهم على إتيان المسيح، و ان اختلفوا في تفسير المسيح. فتفسير بعض الآيات باتباع المسيح أولى. و إذا نظرنا إلى نفس الواقعة من غير نظر إلى العقائد فتفسير بعض الآيات بطلوع الشمس من مغربها. و للرد على زعمهم في آخر الآية نزل "**قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ**" و إلا فالمنتظر في التوراة و الإنجيل كان هذا نزول القرآن. و قد جاء و قوله "**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (159)**" أهل الكتاب افترقوا في تفسير الحنيفية. و رفع ذلك الخلاف من نبيهم غير ممكن في الدنيا. فلا تأخذوا منهم قوله: "**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (160)**" إقامة الملة الحنيفية هي حسنة، والاختلاف فيها و تضعيفها هي سيئة. إليه الإشارة في "**وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**".

---

[596] ما رواه البخاري قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين: {لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل} [الأنعام: 158] " و لينظر: **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب لا ينفع نفسا إيمانها، 6: 58.

و في بعدها تصريح بأن نبي الله يستقيم على الملة الحنيفية، و لا يلتفت إلى غيرها "**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (164)**".

في آخر الآية إشارة إلى اختلاف اليهود و النصارى و المسلمين فيما بينهم، ثم من يكون الأحق بذلك يرفعه الله. "**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (165)**" كان أولا يعمل اليهود ثم النصارى، ثم أتى المسلمون، و الله يعاملهم على قانون واحد، "**لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ**" المجرم يعاقبه و المؤمن يغفرهم. الحمد لله تمت السورة.

سورة الأعراف

بسم الله الرحمان الرحيم

"**المص (1)**" الف. لام. ميم. صاد. 161 من المبعث: 148 من الهجرة. ثم بناء بغداد زمن المنصور.

خلافة العرب تنقسم في الإسلام إلى ثلاثة أدوار بالبداهة: 1- دور الراشدين. 2: دور بني أمية، و يقال دور القرآن ثم السنة. و ثبت قوة العربية لسانا و ذهنا، و تيسر للناس الذين اتصلوا بالمسلمين أخذ القرآن ثم السنة، فكان ذلك دور الإسلام. 3- دور بني العباس. لم يبق ذهنية العرب، و كذلك اللسان خالصا، بل اختلط بالعجم، فذهب استعداد حجية القرآن على الناس إلا بعد أن ترجم إلى لسانهم. و ما اعتنوا بذلك كثير اعتناء. فبقي الناس على فطرتهم، يأخذون من القرآن أو من شرائع الإسلام على ما يوافق ذهنيتهم، أو يكون بغلبة السلطان. هؤلاء أصحاب الأعراف حقيقة.

فالناس في الاصل 1- أما مسلمون حقيقة: هؤلاء من أدرك حكمة القرآن من السابقين، أو أيدهم الانتساب إلى إمام الملة مثل إبراهيم؛ يأخذ القرآن، يعنى لم يدركوا حقيقة القرآن على التمام، لكن بانضمام لإمام الحق جزموا بحقانية التعليم و حقانية السعي في سبيل غلبة على جميع الأديان من أصحاب اليمن. هؤلاء هو المؤمنون حقا. 2- القسم الثاني أدركوا حقيقة القرآن و قيام الملة مثل ما أدركه القسم الأول، لكنهم خالفوه فهم الكفار حقا. و ما عدا هذين القسمين كلهم أصحاب الأعراف.

فمن [597]بغداد بدأ دور أصحاب الأعراف. هم لا يكونون من أصحاب جهنم، لأنهم لم يثبت عليهم الحجة. و ليسو من أهل الجنة، لأنهم لم يعملوا به، لكن بالتدريج يلتحقون بأحد القسمين. فإن في استعدادهم الطبعي الفطرى قوة إدراك الحق موجودة. فإذا وافق تلك الذهنية شئ من العلوم: فإن قاموا بالحق دخلوا في المؤمنين حقا. و إن قاموا بالباطل دخلوا في الكفار.

بالعلوم التي أنشأها بغداد يصير من أصحاب الأعراف: 1- إما من المؤمنين. 2- و إما من الكافرين. فالإيمان و الكفر الذي كان بتأثير القرآن علما و تقليدا. انتهى هذا الدور على بغداد. أما بعد

---

[597] في ن ح بزيادة "زمن" بعد "فمن"

ذلك فلا تقوم الحجة إلا بالعلوم التي أستنبطت من القرآن. فباعتبار الاستعداد كلهم كانوا أصحاب الأعراف.

و قد رأينا أهل العلم من المتكلمين و الفقهاء لم يتوجهوا إلى تحقيق أصحاب الأعراف مستقلا بالاستقلال إلا في ضمن المسائل. و رأينا إمام ولي الله قد بحث عنهم بحثا مستقلا. وبدون معرفة أصحاب الأعراف تطبيق دعوة القرآن على جميع أهل الأرض- إن لم يكن محالا- فهو متعسر قطعا. و لذلك ترون أهل العلم بالإجمال دعواهم أن القرآن للإنسانية كلها، لكن إذا شرعوا في التفصيل و التفسير لا يأتون بالحجة. كل ذلك لعدم تميزهم بين المرتبتين. 1- تأثير القرآن بنصوصه. 2- تأثير القرآن بواسطة.

لما قامت خلافة القرآن أثر ذلك في تبديل اجتماعيات الناس. و بعد التأثير تخرج من تلك الاجتماعيات علوم و معارف. هي ثمرة بذور الخلافة القرآنية. فتلك العلوم لا تناسب نصوص القرآن حرفيا، إنما هي تأثير قوة في مساواة مستقلة. فالصورة مستبدلة[598] بالمرة تماما. فمن يتأثر من تلك العلوم باعتبار الاستعداد، هم كلهم من أصحاب الأعراف. ثم بعد قبولهم الحق الذي هو فرع الأصل القرآن يلتحق الناس بالمؤمنين أو الكافرين. و نتائج تأثير القرآن على طبقات لا تنتهي إلى يوم القيامة. تلك نسميها تأثير القرآن بالواسطة. و عامة أهل العلم لا يميزون بين تينك الدرجتين. و يريدون أن ينسبوا كل التأثيرات إلى درجة الأولى. فلا ينتظم لهم فكر. و أما إذا حققوا تلك المسألة مستقلة، و أدركوا و أحاطوا بجوانبها، فهم يقدرون على أن يثبتوا تعميم تأثير القرآن في جميع أصناف الإنسانية و دوامه.[599]

قد رأينا يضطر أهل العلم، فيثبتون بعض أحكام أصحاب الأعراف، مثلا: الأشاعرة قائلون بأن الحسن و القبح لا يثبتان إلا بالشرع. و المحققون منهم يقدرون على تميز الدرجة الأولى بالوضوح و البداهة. ثم ما يكون بالعقل. فليس عندهم مستندا إلى الشرع رأسا، فأثبتوا تأثير الإسلام بالواسطة. و هم لا يشعرون. أثبتوه بدون شعور، فيقع في كلامهم عدم الانتظام.

ثم مسألة توجه إليها المتأخرون بدعاية الشيعة: نجاة والدي نبي عليه السلام. يحتاجون لإخراجهم عن كفر الجاهلية إلى إثبات درجة أهل الأعراف. لكن كلامهم كله ليس بشعور، باحتياج الإنسانية إليها.

---

[598] في ن ح "متبدلة"

[599] في ن ح بزيادة "و دوام تأثير القرآن"

بل لحبهم و غلوهم في إثبات مسألة جزئية فقط. مثلا: إذا قال قائل أن حجية الإسلام لا يثبت إلا بعد بلوغ القرآن بلسان الناس، و فهم إدراكهم للحكمة الدينية: أما مثل السابقين أو مثل أصحاب اليمين. ترون أهل العلم يتميزون من الغيظ إذ هم يعرفون أنهم لم يبلغوا القرآن إلى الإنسانية. فإذا لم يكثر الناس كفارا على حسب اصطلاحهم، و هم يعرفون أن ذلك من شعائر إيمانهم: أن يقولوا من لم يسم نفسه مسلما،كلهم كفار جهنميون. لكن في حق والدي النبي صلى الله عليه وسلم معترفون بأنهما لم يثبت عليها حجة، فليس من أهل جهنم. مثل هذا تناقض كثير من آئمتهم.

فما رأينا المدركين للحق إلا طوائف الصوفية، لكن الفقهاء لا ينهضم طعامهم إلا بتكفير هؤلاء الطائفة، و هم مساكين، لا يقدرون على إثبات الحجة. ما وجدنا محققا يتكلم على تلك المسألة مثل إمام ولي الله. و أنا بعد ما شرف بها الناس من شبان الإسلام انشرح صدورهم لإيصال حكم القرآن إلى جميع الناس. و رأيت المتقلدين للفقهاء المترسمين برسولهم، ما اطمأن خاطرهم إلا بعد التكفير.

هذا الاختلاف في استعداد المسلمين بغرضهم الغلط: فرضوا أصحاب الأعراف كفارا، و لم يقدروا على الفرق بينهما. فأفسد ذلك علومهم بخلط الباطل مع الحق. و هم لا يحسبون أنهم وصلوا إلى البطلان. ثم يجرفون مثل اليهود و النصارى و الهنود بخروج رجل يقيم لهم الدين، فيقوم.

أما هذا القرآن فيمكن بث علومه في الناس كافة، و يكفي ذلك لهداية كل الإنسانية. فلم يبق في قلبه من ذلك ذرة. فإن رآهم أحد غير ملتبس بأفكارهم، لا يرى الفرق بينهم و بين من يعتقد بأن الإسلام قد صار منسوخا على التمام. في عقيدتي و نظري أكثر تلك المصائب لعدم الشعور بين أصحاب الأعراف و بين الكفار. أما إلى زمن كنت متقنا بتأكد نشر علوم الإمام ولي الله لرفع الجهل من أهل العلم في تلك المسألة الواحدة فقط.

إذ بعد ذلك لصاروا أصحاب بصيرة في ما وصلوا إليه من الانحطاط، فيبقي سليم الفطرة لإقامة دينه. أما اليوم فهم غريقون في الجهل المركب، و كفروني أيضا. لكن بتوجه شيخنا شيخ الهند إلى تأييدي بأنه لا يريد إلا نشر علوم الراسخين في العلم، و هؤلاء لا يدركون حقيقته، لأنهم محبوسون في القيل و القال. فما انقطع عني عامة جماعتنا باعتمادهم على شيخنا شيخ الهند. فهم بتدريج تراجع الكل بحمد

الله. فمن هذه التجربة أنا مستيقن بأن استعدادهم القيام بالحق ما فقد من جماعة أهل العلم، لكن استغراقهم في الجهل المركب لا يتركهم أي يستيقظوا. و الله ولى التوفيق.

فصل: نذكر من كلام الإمام ولي الله قال في **البدور الباذغة**: أصحاب الأعراف على أصناف؛ منهم الذين لم تبلغ إليهم الدعوة أصلا، مثل سكان شواهق الجبال. لم يشركوا بربهم و لم يجدوا به و لم يؤمنوا. إنما مثلهم مثل البهائم؛ لا يتوجهون إلى الله نفيا و لا إثباتا، إنما يتوجهون إلى المرافق فقط.

أو بلغتهم بلوغا، لم ينفع بجهلهم شيئا مثل قوم لم يفهموا لغة الإسلام، ولم يفهموا حجته على ذهول من تدقيق النظر. إنما مبلغ علمهم؛ أن المسلمين قوم عمائمهم على هذا النحو، و قمصهم على هذا النوع. يأكلون هذه الأشياء و يحرمون هذه. قوم يقاتلوننا على الملك، فلا بد لها أن نقاتلهم. و ذلك مع عدم اشتراكهم بالله، و مع كونهم مثل البهائم، و إن صحت أمزجتهم في الجملة.

و منهم قوم نقصت عقولهم مثل الصبيان و المجانين و المعتوهين[600] و السفهاء و الفلاحين و الأرقاء. فمن لا يميز الحق من الباطل، و لا يكاد أن يعرف ربه، و يعبده مثل ما لا يقبل النقوش لضعفه. فأولئك لا يراد منهم إلا أن يتشبهوا بالمسلمين، و ينقادوا لأحكامهم الظاهرة لئلا يتفرق الكلمة الحقة. يكتفى به من إيمانهم مثل ما اكتفى النبي في إيمان الجارية السوداء، مسألتها أين الله؟[601] فأشارت إلى السماء! و أما الصنف الأول فيراد منهم التعظيم و اثبات الحجة و الهداية، انتهى.

قال في **حجة الله البالغة**: "أصحاب الأعراف هم جنسان: قوم صحت أمزجتهم، وزكت فطرتهم، ولم تبلغهم الدعوة الإسلامية أصلا أو بلغتهم، ولكن بنحو لا تقوم به الحجة، ولا تزول به الشبهة فنشأوا غير منهمكين في الملكات الخسيسة والأعمال المردية ولا ملتفتين إلى جناب الحق لا نفيا، ولا إثباتا، كان أكثر أمرهم الاشتغال بالارتفاقات العاجلة، فأولئك إذا ماتوا رجعوا إلى حالة عمياء لا إلى عذاب، ولا إلى ثواب حتى تنفسخ بهيمتهم، فيبرق عليهم شيء من بوارق الملكية.

وقوم نقصت عقولهم كأكثر الصبيان والمعتوهين والفلاحين والأرقاء، وكثير يزعمهم الناس أنهم لا بأس بهم، وإذا نقح حالهم عن الرسوم بقوا لا عقل لهم، فأولئك يكتفي من إيمانهم بمثل ما اكتفى رسول

---

[600] من عته –بكسر التاء– عتها، و عتاها، و عتاهة: نقص عقله من غير مس جنون. لينظر: **المعجم الوسيط**، 583.

[601] كانت تسأل؛ أين الله؟

الله صلى الله عليه وسلم من الجارية السوداء سألها " أين الله " فأشارت إلى السماء، إنما يراد منهم أن يتشبهوا بالمسلمين لئلا تتفرق الكلمة.

أما الذين نشأوا منهمكين في الرذائل والتفتوا إلى جناب الحق على غير الوجه الذي ينبغي أن يكون، فهم أهل الجاهلية يعذبون بأصناف العذاب."[602]

قال في **بدور البازغة**: "و أكثر الناس مغفورون و لو بعد حين،" و بعد قال "ورحمة الله أوسع من غضب الله."[603]

مثل هذه التفاصيل ما رأينا لأحد من المحققين، يصرحون مثل هذا. إنما أشاروا بإشارة مجملة مثل الغزالي و الدواني. ثم إذا تعمقنا في كلام الإمام ولي الله نرى أكثر أهل عصرنا من الأقوام المخالفة للمسلمين كأنهم من أصحاب الأعراف. و كذلك نرى كثيرا من الطبقات النازلة من العملة و الفلاحين في بلاد الإسلام، كأنهم من أصحاب الأعراف. فإذا تأملنا حق التأمل يذهب الاغتراء بأن أهل العلم من المسلمين قائمون بما وجب عليهم. هذا الدور دور أصحاب الأعراف عندي. بدء من ابتداء الحكومة العباسية و يمتد إلى يوم القيامة. و يكون الحكم في ذلك راجعا إلى الحكماء، الذين يبحثون من استعداد الأقوام، و يوصلون الحقائق إلى قلوبهم بألسنتهم. و الأصناف من أهل العلم الذين نشأوا قبل بغداد ذهبت رياستهم. فالواجب عليهم أن يتبعوا الحكماء و لا يتحكموا عليهم. تمت المقدمة.

بسم الله الرحمان الرحيم

قوله تعالى: "**المص (1) كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (2)**" صرح منه، أنه لا يصل إلى عامة الناس، أو لا يفهمون لغة، أو لا يوافق ذهنيتهم؛ فمن مثل تلك الخطرات يأتي في قلبك: أن التبليغ و التعليم لا ينفع لما ينبغي في الصورة الموجودة. هذا الحرج ينفي نفيه من صدرك، فإن كل ذلك يكون متيسرا بعد رفع الحجب. يخرج من تعليمك رجال حكماء و رجال خلفاء، و بتأثيرهم في الاجتماعية الإنسانية يتخرج من كل طبقة رجال منهم يقنعونهم و يوصلونهم

[602] ولينظر: شاه ولي الله، **حجة الله البالغة**، باب طبقات الأمة باعتبار الخروج إلى الكمال المطلوب أو ضده ، **حجة الله البالغة**، 1: 205.

[603]

إلى الحق، فكأن الله تكفل ذلك.[604] فمن بلغه و عقل عنه[605] فهو الفائز أولا. و من لم يعقل، إن كان فيه استعداد قبول الحق يستفيد منه بواسطة أو بوسائط. قوله: "**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (3)**" فاتباع دين غير هذا لا يجوز. يجب على كل أحد أن يدخل في تلك الاجتماعية العالمية.

تنبيه: من يكون له فهم إقامة الاجتماعية العالمية فهو لا يقتصر الصور المختصة، يقوم بجميع الأقوام بل يرجع إلى أصل المسألة، والمصلحة الاجتماعية تأتي لها بصور تناسب كل قوم. فإذا أحد أتقن فهم تلك المسألة يسهل عليه إقامة دين القرآن للاجتماعية العالمية. فبإصطلاحنا في عصرنا الحاضر تم دور الاجتماعية العربية على دمشق، وبدأ دور الاجتماعية العالمية من بغداد، تختلف الصورة، أما المصالح فتكون على حالها. و وجود المعتزلة من المتكليمن و أهل الرأي من الفقهاء من لوازم الاجتماعية العالمية. فمن يريد تفيهم الملة لم يفهم من الإسلام إلا الاجتماعية القومية العربية فقط. إنما يراد إصلاحهم و نفي علومهم[606] لئلا يتباعدوا من منهج القرآن. فبإصلاح المعتزلة انتظمت الماتريدية، و بإصلاح أهل الرأي انتظم الفقه الحنفي، و كلاهما من صنائع بغداد.

وليس الاقتصار على ذلك الإصلاح مرادا إذا جاء دور العالمية غير هذا: يعني تبدل بغداد بمركز آخر. فإصلاح المعتزلة و أهل الرأي يكون على نحو آخر. مثلا نشأ مركزية بخارى بعد بغداد أو مركز القاهرة، فكان تلك المراكز تلون المتكلون، و الفقهاء بلون التصوف و الحكمة. فكان هذا هو الواجب. و من يشدد على الناس بإيجاب تقليد آئمة هو لم يفهم الاجتماعية العالمية حق الفهم. ثم نشأ بعد بخارى و القاهرة مركز دهلي و استنبول. فكان للاجتماعية شأن آخر في تلك المراكز. و من يراع الشؤون المتجددة لم يفهم معنى قوله "**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ**".

---

[604] في ن ح "تضمن ذلك"

[605] في ن ح "عقل منه"

[606] في ن ح "نفي غلوهم"

و أنا متيقن بأنه لو لم يراع المصالح الناشئة من حكمة الإمام ولي الله في بلادنا لخرج أكثر الناس من الإسلام في المئتين الآخرتين. مراعاة ذهنية أصحاب الأعراف تستوجب شؤونا في التجديد، و بذلك تقوم الاجتماعية العالمية إلى آخر الدهور.

ثم في قوله تعالى: "**وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ** (**4**) **فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ** (**5**)" قد ذكرنا من قبل أن القرية عندنا الاجتماعية الخاصة بلسان مخصوص. فإن وجود الأنبياء في كل موضع موضع صغير لا يؤثر في التاريخ، إنما يوجد أمثال الأنبياء في كل قوم عندهم اجتماع قوي. فلا يخلوا مجتمع من داع إلى الحق. بذلك يصح قوله "**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**".[607]

أما إثبات أن القرى الصغيرة من المدن و الأمصار فكل قرية خلا فيها نذير، إما نبي أو صديق فلا يثبت في التاريخ. و قد رأينا أهل اللغة يفسرون القرية بالمجتمع فقط مثل فيروزآبادي. فذلك أقرب إلى تصدير الاجتماعية العالمية. قوله "**إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ**" علم من ذلك أن الأمر الحق وصل إلى ذهنهم لكن لم يلتفتوا إليه. فلما عذبوا و أخذوا بالانقلاب اعترفوا. فإيصال الحق إلى الاجتماعيات الإنسانية من تقدير الرحمن. و لا يمكن خلو الاجتماعية عنها. فالقرآن هو أمام ذلك النظام.

في قوله تعالى: "**فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ** (**6**)" إشارة إلى أن إيصال الحق قبل الإهلاك لازم. فإن قصر المسلمون المصلحون الذين يجب عليهم ذلك هم يسألون، المسؤلية كلها عليهم. و إذا قصر المرسل إليهم فالمسؤلية عليهم.

"**فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ** (**7**)" يشير إلى أنه يأتي إليه حقيقة الأمر. نحن مثبتون لعا لم المثال كل حقيقة تظهر في الأرض، كان تقرر أولا في المثال عندنا. فالموجود في الأرض معلول للموجود في عا لم المثال. ثم يحفظ كل ذلك في عا لم المثال. ثم يعرض بعد رجوعهم إلى المثال. و بعد إثباتنا لتلك القاعدة العمومية تفصيل السابقة يكون سهلا علينا.

---

[607] فاطر: 24

إيصال الحق و قبول الحق فرض على قسمين: 1- قسم وصل في العلم إلى الدرجة العالية.[608] 2- قسم يحتاج إلى علمهم، مثل العطشان يحتاج إلى ماء. كل أحد بعد حسابه يجازي بقدر أعماله. إلى هذا المعنى إشارة في قوله تعالى: "**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (8) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (9)**"

قد أخطأ الناس في تفسير المرسلين. حصروهم في الأنبياء فقط. فإن كان المراد حصر آئمتهم فهو صحيح و إن كانوا حصروا مطلقا المرسل المستعمل في كتب الله فهو خطاء.

الأنبياء يقوم مقامهم الصديقون في الإمامة، و أما دون ذلك من يخدم في التبليغ؛ هم جنود المرسلين. و يمكن أن يكون حكمة المرسلين جمعا لجميع الطبقات. و نشأ من هذا الغلط الاغتراء في العلماء المبلغين من الرسل. هم أيضا فرضوا لأنفسهم العصمة مثل الأنبياء. و لا يعرفون أن محاسبتهم إنما يكون في التبليغ فقط، لا في الأمور العامة من الأديان و أركان الإسلام. مثال ذلك رجل أقامه الله أميرا على بلدة، أو ملكا على مملكة، أو خليفة على أمم؛ يحاسب باعتبار حكمه في العدل و الظلم. و بذلك يكون نجاته أو عذابه، و لا ينفعه صلوته و صومه في شئ.

هذا نشأ بعد دور الراشدين: الجهال من أهل النسك لبسوا على الخلفاء فرضهم. و الآن جعل سنة في الشريعة، أن مرجع ذلك إلى أكاذيب قد انتشرت في زمن بني أمية، قد حكوا مناما في دور الراشدين بعد وفاة عمر؛ أن رجلا رأى الفاروق، فقال اللآن فرغت من الحساب. فهل كان يحاسب في صلوته؟ فرض الصلوة متساو بين كل مسلم. الخليفة و العجوز القاعد في بيتها سواء في ذلك. فهل يذهب جميع ما فعله الخليفة من المظالم على الأقوام بأنه كان يصلى؟ كلا!

هكذا أهل العلم إن لم يبلغوا يؤاخذوا مثل الشياطين و الدجاجلة. ما معنى هذا أنهم صلوا فبطل كل ما عليهم، لكن آئمة المرسلين و الصديقين هم معصومون، ليس عليهم تقصير. فتلك العصمة لا تتجاوز إلى من نصب نفسه معلما. هم يسألون فيصدق عليهم. "**وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ**..." من الصنفين

[608] في ن ح "العالمية"

"**فَأُولَئِكَ... يَظْلِمُونَ**" فإقامة النظام لتبليغ من يحس من نفسه طلب الحق فرض على جماعة أهل العلم العالمين بالقرآن في كل زمن، "**وَهُمْ يُسْأَلُونَ**".

تنبيه: بعد الاشتغال بحكمة الإمام ولي الله صرت أنا متبصرا بما يجب على أهل العلم بتعليم الدين لأولاد المسلمين فقط، الذين دخلوا في مدارس الحكومة لاحتياجهم في مرافق الحياة. و منهم رجال من عائلات كريمة من بيوت الإسلام يحسنون الاحتياج إلى مرشد يعلمهم الدين. يذهب إليهم متنسكون[609] من الصوفية المبطلة. و صاحب الاستعداد العالي لا يلتفت إليهم. أما المتوسطون و النازلون فيقعون في شباكهم. فرأيت أن تعليم هؤلاء فرض على أهل العلم. يجب على أهل العلم أن يذهبوا إليهم.

باحثنا في هذه مع رجال من أقراننا، فأنكروا علي، قالوا: لا حاجة لنا إليهم، بل عليهم أن يأتوا إلينا. رأيت تقصيرهم، هذا ظلما[610] على المسلمين، لكنهم كانوا مغترين بأنهم لا يسألون عن ذلك.

ثم بعد ذلك درجة أخرى جاء إلى بلادنا رجال من جميع أقوام العالم لانعقاد مؤتمر مذهبي ديني ليبحثوا أي دين يناسب الإنسانية العمومية. و كان لسان ذلك المؤتمر الإنكليزية، فسألت أهل العلم أليس يجب عليكم أن تبعثوا إلى المؤتمر من يعرض عليهم الإسلام؟ قالوا: لا. قلت سبحان الله هم أتوا إلى الهند، يأتون إلى بيوتكم، فقالوا: لا نعرف لسانهم. قلت لهم لو أديتم الفرض أولا في أولاد المسلمين لصاروا وكيلا منكم. ثم ذهب رجل من أتباع مرزا القادياني[611] و عرض عليهم الإسلام. فسألت أهل العلم، قالوا هذا يكفي. قلت فهل ترجعون من تكفيركم القاديانين؟ فأصروا بعد ذلك أيضا على تكفيرهم. قلت لهم يؤدي عنكم الفرض الكفائي رجل كافر؟ فليس الأمر إلا بين أمرين: 1- أما أن لا تكفروا القاديانين، و تجعلوهم و كلاء عنكم في تبليغ الإسلام. 2- و أما تعلمون من يعرف اللغة الانكليزية من أهل الإسلام الدين. هم ما قبلوا؛ لا هذا، و لا هذا. ظهر بذلك تناقضهم في عقولهم. و أنا كنت أعرف أنهم لا يعلمون الدين

---

[609] من التنسك: تزهد، تعبد. لينظر: **المعجم الوسيط**، 919.

[610] أي هذا كان ظلما

[611] الرجل الشهير غلام أحمد القادياني ، مؤسس جماعة الأحمدية، ولد في سنة 1256 هـ، أنه ادعى أنه مهدي موعود، ثم ادعى أنه مسيح معهود، وسمى نفسه مثيل المسيح، ثم ادعى أنه بروز أحمد ثم قال إنه بروز كرشن عظيم الهنود، وكان يخبر الناس بما يكون، فافتتن به خلق كثير، يبلغ عدد مؤلفاته أربعة وثمانين كتاباً، منها **براهين أحمديه، والأربعين وسرمة جشم آريه، وفتح إسلام وإزالة أوهام وتوضيح مرام، وآئينة كمالات**، و توفي سنة 1326هـ. لينظر: الحسني، **نزهة الخواطر**، 8: 1317-1319.

لشبان المسلمين، لأنهم لا يعرفون الحكمة الدينية. و من لا يكون حكيما، لا يقدر أن يعلم شيئا من الدين. بذلك تقرر فكرى؛ أن أهل العلم يجب أن يرائسهم حكيم حتى يذهب الاغتراء و التناقض. تم الفصل الاول.

الفصل الثاني: 10–36

قوله تعالى: "**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (15) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (18) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22)**"

الإنسانية العامة قد جعلنا عنوانها في لسان القرآن قصة آدم أو قصة البشر. فما كان طاريا على آدم، هو محفوظ في جبلة كل أحد من أولاده. فالإنسانية صالحة لأن تسمع دعوة الحق مثل آدم. فلا يكن حرج في قلوب المتقين.

في هذا الفصل قصة آدم و قد شرحنا اكثر شمائله من قبل.

الأمر الأول أن آدم خلق في الأرض. فإن الشيطان و إبليس كان من المأمورين بالسجود. و هو لا يقدر أن يدخل في السموات و الجنة المأوى. "**وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**" يعنى

تخرجون من هذه الجنة، و ليس فيه شئ يرجع إلى نقص في الكمال، بل فيه شرح للفطرة الإنسانية؛ أنه إذا استأنس بنوع من الحياة لا يتركه إلى نوع أعلى منه إلا بصعوبة و جهاد كبير. فإنه لا يقدر قيمة الحالة الثانية في آن الانتقال، يحسب نفسه مغبونا. إليه الإشارة في "**فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**".

و قوله: "**فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ**" فيه إشارة إلى ما استنبطناه أن الشجرة كانت شجرة الوقاع، هيجتهما[612] للوقاع و كنى عن الوقاع "**بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا**". و بعد الوقاع لا يحبان الاستمرار على الوقاع في كل حال. و كونهما عريانين يهيجهما. فاستنبط عقلهما الستر، فما فوجدا شيئا إلا ورق الجنة، فتسترا بذلك الورق. و هذا هو مبدأ الارتفاقات الاجتماعية.

قوله: "**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)**" اعترفنا بأن ذلك الخسران و خروجهما من الجنة كان لازما للفطرة، و تلك الجنة كانت موهوبة من الله لهما. و الآن يريد أن يصنعا الجنة مثل تلك الجنة بسعيهما. إليه الإشارة "**وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا**" نحتاج إلى رحمتك و عفوك إلى أن نوفق إلى إنشاء الجنة بسعينا. و نتيجة ذلك الاحساس أن طائفة من أولاده إذا نظموا الحكم في المنزل، و اجتمع لهم مرافق الحياة، بسعيهم يجدون لذة العيش في الجنة.

تنبيه: فإذا تنبه المبلغ للدين الحق الحكمة المنزلية، و علم الناس الأخلاق الدولية التي جاء ذكرها في البقرة؛ ثم علمهم تدبير المنزل برعاية تلك الأخلاق، لا ينكر هذا التعليم إلا شيطان مارد يتمرد. ليس لنا حق، و لا حاجة إليه. أما عامة البشر فيستفيدون من ذلك التعليم بلا محنة. إلى مثل ذلك إشارة في قوله تعالى: "**قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (24) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (25) يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (26)**" فالحالاتان على بني آدم: 1- حالة خسر الجنة. 2- حالة صنع فيها بسعيه الجنة. الأولى كانت فيها مخالفة أمر الله. و الثانية كانت فيها موافق أمر الله.

---

[612] آثاره، و منها هاج الإبل: حركها بالليل إلى المورد و الكلاء. لينظر: **العجم الوسيط**، 1002.

كذلك بنو آدم ينقسمون إلى قسمين: 1- قسم يغلب عليه الشهوات، فلا يراعون فيها أمر الله. 2- قسم يراعون فيها في اقتضاء الشهوات أمر الله. و الجاهل يجعل الحالة الأولى أيضا بأمر الله.

و تحقيق ذلك على أصول حكمة الإمام ولي الله: بعض الأوامر من الله يكون بواسطة التجلي على نوع الإنسان، و بعض الأوامر يكون بواسطة التجلي على جنس الحيوان. مثلا: فالأفراد من الإنسان إذا كان قصدهم الإنسانية أولى من أفراد الإنسان إذا كان قصدهم الحيوانية، فإن كمال كل فرد من نوع هو توفية مقتضيات نوعه. فمن كان ناقصا خداجا و إن كان يوفي مقتضيات جنسه أنقص من الأول. و بهذا الطريق ينبغي أن يفهم أن الذين إذا فعلوا فاحشة، و قالوا أمرنا الله بها، فإن كان كلامهم صحيحا فمرادهم يكون بلسان التجلي على الحيوانية. و هذا نقصان في الإنسانية و الخداج في الفطرة.

هكذا الحالة الطارئة إلى آدم بايجاب خروجه من الجنة، فيرجع ذلك إلى حكمة عالية بعيدة عن الفردية. و الإنسان في أول أمره لا يعرف إلا شخصيته. فالحكمة الفردية غالبة عليه. و خروجه من الجنة كان بمقتضى الحكمة النوعية لا بمقتضى الحكمة الفردية.

و قد كان آدم في ذلك الزمان في موطن الفردية. و الخروج من الجنة كان مخالفا لأمر الله في ذلك الموطن. و ثبت باعتبار ذلك الموطن أن ما يؤدي إلى الخروج عصيان. و إذا انتقل الإنسان من الفردية إلى الاجتماعية، و ذلك من تدبير المنزل، فالحكم الصادر من التجلي القائم على النوع يكون حكم هذا الموطن، فيكون أمر الله. و ما كان راجعا إلى التجلي القائم على الحيوانية و هو خارج من ذلك الموطن يكون عصيانا. و نسبة تلك الأمور إلى أمر الله جهل بحكمة الموطن.

و الإنسان في فطرته مظهر الحكمة تفصيلا: يراعي في كل موطن حكمة ذلك الموطن. و من لم يراعي حكمة الموطن يكون ضالا إليه الإشارة في قوله تعالى: "**فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (30)**" فحكم موطن الإنسانية مذكور في "**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (29)**" النوعية تستلزم الاجتماع. و رعاية حقوق كل فرد من النوع هو القسط. و هل يمكن ارتقاء المجتمع بدون رعاية حقوق الأفراد؟ كلا! "**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ**" و تدبير المنزل هو الذي يصير خلافة إذا قاموا بالقسط. "**وَأَقِيمُوا... الدِّينَ**" فيه إرشاد إلى رعاية الأخلاق المبنى عليها الاجتماع. و قد

بحثنا عنه في سورة البقرة في "**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**"[613] و يحافظون على الأخلاق التي جبل عليها الأفراد في حالة الاجتماع. و مضى هذا باعتبار الحكمة: كل موطن أعلى يجمع معه حكم موطن أعلى. و لا يخرج فوق ذلك الموطن إلا بعد الانقلاب.

فمن تلك الفطرة إذا عظم الاجتماع حصل هذا القانون المذكور في قوله تعالى: "**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (31) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (32) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (33) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (34)**"

هذا الاجتماع العظيم إنما قصرناه على قوم قوم، ثم يأتي تعليم يجمع الأمم مثل ما جمع الأمة الأفراد. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (35) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (36)**" تلك الاجتماعية عالمية. تم الفصل.

الفصل الثالث: 37–51

في هذه الآيات حكاية عن اجتماعية الأمم في النار، و عن اجتماع الأمم في الجنة، و عن اجتماع في الأعراف. هذا الفصل شرح للاجتماعية بالرمز فقط.

فذكر أولا حال أهل النار إلى–الآية– 41 "**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (37) قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ**

---

[613] البقرة: 152

لَا تَعْلَمُونَ (38) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (39) إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (40) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (41)" فيه المذكرات[614] بين الأمم، كل هذه اجتماعية عالمية لأهل جهنم.

ثم في قوله تعالى: "**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (42) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43)**" فيه ذكر الاجتماعية العالمية في الجنة. "**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ**" هذا في حق الأقوام، فإن الشخصية القومية لا تذهب عن قلوب الأقوام. و بعد اتفاقهم أيضا يجدون في قلوبهم غلا بالنسبة إلى الآخرين. قلت: و من هذه الجهة قدرنا على إمكان الاجتماعية بين الأقوام، و ما قدرنا على إنشاء قوم واحد على أصول القرآن. و تلك المغالطة قد شاعت في الهند، فأفسدت اجتماعيتهم. كل من يرجوا أن يساوي الأقوام المسلمة ثم لا يجد لذلك مساغا فيتحير. و أنا أيضا كنت في الهند، فتحيرت قليلا، لأن أكثر أشغالي كان بتعليم الحكمة. و لما طالعنا حركات بين الأقوام فهمنا اغترارنا لفرض المسلمين، كلهم قوما واحدا. هذا الغل يخرج من الجنة، جنة المأوى لا في الدنيا.

ثم ذكر أصحاب النار في قوله تعالى: "**وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (44) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (45)**" المخاطبات بينهم مذكورة في هاتين. ثم يتحقق الوسط بينهما؛ بين الاجتماعين اجتماعية ثالثة: هؤلاء أصحاب الأعراف في قوله تعالى: "**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (46) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (47) وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ**

---

[614] في ن ح "المذاكرات"

قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (48) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (49)"

ثم بعد ذلك بواسطة هؤلاء اتصل أصحاب النار بأصحاب الجنة كما في قوله تعالى: "**وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (50) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (51)**" و على الأعراف رجال يعرفون بسيماهم؛ يعنى يتفطنون بالفطرة، و فيهم صلاحية إدراك الحق موجودة لكن لم يصل إليهم تعليم حتى يكملوها. فأصحاب النار لا يستفيدون من أصحاب الجنة. أما أصحاب الأعراف فيطمعون أن يدخلوا الجنة. و الفرق بين أصحاب الأعراف و بين أصحاب النار فرض على الحكيم. تم الفصل، و فيه كانت الحكمة الاجتماعية.

الفصل الرابع: 52–58

فيه الاحتياج إلى شريعة بين الأقوام. قوله تعالى : "**وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52)**" فيه إشارة إلى هذا قوله: "**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (53)**" الذي ذكر في الفصل المتقدم أن الاجتماعيات تنقسم إلى ثلاث أقسام. و الكتاب يعين لكل منها شريعة. فمن انتظر إلى تأويل شريعة فلينتظر يوم القيامة. فإن نتيجة الشريعة تامة لا يأتي إلا ذلك اليوم.

جملة معترضة: أنا استيقنت أنه لا يأتي في هذه الدنيا زمان يدخل جميع الناس في الإسلام، إنما يمكن أن يغلب المسلمون على الكفار. فوجود الكفار في الجامعة الإنسانية لازم إلى يوم القيامة. و قد سمعنا من الذين يرجون مجئ رجل يقيم الدين على وجه الأرض؛ أما المهدي و أما المسيح، يجعلون ذلك هو مقصد القرآن و نزوله.[615] رأيناهم يضيقون تلك الحالة، بأنه لا يكون فيه كفر ألبتة. هذا الذي تحققناه منهم، أنهم لا يرون تأويل الإسلام و تأويل الاجتماعية العالمية الذي عرفنا منهم. و لا يجوز عقلنا وقوع ذلك على وجه الأرض بنصوص قطعية. فلم يبق إلا أن ينتظروا يوم القيامة، و ينظروا إلى يوم القيامة. و

---

[615] في ن ح "مقصد نزول القرآن"

نجد فكرهم يوافق تلك الآية 53 "**هَلْ يَنْظُرُونَ**...". رأينا تلك الدعاية دخل في الإسلام غلطا، و نحن نحمد الله على أن القرآن لا يتحمل تلك الدعاية أبدا. انتهى.[616]

قوله تعالى: "**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54) ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (55) وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (56)**" هذه الثلاثة لتوجيه أنظار المؤمنين إلى مركز التشريع. و محل التجلي حظيرة القدس.

ثم قوله تعالى: "**وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (57) وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (58)**" فيه بيان تأثير حظيرة القدس بالمثال: بمثال المطر تنجذب الإنسانية بتأثير من حظيرة القدس كما تتجذب الأرض بالمطر إلى الأنبات. ففيه أن القانون الاجتماعي العالمي يخرج في الأقوام على حسب استعدادهم. تم الفصل الرابع.

الفصل الخامس: 59–93

في هذه الآيات ذكر الأنبياء نوح صالح ، شعيب –من– 59–93 ثم من –الآيات– 94 – 102 بحث عن نتائج تلك الأقوام لما خالفت الأنبياء، فأخذناهم بما كانوا يكتسبون. و القانون الكلي يتوجه على الأقوام على السواء، أليس معناه أن الأقوام أفراد لكلي واحد.

يأتي بعد ذلك الشرائع الإلهية فوق تلك الدرجة إلى أن ترجع إلى قوم و قوم. في قوله تعالى: "**تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (101)**" يعنى الاجتماعيات في الأزمنة المختلفة على صور أقوام

[616] في ن ح "تمت المعترضة" دون "انتهى"

مختلفة. "**نَقُصُّ عَلَيْكَ**..." إن تلك الدرجة من النبوة لما صاروا معتادين بتكذيبها لا يتيقظون بها، فيحتاجون إلى نوع أعلى من ذلك من الشرائع. هذا قد ابتدأ من إبراهيم، و تكامل الشرع في زمن موسى. تم الفصل.

كان الأنبياء في السابق زمن الصابئة يأمرون الناس بالتوجه إلى الله الحق. و بعد ذلك كانوا يأمرونهم بمرافق الحياة الدنيا، و يكون كل ذلك بشريعتهم. يأتي نبي، يأمر بالنكاح و يحرم عليهم الزنا. فالتقيد بتلك القيود في النكاح هو شريعتهم. يأتي نبي يأمرهم بعدم التطفيف في البيع و الشراء. و من التزم قانونه كان على شريعته. هكذا كان يأتي الأنبياء، و يعلمونهم مرافق الحياة. و بذلك يكون تقربهم إلى الله، و من التزم شريعة نبي نجد في قلبه قربا من الرب، فصارت شرائع الأنبياء مثل العادات لهم.

الآن إذا أتى لهم نبي بمثل ذلك لا يزيد في تقربهم لعدم تيقظ عقولهم بذلك. و جاء الحنفاء، هم يأمرون بأمور خاصة مفيدة للتقرب فقط، ليس فيها ارتفاق[617] بالحياة الدنيا كثيرا مثل الذكر، ذكر الله في جميع الأوقات مثل التوجه إلى الله، و إلى حظيرة القدس، والدعا منه، بذلك تيقظ الناس. و كان في هذه الأمور موسى من أولى العزم من الرسل في الحنفاء. فالآية 101 "**تِلْكَ الْقُرَى**..." حكاية عن الأنبياء قبل إبراهيم بقليل. و لقد جاءهم الأنبياء "**فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا**" ما تيقظوا بما صارت عادة لهم. فجاءهم الحنفاء " **ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (103)**" بعدهم أي الرسل الذين قص الله من تلك القرى.

الفصل السادس: 103–171

في بيان الحركة العالمية على أصول الحنفاء، مبدأه من موسى. أما قبل الحنفاء كان تمهيدا لذلك. جاء موسى بآيات إلى فرعون و ملائه، و بني إسرائيل. و تلك الآيات قسم منها الأحكام الشريعة مثل الأنبياء الصابئة مثل الأحكام العشرة في التوراة. و منها ما كان للتيقظ أو التوجه إلى حظيرة القدس؛ و مثل ذلك مثل العصا و اليد البيضاء. من -الآيات- 103-136 ذكر الآيات الموقظة.

أولا كانت المناظرة مع السحرة، و هم آمنوا. و اشتد كفرهم. بعد ذلك في قوله تعالى: "**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ**

---

[617] في ن ح "ارتفاقات"

(**133**)" فاستكبروا عن الطاعة لحظيرة القدس حتى جاء في قوله تعالى: "**فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ** (**136**)". ثم جاء بعد الإغراق "**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ** (**137**)" و ليس ذلك متصلا بالإغراق بل كان بعد زمن مثل زمن داؤد. فكان نموذجا للحركة العالمية.

بعد ذلك بيان ارتقائهم في تلك الحركة. جاء موسى بما هو من خواص الحنفاء في المقام العالي. و بيان ذلك في قوله تعالى: "**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ** (**143**)" كلام الرب من آثار التدلى إلى حظيرة القدس، و موسى كان آية في ذلك. زاد على طريقة الصابئة في المعرفة الموقظة لأحجار البحث في بني آدم. و رأينا هذا لتأثير من الحنفاء. قد سرى في الصابئة. آئمة الصابئة بعد ذلك لا يرون لأحد أنه تم له الكمال إلا و قد شرف بالكلام مع الرب. هذا الأمر لم يكن مأثورا من آئمة الصابئة من قبل. هذا التأثير ليس على الدعوة الشرعية بل على طريقة استعداد النفوس من أصحاب الأعراف. مثال ذلك الحركات الغربية في المئة الماضية قد تقدمت. و المسلمون كانوا محاربين لأوربا، فما كانوا يقبلون منه شيئا على وجه القانون. إذا لم يكن لهم سلطان على بلاد المسلمين و أقوامهم، لكن طوائف من أذكياء المسلمين باستعدادهم الطبعي أيقنوا ببطلان اجتماعياتهم. يعني في المعنى قد تركوا التقيد بالشرائع المأثورة، و رجعوا لما جاء إليهم من أصول الاجتماعيات من أوربا مع عدم الإحاطة باجتماعيات أوربا أيضا. فإن نظر الإنسان إلى استعدادهم؛ هم ليسوا من هؤلاء و لا من هؤلاء، لكن لا يتأخرون في التلقي بما عندهم من الحق الثابت بالتجارب. و إن كان أقوامهم يقيمون عليهم القيامة. هذا السريان نسميه على منهاج الأعراف.

نحن نرى في فلاسفة الهند رجالا يتقيدون بشرائع بني إسرائيل، و يحكون عن أكابرهم روايات مثل روايات بني إسرائيل. نحن نتيقن: هذا الأمر لو كان عندهم من الأصل ليبقى فيهم بالقوة الزائدة على ما بقي عند بني إسرائيل. و إذا رأينا أن ليس عندهم إلا أساطير، لا تأريخا منظما مثل بني إسرائيل، علمنا

أنهم أخذوها من بني إسرائيل. هذا الأخذ لم يكن على طريق الدعوة الشرعية، و ليس على طريقة قبولها، بل من قوة الاستعداد لا الفطرى للإنسانية.

ثم عندنا كذلك: بنو إسرائيل بعد الانحطاط و عدم تمسكهم بشرائعهم في الأرض أخذوا عن فلاسفة الهند خاصة على منهاج أهل الأعراف. و تلك الواقعة في التاريخ صارت خفية لأسباب كثيرة. و لا يقدر الناس على تنظيم التاريخ الفكري إلى يومنا هذا. و كل من تجرأ على ذلك يصل إلى نفي الأديان. و ليس ذلك إلا بسقوط بعض الصحائف و القطع البين من التاريخ. و عندنا الكلام مع الله له درجات، فلا يكون عارف بالله خاليا محروما من مكالمة الرب بالمرة، لكن التجلي يقوم خارج نفس الإنسان و يكون الكلام جهرا محسوسا مسموعا من الخارج. ثم يكون الكلام على طريق من يتكلم في الارتقاء الفكري مع مرشده. يأتي بشبهات يزيلها المرشد. يسأله عن شئ فيجيب المرشد. يعني يحيط بالأمر الذى ألقى بالكلام لا بالرمز و لا بالكناية فذلك أول من قام به كليم الله موسى عليه السلام. هذا هو إثبات، أعلى امتياز بين الحنفية و الصابئة. و هو يدرك الناس ذوي استعداد، بقوة استعدادهم لا مثل قيده الفقهاء بالقانون، لا مثل ذلك الأمر و إن أتى به العارفون الكاملون من آئمتنا بعد نصف الألف الأول، لكن ما قدرنا على الإحاطة بالمسألة. و تقديمها للأقوام الصابئة لأهل الأعراف منهم إلا بواسطة حكمة الأمام ولي الله.

"**قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ**..." حكمة السؤال و عدم الاستجابة مشروحة في تأويل الأحاديث، فلا نطيل الكلام. و قد تفطن العارفون أن تلك الدرجة العالية إنما لم يحصل لموسى، لأن قومه إلى الآن ما كانت استعدت لقبول معارفه، فاكتقى على الكلام. و صار الأنبياء بعد موسى يشرحون كماله على الأقوام. فيرى تلك المعرفة في العالمين. و بذلك يتحقق فضل بني إسرائيل على العالمين، لأن العارفين في جميع الأقوام يعترفون بإمامة موسى في تلك المعرفة. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144)**" إعمل بها، و عرف الناس أن من أخذ بتلك الشريعة النازلة من حظيرة القدس على طريقة إبراهيم فإنه يفوز بكلام الله إياه. فتلك المعرفة لم يكن أنبياء الصابئة يدعون إليها، فيظهر للناس أن الرب تدلى إلى خلقه أولا بواسطة النفس الكلية، و الآن تدلى إلى خلقه أزيد من ذلك بواسطة التجلي المستوى على العرش المنبسط كمالاته في حظيرة القدس.

فانقلاب إيمان الناس انقلاب في الإيمان بالله هو مقصد رسالة موسى عليه السلام. و لما لم يتهيأ الناس لقبول معرفة فوق ما كانت لهم لقبول المعرفة، فوق ذلك آخر، ذلك إلى رجل آخر من أتباع موسى باعتبار تصديقه موسى، و من أمثال موسى باعتبار العمل.

فهاهنا دقيقة ينبغي التنبيه عليها: الفقهاء و المتكلمون عامة جعلوا كمالات الأنبياء مختصة بذواتهم. دعوة الفقيه و أهل الكلام إذا تجردنا عن الحياة الودادية ليست إلى الله، بل إلى ذوات الأنبياء الكرام، ثم الإيمان بالله تقليدا لهم لازم. و الحقيقة على خلاف ذلك ما أتى الله كمالا لنبي إلا ليكون عونا له معوانا له في دعوته إلى الله. هم إذا قدموا الشريعة الإلهية إلى الناس يلزم بالطبع أن يكون الالتزام بتلك الشريعة موصلا إلى الله. والأنبياء يكونون أمثالا في الوصول إلى الله. فلذلك قلنا أن موسى جاء بشريعة متكفلة لمن يعمل بها إحسانا أن يتكلم معه الرب مثل كلامه موسى. و لقد تحفظون إن شاء الله من كلام عيسى في الإنجيل، أنه خاطب الحواريين، لو كانت فيهم أقل ما يكون أي مثل إيماني لقدرتم على إحياء الموتى. عيسى يحي الموتى بإذن الله ليكون آية و مثالا و نموذجا. إن الدعوة التي جاء بها عيسى تنتج مثل ذلك من الكرامات.

و نحن نرى الفضل في ذلك للإمام الرباني الشيخ أحمد السرهندى، أنه مع كونه فقيها حنفيا متصلبا في الماتريدية أنكر على الفقهاء و المتكلمين في حصرهم كمالات النبوة على الأنبياء. و دعا بالألهام أنه أولى كمالات مثل كمالات الأنبياء. آمن به قوم و مشائخي في العلم و الطريقة كلهم منهم. آمن به قوم أنه مجدد للألف الثاني، أكبر درجة من المجددين للمئات الأولى. و خالفه آخرون، هم موجودون في الهند، لكنهم مغلوبون في العلم. ليس عندهم إلا الكتب تقرأ. أما أن يحصل لهم ملكة الاجتهاد و المعرفة فلا.

وقد ذكر الإمام ولي الله أن الإمام الرباني كان كالإرهاص لما أتاني الله من الحكمة و أنا من المؤمنين به. فأئمتنا شرحوا: أن النبوة شئ، و كمالات النبوة شئ آخر. النبوة وهبية يجمع عليها آئمة الملأ الأعلى، فتقرر. أما كمالات النبوة فباتباع طريقة يحصل للناس، و هو المعبر بالإحسان في عرف الأنبياء. كما يكون صورة العدل، فخصوصه بحالات ذلك العصر. كذلك الإحسان يكون مخصوصا بكمالات نبي ذلك

العصر. مثال ذلك: الرجل يقرأ كتب الحنفية بالتحقيق، فيمكن أن يصل إلى درجة أبي يوسف[618] و زفر[619]. أما الوصول إلى درجة الإمام أحمد من ذلك الطريق فبعيد. هكذا باتباع كل شريعة يحصل الإحسان مثل آئمة تلك الشريعة.

تنبيه: أنا أدعو الأمة إلى طريقة الإمام ولي الله بواسطة شيوخي الديوبندية. و استمدادي من معارف الإمام الرباني الشيخ أحمد السرهندي و غير هؤلاء كلهم عندي في الدرجة الثانية و الثالثة. لا اعتمد على أحد إلا بواسطة هؤلاء.

قوله تعالى: "**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (148)**" قد ذكرنا أن قوم موسى ما كان صالحا لتتلقى معرفة عالية، فنأتي بشرح لذلك من كتاب الله. موسى قد أوتي شريعة إلهية، و نتيجتها تكون الوصول إلى الله على حسب استعداد العامل. و قومه أولا ما انتظروا إلى إتيانه بشريعة، و اتخذوا عجلا بأنه إله موسى. فنبههم الله على غلطهم في الأخذ من معارف الأنبياء. "**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ**" فلو كان إله موسى لكلمهم، مثلا ما كانوا، إن الله كلم موسى. أترونهم، يستحقون أن يروا ربهم. هذا تأخرهم في الاستعداد. منع موسى من الترفع إلى المقامات العالية.

"**وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (155) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي**

---

[618] يعقوب بن إبراهيم، أبو يوسف: صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه. كان فقيها علامة، من حفاظ الحديث. ولد بالكوفة سنة 113هـ، وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه «الرأي» وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد. ومات في خلافته، ببغداد سنة 182.وأول من وضع الكتب في أصول الفقه، على مذهب أبي حنيفة. وكان واسع العلم بالتفسير والمغازي وأيام العرب. من أهم كتبه: **الخراج، الآثار، الرد على سير الأوزاعي، أدب القاضي**، و غيرها. لينظر: الزركلي، **الأعلام**، 8: 193.

[619] زفر بن الهذيل، أبو الهذيل: فقيه كبير، من أصحاب الإمام أبي حنيفة. أصله من أصبهان، ولد سنة 110 هـ، . أقام بالبصرة وولي قضاءها وتوفي بها سنة 158هـ. وهو أحد العشرة الذين دوّنوا (الكتب) جمع بين العلم والعبادة. وكان من أصحاب الحديث فغلب عليه (الرأي) وهو قياس الحنفية، وكان يقول: نحن لا نأخذ بالرأي ما دام أثر، وإذا جاء الأثر تركنا الرأي. لينظر: الزركلي، **الأعلام**، 3: 45.

الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156)" ثم جاء موسى بسبعين رجلا، يعني ليكلمهم الله. فما قدروا على الاستقامة و الاستماع، فأخذتهم الرجفة غير موسى. **"قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ... السُّفَهَاءُ"** تبين لموسى أن قومه لا يصلحون لرؤيه و لكلام. ينبغي أن يجتهد في إصلاح استعدادهم حتى يكلمهم الرب. فخرج من قومه أنبياء كلمهم الله و صحفهم مع صحف موسى. فموسى نبي الله أكمل ما أمره الله، و سرى هدايته في الصابئة. عامة في بابل كانت ملوك كبار من الصابئة، و كانوا يعتمدون على بني إسرائيل فوق اعتمادهم على كهنتهم. و كذلك الخسرو الذي هو عندنا ذوالقرنين؛ كيف أحسن على بني إسرائيل، و أكرمهم، و هو من آئمة الصابئة، و من ملوكهم الكبار. أنا أرى سراية علوم بني اسرائيل إلى حكماء الهند، و أنبيائهم من طريق بابل و الإيران. فالهند و الإيران ما كانوا منفكين في الزمان الأول. و يشهد له توافق سانسكريت و لغة الفرس في ألوف من الألفاظ، لا المئات فقط. و توافق في الشرائع و الحكمة. بذلك تم تفضيل بني إسرائيل على العالمين. و كل ذلك على سبيل مناهج أصحاب الأعراف. نضبطه بكلمتين: توضحون الحق بما يوافق الفطرة الإنسانية المتلونة بلون العصر. هم يتركون الناس أحرارا في قبوله. فالمتفكرون يتفكرون و يأخذون به، كأنه ضالة لهم، و إن أمروا بالقانون و السلطان و القوة. فالناس يستنكفون عن استماعه. هؤلاء فطرتهم معتدلة في شأن موافقة الشريعة و القانون، و في مخالفتها.

و لما رآى موسى أنهم ماتوا سأل الله إحيائهم، فاستيقن بما أراد الله إعلامه. إليه الإشارة في قوله **"إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ"** تنبيه على أن إتخاذهم العجل و موتهم كله امتحان استعدادهم، ليبتين في الأمر. ليس الإثم راجعا إليهم في ذلك في شئ. **"تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ"** كل ذلك ينزل على حسب الاستعداد. و مشيئة الرب لا تظهر إلا بعد تحقق الاستعداد. و قد قواتهم في البقعات ذلك. **"أَنْتَ وَلِيُّنَا..."** هذه ألفاظ كان مني، و الآن فهمته. **"فَاغْفِرْ لَنَا...إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ"** إنا هدنا إليك إي إلى حظيرة القدس. ميلنا إليك فقط رضا بما قضى الله له. كما قال الشاعر: ''**ہر چہ** ساقی ۂ ماریخت عین الطاف است''.[620]

الآن ياتي ذكر تلك الدرجة التي أخر عنها موسى و قومه في قوله تعالى: "... **فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي**

---

[620] ما ألقيت في كأسي هي من نظرة كرمه.

يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)" يؤمنون جميع ما جاء به الأنبياء. كلهم يصدقون به معرفتهم بحظيرة القدس. وصلت إلى غاية هذه، إليه الإشارة "**وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ.... الْمُفْلِحُونَ**. قوله أولئك معناه عندي أنهم يفوزون بالرؤية، فيرون ربهم. و في سورة النجم بشروا، جند الله عن كمالات نبيه في المعارف. فإن الفقهاء و المتكلمين قد قصروا في ذلك، فلا إثم عليهم. في سورة النجم قوله تعالى: "**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12)**" بعد ذلك "**أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20)**" أنتم ترون ألهتكم كما هو رأى إلهه. كان الأمر واضحا عند من تبصر، لكن الناس أرادوا أن لا يشوش غير الراسخين في العلم أفكار العامة. تلك المسألة لا تنكرها رؤية ذلك، إنما هي من طريق التجلي القائم على إمام النوع الإنسان، من كان يعرف مسألة التجليات كما شرحه إمامنا الشاه ولي الله. لا يشك في الكلام و الرؤية. أما الذين لا يعرفون هذا العلم فهم إلى يومنا في مسألة الكلام في ريبهم يترددون. و مسألة الكلام ينكرونها بالمرة.

و قد سرى هذا العلم بواسطة العارفين من أمة نبينا إلى الأقوام الصابئة، كما كان سرى أولا من بني إسرائيل. فالآن لا يتكامل آئمة الصابئة إلا بعد الوصول إلى الرؤية. تلك المسائل مسائل الحكمة، مصونة عن التدخل فيها من الفقهاء و المتكلمين إلا من شاء الله. و من مبتدأ الألف الثاني نظن أن هذا العلم من الحكمة انتقل إلى أهل الهند. جمع سلطان الهند جلال الدين محمد أكبر الغازي الحكيم الأمي بالفطرة حكماء طوائف من الناس من المسلمين، و من اليهود و النصارى و الهنود و المجوس، و أكرمهم، و دعاهم إلى الإنسانية الجامعة المتشرحة من كل شريعة، و كل معرفة. فكان لسان الحكماء في مجلسه وزيره أبو الفضل[621] و أخوه الفيضي[622] هما أخذا العلم من أبيهما عن الشيخ المبارك، عن الدواني. فكانوا

---

[621] أبو الفضل بن المبارك الناكوري، أعلم وزراء الدولة التيمورية، ولد سنة 958هـ. قد وصفه صاحبه عبد القادر البدايوني بالإلحاد والزندقة. وقال في **المنتخب**: إنه دس في قلب السلطان أشياء منكرة. ورغبه عن الملة السمحة البيضاء. ومن مصنفاته المشهورة **آئين أكبري، أكبر نامه**، و توفي سنه 1011 هـ. و لينظر: **نزهة الخواطر**، 5: 571-573.

[622] أبو الفيض بن المبارك الناكوري الذي لم يكن له نظير في الشعر والعروض والقافية واللغة في والتاريخ والإنشاء والطب. ولد بمدينة آكره سنة 954 هـ، وأشهر مصنفاته **سواطع الإلهام في تفسير القرآن الكريم**، وكان يرمي بالإلحاد والزندقة، و توفي سنة 1004. و لينظر: **نزهة الخواطر**، 5: 473-475.

حكماء، و سلطانهم كان صاحب الفطرة السليمة. و كان ذلك الاجتماع في الإسلام لا نظير له إلا اجتماع الحكما عند المامون[623] في بغداد. هؤلاء الحكماء لما تكلموا مع الناس أترون أنهم يتكلمون باصطلاحات الفقهاء و المتكلمين؟ هيهات! فأنكر الفقهاء و المتكلمون، و كفروا السلطان و الحكماء كما هو عادة الناس عامة. و تلك سنة الله لن تجد لسنة الله تبديلا.

فخرج من جماعة الفقهاء و المتكلمين رجل، أدخل جميع ما اجتمع عليه الحكماء في شرح شريعة نبينا صلى الله عليه و سلم، و أنكر على الحكماء في التشديد على الفقهاء و المتكلمين. فأجتمع الفقهاء حوله و انتقلت روح الاجتماعية إلى المجتمع الإسلامي في الهند. من أصحاب أبي الفضل و الفيضي رجال التحقوا بالشيخ محمد الباقي[624] شيخ الإمام الرباني في الطريقة، إمام عصرهم عند العارفين.

فهؤلاء الحكماء المسلمون قد ذكرنا أنهم تربوا على آئمة المسلمين مثل الدواني و أصحابه. ثم أنهم يتشبثون بمعارف الشيخ الأكبر العربي[625]، و الشيخ محمد الباقي، كانا إماما عظيما من آئمة الوجودية،

---

[623] الخليفة أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد، ولد سنة 170هـ، وقرأ العلم والأدب والأخبار، والعقليات وعلوم الأوائل، و بعد قتل أخيه أمين وصل إلى الخلافة، و دعا الناس إلى ضرورة التعليم في سبيل النهضة، وأمر بتعريب كتبهم وبالغ وعمل الرصد فوق جبل دمشق، ودعا إلى القول بخلق القرآن، وبالغ نسأل الله السلامة. وكان المأمون عالما فصيحا مفوها، و توفي في سنة 218هـ بسبب مرض الحمى. لينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، 8: 376-377.

[624] عبد الباقي بن عبد السلام البدخشي المشهور بباقي بالله، الشيخ الأجل قطب الأقطاب النقشبندي البدخشي الكابلي ثم الدهلوي، ولد في سنة 971 أو 972 هـ، وممن أخذ عنه الشيخ الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي إمام الطريقة المجددية، والشيخ تاج الدين السنبهلي، والشيخ حسام الدين البدخشي، وخلق آخرون. ومن مصنفاته **الرسائل البديعة والمكاتيب العلية والأشعار الرائقة**، منها **سلسلة الأحرار** شرح فيه رباعياته في الحقائق والمعارف بالفارسي. توفي في سنة 1014هـ. لينظر: الحسني، **نزهة الخواطر**، 5: 551-553.

[625] محمد بن علي، محي الدين بن عربي، الحكيم الصوفي، المتكلم الفقيه، المفسر، الأديب الشاعر؛ الذي شغلت شخصيته الشرق والغرب على السواء. ولد بالأندلس عام 560 هـ، استوطن دمشن حتى وفاته عام 638هـ. من تصانيفه الكثيرة: **الفتوحات المكية، فصوص الحكم، اصطلاحات الصوفية، التدبيرات الإلهية**، و غيرها. لينظر: درنيقة، محمد أحمد، **معجم أعلام الشعراء المدح النبوي**، دار و مكتبة الهلال، 377.

الذين تحققوا بمعارف عبيد الله الأحرار[626] و بمعارف عبد الرحمن الجامي[627] بالطبع لا يكون اختلافا بين أصحاب الحكيمين و بين أصحاب الإمام محمد الباقي إلا في كلمات تحسب زلات للحكماء و العارفين. و أصطلحوا عليها بالشطحيات. هذان رجلان خالفوا شطحيات أبي الفضل و الفيض، و التحقوا بالإمام محمد الباقي و الشيخ المحدث عبد الحق الدهلوي، كان من أصحاب الشيخ محمد الباقي، و كان مع ذلك يصاحب الحكيمين. إذا شد النكير من العامة فكتب إليهم أنه على ودادهم، و يدعولهم، و لكن لا تكلفوني بالاجتماع إلى مجالسكم. و كان هذا من شدة نكير العامة. هذان الرجلان كان من أصحاب الشيخ عبد الحق الدهلوي أيضا. فلما توفي الله الشيخ محمد الباقي هؤلاء توجهوا إلى تربية أولاد الشيخ وفاء بحق شيخه، و تجرد لذلك عن جميع الأمور. كان اسم أكبر الولدين عبيد الله[628] و اسم الثاني عبد الله.[629] ثم التحق الشيخ عبد الله ابن محمد الباقي بالأمام الرباني. قرأ عليه الكتب، و أجازه بالطريقة. هذا عبد الله ابن محمد الباقي ما كان متقيدا بأوضاع الفقهاء و الصوفية. هو الذي ربى الشيخ عبد الرحيم[630]

---

[626] الشيخ عبيد الله أحرار كان من مشائخ سمرقند، ولد سنة 806هـ، و استفاد من خاله الشيخ إبراهيم و نظام الدين و قاسم تبريزي، كان الشيخ من أكابر سلسلة النقشبند. و توفي في سنة 895هـ. لينظر: السندهي، عبيد الله، **التمهيد لتعريف آئمة التجديد**، 633.

[627] الشيخ عبد الرحمان بن أحمد الجامي ولد في سنة 817هـ، كان من سلالة محمد بن حسن الشيباني، كان من كبار المشائخ النقشبيندية، قد بالغ نظره في العلوم النقلية و العقلية، و صاحب مع الشيخ عبيد الله أحرار، و أخذ منه أسباق الطريقة النقشبندية، و من مصنفاته: **نفحات الأنس، شرح فصوص الحكم، رسالة في الوجود**، و في النحو **الفوائد الضيائية** الشهير بـ **شرح جامي**، و توفي سنة 898. لينظر: السندهي، عبيد الله، **التمهيد لتعريف آئمة التجديد**، 683-684.

[628] الشيخ العالم الفقيه عبيد الله بن عبد الباقي النقشبندي الدهلوي، أحد الرجال المعروفين بالفضل والكمال، سنة 1010هـ ، وتربى في مهد الشيخ حسام الدين، له **الطبقات الحسامية**؛ كتاب بسيط في سير المشايخ والأولياء، توفي في سنة 1073هـ. لينظر: الحسني، **نزهة الخواطر**، 5: 585.

[629] الشيخ عبد الله بن عبد الباقي النقشبندي الدهلوي، أحد العلماء المبرزين في المعارف الإلهية، ولد بمدينة دهلي في سنة 1010هـ، وتوفي والده في صغره فتربى في مهد الشيخ حسام الدين الدهلوي. وكان فاضلاً كبيراً صوفياً من أرباب الوجد والسماع، وكانت له اليد الطولى في المعارف الإلهية على مذهب الشيخ محيي الدين بن عربي، وكانت **الفصوص والفتوحات** منه على طرف اللسان، له تعليقات نفيسة عليهما، و **تعليقات على تفسير البيضاوي** وعلى بعض الكتب الدرسية، و **طريق الوصول إلى أصل الأصول**، توفي سنة 1074هـ. لينظر: الحسني، **نزهة الخواطر**، 5: 578.

[630] الشيخ العالم الكبير العارف عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي كان من كبار المشايخ النقشبندية، ولد ونشأ بدهلي، وكان له حظ وافر من الأويسية، وله مصنف لطيف في السلوك، توفي في سنة 1131 هـ. لينظر: الحسني، **نزهة الخواطر**، 6: 747.

والد الإمام ولي الله. تجدون ترجمته في **أنفاس العارفين**. من هذا الطريق سرى الاجتماعية المتقررة في مبدأ الألف الثاني إلى الإمام ولي الله. فانشرح صدره، و أكرمه الله.

فعندنا ليس لذلك السلسلة نظير في الإسلام بعد الألف. و العصبات القومية ازدادت بعد الألف في الأقوام كلها. ما كان اصلاح ذلك إلا بفلسفة و حكمة تشرع الشرع الإسلامي؛ القرآن والسنة و ما أجمع عليه المسلمون كل ذلك موجود في حكمة الإمام ولي الله، و لم يلتفت إليه لا قومه و لا الأقوام كلهم (فخرسا)، فخسرنا بذلك. فعندي نظرية؛ أن الأقوام لم تكن صالحة على حسب استعدادهم لتتلقى تلك العلوم. أما اليوم بتغلب أوربا على سياستهم و دعوة أوربا على اتباع الحكمة فقط تيقظ استعداد المسلمين لأخذ تلك العلوم: علوم الإمام ولي الله، لكنهم مع الأسف لا يلتفتون إليها إلا إذا ترجم بلسان فرانسوي أو انكليزي. أما الالتفات إلى الكتب العربية و الفارسية فبعيد. و الله أعلم بأسرار خلقه.

فمن تفضل الله، حصل لنا الاستعداد لقبول قوله "**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158)**" و أعداؤنا من أوربائيين يبثون التراب في أعين أهل الهند بدعوة ناشئة من بلاد المسلمين بأتباع فقيه أو متكلم شيخ الإسلام ابن تيمية مع كونه إماما في علوم السنة، رجل من أهل الكلام. فلو جمعنا كل كتبه لا نجد فيها إلا فتاوى فقيهة أو مناظرات مع أهل عصره. يدعون أهل الهند إلى أتباع شيخ الإسلام.

و الطبقة المتوسطة تتنزل إذا رأى السلطان أيد فقيها، و لا نعرف ما أراد الله بعباده لكنا نتيقن أن تصحيح الإيمان بقوله "أني رسول الله إليكم جميعا" في هذا العصر لا يتيسر إلا بإتباع حكمة الإمام ولي الله، و نظرائه من أي قوم، أو من أي عصر كانوا. أما غير ذلك فلا يكونون إلا مثل قوم موسى، ما قدروا أن يؤمنوا بأنه حكيم الله.

لطيفة: قام رفيقنا الشيخ أبو الكلام الدهلوي[631] لشرح الدعوة العمومية في القرآن العظيم، الذي آمن به بواسطة اتباعه للصدر الشهيد مولانا محمد إسماعيل، هو مع ذلك من أنصار الشيخ ابن تيمية و

[631] الشيخ الفاضل أبو الكلام أحمد بن خير الدين الكلكتوي، المشهور بأبي الكلام آزاد، وهو من أذكياء العصر. ولد في سنة 1888م، ونشأ بكلكته، واشتغل بالعلم من صباه، كان رجلا سياسيا و زعيما للمسلمين الذي اشتعل نار

أتباعه. أنا و هو كل واحد منا يعتقد أن شيخ الإسلام نفسه وصل إلى تلك المعرفة، يلوح ذلك من كلمات تأتي ضمنا، لكن نصوص كلامه ليس إلا الكلام و الفقه. فقام رجال من أهل الحديث الناصرين لشيخ الإسلام للرد على أبي الكلام. و من تلك الوجه أنا أصدق بكلام المحققين، لكن أتجرد من دعوة إلى طريقة إمام واحد، و إلا يحصل التخبط في الفهم. أنا معتقد بتصويب الشيخ الأكبر. و سألوني عن حل كلمات صدرت منه. فقلت: أنا لا أعرف الشيخ الأكبر و لا كتبه، إنما أعرف بالقدر الذي أتي به الإمام ولي الله من معارفه. فإن شاء أحد فليقرأ علينا تلك المعارف التي نقلها الإمام ولي الله، و تحققها. أما ما عدا ذلك فلا نعرفه. كذلك سألوني عن شيخ الإسلام ابن تيمية. قلت: إمامنا يصدق علومه، و يعترف بفضله، و إمامته، و يعدل الشطحيات التي صدرت منه. فأنا معتقد به من هذا الطريق، فلا يأتيني أحد بشطحياته، و يجعلنى معدلا عنها. و أرسلت إليهم إلى هؤلاء الأخوان كتاب الإمام ولي الله في مناقب الشيخ ابن تيمية بنصه. و بعد ذلك فاختلاطنا معهم اختلاط المودة. فلو أنا صرحت أني أوافق شيخ الإسلام لأقاموا على القيامة إخواننا في الهند، و لم أرسل إليهم كتاب الإمام ولي الله أظن أني لم أقدر أن أجلس تلك المدة في أم القرى. فإنهم لا يتركون أحدا يدعوا إلى خلاف طريقتهم من غير العرب. أما العرب فكل شئ مباح لهم، أما في السياسة فحصرنا الأفكار بالسياسة الهندية، خاصة ببرنامج صريح مصرح، هو الذي جعلهم مطمئين علينا في عدم التداخل في سياساتهم.

حكاية: قد كاتبنا بعض السياسين من غير المسلمين من أصحاب كانغرس إذ يعرفونني أني متقيد بسياسة كانغرس في برنامجنا المطبوع. فكتب جوابه. الآن جاء في الجريدة، هو أرسل قطعة من كتابي إلى الحكومة الهندية انكليزية. حاصلها أني كتب إليه؛ أني معتقد بفلسفة الشيخ ولي الله الدهلوي. و بعد محافظتي على تلك الفلسفة لا أقدر أني أنتسب إلى حزب سياسي، أي حزب كان سوى كانغرس، فأنا حظا لديني و حبا لوطني تقيدت بالكانغريس على الاستقلال. فالآن يلزم عليكم أن ترخصوا له أن يأتي إلى الهند. يحصل الإجازة أم لا؟ سيظهر فيما بعد إن شاء الله، لكني مسرور بأن الهند و بريطانيا عرفوني.

العصبية الإسلامية بين المسلمين، قد أشعل حركة الخلافة بخطاباته، في حين حياته قد أنشأ مجلات مثل **الهلال** و **البلاغ**. و هو صاحب تواليف، منها، **تذكرة** في حياته و مأثر أسلافه، و **غبار خاطر** و **كاروان خيال** جمع فيهما رسائله الأدبية، ومجلدان من ترجمة القرآن وتفسيره باسم **ترجمان القرآن** (باللغة الأردية)، وله غير ذلك من الرسائل والنشرات السياسية والاجتماعية. و توفي سنة 1958م. لينظر: الحسني، **نزهة الخواطر**، 8: 1169-1172.

أني معتقد لفلسفة الإمام ولي الله، ومحافظا عليها في جميع سياسات. وكان ذلك هو الغرض من ذلك الكتاب. فأحمد الله على الفوز. انتهى.

فتعرفون منا، نحن نؤمن بهذه الآية " **إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**" في مجتمع الأقوم، لا عند المسلمين فقط. و كل ذلك بانشراح صدورنا في حكمة الإمام ولي الله. و لله الموفق. تمت الآية 158.

بعد طائفة من قوم موسى نستمسك بذلك الحق؛ أن مراد موسى كان دعوة الناس كلهم، لكن قومه ما صلحوا لذلك، فتأخر ذلك إلى بعثة رجل من آل إبراهيم مثل موسى. إليه الإشارة في "**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)**" تلك الطائفة المهدية ما خلت الأرض منها، لكن هؤلاء اختلفوا و تركوا المنهاج. فكان لهم تطورات؛ مرة ترتفع و مرة تنحط، فلا يرتفعون إلا بالتمسك بالحق، و لا تنحط إلا بالإعراض. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (168)**"

بعد ذلك غلب الجهال، و ما بقي إلا الأفراد. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (169) وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (170)**" لكن الذين تمسكوا بالكتاب، و أقاموا العهد، هم يدخلون في هذه الاجتماعية الصالحة بالعزة و الإكرام. فترون عبد الله بن سلام[632] أسلم، و كيف يعظمه المسلمون. و أمثال ذلك

---

[632] عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف الإسرائيلي، حليف بني عوف، كان اسمه: الحصين، فسماه النبي –صلى الله عليه وسلم– عبد الله، وشهد له بالجنة. و روى عنه: ابنه يوسف.، وأبو هريرة، وأنى بن مالك، وخرشة بن الحر، وزرارة بن أوفى، وأبو بردة، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو سعيد المقبري، وجماعة. وكان من علماء الصحابة، اتفقوا على أنه مات سنة 43هـ. لينظر: الذهبي، شمس الدين، **تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، باب العين، (الفاروق الحديثة للطباعة و النشر، ط: الأولى 2004م) 5: 172.

كثيرة في كل زمان، لكن المقصرون عن أهل الإسلام اشتغلوا بالفقه و الكلام، و تركوا السياحة و تركوا التفكر في الكتاب. و المسلمون دائما كانوا يكرمون أهل الكتاب إذا أسلموا إلا رجلا ثبت خيانته. و كذلك رأينا في الهند أسلم من الهنود أقوام، هم المراد من المسلمين في الهند. ليس في تلك الكثرة أفذاذ من العرب، من الإيران، و من الطوران. و كانوا يعرفون بالمسلمين في وقف قيام السلطنة، فإن السلاطين دائما كانوا يكرمون رجالا انتقلوا إليهم من أفاضل المسلمين إلا بعض الأوقات؛ مثل زمن جلال الدين أكبر. و نذكر إنشاء الله الانقلابات السياسية في تاريخ الهند بكلمة إجمالية فيما بعد إنشاء الله. و كذلك رأينا في أناطول الأتراك، منهم قليل. و الكل من الذين أسلموا في قوله تعالى: "**وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (171)**" إشارة إلى تركهم هذا المعنى. تم الفصل.

الفصل السابع: 172–179

فيه تعميم ما اشتمل عليه التوراة على جميع بني آدم، و من خالف فهو مثل الكلب، و ادعى التمسك بالشريعة و الكتاب هو كاذب. الإشارة إلى الأول في قوله تعالى: "**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (174)**" يعني جعلنا هذا العلم جبلة لصالحي بني آدم. هذا هو المراد من قوله. منهم أهل الأعراف؛ هؤلاء إذا بلغتهم شريعة من نبي، و فهموا معناه لا يخالفونه أبدا. لكن كلاب الذين يتركون الحكمة، و يدعون الناس إلى قانون مفترى من عندهم، هؤلاء لا يوصلون إلى عطشان أهل الحق من كتاب الله. و لا يتركونهم، يعملون بفكرهم. إليه الإشارة في "**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (177) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (178)**" مثل هؤلاء الناس موجودون في جميع الأمم. هؤلاء هم الذين ذكرهم الله في الكتب الإلهية أنهم كالأنعام. فأنبياء و القائمون مقامهم؛ كل أوقاتهم يشتغلون مع تلك

المبطلين. قلت: و للنجاة من أمثال هؤلاء نحتاج إلى السياسة، و نحتاج إلى حكومة قاهرة، لحزب الله يقيم كتاب الله كلها لا لمخترعات قومية. ذلك مردود إلى هؤلاء الكلاب. إليه الإشارة في قوله تعالى: "**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179)**". تم الفصل.

الفصل الثامن 180–183

عنوان تلك الحكومة القاهرة. "**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (180)**" و نضم معها قطعة من "**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (181)**" الحق هو هذا من دعا ربه بأسمائه الحسنى في لغته مدركة، تلك الأمة تقبل كل من كان هكذا، هذا هو الحق، و هم يقيمون بذلك العدل بين الأقوام. فالدعوة إلى غير كتاب الله لا تقبل من أحد كائنا من كان. و كل قوم عندهم كتاب الله، فيهم طائفة من المحققين ينفون عنه الانتحال و التحريف. هذا القدر الذي اتفق عليه أن هذا من الكتاب نأخذ به، و هو الحق لذلك القوم. فنأمرهم بدفع الظلم عن قومهم، بحكم كتابهم. ذلك إليه الإشارة "**وَبِهِ يَعْدِلُونَ**".

ثم بجنب هؤلاء على مقابل هؤلاء أمة ملحدة، تكذب الآيات. نجعلهم مغلوبين بالقوة القاهرة. إليه الإشارة أولا في " **وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ**..." و نضم إليه من " **وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (182)**" و معنى الاستدراج عندنا: سلب الحكومة من أيديهم درجة بعد درجة، كما سلبت منا في الهند الدرجة السلطانية الإمبراطورية، و بقي عندنا من الدرجة الثانية الحكومة القومية، شئ ما مثل حكومة كابل و حيدر آباد.

حكاية: تكلمنا مع سفير الروس في كابل بأمر الأمير و أنبه في مسالة أفغانية في الحدود، فإن الحكومة ما كانت صالحة لأن تتكلم في حق الأفاغن و بشاور و كوئتا. فقال نحن نقبل وكالتكم لأهل الهند. و قد ثبت عندنا أن ليس لأهل الهند وكيل إلا أنتم، أما كلكم في حق الأفغان، فهذا تجاوزكم من مقامكم. نحن نعاملهم بأنفسنا. قلت: لا تعرف ذهنيتنا، نخبرك عن حكاية تاريخية حتى تعرف أن ذلك موروث فينا. و ليس من الاختراعات ذلك العصر. فقال: طيب. قلت: أن السلطان جلال الدين كان دار سلطنته آكره، سموه فيما بعد بأكبر آباد، و فيه تاج محل عمارة نادرة من نوادر الدنيا، جاء سفير

الإيران إلى السلطان في آكره. فأمر السلطان أن يذهبوا إلى البلدة ليرى المحلات للأمراء و للحكومة. فدار في البلاد. كانت البلدة أكبر من البلدة الموجودة اليوم، بأضعاف ذلك، و لها تاريخ مستقل. هذا كان هو مدار اجتماع الأديان. فرجع السفير و قال: بلدة طيبة، لكن فيها نقص واحد. ليس فيها فصيل تحيط لها. فتبسم السلطان، و قال: إن لم نقدر على معارضة العدو في كابل و قندهار فما ينفعنا هذا الفصيل. فقلت له كأمره[633] و أنت تعرف إنا نحن نريد إنشاء الحكومة في الهند، و نغفل عن تلك المسألة العظيمة تكون تحت جدار بلادنا من الجبال لا تخضع لنا.

هذا لا يمكن أبدا فأنا أقابلكم الروسيين على حدود جيحون لا نهر السند. فهذا كأنكم سمعتموه من رجل هندي، و الذي لا يقدر أن يتملك البلاد أو من مسلم ما تربى في الاجتماع السياسي في الهند. تلك كلمة فارغة لا قيمة لها. الأفغان قوم من الهند و كابل و قندهار مراكز لنا، و نصطلح مع الإيران مع الأتراك. فاصطلاح لنا و أي حق لكم أن تكلمونا. أما تعرفون حالتي في الاقتصاديات، و يجتمع في بيتي سفير تركيا و الإيران بوداد و احترام أكثر مما يكون في دار الحكومة. قال طيب.

فالاستدراج هو الأخذ و السلب درجة و درجة يسلب منهم درجة، فإن لم يتنبهو سلب درجة أخرى. و هكذا نحن جئنا إلى كابل و كان وصية شيخنا ليس فيه تفصيل، و إنما هي معرفة رأى الأمير فلما اشتركنا مع الحكومة في بعض معاملاتنا السياسية ما أخشيناهم في شئ ما مع تبدل الأمراء في زماننا. فأرباب الحكومة كلم ينزهون سياستنا لاقتصار على سياسية بلادنا فقط، و عدم تداخلنا في أمورهم إلا في ما أدخلونا فيه. فلا يقتدر أحد من المسؤلين من أرباب الحكومة على انتقاد علينا. فذلك لأننا نعرف ذلك من بقايا حكومتنا السالفة.

حكاية: جاء المرحوم جمال باشا للاشتراك بالهنديين. فقلت: أنا الواسطة. باشا سمع منا أفكارنا في الاختلاطات، و كان معه رفيقنا مولانا بركة الله المرحوم. و كان من أتباع تركيا. باشا تكلم عند بعض أخواننا أن عبيد الله يرجح الأفغان، كأنه استثقل تلك الكلمات منا، فذكر لنا، فقلنا له الأمان، تعرفون هذا من كمال سياسة الدولتين. أفتظنون أننا نترك كابل و قندهار التي هي من بقايا دولتنا، و فيها شئ من الاستقلال. و ذكر ذلك الأخ لباشا أنه يقول كذا و كذا. قال الآن عرفنا علو سياسة عبيد الله في

[633] لم أفهم مراده بهذه الكلمة.

الهند. ثم جاء فخرى باشا سفيرا لتركيا، فاشتكى منا مثل جمال باشا. و قال لي شفاها أنتم تقولون أفغان أفغان و لأفغان إلى الآن قبائل، ما اجتمعن على معنى الملية أيضا. فليس لها اليوم قيمة في السياسيات الحاضرة. قلت له فكركم صحيح، إذا نظرتم إلى الأفغان فقط. أما إذا كان الهند يجتمع مع هذه القبائل فما يكون قيمتهم؟ فقال الهند بويوك.[634]

تعرف منا أنا إلى اليوم نسنن أنفسنا تمام النسيان و بعد يوفقنا للرد على كل هؤلاء الكلاب و بعد ذلك في "**وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (183)**" هذه بشارة بقيام حكومة قاهرة تتنصر أهل الحق. تم الفصل.

الفصل التاسع: 184–203

البحث في أن هذا النبي هل يقدر على إقامة هذا الأمر الجليل؟ "**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (184)**" و قد ذكرنا نفي الجنون من النبي في سورة نون من أوائل ما نزل. قوله: "**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (185)**" عندي على حسب نظريتي إشارة إلى تفسح الدولتين، لا يقدر إحدهما أيتهما فرضت على إقامة الحق، و يتركون المنازعة بينهما. إليه الإشارة في "**وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ**". في "**مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (186)**" الناس لا ينظرون إلى أساسات الحكومات، فلا يفهمون الحق. يعني أن النبي يعلم الأساس الذي يبطلون بالأعراض عنه. و بعد ذلك في قوله تعالى: "**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (187)**" يسألونك عن الساعة أى ساعة الانقلاب. قل علمها عند ربي. يتكون الحكم للنبي في تلك الحكومة المستقبلة ؟ جوابه لا. "**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)**".

---

[634] لم أفهم مراده بكلمة "بويوك".

ثم يأتي بعد ذلك قصة نفس واحدة و جعل منها زوجها و كيف أشركوا؟ "**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (190) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (191) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (192) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (193) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (194) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ (195)**" الفطرة الإنسانية من آدم إلى آخر أيامها لا تقدر على العصمة من الأغلاط. هؤلاء مجالتهم الحاضرة، لا يستحقون على التقدم و لكن من كان صالحا منهم، هم الذين يتولون الحكم، فالإشارة إلى الغلط الأول إلى –الآية– 195.

و الإشارة إلى تقدم أهل الصلاح في قوله "**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (196)**" أنا لا اعتمد إلا على ربي. و من سنته أنه يتولى الصالحين بعد الانقلاب الإلهية.

بعد ذلك إشارة في "**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (197) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (198)**" أنهم لا يفهمون المراد، و لا يستيقنون به، أو لا يقولون لله، و في العاقبة يقول لنفسه هؤلاء ذكرهم في "**وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا**..." إن تدعوهم خطاب للمؤمنين ثم على سبيل التدريج خوطب النبي. هكذا فسر أبو السعود فالآية 197 تتعلق بما قبله "**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي**...".

أمر النبي كيف هو يعامل معاملة مع هؤلاء، إليه الإشاة في "**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (199)**" هم يقولون أنه يدعوا لنفسه و لقومه، و لا يلتفت إليهم، من أمثال هؤلاء قد اشتغلوا بتفسير سيرة النبي، و الناس اعتمدوا عليهم لعدم تدبرهم في القرآن. ثم أمر النبي بالاستقامة على هذا في "**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (200) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (201) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا**

يُقْصِرُونَ (202)" لكنهم يصرون على أفكارهم. إليه الإشارة في "**وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (203)**" بينا الجواب النبي لهؤلاء الجهلة في آخر الآية "**قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ**..." تم الفصل.

الفصل العاشر 204–206

الجماعة الحاكمة تتبع القرآن مثل اتباع النبي القرآن. و يجتهدون في الاتصال بحظيرة القدس على الدوام. بالاتصال فيهم تيقظ الفطرة، و ينتفع منهم الذين لم يقدروا على أخذ القانون. في "**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (204)**". و في "**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (205)**" الجهر بالذكر يكون لإشاعة حكمة الحق في الاجتماع و الأسرار بالذكر في النفس يكون للاتصال بحظيرة القدس. و إليه الإشارة "**وَاذْكُرْ رَبَّكَ**..." فيه نفي الجهر لا الأمر بالتوسط كما فسر بعض الفقهاء. المتفكر لا يقدر أن يجهر بكلمة من سلسلة أفكاره. قوله "**بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**..." الإمام ولي الله فسر في التفهيمات كلمة التوجه في تباشير الصبح. ذكر أشياء ما جربها على نفسه. و المنتهى في النظر يكون حظيرة القدس.

آئمة الملآ الأعلى "**إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (206)**" فالإمام ولي الله اعتناء بتفسير الملأ الأعلى و شرح كل شئ منهم، و لم نجد مثله عند أحد. و الذي تفطنت أنا من صنيعه؛ أنه رجع إلى ما عند اليونان من الأشراقية و المشائية في مسألة العقول و نفوس الأفلاك ثم نفوس النجوم و ذلك مبسوط باللغة العربية، ثم رجع إلى ما عند المجوس من تعريفهم يزدان و أهرمن. و ذلك أيضا يوجد عندنا في الهند بكتاب رجل من المجوس الإيرانيين، اجتمع مع السلطان جلال الدين و كتابه الذي كتب بستان مذاهب، ثم راجع ما عليه أهل الهند مع البراهمة السمنية. و الكل موجود في اللغة. سعى جلال الدين و أخلاقه، فأخذ الأمر المشترك من تلك الأفكار كلها، و ترك ما كان خاصا لقوم دون قوم، ثم جعله تفسير الآيات من كتاب الله. فتفرد بشئ عند المسلمين. و الله ولي التوفيق و تأيد كل ما قرره بكشوف من آئمة العارفين. ثم شرح الله صدره حتى رأى كل شئ بنفسه فلا .... إلا ما رآه لكن تحته حكمة اجتماعية مستجمعة من اجتماعيات الأقوام. و ذلك فضل الله علينا و على الناس، و لكن أكثر الناس لا يشكرون. تمت بحمد الله سورة الأعراف.

سورة الأنفال

بسم الله الرحمان الرحيم

تعلم الدين. معناه: نشر برنامجه و دستور نظامه. و البحث عن أصوله حتى يوافق الفطرة الإنسانية و يفهم الناس أن في ذلك أمان لحياتهم و تكميل لها . و ذلك لا يمكن إلا بتكوين جماعة مستقلة في نظامها، فتصير بذلك حكومة الحكومات، أصولها أنها لا تقبل غير نفسها. فتعارض الحكومات و هذه الحكومات الجديدة مقابلتها و معارضتها لازمة. و في مبداء الفتوحات للحكومة الاجتماعية لا يكون الاعتماد إلا على العزم و على التنظيم. الجماعة فرد واحد و له عزم مصمم، فذلك التأيد بالعزم على الحق يستجلب توجه الملأ الأعلى إلى تأييد هذه الجماعة، فتنزل بركات لم تعهد في العادة. و يغلب الجماعة المستضعفة على القوى القاهرة ذات عدد و مدد. فوقعت مثل ذلك في واقعة بدر. و نتيجة تلك الواقعة و أثر تلك التجربة أن تنظيم تلك الجماعة يكون على نظام أقوى في استجلاب الرحمة من الله من الملأ الأعلى. فذكر تلك الواقعة و تعليم القانون لتكوين الجماعة المحاربة للأعداء المستجلبة لتوجه الملأ الأعلى هو المقصد في سورة الأنفال.

المسلمون في ابتداء اجتماعيتهم في مكة كانوا في أمورهم الداخلية مثل حكومة لا تتبع إلا حكم النبي، و كانت جماعة خاصة، لم تكن فيهم عوام. و لما انتقلت إلى المدينة خالطهم العوام، فاحتاجوا إلى تنظيم أو بتعبير آخر إلى تكميل النظام. و القواعد إنما تستنبط من الأمور الواقعه. فتلك الواقعة زمن بدر صارت سببا لتوجههم إلى الأصول. و سورة الأنفال هي تلك الأصول إلى تبتني عليها نظام الجماعة المحاربة. تلك التجربة قد تقررت في الاجتماعيات؛ أن قوما لا يكون لهم نظام قوي إذا غلب، و اغتنموا غنائم، ففي التقسيم يقع الاختلاف. و قد يكون العدو يرجع و يغلب عليهم. فقد صار عند قائد الجيش قاعدة إيقاع الاختلاف في صفوف الأعداء. يتركون لهم بعض الغنائم قصدا حتى يتوجهوا إلى الغنائم و يختلفوا و يتقاتلوا.

و في سورة الأنفال ابتداء بالتنبيه على هذه العلة. قوله: "**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1)**" كيف يقسمونها؟ "**قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**" الرسول في مثل هذه الأمور يكون خليفة الله كما نشرح نحن حكم الله بحكم

القرآن، و كذلك حكم الله يكون مشروحا بحكم الرسول في الإدارات والأقضية. فالقانون هو القرآن. و الذي ينفذ حكم الله هو الرسول، و لذلك يقال لهما ليقرآن. و النبي شعائر الله، قوله "**الْأَنْفَالُ لِلَّهِ**" معناه أنها للحكومة، و الحكم ينفذ بتنفيذ الرسول. فالأنفال ليس للغانمين حتى تصير ذريعة للاختلاف بين الغانمين. الانفال لمركز الحكومة الاجتماعية.

عامة المفسرين ثم عامة المسلمين لا يفهمون بتلك الآيات معناها، إنما يتلونها تلاوة باردة بلا فهم. و ذلك من فساد دماغهم من اعتقاد لفلسفة باطلة. إنهم مسلمون، كل شئ لا يقدر عليه الإنسان، أنه لله حقيقة. و إن كل شئ في الآخرة فلله حقيقته، هذا إيمانهم الصحيح. أما أن يكون كل اجتماعية تنشأ بقوة البشر إذا نسبت إلى الله فهو عندهم مثل المجاز: أنبت الربيع البقل، مثلا يعتقدون ذلك أنه حقيقة. و إن سموه مجازا. هذا ليس مطابقا لفهمهم. و كل ذلك ناش عن غفلة في إدراك مسألة التجلي، نسبة الغنائم الحاصلة بسعي أهل الإيمان إلى الله مجاز على ذهنيتهم، و لو أدركوا أن هناك تجليا لله يحكم فوق ذلك الاجتماع، و نسبوا الأنفال إليه لكان حقيقة إيمانية. و توافق المصلحة العقلية بتفويض ملكية الأنفال إلى الحكومة. فالحكومة تكون في هذه الصورة مظهر للتجلي. فعدم إدراكهم معنى الاجتماع و معنى التجلي بين لمن قرأ التفاسير إلا الحكماء، هم يدارون أهل الفقه، فلا يأتون بصراحة تغير فهم العامة من الغلط إلى الصواب. و الحاصل أن معنى قوله "**قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**" أن الأنفال للحكومة القرآنية التي أقامها الرسول هي تصرفها على حسب مصالح الوقت.

"**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**" فاتقوا الله، يعنى تجعلون قانون التقوى هو القرآن، لا تلتفتون إلى غيره. هذا القانون قد نفى عنكم أن تملكوا الأنفال، فلا تختلفوا في دعوى استحقاق الأنفال قليلا لو كثيرا. إليه الاشارة "**وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**" كلكم متساو في عدم الملك. فلا يقع نزاع بورث عدم الانتظام. و التنظيم الأول يكون قائما على حاله. إليه الاشارة "**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**" فلا يؤثر فكر استحقاق التملك في إبطال الانتظام. إليه الاشارة "**إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**" فالمستفاد من الآية الأولى هو الاحتفاظ بانتظام الجماعة. هذا جعلناه المقصد من هذه السورة من قوله تعالى "**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4)**" بيان نظام؛ المطلوب حفظه في المؤمنين. تم الفصل الأول.

الفصل الثاني: 5–14

بيان حكمة عدم تملك الغزاة. إن تلك الواقعة لم تقع بقرار من المؤمنين. و الفتح أيضا لم تكن باستعمال قوتهم و أسلحتهم فقط، بل هم كانوا في تجويز القرار و تحصيل الفتح مثل جارحه لحظيرة القدس. هم مؤمنون بالله، يتوكلون على الله في جميع أمورهم. فإذا أراد الله بواسطهم فعلا، و ظهر إرادته على إرادتهم مثل الذين يكون للعارفين في مقام الولاية الكبرى. و مثل الذين يسمون بالإبدال. تعمل إرادة الله بدل إرادتهم مثل ذلك كانت تلك الواقعة.

"كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (5) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (6)" الذي تحقق عندنا من غاية الحق فيما يتعلق تلك الواقعة، أن النبي قرر في نفسه ارادة القتال، و ذكر ذلك لخواص أصحابه في المدينة. أما المشورة العمومية لم تكن في المدينة. و كان الموانع و المصالح تمنع عن ذلك.

خرج النبي من بيته بطوع الخاطر بإرادة إحدى الطائفتين. عامة الناس فهمت القافلة، و خاصة الناس فهمت القوة المحاربة. و البحث في المدينة كان يضر لمداخلة المنافقين. فالمنافقون لا يخرجون، و لو لاغتنام القافلة. فأخرجهم النبي بتدبيره إلى خارج المدينة، ثم بحث و استشارهم، و هو في الهجوم على قوة الأعداء. ذلك الأمر لم يكن داخلا في نص البيعة في مكة. فلو بحثوا في تلك المسألة و هم في المدينة لانتشروا. ألهم نبيه أن الوضعية صالحة لإظهار غلبة الحق، لكن إذا أرادوا لجهوم على قوة الأعداء.

فإن قريشا التي خرجت من مكة لم نتوقع ذلك. فإذا هجموا عليهم يقع بينهم اندهاش، لكن جمع كلمتهم للهجوم كان مشكلا عظيما. و ظهر عند ذلك قوة التدبير في الأمور الحربية من النبي. قاموا و خرجوا من المدينة لإحدى الطائفتين من غير تعيين. و هذا باعتبار جماعة الأنصار. أما المهاجرون و على الخصوص الصديق كانوا يعلمون من ابتداء الأمر أن الخروج للجهاد، لا للقافلة. و تخلف المنافقون في المدينة، و تخلف كثير من مخلصي أهل الإيمان لعدم علمهم قصد النبي للجهاد. و لم يكن فيه من بأس. و بعد ما خرجوا أظهر النبي إردته و عزمه على المحاربة. و المهاجرون أيدوه، و لكن النبي ما اكتفى بتأييد المهاجرين حتى نبه الأنصار، و صرحوا بموافقهم عزم النبي. فهل يقال عند ذلك أن المؤمنين أرادو القتال و الجهاد. إليه الاشارة في قوله "**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ**..." دليل على أن الله قد ألهم نبيه؛ أن القتال سيقع،

"**وَإِنَّ فَرِيقًا... يَنْظُرُونَ**" ذلك إنما وقع بعد خروجه من المدينة، لا في المدينة. و أصر سيد أحمد خان بابي كلية عليكره على أن المشورة كانت في المدينة، و تبعه الشبلي في **سيرة النبي**. و نحن نخالفهم في هذا. في حديث كعب ابن مالك الذي قد تخلف في تبوك صراحة أن النبي لم يظهر إلا أنه يريد القافلة، و ما أوجب على أحد أن يخرج للقتال. فيقول كعب أني تخلفت في بدر أيضا و لم يعاقب الله أحدا فيه.[635]

يريد السيد أحمد و الشبلي أن يجيبوا من اعتراض (Tuner) في تاريخ سقوط روما. هو سمى أصحاب النبي المغيرين المقدسين. فبإسم التقديس يغيرون على أموال الناس، و اشتهر ذلك في عامة البلاد. و تأثر بذلك شبان المسلمين. هو يريد أن يثبت أن النبي لم يخرج لإغارة القافلة، إنما خرج للدفاع بعد قرار منه في بيته. فالروايات في السيرة؛ أن النبي خرج للقافلة لا نقبلها، فإن القرآن صرح "**وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ**". خروج النبي من بيته، و تبين لهم أن النبي سيقاتل كما يشير إليه قوله "**كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ**" و السيد أحمد خضع للنصراني في اعتراضه على الإسلام، و أحدث النشاط في الشبان. و قد تأثر بذلك عامة المؤرخين في بلادنا بعده، و لشبلي في عامة كتبه أنشد أركان ما أسسه السيد أحمد من الأفكار: عامة المسلمين نشأ في قلوبهم عدم الاعتماد على روايات الحديث، و نحن مبتلون بهذا. رأينا في التخلص من ذلك، الاعتماد على مؤطا مالك، و ترجيحه على جميع كتب الحديث الذي رجحه الإمام ولي الله. أولا نحن صرنا مجبورين على نرجحه على سائر كتب الأحاديث، و كنا قبل هذا نقلد الحافظ ابن حجر و أتباعه في ترجيح سائر الكتب على الموطا. فلما رأينا أن النكير على كتب السيرة قد اشتد من أهل عصرنا و رأينا أن الشبان يتأثرون فأخرنا جميع كتب الأحاديث التي تشتمل على السيرة و التفسير من موطا. و اكتفينا فيما نحتاج إليه في عملنا بالقرآن، من السنن على الموطا.

فزال و ضعف من شباننا إنكارهم علم الحديث، و إنما نوجه بعد ذلك إنكارهم على ما في المغازي و روايات التفسير. و لا بأس به عندنا، و للبحث و النظر فيه مجال. و في هذا البحث الخصوص

---

[635] " لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني تخلفت عن غزوة بدر، ولم يعاتب أحد تخلف عنها، إنما «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد»" و لينظر: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب قصة بدر. 5: 72. هناك خلاف بين أهل السير على خروج النبي للقتال أو هو كان يريد عير قريش. الشيخ شبلي النعماني قد كتب على الموضوع في كتابه السيرة النبوية. و استدل من الآية خلاف ما ثبت من حديث كعب مع نقل حديث أنس ما رواه مسلم لتأييد موقفه. و لينظر: النعماني، شبلي، **سيرة النبي** (لاهور، اداره اسلاميات) 1: 220-225.

خالفنا آراء أتباع السيد أحمد بوجهين. گينى و أتباعه فرضوا وضعية المؤمنين عند المشركين؛ الغارين من حكومة قومية قائمة في مكة. ليس لهم حق في ابتداء القتال، و لا يكون منهم إلا الإغارة، إذ ليس للحرب إعلان من جهة الحكومة. و عامة أهل التاريخ و التفاسير يستفاد من كلماتهم ما هو قريب من كلامه. و نحن نخالفهم في فرض الوضعية. كذلك بل عندنا أن الحكومة الاجتماعية قد كانت تحققت في مكة، و بدأ الحروب و أعلنوا ذلك، فليس للمسلمين حاجة إلى إعلان القتال بعد ذلك مستر گيني و أصحابه لم يكونوا يعرفون أصول الحكومة انقلابية، و الحكومات الاجتماعية انقلابية. فهل بعد ذلك يبقي حاجة إلى إعلان الحرب؟

هؤلاء الإمبراطوريون و الرأسماليون نلعنهم لعنا مؤكدا على أصول و كل فروعهم و على نظامهم. هم يأتون بحجج على الأنبياء، و مداراة السيد أحمد و أتباعه نحن لا نقبلها. فالحرب قائمة من مكة، و بعد إعلان الحرب كل مال و كل تجارة يمكن أي يقبض عليه الفريق المحارب، يكون غنيمة لا إغارة. هذا الذي نثبته من كلام الإمام ولي الله كما ذكرنا في سورة الرعد "**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا**...(**41**)" من **فتح الرحمن**، و كذلك من **فيوض الحرمين** في تنظيم نظام الدعاة. و كذا من عدم موافقة النبي للمشركين في نظام الحكومة في سورة إقرأ، نحتاج إليه حقيقة، و لدفع ذهنية أصحاب السيد أحمد من أذهان شباننا.

و ترون مسألتين: 1- مسألة اجتماعية سياسية أسسها الإمام ولي الله في التفسير ثم شرحها في سائر كتبه، نحتاج إليها في رفع اعتراض الكفار الأورباوي، الذين يجترؤن بالاستهزاء في حقائق التاريخ. من مسألة علمية تقديم المؤطا أثبته الإمام، نحتاج إليها، في صيانة أذهان شباننا عن إنكار الروايات الثابتة في السنن و تاريخ الإسلام. من أمثال تلك الاحتياجات العلمية اعتقدنا بإمامة الإمام ولي الله و إلا فلا مقام لنا في العلوم إلا التقليد لأوربا، أو من يقلد أوربا.

والوجه الثاني في الجواب عن رأي السيد أحمد؛ أننا لا ننكر التوراة، فإنها من فنون سياسة الحرب. و إذا حارب النبي لا يخرج عن قوانين الحرب. قد اشتهر في سير النبي أنه كان يوري في غزواته، نسلم من السيد أحمد أن الله ألهم لنبيه، و النبي ما خرج من بيته إلا و هو عازم مصمم على ذلك. فلما خرج استعمل التورية ليتخلف المنافقون. و لما كان في الطريق صرح بعزمه، و حاوله فريق من المؤمنين أنهم كانوا يريدون القافلة. و أنها لهم غنيمة باردة.

فعندنا انعقاد مجلس الاستشارة في المدينة كان مخالفا لما أراده النبي عليه السلام. فلما عزم و صمم رجع إلى بدر. و نحن نعذر كيني أيضا، فإن عامة المؤرخين رأينا ذهنيتهم مسمومة من سموم الرأسمالية الملعونة، هم يصورون الواقعات على حسب ذهنيتهم. فإن كان أحد غير مسلم أخطأ في فهم الواقعة فهو معذور. و لا تعذر أحدا من الرأسماليين الأمراطوريين إذا تكلموا على الأنبياء آئمة الانقلاب الحق. تمت البحث.

و قوله: "**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (8)**"

"**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ**..." هذا كان ظهر بالمدينة على وجه مبهم. "**وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ**..." هذا من تتمة المجادلة ظهرت خارج المدينة. يريد الله في –الآيتين– 7-8، هذا ما ظهر من النبي من عزمه على القتال. حسن الاستشارة خارج المدينة كان المسلمون خرجوا لا لقرار منهم مقرر، إنما خرجوا اتباعا للنبي فقط. فهل يستحقون بعد ذلك الأنفال؟

حكاية: شيخنا في الطريقة الحافظ محمد صديق السندهي، بل نقول شيخنا في الإسلام، أما شيخنا شيخ الهند فهو شيخنا في العلوم و السياسة. و شيخ شيخنا محمد صديق اسمه محمد حسن كان عادته أن يسافر إلى بلاد الحكومات الهندوية لإرشاد الكفار إلى الإسلام. فكان مرة في سيره سمع بعض أتباعه يقول، نرجع من هذا السفر بملء الخراج مالا، فرجع من ذلك الموضع إلى شيخه الشيخ محمد راشد السندهي، فأخبره بأن نيتنا ليست صالحة لمثل ذلك السفر. فإن في جماعتي ناس يقولون كذا. فقال له الشيخ أمضى على سفرك، فإن الاعتبار لنية الإمام فقط، لا لنيات الأتباع. فرجع و سافر و قام بالأمر. هكذا نقول من النبي الأمر كان متعينا على القتال.

ثم أخبر الله في تلك الآيات بعدها من توجه الرحمة الإلهية من حظيرة القدس إلى تأييد عزم النبي و أتباعه إليه الاشارة في قوله تعالى: "**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ**

شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (13) ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (14)". تم الفصل.

الفصل الثالث:19-15

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (15) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (16)"

في الأمر لأهل الأيمان، أنهم إذا أخذوا في الجهاد فلا يولون الأدبار. الظاهر أنهم لا يدخلون في ميادين الحرب إلا بعد المشورة و بعد القرار من أولى الأمر. فإذا دخلوا فلا يجب عليهم إلا الثبات و الاستمرار على العزم. هذا معنى قوله "**فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ**" أما الفتح فإن كان يكون بتأييد الله فقط ") **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**"[636] ليس في وسعهم إلا الثبات و الاستمرار على العزم. هذا الذي أخذناه من معنى فلا تولوهم الأدبار منصوص في -الآية- 16. فإن ظاهر قوله فلا تولوهم الأدبار غير مراد. فإن كان متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فإنه جائز. فإن كان المراد الثبات و الاستمرار على العزم هذا الذي قلنا أن الفتح إنما هو من الله، صرحه في قوله تعالى: "**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17) ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (18) إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (19)**" فالفتح جميعا أنما هو من الله. تم الفصل.

الفصل الرابع:26-20

هذا الثبات و الاستمرار على العزم طريق تحصيل إطاعة الله و رسوله. بعد الفهم أن في ذلك لنا حياة و إن كان في الظاهر موت، و في ترك ذلك موت لنا و إن كان في ظاهره حياة.

قوله: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (20)**" بعد ما سمعتم لا تولوهم، و من لم يسمع هو ليس بمأمور جبرا. "**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**

[636] البقرة: 286

(21) **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ** (22) **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ** (23)" الذين يسمعون كتاب الله و لا يعقلونه ما يريدون من التمادح بعد ما صرح الله فيهم "**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ**" ألا يستحيون من الرب من لغير أهل المؤمنين بتلاوة كتاب بدون فهم. "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ** (24)" يعني الدعاء للقتال و الجهاد، و إن كان ظاهره كأنه دعوة إلى الموت، لكنه في الحقيقة دعوة للحياة. حياة الإنسان لا تتكامل إلا بموته في سبيل نصرة الحق. هذا أمر اتفقت عليه الفطرة الإنسانية. "**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ**..." قلب الإنسان محل إرادته. فالإنسان يريد شيئا و الله يمنع عن ذلك الإرادة فكأنه حال بين المرء و قلبه. فإرادة أمر لا يريده الرسول لا يكون في قلب المؤمنين خيرا، فإنهم مستقنين أنهم يحصل لهم ما يريدون. فالله يحول بين المرء و قلبه. و الفرار من الموت بحب الحياة ربما لا ينفعه، و يفر و يموت. فالأحسن هو الاستجابة لما دعاكم.

قوله: "**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** (25)" الفتنة تكون عامة للمسلمين هي فتنة الخلافة و الإمارة و السلطنة، كلما تنازع الناس على تلك المناصب فالفساد الذي نشأ من مثل هذا التنازع يكون عامة. و لا يكون يختص بالمتنازعين. و معنى هذه لا تنازعوا على الرياسة، و التنازع في الرياسة إنما يحدث بترك العزم على قتال الأعداء. فمعنى "**وَاتَّقُوا فِتْنَةً**" هو ترك الجهاد في سبيل الله. من كان يريد القتال فالموت أدنى من شراك نعله. فلا يقع التنازع على الرياسة أبدا .كان رجل من كبار الصحابة الذين ابتلوا بفتنة قتل عثمان، كان يقول ما كنا نعرف معنى هذه الآية حتى وقعنا فيها.

تنبيه: قاعدة كلية للفطرة الإنسانية يمكن أن تكون داخلا تحت حكم قول الله "**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**".[637] كل جماعة اعتزمت عزما مؤكدا للقتال على جماعة الأعداء المخالفة، إذا سكنوا لحظة عن عزم القتال يتقاتلون فيما بينهم، لأن القتال صار عادة لهم. فإذا حبت تلك القوة من سيدها في سبيل قتال الأعداء التفت على نفسها. فقوة جزيرة العرب لما كانت متوجهة إلى قتال الروم و الفرس كان انتظامهم قائما. قوة الحجاز كانت قد انتظمت في عهد النبي، و قوة جزيرة العرب تم نظامها بعد قتال المرتدين زمن الصديق. ثم كل تلك القوة كانت متوجهة في آخر عهد الصديق إلى خمس أو ست من السنين قبل مقتل

[637] الأحزاب: 62

عثمان إلى قتال الروم و الفرس. فإلى آخر حد يمكن معها القتال و صلوا إليه. و السكوت بعد ذلك كان ضروريا. فوقع القتال الداخلي طبعا. وقد تقاصر أهل التاريخ عن بيان حكمة القتال الذي وقع بين المسلمين. إنما نسبوه إلى أسباب ضعيفة إلى دعايات من بعض اليهود و من بعض الفرس فقط. و غرضهم من ذلك بقاء الشرف للعرب على حاله، لا يعرفون ما فيه من حط لقدر الإسلام.

الإسلام الذي غلب قوته بأمر الله و تدبير نبيه و تدابير الراشدين التي لم تكن لها نظير في تاريخ الدنيا. بطل النظام، و النظام كله بدعاية رجل أو رجلين من الأعداء. و الدعايات الكاذبة لا يؤثر إلا في ناس مثل الأعراب، لا في الحكماء. و الذين فتحوا دولة، و نظموا قوانين أعلى منهم، فهل يجوز أن يتأثرا مثالهم من الدعايات الكاذبة. و الذي فهمناه أن قوة جزيرة العرب أدت ما كان يجب علينا من الوظائف و المساعي. فاتسعت حدود دار الإسلام. ينتهي قوة المجاهدين قبل وصولهم إلى آخر حدود من دار الإسلام. و الواجب في ذلك الوقت كان تبديل دار الخلافة. أما إقامة مراكز للجهاد تحت إمارة ملوك في الأقاليم المختلفة. و كان في ذلك اختلاف بين الخزبين: 1- حزب يجب أن يكون المركز في بلاد الروم. 2- حزب يجب أن يكون المركز في بلاد الفارس.

و كل ذلك للتنازع على الرياسة الذي هو نتيجة الواقعة من السعي في سبيل الله. و مثل تلك المهمات من النظريات لإجتماعية لا يمكن التثبت فيها إلا بعد تجارب و وقوع الأغلاط من أهل العمل. فلما جربوا مرة، و عرفوا خطأهم أرشدوا إلى الصواب. فقدروا على نظم سلطنة تحت نظام القرآن. و رعاية نظامه أكثر بالنسبة إلى رعاية اليهود، و نظام التوراة في خدمة داؤد و سليمان.

فأسباب الفتنة و الوقوع فيها كان من عدم تجربتهم في ذلك حتى كان الزبير يصرح، و يقول ما عرفنا معنى هذه الآية حتى وقعنا فيها. فبعد الوقوع عرفوا. و انتظمت حكومة بني أمية أولا في دمشق بتقدم حزب عثمان على حزب علي، ثم انتظمت خلافة العراق بتقدم حزب على على عثمان. فنظام تلك الحكومات ما قدروا عليها إلا بعد مكابرة الفتن و حصول التجارب. فهل يكون مثل هذه الأمور السياسية العظيمة بتأثير دعاية خارجية؟ نحن لا نقبل و لا نقول مثل ذلك. و استفدنا الأساسات لتلك الأفكار من **إزالة الخفاء** للإمام ولي الله، و إن كنا غيرنا صورة البيان من اقتضاء عصرنا. و كان الاعتبار في – الآية– 25 في نظريتنا أن حب الحياة يوجب الفتن إذا كان شخصيا.

قوله تعالى: "**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (26)**" إشارة إلى ما كانوا عليه، و هم في مكة. أساس الحكومة في مكة كان قائما، لكن الأعداء كان يستضعفون، "**فَآوَاكُمْ**..." إشارة إلى ما حصل لهم من الأمن في المدينة. كله لم يكن إلا ببركات إطاعة الله و رسوله و فهم كلامه و إلا فإن ترك مثل مكة لم يكن سهلا لأحد منهم. و لما رجعوا إلى قوي يثرب جعلها الله مدينة. تم الفصل.

الفصل الخامس: 27–40

المانع من التدبير في احكام الله إنما هو حب الأموال و الأولاد. و يكون ذلك الحب المستقر في القلب سببا للخيانة في أداء أمانة الإطاعة. و الاجتناب عن كل خيانة لازم ضروري. الأمانة هي أمانة الوظيفة العظيمة، هي أمانة القتال. و إنما نريد القتال لدفع الفتنة و رفعها، و إنشاء النظام و رفع التفرق في أمر الله. هذا القتال إذا جعلناه سببا لتحصيل الأموال فهل لا يكون مثل هذا خيانة؟ "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (27) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (28)**" متناسقة بآية 29. و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة. إذا جعلنا كذلك وضح الأمر: معنى القتال كان لأن يكون الدين كله لله، لا لتحصيل شئ من عرض الدنيا و الأموال. "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29)**" الفرقان عندنا هو نور الإحسان الذي به يريد التبصر في امتياز الحق و الباطل. فإن أطاعوا القرآن قانون التقوى و أدوا الأمانة على حقيقتها يحصل لهم نور، و اتصال بحظيرة القدس. فتلك المجاهدة تكفي في اصلاح النفس و اتصالها بحظيرة القدس.

قد ذكر بعض شيوخ الطريقة عن مشائخنا أن الصحابة كانوا يفوزون بمقامات الولاية بالجهاد في سبيل الله والشهادة، و لم يكن لهم احتياج إلى شئ من آداب الصوفية من الأذكار و المراقبات و غيرها. فالقتال في سبيل الله إنما أمر به، لأن تمكن على المسجد الحرام. كانوا قد غيروا كل ما يتعلق بذلك المسجد الحرام كما في قوله تعالى: "**وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (34) وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (35)**" ثم النبي يريد أن يقيم الدين في المسجد الحرام،

فيمكرون به "**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (30)**" و إن سمعوا القرآن يقولون " **وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (31)**" تلك الأعمال الباطلة هي التي توجب القتال لا تحصيل المال.

ثم كان هؤلاء الجهلة اغتروا و يدعون ربهم "**وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (32)**" و لا يأتيهم عذاب فيغترون، و هم لم يفهموا أصل السبب في تأخير العذاب. "**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33)**" و لما أنت خرجت من مكة، و هم من بعدك لم يتركوا إصرارهم على الكفر وجب العذاب و القتال. و هم في هذا القتال يغلبون ألبتة. فالمقصد هو تطهير المسجد الحرام. هذا في قوله تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (37)**".

و إن تركوا الكفر لا يقاتلون، إليه في "**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (38) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (39)**" هذا هو مقصد الكتاب فلا تخونوا في تلك الأمانة، و لا تجعلوها ذريعة لتحصيل الأموال. "**وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (40)**" إن ينصركم و يكون لكم فتوحات عظيمة كثيرة، و لكن هذا الأمر لا يعمل لذلك. تم الفصل.

نحن قدمنا و أخرنا بعض الآيات لسهل الفهم و البيان. و بعد فهم الإنسان المسألة يرى سوق الآيات مرتبة على اتساق. و لما تأخر الغرض بفاصلة طويلة قدمنا و أخرنا.

الفصل السادس: 41–44

"**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى**

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (**41**)" الله هو الذي قضى أمرا كان مفعولا و أوجد تدبيرات، و حصل القتال، و إلا لم يكن ممكنا. فكان هذا يوم الفرقان أراد الله أن يعلم المبطلون. إن الله إذا أراد نصرة الحق لا يقدرون على منعه.

خمسه يكون لله، و تقسيمه هكذا. و قد ذكرنا تفسيره و تفصيله في سورة الحشر. فاشتراك اليتامى و المساكين و ابن سبيل في قليل الغنائم و كثيرها يجعل ما حصل من الغنائم، إذ لا للحكومة باسم الأمة، لا للقاتلين فقط، و إنما فضل المقاتلون لأنهم متطوعون في القتال، يهيؤن المركز و العدات و الأسلحة، و ما يكفيهم و يكفي الجيش من الأغذية. و مثل هذا التفصيل ليس يرجع إلى شخصياتهم و إنما لكثرة الحاجات. فلو جعلنا جميع نفقات الجهاد على ذمة الحكومة لاستغرقت ثلاثة أخماس الغنائم، بل أزيد من ذلك. فكان تقسيم الغنائم للأمة بعد تقديم حاجات الجهاد. و لما كان أصل الأموال كلها لله، و هو المصرح في أول الآيات. فالحكومة إذا غيرت نظام المجاهدين و أدت جميع نفقات الجيش من بيتها، لا يكون للغانمين شئ، كله يكون للأمة و الحكومة. و لعل فقهاء زماننا يجوزون ذلك، و يعرف من ذلك كل خطئهم من القرآن، و عدم تدبرهم في مقاصدهم. بعد ذلك الآيات "**إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ** (**42**) **إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** (**43**) **وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ** (**44**)" كل ذلك لبيان تعريف الإلهي. تكميل هذه الغزوة يكون النتيجة أيضا تتفق على حكم الرب و لا يكون لأحد حق تملك فيه.

الفصل السابع: 45-59

مسألة القتال و حكمتها، و حكمة وقوعها في الإنسانية. هي غلبة التفكر المادي على البشر. رأينا الراسماليون يقاتلون، الإمبراطوريون يقاتلون. و أساس الأفكار كلها مادية. فإذا توغلوا فيها ينكرون الرب أيضا. ليس هذا من محدثات عصورنا، تاريخ البشر في كل العصور تاريخ الحروب.

هذا القتال الذي يأمر به القرآن و جاء به التوراة ليس مثل حروب الماديين. فالغنائم في حكم التوراة كانت تحرق، و في حكم القرون سلب عنهم التملك. فالتشابه بين القتالين في الصورة موجود قطعا، فلتميز أحدهما من الآخر. أمروا بذكر الله كثيرا. فالترفع عن المادية و قصدها و تفكرها قد ثبت بالتجربة أنه لا يمكن ذلك إلا بكثرة ذكر الله كثيرا. فالقرآن العظيم كما أنه يقيم العدل، و لا يجوز بوجه ما كذلك من الظلم. كذلك يأمر بكثرة ذكر الله بدون شرط. و قيد في عامة تعليماته حكمة إقامة العدل واضحة. أما حكمة كثرة ذكر لله فما توجه إليه إلا أهل النسك من الإنسانية. و كثرة الأمر و تكراره أنه من الأمور المهمة عند فطرة الإنسانية تماما، والذي أدى إليه فكري؛ أن الاجتماعية الإنسانية في مرافق حياتها الدنياوية تتلبس بالماديات على الضرورة دائما. و غلب التفكر المادي على الإنسان من لوازم الحاجات الاجتماعية و هذا التفكر هو الذي يبدل الاجتماعيات إلى الرأسماليات و الإمبراطوريات. و هذا التفكر أيضا إذا بلغ غاية غلوه يبدل الاجتماعيات بالدنيات. و قد حصل للإنسان بالتجارب يقين أنه لا نجاة من هذا التفكر إلا بذكر الله. و غلبة كثرة الذكر على فكر الإنسان صار ذلك من ضروريات الفطرة الإنسانية. هذا هو الذي غفل عنه كثير من الفقهاء و الحكماء.

قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (45)**" أمر بالقتال الذي يثبته أصحاب الفكر المادي و للنجاة منه أمر الله "**وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا**". ثم أو "**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (46)**" هذا القانون الذي تأخذون به بأمر الله هو أيضا يقوم مقام ذكر الله. "**وَلَا تَنَازَعُوا**..." فإطاعة الله هي المركز، و لا يكون فيه تنازع من أحد. الاختلاف في تفسير كتاب الله يكون على وجهين: 1- وجه لا يؤدي إلى تنازع. و ذلك الاختلاف مباح مثل اختلاف العرب و الإيران و التوران و الحبشة باللغات و كل شئ، و مثل الاختلاف بين مجتهدي المذاهب من المحققين. 2- كل اختلاف يفضي إلى تنازع فهو حرام. هذا يفضي إلى غلبة الأعداء على بلاد الإسلام، و يعبر عنها بالفشل.

من "**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (47) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (48)**" بيان أسباب التنازع و موجبات الفشل.

"**وَلَا تَكُونُوا... سَبِيلِ اللّهِ**" إذا كان أحد لا يقدم اتباع أمر الله في مرافق حياته يفضي ذلك إلى البطر و إلى الرياء، ثم يتنازعون، و لا يمكن فصل الخصومة ممكنا. و بعذا الفشل يفشل الأقوام كلهم.

و بعد ذلك ذكر مثال لذلك: يقوم شيطان، لا يقدر على هداية الطريق إلى آخر الأمر. فالقائد إذا أخذ في القتال، و ترك جيشه، و فر ينجو نفسه، هو الشيطان مثل هؤلاء الشيطان يقومون لتأييد الطرفين و ازدياد التنازع فيفرون في الطريق. هؤلاء قريش خرجوا و توافق معها شيطان، لما رأى غلبة أهل الإيمان فر. هذا كان جنيا تمثل، أو كان أحدا من شيوخ القبائل؛ كلاهما واحد.

من تلك الواقعة ينبغي أن يستفيد الإنسان، يعنى لا يقوم إلا مع رجل عرفه الطريق إلى النهاية، و تفطن أنه يعرف الطريق. يعني هو يبين برنامجه و يوضحه ثم يكون رفاقيته إلى نهاية الأمر؛ إما فتح و إما فشل، لايقدر أن يترك جماعة في الطريق في حال وقوع التنازع. ليس الإنسان أن يقوم و يعامل كل واحد في آخر الأمر. ظهر له أن هذا الأمر لم يكن جائزا له. "**إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ**" هذا سبب للتنازع و يجب الاجتناب.

الأمر بترك التنازع ليس معناه أن الإنسان يترك المنازعة و المخاصمة مع أهل النفاق و الكفر. هم يريدون أن يكون المسلمون لا يتنازعون معهم. إليه الإشارة في "**إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (49)**" هؤلاء الذين كفروا، لهم بعد الموت جهنم مثل آل فرعون، لهم في الدنيا حزي. هؤلاء المصالحة معهم ليست بمطلوبة هذا إلى 55 و يلتحقون مع الكفار من لا يحافظ على عهده، إذا جاءوا فقاتلوهم أيضا و يتم الفصل السابع على – الآيتين– 48-49.

الفصل الثامن: 50–59

في بيان أهل الكفر، و من التحق إليهم؛ لا عزة لهم، لا في الدنيا و لا في الآخرة. و من – الآيات– 60–75 من هذا الفصل هو تنظيم جماعة مركزية لرد كل منازعات الكفرة و أهل النفاق. من هذه الجماعة كل فرد يجب عليه الإعداد للمقاومة. "**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60)**" هذا واجب على كل أحد. لا يستثنى عن الحكم، لا

رجل و لا امرأة. فإن هذا الغرض لا يؤدي إلا الاجتماع "**وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ...**" جمع معدات الحرب و أسلحتها على حسب تغير الأزمان داخل. "**وَعَدُوَّكُمْ**" الظاهر هم قريش. "**وَآخَرِينَ**" هؤلاء هم الفرس و الروم. و"**اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**" كل قوم أقمتم القتال عليها، ليس المراد إفناءهم، إليه الاشارة "**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (61)**" إنما يمتنع الناس عن السلم أنهم يخافون خداع الأعداء. و الله آمن أهل الأيمان من ذلك.

"**وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63)**" التنازل إلى تلك الدرجة يوضح تمام المراد. و إذا رأينا أدنى حيلة على ترك القتال نترك. ذلك إنما يكون بعد استجماع القوة. و في جمع القوة شد الله نبيه "**هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ... وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ**" المؤمنون من المهاجرين و الأنصار انتسبوا إلى قبائل متضاربة، و بسعى أحد من الناس لم يكن يمكن التاليف "**وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**" لقلب الحكومة الأكاسرة و القياصرة. هذه الجماعة المهاجرون و الأنصار هي الجماعة المركزية. إليه الإشارة في "**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (64)**" بإذن الله و حكمته رأينا الناس عطفوا. كاف الخطاب تعجبا من هذا التفسير في الذي يريدونه في فإن حسبك الله.

الانقلاب يحتاج إلى دستور و برنامج و إلى جماعة مركزية. فقوله "**حَسْبُكَ اللَّهُ**" في عقيدتي و نظريتي حسبك الله معناه حسبك كتاب الله. "**وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**" في الجماعة المركزية المهاجرون و الأنصار الذين اشتركوا في بدر، هم السابقون الأولون، هم أساس للجماعة المركزية للاسلام. إليه الاشارة في "**وَمَنِ اتَّبَعَكَ**"

ثم قوله: "**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (65) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (66)**" تحت حكومة الجماعة المركزية. فالعزيمة أن يقاتل عشرون مقابل مائتين. بركة التنظيم الصحيح يظهر لتضاعف القوة إلى عشر أضعافها. و الرخصة في ذلك أن يثبت

واحد مقابل اثنين مع تبع السابقين يمكن أن لا يكونوا أمثالهم، لكن اتباع ذلك النظام لا يتخلف عن تضعيف القوة مثلين، و ليس فيه نسخ. و إنما هي عزيمة و رخصة يرائس الجماعة صديقون، فيكون درجتها أعلى و أقوى. ثم يرائس الجماعة أصحاب اليمين لا من السابقين، و يتبعون هم على حسب الإمكان، هذه هي الرخصة. قد يكون جماعة تحكم بخطاء و غلط، لكن لا يؤاخذون إذا كان اجتهادهم في اتباع كتاب الله. إليه الاشارة في قوله تعالى: "**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (67) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (68)**" كتاب الله سبق، اختلف في تفسيره، و عندي فيه مطالعة مخصوصة، فيه اشارة إلى سورة يوسف بأن إخوة النبي يأتون إلى النبي مثل إتيان إخوة يوسف إليه. هذا استنباط لطيف لهم يهتد إليه إلا الصديق أبوبكر.

أما الناموس الكلي فكان لا يفرق بين قريش و كسرى و قيصر اختلف في الاجتهاد، في اتباع كتاب الله أخطأوا، و كان لهم عفو. اتباع الحكم الظاهر أوجب، و إذا كان مثل ذلك من الاستنباط الخفي يجب إيضاحه حتى يطمئن القوم كله. أما الحكم بالاستنباط الخفي قبل اطمئنان القوم به فخطاء. لكن لما كان في سبيل أعمال كتاب الله عفي عنهم.

قوله تعالى: "**فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (69)**" إشارة إلى تلك البركة التي حصلت لهم من أموال الفداء، إنما حصلت لهم لاتباعهم أولى الأمر الجماعة المركزية.

كان بين الأسرى رجال يخفون إيمانهم إذهم بمكة، و كانوا يخدمون الإسلام بايصال أخبار قريش إلى المسلمين مثل العباس و غيره، كانوا كثيرين، لكن تصريح إسمهم غير مناسب لحكمة الاختفاء. و الحرب كانت قائمة فاخد عنهم أيضا فدية. و ما حكموا في ذلك بالاستنباط الخفي، بل كان النبي و أمثال الصديق كانوا يعرفون. فكفارة ذلك و للتبشير جاء الأمر "**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (70)** يعني ثبتم على إيمانكم، و نفع المؤمنين "**وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (71)**" بترك إظهار الأيمان و بترك الهجر.ة و بعد ذلك أن تركوا أخبار أهل الأيمان أيضا. هذا إليه الإشارة "**وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ**" و في هذا الحكم إشارة إلى ضرورة قيام جماعة مركزية، فإن بعض

الأسرار لا يمكن إفشاءها مثل ما كان من الأسرى كانوا يخيرون بالأخبار، و لعل تلك الحكمة كانت سببا لعفو خطاء العمل بالاستنباط الخفي، لأنهم حقنوا دماء قوم مومين مستخفين. فإذا تحقق ضرورة هذه الجماعة المركزية جاء نص على أوصافها. "**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** (72)" المهاجرون و الأنصار أولئك بعضهم أولياء بعض جماعة واحدة، و بعد ذلك يبقي جماعة مؤمنين آمنوا و سكنوا في ديارهم، فهؤلاء تبع للجماعة المركزية.

تجعلون بمقابلة ذلك الذين كفروا، أصلهم جماعة واحدة. "**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** (73)" هؤلاء هم الأصل، و هم الأساس لما كان تقدم. و أصلحوا ذات بينكم: ذكر جماعة ممثلة لذلك هؤلاء، فلذلك قررنا أن المقصود في تلك السورة هو تنظيم جماعة مركزية تقوم بالجهاد على الاستدامة. و إلى استدامتها إشارة في (57).

قوله تعالى: "**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** (74) **وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** (75)" كل الذين يتبعونكم، هذه الجماعة انفردت من الكفار، فهم يكون منهم أولو الأرحام و حقوقهم محفوظة، لم تنسخ شئ، و نحن لم نفهم معنى. قول أهل العلم أن هذه الآية ناسخة، فهذا أصل أساس مستقل، لا يمكن نسخه ناسخة لهذه الولاية التي كانت بين المهاجرين و الأنصار، و الاشتراك بين المهاجرين و الأنصار أصل مستقل لا ينسخ أبدا. و كذلك أولو الأرحام أصل مستقل لا ينسخ أبدا و إن كان في وقت قد قطع على خلافه شئ، هو وقتي، من المستثنات.

قد استنبطنا من ذلك الإخوة الإسلامية و الاتحاد الإسلامي لا تبطل صلة الأرحام أو القوميات. ذلك الفكر أمان شئ من جاهل، و أمان من سياسي، يريد ان ينغلب على الأقوام بإسم الإسلام. هو ليتأمن قوميته لكونه من قريس أو من العرب. ثم يدعوا الناس إلى إبطال القوميات بالإسلام، فأما يبطلون القوميات مطلقا عربا و قريشا و عجما. هذا لا يمكن لأنها فطرة فطر الله الناس عليها. إن كان في جماعة

محدودة إلى وقت محدود، ذلك لا يكون حجة. أما إبقاء قوم و إبطال أقوام هذا هو دخل، و تقرير للإسلام. هذه الجماعة المركزية تكون مركبة من المهاجرين و من الأنصار و من أتبعهم باحسان من جميع الأقوام.

سورة التوبة

هذه السورة إعلان الحرب للعموم، لكل من بلغه الدعوة القرآنية، ثم أصر على عدم مطاوعة له. فإن كان انشرح صدره فليسلم. و ألا فليسلم حكومة القرآن أعلى حكومة على وجه الأرض. و يتعاهدها لما يقتضيه الحال. فإن لم يفصل لا هذا و لا ذاك، فالإعلان من حكومة القرآن للحرب قائم بهذه السورة. أما العمل بالحرب فمبني على الحالات المناسبة. فكان هذه السورة قانون الإسلام الحربي و الخارجي السياسي. هذه السورة كأنها آخر ما أنزلت من السور أو من آخر ما أنزلت. و سورة الأنفال كانت مبدأ القانون الحربي للإسلام. ضمت هذه السورة مع الأنفال باجتهاد من جامع القرآن من الصحابة في مصحف واحد. و كان ذلك الجمع في مصحف واحد أولا في زمن الصديق، و ثانيا زمن عثمان. فالذين جمعوا زمن عثمان كان اجتهادهم أن السورتين سورة واحدة، ثم ترددوا في ذلك، لأن الإعلان كان من أول آيات البراءة فقط، فلم يكتبوا بسم الله –فاصلة السورة– جعلوها مثل سورة واحدة. هذا كان حكم أكثر الصحابة.

في ذلك العهد الحكومة كانت متبوعة، فإذا فوضت الأمر إلى جماعة مخصوصة كان ذلك التفويض تفويض إجماع من جميع الأمة. فكان كل ما فعلته تلك الجماعة الممتازة، و لم ينكر عليهم أحد من الأمة فالحكم صار بالإجماع. و بمثل تلك الصورة تقرر جمع القرآن في مصحف واحد، أي بالإجماع. أما كتابة كل سورة سورة على صحيفة صحيفة فكان بحضور النبي عليه الصلاة و السلام. و كانت تلك الصحف يحفظ في بيوت أمهات المؤمنين. و كانت محفوظة في صدور كثير من الصحابة. هذا ما استقر عليه فهمنا و عقيدتنا بما استفدنا من الروايات. و قد رأينا جماعة من أهل العلم هم يقولون بأن المصحف الواحد كان مكتوبا بأمر النبي، و يستبدلون لها بآيات على حسب فهمهم. و رأينا السبب في ذلك كثيرا. جوابهم للمستشرقين عن بعض شبهاتهم فرأيناهم خرجوا عن حد الاعتدال مرة. أولا: أنكروا صحف الكتب القديمة، و أثبتوا، و ادعوا فيها التحريف أزيد ما كان فيها. جعلوها كأن لم تكن صحيفة منها بقيت بغير تحريف على أصلها. و عقيدتنا في الصحف القديمة أنها مثل كتب الأحاديث عندنا على ما يراه الإمام ولي الله.

من المسلمين جماعات كثيرة تعتقد أن ما ثبت في كتب الأحاديث كثير منها قطعي، و تعتقد أن الحديث أيضا إلهام من الرب. كانت عندهم نماذج للكتب الإلهية. فانكار بعض أهل الإسلام لثبوت

الكتب المقدسة في الأديان السابقة مثل كتب الأحاديث عندنا غلو في رأينا لكن الذين مالوا إلى أمثال هذا لغلو يرد عليهم اعتراض من المستشرقين على ثبوت أسانيد كتاب الله، و احتاجوا في الإجابة عنها إلى أن جمع القرآن في مصحف واحد كان من النبي. و هذا اختراع من عندهم لحاجة لهم في الإجابة و هذا أساس الكلام الجديد في عصرنا بعد ما يئسوا من الكلام و من المباحث العلمية بمعارضة أرباب المذاهب. فمن تقدم على المائة التاسعة عشر من الميلاد و قاموا بتأييد كلام جديد، فالأمر الواحد الذي اضطروا إليه هو هذا، و إذا لم يروا من المتقدمين كثير الموافقة لهم، فاحتاجوا إلى دعوة التجديد. ثم الذي رأينا من صنيع الصحابة عرفنا من ذهنيتهم و عقائدهم أنهم يعرفون أن السورة الواحدة تكون فيها وحدة ما في المعاني و اتساق و انتظام بين الآيات إلا أن نجعلها سورة الأنفال و التوبة سورة واحدة لا وجه له. هذا هو الذي نص عليه، و نجعله من ضروريات فهم كتاب الله الانتظام والاتساق و التناسق في كل السورة. و سورة كون كل سورة كتابا أو جزءا كتاب مبني على هذا. أما التناسق، ترتيب السورة فأيضا مسلم، مقبول عندنا، لكن لا على تلك الدرجة. فالأول لازم على أنه أمر ذاتي لكتاب الله و اتفاقي كالأمر المستحسن المكمل.

"**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (1)**" من -الآيات- 1-5 متن الإعلان، و عشر آيات بعد ذلك شرح للمتن.

فالفصل الأول من -الآيات- 1-15 في إعلان الحرب. "**فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (2) وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (3) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (4)**" و المعاهدة إذا احتاجت إلى نظر ثان، فالإسلام جوز أربعة أشهر للتفكر و التدبر. في موادها النكاح كأن معاهدة بيتية، فإذا آل أحد من أمرته فأخر إلى مدة أربعة أشهر؛ إما يبغي على العهد الأول و إما يترك. هذا القيد يكفي للنظر في مصالح الاجتماع، و كذلك في المعاهدات الملكية جعل أربعة أشهر مسهلة النظر الثاني مع قبائل العرب لا مع الأفراد. مع الحكومات الخارجية، و كل جماعة دينية منتظمة مثل الكنيسة أيضا تعتبر مثل قبيلة أو حكومة. بهذا النظر يكون البراءة اعلان حرب للناس. و الذين ليس لهم عهد فمدة

التربص أربعة أشهر. و الذين لهم عهد فهم على عهدهم بهذه السورة، و السورة صارت الإعلان. فكان ذلك الإعلان يوم الحج الأكبر بعد فتح مكة. و الأشهر الحرم حرمتها باقية لا يبدأ القتال. أما الدفاع، و لاستمرار بقدر الضرورة ضروري جائز. من هذا وقع الاشتباه عند بعض الفقهاء أن حرمة الأشهر قد نسخت. فالإشارة إلى هذا في قوله تعالى: "**فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)**" هذا حكم المشركين. و يأتي حكم اهل الكتاب من بعد.

" **وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (6) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (7)**" يعذورن بالجهل، و القرآن العظيم، سعى المسلمون في تبليغه للعرب بكل قوة في مدة عشرين سنة. فالحكومة لا نكلف فوق ذلك. فصرنا مجبورين على أن نقول أن القرآن قد بلغ كل من تكلم بالعربية في جزيرة العرب، هذا حكم القانون. و مع ذلك فإن ادعى أحد أنه لم يبلغه القرآن. هذا حكمه " **فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ**" فإذا لم يسأل أحد من الحكومة بتبليغ القرآن فالقانون يحكم بأنه قد بلغ. وبعد ذلك إعلان الحرب عين الحكمة.

ثم بين الله الحكمة كيف يكون للعدو، "**كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (8) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (9) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (10)**" انسانية و لا قانونا و تركهم على نقل هذه الفوضوية لا يجوز هذا إلى –الآية– 15، "**فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (11) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (12) أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (13) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (14) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (15)**" تم الفصل.

الفصل الثاني :16–28

في بيان وجوب القتال على المؤمنين مع الذين أعلنوا لهم الحرب. في قوله تعالى: "**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (16)**" التعليم للقرآن حصل لأهل الإيمان و كان الغرض منه إقامة نظام القرآن في الحكم. بالحكم هذا هو العمل بالقرآن. فلا يتركم أن لا تعملوا بالقرآن، و تحسبون أنفسكم من أهل القرآن. إليه الاشارة في قوله تعالى: "**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (17) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (18)**" أولا يبين الله أن أهل الشرك لا يعمرون مساجد الله. هذا حكم القرآن، لكن لا تجعلوا عمارة المسجد الحرام هي غاية تعليم القرآن.

في قوله تعالى: "**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19) الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (20) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (21) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (22)**" القرآن العظيم يدعو المسلمين إلى الجنة، و ذلك للمجاهدين.ثم في "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (23)**" لا يقبل في ذلك عذر قبائلكم و أموالكم.

و المساكن لا تكون مانعة من الجهاد إليه الإشارة في "**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)**" المؤمنون بايعوا عند إيمانهم بأنهم يطيعون الله و رسوله من غير شرط و قيد، ففي الزمن الدول طولبوا بتعلم القرآن و عمارة المساجد و النظم فيها و أداء الزكاة، و كان هذا كافيا، و لم يكن معناه أنه لا يطلب منهم شئ آخر زيادة على ما طلب، لأن مقصد القرآن ليس هو تعليم الدين فقط بل مقصده اقامة حكومة على درجة الخلافة. والدولة لا تعارضها حكومة أعلى منها، فلإتمام هذا المقصد يطالب المؤمنون من استطاع منهم بالجهاد، و لا يقبل في ذلك عذر. و الخدمة العسكرية فرض على كل أحد من المؤمنين، و

من خالف فهو فاسق، قد خرج عن إطاعة القانون، هذا معنى قوله: **"وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ"** يرجح مصالحه على أمر الله.

تنبيه: قد اقتدى السلاطين من المسلمين بالكثرة من السلاطين باتخاذهم عسكرا مخصوصا يكون تحت أمرهم فقط، لا يطيعون إلا حكمه، و منعوا عامة المسلمين عن الخدمة العسكرية لإقامة حكم القرآن. هذا العمل مردود على وجوههم، لا يجوز لأحد إطاعتهم في ذلك بل يفرض على المسلمين الخدمة العسكرية مثل الصلوة. فمن منعهم من ذلك من السلاطين و الأمراء و العلماء فكلهم فاسقون، ثم بأصرارهم على هذا الفسق ينتهى أمرهم إما إلى الكفر و إما إلى النفاق. و الذين ليس لهم استطاعة هم دائما يستثنون من أحكام الله، هذا الأمر راجع إلى من استطاع من المؤمنين و المؤمنات على السواء.

عذر القلة: قلة أهل الإيمان و كثرة الأعداء من أهل الكفر لا يكون مسموعا و لا يقبل، إليه الإشارة في **"لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (26) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (27)"** فإن الكثرة إذا لم تنفع فالقلة كيف تكون مانعا؟

تنبيه: قد تحقق عند مطالعتي في السياسيات العصرية على قدر الإمكان أن الحكم متعلقة لجماعة منظمة على أصول صحيحة عند تلك الجماعة هي لا تشك في صحتها، و الانتظام عندها كامل قوي لا يرون حياة بدون اجتماع، و من قدموا أميرا على الجماعة يطيعونه سرا و علانية فلا يأتمر عليه أمرا إلا بتقديم الجماعة إياه عليها. فإذا تمكن مثل تلك الجماعة في قطعة من الأرض، و حصل لها حق استعمال حاصلات تلك الأرض فلا يغلب أحد على تلك الجماعة إنشاء الله. أما كون الجماعة قليلة أو كثيرة فلا شأن له و لا أهمية و لا قيمة.

الفصل الثالث: 28–33

القتال يمنع الناس من تحصيل مرافق الحياة من الخارج، فهل يكون عذرا في ترك الجهاد؟ الجواب لا؟ إليه الاشارة **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (28)"**.

مسألة: الأقوام يدعون الديانة مثل اليهود و النصارى أو يدعون الحكمة و الفلسفة مثل الصائبة فالقتال إنما يكون لإقامة النظام الصالح، و تلك الأقوام هم صالحون، هل يجوز القتال عليهم. الجواب نعم؟ لأنهم لم يقيموا دينهم و لا حكمتهم، فالدعوى إذا خلت لا يسمع. و أما الذين يقيمون المصالح حقيقة هم يشتركوننا في إقامة الصلاح، لا يخالفوننا إما يقاتلون أهل الفساد معنا و إما يطيعوننا و يمدوننا بأموال و آلات. أما يعتزلون، ثم يخالفون فلا يمكن هذا من أحد يريد إقامة الأمر الحق، إليه الإشارة في "**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (29) وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31) يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33)**" هذه الآيات الخمس هي الفصل الثالث. وقد تقدم تفسير الآية في سورة الصف.

الفصل الرابع 34–72

بيان الفسق بترك الجهاد يفضي إلى الكفر أو إلى النفاق، بيان هذا فصلناه في فصلين:

الفصل الأول: الكفر فيه أزيد، والثاني: النفاق فيه أبين. و خلاصة فصل الرابع بيان من أفضى إلى الكفر بسبب ترك الجهاد.

مسألة: الأحبار و الرهبان و الرأسماليون ليسوا لهم غرض سوى حرمتهم و يفسدون في الناس و يمنعون عن الإصلاح. هذا صدهم عن السبيل؛ سبيل الله يفضى إلى الكفر، إليه الاشارة في "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (35)**"

مسألة: جماعة من أهل التقنين، و هذا جزء من الاجتماع الازم، فإن الحوادث لا تنتهي، فكل اجتماع يتبع قانونا يحتاج في تشريعه إلى جماعة أهل التقنين، و نحن على اصطلاح الفقهاء نسميهم بالمجتهدين. هؤلاء إذا اجتهدوا أو وضعوا قانونا شارحا مؤدي العبارتين واحد، فإن كان المقصد منه منع القوم عن الجهاد في سبيل الله فهو كفر، إليه الإشارة في "**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (36)**" تحريم الأشهر الحرم من أساس الملة الحنيفية، ثلاث متوالية للاجتماع في حجج البيت، و واحد ذو منفرد لأفراد في حج البيت، فالعمرة هي الحج لكن إذا اجتمعوا في زمن مقرر ثم خرجوا من الحرم و اجتموا هناك و أرادوا اعتمار البيت هذا هو الحج. فإذا كان تعميم هذا الدين طريق الحج فتحريم الأشهر الحرم (الحج) يكون من أساس الدين. فمن زعم من أهل الفقه أنها نسحت فقد خطأ، حرمتها باقية على حالها و حالة العذر مستثناة.

قوله: "**وَقَاتِلُوا**..." إشارة إلى استثناء، إذا كان أهل الشرك تواصلوا في القتال فما تركوا أشهر الحرم، نحن نقاتلهم، وحرمة الأشهر الحرم لا تمنع الجهاد، إنما تمنع الظلم، فإن التعود بعادة ترك الظلم لا يمكن أن يقدر عليها الإنسان أول مرة، فإذا التزم ترك الظلم في الأشهر الحرم في كل سنة يعود على ترك الظلم، و يكون عادلا، هذا هو المراد من تحريم الأشهر الحرم. أما القتال لإقامة العدل و رفع الظلم فلا يعارض مسألة تحريم الأشهر الحرم بل يؤكده، إنما يعارض مسألة الأمن، فإذا اضطررنا إليه بهجوم المخالفين أو استمرارهم على الهجوم فذلك لازم ضروري جائز، أما التقنين لرفع القتال فكفر.

مسألة: عذر قلة الأسباب الميسرة للقتال لا يسمع، إليه الإشارة في "**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41)**" فإن الخدمة بالأيدي بلا أسلحة أيضا يحتاج إليها عند الجهاد، أحد يحمل الثقال، و أحد من الجيش أو يأتي لركوبه من الإبل و الفرس أو يخدمه في إصلاح طعامه، أو يكون قاصدا لإيصال الأخبار إلى الجماعة، ومثل تلك من الأعمال كثيرة. فالاعتذار لايقدم الصلاح، و لأسباب لا يقبل، و إنما ذلك العذر يكون احتيالا في التخلف لأهل النفاق الذين لا يريدون قيام حكومة القرآن، إليه الأشارة في "**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (42)**"

والاستئذان لأعداء العدة أيضا يكون احتيالا، "**إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (45)**" بيان أحوال هؤلاء إلى الآية 48. و لما كان الأمر كذلك أمر الله المؤمنين الصادقين إذا قيل لهم انفروا في سبيل الله يقومون على الفور بما قدروا عليه و لا يؤخرونه لجمع الأثقال، فإن ذلك قد يكون ذريعة في الاحتيال للقعود، إليه الاشارة في "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38)**" و لإشارة إلى وجوب ذلك على المحسنين قليل لهم في "**إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39)**".

ثم قد يكون الوجوب مع عدم جمع الأسباب التي يسميها أهل الفقه القدرة الميسرة، لأن الأمر قد تقرر وقوعه في قدر الله، و نزل علم ذلك إلى النبي، و من وصله ذلك الأمر فليقم لتأييده على أي حالة كان عليها، فإن الأمر لا يتوقف على الأسباب المادية الأرضية بل القضاء جرى به بالأسباب السماوية. إذا كان تقصير في الأسباب الأرضية فأمر الجهاد بعد قيام النبي في حياته مثل ذلك إليه الإشارة في "**إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40)**".

بعد ذكر هذا جاء أمر الله "**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (41)**" فمن كان مؤمنا محسنا هو يسعى دائما بما استطاع لجمع عدة الجهاد، فإذا قيل له انفروا في سبيل الله لا يتأخر. و من ليس كذلك أى ليس محسنا بل فيه مزج النفاق أو كفرهم إذا أمروا بالخروج شرعوا في أعداء العدة، إليه الاشارة في "**وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (46) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (47) لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (48)**".

مسألة: عذر فساد الأخلاق بالذهاب إلى دار الكفر و الاختلاط بأهل الكفرة لا يقبل في ترك الجهاد إلى-الآية-57.

في "**وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (49)**" و أي فساد في الدنيا أكبر من ترك الجهاد، فإن فضيلة في الإنسانية هو معرفة الحق و بعدها السعي على وفق تلك المعرفة حتى ينفق فيه ماله و نفسه. فالأخلاق إنما تعلم لتحصيل تلك المكرمة، فإذا أعرض عنها فأي شئ يكون من الأخلاق، أي طريق إليها. الأخلاق كانت طريقا إلى المكرمة، و بعد الدعوة إلى الجهاد و إقامة الحق لا يكون شئ أعلى منها في الأخلاق، هؤلاء ليسوا من أهل الأخلاق و إنما يحتالون بذلك، و إنما نظرهم إلى المنافع، فإن حصل لكم مصيبة يقولون قد أخذنا أمرنا من قبل، و إذا حصلت لكم منافع يئسوهم، أنهم حرموا، إليه الإشارة في "**إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (50)**" هؤلاء المحسنون جماعتان مختلفتان في المقاصد، إليه الاشارة في "**قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (51) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (52)**" نحن نعلم بأمر الله، و أنتم تنظرون إلى المنافع و في 52 فدعوى إصلاح الأخلاق بطريقة هي متحالفة لما عليه النبي و صحبه من الجهاد كفر و نفاق، إليه الإشارة في "**قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (53) وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (54) فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (55) وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (56) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ (57)**"

تنبيه: نحن تحققنا أنه إذا كان عبد أحد برنامج لحياته مخالفا لبرنامج رجل آخر لا يتحدان في المآل، و إن أظهروا الاتفاق بألف وجوه. رأينا إخواننا كانوا معنا في كابل، فابتلينا بفرقتين: 1- فرقة من أهل الحديث، يعيشون في حدود الهند من بقايا الجماعة المجاهدة في جيش الأمير السيد، و نحن معهم في أمر الجهاد مثل شئ واحد، لكننا افترقنا في البرنامج ببعض الأشياء، فكانت تأتي علينا مصائب منهم و كانت تأتي عليهم مصائب منا، و كل ذلك لافتراقنا في بعض الأمور. 2- ثم ابتلينا برجال منا دخلوا في

الاشتراكيين الرؤسيين؛ هم نفعونا كثيرا و أضرونا كثيرا، أما النفع فنذكر، و أما الضرر فنسكت عن بيانه. فحصل لنا من تلك التجارب أن مع الاختلاف في البرنامج لا يأتي ائتلاف و اتفاق. هؤلاء الذين يدعون الأخلاق بمعارضة كتاب الله، هم ليسوا من المسلمين.

مسألة: الإنسان إذا لم يعط من بيت المال ما يحتاج هو إليه فهل يكون ذلك عذرا في تركه الجهاد؟ الجواب؛ لا، فإن بناء الجهاد على حصول مال خطأ في الأصل، إليه الاشارة في "**وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ (58) وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (59) إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (60)**".

مسألة: الأمير لا يسمع من هذا الرجل ما ينصح هو به للمسلمين، فهل يكون ذلك عذرا في تركه الجهاد؟ الجواب؛ لا، إليه الاشارة "**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (61)**".

تنبيه: رأينا شيخنا يصل إليه كل طالب العلم ذكيا كان أو غبيا، هو يسمع من كل أحد و يسامحه، و ليجد المحسنون في ذلك لذة، إما أن يكون هو يعمل بمشورة كل أحد، و هل هذا يمكن؟ هو عالم مسؤول، يعرف ما يعمل به له أصحاب من أقرانه، يستفيد منهم، هو يعمل على طريقة منذ أربعين سنة، محمود في سيرته، أفلا يفهم هو من الأمر إلا مثل ما يفهم هذا التلميذ؟ رأينا بعض الطلبة إذا أشاروا على شيخنا بشئ و هو لم يعمل وفق أشارته ينكرون عليه، يسخطونه، نحن نفهم هذا الأمر من المسامحة من كبار الناس، و من السماع من كل أحد ليس معنى ذلك أنهم يتعبون من كل أحد. فالمحسنون يستشيرون أنهم جالسوا النبي و تكلموا معه و سمع منهم مثل ما رأينا من محسن الطلبة مع شيخنا، و المنافقون يؤذونه لأنه لا يعمل بما يشيرون، إليه الإشارة في "**الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ**..." هذا بيان يمتد إلى الآية 66 "**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (62) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (63) يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (64) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ**

إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (66)"

تمت المسألة: فالمنافقون الذين احتالوا بحيل مختلفة لترك الجهاد كلهم جماعة واحدة، يختلفون في صور الأعمال و كبر الجرم و صغره لكن النوعية واحدة، إليه الإشارة في "**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (67) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ (68) كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (69) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (70)**" قوله في تلك الآيات "**وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ**..." فيه إشارة إلى أن نفاقهم وصل إلى درجة الكفر إذا كانوا في الجماعة يتظاهرون باحترام الإسلام، و إذا خلو يفرحون بالكفر، فلذلك أنذروا بمثل قوم نوح و عاد و ثمود. ثم المؤمنون المطاوعون في أمر الجهاد و إن كانوا مختلفين في الدرجات و الأعمال لكن النوعية واحدة. إلى ذلك المعنى إشارة في "**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (72)**" والمقصود أنه يجب عليهم أن لا يوافقوا أهل النفاق في نوعية الأعمال.

الفصل الخامس: 73–99

فيه بحث عن أهل النفاق و أهل الكفر، و الأغلب هو النفاق. والشروع في الفصل من قوله "**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (73)**" فجهاد الكفار و المنافقين بإخراجهم من جماعة المؤمنين، ثم إذا انضموا إلى الكفر يقاتلون، فإن القتال لا يكون على

الأشخاص، القتال يكون على الجمعيات و الحكومات. فكل رجل لا يطيع القرآن و نبيه في أمر الجهاد نخرجهم من جماعتنا، فإما يرجعون بعد الإصلاح إلينا و إما يلتحقون بجماعة الكفر فيقاتلون بعد ذلك. فما اشتبه على بعض الفقهاء أن المنافقين لايقاتلون فيجبوا بسكوت عليهم، و لا يفرقون عن المؤمنين، ليس على ما ينبغي إلى ذلك إشارة في هذه الآية. التغليظ في عدم تركهم على حالهم و حكم الأشخاص في الحالات المخصوصة يكون مستثنى، والمستثنيات لا يقاس عليها.

تنبيه: رأينا أهل السياسة في عصرنا يطهرون حزبهم من أهل الارتياب دائما، و إذا ثبت التحاقه بحزب يخالف، يقتلونهم، فثبتنا بذلك في فهم المسألة، و رأينا الذين يبحثون عن تلك المسائل و لا يجربون المعاملات لا يفهمونها حق الفهم، قوله: "**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** (**74**)" هذه عادة أهل النفاق، هم يعترفون بالكفر عند رفقائهم، فإذا أخذ عليهم يحلفون بالله.

مسألة: جماعة لها برنامج مستقل في تنظيم الحكومة لهم، ليس برنامجهم برنامج القرآن أو طريقا إلى ارتقاء إلى برنامج القرآن، هؤلاء منافقون إذا دخلوا في جماعة المسلمين، إليه الإشارة في "**وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ**..." ما نقموا إلا يعنى باتصالهم إلى المسلمين، جمعوا الأموال، فإذا لم يتركوا هذه السياسة الفاسدة يقتلون، لكن بعد إمام حتى يثبت عند الناس أنهم خالفوا أمر الله، و أرادوا أن ينظموا حكومة مستقلة.

مسألة: الإنسان يعاهد الله، فإن أتاه الله علما يعمل بذلك أو مالا فيعمل كذا مثل ما ينذرون الناس لله. فإذا أتاه الله ما يسأله وجب عليه وفاء نذره. تلك مسألة بينة عند كل قوم، فإذا خالف الإنسان ذلك يأتيه النفاق. فإن كان أحد نذر نذرا لله أنه إن أوتي كذا و كذا يجاهد مثلا فترك الجهاد بعد ماحصل له ما تمنى يصير منافقا، ثم هو يرضي نفسه بأن الجهاد ليس هو شيئا يلتفت إليه، فإن ذلك لا ينفعه، إذا رأى من يسعى في الجهاد رجلا مسكينا يأتي قليلا من الصدقات جهد همته، يسخر منه هذا المنافق بأن مثل هذا العمل الحقير لا يأتي منه الانقلاب في الحكومات، فلا فائدة فيه، و يقول في نفسه لذلك أنا تركت الجهاد و لم أف بنذري فإن لا ينفع هؤلاء لا يغفرلهم إلا إذا تابوا، إليه الإشارة في قوله تعالى: " **وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ** (**75**) **فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ**

فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (76) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (77) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (78) الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (79) اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (80)" و منهم من عاهد إلى الصالحين يعنى يجاهد، **بَخِلُوا بِهِ** عن الانفاق في الجهاد.

تنبيه: الانقلاب مبدأه من صغار الناس، قد جربت ذلك كثيرا. أولا في التاريخ قد علمنا أن كثيرا من الانقلاب ابتداءها كانت من رجل صغير لا يعبأ به؛ مثلا انقلاب فرنسا كان ابتداءه من قيس فروير و هكذا في كثير من انقلابات، في الهند بنجاب كان فيها رجل اسمه ران جية في جنوب الهند، كان رجل اسمه شيوه، هؤلاء من غير المسلمين، و في المسلمين حيدر على خان في ميسور ولده كان تيبو سلطان[638]، كان من أكابر سلاطين الهند، استشهد في حربه مع الإنكليز بخيانة من أمرائه الذين يحتقرون من لا يعد من الأشراف، هؤلاء إلى الآن ملعونون في لسان أهل الهند. هذا الرجل تيبو سلطان كان يريد تنظيم الهند في المسلمين مثل فرانسا، و نظم الأمور إلى درجة يندهش الإنسان. فقام الإمبراطوريون من أهل الإسلام و اتحدوا مع جمعية انكليز، و خافوا سلطانه، و خانوا، فاستشهد. ففكر الحرية في المسلمين على المنهج الجديد و بذرها من تيبو سلطان أنا قرأت تاريخه فحصل في نفسه استعداد لقبول اصلاحات الاشتراكين الانقلابين، و كان ذلك في سنة قام حيدر على 1175—هندي، و توفي الإمام ولي الله بعده بسنة و حيدر على توفي 1199 ه، هندي و استشهد إبنه تيبو في 1214 ه هندي، و محمد شاه من ملتان كان من عائلة فقيرة حقيرة، و أسس دولة افغانية قوية، هذا ما علمنا من التاريخ. ثم ما رأينا من شيخنا من عزمه و من عمله لكل ما يستطيعه، و من احتقار الناس فكره إلا طائفة من أقرانه من أتباع مولانا محمد قاسم و شيخنا مولانا رشيد أحمد، هم كانوا يوافقونه لكن لا يزيد عملهم على الاحترام و على ترك الاحتكار بشئ، ثم الذين يتبعونه من تلاميذه طائفة صغيرة، أكثرها قليل العلم و قليل ذات اليد، محتقرون في أعين الناس لكن رأيتهم أنهم ثبتوا على عزمهم. أنا أحكي لكم عن نفسي؛ أنا كنت أحترم أمر أستاذي

[638] السلطان تيبو سلطان، عاش بين 1750-1799م، حاكم مملكة ميسور الهندية الجنوبية خلال الفترة من 1782-1799. و هزم طيبو في الحرب البريطانية الميسورية الرابعة، و قتل حصار سري رانكا بتانا.دفاعا عن حصنه.

بالقلب لكن عقلي لم يكن يوافقني، فلما عزم على إرسالي إلى كابل لم أجد بدا من إطاعته إلا بأن أكون من المنافقين، فرضيت كل الأشياء، و طبعي لا يأمل بالفلاح بشئ لكن إطاعة أمره كانت مثل إيماني، فوفقني الله حتى خرجت من إطاعة أمره فقط، ولم يكن عندي إعانة من أحد، لا من المال و لا من المساعدة لكن الله يهدي الطريق، و كل ذلك رحمة من الله ببركة عزم شيخنا و إخلاصه في إطاعة ربه مع عدم موافقة جميع الأسباب.

فرأيتني[639] في كابل في المعنى مثل السلطان، و يزيد أمرنا كل يوم إلى الفلاح مع كل أغلاطنا الفاحشة حتى وصل الأقران أمان الله و حكومته قررت قرارا للهجوم على الهند بإشارتي فقط وحدي، و كتبوا للقائد الأول إني إذا أمرته شروع في الحرب هو لا يراجع الأمير ما قيمتي؟ إلا أني مأمور من شيخنا لإيفاء هذا العمل، و حكومة برطانية يندهش بعد ذلك، و قد وقعنا في أغلاط بعدم تجربتنا في مثل هذا الأمور الواقعات العظام إلا فما بقي في هزيمة البرطانيا إلا شهر واحد، ثم تراجعو في أمر الصلح إلى سنة، و خرج الأمير أمان الله سلطانا مستقلا على أفغانستان في داخلتها و خارجتها، هو السلطان الثاني بعد أحمد شاه، و حكم على بلاده بالاستقلال عشر سنين. كل ذلك نتيجة تلك الغزو، فإن لم يكن وابل فطل. أنا جربت هذا الأمر من ابتداء إلى انتهائه، هل يجوز أن يستهان سعي رجل له اخلاص؟ لذلك لم يتقبل الله أيضا حتى يتوبوا.

مسألة: القعود مخالفا لأمر الأمير بالجهاد بعد حصول الإذن منه، إذا تقاعد بالحيل يكون في الظاهر حياة مسرور لكن في الباطن جلوس مع القواعد و أهل الغدر هذا عيب عليهم، فإذا فرحوا بذلك علمنا أنه قد ذهب عنهم الفهم و الامتياز الإنساني، تلك المسألة بيانها في –الآيات– 81 إلى 96. أنواع من أمثال هؤلاء الرجال؛ حيل لهم مبسوطة في تلك الآيات، "**فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (81) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (82)**" هذا نوع واحد، لا يقدرون على تحمل المشاق لاعتيادهم على الارتفاقات الذيذة، و ترفعهم إلى الرفاهية البالغة.

---

[639] لم أفهم على مراده، لعل هذا اللفظ تكون بدون الياء، أي "فرأيت

و الإمام أسس في **حجة الله البالغة** أصلا هو تحريم الرفاهية البالغة، فإنها يفسد الإنسانية هذا في –الآية– 82، و منها إلى –الآية– 86 نتلوها.

قوله: "**فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ** (**83**)" فيه فقدان استعدادهم على تحمل المشاق. و قوله "**إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ**..." عامة المفسرين لم يقدروا على فهم تلك الجملة، والذي نفهمه بفضله هو هذا السبب الذي قعدتم به أولا، و عذرناكم به هو موجود بعينه الآن أيضا فكيف تخرجون؟ أما بأن تغيروا نوع حياتكم، و أما القرار الأول فاقعدوا مع الخالفين.

"**وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ** (**84**)" قد غلط الناس أنهم يتوجهون إلى الملوك و المترفهين، و يرجون منهم صلاحا لأهل الإسلام، تلك أساس لحكمة الاجتماعية يفعمها الإنسان بالتدبر في **حجة الله البالغة**.

"**وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ** (**85**) **وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ** (**86**)" هؤلاء أولو الطول، هم أهل الرفاهية البالغة، "**رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ** (**87**)".

ثم تلك الرفاهية البالغة تحدث في دماغ الإنسان حب النفاسة، هم بعد ذلك يحسبون أنفسهم أعلى من عامة الناس. هذا الأمر لا يسلم لهم، فإن في حب النفاسة و علو الأفكار رسول الله أعظم منهم بلا نهاية، هو يتحمل المشاق زيادة على الناس الذين يتحملون أضعف المشاق و حب النفاسة فيهم ليس بكمال من جهة الإنسانية، و إنما هو تخنث و انخداج في كمال الإنسانية إلى هذا المعنى على عقيدتي، إشارة في "**لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (**88**) **أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** (**89**)" هؤلاء يعملون عملا آخر، يجمعون حزبا من العامة التي توافقهم، فلا يقدر الناس على الانتقاد عليهم ، إليه الاشارة في نظري في "**وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (**90**)" و قعد الذين في بيوتهم، و قد أمرهم الله فيصيب

عذاب أليم. لما وصل البحث إلى تلك الدرجة تنسأ في قلوب المعذورين حقيقته، لعلهم أيضا يعاتبون تسكينا، تقلب هؤلاء جاء مثل الاستثناء.

الآتيان "**لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (91) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (92)**" و قد نص على ذلك أبوبكر الرازي في أحكام القرآن أن الجهاد لا يتثنى منه أحد و حصل نصيحة الله و رسوله هو جهاد الضعفاء، و قال أن بث الأخبار الحسنة النافقة و تشجيع أهل الإيمان على أمداد أهل الجهاد و رد دعايات الكفار، كل ذلك داخل في النصح، و ذلك واجب عليهم. هذا أيضا نوع من الجهاد. ثم قد علمنا في عصرنا هذه قوة الدعايات أشد من الأسلحة. فإذا كان معنى النصح هو رد دعايات الكفار فذلك من أقوى أنواع الجهاد. و لعل في قوله "**مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ**" بعد "**إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ**" إشارة إلى هذا، هذا من أعظم بركة علمية استفدتها من كتاب أبي بكر الرازي.

قال الإمام ولي الله في حجة الله البالغة في كتاب الجهاد "فلا يقبل من دون خمس عشرة سنة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك، ولا مخذلا وهو الذي يقعد الناس عن الغزو، ولا مرجفا وهو الذي يحدث بقوة الكفار، والأصل فيه قوله تعالى. {كره الله انبعائهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا}"[640] هذا العمل لتشجيع المؤمنين و رد المخذلين و المرجفين من الدعاية الإحسانية يجب على المعذورين، فكان المترفهون و المعذورون نوعان متباينان.

جملة معترضة: قد امتلأ قلبي حرة على بعض رجال من جماعتنا أنهم احتقروا أمر شيخنا، و أظهروا مخالفة في مجتمعاتهم، ثم صاروا يعملون دعايات للكفار، و يدعون الناس إلى معاونة الحكومة بالأموال، و يظنون أنهم معذورين، تحيرت في أمرهم "إنا لله و إنا إليه راجعون".

في "**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (93)**" فرق بينهم و بين ضعفاء المحسنين في "**يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ**

[640] لينظر: ولي الله، **حجة الله البالغة**، أبواب الجهاد، 2: 270.

تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (94)" في "**سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (95)**" لا يقبل الاعتذار، و يجب الإعراض أنهم رجس، هذا معنى قوله "واغلظ عليهم" التصريح بأن العذر لا يقبل منهم، و الإعراض منهم و هم يحسبون أنفسهم أنهم في الطبقة العالية، و تكون هذه الإهانة مثل الموت لهم " **يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (96)**".

مسألة: الأعراب جنس آخر خلاف أهل الرفاهية في الحضر، فيهم أيضا يكون رجال لا يفهمون مسألة الجهاد، و حقيقة طائفة من الأعراب تلحق بهؤلاء المترفهين ذكرهم في "**الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (97) وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (98)**" من الأعراب طائفة صالحة ذكرهم في " **وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (99)**" تم الفصل.

الفصل السادس: 100-112

أمر الجهاد يتم بجماعتين: 1: مركزية ذكرها في "**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100)**" تاما. والآخرون يطاوعون بالايتمار بأوامرهم، 2: ذكرهم في -الآيات- 111-112، و بين هاتين عشر آيات فيمن لا يأتمر بأوامر الجماعة المركزية، فالأجتناب من مثل أعمالهم فرض على أهل الإيمان. عدم الإيتمار يكون على وجهين: 1- طائفة يتساهلون في الائتمار. 2- طائفة آخرى يجمعون جمعية مركزية لمخالفتهم. فالاجتناب من جمعية مخالفة أول شئ يجب على المحسنين، و التساهل في الأوامر يوصلهم إلى ذلك. بعد ذكر الجماعة المركزية جاء ذكر المتساهلين الذين يعملهم، هذا يرجعون إلى جمعية مضادة، ثم جاء ذكر جمعية مخالفة بعد التنبيه في عشر آيات على هؤلاء جاء ذكر المحسنين في الآيتين، ثم شأن المقمين للجهاد في هذا الفصل .

الجماعة المركزية: "**وَالسَّابِقُونَ ... الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**" ثم ذكر المتساهلين إلى -الآية- 105 و هم أصناف: "**وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ (101)**" هؤلاء وصلوا في التساهل إلى الانتهاء، ليسوا من المعروفين. "**وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (102) خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105)**" هؤلاء متساهلون يعملون حينا و يتركون أحيانا. "**وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (106)**" هؤلاء المتساهلون أصناف ثلاثة.

بعد ذلك ذكر مرجعية مخالفة مضادة لجمعية مركزية للمؤمنين في "**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (107) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (108) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (110)**" من أول يوم ثبت من الحديث الصحيح أن جماعة سألوا النبي؛ أي مسجد هو؟ فقال النبي مسجد هذا هو مستقر السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار، فلم يكن ينبغي لنا بعد ما ثبت عندنا من بيان النبي أن نردد في ذلك، لكن قوله فيه رجال يحبون. قد ورد في تفسيره حديث أن المراد بالتطهر هو الاستنجاء بالماء بعد الأحجار،[641] و كان أهل القباء يعملون ذلك، مدحهم الله به.

[641] عن أبي هريرة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "نزلت هذه الآية في أهل قباء {فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا} [التوبة: 108] قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم هذه الآية" لينظر: أبو داؤد، **السنن**، كتاب الطهارة، باب في الاستنجاء بالماء، 1: 33.

و أوردت ذلك شبهة أن المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد قباء، و نحن نرد على هذا الفكر بالكلية، فالمسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم هو مسجد النبي فقط.

والجواب عن هذه الشبهة بثلاثة وجوه: 1- أن الحديث ليس مثل الأول في الثبوت و الصحة، فكيف يعارض الثابت الصحيح. 2- أن المراد من قوله يحبون أن يتطهر عن النفاق و الكفر، و من ترك الجهاد و الانصباع بصبغة الله فكيف يفسر ذلك بالاستنجاء بفعل لا يتصوره عرب. السابقون الأولون هم رجل منهم إنما يعدونه وضوء النساء، و يعدونه من عادات الأعاجم و من شاء فليراجع العقد الفريد ليرى فيها مضحكاتهم. 3- أن أهل القباء الذين التزموا هذا التطهر هم أيضا يصدق عليهم أنهم يصلون في مسجد النبي، فقوله: "**فِيهِ رِجَالٌ**" في مسجد، و هم أهل قباء يقيمون في قباء، و يصلون في مسجد النبي. و كثير منهم كانوا هكذا يتناوبون.

والمساجد الثلاثة المذكورة في القرآن؛ مسجد لإبراهيم و مسجد نبينا و المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم هو مجتمع السابقين من المهاجرين و الأنصار.

ثم ذكر المؤمنين الذين يأتمرون بأوامر الجمعية المركزية في "**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (112)**" السائحون فسره بعض أهل العلم بالصيام، هو غلط. و السياحة في العالم لكل أحد اجتماعي فرض، والجامعة العالمية صنف أهل السياحة فيها لازم ألزم، و قد قام بهذه الفريضة جماعة مجاهدين، و أهل الحديث و الصوفية، ثم أصحاب التجارات و جيوش القتال مشهور، و في الصوفية جماعة يعدون السياحة من العبادات المفروضة، فلا يشتغلون بعد الفرائض إلا

بالسياحة. و قد كان في زمان شيخ فريد الدين[642] خليفة الشيخ قطب الدين الاهوري[643]، و استاذ الشيخ نظام الدين[644] جماعة رجل منها من مصر و آخر منها في الصين و كان يعرفهما و كان يصل إليه سلاح هذا و سلاح ذلك و قطب الدين هو من آئمة الدين في الهند و هو الذي رآه والد الإمام عبد الرحيم و بشره بولد و قال سمه باسم ولى، ولد الإمام، نسي الوالد هذه الرؤيا، ثم لما تذكر سماه قطب الدين ولي الله أحمد. تم الفصل.

الفصل السابع: 113-116

كما أشار الفصل السابق أن المؤمنين يجب عليهم أن يتجنبوا من أهل النفاق و أهل التساهل، هذا فرض على الأنبياء أيضا، فهم مع جماعتهم السابقين في هذا الأمر الجهاد يقوم بالنبي و السابقين المحسنين؛ هم جماعة واحدة على درجاتهم، إليه الإشارة في "**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113)**" و ذكر أن إبراهيم استغفر لأبيه، و حل تلك الشبهة في "**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (114) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (115)** " بين أمر الجهاد على جميع تفاصيله، هذا الجهاد و هذه الجماعة ليس لأحد منهم حق الملوكية، إليه الإشارة في "**إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (116)**" تم الفصل.

---

[642] الشيخ الكبير مسعود بن سليمان، فريد الدين الجشتي الأجودهني الولي المشهور، ولد في سنة 569 ه، وسافر إلى الملتان في صباه واشتغل بالعلم، وكان من أكابر أولياء الله تعالى صاحب تصرفات عجيبة وجذب قوي، أخذ عنه خلق كثير منهم الشيخ نظام الدين محمد البدايوني والشيخ علاء الدين علي الصابر الكليري، وله تعليقات نفيسة على **عوارف المعارف**، مات في سنة 664هـ. لينظر: الحسني، **نزهة الخواطر**، 1: 127-128.

[643] شيخ الاسلام قطب الدين بختيار الأوشي الشيخ الإمام العارف الكبير الزاهد المجاهد قطب الدين بن كمال الدين، كان من كبار الأولياء، ولد بأوش في حدود ما وراء النهر، وكان من الأولياء السالكين المرتاضين يقوم الليل ويصوم النهار ويشتغل بالذكر والفكر على الدوام، و توفي سنة 633هـ. لينظر: الحسني، **نزهة الخواطر**، 1: 114-115.

[644] الشيخ الإمام نظام الدين محمد بن أحمد بن علي البخاري البدايوني أحد الأولياء المشهورين بأرض الهند، انتهت إليه الرياسة في دعاء الخلق إلى الله تعالى، والتسليك في طريق العبادة، والانقطاع عن الدنيا مع التضلع من العلوم الظاهرة والتبحر في الفضائل الفاخرة. ولد بمدينة بدايون في سنة 636هـ، مات رحمه الله تعالى في سنة 725هـ. لينظر: الحسني، **نزهة الخواطر**، 2: 193-196.

الفصل الثامن: 117–119

من يلتحق بالجماعة المركزية و لو بعد زمان يكون على منهاجهم، هو منهم، قد جاء في بعض الروايات: "إن مثل أمتي مثل المطر لا يدرى الخير في أوله أو آخره"[645] السابقون لهم فضل على جميع من يأتي بعدهم، لكن في فضل التمركز للجهاد و إقامة حكم كتاب الله كلهم سواء، أولهم عن آخرهم سواء. فالسابقون ذكروا بالإجمال كلهم في "**لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** (**117**)" هؤلاء السابقون المهاجرون و الأنصار الذين معه، و السابقون الأولون الذين كانوا مع النبي في بدر و استمروا إلى تبوك، فيهم من قريش العشرة المبشرة، و الذين التحقوا بهم بعد زمان كانوا على طريقهم، و زمانهم متأخر، الإشارة إليهم في "**وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** (**118**)" الاقتداء بمثل هؤلاء الذين يتوب عليهم الله لازم، تقدموا أو تأخروا، إليه الإشارة في "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** (**119**)" و مركز هذه الجماعة هو المدينة. تم الفصل.

الفصل التاسع: 120–122

مركز هذه الجماعة هو المدينة كما كان إبراهيم جعل المسجد الحرام قبلة للحنفية. فإبقاء الله على لسان نبيه مركزا للقانون العمومي للحنفية، و تاثيره في الاجتماعية العالمية، و جعل النبي مسجده في المدينة مركز القوة الإدارية، و صارت المدينة ملتحقة بالمركز الأول، فوجب على أهل المدينة تمركزهم، و لا يتخلفون عن رسول الله، إليه الإشارة في "**مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** (**120**) **وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (**121**)" ليس معنى هذا أن كل أهل المدينة يسافرون مع النبي في أسفاره، و إنما هو بالتناوب. و تقسيم الأعمال، إليه الإشارة في "**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ**

[645] لينظر: حنبل، أحمد، **المسند**، مسند أنس بن مالك، و قال المحقق شعيب الأرنوط: "حديث قوي بطرقه وشواهده" 19: 334.

كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (122)"
تم الفصل.

الفصل العاشر: 123–129

كما وجب على أهل المدينة حفظ المركز كذلك يجب على كل مملكة، و على كل قوم من أهل مملكته أن يحافظوا على مملكتهم، فرض الجهاد العمومي ينقسم هكذا؛ كل رجل يجب عليه أن يجاهد في قومه، و يحافظ على ملكه، و يجعله دار الإسلام، و محل حكم القرآن مثل أهل المدينة، إليه الاشارة في قوله: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (123)**".

حكايات: قد ذكرنا الشاب الذي كان معنا إبراهيم السندهي المتخصص في الاقتصاديات، لما جئت إلى كابل كان هو يميل إلى أن يذهب إلى استنبول، و كنت أحب أن يقيم هو معي، تباحثنا في ذلك كثيرا فلم يرتضى رأي، ثم لما أعلمته هذه الآية أن الفرض عليك هو القتال على الذين في بلادك فامتنع لله "**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**"، الذين يقيمون حكم كتاب الله، كتاب التقوى القرآن ،كانوا في أي زمان و في أي بلاد هذا هو التوسيع للجماعة المركزية إلى الأقطار و إلى أطراف وجه الأرض، هذا الذي يزيد إيمان القاري، فإن مثل هذا الأمر لا ينقطع كل قوم يكون قدره لآخر. و كل قوم يجاهد إلى آخر الدنيا إليه الاشارة "**وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (124)**" ثم مرة واحدة إذا وصلوا إلى آخر الأرض يأتي شبهة لعل الأمر ينقطع، لأن المنافقن أصحاب الأمراض؛ يتولدون في كل الأزمان، هم كلازم مع المؤمنين، فإصلاحهم يستمر، و الجهاد عليهم لا ينقطع. و جاء في الروايات: "أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة"[646] الأهواء الإشارة "**وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (125) أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (126)**" إشارة إلى تجدد هذا المرض فيهم، "**أَوَلَا يَرَوْنَ...**" يكونون في كل جماعة، إليه الإشارة في "**وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ**

[646] باختلاف اللفظ أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، و المعنى واحد، لينظر: **صحيح مسلم**، كتاب الأمارة، 3: 1524.

بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (127)" جماعة موجودة بين أهل الإيمان لا أفراد "**صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**..." هذا العمل يدوم إن شاء الله بعزم إمامنا، هو إمام أولى العزم من الرسل، هو بنفسه يريد أن يوصل هذا العلم إلى أقصى الأرض اعتمادا على الله فقط. و الله ينشئ في أمته و أتباعه جماعات يقيمون الأمر دائما، إليه الإشارة في قوله "**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (128)**" هم لا يتكلم بالفاز و معه يأت كل أمر به، يأمركم، أولا يقيسه على نفسه، و يأتي به " **عَزِيزٌ عَلَيْهِ**..." سوى برنامجا سهلا سمحا و عزمه ظاهر في "**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (129)**" فإن تولوا عن عزم إيصال هذا الأمر من أقصى الأرض إلى أقصاها فقل حسبي الله، أنا أعمل به و حدي. "**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**". الحمد لله و بنعمته تتم الصالحات و صلى الله على سيدنا أفضل الصلوات، ربنا توفنا مسلما و ألحقنا بالصالحين و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نتائج البحث

ألحمد لله الذي وفقني لإكمال هذه الرسالة بصورتها الموجودة و أرجو أن يقبل مني ما بذلت في إكماله من السعى و الجهد و يجعلها وسيلة لسعادتي في الدنيا و مغفرة في الآخرة.

بعد قضاء وقت طويل مع هذا الموضوع وصلت إلى هذه النتائج:

1- إن الشيخ عبيد الله السندي قد امتاز بذكاء حاد و شجاعة في إبداء الرأي، و صبر على الوقوف على موقفه.

2- إن هذا التفسير هو حصيلة الفكرة المبتكرة للشيخ السندي، فليس على طراز كتب التفسير العامة، وهذا الأمر يؤدي حينًا لآخر إلى الإشكال في فهم المخطوط في مواضيع شتى.

3- إن منهج الشيخ في التفسير منهج فريد في نوعه بحيث سلك المؤلف على المسالك غير متداولة لدى العلماء، ويحاول من خلال التفسير مدّ النظر في أحوال البشر في أدوارهم وأطوارهم ومناشئ اختلاف أحوالهم، من عز وذل ، و قوة وضعف ، وعلم وجهل ، وإيمان وكفر، ثم يخضع لحاجات العصر، و يريد هداية الخلق و اصلاح حالهم، والتشريع لهم، و إقامة حياة الجماعة البشرية على أساس القرآن.

4- إن المؤلف قد وضع لذلك أساس منهجه في تفسير الآيات واستنباط الأحكام منها على علم الاعتبار، و لهذا أحيانا لم يفهم القاري إذا لم يكن له مس بفكرة الشيخ السندي.

5- هو يفسر القرآن الكريم على أصول فلسفة الإمام شاه ولي الله الدهلوي، و يعد الشيخ نفسه من أكبر شراحه، و هذا من باب الحقيقة.

6- أن مسيرة المؤلف خلال التفسير أقرب إلى الترتيب النزولي، ولكن الباحث لم يجد شيئا دالا على اختياره بهذا الأسلوب.

7- هو يقسم السورة بالأجزاء، و يضع عليها العناوين ما يلائم بمنهج القرآن تدريجيا إلى التطور و الارتقاء في الاجتماعية العالمية.

8- يعارض الشيخ السندي الفكرة المعاصرة مثل الشيوعية و الرأسمالية، و الاشتراكية و غيرها بذكر نقائصها، و يبين الأصول في ضوء القرآن لنهضة الأمة الإسلامية.

9- أن الشيخ السندي يقسم الإنسانية بين الحنفاء (الأديان الإبراهمية) و الصابئية (دون الأديان الإبراهيمة)، ويرى أن القرآن هو جامعهما لتأسيس المجتمع و ما هو أنسب بالفطرة الإنسانية.

10-ويرى الشيخ السندي إعجاز القرآن في نظامه و أصوله لتأسيس المجتمع.

11-ربما يرى القاري أن إسهاب المؤلف في بعض المباحث التاريخية أو ذكر الحكايات يمل القاري، وهذا التطويل يبعد القاري عن المقصود.

12-ويبدو من مقابلة النسخ أن بينهما تطابق فلأجل ذلك يمكن القول بأنهما انبثقتا من أصل واحد. أنا حاولت قدر مستطاعي المقابلة بين النسخ ليخرج النص أكثر صحة ودقة.

13-إن لغة التفسير يشوبها أسلوب العجمة كثيرًا، فبذلك يقع في العبارة تعقيد لفظي والذي يسبب الغموض في التأليف النحوي للجمل، وتارةً إلى الأخطاء الجلية النحوية، وأكيدًا يرجع هذا الأمر إلى النساخ، فإن الشيخ السندي قد كتب كتبًا أخرى باللغة العربية؛ ولكنها بمعزل عن مثل هذه الأخطاء مثلا: **التمهيد في تعريف أئمة التجديد** و غير ذلك من الكتب القيمة.

التوصيات

هذا التفسير يحتاج إلى مزيد من العمل والتوجه، فإني عملت قدر مستطاعي لتكميل المتطلبات التعلمية ويمكن تلخيص تلك الأمور في النكت التالية:

1-التفسير يحتاج إلى مزيد من الدقة في المقارنة بين النسخ.

2- بعض المواضيع من التفسير صعب فهمها حتى بعد المقارنة بين النسخ، فهذا الجانب أيضا يحتاج إلى التأمل.

3- التفسير كله مرتب على ترتيب النزول ولكن المؤلف لم يتكلم على إفادة ذلك، فلو رتب التفسير حسب الترتيب المصحفي لكان أحسن.

4- إن نسخة إسلام آباد لإلهام الرحمن أكثر دقة وشمولا إلا أنه أيضًا فقد بعض السور التي يوجد في نسخة ماليزيا أو نسخة حيدرآباد، فلو تحمل طالب آخر مسئولية تكميله لكان المشروع جامعا وشاملا.

5- تارة يذكر الشيخ السندي تجاربه خلال تفسير الآيات وهي تكون بمثابة الجملة المعترضة أو اللطائف الاستطرادية أو تتمة أو حكايات أو فوائد فينبغي جمعها في موضع واحد للإفادة العامة.

فهرس الأعلام

فهرس الأحاديث والآثار الواردة فى البحث:

15)	"اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الأوسط من رمضان، يلتمس ليلة القدر"	241
16)	"قد رأيت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم وذلك في رمضان."	242
17)	"يا أبا أميّة أعرنا سلاحك هذا نلقى فيه عدوّنا"	244
18)	"عليهن جهاد لا قتال فيه، الحج والعمرة"	248
19)	"خيركم خيركم لأهله"	256
20)	"إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم"	262
21)	"أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: "كان في عماء"	290
22)	"والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا"	313
23)	" فقيل: هذا المسيح بن مريم"	315
24)	"لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد"	326
25)	"ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين "	337
26)	"لا حليم إلا ذو عثرة، ولا حكيم إلا ذو تجربة"	341
27)	" هذه يد عثمان – فضرب بها على يده، فقال – هذه لعثمان» اذهب بهذا الآن معك"	351
28)	"إنما بعثت معلما"	354
29)	"أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة"	362
30)	"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين بعث جيشا إلى أوطاس، فلقوا عدوا، فقاتلوهم فظهروا عليهم، وأصابوا لهم سبايا، فكأن ناسا من أصحاب	379

	رسول الله صلى الله عليه وسلم تحرجوا من غشيانهن من أجل أزواجهن من المشركين، فأنزل الله عز وجل في ذلك: {والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم} [النساء: 24]، أي: فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن"	
31)	إنها طيبة، وإنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة"	400
32)	"أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر "	419
33)	"يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئا"	427
34)	"لئن عشت، إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب"	446
35)	"اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح"	454
36)	"وكلكم مغفور له، إلا صاحب الجمل الأحمر"	455
37)	" لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها"	485
38)	" لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك"	524
39)	"نزلت هذه الآية في أهل قباء {فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا}"	556
40)	"إن مثل أمتي مثل المطر لا يدرى الخير في أوله أو آخره"	559
41)	"أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة"	560

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

كتاب المقدس

كتب التفسير و التراجم:

ولي الله، **فتح الرحمان بترجمة القرآن**، سايت كتابخانه

عبيد الله السندهي، المقام المحمود، حيدر آباد يونيورستي بريس، 1960.

عبد القادر، **موضح القرآن**، باكستان، كراتشي، ايچ ايم سعيد كمپنى

شاه عبد العزيز، **تفسير عزيزي**، باكستان، لاهور، نوريه عزيزية ببلى كيشنر

الرازي، فخر الدين، **مفاتيح الغيب**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: الثالثة 1420هـ.

الطبري، ابن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى 1420هـ.

الآلوسي، شهاب الدين محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الأولى 1415هـ.

الجصاص، أبوبكر، **أحكام القرآن**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: 1405هـ.

الفيروزأبادي، محمد بن يعقوب، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، لبنان، دار الكتب العلمية.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، دار طيبة للنشر و التوزيع، ط: الثانية 1420هـ.

القاسمي، غلام مصطفى، **الهام الرحمان في تفسير القرآن**، باكستان، حيدرآباد، بيت الحكمة.

ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير و التنوير**، تونس، الدار التونسية للنشر، ط: 1984م.

النسفي، أبو البركات، **مدارك التنزيل و حقائق التأويل**، بيروت، دار الكلم الطيب، ط: الأولى 1998م.

كتب الحديث وشروح الحديث:

البيهقي،ابو بكر، **السنن الكبرى**، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الثالثة 1424هـ.

البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، دار طوق النجاة، ط: الأولى 1422هـ.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، بيروت، دار إحياء تراث العربي.

مالك، **موطأ**، لبنان، بيروت، دار إحياء تراث العربي، ط: 1985م.

السجستاني، أبي داود، **سنن أبي داود**، بيروت، المكتبة العصرية.

الألباني، ناصر الدين، **صحيح و ضعيف سنن ابن ماجة**، الأسكندرية، مركز نور الإسلام.

الطبراني، سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، القاهرة، دارالحرمين، ط: الثانية.

البغوي، مسعود بن محمد، **شرح السنة**، بيروت، المكتب الإسلامي، ط: الثانية 1403هـ.

الألباني، **ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، بيروت، المكتب الإسلامي، ط: الثانية 1405هـ.

العيني، بدر الدين، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الحنبل، أحمد، **مسند أحمد**، القاهرة، دارالحديث، ط: الأولى 1416هـ.

ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: الثانية 1993م.

الشاه ولي الله، **المسوى شرح الموطا**، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الثانية 2002م.

ابن ماجة، **سنن ابن ماجة**، المحقق: شعيب الأرنوط، دار الرسالة العالمية، ط: الأولى 1430هـ.

الترمذي، محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط: 1998م.

كتب التخريج والزوائد:

علوي بن عبد القادر، **تخريج أحاديث و آثار كتاب في ظلال القرآن**، دار الهجرة للنشر و التوزيع، ط: الثانية 1995م

كتب العقائد:

ابن تيمية، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، السعودية، دار العاصمة، ط: الثانية 1999م.

النانوتوي، محمد قاسم، **آب حيات**،

ولي الله، **سطعات**، لاهور، إدارة ثقافت إسلامية، ط: 2012، مترجم: مولوي سيد متين أحمد

كتب التصوف و الأداب:

البيهقي، **الزهد الكبير**، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط: الثالثة 1996م.

الجيلاني، عبد القادر، **الغنية لطالب طريق الحق**، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الأولى 1997م.

الشاه اسماعيل، **العبقات**، مترجم: مناظر أحسن جيلاني، لاهور، إدراه إسلاميات.

الجوزية، ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: السابعة و العشرون 1415هـ.

الجيلاني، عبدالقادر، **فتوح الغيب**، لاهور، بنغلا ديش، داكا، مركز الإعلام العالمي، ت: جمال الدين فالح الكيلاني، ط: الأولى 2014م.

الهيثمي، أحمد بن محمد، **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، دار الفكر، ط: الأولى 1987م.

ولي الله، **رسائل شاه ولي الله، القول الجميل في بيان سواء السبيل**، لاهور، تصوف فاؤنديشن، ت: سيد محمد فاروق القادري.

ولي الله، **البدور البازغة**، حيدرآباد، أكاديمية الشاة ولي الله، ط:1970م.

ولي الله، **فيوض الحرمين**، حيدر آباد، شاه ولي الله اكيدمي، ط: 2007م.

كتب الفقه:

السرخسي، **المبسوط**، بيروت، دار المعرفة، ط:1414هـ.

ابن عبدالبر، **الكافي في فقه أهل المدينة**، المملكة العربية السعودية-الرياض- مكتبة الرياض، ط: الثانية 1400هـ.

كتب أصول الفقه:

عبدالعزيز البخاري، **كشف الأسرار شرح أصول البزدوي**، مقدمة الكتاب، دار الكتاب الإسلامي.

ولي الله، **حجة الله البالغة**، بيروت، لبنان، دارالجيل، ط: الأولى 1426.

السهالوي، عبد العلي، **فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت**، بيروت – لبنان- دار الكتب العلمية

السندهي، عبيد الله، **أردو شرح حجة الله البالغة**، كراتشي، حكمت قرآن انستيتيوت.

كتب علوم القرآن:

ولي الله، **الفوز الكبير**، مترجم: سيد سلمان الندوي، ط: الثانية 1407هـ.

ابن قتيبة، **غريب القرآن**، دار الكتب العلمية، ط: 1978م.

كتب علوم الحديث:

العسقلاني، ابن حجر، **نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر على مصطلح أهل الأثر**،الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط: الأولى 2001، ت: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي.

التاريخ والسيرة والشمائل:

النعماني، شبلي، **سيرة النبي**، لاهور، اداره اسلاميات، ط: الأولى 2002م.

محمد بن يوسف، **سبل الهدي و الرشاد في سيرة خير العباد**، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: الأولى 1414هـ.

سرسيد أحمد خان، **الخطبات الأحمدية في العرب و السيرة المحمدية**، انديا، عليكره، سرسيد أكيدمي، ط: 2003م.

كتب اللغات و المعاجم:

التهانوي، محمد بن على، **كشاف اصطلاحات الفنون**، لبنان، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط: الأولى 1996م.

السيوطي، جلال الدين، **معجم مقاليد العلوم في الحدود و الرسوم**، مصر- القاهرة- مكتبة الآداب، ط: الأولى 1424هـ.

أبراهم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبدالقادر، محمد على النجار، **المعجم الوسيط**، تركية، استنبول، مؤسسة ثقافية للتأليف و الطباعة و النشر و التوزيع.

كتب التراجم والطبقات.

المزي، يوسف بن عبد الرحمان، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ت: بشار عواد، ط: الأولى: 1418.

الزركلي، خير الدين، **الإعلام**، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر 2002م.

صلاح الدين على بن موجود، **حياة الشيخ الشوكاني**، رياض، دار السلام، ط: الأولى 2006م.

الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، ط: 1985م.

الجزري، ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، بيروت، دار الكتب العلمية، ت: أحمد علي المعوض ، أحمد عادل، ط: الأولى : 1415هـ.

الذهبي، شمس الدين، **تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، الفاروق الحديثة للطباعة و النشر، ط: الأولى 2004م.

تقي الدين التميمي، **الطبقات السنية في تراجم الحنفية**، موقفه الشاملة

ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، بيروت، دار صادر، ط: 1994م.

النووي، يحي بن شرف الدين، **تهذيب الأسماء و اللغات**، بيروت، دار الكتب العلمية.

الحسني، عبدالعلي، **نزهة الخواطر و بهجة المسامع و النواطر**،لبنان، بيروت، دار ابن حزم، ط: الأولى 1999م.

حاجي خليفة، **سليم الوصول إلى طبقات الفحول**، تركيا، استنبول، مكتبة ارسيكا، ط: 2010م.

كتب التاريخ:

البيروني، أبو الريحان، **تحقيق ما للهند من مقولة**، بيروت، عالم الكتب، 2011م.

زيدان، جرجي، **تاريخ التمدن الإسلامي**، مصر، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، ط: 2012م.

الجزري، ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، لبنان، بيروت، دارالكتاب العربي، ط: 1997م.

عبد الله ناصح علوان، **صلاح الدين الأيوبي بطل حطين و محرر القدس من الصليبيين**، دار السلام.

علي محمد الصلابي، **سيرة السلطان محمد الفاتح و عوامل النهوض في عصره**.

الأزرقي، محمد بن عبد الله، ، **أخبار مكة للأزرقي**، بيروت، دار الأندلس للنشر، ت: رشدي الصالح.

ابن خلدون، عبد الرحمن، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، دار الفكر، بيروت، ط: الثانية 1988م.

سرگزشت حيات (ترجمة تحديث العبد الضعيف بنعمة ربه اللطيف للإمام عبيد الله السندي) باللغة الأردية للشيخ عبد الخالق آزاد، باكستان، لاهور، إداره رحيمية، ط: 2014م.

الشيخ محبوب الرضوي، **تاريخ دار العلوم ديوبند**

مقالات و رسائل الجامعات:

النمر، عبد المنعم، مجلة العربي

صغير حسين معصومي، مجلة **فكرونظر**، يوليو 2016.ة‌ر

المتفرق

جلباني، **شاه ولى الله كى تعليم** (لاهور، سنده ساگر اكيدمي)

الموسوعة العالمية (عالمي انسائيكلوبيديا) لاهور، فيصل ناشران

غلام مصطفى القاسمي، **سماجي انصاف اور اجتماعيت** (لاهور، رحيمية مطبوعات، 2019)

فهرس الموضوعات

القسم الثاني